الطريق لرفع

راية التوحيد

ملخصاً من كتب الشيخ

عبد اللّه الغليفى

رحمه اللّه

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله تعالي نحمده ونستعين به ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ومن يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ونشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد عبده ورسوله صلي الله عليه وعلي آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرا .

أما بعد

إن الذي دفعني لكتابة هذا الكتاب وجمعه وإعداده هو أنني نظرت من حولي وجدت أن أيدي الكفر والضلال قد انتشرت بين الناس وحكمت قبضتها علي المجتمع بأثره وأخذوا في نشر الباطل وتغيب عقول الناس عن أصل دينهم والغاية التي خلقوا من أجلها وأخذوا في طمس الحق وتغيبه بالقضاء علي أصحابه القائمين عليه ، والقضاء علي جميع الحركات الإسلامية الموافقة للحق ، وذلك تنفيذاً لأوامر أسيادهم من اليهود والصليبين .

وقد وقفت على كتب الشيخ عبد الله الغليفى رحمه الله واطلعت علي بعضها ووجدت بغيتى فيها وأن الشيخ رحمه الله ماترك شيئا إلا وتكلم عنه نصحاً للأمه فعكفت عليها و قمت بتلخيصها فى هذا الكتاب

ومنذ هذه اللحظة أخذت عهداً علي نفسي أن أبدأ في نشر الحق وتوضيحه للناس بكل الوسائل المشروعة ، وأن أسعي جاهداً للدفاع عن هذا الدين ، وذلك لأنني أعلم جيداً أننا جميعاً سنسأل أمام الله ،كلاً علي حده ((فيقال ماذا فعلت لنصرة هذا الدين ، ولنصرة المسلمين التي تنتهك أعراضهم كل يوم وتسفك دمائهم من قبل أعداء الدين من اليهود والنصارى والحكام المرتدين " .

فأرجوا من الله أن يوفقني في كتابة هذا الكتاب ونشره بين الناس ، حتى عندما أقف بين يديه أعذر .

بسم الله الرحمن الرحيم

"مقدمة "

إن الحمد لله تعالي نحمده ونستعينه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهديه الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن مُحَّداً عبده ورسوله .

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ" (آل عمران:١٠٢)

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً(النساء:١)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (71) ﴾ (سورة الأحزاب: ٧٠-٧١)

أما بعد :-

فإن أصل الفساد مخالفة الحق ، وتنكب طريقه ، وصلاح الأمر كله في إتباع الحق و إلتزام طريقه . والحق هو الوضع الثابت الذي خلق الله عليه مخلوقاته ، أو أرادها أن تكون عليه ، ذلك ليس من مخلوق في الدنيا إلا وخلقه الله وحده ، لم يشاركه أحد في خلقه ، وليس من مخلوق في الدنيا إلا وخلقه الله – سبحانه وتعالي – علي وضع معين ، ودبر أمره بكيفية معينة ، والله سبحانه وتعالي كامل منزه عن الخطأ ، فالصلاح كله فى خلقه وتدبيره – وكل شئ ينحرف عن الوضع الإلهي والتدبير الرباني يفسد ، فهذه السماوات والأرض خلقهما الله بالحق ، ودبر أمرهما بحكمته ، فصلحتا بخلقه وتدبيره سبحانه " لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ " (الأنبياء :- ٢٢)

والإنسان مخلوق من مخلوقات الله عز وجل ،وصلاح حياته مرهون بمعرفة الحق واتباعه . وفسادها نتيجة محتومة لجهله بالحق ، أو تمرده عليه وإن عرفه . ولما كان الله – سبحانه – هو الحق ، ومنه الحق ، وأمره الحق ، وأمره وتدبيره وبما أنزل من الحق ، وسبب صلاح هذه الحياه كلها هو الإيمان بالله عز وجل وبما نزل منه ، والتزام إرادته ، وأمره في أوضاع الإنسان كلها ، ولذلك قال عز من قائل" فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى *(١٢٣)*وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى" (طه :- ١٢٣- ١٢٤)

ولا يتبع هداه إلا من أمن به ، وذكره ، واستشعر وجوده وصفاته وعظمته سبحانه ، ومن نسي ذكر الله وإتباع هداه أو نسيانه والضلال ، فهو علي مفرق طريقين لا ثالث لهما طريق الإيمان والهدي والسعادة في الدنيا والآخرة ، وطريق الكفر والضلال والشقاء في الدارين .

لذا كان أشرف ما يتعمله الإنسان ، ويعلمه لغيره أمور الإيمان وأركانه ومقتضياته ، وأحوط ما يحتاط ويتسلح به معرفة معالم الكفر ، وأسبابه ومقتضياته ، فإن كان علي بصيرة من هذين الأمرين الخطيرين ، عرف الإنسان طريق سعادته ، فالتزمه ولم يحد عنه ، وطريق شقائه ، فاجتنبه ."١"

و لذلك نجعل هذا الكتاب– بما يمن الله علينا من العلم ، ويفتح علينا من الحق – فى ثلاثة أقسام هذه الأقسام منهاج حياه ، حياة عزة وكرامة ونصر وتمكين ، كان يعيشها قبلنا أشرف البشر سيد الخلق أجمعين مُحَمَّد - ﷺ - و أصحابه الغر الميامين ، و من ثم فإليك مجملها ثم بعد ذلك التفصيل إن شاء الله الرب العليم .

القسم الأول :-يتناول أمور التوحيد و العقيدة ،وذلك لإن المتأمل في حياة الصحابة رضي الله عنهم ويرى مواقفهم المشهودة في حياتهم وجهادهم يرى بوضوح أثر التربية النبوية واضحاً في سلوك هؤلاء الصحب الكرام ويعلم يقينا أنه لولا الإتباع ونصرة هذا الدين بحب وتضحية في سبيل نصرته ورفعته بكل شئ لما وصل إلينا ولا إلى غيرنا في مشارق الأرض ومغاربها والسبب في ذلك- بعد التربية النبوية - هو تطبيق التوحيد في واقعهم وتحقيقه عملياً في كل شؤون حياتهم فحققوا التوحيد اعتقاداً قولاً وعملاً ففتحوا البلاد وقلوب العباد حتى وصل إلينا فجزهم اللهم عنا وعن الإسلام خير الجزاء وألحقنا بهم واحشرنا معهم بمنك وكرمك يا أرحم الراحمين يارب العالمين .

القسم الثاني:-يتناول من هم أهل الباطل أعداء الدين و المسلمين ، و ذلك لأن الله -عز وجل-تعبدنا باستبانة سبيل المجرمين ، وجعل ذلك هدفًا من أهداف التفصيل القرآني للآيات كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ [الأنعام: ٥٥].

فسفور الكفر والشر والإجرام ضروري لوضوح الإيمان والخير والصلاح ، وإنشاء اليقين الإعتقادي بالحق في عالم الضمائر وقوة الاندفاع به في عالم الواقع لا ينشأ فقط من شعور صاحب الحق أنه على الحق ، بل ومن شعوره كذلك بأن الذي يحاربه على الباطل .

القسم الثالث :- يتناول الجهاد طريق النصر والعزة ، و ذلك "لإن المتأمل فى حياة النبى والصحابة يرى بوضوح أنها كانت حياة كلها جهاد و كفاح ، ضد الشرك وأهله ، لنشر التوحيد و عبادة الرب المجيد وحده ، و من ثم كانوا أعز الأمم و أكرمها ، أما بترك الجهاد يفشو الشرك والظلم ويعلو الكفر وأهله ويستعبد الناس بعضهم

بعضًا ، ولا يخفى ما في ذلك من الشقاء والتعاسة والفساد الكبير على الناس قال الله تعالى: (وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ) (البقرة: من الآية ٢٥١) ، وقال تعالى: (وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ) (الحج: من الآية ٤٠).

"فلولا أن الله يدفع الكافرين بجهاد المؤمنين ، ويكبت الكفار ويذلهم لاعتلوا على المؤمنين ، وإذا اعتلى الكافر جعل الناس يعبدونه هو من دون الله سبحانه وتعالى ، وإذا عبد الناس من دون الله أحدًا فسدت حياتهم كلها ؛ لأن الحياة

(١):كتاب :- الإيمان – اركانة – حقيقته – نواقضة " دكتور / مُحَّد نعيم ياسين

لا تستقيم إلا إذا سارت على المنهج الذي رسمه الله ؛ وهو المنهج الذي يحقق العبودية لله ، ويحقق الأخلاق الرفيعة والفضائل الحميدة للبشر ؛ فالذي رسم المنهج هو الله الذي خلق الحياة والأحياء العالم بما يصلحهم ، أما إذا اعتلى كافر على الأرض وشرع للناس من عند نفسه فإنه لا يعلم جميع الأمور ، وليس مبرأ من النقص والهوى ، ولا يعلم ما الذي يصلح النفس البشرية فيتخبط خبط عشواء ويفسد الحياة كما هو الحال اليوم ونظرة على الواقع الذي يعتلي فيه الكافر كافية بتقرير هذه الحقيقة ، ولولا تخاذل المسلمين عن الجهاد الذي أمر الله به لصلحت حياة الناس الذين يحكمون بشرع الله ، لأجل هذا شرع رسول الله ﷺ الجهاد حتى مع الإمام الفاجر الذي لم يصل إلى درجة الكفر ؛ لأن بقاء الإسلام وأهله يحكمهم فاسق خير لهم من أن يحكمهم كافر يحكم بغير ما أنزل الله ؛ فإن الحكم بغير ما أنزل الله هو سبب فساد الأرض" .

و إن ترك الجهاد سبب للذل والهوان كما قال الرسول ﷺ: (لئن تركتم الجهاد وأخذتم بأذناب البقر وتبايعتم بالعينة ليلزمنكم الله مذلة في رقابكم لا تنفك عنكم حتى تتوبوا إلى الله وترجعوا إلى ما كنتم عليه) .

وهذا أمر مشاهد وبارز في عصرنا اليوم ؛ حيث تسلط الكفار على بلدان المسلمين ، وعاش المسلمون في مؤخرة الركب ؛ يأكل الكفار خيراتهم ، ويتدخلون في شؤونهم ، ويتسلطون عليهم بأنواع الذلة والمهانة ؛ وما ذاك إلا بتعطيل أحكام الله وترك الاحتكام إلى شرعه ، ومن ذلك تعطيل شعيرة الجهاد.

وإن الكفار لن يلتفتوا إلى حقوق المسلمين ويراجعوا حساباتهم ويكفوا شرهم بمجرد الإدانات والشجب والكلام الأجوف ، وإنما الذي يخيفهم ويجعلهم يكفون عن المسلمين وديارهم هو الجهاد في سبيل الله تعالى الذي فيه كبت للكفر وأهله ، وفيه إعزاز وكرامة للمسلمين.
وهذا أمر يشهد له التاريخ كما يشهد له الواقع ؛ فما من مكان علت فيه راية الجهاد إلا وشعر المسلمون فيه بالعزة ، وخاف أعداء الله الكفرة من تكبيرات المجاهدين وتضحياتهم .

"فإذا وجد إحساس لدى أمة ما بضرورة دفع الشر عن نفسها ، ضحت في سبيل ذلك براحتها ومتعها وثروتها ومالها ، وبشهواتها النفسية ، وبروحها وبكل عزيز لديها ؛ فإنها لا يمكن أبدًا أن تظل أمة ذليلة مستضعفة ، ولا يمكن لأية قوة مهما كانت أن تنال من عزتها أو شرفها ويجب أن تتصف الأمة الشريفة العزيزة بأن تخفض الرأس أمام الحق ، وأن تفضل الموت عن أن تخفض الرأس أمام الباطل ، وإذا لم تتوافر لها القوة لإعلاء كلمة الحق ومساعدة الحق فلا بد على أقل تقدير أن تعمل للحافظ على الحق بكل شدة وبكل صلابة ، وهذه أقل درجات الشرف."١"[كتاب خماسية الجهاد للشيخ عبد الله الغليفى]

والله سبحانه وتعالي - هو الموفق للصواب :- فما أصبنا فيه الحق فهو من الحق جلا وعلا ، وما أخطأنا فهو من أنفسنا ومن الشيطان ، ونتضرع إلي الله أن يغفر لنا ويسخر من عباده الصالحين من يصوبه ويبين الحق فيه .

[وقبل البدء في تناول موضوعات هذا الكتاب أريد أن أوجه رسالة لكل صاحب رسالة ، لكل عظيم يريد أن يعيش لأمته حتى يراها أعز الأمم ، ولكل عزيز محب لله ولرسوله يريد أن يري راية التوحيد خفاقة عالية .

"١" حلية الاولياء :- "١٤٥/٢"

لا بد أن تكون رسالتك وهمك ، لحمك ودمك .

كان الحسن البصري يقول " يابن ادم !! دينك دينك فإنه هو لحمك ودمك ، وإن يسلم لك دينك يسلم لك لحمك ودمك ، وإن تكن الأخري فنعوذ بالله ، فإنها ناراً لا تطفأ وجرح لا يبرأ ، وعذاب لا ينفذ أبداً ، ونفس لا تموت . "١"

أخي في الدعوة : ماذا تفعل لو أصابك جرح قاطع أدي إلي نزيف مستمر ؟: هل تتألم ؟! وبعد الألم ماذا يكون وإن لم يكن استدعاء الطبيب والهرولة إلي المستشفي قبل أن يؤدي الجرح – ولو كان صغيراً – إلي موتك ؟!

فهل جسدك اغلي عليك من دينك ؟! هل إذا جرح دينك بتضييع حدوده وانتهاك حرماته تسرع لاغاثته بالعمل له والبذل في سبيله وتتردد علي مشافي الدعوة بدلاً من التردد علي مأتم الأحزان في الزوايا والأركان .

يا غافلاً ليس بمغفول عنه ....

يا غافلاً عن كيد أعداء

لا يغفلون عنه لحظة " امتنا اليوم تواجه عدوا شرساً – كشر عن أنيابه ... واظهر ما كان مستوراً في فؤاده – وسخر طاقاته وثرواته لبلوغ مراده وتحالف مع أمثاله لتعجيل أهدافه أيواجه هذا كله بهمم خائرة وعزائم مريضة وتسويف فعال وسط كلمة أقول ؟!

لكن يجب أن نعترف أن من محاسن هذه الهجمة الشرسة أنها جعلتنا نفطن إلي سر الانتصار ومعادلة الظفر ومفتاح القفل المحكم المؤدي إلي كشف الغمة إنه أنت !! نعم أنت .

يقول الامام حسن البنا :-

" إن تاريخ الامم جميعاً إنما هو تاريخ ما ظهر بها من الرجال النابغين الاقوياء والنفوس والارادات ، وإن قوة الامم أو ضعفها إنما يقاس بخصوبتها في إنتاج الرجال الذي تتوفر فيهم شرائط الرجولة الصحيحة . وإني اعتقد – والتاريخ يويدني – أن الرجل الواحد في وسعه أن يبني أمة إن صحت رجولته " .

فلماذا لا تكون أنت هذا الرجل ، وأنت الامل المرتقب أنت المعجزة الربانية ، فكيف لا تسعي لنيل هذا الشرف وحيازة قصب السبق .

واعلم يا أخي أن مما يدفع لحمل هم الدعوة هو قلة العاملين وكثرة المتهاونين وتصاعد الكيد وتمادي الكفر وأذناب الكافرين ، وسرعة الهدم وسهولته مع بطء البناء ومشتقته . وهروب الكثير عن الجنة وسعيهم حثيثاً نحو النار ، وسقوطهم في الحفرة التي صنعها لهم أعداؤهم والكمين المنصوب لهم

فيا صاحب الرسالة : افهم ما يراد منك :-

أنت صاحب دعوة ينتظرها المسلمون في جميع الارض ، المحاصرون في غزه ، والمعذبون في كشمير ، والمنسيون علي أرض الصين والمقهورين في العراق ، بل وكل من طالت محنته وانهكته المظالم .

---

(١) كتاب يا صاحب الرسالة للدكتور / خالد ابو شادي

أنت اليوم في مواجهة حاسمة مع عدو متبجح يصل الليل بالنهار في سبيل اقتلاع دينك ، أو علي الاقل تركه في قلوب الناس صنماً لا روح فيه ، فماذا أنت صانع ؟! أنت قائد التغير البشري اللازم لوقوع التغير الالهي المرتقب ، فكيف نطلبك فلا نجدك ؟!

يا ابن الدعوة و يا صاحب الرسالة ، يا وريث أولي العزم من الرسل ، إنها الامانة الثقيلة التي ناءت بحملها السماوات والارض والجبال وحملتها أنت ،فعلمت بذلك أنك لابد أن تكون أقوى من السماوات والأرض و الجبال!! فأني لهذه الأمانة أن يحملها ضعيف متخاذل ، أو كسول متراخ ، بل لا يصلح لها إلا الجد والقوة ، وهي لغة القرآن بها خاطبك وعليها عودك ألم تسمعها عالية تدوي " خذ الكتاب بقوة "{ مريم ،١٢}

أخي صاحب الرسالة

أنت مجاهد ، والجهاد هو بذل غاية الجهد ، فهل بلغت غايتك و أصبت ذروتك فى سبيل دعوتك ؟! يا ابن الدعوه ،يا من يجرى فى عروقه دم الشهامه و الركض في ميدان العلم والعمل.

أيها المجاهد البطل

أ رأيت مجاهد نائماً في ساحة قتال و الرؤوس حوله تتطاير أسمعت عن بطل صال وجال دون نضال وملحمة ؟!

فاقبل يا أخي واعطني سمعك وقلبك وتعال نتعلم ما ننجوا به في الدنيا والأخرة ، ثم نعمل به فنصبح أعز الناس ، ثم نعذر به أمام الله أي هو .

" معرفة الطريق لرفع راية التوحيد "
جمعه ورتبه من كتب الشيخ الغليفى رحمه الله
العبد الفقير المحتاج لعفو ربه
مُحَمَّد حجاج " أبي حفص"

" القسم الأول "
في أمور
التوحيد والعقيدة

الباب الأول

" بسم الله الرحمن الرحيم "

" التمهيد "

الحمد لله والصلاة والسلام علي رسول الله وعلي آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد

فإن الدين الذي ارتضاه الله عز وجل لعباده وارسل به الرسل عليهم الصلاة والسلام هو الاسلام وهو التوحيد وهو أصل الدين ، وأساسه الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءه من الشرك وأهله ، وهو كما تري قول وعمل ، عقيدة سهلة ميسرة ،وسط لا غلو فيها ولا تفريط مصدرها القرآن الكريم ، والسنة الصحيحة الثابتة عن رسول الله صلي الله عليه وسلم ، وفهم الصحابة رضي الله عنهم لهما .

هذه الاصول الثلاثة المعصومة القرآن والسنة والأجماع هي عقيدة أهل السنة والجماعة والفرقة الناجية والطائفة المنصورة التي تقدم فهم الصحابة علي فهم غيرهم وإجماع الصحابة علي إجماع غيرهم هي الممدوحة والموعودة بالنصر والتمكين ومن خالفها كان من الضالين والهالكين وإن تزي بزي المسلمين ، وانتسب لأهل السنة والسلف والصالحين ، فالعبرة بالحقائق لا بالمسميات ، وبالأنقياد والقبول والسلوك العملي لا بالشعارات ،فأن المنهج العملى للمسلم و تعامله مع الآخرين هو الذى يحكم عليه و يميزه عن غيره من أهل الأهواء والبدع والأفتراق .

قال تعالي مبينا هذا الطريق " وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ(153) "{ الانعام :- ١٥٣ }

وقال سبحانه وتعالي بعد أن وضح الطريق وفصله تفصيلاً يزيل كل لبس ويقطع كل عذر " وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ " { الانعام :- ١٢٦}

ومع وضوح هذا الطريق ويسر هذه العقيده إلا أن هناك من حاد عن الصراط وتنكب الطريق وزاغ وضل عن طريق الهدي إما إلي الغلو والتشدد كالخوارج وأهل الغلو في التكفير والتوقف والتبين ، وإما إلي التفريط والتساهل كالمرجئة والأشاعرة والما تريدية ، وغيرهم من أهل البدع المخالفين لأهل السنة والجماعة وخطورة الأمر أن هؤلاء ينتسبون إلي التوحيد والسنه ويرفعون شعار السلف والسلفيه حتي التبس حالهم علي كثير من المسلمين فما عادوا يفرقون بين أهل السنة والجماعة اتباع السلف الصالح وبين الخوارج والمرجئة أدعياء السلفية ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

فكان لزاماً وواجباً علي أهل العلم رفع هذا الالتباس وبيان التوحيد الخالص للناس ليهلك من هلك عن بينة ، ونسأل الله السلامة والعافية والثبات علي الحق وحسن الخاتمة – فإن الله تعالي ما خلق الخلق إلا ليوحدوه وبالعبادة يفردوه ولما كان التوحيد هو السبب الذي من أجله خلق الخلق وجعل الجنة والنار ووضع الموازين القسط وحدد يوماً يقوم الناس فيه لرب العالمين ، وكان هو الرسالة التي أمر الله أنبيائه و رسله بتبليغها إلى الثقلين الجن و الأنس عبر مراحل التاريخ المختلفة ، فإن معرفة حقيقية التوحيد تظل أول ما يجب علي الانسان أن يعلمه ويفهمه قال تعالي " فاعلم أنه لا إله إلا الله "

ومن عظم شأن التوحيد وجلال قدره وعظيم مكانته ، أن جعله الله روح دينه ، وجعله فرض عين لا ينعقد إسلام المرء ما لم يؤديه بتمام شروطه ، فمن مات وهو تارك لفريضة التوحيد ، مات علي غير ملة الاسلام ، وإن نطق الشهادتين وأدي الفرائض الأربع وجاء يوم القيامة بأعمال صالحة حجمها كالجبال لقوله تعالي " وقدمنا إلي ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا " { أي أنهم سجلت لهم اعمال صالحة أتوا بها ، ولكن الله أحبطها ونثرها كالرماد في يوم عاصف ، لماذا ؟! لأنهم خرجو من الدنيا وهم تاركي فريضة التوحيد ، أي ، أنهم خرجوا من الدنيا وهم علي غير ملة الاسلام "١"

وغالبية الناس اليوم مما ينتسبون إلي دين الاسلام ، لا يفهمون أن التوحيد فرض عين ، وأنه عبادة عملية تؤدي كما تؤدي الصلاة ، وأن له أركان وشروط لا يقبل إسلام المرء دون الإتيان بها ، فهم يفهمون الاسلام علي أنه مجرد شعور قلبي بوحدانية الله ، ونطق بالشهادتين ، ثم عبادات وفرائض تؤدي

بشكل آلي ، يكون الانسان بعدها من أهل التوحيد ، وهذا من تلبيس إبليس عليهم ، فإن الله قد حكم بالشرك علي أناس مؤمنين به من قلوبهم لقوله تعالي " وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون " { أي أنهم مع إيمانهم بالله ونطقهم الشهادتين ، فأنهم قد اشركوا بعبادته عبادة آلهة أخري .

وكذلك ما ذكره شيخنا " الشيخ عبد الرحمن بن حسن " مفتي الديار النجدية " السعودية " رحمه الله تعالي من شروطها والتي لا يصح إسلام أحد من الناس إلا إذا اجتمعت له هذه الشروط ، وقال بها علما وعملاً واعتقاداً ، وكذلك نواقض الإسلام العشرة التي ذكرها شيخ الإسلام مُحَّد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالي لأن هذا هو الأصل الذي تتفرع عليه هذه المسائل وتبني عليه أحكامها فاقول وبالله التوفيق وبه العصمة والثقة .

" كلام الشيخ – اعلم رحمك الله أن كلمة الأخلاص لا إله إلا الله هي الكلمة التي قامت بها الأرض والسماوات وفطر الله عليها جميع المخلوقات ، وعليها أسست الملة ونصبت القبلة ، ولأجلها جردت السيوف للجهاد ، وبها أمر الله جميع العباد ، فهي فطرة الله التي فطر الناس عليها ، ومفتاح عبوديته التي دعا الأمم علي ألسن رسله إليها ، وهي كلمة الإسلام . ومفتاح دار السلام وأساس الفرض والسنة ، فإذا عرفت هذا فأعلم أن لا إله إلا الله لا تنفع قائلها إلا بعد معرفة معناها ، والعمل بمقتضياتها ، وأنها لا تنفعه إلا بعد الصدق والإخلاص .

واليقين لأن كثيراً ممن يقولها في الدرك الأسفل من النار فلابد في شهادة أن لا إله إلا الله من اعتقاد الجنان ونطق باللسان ، وعمل بالأركان ، فإن إختل نوع من هذه الأنواع لم يكن الرجل مسلماً وعاملا بالأركان ثم حدث منه قول أو فعل اواعتقاد يناقض ذلك لم ينفعه قول لا إله إلا الله ، وأدلة ذلك من الكتاب والسنة ، وكلام ائمة الاسلام أكثر من أن تحصر.

---

(١)الكفر بالطاغوط بين غلو الخوارج وتفريط المرجئة الشيخ / عبد الله بن مُحَّد الغليفي – مكة المكرمة – غليفه

وقد أخرج البخاري عن قتادة قال حدثنا انس بن مالك أن النبي صلي الله عليه وسلم " ومعاذ رضي الله عنه رديفه على الرحل قال " يا معاذ " قال : لبيك يارسول الله ، وسعديك قال " يا معاذ " قال لبيك يارسول الله وسعديك ، ثلاثاً قال " ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن مُحَّد رسول الله صدقاً من قلبه إلا حرم الله تعالي عليه النار "

قال يا رسول الله أفلا اخبر الناس فيستبشروا ؟ قال " إذاً يتكلوا " فاخبر بها معاذ عند موته تأثماً : قال شيخ الإسلام وغيره في هذا الحديث ونحوه أنه فيمن قالها ومات عليها كما جاءت مقيده لقوله " خالصاً من قلبه غير شاكٍّ فيها بصدق ويقين " فإن حقيقة التوحيد انجذاب الروح إلي الله تعالي جملة ، فمن شهد أن لا إله إلا الله خالصاً من قلبه دخل الجنة .... إلي آخر الكلام (١)

وبعد هذا التوضيح لأهمية معرفة العبد لكلمة التوحيد لا إله إلا الله والعمل بها نستعين بالله في نقل أقوال أهل العلم فيما تقتضيه هذه الكلمة العظيمة " كلمة الأخلاص لا إله إلا الله مُحَّد رسول الله "

"المبحث الأول"

" كلمة التوحيد ":- لا إله إلا الله مُحَّد رسول الله " (٢)

ومعناها :- لا معبود بحق إلا الله ، وبذلك تنفي الإلهية عما سوي الله وتثبتها لله وحده .

يقول شيخ الاسلام ابن تيميه رحمه الله

" ليس للقلوب سرور ولا لذه تامة إلا في محبة الله ، والتقرب إليه بما يحبه ، ولا تمكن محبته إلا بالإعراض عن كل محبوب سواه ، وهذه حقيقة " لا إله إلا الله " وهي ملة إبراهيم الخليل عليه السلام وسائر الانبياء والمرسلين صلاة الله وسلامه عليهم أجميعين "

أما شقها الثاني " مُحَّد رسول الله " فمعناها تجريد متابعته " صلي الله عليه وسلم " فيما أمر و الانتهاء عما نهي عنه وزجر .

ومن هنا كانت " لا إله إلا الله " ولاء وبراء ، نفياً واثباتاً ولاء لله ولدينه وكتابه وسنة نبيه وعباده الصالحين وبراء من كل طاغوت عبد من دون الله .

وفى هذا يقول الشيخ مُحَّد بن عبد الوهاب :.و أعلم أن الإنسان ما يصير مؤمناً بالله إلا بالكفر بالطاغوت و الدليل قوله تعالي " " فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انفِصَامَ لَهَ " (سورة البقرة ٢٥٦)

والعروة الوثقي كما قال أهل العلم هي كلمة التوحيد لا إله إلا الله ، وسيأتي التفصيل فيما بعد .

---

(١) كتاب عقيدة الموحدين للشيخ ابن باز

(٢) كتاب الولاء والبراء للشيخ / مُحَّد بن سعيد القحطاني

وكلمة التوحيد ولاء لشرع الله ، ونقف هنا للتفصيل لأهمية هذه المسألة وذلك لبعدنا عن شرع الله وعدم التحاكم إليه .

" معني الشريعة الإسلامية " (١)

(هذه كلمة جامعة تعني دين الله عز وجل ، الذي رضيه لعباده وشرعه لخلقه في كل شئون حياتهم ، هداية لهم ، ورحمة بهم في الجوانب الاتية :-

" الإيمان " بالله تعالي وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر .

" الأخلاق " العليا التي شرعها لنا سبحانه وتعالي ، آمراً بأحسنها :- كا لأمانة ، والصدق ،والصبر ، والوفاء بالعهود والوعود .... الخ

أو نهيناً عن مساوئها : الخيانة ، والكذب ، والغدر ، والظلم ، والغش ، والفساد .... الخ

" العبادات " كالصلاة ، والزكاه ، والصوم ، والحج ، وقراءة القرآن .... الخ

"المعاملات " الفردية ، والأجتماعية ، والمالية ، والسياسية ، والبيع ، والزواج ، والرهن ، والميراث ، ونظام الحكم مثل إقامة الحدود التي حدها الله ورسوله ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والشوري .... الخ .

وهذه الشعب الأربعة تشتمل الحياة الإنسانية كلها وقد شرع الله لنا فيها الشرائع علي أكمل الوجوه ، وأحكم التقدير ، ، وبين ذلك في كتابه الحكيم فقال تعالي : " وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ " (النحل :٨٨)

وختم هذا التشريع بأعظم شهادة من رب العالمين فقال تعالي " الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِينًا " (المائدة :٤٣) (٢)

(والشريعة الإسلامية واجبة التطبيق بغير تأخير أو عذر وذلك لأنه لا يوجد مايسمي بالعذر في عدم تطبيق الشريعة الإسلامية ، فتطبيق الشريعه الإسلاميه أمر واجب و فريضه فوق فريضة الصلاه والصيام والحج وبقية الفرائض كلها والقرآن الكريم هوالذي يجيب.

الله تبارك وتعالي يقول(إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ "(النور :- ٥١)

والله تعالي يقول في قول فاصل يفرق بين المؤمن والكافر ويجعل الفيصل ليس الصلاة ولا الصيام – مع أنها فيصل – وإنما تطبيق حكم الله .

الله تبارك وتعالي يقول " فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا " (النساء :٦٥)

---

(١)(٢) كتاب فتاوي كبار علماء الازهر الشريف في وجوب تعظيم الشريعة وتحكيمها

فالأية الكريمة تشترط فى المؤمن آمرين ، و ليس آمرا واحداً كما قد يظن :تطبيق حكم الله تعالي ، ثم التسليم والرضا النفسي الحقيقي بذلك التطبيق ، يحكمون الله ورسوله . ثم يرضون بذلك ويسلمون به ، هذا فيصل بين الايمان والكفر بنص القرآن المجيد) (١)

وعلي غرار هذه المسألة يقول الإمام الجليل الحافظ ابن كثير رحمه الله يذكر في كتابة " تفسير القرآن العظيم ما حل بالامة الإسلامية أيام التتار ، وذلك عند قوله تعالي :-" أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ " (المائدة: ٥٠)

قال (ينكر الله تعالي علي من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل علي كل خير ،والناهي عن كل شر ، وعدل إلي ما سواه من الأراء والأهواء والإصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله ، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات ، مما يضعونها بأرائهم وأهوائهم وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية الماخوذة عن ملكهم جنكيزخان ، الذي وضع لهم الياسق ، وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتي من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية وفيها كثيراً من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه ، فصارت في بنيه شرعاً متبعاً ، يقدمونها علي الحكم بكتاب الله وسنة رسوله صلي الله عليه وسلم ، ومن فعل ذلك منهم فهو كافر يجب قتاله ، حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله ، فلا يحكم سواه فى قليل ولا كثير)

وقال الشيخ الدكتور / محمود مُحَمَّد مزروعة من كبار علماء الأزهر الشريف وعميد كلية أصول الدين سابقاً .

إن من يدعو إلي تعطيل تطبيق الشريعة الإسلامية أو يعدل بها شرعاً آخر وضعياً أو يفضله عليه هذا خارج عن الملة الإسلامية ، لأنه عطل دين الله تعالي والذي يفضل علي شرع الله تشريعاً آخر من وضع البشر هذا أشد كفراً ، لأن تفضيل الخلق علي الخالق جلا وعلا وتفضيل الفكر البشري علي الوحي الإلهي أمر لا يحتاج إلي دليل أو إلي بيان في كفر صاحبه كفراً واضحاً بيناً " (٢)

وكلمة التوحيد براء من حكم الجاهلية :-

: أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ " (المائده : ٤٥)

وبراء من كل دين غير دين الاسلام :

" وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسلام دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ " (آل عمران : ٨٥)

ثم هي نفي وإثبات تنفي أربعة أمور وتثبيت أربعة أمور .

(تنفي الإلهية ، والطواغيت ، والأنداد ، والأرباب .)

والإلهية : ما قصدته بشئٍ من جلب خير أو دفع ضر ، فأنت متخذه إلهاً .

---

(١)(٢):- كتاب فتاوي كبار علماء الازهر الشريف في وجوب تعظيم الشريعة وتحكيمها .

والطواغيت : من عبد وهو راض ، أو رشح للعباده وقد عرف ابن القيم رحمه الله تعالي الطاغوت تعريفاً جامعاً حيث قال :- الطاغوت :- ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع .

وقال إن الطواغيت كثيرة ورؤسهم خمس:-

الأول: الشيطان الداعي لعبادة غير الله .

الثاني : من عبد وهو راضي .

الثالث : من دعا الناس إلي عبادة نفسه.

الرابع :من ادعي شيئاً من علم الغيب .

الخامس : الحاكم الجائر الذي يحكم بغير ما أنزل الله .

الأنداد :- ماجذبك عن دين الإسلام من أهل ، أو مسكن أو عشيرة أو مال فهو ند لقوله تعالي .

" وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ " (البقرة :- ١٦٥)

والأرباب :- من أفتاك بمخالفة الحق وأطعته ، مصدقاً لقوله تعالي " اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ " (التوبة :- ٣١٠)

وتثبيت أربعة أمور :-

القصد :- وهو كونك ما تقصد إلا الله .

والتعظيم والمحبة :- لقوله تعالي "وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ " (البقرة : ١٦٥٠)

والخوف والرجاء : لقوله تعالي " وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ۚ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۚ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ "(يونس : ١٠٧)

فمن عرف هذا قطع العلاقة مع غير الله ولا تكبر عليه جهامة الباطل ، كما أخبر تعالي عن إبراهيم عليه وعلي نبينا أفضل الصلاة والسلام بتكسير الأصنام وتبريه من قومه :" قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ " (الممتحنة: ٤)

ولقد جاء القرآن من أوله إلي آخره يبين معني لا إله إلا الله وينفي الشرك وتوابعه ، ويقرر الإخلاص وشرائعه فكل قول وعمل صالح يحبه الله و يرضاه هو من مدلول كلمة الإخلاص ، لأن دلالتها علي الدين كله إما مطابقة وإما تضمناً وإما التزاماً)"١" يقرر ذلك أن الله سماها كلمة التقوي .

---

(١)كتاب عقيد الموحدين للشيخ / عبد الله بن سعدي الغامدي العبدلي "تقديم العلامه عبدالعزيزبن باز

والتقوي : أن يتقي سخط الله وعقابه بترك الشرك والمعاصي ، وإخلاص العبادة لله ، واتباع أمره علي ما شرعه .كما قال ابن مسعود رضي الله عنه " أن تعمل بطاعة الله ، علي نور من الله ، ترجو ثواب الله ، وأن تترك معصية الله ، علي نور من الله ، تخاف عقاب الله "

المبحث الثاني

" أقسام التوحيد "

تنقسم كلمة التوحيد ثلاثة أقسام .

" توحيد الربوبية – توحيد الألوهية – توحيد الأسماء والصفات "

القسم الأول : توحيد الربوبية

وهو إفراد الله بالخلق والملك والتدبير والرزق ، أي أن الله وحده هو الخالق للعالم وهو الرب لهم والرازق لهم ، وهو وحده جل وعلا المدبر لشئونهم ،وأعلم رحمك الله أن المشركين الذين بعث الله الرسل إليهم مقرون أن الله خالقهم وأنه الرزاق الذي يخرج الحي من الميت ، ويخرج الميت من الحي ، وأنه الذي يدبر الأمر من السماء والأرض ،وأنه الذي يملك السمع والأبصار والأفئده .

قال تعالي " قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ " (سورة يونس)

ويقول الله تعالي " قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٨٥) قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٨٧) قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٨) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ (٨٩) "سورة المؤمنون"

قال تعالي " وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ " (الزخرف ٨٧) وهذا فرعون مع غلوه في كفره ودعواه أقبح دعوي ، ونطقه بالكلمة الشنعاء يقول الله في حقه حاكيا عن موسي عليه السلام " لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر " وقال إبليس " إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ " وقال " قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي " وقال " قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي " وكل مشرك مقر بأن الله خالقه وخالق السماوات والارض وربهن ورب ما فيهما ورازقهم ولهذا احتج عليهم الرسل بقولهم " أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ " وبقولهم " إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَمِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ "والمشركون مقرون بذلك لا ينكرونه (١)

القسم الثاني" توحيد الألوهية " (٢)

إن الألهية هي العبادة وأن العبادة معناها التوحيد .

قال ابن عباس رضي الله عنهما كل ما ورد في القرآن من العبادة فمعناه التوحيد ، وقال تعالي في سورة الزاريات " وَمَا خَلَقْت الْجِنّ وَالْإِنْس إِلَّا لِيَعْبُدُونِ " أي يوحدون وقال رب الأرباب في فاتحة الكتاب " إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ " أي نوحدك ونطيعك وتقدم المعمول يفيد الحصر والأختصاص كما ذكره علماء البيان.

"١"٢" كتاب عقيدة الموحدين" الشيخ / عبد الله بن سعدي الغامدي العبدلي

ومثل ذلك قوله تعالي " فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ " وهذا يتضمن الأمر بالعبادة لله وحده والنهي عن الشرك فالضمير الظاهر المقدم يفيد النهي عن الشرك وفعل الأمر يفيد وجود العبادة لله تعالي مثل قوله تعالي " وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا "

وقال عز من قائل عليمًا في سورة البقرة أول آيه فيها " يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ "

أي وحدوا ربكم كما قاله المفسرين .

وقال تعالي " قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ .لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ " إلي آخر السورة التي تسمي سورة الإخلاص أي إخلاص التوحيد العملي فالعبادة فيها هي التوحيد وهو الدين المرضي أيضاً وكرر النفي ليعم الماضي والمستقبل والتكرار يوجب التأثير خصوصاً والشرك العملي يحتاج قلعه إلي مثل هذا .

والمراد هنا أن العبادة هي الألهية المختصة بالله ، والعبادة في اللغة غاية التذلل والخضوع ، وشرعاً ما أمر الشارع به من أفعال العباد وأقوالهم المختصة بجلال الله وعظمته ، وهي أسم جنس يشتمل أنواع كثيرة وأصل العبودية الخضوع والذل والتعبد والتذلل ، والعباده والطاعة ، ومنها الاستغاثة والذبح ونحوها ، وقد يجتمعان ويفترقان أعني الطاعة والعبادة .

ولزياده الأمر إيضاحاً في هذه المسألة نذكر كلام الشيخ المحدث " مُحَّد بن اسماعيل الامير اليمني الصنعاني " (١)

قال الإمام " الأصل الأول "

إنه قد علم من ضرورة الدين أن كل ما في القرآن فهو حق لا باطل وصدق لا كذب ، وهدي لا ضلالة ، وعلم لا جهالة ، ويقين لا شك فيه ، فهذا الأصل أصل لا يتم إسلام أحد ولا إيمانه إلا بالإقرار بهذا الأصل وهذا مجمع عليه لا خلاف فيه .

"الأصل الثاني"

أن رسل الله وأنبياءه من ألولهم إلي آخرهم بعثوا لدعاء العباد إلي توحيد الله بتوحيد العبادة وكل رسول أول ما يقرع به آسماع قومه قوله " يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ " وهذا الذي تضمنه قول لا إله إلا الله فإنما دعت الرسل أممها إلي قول هذه الكلمة واعتقاد معناها لا مجرد قولها باللسان ومعناها هو إفراد الله بالإلهية والعباده والنفي لما يعبد من دونه والبراءة منه ، وهذا الأصل لا مرية في ما تضمنه ولا شك فيه ، وأنه لا يتم إيمان أحد حتي يعلمه .

"١" كتاب عقيدة الموحدين" الشيخ / عبد الله بن سعدي الغامدي العبدلي

"الأصل الثالث "

إن التوحيد قسمان (**القسم الأول**) توحيد الربوبية والخالقية والرازقية ونحوها ، ومعناها أن الله وحده هو الخالق للعالم وهوالرب لهم والرازق لهم وهذا لا ينكره المشركون ، ولايجعلون لله فيه شريكاً بل هم مقرون به .

والقسم الثاني : توحيد العبادة ومعناها إفراد الله وحده بجميع أنواع العبادات الأتي بيانها فهذا هو الذي جعلوا لله فيه شركاء ، ولفظ الشريك يشعر بالإقرار بالله تعالي فالرسل عليهم السلام بعثوا لتقرير الأول ودعاء المشركين إلي الثاني " أي توحيد الإلوهية " مثل قولهم في خطاب المشركين " أفي الله شك ؟ هل من خالق غير الله ؟" ونهيهم عن شرك العبادة ، ولذا قال تعالي " وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ " أي قائلين لأممهم أن اعبدوا الله ، فأفاد بقوله" في كل أمة " أن جميع الأمم لم ترسل إليهم الرسل إلا لطلب توحيد العبادة لا للتعريف بأن الله هو الخالق للعالم ، أنه رب السماوات والأرض ، فإنهم مقرون بهذا ، ولهذا لم ترد الآيات في الغالب إلا بصيغة الإستفهام للتقرير نحو قوله تعالي " هل من خالق غير الله ؟ أَفَمَنْ يَخْلُق كَمَنْ لَا يَخْلُق ؟ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ؟ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ؟ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ؟ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ ؟ " أسلوب تقرير لهم لأنهم به مقرون ، وبهذا تعرف أن المشركين لم يتخذو الأصنام والأوثان ولم يعبدوها ولم يتخذوا المسيح وأمه ، ولم يتخذوا الملائكة شركاء لله تعالي ، لأنهم أشركوهم في خلق السماوات والأرض ، بل اتخذوهم لآنهم يقربونهم إلي الله زلفي كما قالوه — فهم مقرون بالله في نفس كلمات كفرهم — وأنهم شفعاء عند الله — قال تعالي " وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَايَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ " فجعل الله تعالي إتخاذهم للشفعاء شركاء ونزه نفسه عنه ، لأنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه ، فكيف يثبتون شفعاء لهم ، لم يأذن الله لهم في شفاعة ولا هم أهل لها ولا يغنون عنهم من الله شيئاً.

الأصل الرابع :-

إن العباده أقصي باب الخضوع والتذلل ، ولم تستعمل إلا في الخضوع لله لأنه مولي أعظم النعم ، وكان حقيقاً بأقصي غاية الخضوع كما في الكشاف ثم إن رأس العباده وأساسها التوحيد لله الذي تفيده كلمته التي إليها دعت جميع الرسل ،وهو قول " لا إله إلا الله " والمراد إعتقادها معناً لا مجرد قولها باللسان ، ومعناها إفراد الله بالعباد والإلهية ،والنفي والبراءة من كل معبود دونه ،وقد علم الكفار هذا المعني لأنهم أهل اللسان العربي فقالو " أجعل الألهة إلهاً واحداً إن هذا لشئ عجاب .

" فصل "

إذا عرفت هذه الأصول فاعلم أن الله تعالي جعل العباده له أنواعاً " إعتقادية " وهي أساسها وذلك أن يعتقد أنه الرب الواحد الأحد الذي له الخلق والأمر وبيده النفع والضر ، الذي لا شريك له ولا شفيع عنده أحد إلا بإذنه ، وأنه لا معبود بحق غيره ، وغير ذلك ممايجب من لوازم الإلوهية " ومنها اللفظية" وهي النطق بكلمة التوحيد ، فمن اعتقد ما ذكر ولم ينطق بها لم يحقن دمه ولا ماله ، وكان كأبليس فإنه يعتقد التوحيد بل ويقر به كما أسلفناه عنه إلا أنه لم يتمثل أمرالله فكفر ، ومن نطق ولم يعتقد حقن ماله ودمه وحسابه علي الله وحكمه حكم المنافقين .و" بدنيه" كالقيام والركوع والسجود في الصلاة (ومنها الصوم وأفعال الحج والطواف ، و"ماليه " كإخراج جزء من المال إمتثالاً لما أمر الله تعالي به ، وأنواع الواجبات والمندوبات في الأموال والأبدان والأفعال والأقوال كثير لكن هذه أمهاتها.

وإذا تقررت هذه الأمور فأعلم أن الله تعالي بعث الأنبياء عليهم السلام من أولهم إلي آخرهم يدعون العباد إلي إفراد الله تعالي بالعبادة لا إلي إثبات أنه خلقهم ونحوه إذ هم مقرون بذلك كما قررناه وكررناه ولذا قالوا " أجئتنا لنعبد الله وحده " أي لنفرده بالعبادة ويختص بها من دون الأوثان ، فلم ينكروا إلا طلب الرسل منهم إفراد العبادة لله ، ولم ينكروا الله تعالي ، ولا أنه لا يعبد ، بل أقروا بأنه يعبد وأنكروا كونه يفرد بالعباده ، فعبدوا مع الله غيره وأشركوا معه سواه واتخذوا له أنداداً كما قال تعالي " فلا تجعلوا لله أندادًا وأنتم تعلمون " أي وأنتم تعلمون أنه لا ند له ، وكانوا يقولون في تلبيتهم للحج ، لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تمتلكه وما ملك ، وكان يسمعهم النبي صلي الله عليه وسلم عند قولهم لا شريك لك ويقول قد أفردوه ﷺ لو تركوا قولهم: إلا شريكاً هو لك فنفس شركهم بالله تعالي إقرار به تعالي قال تعالي " أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمْ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ، أُدْعُوا شُرَكَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظِرُونِ " فنفس اتخاذ الشركاء إقرار بالله تعالي ولم يعبدوا الأصنام بالخضوع لهم والتقرب بالنذر والنحر لهم إلا لأعتقادهم أنهم تقربهم من الله زلفي وتشفع لهم لديه فأرسل الله الرسل تأمربترك عبادة كل ما سواه وإن هذا الإعتقاد الذي يعتقدونه في الأنداد باطل ،وإن ذلك لا يكون إلا لله وحده ، وهذا هو توحيد العباده ، وقد كانوا مقرين كما عرفت بتوحيد الربوبية ،وهو أن الله هوالخالق وحده ، والرازق وحده .

ومن هذا تعرف أن التوحيد الذي دعتهم إليه الرسل من أولهم وهو نوح عليه السلام — إلي آخرهم — وهو مُحَّد صلي الله عليه وسلم هوتوحيد العباده ، ولذا تقول لهم الرسل " ألا تعبدو إلا الله أعبدوا الله مالكم من إله غيره " وقد كان المشركون منهم من يعبد الملائكة وينباديهم عند الشدائد ،ومنهم من يعبد أحجاراً ويهتف بها عند الشدائد فبعث الله مُحَّد صلي الله عليه وسلم يدعوهم إلي الله وحده بأن يفردوه بالعبادة كما أفردوه بالربوبية أي بربوبية السماوات والأرض ، وأن لا يدعو مع الله أحداً و قال تعالى "و على الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين " أي من شرط الصدق بالله أن لا يتوكلوا إلا عليه وأن يفردوه بالتوكل كما يجب أن يفردوه بالدعاء والاستغفار .

وأمر عباده ، أن يقولوا" إياك نعبد " ولا يصدق قائل هذا إذا أفرد العبادة لله تعالي وإلا كان كاذباً منهياً عن أن يقول هذه الكلمة . إذ معناها نخصك بالعباده ونفردك بها ، وهو معني قوله تعالي " فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ " وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ " كما عرف من علم البيان أن تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر ، أي لا تعبدون إلا الله ، ولا تعبدوا غيره ،ولا تتقوا غيره كما في الكشاف فإفراد الله بالعبادة لا يتم إلا بأن يكون الدعاء كله له والنداء في الشدائد والرخاء لا يكون إلا لله وحده ،و الإستعانة بالله وحده واللجأ إلي الله والنذر والنحر له تعالي ، وجميع أنواع العبادات من الخضوع والقيام تذللا لله تعالي ، والركوع والسجود والطواف والتجرد عن الثياب ، والحلق والتقصير كله لا يكون إلا لله عز وجل ، ومن فعل ذلك لمخلوق حياً او ميتاً ،أو جماداً أو غيره ، فهذا شرك فى العباده وصار من تفعل له هذه الأمور إلهاً لعابديه سواء كان ملكاً أو نبياً أو ولياً أو قبراً أو جنياً أو حياً أو ميتاً ،و صار بهذه العبادة أو بأى نوع منها عابداً لذلك المخلوق وإن أقر

بالله وعبده فإن إقرار المشركين بالله وتقربهم إليه لم يخرجهم عن الشرك وعن وجوب سفك دمائهم و سبي ذراريهم ونهب أموالهم وقال تعالي " أنا أغني الشركاء عن الشرك " لا يقبل الله عملاً شورك فيه غيره ولا يؤمن به من عبد معه غيره .

" فصل "

قد عرفت من هذا كله أن من اعتقد في شجر أو حجر أو قبر أو ملك أو جني أو حي أو ميت أنه ينفع أو يضر أو أنه يقرب إلي الله أو يشفع عنده في حاجه من حوائج الدنيا بمجرد التشفع به والتوسل إلي الرب تعالي – إلا ما ورد في حديث فيه مقال في حق نبينا مُحَّد صلي الله عليه وسلم أو نحو ذلك _ فإنه قد أشرك مع الله غيره واعتقد ما لا يحل اعتقاده كما اعتقد المشركون في الأوثان فضلاً عمن ينذر بماله وولده لميت أو حي ،أو يطلب من ذلك ما لا يطلب إلا من الله تعالي من الحاجات من عافية مرضية أو قدوم غائبه أو نيله لأي مطلب من المطالب ، فإن هذا هو الشرك بعينه الذي كان عليه عباد الأصنام .

والنذور بالمال علي الميت ونحوه والنحر علي القبر والتوسل به و طلب الحاجات منه هو بعينه الذي كان تفعله الجاهلية وإنما يفعلونه لما يسمونه وثناً وصنماً وفعله القبوريون لما يسمونه ولياً وقبراً ومشهداً ، والأسماء لا آثر لها ولا تغير المعاني ضرورة لغوية وعقلية وشرعية فإن من شرب الخمر وسماها ماء ، ما شرب إلا خمراً وعقابه عقاب شارب الخمر ، ولعل يزيد عقابه للتدليس والكذب في التسميه .

وقد ثبت في الأحاديث أنه يأتي قوم يشربون الخمر يسمونها بغير إسمها وصدق رسول الله صلي الله عليه وسلم فإنه قد أتي طوائف من الفسقة يشربون الخمر ويسمونها نبيذا وأول من سمي ما فيه غضب الله عصيانه بالاسماء المحبوبة عند السامعين ابليس لعنه الله فإنه قال لأبي البشر أدم عليه السلام " يا أدم هل أدلك علي شجرة الخلد وملك لا يبلي " فسمي الشجرة التي نهي الله تعالي أدم عن قربانها شجرة الخلد جذباً لطبعه إليها وهزاً لنشاطه إلي قربانها وتدليساً عليه بالأسم الذي أخترعه لها كما يسمي إخوانه المقلدون الحشيشة بلقمة الراحة ،وكما يسمي الظلمة ما يقبضونه من أموال عباد الله ظلماً وعدواناً " أدباً" فيقولون أدب القتل ، وأدب السرقة ، وأدب التهمة ،بتحريف أسم الظلم إلي أسم الأدب كما يحرفونه في بعض المقبوضات إلي أسم النفاعة ، وفي بعضها إلي أسم السياقة ، وفي بعضها أدب المكاييل والموازين ، وكل ذلك اسمه عند الله ظلم وعدوان كما يعرفه من شم رائحة الكتاب والسنة ، وكل ذلك مأخوذ عن إبليس حيث سمي الشجرة المنهي عنها شجرة الخلد .

وكذلك تسمية القبر مشهداً ، ومن يعتقدون فيه ولياً لا يخرجه عن اسم الصنم والوثن ، إذ هم معاملون لها معاملة المشركين للأصنام ،ويطوفون بهم طواف الحجاج بيت الله الحرام ،ويستلمونهم استلامهم لأركان البيت ويخاطبون الميت بالكلمات الكفرية ، من قولهم :- علي الله وعليك ، ويهتفون بأسمائهم عند الشدائد ونحوها وكل قوم لهم رجل ينادونه فأهل العراق يهتفون باسمه ويقولون يا زيلعي يا ابن العجيل ،وأهل مكة وأهل الطائف يا ابن العباس وأهل مصر يا رفاعي ويا بدوي والساده البكريه ، وأهل الجبال يا أبا طير ، وأهل اليمن يا ابن علوان وفي كل قرية أموات يهتفون بهم وينادونهم ويرجونهم لجلب الخير ودفع الضر وهو بعينه فعل المشركين في الاصنام .

كما قلنا في الأبيات النجدية :-

أعادوا بها معني سواع ومثله*** يغوث وود ليس ذلك من ودي
وقد هتفوا عند الشدائد باسمها *** كما يهتف المضطر الفرد
وكم نحروا في سوحها من نحيرة *** أهلت لغير الله جهلاً علي عمد
وكم طائف حول القبور مقبلاً *** ويستلم الاركان منهن بالأيدي

فأن قال إنما نحرت لله وذكرت اسم الله عليه ، فقل إن كان النحر لله فلأي شئ قربت ما تنحره من باب مشهد من تفضله وتعتقد فيه ؟ هل أردت بذلك تعظيمه ؟ إن قال نعم ، فقل له هذا النحر لغير الله بل أشركت مع الله تعالي غيره ، وإن لم ترد تعظيمه فهل أردت توسيخ باب المشهد وتنجيس الداخلين إليه ؟! أنت تعلم يقيناً أنك ما أردت ذلك أصلاً ولا أردت إلا الأول ولاخرجت من بيتك إلا قصده . ثم كذلك دعائهم له ، فهذا الذي عليه هؤلاء شرك بلا ريب .

وقد يعتقدون في بعض فسقة الأحياء ، وينادونهم في الشدة والرخاء ، وهو عاكف علي القبائح لا يحضر حيث أمر الله عباده المؤمنين بالحضور هناك ، ولا يحضر جمعة ولا جماعة ، ولا يعود مريضاً ولا يشيع جنازة ، ولا يكتسب حلالاً ، ويضم إلي ذلك دعوي التوكل وعلم الغيب ويجلب إليه إبليس جماعة قد عشش في قلوبهم وباض فيها وفرخ ، يصدقون بهتانه ، ويعظمون شأنه ، ويجعلون هذا نداً لرب العالمين ومثلاً ، فيا للعقول أين ذهبت ويا للشرائع كيف جهلت " إن الذين تدعون من دون الله عباداً أمثالكم "

فان قلت :- أ فيصير هؤلاء الذين يعتقدون في القبور والأولياء والفسقة والخلعاء مشركين كالذين يعتقدون في الأصنام .

قلت : نعم قد حصل منهم ما حصل من أولئك وساووهم في ذلك بل زادوا في الاعتقاد والأنقياء والأستعباد . فلا فرق بينهم .

فإن قلت : هؤلاء القبوريون يقولون :- نحن لا نشرك بالله تعالي ، ولا نجعل له نداً ، والألتجاء إلي الأولياء ليس شركاء

قلت: نعم " يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم "

لكن هذا جهل منهم بمعني الشرك ، فإن تعظيمهم الأولياء ونحرهم النحائر لهم شرك ، والله تعالي يقول " فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ: أي لا لغيره كما يفيد تقديم الظرف . ويقول تعالي " فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا " وقد عرفت بما قدمنا قريبا أنه سمي الرياء شركاً . فكيف بما ذكرناه ؟ فهذا الذي يفعلونه لأوليائهم هو عين ما فعله المشركون وصاروا به مشركين ولا ينفعهم قولهم : نحن لا نشرك بالله شيئاً لإن فعلهم أكذب قولهم .

فإن قلت : هم جاهلون ، أنهم مشركون بما يفعلونه .

قلت نعم : قد خرج الفقهاء في كتب الفقة في باب الردة أن من تكلم بكلمة الكفر كفر ، وإن لم يقصد معناها . وهذا دال علي أنهم لا يعرفون حقيقة الأسلام ولا ماهية التوحيد ، فصاروا حينئذن كفاراً كفراً أصلياً ، فالله تعالي فرض علي عباده إفراده بالعبادة " أن لا تعبدون إلا الله " وإخلاصها " وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ " الأيه ومن نادي الله ليلاً ونهاراً وسراً وجهاراً وخوفاً وطمعاً ثم نادي معه غيره فقد أشرك في العباده فإن الدعاء من العباده وقد سماها الله تعالي عباده في قوله تعالي " إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي " وبعد قوله " ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ "

فإن قلت :- فإذا كانوا مشركين وجب جهادهم والسلوك فيهم ما سلك رسول الله صلي الله عليه وسلم في المشركين: قلت : إلي هذا ذهب طائفة من أئمة العلم فقالوا يجب أولاً دعاؤهم إلي التوحيد وإبانة أن ما يعتقدونه ينفع ويضر ،لا يغني عنهم من الله شيئاً وأنهم أمثالهم وأن هذا الاعتقاد منهم شرك لا يتم الإيمان بما جاء به الرسل إلا بتركه والتوبة منه ، و إفراد التوحيد إعتقاداً و عملاً لله وحده ، وهذا واجب علي العلماء (أي) بيان أن ذلك الأعتقاد الذي تفرعت عن النذور والنحائر والطواف بالقبور شرك محرم ، وأنه عين ما كان يفعله المشركون لأ صنامهم ، فاذا أبانت " العلماء " ذلك للأئمة و الملوك وجب على الأئمة و الملوك بعث دعاة إلى إخلاص التوحيد ، فمن رجع وأقر حقن عليه دمه وماله وذراريه ، ومن أصر فقد أباح الله منه ما أباح لرسوله صلي الله عليه وسلم من المشركين .

وبعد هذا القدر الوجيز فى حكم من يدعو الاموات سيأتي التفصيل إن شاء الله عند ذكر مسألة العذر بالجهل .

الدرجة الخامسة (١)

إن الدعاء من العباده بل هو مخها ورأسها وأفضلها وفي الحديث أكرم شئ علي الله الدعاء وورد أفضل العباده الدعاء ، أخرجه الحاكم وصححه وورد الدعاء هو العباده . أخرجه الترمذي .

وهذا يدل على الحصر أي حصر الخبر في المبتدأ لأجل الفصل بينهما بالضمير فإن دلت قرينة علي عدم الحصر ، فيكون للتميز بأفضلية ما أو للمبالغة والأهتمام بشأن الشئ وقد سبق أن معني العبادة التوحيد والدعاء عباده فدعاء غير الله شرك .

ومن الأدلة علي ذلك قوله تعالي (ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ وَلا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ " فقد جمع في هاتين الأيتين دعاء العبادة ودعاء المسألة وأنهما مختصتان بالله تعالي .

وفي سورة البقرة " وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ " وسبب النزول يبين أن الدعاء هو النداء والمسألة لأنهم قالوا هل ربنا قريب فنناجيه أو بعيد فنناديه فنزلت هذه الأية الكريمة ذكره في تفسير الجلالين .

وقال في سورة الاسراء " قُلِ ادْعُواْ اللّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَنَ أَيّاً مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً " ففي التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال سجد رسول الله صلى الله عليه و سلم بمكة ذات ليلة يقول في سجوده يا الله يا رحمن فقال أبو جهل إن مُحَمَّداً ينهانا عن آلهتنا وهو يدعو إلهين فأنزل الله هذه الاية وأنظر في أسباب النزول محط أرباب العقول .

---

(١)هذه مقتطفة من رسالة "درجات الصاعدين إلي مقامات الموحدين في علم التوحيد للشيخ / مُحَمَّد بن أحمد الحفظي أحد علماء نجد .

وفي سورة نوح " قال رب إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً فلم يزدهم دعائي إلا فراراً وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في أذانهم"

فهذه نصوص صريحة أن الدعاء عباده وأنه النداء وأنه المنهي عنه وأن المنادي يكون إلهاً للمنادي وإن ذلك شرك وقد قال تعالي " الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ " وقال سبحانه وتعالي " قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ (٩٦) تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٩٧) إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٩٨) ، وقال تعالي في سورة الاعراف " فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ ۖ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا الي قولة تعالي " جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ۚ فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ".
ففيه أن الدعاء قولهما " لئن أتيتنا صالحاً لنكونن من الشاكرين فما أتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما أتاهما و هنا الشرك فى مجرد التسميه و هنا يقال شركاء فى طاعته لا في عبادته .

وتكريرنا الأستدلال علي أن الدعاء هوالنداء لأن أهل التفاسير يحملون الدعاء علي أحد خمسة معاني بحسب المقام عند كل آيه .

وأصل الدعاء في اللغة " الإيمان " وفي القاموس الدعاء الرغبة إلي الله وعرف بأنه رفع الحاجات إلي رفيع الدرجات وقد ورد الوعيد الشديد في ذم من سأل الناس من أموالهم خصوصاً إذا كان معه ما يكفيه أو ما يغشيه أو يغذيه فكيف بمن يسأل الأموات قضاء الحاجات " أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد "
وقال سبحانه وتعالي في سورة الجن " وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا "
وقال في سورة الأحقاف " وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَومِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ * وَإِذَاحُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاء وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ "
وقال في سورة يونس " وَلَا تَدْعُ مِنْ دُون اللَّه مَا لَا يَنْفَعك وَلَا يَضُرّك فَإِنْ فَعَلْت فَإِنَّك إِذًا مِنالظَّالِمِينَ "
وقال في سورة المؤمنين " وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ "
وقال في سورة العنكبوت " فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ * لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ "

فيفهم من الأيات ، أن من دعا غير الله ضال ظالم لنفسه مشرك كافر ، وهذه اللام لام العاقبة أي عاقبة شركهم الكفر والتمتع .
فإن قيل أن الداعي إنما أراد التقرب إلي الله بدعوته والشفاعة إلي الله .فالجواب أن هذا عين ما اراده المشركون بدليل قوله تعالي " مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى " وفي الاية الاخري " وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ " فختم الاية الاولي بقوله " إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار " وختم الثانية بقوله " سُبْحَانَه وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ "

فإن قيل إنهم يظنون أنهم علي هدي ، لا إنهم على ضلالة فالجواب: قال سبحانه وتعالي " قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا... كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ (29) فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ.

إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ))

ففيه دليل علي أن الكافر الذي يظن أنه في دينه علي حق هو والجاحد المعاند سواء وقد فسر ابن عباس رضي الله عنهما القسط هنا بلا إله إلا الله وفسره الضحاك بالتوحيد.

وقال سبحانه((وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (36) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ))

وفي تفسير البغوي رحمه الله عند قوله تعالي في سورة يونس ((هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ)) قال أي أخلصوا في الدعاء لله ولم يدعوا أحداً سوي الله تعالي إنتهي.

ففيه أن الدعاء هو الدين والأخلاص فيه هو التوحيد ودعوة غير الله شرك.

فإن قيل أن الدعاء لغير الله يكون من الشرك الأصغر مثل الطيره والحلف بغير الله لأنه قد ورد أنها شرك وفسروها بالأصغر ؟!

فالجواب : أن الحلف يكون تارة من الأكبر إذا قصد به تعظيم المخلوق كتعظيم الله .وأيضا لا مساواة لأن الحلف والطيرة لم يقع النهي عنهما إلا بعد مده في الإسلام ، ووقع من الصحابة بعد إسلامهم كالتشريك بالواو أيضا ، وأما الدعاء لأعتقاد النفع والضر من المدعو من دون الله لقضاء الحاجات وإغاثة اللهفان وشفاء المريض وقضاء الغرض ، فهو الذي كان عليه المشركون وهذه عبادتهم وشركهم والعكوف والذبح ونحوهما فروع هذه المطالب ، ونتيجة إشكال دعوة الميت والغائب يجعلون به وسائط بينهم وبين الله والوساطة في هذا منتفي وفيها تشبيه للخالق بالمخلوق ، وهي شرك محض ، والبعثة والدعوة لتوحيد الألهية وهو العبادة وأن تكون كلها لله وهذا هو المراد عند القول أن دعاء غير الله شرك أكبر ، ومن قال لا إله إلا الله ودعا غير الله علي ما ذكرنا ، فقد هدم مبناه ونقض ما قاله ونفاه ولم تصح بينه علي دعواه ، والدعاوي مالم يقيموا عليها بينات أبنائها أدعياء .

والله سبحانه يقول في سورة العنكبوت "إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شئ وهو العزيز الحكيم))

وقال تعالي في سورة يونس ((أَلاَ إِنَّ لِلّهِ مَن فِي السَّمَاوَات وَمَن فِي الأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ شُرَكَاءَ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ))

القسم الثالث ((توحيد الأسماء والصفات))

قال تعالي ((قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١)اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ(٣)وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤))

وقال تعالي وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)) وقال عز وجل السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ)) وقال عز وجل ((يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ أَن تَزُولا))

وقال جل ذكره ((الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى)) وقال تعالي ((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ))

__أعلم رحمك الله أن كل هذه الأيات تدل علي أسماء الله وصفاته ومن ثم يكون الإيمان بها واجب علي النحو التالي أن تومن :أن الله جل وعلا ((موصوف بما وصف به نفسه في كتابه العظيم ،وعلي لسان نبيه الكريم وكل ما جاء في القرآن أوصح عن المصطفي عليه السلام من صفات الرحمن ، وجب الإيمان به ، وتلقيه بالتسليم والقبول ، وترك التعرض له بالرد والتأويل والتشبيه والتمثيل(١)

الشرح

في هذا الشرح نعرض طريقه السلف والقرون المفضله في آيات وآحاديث الصفات ونجملها في النقاط التالية .

١- إن طريقه السلف في صفات الله أنهم يصفون الله عز وجل بما وصف به نفسه سواء كانت الصفة بالقرآن أو فيما صح من السنة .
٢- أنهم يومنون بها وذكر المصنف حكم الإيمان بها وأنه واجب فقال ((وجب الإيمان بها))
٣- تلقيها بالتسليم والقبول ، والتسليم هو الأنقياد ، وضده الترك ، والقبول و ضده الرد.
٤- ترك التعرض لأحاديث وآيات الصفات أي ترك الأعتراض .

والترك يكون لخمسة أمور (أشار إليها المصنف)
١- هو الرد ويقصد به الإنكار والتكذيب .
٢- التأويل ويقصد به صرفها عن ظاهرها وعن معناها اللغوي .
٣- التشبيه : وهو أن يقول أن صفات الله تشبه كذا مما هو معروف عند الناس .
٤- ترك التمثيل للصفات أي لا يقال صفات الله مثل كذا ، والفرق بين التشبيه والتمثيل :-
أن التشبيه هو تشبيه الصفات بأن يجعلها تشبه كذا أي أن هناك شبه في بعض الوجوه بين صفات الله وصفات المخلوقين .
أما التمثيل : أن يقول أن صفات الله مثل كذا تماماً والمثلية أن يكون مثله في كل شئ .
أما التشبيه: فيكون مثله فى بعض دون بعض .
٥- عدم التعرض لكيفية صفات الله عز وجل .
هذه هى طريقة السلف فى صفات الله وهى طريقة مجمع عليها عند السلف وهى جارية فى كل صفه من صفات الله وتنطبف عليها الأمور السابقه الأربعه التى قبل التقسيم .

---

(١) انظر كتاب "الزناد في شرح لمعة الإعتقاد لابن قدامة " شرح الشيخ/ علي بن خضير الخضير

وذكر الدليل الذى يدعم طريقة السلف السابقه ويتمثل استدلاله بثلاثه أشياء
إما(١) أيه
(٢)أو قول إمام من أئمة السلف وهو الإمام أحمد
(٣)أو قول إمام من أئمة السلف وهو الأمام الشافعى
فأخذ الأيه ((والراسخون فى العلم)) الشاهد من الأيه
((يقولون آمنا به))وقولهم آمنا به يشمل التسليم والقبول ، ومن مقتضى الإيمان وصف الله بما وصف به نفسه ، وتدل أيضاً بالإلزام على ترك خمسة أمور فى الصفات وهى :-الرد -والتأويل – التشبيه – التمثيل – التكييف
فشملت هذه الأيه طريقه السلف : بالتضمن والمقتضى واللازم .

"المبحث الثالث"

"شروط لا إله إلا الله "

قد ذكر العلماء رحمهم الله شروطاً سبعه ل "لا إله إلا الله " لا تنفع صاحبها إلا بالأجتماع هذه الشروط . وإليك شرحها " ينبغي أن نعلم أنه " (ليس المراد من هذا عد ألفاظها وحفظها ، فكم من عامي أجتمعت فيه وألتزامها ، ولو قيل له أعدادها لم يحسن ذلك وكم من حافظاً لألفاظها يجري فيها كالسهم ، وتراه يقع كثيراً فيما يناقضها والتوفيق بيد الله.(١)

وقد قال وهب بن منبه هذا الإمام الجليل : لمن يسأله :
" أ ليس " لا إله إلا الله " مفتاح الجنة ؟ قال بلي . ولكن ما من مفتاح إلا وله أسنان ، فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك وإلا لم يفتح لك "
وأسنان هذا المفتاح هي شروط " لا إله إلا الله الأتية :

الشرط الأول :- العلم بمعناها المراد منها نفياً وإثباتاً المنافي للجهل بذلك قال تعالي " فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ" (سورة مُحَّد : ١٩)
وقال تعالي : " إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِ"(الزخرف :- ٨٦) ـ"
أي ب " لا إله إلا الله " :- وهم يعلمون " بقلوبهم ما نطقوا به بألسنتهم وقال تعالي .
" شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ " (آل عمران : ١٨)

وفي الصحيح عن عثمان رضي الله عنه قال :- قال رسول الله صلي الله عليه وسلم " من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة "

---

(١) معارج القبل " الشيخ حافظ الحكمي

الشرط الثاني :- اليقين المنافي للشك . ومعني ذلك :- أن يكون قائلها مستيقناً بمدلول هذه الكلمة يقيناً جازماً ، فإن الايمان لا يغني فيه إلا علم اليقين لا علم الظن (١) قال تعالي " إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ " (الحجرات : ١٥)

وفي الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال :- قال رسول الله صلي الله عليه وسلم " أشهد أن لا إله إلا الله وأ ني رسول الله ، لايلقي الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة " (٢) وفي رواية " لا يلقي الله بهما عبد غير شاك فيهما فيحجب عن الجنة.
وعن أبى هريره أيضاً من حديث طويل "من لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنه(٣)

وقال القرطبي :- في " المفهم علي صحيح مسلم " (باب لا يكفي مجرد التلفظ بالشهادتين ، بل لابد من استيقان القلب . وهذه الترجمة تنبيه علي فساد مذهب غلاه المرجئة القائلين بأن التلفظ بالشهادتين كاف في الإيمان ،و أحاديث هذا الباب تدل علي فساده . بل هو مذهب معلوم الفساد من الشريعة لمن وقف عليها و لأنه يلزم منه تسويغ النفاق ، والحكم للمنافق بالإيمان الصحيح وهو باطل قطعاً" (٤)

الشرط الثالث : القبول لما اقتضته هذه الكلمة بقلبه ولسانه ،وقد قص الله عز وجل علينا من أنباء ما قد سبق من إنجاء من قبلها ، وانتقامه ممن ردها وأباها كما قال تعالى " وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ "(٣٣)
قال أولوجئتكم بأهدي مما وجدتم عليه ء اباءكم قالو إنا بما أرسلتم به كافرون (٢٤) فنتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين (٢٥) (سورة الزخرف : ٢٣ — ٢٥)
وقال تعالي " ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ "(يوسف :- ١٠٣)

ويقول تعالي " إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ يَسْتَكْبِرُونَ(٣٥) وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرِ مَّجْنُون(٣٦) (الصافات : ٣٥-٣٦)

الشرط الرابع : الانقياد لما دلت عليه ، المنافي لترك ذلك قال تعالي " وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ " (الزمر- ٥٤)

وقال تعالي وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ " (النساء: ١٢٥)

وقال تعالي : " وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ " (لقمان :٢٢)

أي بلا إله إلا الله .

---

(١)معارج القبل " الشيخ حافظ الحكمي

(٢) صحيح مسلم (ج١/٥٦ح٢٧)كتاب الايمان

(٣) صحيح مسلم (ج) / ٦٠ ح ٣١)كتاب الايمان

(٤)"فتح المجيد" (ص٣٦)

وفي الحديث :" لايؤمن أحدكم حتي يكون هواه تبعاً لما جئت به " وهذا هو تمام الانقياد وغايته .

وقال تعالي { فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٦٥) " (النساء : ٦٥)

قال بن كثير رحمه الله في تفسيرها : يقسم الله تعالي بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتي يحكم الرسول صلي الله عليه وسلم في جميع الأمور فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطناً وظاهراً ، ولهذا قال "ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلمو تسليما " أي : إذا حكموك يطيعونك في بواطنهم فلا يجدون في أنفسهم حرجاً مما حكمت به ، وينقادون له في الظاهر والباطن فيسلمون لذلك تسليماً كلياً من غير ممانعة ولا مدافعة ، ولا منازعة ، كما ورد في الحديث " والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتي يكون هواه تبعاً لما جئت به "(١)

الشرط الخامس " الصدق المنافي للكذب ، وهو أن يقولها صدقاً من قلبه ، يواطئ قلبه لسانه ، قال تعالي :-

" .الم (١) أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٣) (العنكبوت : ١-٣)

وقال تعالي " وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آَمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (8) يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (9) فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (١٠) (البقرة :- ٨-١٠)

وفي الصحيحين عن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي صلي الله عليه وسلم " ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله صدقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار "(٢)

قال العلامه ابن القيم :-

"و التصديق بلا إله إلا الله يقتضي الإذعان والإقرار بحقوقها وهي شرائع الإسلام التي هي تفصيل هذه الكلمة بالتصديق ، بجميع أخباره وامتثال أوامره واجتناب نواهيه .. فالمصدق بها علي الحقيقة هو الذي يأتي بذلك كله ومعلوم أن عصمة المال والدم علي الإطلاق لم تحصل إلا بها وبالقيام بحقها ، وكذلك النجاه من العذاب علي الإطلاق لم تحصل إلا بها وبحقها "(٣)

وفي الحديث ، قال صلي الله عليه وسلم " شفاعتي لمن شهد أن لا إله إلا الله مخلصاً يصدق قلبه لسانه ولسانه قلبه "(٤)

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (ج٢/٣٠٦)
(٢)صحيح البخاري (٤) : اخرجة الحاكم في المستدرك(ح١ (٧٠) ك الايمان
(٣)التبيان في اقسام القرآن" لابن القيم (ص ٤٣)
(٤)أخرجه الحاكم فى المستدرك (ج١/٧٠)ك –الإيمان.

وقال ابن رجب :

"أما من قال : لا إله الا الله بلسانه . ثم اطاع الشيطان وهواه في معصية الله ومخالفته فقد كذب فعله قوله ، ونقص من كمال توحيده بقدر معصية الله في طاعة الشيطان والهوي .

قال تعالي " وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ " (القصص : ٥٠)
وقال تعالي " وَلا تَتَّبِعِ الْهَوى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ " (ص:٢٦)
الشرط السادس: الإخلاص ،وهو تصفية العمل بصالح النية عن جميع شوائب الشرك . قال تعالي
أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ " (سورة الزمر :٣)

وقال تعالي " وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ " (سورة البينة :٥)
وفي " الصحيح" عن أبي هريره عن النبي صلي الله عليه وسلم " اسعد الناس بشفاعتي من قال : لا إله إلا الله خالصاً من قلبه " أو نفسه "(١)

وفي الصحيح عن عتبان بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلي الله عليه وسلم قال "إن الله حرم علي النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله عز وجل "(٢)

وللنسائي في "اليوم والليلة " من حديث رجلين من الصحابه عن النبي صلي الله عليه وسلم " من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير مخلصاً بها قلبه ، يصدق بها لسانه إلا فتق الله بها السماء فتقاً حتي ينظر إلى قائلها من أهل الأرض ، وحق لعبد نظر الله إليه أن يعطيه سؤله "(٣)

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله
(إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل ، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل ، حتي يكون خالصا ًصواباً ، والخالص أن يكون لله ، والصواب أن يكون علي السنة "

ولقد ضرب الله سبحانه في القرآن العظيم مثلا واضحاً للمخلص في توحيده وللمشرك قال تعالي :-
" ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا " (الزمر :٢٩

---

(١) صحيح البخاري (ج/١٩٣ ح٩٩)
(٢) صحيح مسلم
(٣) أوردة بن رجب فى "كلمة الاخلاص" (ص٦١) وهو حديث ثابت

يقول الاستاذ سيد قطب رحمة الله في تفسيرها :-

(هذا مثل يضربه الله للعبد الموحد والعبد المشرك بعبد يملكه شركاء ويخاصم بعضهم بعضا فيه ، وهو بينهم

موزع ولكن منهم فيه توجيه ، ولكل منهم عليه تكليف ، وهو بينهم حائر لا يستقر علي نهج ولا يستقيم علي طريق ولا يملك أن يرضي أهواءهم المتنازعة المتشاكسة .... وعبد يملكه سيد واحد ، وهو يعلم ما يطلبه منه ، ويكلفه به ، فهو مستريح مستقر علي منهج واحد صريح ، هل يستويان ؟ لا ، لأن الذي يخضع لساده مشتركين معذب مقلقل . لا يستقر علي حال ، ولا يرضي واحد منهم فضلا عن أن يرضي الجميع .

وهذا المثل يصور حقيقة التوحيد ، وحقيقة الشرك في جميع الاحوال ، فالقلب المؤمن بحقيقة التوحيد هو القلب الذي يسير علي هدي من الله يستمد منه وحده ويتجه إليه وحده)(١)

ويقول الشيخ القاسمي رحمه الله :

(إن القصد من توحيد المعبود في توحيد الوجهه ، ودرء الفرقة)كما قال تعالي

" أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ "(سورة يوسف : ٣٩)

(إن الإسلام لا بد فيه من الاستسلام لله وحده ، وترك الاستسلام لما سواه وهذا حقيقة " لا إله إلا الله "فمن أسلم لله ولغير الله فهو مشرك ، والله لا يغفر أن يشرك به ، ومن لم يستسلم له فهو مستكبر عن عبادته وقد قال تعالي :- إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ " (سورة غافر ٦٠:)

الشرط السابع : المحبة لهذه الكلمة ولما اقتضته ودلت عليه ، ولإهلها العاملين بها الملتزمين لشروطها وبغض ما ناقض ذلك ، قال تعالي :- " وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا " (البقرة : ١٦٥)

وقال تعالي :- " يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ " (المائده :٥٤)

وفي الحديث :- ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار " صحيح البخاري :- (ج١ / ٦٠ ح ٣٦)

قال الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله :-

(و علامة حب العبد ربه :- تقديم محابته وإن خالفت هواه وبغض ما يبغض ربه وإن مال إليه هواه ، وموالاة من والي الله ورسوله ، ومعاداة من عاداه . واتباع رسول الله صلي الله عليه وسلم ، واقتفاء أثره وقبول هداه)(٢)

---

(١)"في ظلال القرآن "للعلامه سيد قطب (ج٣٤٩/٥)

(٢)"معارج القبول "ج٣٨٣/١)

ويقول ابن القيم في "النونية "

شرط المحبة أن توافق من تحب   علي محبتة بلا عصيان

فإن ادعيت له المحبة مع خلا ... فيك ما يحب فأنت ذو بهتان

أتحب أعداء الحبيب وتدعي ... حباً له ما ذاك في امكان

وكذا تعادي جاهداً أحبابه ... مع خضوع القلب والأركان

إلي أن يقول

ولقد رأينا من فريق يدعي ... الإسلام شركاً ظاهر التبيان

جعلوا له شركان والوهم ... وسوهم به فى الحب لا السلطان (١)

---

(١)" النونية "

الباب الثاني

" دعوة الحق كفر بالطاغوت ..... إيمان بالله "

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام علي نبينا المصطفي مُحَمَّد صلي الله عليه وسلم وعلي آله وصحبه أجمعين .

أما بعد

قال الله تعالي :- " وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ " (النحل : ٣٦)

في هذه الاية الكريمة بين الله عز وجل أن مهمة الرسل عليهم السلام كانت دعوة أممهم إلي توحيد الله والذي لا يتم إلا بالكفر بالطاغوت والإيمان بالله وحده ، الكفر بالطاغوت بجميع أشكاله وألوانه ، سواء كان شجراً أم حجراً أم بشراً أم هوا .

وفي معرض هذا الكلام يقول الأمام مُحَمَّد بن عبد الوهاب:-

" وأعلم أن الانسان ما يصير مؤمناً بالله إلا بالكفر بالطاغوت "

والدليل قول الله تعالي " لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٥٦) اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٥٧) " (البقرة : ٢٥٦ — ٢٥٧) ولكن ماهي حقيقة الكفر بالطاغوت ؟......و ما هى لوازمه ؟......و ما هى ثمرته ؟....وما هى حقيقه الإيمان بالله ؟ وما هي لوازمه ؟ وماهي ثمرته ؟ .!!

قبل الاجابة علي هذه الاسئلة لا بد من معرفة " مفهوم هذه الكلمة " الطاغوت " ؟.....

المبحث الأول (تعريف الطاغوت لغة وشرعاً)

معني الطاغوت في اللغة :- جاء في القاموس :- الطاغوت اللات والعزي " والكاهن والشيطان وكل رأس ضلال والاصنام ، وكل ما عبد من دون الله ومرده أهل الكتاب للواحد والجمع " فعلوت " من " طغوت " والجمع طواغيت طواغ . أو الجبب حيى بن اخطب والطاغوت كعب بن الاشرف واطغاه جعله طاغياً والطغوة المكان المرتفع "

وقال في المصباح المنير " الطاغوت يذكر ويؤنث والاسم " الطغيان " وهو مجاوزه الحد وكل شئ جاوز المقدار والحد في العصيان فهو " طاغ " واطغيته " جعلته طاغياً " وطغي السيل ارتفع حتي جاوز الحد في الكثره " والطاغوت " الشيطان وهو في تقدير فعلوت بفتح العين لكن قدمت اللام موضع العين ،و اللام واو محركه مفتوح ما قبلها فقلبت ألفاً فبقي في تقدير فعلوت وهو من الطغيان "

وجاء في فتح المجيد :" الطاغوت مشتق من الطغيان وهو مجاوزة الحد " أ ه

والذي نستفيده من هذه التعاريف اللغوية أن الطاغوت كل ما تجاوز حده فصار معبوداً من دون الله سواء كان إنساناً أو صنماً أو وثناً أو كان ما كان من أي شئ وسواء عبد بطاعة من عابديه أو بقهره لهم حتي عبدوه فهو طاغوت .

تعريف الطاغوت شرعاً :

نذكر هنا تعريفاً جامعاً : هو كل معبود أومطاع أو متبوع من دون الله وهو راضي بذلك ، وكل ما صرف الناس وصدهم عن عباده الله وإخلاص الدين له وحده ، وكل من ادعي لنفسه شيئاً من خصائص الله ، فالطاغوت مشتق من الطغيان وهو مجاوزه الحد وقد فسره السلف ببعض أفراده

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه الطاغوت : الشيطان وقال جابر : رضي الله عنه " الطواغيت " كهان كانت تنزل عليهم الشياطين .رواهما ابن ابي حاتم

وقال مجاهد : " الطاغوت : الشيطان في صورة الانسان يتحاكمون إليه وهو صاحب أمرهم "

وقال شيخ الإسلام رحمه الله في تعريفه : (الطاغوت اسم جنس لما عبد من دون الله)

وقال في موضع آخر " الطاغوت اسم يطلق علي كل ذي طغيان "

وسئلت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والافتاء :-

السؤال الثالث من الفتوي رقم (٨٠٠٨)

س : ما معني الطاغوت عموماً مع الاشاره إلي تفسير ابن كثير لاية النساء (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيداً) (النساء : ٦٠)

المراد هنا توضيح آمرين .

الأول : ما معني الطاغوت عموماً ،وهل يدخل كما قال ابن كثير طاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه دون الله لكي نصل إلي تفسير الحاكم والمتحاكمين إليه حال كونه لا يحاكم بشرعه سبحانه

الثاني : معني قوله (يريدون أن يتحاكموا) قال بعضهم الإرادة هنا لا تحصل إلا بالباطن ولا يعلم أحد به لذا فلا يحكم بكفر المتحاكمين إلا بتوافر شرط العلم بالإراده الباطنية وهو غير حاصل ، الإرادة محمولة علي المعني الظاهر ، الاستدلال بحديث الرسول (بالرضا والمتابعة : أي : ذلك صواب.

الحمد لله وحده والصلاة والسلام علي رسوله وآله وصحبه.

ج : **أولاً** معني الطاغوت العام " هو كل ما عبد من دون الله مطلقاً تقرباً إليه بصلاة أو صيام أو نذر أو ذبيحة أو لجوء إليه ، فيما هو من شأن الله ، لكشف ضر ، أو جلب نفع ، أو تحكيماً له بدلاً من كتاب الله وسنة رسوله أو نحو ذلك .

والمراد بالطاغوت في الأية : كل ما عدل عن كتاب الله تعالي وسنة نبيه (إلي التحاكم إليه من : نظم وقوانين وضعية ، أوتقاليد وعادات متوارثة ، أو رؤساء قبائل ليفصل بينهم بذلك ، أو بما يراه زعيم الجماعة ، أو الكاهن ومن ذلك يبين : أن النظم التي وضعت ليتحاكم إليها مضاهاة لتشريع الله داخله في معني الطاغوت .

لكن من عبد من دون الله وهو غير راضي بذلك كالانبياء والصالحين لا يسمي طاغوتاً وإنما الطاغوت الشيطان الذي دعاهم إلي ذلك وزينه لهم من الجن والانس .

ثانياً : المراد بالإرادة في قوله : (يريدون أن يتحاكموا إلي الطاغوت) ما صحبه فعل ، أو قرائن وأمارات تدل علي القصد والإراد ، بدليل ما جاء في الاية التي بعد هذه والاية : وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا) (النساء : ٦١)

ويدل علي ذلك أيضاً : سبب النزول الذي ذكره ابن كثير وغيره في تفسير هذه الاية ، وكذلك المتابعة دليل الرضا ، وبذلك يزول الأشكال القائل :أن الأرادة أمر باطن فلا يحكم علي المريد إلا بعلمها منه وهو غير حاصل . وبالله التوفيق وصلي الله وسلم علي نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

اللجنة الدائمة للبحوث والأفتاء عضو .... عضو ....نائب رئيس ....الرئيس .

عبد الله بن قعود – عبد الله غديان – عبد الرازق عفيفي – عبد العزيز بن باز

المبحث الثاني : " حقيقة الكفر بالطاغوت "

معلوم أن المرء إما مسلم وإما كافر وإن من لم يكن مسلماً كان كافراً لأى سبب كان عدم إسلامه فمن المعلوم أن المرء لا يكون عبداً لله مسلماً مؤمناً إلا إذا دخل في شريعة الله معتنقاً دينه ، ولا يكون داخلاً في شريعة الله معتنقاً دينه حتي يستمسك من شريعة الله ودينه بالعروة والوثقي" لا إله إلا الله "، ولا يكون مستمسكاً بها حتي يأتي بأمرين وهومسلم وجهه إلي الله وهو محسن :-

أحدهما : أن يكفر بالطاغوت ويجتنبه ويتبرأ منه ويبغضه ويعاديه ويعتزله ويهجره ويقاتله ابتداء إن تعين عليه ، الطاغوت اسم علم وجنس مشتق من الطغيان ونسبة إليه ، وهو مجاوزة الحد ، والطاغوت المتجاوز حده هو من يناقض لا إله إلا الله ، بعدم نفي ما تنفيه وإثبات ما تثبته .

والثاني : بعدما تخلي عن الكفر وأهله ، يتحلي بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والإيمان بالقدر خيره وشره ، وتسمية الله بأسمائه الحسني ووصفه بصفاته العلي وإخلاص الدين كله لله سبحانه وتعالي وتحكيم شرعه :

فإذا تحقق منه ذلك كان قد استمسك من شريعة الله ودينه بالعروة الوثقي لا إله إلا الله فيكون باستمساكه بها قد دخل في شريعة الله معتنقاً دينه من الباب ،لا دخول الادعياء المنتسبين .

ولا يمكن أن يكون قد حصل منه ذلك إلا بعلم ويقين وإخلاص وصدق ومحبة وانقياد وقبول وإذا نطق المرء أمامنا بشهادة أن لا إله إلا الله ولم يظهر منه ما يناقضها فإننا نعتبره أنه لم ينطق بهذه الشهاده إلا عن استمساك . فإن بان لنا بعد ذلك أنه يناقض لا إله إلا الله فإنه يكون بمناقضته قد كفر بالله وبالإيمان بعد الإيمان ، مرتداً علي دبره عن دينه ناكصاً منقلباً علي عقبيه ، فإن أحكام الدنيا تبني علي الظاهر من إسلام وكفر .

و حقيقة الكفر بالطاغوت:-

بأن يعتقد بكفره وبأنه عدو لله ولدينه وأن الله فرض عليه ذلك لقوله تعالي : (: فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انفِصَامَ لَهَ)

ولقولة تعالي :-

" وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ)

فاعلم أن الكفر بالطاغوت هو بالنسبة للتوحيد كالوضوء بالنسبة للصلاة ، فكما أن لا صلاة بغير وضوء فكذلك لا توحيد دون الكفر بالطاغوت .

التبرؤ من أعوان الطاغوت وأنصاره .

وإذا كان الطاغوت سلطاناً كافراً ، فإن اعتقاد المسلم بكفر جنوده فرض عين كالصلاة ، وشروط تأدية هذاالفرض أن يتبرأ من كل جندي من جنود الطاغوت حتي و إن كان ولده ،وأن لا يزوجه ولا يتزوج منه ولا يصلي خلفه وأن يظهر له العداوة والبغضاء .

لقوله تعالي " قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ "

وإذا هلك لا يترحم عليه ، ولا يحضر جنازته لا بتغسيله ولا بصلاه ولا بمشي ولا بدفن ولا بوقوف علي حفرته .

وجندي الطاغوت هو كل من أمد الطاغوت بأي شكل من أشكال القوة والتميكن والمنعة ، سواء قوة مادية أو معنوية ، وأقلها مجرد أنه لا يعتقد في قلبه بكفره فكما أنه لا صلاة بغير وضوء فكذلك لا توحيد بعد البيان وإقامة الحجة وإزالة الشبهة –دون الكفر بجنود الطاغوت . الذين يوالونه وينصرونه علي المسلمين ويساعدونه علي محاربة الإسلام والمسلمين ويقفون تحت راية الكفر واليهود والنصاري أهل الصليب ضد أهل الإسلام والوحيد .

أن يجتنبة كما أمره الله قال تعالي :-" وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ *ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَاهُمُ ٱللَّهُ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلأَلْبَابِ " (الزمر : ١٧)

وحقيقة الاجتناب أن يكون في جانب والطاغوت في جانب آخر حتي يتميز المجتنب للطاغوت من المعين والناصر المخالط ، فإن اكره فليبغضه بقلبه فإنه لا إكره علي القلب .

المبحث الثالث " صفة الكفر بالطاغوت "

أعلم -رحمك الله – أن لله حقاً خالصاً لا يشاركه فيه أى أحد من مخلوقاته ، مهما كانت مرتبته عند الله ، فالله سبحانه وتعالي هوالمتفرد بالخلق والرزق والملك والحكم والسياده والتدبير ، وكل ماسواه مخلوق مربوب عبداً خاضعً له وحده ، وقد أسلم له من في السماوات والارض طوعاً وكرهاً ، فكما أن الخلق والملك والأمر والحكم والهيمنة والسيادة لله وحده ينبغي أن تكون العبادة له وحده دون سواه : قال تعالي " أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ " (ال عمران : ٨٣)

فمن حق الله الخالص أن يعبد وحده ولا يشرك به شيئاً واساس العباده الحب مع التعظيم والاجلال والرغبة والرهبة والتذليل والخضوع ، ولا ينبغي ذلك إلا لله وحده ،ومن العبادة الدعاء والصلاة والذبح والنذر والطواف والاعتكاف والخوف والرجاء والتوكل والانابة ،والحكم بما أنزله ، والتحاكم إليه .

ومن حقه سبحانه أن يكون الدين خالصاً له قال تعالي (وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (١٥) وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا ۚ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ (٥٢) "(النحل :٥١ : ٥٢)

فقوله تعالي :- " وله الدين واصبا " أي له الطاعة والاخلاص دائماً ثابتاً واجباً ، وقال تعالي :" قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ " (الزمر : ١١)

وقد فسر الدين بالطاعة غير واحد من الصحابه ومن بعدهم فليس لأحد حق في أن يدان له ، ويطاع ويستسلم لأمره وحكمه إلا الله الواحد القهار .

ومن حقه سبحانه أن يكون الحكم له وحده ، يأمر عباده بما يشاء ، و ينهاهم عما يشاء ،ويحلل لهم ويحرم عليهم ما يريد ، لا معقب لحكمه ، ولا راد لقضائه . ولا معارض لأمره . ولا مشرع من دونه ، قال تعالي " أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ " (الاعراف: ٥٤) وقال تعالي " أَلَا لَهُ الْحُكْمُ " (الانعام :٦٢ وقال سبحانه " وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً " (الكهف :٢٦) وقال عز وجل " وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ " (الرعد : ٤١) " تمت كلمت ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم "(الانعام : ١١٥) فليس لأحد من خلق الله من الأمر من شئ ، قال تعالي مخاطباً نبيه صلي الله عليه وسلم :" لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ " (ال عمران ١٢٨) وقال عز وجل " قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي " (يونس: ١٥) وقال عز وجل " إن عليك إلا البلاغ " (الشوري : ٤٨)

وليس لأحد أن يغير شيئاً من شريعة الله ، ولا أن يحلل ما حرمه الله أو يحرم ما أحله ، أو يسقط ما أوجبه ، أو يشرع شيئاً لم يأذن به سبحانه ، أو يحكم بغير ما أنزله .

وكل ما كان حقاً خالصاً لله فلا يجوز أن يشاركه فيه أحد من مخلوقاته ، لانبي ولا ملك ولا شيخ ولا ولي ولا أمير ولا حاكم ولا عالم .

وأشد الطواغيت خطراً علي دين الله بعد الشيطان الرجيم ،العلماء والشيوخ المحللون لما حرم الله والمحرمون لما أحله الله ، الذين يفتون الناس بما يخالف دين الله ، ويصدونهم عن الرجوع إلي الكتاب والسنه ، ويلبسون علي الناس دينهم ، ثم الحكام المغيرون لشريعة الله ، المحاربون لدينه ، والذين يبغونها عوجاً ، والمشرعون لما لم يأذن به الله ، والحاكمون بغير شريعته من القوانين الوضعية وأحكام أهل الكفر والالحاد والجاهلية ، والله اعلم .

فالعباده لله وحده ، وكل ما عبد من دونه فهو طاغوت وجب الكفر به .
والطاعة لله وحده ، وكل متبوع مطاع فيما يخالف أمره وشرعه فهو طاغوت وجب الكفر به .
والحكم والتشريع والأمر والنهي لله وحده ، وكل مشرع سواه ، أو حاكم بغير شريعته ، أو أمر بمعصيته ومخالفة دينه ، فهو طاغوت وجب الكفر به .
والتحليل والتحريم لله وحده ، وكل محلل لما حرم الله أو محرم لما أحله ، فهو طاغوت وجب تكذيبه والكفر به .

ولعل السؤال الذي يطرح نفسه الأن هو :-
كيف يتم الكفر بما يعبد من دون الله

والجواب علي ذلك جاء واضحاً جلياً في كتاب الله فكان فيه غنية عما سواه قال تعالي " اِجْتَنَبُوا الطَّاغُوت " (النحل :٣٦) " وقال عز وجل " وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا " (الزمر : ١٠٧) وقال سبحانه " (يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ " (النساء : ٦٠) فهذه الايات تدل على أن الكفر بالطاغوت هو اجتباب عبادته وقال تعالي :" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ ... بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ " (الممتحنة " ٤٠)

ففي هذه الأية بيان واضح لما ينبغي أن يكون عليه كل مسلم تجاه الكفار والمشركين ومعبوداتهم من دون الله فالركن الأول من شهادة التوحيد وهو الكفر بالطاغوت أو بما يعبد من دون الله يتحقق بما يأتي :-

اعتقاد بطلان عباده غير الله ، وكل معبود سوي الله .

ترك عباده غير الله وبغضها وانكارها .

البراءه ممن عبد غير الله

وإليك شرح هذه الامور الثلاثة

الأمر الأول : اعتقاد بطلان عبادة غير الله ، وكل معبود سوي الله .

أن تعتقد أن كل معبود غير الله عز وجل باطل لا يستحق شيئاً من العبادة بل هو عبد مخلوق لله الواحد القهار ، وتعتقد أن كل عبادة صرفت لغير الله باطلة وضلال وشرك بالله عز وجل ، وتعتقد أن كل منهج ودين يخالف دين الإسلام ، وكل تشريع لم يأذن به الله فهو كفر بالله عز وجل وضلال وجاهلية والدليل قول الله تعالي " ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ " (لقمان :٣٠)

وقوله تعالي " فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ " (يونس :٣٢) وقال عز وجل وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسلام دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ " (ال عمران : ٨٥) وقال تعالي " أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚوَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ " (المائده: ٥٠)

فكل حكم سوي احكام الله فهو حكم الجاهلية . وقال عز وجل " ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ " (الجاثية : ١٨) فما كان من عند الله فهو شريعة الله ودينه الذي ارتضاه ، وما سواه فأهواء قوم لا يعلمون .

ومثال المعبودات والمناهج الباطلة في واقعنا المعاصر .

١- الأضرحة والقبور والمشاهد التي يعتقد في أهلها الولاية والشفاعة والنفع والضر وتدعي مع الله ويذبح لها ويتبرك بها ويستشفي بها ويستقى بها ويصرف لها ما هو حق الله الخالص .

٢- الحكام المبدلين لشريعة الله والمشرعين لما لم يأذن به .

٣-القوانين الوضعية التي يحتكم إليها من دون شريعة الله والتي جعلت نداً لأحكام الله والاديان المخالفة للإسلام كالعلمانية ، والديمقراطية ، والوطن والوطنية ، القوم والقومية الانسانية بالمعني الذي يقدم للشعوب وهو أن الناس سواسية في الحقوق والواجبات ولا عبرة لانتمائاتهم العاقائدية: حيث إن اكفر وافجر الخلق يستوي مع اتقي الخلق وأكثرهم إيماناً ما داما ينتميان إلي الاصل البشري والانساني ، وكذلك الشعب" كمصدر للسلطات " الأكثرية في بعض صورها " " كالرضا بأختيارها سواء وافق الحق ام غير ذلك ، مجلس الأمم المتحدة ، ومجلس الأمن ، ومحكمة العدل الدولية ، ومنظمة حقوق الإنسان ، وجامعة الدول العربية وغير ذلك من المجالس الشركية – المنتشرة فى العالم بأسماء مختلفة :مثل مجلس الشعب "البرلمان" مجلس الأمه ، المجلس

التشريعى -وذلك لأنه كل هذه الأسماء وهذه الاديان تحكم بخلاف شرع الله وتتحاكم إلي الطاغوت ، وكذلك الأحزاب في بعض صورها " عندما تطاع لذاتها ، ويعتقد الولاء والبراء فيها وعليها :-

فلابد من اعتقاد أن كل ما عبد من دون الله باطل وعبادته كفر بالله ، وأن ما خلف دين الاسلام باطل واتباعه أوالرضا به كفر بالله .

ا

الأمر الثاني : ترك واجتناب عبادة غير الله وبغضها وانكارها ، فلا يكفي اعتقاد بطلان عباده غير الله ، بل لا بد من اجتنابها والابتعاد عنها بالكلية وبغضها ، وانكارها بالقلب بغضاً شديداً . وقال تعالي " قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ " (الانعام : ١٩) ففيها البراءة من الشرك .

وقال تعالي " اِجْتَنَبُوا الطَّاغُوت " (النحل : ٣٦) فيها الأمر باجتناب ما يعبد من دون الله .

وقال تعالي :" وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ عبادة " (الزمر : ١٧)

وفيها أن اجتناب الطاغوت يعني اجتناب عبادته

وقال سبحانه " وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ " (المدثر : ٥٠) الرجز : الأصنام وهجرتها تركه والبراءة منها .

وعن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول " من لقي الله لايشرك به شيئاً دخل الجنة ومن لقيه يشرك به دخل النار " (رواه مسلم) وفيه تحذير شديد من الوقوع في عبادة شئ من دون الله وهومعني يشرك به وقال عز وجل " قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ " (ال عمران : ٦٤)

وفيها اشترط ترك الشرك ليكون الرجل مسلماً.

وذكر الله عز وجل من حال المشركين أنهم يكبر ويعظم عليهم ترك الشرك بالله ؛لأنهم يحبونه أشد حباً و تنشرح له صدورهم وقد اعتادوه وألفوه عن أبائهم وأجدادهم قال تعالي " كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ " (الشوري :٦٣)

وقال تعالي " وَإِذَا ذُكِرَ اللَّه وَحْده اِشْمَأَزَّتْ قُلُوب الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونه إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ " (الزمر : ٤٥)

فلا يكره التوحيد و يبغضه و يستبشر بالشرك و يفرح به إلا مشرك كافر ،فلابد من بغض الشرك بجميع أنواعه بغضاً شديداً أشد من بغض ما سواه من المحرمات و لا يكفى اعتقاد بطلان عبادة غير الله ،بل لابد من بغضها وإنكارها و تركها و إجتنابها بالكليه . و بغير ذلك لا يصح إسلام أحد أبداً. فمن فعل شيئاً من هذا الشرك الأكبر و توجه بعبادة لغير الله فقد حبط عمله و صار من المشركين قال تعالي" وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (الزمر :٦٥) و قال تعالى " وَلَا تَدْعُ مِنْ دُون اللَّه مَا لَا يَنْفَعك وَلَا يَضُرّك فَإِنْ فَعَلْت فَإِنَّك إِذًا مِنالظَّالِمِينَ " (يونس : ١٠٦) أي المشركين .

الأمر الثالث : البراءة ممن أشرك بالله فعبد معه غيره :

ما دام الكفر بمايعبد من دون الله هوالركن الاول في كلمة التوحيد ، وعرفنا أنه يعني اعتقاد بطلان كل معبود غير الله وأن عبادة غير الله كفر وشرك بالله ، ويعني اجتناب هذا الشرك والابتعاد عنه وبغضه وانكاره : فالذي يشرك بالله و يتخذ من دونه معبوداً لم يأت بهذاالركن بل أتي بنقيضه تماماً فكيف يكون مؤمناً بالا إله إلا الله ؟ بل الحقيقة أنه كافر بها ولو كان ممن يقولها بلسانه ويدعي أنه مؤمن بها ، فالايمان بالا إله إلا الله لا يكون بغير معرفة واعتقاد وقول وعمل .

فمن عبد غير الله واتخذ من دونه إلهاً وجبت البراءه منه ومما يعبده ويدين به ، ولا يتحقق الكفر بما يعبد من دون الله بدون الكفر والبراءه من عابديه .

وتتحقق هذه البراءه بتكفير من أشرك بالله ، ولم يات بالتوحيد ودان بغير دين الإسلام ،وبغضهم ومعاداتهم .

فلا يصح الإيمان بالا إله إلا الله بغير الكفر بألوهية ما عبد من دون الله ، ومن المعلوم أن كل معبود من دون الله له من يعبده ويصرف له مالا ينبغي أن يصرف إلا لله وبهذه العباده صار إلهاً مع الله .

وإذا كان الشرط الأول للإيمان بالا إله إلا الله هو الكفر بهذا المعبودات ، فإن الكفر بها لا يتحقق إلا بالبراءه التامة منها ومما يصرف لها من العبادات وممن يعبدها مع الله ، يعني لابد من البراءة من المعبود ومن عبادته ومن عابديه ، ولا تتحقق واحدة منها دون الاخري .

فلايستقيم ولا يصح البراءه من المعبود دون البراءة من عبادته .

ولا يستقيم ايضاً ولا يصح البراءه من المعبود وعبادته دون البراءة ممن جعله معبوداً وصرف له العباده من دون الله .

وليست البراءه من المعبود بأولي من البراءه من العابد ،و هل يصير العبد المخلوق إلهاً معبوداً إلا بوجود من أشركه مع الله وعبده معه ؟

بل إن الله عز وجل قدم البراءه من العابد عن البراءه من المعبود في اكثر من أيه من آيات كتابه البينات قال تعالي قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ " (الممتحنة : ٤٠)

وقال تعالي " وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي " (مريم : ٤٨)

وقال تعالي : " فَلَمَّا اِعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُون اللَّه " (مريم : ٤٩)

وقال عز وجل :" وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ " (الكهف " ١٦)

وكما قلنا لا يصير العبد المخلوق إلهاً يعبد مع الله إلا بوجود من يؤلهه ويعبده مع الله ، وكمثال لذلك الألهة التي كانت موجوده في قوم نوح فما هي إلا تماثيل نحتها اناس ربما لم يصلوا إلي الشرك في ذلك الوقت يوم أن نحتوها وبعد موت هؤلاء اتخذوها من بعدهم آلهة تعبد كما يعبدون الله الواحد القهار ، ولولا أولئك المشركون لما صارت آلهة معبودة مع الله ولبقت مجرد تماثيل ترمز لرجال صالحين كانو فبادوا فلو أن رجلاً في عهد نوح سمع بما يدعوإليه نوحا عليه السلام فاراد أن يتبعه فترك عباده غير الله واعتقد أن ما كان يعبده باطل لا يستحق العباده وأن الله وحده هو المستحق للعباده فهل تراه يعتبر نفسه أنه كان علي حق في عباده غير الله ؟! هذا لا يستقيم أبداً .

بل الصواب سيعتبر نفسه أنه كان علي باطل وضلال في شركه بالله وأن الحق هو توحيد الله وافراده بالعباده ، وبالتالي سيعتبر من لم يوحد الله واستمر علي عبادة غيره أنهم علي ضلال وباطل ، وسوف يتبرأ منهم كما تبرأ من آلهتهم ودينهم . وهذا ما نقصده بالبراءه من المشركين .

ومثال آخر هذه القبور التي تعبد اليوم من دون الله فلولا ما يفعله المشركون عندها وما يعتقدونه فيها لما زاد عن كونها قبور لاناس كانو أحياء يأكلون ويشربون ويحتاجون لما يحتاج إليه البشر الضعفاء فماتو وقبروا في هذه القبور وهي كغيرها من سائر القبور الاخري .

ولكن المشركين عظموها وغلوا في محبة أصحابها حتي عبدوهم مع الله فصارت آلهة تعبد مع الله الواحد الاحد وطواغيت تقدس من دون الله فهل تستقيم البراءة منها دون البراءه ممن اتخذها وصيرها آلهة من دون الله ؟

هل يصح في الفطر السليمة والعقول المستقيمة والملة الحنيفيه أن نعتقد أن هذه القبور آلهة باطلة لا تستحق شيئًا من العباده وأن عبادتها كفر و شرك بالله تناقض الإسلام وتبطله ، ولا نعتقد كفر و ضلال من عبدها ، بل نجعلهم في زمرة الموحدين ونساويهم بمن يعبدون الله وحده ولا يشركون به شيئاً ويكفرون بما يعبد من دونه ؟

هل يستوي من يكفر بهذه القبور مع من يعبدها ؟

كلا والذي رفع السماء بغير عمد ، لا يستوي دين من وحد الله وكفر بمايعبد من دونه مع دين من جهل التوحيد وجعل مع الله آلهة اخري .

قال تعالي " قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ " (الانعام : ١٩)

وقال تعالي :" إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ " (الانعام : ١٥٩)

فكل من أشرك بالله وعبد معه غيره فالله ورسله بريئون منه وكذلك سائر المؤمنين والله عز وجل لا يقبل غير الإسلام ديناً ، ولا يصح إسلام بلا توحيد ، فكل من لم يعبد الله وحده مخلصاً له الدين فليس من المسلمين ، فوجب البراءه منه ومما يدين به ، والحكم عليه بأنه من المشركين .

وقال تعالي :" إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ " (ال عمران : ١٩) وقال تعالي " فَإنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ اهْتَدَواْ " (ال عمران : ٢٠) وقال تعالي : " فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا " (البقره : ١٣٧)

فأصل الدين واحد لا يتغير . وكل مسلم لا بد أن يأتي بهذا الأصل الذي اتفقت عليه جميع الرسالات وإلا لم يكن من المهتدين قال تعالي " وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ " (الانعام:٨٨) فلا يصح من الشرك عمل ولا عباده ولا دين وقال تعالي : وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا " (النساء : ١٢٥) وهذا هو الإسلام دين الله ، لأنه ليس لله إلا دين واحد ، وهو أحسن الاديان ، فدل علي أن من استسلم لله وحده واتبع ما جاء به رسله وكان علي الحنيفية ملة إبراهيم متبرءاً من الشرك وأهله فهو المسلم ، وما سواه فمشرك كافر .

الشرك والتوحيد ضدان لا يجتمعان أبداً ، فترك الشرك الأكبر كله شرط فى صحة الإسلام ، ولا يجادل في هذا من عرف الله وما جاءت به رسله .

وقد أمر الله عز وجل نبيه مُحَّد صلي الله عليه وسلم أن يتبرأ من الكافرين ،وأن يصارحهم بهذه البراءة فقال تعالى قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (٤) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (٦) " (الكافرون : ١:٦)

وهذه السورة يسميها العلماء سورة التوحيد ، فهي براءه من الشرك والمشركين .

والخلاصة فيما سبق أن

صفة الكفر بالطاغوت تتحقق بخمسة أشياء قد استخلصها الأمام المجدد مُحَّد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالي : وهو :-

١.اعتقاد بطلان عباده غير الله : فالمستحق للعباده وحده هو الله سبحانه وتعالي وهذا بالعموم ، تركها : أي يترك عباده الطاغوت ويتحقق الترك بالاجتناب وعدم الطاعة والمتابعة ، كما تقدم بيانه .

٢.بغضها : أي يبغض كل طواغيت الأرض والذين تجاوزا الحد في الظلم والطغيان والكفر والشرك .

٣.تكفير أهلها الذين ثبت كفرهم بيقين لا شك فيه فوجب تكفيرهم والكفر بهم وتحذير الناس منهم .

٤.معادتهم في الله ، والمعاداه ضد الموالاه والنصرة والحب والتأييد فيعاديهم في الله لا لهوي ولا حظوظ نفس والدليل قوله تعالي " قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ "(الممتحنة)

إذاً فمن لم يحقق هذه الصفة لم يكن مؤمناً بالله كافراً بالطاغوت بل العكس لأن الإيمان بالطاغوت والإيمان بالله ضدان لا يجتمعان في قلب إنسان أبداً ،إذً لا يمكن أن يوصف الشخص بأنه مشرك وموحد في نفس الوقت بل لا بد له من أحد الوصفين لا محالة ،إذ لا ثالث لهما لقوله تعالي " هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن" وقوله " إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كافورا "

فهذا الطاغوت الذي أمرنا أن نكفر به ونجتنبه وهذه عبادته التي نهينا عنه وأمرنا بتركها وتكفير أهلها ومعاداتهم .

قال تعالي " وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ " (النحل)

وقال تعالي " أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ " (النساء : ٦٠) فكأن هؤلاء قد أقروا بالتحكيم ، غير أنهم ارادوا أن يكون التحكيم علي وفق أغراضهم ، زيغاً عن الحق وظناً منهم أن الجميع حكم ، وأن ما يحكم به كعب بن الاشرف أو غيره مثل ما يحكم به النبي صلي الله عليه وسلم وجهلوا أن حكم النبي صلي الله عليه وسلم هو حكم الله الذي لا يرد ،و أن حكم غيره معه مردود إن لم يكن جارياً علي حكم الله ، فلذلك قال تعالي " وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالاً بَعِيداً " لأن ظاهر الاية يدل علي أنها نزلت فمن دخل في الإسلام لقوله " أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ " كذا إلي آخره وجماعة من المفسرين قالو : إنما نزلت في رجل من المنافقين أو في رجل من الانصار .

قال تعالي " اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ "

وقال ايضاً رحمه الله تعالي : وأنت يا من منِ الله عليه بالاسلام ، وعرف أن ما من إله إلا الله ، لا تظن أنك إذا قلت هذا هو الحق ، وأنا تارك ما سواه ، لكن لا أتعرض للمشركين ولا أقول فيهم شيئاً ، لا تظن أن ذلك يحصل لك به الدخول في الإسلام ، بل ، لا بد من بغضهم وبغض من يحبهم ومسبتهم ، ومعاداتهم كما قال أبوك إبراهيم والذين معه " إِنَّا بُرءَآؤُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُم الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ " وقال تعالي " فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى " الاية وقال تعالي وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ " ولو يقول رجل :- أنا اتبع النبي صلي الله عليه وسلم وهو علي الحق ، ولكن لا اتعرض اللات والعزي ، ولا اتعرض أبا جهل ، ما علي منهم ، لم يصح إسلامه " (الدرر السنية : ٢)

وقال الشيخ سليمان بن سمحان " والمراد من اجتنابه أي الطاغوت هو بغضه وعداوته بالقلب وسبه وتقبيحه باللسان وإزالته باليد عند القدره ومفارقته ، فمن ادعي اجتناب الطاغوت ، ولم يفعل ذلك فما صدق .

المبحث الرابع

"ضلال الخوارج وأهل الغلو فى معنى الاجتناب"

ومن أهل الغلو من يوسع معنى الاجتناب الذي يرونه شرطا لصحة الإسلام فيدخلون فيه اجتناب العمل في حكومات الطواغيت ولو فيما لا يحرم ، بل أدخل بعض الحمقى في ذلك اجتناب الوقوف على إشارات مرورهم واجتناب مراعات شواخصهم المرورية واجتناب تسعيرات مواصلاتهم ونحوها .. فما رحموا أمة مُحَمَّد وما رحموا أنفسهم من هذا الزيغ والضلال ،إذ معنى الكفر بالطاغوت ومعنى اجتنابه الشرعي الذي هو مطلوب رب العالمين لا مطلوب أهل التنطع والغلو ؛ يُفهم ويُعرف على ضوء معرفة معنى حقيقة عبادته أو اتخاذه ندا وشريكا ،ومعلوم من تعريفه أنه كل من عبد من دون الله - وهو راض - بأي نوع من أنواع العبادة التي يكفر من صرفها لغير الله تعالى ، فمن صرف إليه عبادة الصلاة أو الطواف أو الذبح أو النذر أو الدعاء أو الطاعة في التشريع أو اعتقد أن له الحق في ذلك فقد عبده واتخذه ربا وطاغوتا .. فمثل هذا لا يكون مسلما حتى يكفر بعبادته أو اعتقاد ربوبيته وألوهيته والكفر به هنا لا يعني تكفيره وإن كان ذلك لازما من اللوازم أو واجبا من الواجبات ؛ وإنما يعني البراءة من عبادته وطاغوتيته والكفر بألوهيته وربوبيته وكونه مستحقا لأن يصرف إليه أي نوع من أنواع العبادة ؛ وهو المعبر عنه باجتناب عبادة الطاغوت في قوله تعالى: ((والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله لهم البشرى) وهذا مفسر مبين لقوله تعالى المجمل: ((ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت)) ولا يصح ما يفعله بعض المتسرعين من أخذ هذه الآية وحدها والفرح بإطلاق لفظ اجتناب الطاغوت فيها بمعزل عمّا يفسرها في الآية الأخرى .. فهذه من طريقة أهل الزيغ الذين يتبعون ما تشابه منه ، ولا يردونه إلى أم الكتاب من النصوص المبينة المفسرة له فقد بين علماؤنا أن النص المجمل إذا أخذ بمعزل عن مبينه صار متشابها وكذا النص العام أو المطلق إذا أخذ بمعزل عن مخصصه أو مقيده فقد صار متشابها وإنما يفعل ذلك الذين في قلوبهم زيغ ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله كما ذكر الله تعالى في مطلع سورة آل عمران ..

قال الشاطبي: (إن ذوي الاجتهاد لا يقتصرون على التمسك بالعام حتى يبحثون في مخصصه وعلى المطلق هل له مقيّد أم لا؟ فالعام مع خاصه هو الدليل ، فإن فقد الخاص ، صار العام - مع إرادة الخصوص فيه - من قبيل المتشابه ، وصار ارتفاعه - أي الخاص - زيغاً وانحرافاً عن الصواب.

ولأجل ذلك عدت المعتزلة من أهل الزيغ حيث اتبعوا نحو قوله تعالى: ((اعملوا ما شئتم)) [فصلت: ٤٠] وتركوا مبينه وكذلك الخوارج حيث اتبعوا قوله تعالى: ((إن الحكم إلا لله)) [يوسف: ٤٠] ، وتركوا مبينه: ((يحكم به ذوا عدل منكم)) ، وقوله: ((فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها)).

واتبع الجبرية قوله: ((والله خلقكم وما تعملون)) [الصافات: ٩٦] ، وتركوا بيانه ، وهو قوله: ((جزاء بما كانوا يكسبون)) [التوبة: ٨٢].وهكذا سائر من اتبع هذه الأطراف من غير نظر فيما وراءها ، ولو جمعوا بين ذلك ووصلوا ما أمر الله به أن يوصل ، لوصلوا إلى المقصود. فإذا ثبت هذا فالبيان مقترن بالمبين ، فإذا أخذ المبين من غير بيان صار متشابهاً ، وليس المتشابه في نفسه ، بل الزائغون أدخلوا فيه التشابه على أنفسهم فضلوا عن الصراط المستقيم" اهـ مختصراً.

قلت: ومن ذلك ما يفعله بعض الغلاة من فهم مطلب اجتناب الطاغوت - الذي هو ركن التوحيد وشطره - وتفسيره بمطلق الاجتناب ؛ فيُدخلون فيه اجتناب العمل عند الحكومات الكافرة ولو بوظيفة لا حرمة فيها ؛ وهذا لو كان على وجه الاستحباب فلا غبار عليه ونحن ندرسه وندعوا إليه ؛ ولكنهم يجعلون ذلك شرطا للتوحيد والإسلام من أخل به فعمل بأي وظيفة ، أو أطاع الحكومة أو الطواغيت بأي شيء ولو كان من المباحات ؛ كان كافرا لأنه لم يجتنب الطاغوت عندهم ولم يحقق التوحيد.

والحق الذي لا مرية فيه أن المراد باجتناب الطاغوت اجتناب عبادته بأي نوع من أنواع العبادة التي يكفر من صرفها لغير الله ، وكذا اجتناب توليه ونصرته وإنما قيدنا بقولنا: (التي يكفر من صرفها لغير الله) لأن بعضهم أطلق العبادة وأخذها بمعناها اللغوي لا الاصطلاحي الشرعي فأدخل في ذلك عبادة الهوى والشيطان بمعنى متابعته وطاعته والتي منها ما هو كفر ومنها ما هو معصية .. فصار العصاة عنده كفارا فنزع إلى مذهب الخوارج في هذا شاء أم أبى.

فمن أطاع الحكومات أو الطواغيت بمعصية كفر عندهم لأن مطلق الطاعة عندهم عبادة مكفرة ..

بل من الحمقى من جعل طاعتهم ولو بالمعروف عبادة مكفرة ؛ وفلسف لذلك وسفسط أوصافا مكفّرة ما أنزل الله بها من سلطان ، حتى لو أمروه بشيء من الواجبات الشرعية كالصلاة المفروضة ونحوها فأطاع أمرهم ؛ لكان بذلك مشركا غير مجتنب للطاغوت ، ولم يراعوا في ذلك تفصيلا أو تأويلا ،ولا شك أن هذا من الضلال المبين وإنما أوصلهم إلى مثل هذه المآزق سوء تأصيلهم ، وخلطهم بين التعريفات الاصطلاحية واللغوية وتقديم الأخيرة في كثير من الإطلاقات جعلهم يبتدعون دينا وتوحيدا جديدا ما أنزل الله به من سلطان حتى صيّروا بأفهامهم السقيمة اجتناب عبادة الطاغوت معضلة من المعضلات خصوصا في هذا الزمان ؛ لا يقدر على تحقيقه خواص الخواص من الدعاة والمجاهدين وأهل الثغور ، فضلا عن العوام من الشيوخ والعجائز وقصروا بذلك دين

الله على أفراد معدودين على أصابع اليد الواحدة ممن هم على شاكلتهم ، شاءوا أم أبوا فهذا هو مضمون مقالاتهم وحقيقتها والحق الذي لا معدل عنه .. أن عبادة الطاغوت تكون كفرا بصرف نوع من أنواع العبادات له ؛ والتي إن صرفت لغير الله صارت شركا مخرجا من الملة.

وأن طاعته تكون كفرا إذا أطيع في أي نوع من أنواع المكفرات لا في مطلق المعاصي والمحرمات.

وتكون شركا إذا كانت في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله أو تشريع ما لم يأذن به الله ..

وفي مثل هذا يتنزل تفصيل شيخ الإسلام في الذين تابعوا أحبارهم ورهبانهم وأطاعوهم من دون الله ؛ حيث جعلهما قسمين:(أحدهما: أن يعلموا أنهم بدلوا دين الله فيتبعونهم على التبديل ، فيعتقدون تحليل ما حرم الله ، وتحريم ما أحل الله اتباعا لرؤسائهم ، مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل فهذا كفر ، وقد جعله الله ورسوله شركا - وإن لم يكونوا يصلون لهم ويسجدون لهم والثاني: أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحريم الحلال وتحليل الحرام ثابتا ، لكنهم أطاعوهم في معصية الله ، كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاص ، فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب ..) أهـ من مجموع الفتاوى ج٧ الإيمان.

ويبيّن هذا التفصيل ويجلّيه تفسير النبي ﷺ لمعنى اتخاذهم أربابا من دون الله ، وتحديده للطاعة التي كانت عبادة مكفرة للأحبار والرهبان ؛ وحصرها بطاعتهم في تحليل الحرام وتحريم الحلال ؛ أو في التشريع الذي لم يأذن به الله ، لا في مطلق الطاعة ولذلك قال تعالى: ((اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا)) فجعل الوصف المعتبر في شركهم (اتخاذهم أربابا) أي طاعتهم المطلقة لا مطلق طاعتهم ، فقال ((اتخذوا)) ولم يقل: أطاعوا أحبارهم ورهبانهم .. فلا بد من قيد (الاتخاذ) في التكفير في طاعة الطواغيت ، والذي يدل على الطاعة المطلقة في كل باب ، فمن اتخذهم محلّلين محرّمين مشرّعين فيما لم يأذن به الله وصرف لهم الطاعة المطلقة فذلك المشرك الذي اتخذهم أربابا ، بخلاف المطيع لهم بالمعصية المجردة .وذلك لأن حال الطائع في الحرام الذي لم يصرح بقصده ؛ محتمل يدور بين المعصية المجردة وبين الاستحلال ، فلزم النظر في حاله والتفصيل في الحكم بين هذا وهذا ..

وعليه فكل من اجتنب عبادة الطاغوت واجتنب توليه ومتابعته على دينه الكفري أو طاعته في تشريعه الكفري فهو مجتنب للطاغوت رغم أنف الغلاة ولو لم يُكفّره ، وإن أطاعه في المعصية دونما استحلال وأن من عبده أو أطاعه وتابعه على شيء من ذلك فهو كافر لم يجتنب عبادة الطاغوت ولو كان يُكفّره وهذا هو أعلى وأجل أنواع التفسير ؛ أن يفسر كلام الله المجمل بكلامه المبين ؛ فيرد قوله تعالى: ((اجتنبوا الطاغوت)) إلى قوله: ((والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها)) ؛ فيدل على أن مطلب اجتناب الطاغوت مفسر باجتناب عبادته وكذا قوله تعالى: ((فمن يكفر بالطاغوت)) يفسر بذلك ، وبقوله تعالى أيضا: ((يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به)فدل على أن التحاكم إلى الطاغوت يناقض ويضاد الكفر به ، وكذا عبادته ، وكذا توليه لقوله تعالى: ((ومن يتولّهم منكم فإنه منهم)) ونحوها من الآيات المكفرة لمن تولى الكفار هذا ما دلت عليه النصوص الصريحة ؛ وهذه أوجه دلالاتها أما تفسير الكفر والاجتناب بالتكفير وحده وجعله شرطا لصحة الإسلام ، فغير سديد ولا دقيق ؛ بدليل أننا مأمورون بأن نكفر بعبادة كل من سوى الله تعالى ولو لم يكن طاغوتا ؛ كعيسى ابن مريم والملائكة والصالحين ممن عبد من دون الله ولسنا مأمورين بتكفيرهم ..

وكذلك الأصنام فإنها طواغيت عبدت من دون الله فيجب اجتناب عبادتها والبراءة من ألوهيتها وهذا هو الكفر بها وليس تكفيرها فإنها جمادات لا تعقل ولا تكسب حتى تكفُر وتكفّر ..

كمالا يصح ما يُؤصّله البعض ؛ من أن من لم يُكفّر الطواغيت ويعرف أنها طواغيت ؛ لا يعقل اجتنابه لها وكفره بها إذ كيف يحقق البراءة منها وهو لا يعرف أنها طواغيت لأن المقصود لتحقيق ما لا تكون النجاة إلا به من التوحيد الذي هو حق الله على العبيد ، والمطلوب كي يدخل المرء في البشرى التي وعد الله بها عباده ؛ أن يحقق الإيمان بالله تعالى ويجتنب عبادة كل من سوى الله من الطواغيت وغيرهم على وجه الإجمال ويجتنب توليهم ولو لم يُسميهم ؛ وهذه هي حقيقة البراءة من كل ما يعبد من دون الله ، ولا يلزم قطعا أو يشترط لذلك أن يُصرّح ببراءته من طاغوت معين لا يعرفه ولم يسمع به حتى يظن أنه كان مشركا به أو عابدا له ؛ وإلا كان مشركا لم يبرأ من الطواغيت .. !

فمن كان عنده أصل الإسلام أو أظهر خصائصه أو أركانه ومبانيه ولم يظهر منه شيء من نواقض الإسلام وقواطعه الظاهرة ؛ لم يجز أن يتوقف في إسلامه حتى ينظر ويمتحن ويسأل عن قائمة معينة من الطواغيت هل كفر بهم أم لا!! وتطول هذه القائمة وتتفرع وتتعقد على المسكين بحسب تخبط أفهام الغلاة وتنوعها في تحديد معنى الطاغوت!!

فالكفر بجنس الطاغوت يكون بالقلب، واللسان، والجوارح:

١ - الكفر بجنس الطاغوت بالقلب: وهو أن تعتقد بطلان عبادته ، وتبغضها ، وتبغضه ، وتعاديه ، وتنفر منه ، وتتمنى زواله ، وهذا لا يسقط حتى في حالة الإكراه.

٢ - الكفر بجنس الطاغوت باللسان: وهو أن تُصرح بأن الطاغوت كافر ، وأنه باطل ، وأن عابديه كفار ، وهذا يسقط بالعجز الحقيقي ، والدليل قوله تعالى: (فاتقوا الله ما استطعتم) [التغابن: ١٦].

٣ - الكفر بجنس الطاغوت بالجوارح: وهو أن تترك عبادته ، وتعمل على تحطيمه وإزالته ، وهذا واجب مع الاستطاعة ، والدليل قوله تعالى: (ولا نكلف نفسًا إلا وسعها) [المؤمنون: ٦٢] ، فهذه هى صفة الكفر بالطاغوت

"من شبهات أهل الغلو ايضا انهم يقولون "

الكفر بالطاغوت حق ، وهو شرط لصحة الإيمان ، فهذا أمر مسلَّم به ، لا يُجادل فيه موحد.

ولكن المشكلة تكمن عندما يوضع هذا الأمر في غير موضعه ، ويُحمل على من لا يجوز أن يُحمل عليه ، أو يُحمَّل من المعاني السقيمة المخالفة للشريعة وقواعدها ، فيحصل حينئذٍ الإفراط أو التفريط!

والقول بأن المسلمين في مجتمعاتهم اليوم الأصل فيهم الكفر ، ومن لا يكفرهم أو يقول بهذا القول فهو كافر ؛ لا يقول به عالم ، بل ولا مسلم عاقل يعز عليه دينه ، وهو من جملة أقوال ومعتقدات خوارج وغلاة هذا العصر.

فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: (من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا ، وأكل ذبيحتنا فذاك المسلم له ذمة الله وذمة رسوله) [البخاري].

وقد أجمع أهل العلم ؛ على أن المرء يدخل الإسلام ويُحكم له بالإسلام إذا نطق بشهادة التوحيد ، أو رؤى يصلي صلوات عدة ، وإن لم يُعرف عنه الإقرار باللسان.

قال القرطبي في كتابه "الجامع" [٨/ ٢٠٧]: (الإيمان لا يكون إلا بلا إله إلا الله دون غيره من الأقوال والأفعال ، إلا في الصلاة ، قال إسحاق بن راهويه: ولقد أجمعوا في الصلاة على شيء لم يجمعوا عليه في سائر الشرائع ، لأنهم أجمعهم قالوا: من عُرف بالكفر ثم رأوه يصلي الصلاة في وقتها حتى يصلي صلوات كثيرة ولم يعلموا منه إقراراً باللسان ، أنه يُحكم له بالإيمان) اهـ.

ومشكلة هؤلاء الغلاة الجهلة - الذين ورد السؤال عنهم - أنهم لا يميزون بين القدر الذي يدخل المرء به الإسلام ، وبين القدر الذي به يستمر له حكم الإسلام ، وبين القدر الذي يرفع عنه السيف في أجواء القتال!

- فالقدر الذي يُدخل المرء الإسلام ؛ هو شهادة التوحيد ، وكذلك إقامة الصلاة - كما تقدم -

- والقدر الذي به يستمر له حكم الإسلام ؛ أن يُحافظ على إقامة الصلاة ، وأن لا يُعرف عنه أنه قد أتى ناقضاً من نواقض الإيمان والتوحيد.

- والقدر الذي يرفع عنه السيف في أجواء القتال ؛ أن يقول أي عبارة تدل على أنه يريد الدخول في الإسلام ؛ كأن يقول: "صبأت" ، أو "السلام عليكم" ، أو "أنا منكم" ، ونحو ذلك من العبارات ، فهذه العبارات لا تُدخل صاحبها في الإسلام ، لكنها ترفع عنه السيف في أجواء القتال إلى أن يُعلَّم الكلمات الصحيحة التي تُدخله الإسلام.

لذا نجد أن النبي ﷺ قد أنكر على خالد بن الوليد رضي الله عنه أشد الإنكار لما قتل أولئك النفر الذين قالوا له: "صبأنا ، صبأنا" ، وكانوا يريدون أن يقولوا أسلمنا ، إلا أنهم لم يُحسنوا التعبير فقالوا صبأنا ، فلم يقبل منهم خالد رضي الله عنه فقتلهم ، فأنكر عليه النبي ﷺ وتبرأ من فعله ، وقال: (اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد) - مرتين - وأمر بدفع دية القتلى.

وكذلك قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِناً تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً} [النساء: ٩٤] ، فأمر الله تعالى بالتثبت والتبين ممن يلقي السلام على المسلمين المجاهدين في أجواء القتال ، ويدع قتالهم ، وأن لا يستعجلوا قتله ، لاحتمال أن يكون مؤمناً أو أنه يريد الدخول في الإسلام ، فأخطأ التعبير فابتدأ بالسلام بدلاً من شهادة التوحيد.

كذلك ليس من الإسلام في شيء ؛ أن لا تقبل إسلام العباد إلا بعد أن تختبر اعتقادهم ، وتحملهم على أقوال واعتقادات معينة ، فهذا ليس من دين الله في شيء ولم يقل به عالم معتبر ، وهو من قول أهل البدع والزيغ والضلال.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى فى معرض رده على أهل التوقف والتبين :

(ليس من شروط الإتمام أن يعلم المأموم اعتقاد إمامه ، ولا أن يمتحنه ؛ فيقول: ماذا تعتقد؟ بل يصلي خلف مستور الحال ، وقول القائل لا أصلي خلف من لا أعرفه ، كما لا أسلم مالي إلا لمن أعرفه ؛ كلام جاهل لم يقله أحد من أئمة الإسلام).

وقال: (وتجوز الصلاة خلف كل مسلم مستور باتفاق الأئمة الأربعة وسائر أئمة المسلمين ، فمن قال: لا أصلي جمعة ولا جماعة إلا خلف من أعرف عقيدته في الباطن ، فهذا مبتدع مخالف للصحابة والتابعين لهم بإحسانٍ وأئمة المسلمين الأربعة وغيرهم) اهـ.

فإذا كانت الصلاة تصح خلف مستور الحال ، ولا يُشترط للصلاة خلفه معرفة اعتقاده أو اختباره وامتحانه ، فمن باب أولى ؛ أن تحكم بإسلامه ، وإسلام غيره ممن يُظهرون الإسلام وتجهل اعتقاداتهم ، ومن دون أن تختبرهم أو تحملهم على أقوال أو اعتقادات معينة.

والأدلة التي استدلوا بها ليس منها شيء يُخالف ما تقدم ذكره.

الرد المجمل على بعض شبهات أهل الغلو

- قولهم: (ويحتجوّن على ذلك بأن الأنبياء عليهم السلام جاءوا إلى أقوامهم ودعوهم إلى الكفر بالطاغوت والإيمان بالله ، فمن أجاب حكم له بالإسلام ، ومن امتنع بقي على كفره ...).

أقول: تلك الأقوام التي بُعثت إليها الأنبياء بدعوة التوحيد ، هل كانوا - قبل أن يستجيبوا أو يستجيب بعضهم لدعوة التوحيد - ممن يشهدون أن لا إله إلا الله ويُقيمون الصلاة ، أم أنهم كانوا من عبدة الأوثان والطواغيت ، وممن يجحدون شهادة التوحيد ، ولم يعرفوا طعم الإيمان ؟

الجواب لا بد أن يكون ؛ أنهم كانوا من عبدة الأوثان والطواغيت ، وممن يجحدون شهادة التوحيد ، ولم يعرفوا الصلاة لله عز وجل ولا طعم الإيمان!

وإن كان الجواب كذلك ، أقول: كيف يُحمل حال وواقع من كان من عبدة الأوثان والطواغيت ، وممن يجحدون شهادة التوحيد ، ولم يعرفوا الصلاة لله عز وجل ولا طعم الإيمان قط ، على من أقر بالتوحيد ، وأقام الصلاة ، ولم يُعرف عنه ما يُنقض توحيده وإيمانه ، كما هو حال المسلمين في مجتمعاتهم في هذا الزمان ؟!

لذا فالاستدلال في واد ، والمسألة المستدل عليها في وادٍ آخر ومختلف!

عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال: (ما أعرفُ منكم شيئاً كنت أعهدهُ على عهدِ رسولِ الله ﷺ ليس قولكم لا إله إلا الله!) ، قلنا: بلى يا أبا حمزة ؛ الصلاة ؟ فقال: (قد صليتم حين تغرب الشمس ، أفكانت تلك صلاةُ رسول الله ﷺ؟!).

وعن الحسن البصري قال: (لو أنَّ رجلاً أدرك السلف الأول ، ثم بُعث اليوم ما عرف من الإسلام شيئاً إلا هذه الصلاة)!

وعن ميمون بن مهران قال: (لو أنَّ رجلاً أُنشر فيكم من السلف ، ما عرف فيكم غير هذه القبلة)!

وعن أم الدرداء قالت: (دخل عليَّ أبو الدرداء رضي الله عنه وهو غضبان ، فقلت له: ما أغضبك ؟ فقال: والله ما أعرف فيهم من أمرِ محمدٍ شيئاً إلا أنهم يُصلون جميعاً)!

وعن عيسى بن يونس ، عن الأوزاعي ، عن حبان بن أبي جبلة ، عن أبي الدرداء قال: (لو خرج رسول الله ﷺ إليكم اليوم ، ما عرف شيئاً مما كان عليه هو وأصحابُه إلا الصلاة)! قال الأوزاعي: (فكيف لو كان اليوم ؟!) ، قال عيسى: (فكيف لو أدرك الأوزاعي هذا الزمان ؟!).

قلت: رغم هذا الواقع المرير الذي ينقله الصحابة والتابعون لهم بإحسان عن مجتمعاتهم التي كانوا يعيشون فيها ، وعن غربة الدين في تلك المجتمعات ، إلا أنهم لم يكونوا يصفون تلك المجتمعات بالكفر ، وأن من فيها كفار مرتدون لا بد من أن يُدعوا من جديد إلى الإيمان بالله والكفر بالطاغوت ، وأن من لا يقول بهذا القول أو يعتقد به ؛ فهو كافر مرتد ، فهذا لم يفعله الصحابة ولا التابعون ، وحاشاهم أن يفعلوا ذلك!

- قولهم: (وكذلك في عهد مسيلمة الكذاب من كان تحت حكمه فهو في دار الكفر وكل شخص هناك حكمه الكفر حتى يُظهر إسلامه بكفره بالطاغوت مسيلمة والإيمان بالله ، ويستدلون بقصة خالد بن

الوليد رضي الله عنه مع مُجاعة في ذلك الوقت ، حيث لم يعترف خالد بإسلامه لمّا أمسكه لأنه لم ينكر على الطاغوت ...).

أقول: كل من كان تحت حكم مسيلمة الكذاب وسلطانه ، وتابعه على كفره وكذبه وتكذيبه فهو كافر مرتد ، وليس كل من كان تحت حكمه وفي سلطانه كذلك ، إذ كان فيهم المكره والمستضعف ، والمعتزل لمسيلمة وكفره المظهر لدينه وتوحيده ، وهؤلاء لهم حكم آخر.

وخالد أنكر على مجاعة لكونه ؛ كان من أعز أهل اليمامة ، ولم يبد عذراً ، ولم يرسل له رسولاً يخبره إن كان خائفاً من قومه ومن مسيلمة أم لا ، مما دل أن خالد بن الوليد رضي الله عنه كان يقيل عثرة من كان هذا وصفه ، ومع ذلك فخالد رضي الله عنه لم يحكم بردة مجاعة وعفا عنه ، وقال له: (قد عفوت عن دمك ، ولكن في نفسي حرج من تركك) ، لما رأى من صدق لهجته!

فإن عُلم ذلك ، هل المسلمون في زماننا ممن يشهدون شهادة التوحيد ويقيمون الصلاة ، ولم يُعرف عنه ما يُخرجهم من الملة ، هم كمن آمن بمسيلمة الكذاب وبنبوته ، وكذب مُحَمَّداً ﷺ ؟!

فإن كان الجواب: لا - وهو كذلك - عُلم أن الاستدلال في واد وأن المسألة المستدل عليها في وادٍ آخر ومختلف.

ويُمكن أن يُقال كذلك: كان في عهد خالد بن الوليد توجد الدولة الإسلامية والأرض الإسلامية التي يُمكن اللجوء والهجرة إليها ، والتي بها يتمايز الصفان ، فهل في زماننا توجد الأرض أو الدولة الإسلامية التي نحمل الناس على الهجرة إليها ليتمايز أتباع الطاغوت وجنده ممن سواهم ؟!

فإن قيل: لا ... لا يوجد ، أقول: إذاً لا تحمل هذا على ذاك ولا تقس عليه!

أما حديث أسامة والمقداد والجارية فقد سبق الحديث عن ذلك ،والفرق بين الإسلام الحكمى والإسلام على الحقيقة فيجب التفريق بين من نطق بالشهادة وهو كافر أصلى لم يدخل فى الإسلام ،وبين من قالها وهو كافر مرتد فشتان بينهما ،فالكافر الأصلي تقبل منه ويجب الكف عنه بمجرد نطقه بها لأنها عاصمة للدم والمال والعرض ابتداءً ، وعلى ذلك يُحمل حديث أسامة وغيره أما المرتد فلا تقبل منه حتى يدخل فى الإسلام من الباب الذى خرج منه كإجماع الصحابة على قتال مانعى الزكاة

مع أنهم كانوا يصلون ويقرؤن القرآن ويصومون يسبحون ويستغفرون ويقولون لاإله إلا الله مُحَمَّد رسول الله ولم يقبل الصحابة منهم كل ذلك بل كفروهم وقاتلوهم قتال كفر وردة حتى دخلوا فى الإسلام من الباب الذى خرجوا منه فلا بد من الانتباه وفهم هذا الأمر جيداً فهو سبب ضلال المرجئة

ولأهل الغلو شبهة قبيحة فى مسالة الكفر بالطاغوت حتى أن أحده يكفر أمه وأباه وأخاه لأنهم لايكفرون بالطاغوت على مذهبهم وقد حصروا الطاغوت فى الحاكم فقط دون غيره من الطواغيت .

المبحث الخامس

"أنواع الطواغيت"

إن الواجب على الإنسان الكفر بعموم جنس (أي: كل) طاغوت لأن هذا شرط الإسلام ، فلا يُعقد له عقد الإسلام ، ولا تتم له عصمة الدم والعرض والمال إلا بذلك ، وإن لم يعرف أفراده أو يرى أعيانه إذا اعتقد الكفر بما يعبد من دون الله ، والدليل على وجوب الكفر بالطاغوت ؛ قوله تعالى: (يُرِيدُون أَنْ يتحاكموا إلى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا به) [النساء: ٦٠] ، وقوله تعالى: (فمن يكفر بالطاغوت ويُؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم) [البقرة: ٢٥٦] ، وقول النبي - ﷺ -: (من قال لا إله إلا الله ، وكفر بما يُعبد من دون الله ، حرم ماله ودمه وحسابه على الله) ، ويجب التفريق في العذر بالجهل بين عدم الكفر بجنس الطاغوت والجهل ببعض أنواعه وأفراده ، فلا عذر بالجهل لمن لا يكفر بجنس الطاغوت ، وأما من جهل بعض أنواعه وأفراده يُعذر بجهله

أنواع الطواغيت وعددهم

كثيرون ورؤوسهم خمسة: إبليس لعنه الله ، ومن عبد وهو راض ، ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه ، ومن ادعى شيئاً من علم الغيب ، ومن حكم بغير ما أنزل الله [وقد أمرنا الله أن نكفر بها ونجتنب عنها ونكون من المسلمين] .

قوله تعالى: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [البقرة: ٢٥٦] وقوله تعالى {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} [النحل: ٣٦]

وقوله تعالى: {قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ}المائدة ٦٠أن الطاغوت قد يكون من الجن ، وقد يكون من الإنس.

من اعتقد أن غير هدي النبي ﷺ أكمل من هديه ، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه ، كالذين يفضلون حكم الطاغوت على حكمه ، فهو كافر.

فقد قال ابن القيم في إعلام الموقعين ١: {فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ} ٢ ، فقسم الأمر إلى أمرين لا ثالث لهما: إما الاستجابة للرسول ، وإما اتباع الهوى ... وذكر كلاماً في تقرير ذلك - إلى أن قال - ثم أخبر سبحانه أن من تحاكم أو حاكم إلى غير ما جاء به الرسول ، فقد حكّم الطاغون وتحاكم إليه ، يعني: الآيات في النساء: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ} ٣ ، قال: والطاغوت: كل ما تجاوز به العبد حده ، من معبود أو متبوع أو مطاع ؛ فطاغوت كل قوم: من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله ، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله ، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله. فهذه طواغيت العالم ، إذا تأملتها ، وتأملت أحوال الناس معها ، رأيت أكثرهم ممن أعرض عن طاعة الله ومتابعة رسوله ، إلى طاعة الطاغوت ومتابعته. وهؤلاء لم يسلكوا طريق الناجين من هذه الأمة ، وهم الصحابة ومن تبعهم ، قال الله: {فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُراً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ}الَّذين آمنُوا يُقَاتلُون فِي سَبِيل الله. وَالَّذين كفرُوا يُقَاتلُون فِي سَبِيل الطاغوت فَقَاتلُوا أَوْلِيَاء الشَّيْطَان إِن كيد الشَّيْطَان كَانَ ضَعِيفا} .

قال رحمه الله: [والطواغيت كثيرون] الطواغيت: جمع طاغوت ، والطاغوت يطلق على الجمع والمفرد ، لكن جمعه هنا باعتبار أجناسه ، فأجناس ما يحصل به الطغيان كثيرة ، وليست نوعاً واحداً كما سيبين المؤلف رحمه الله أصول ما يحصل به الطغيان في قوله رحمه الله: [ورءوسهم خمسة] ، والأصل أن يطلق ذلك على كل مجاوزة للشرع ولو لم تكن كفراً ، وبه نفهم أن ما يحصل به الطغيان والطاغوت ليس على درجةٍ واحدة ، فمنه ما هو كفر ، ومنه ما هو شرك ، ومنه ما هو معصية ، ومنه ما هو بدعة.

أكبر الطواغيت وأولهم

قال رحمه الله: [ورءوسهم خمسة] أي: رءوس الطواغيت.

وقوله: [رءوسهم] الرءوس: جمع رأس ، والرأس في كل شيء أعلاه.

فقوله: [ورءوسهم خمسة] أي: أعلى ما يحصل به الطغيان ويصدق عليه وصف الطاغوت خمسة أمور ، واعلم أن قوله رحمه الله: [خمسة] ليس تحكماً من قبل نفسه ، إنما هو بالاستقراء ، وإلاّ فلو طلبت دليل ذلك في الكتاب والسنة لم تقف على دليل معين ، إنما جاء ذلك بالاستقراء ، وبتتبع ما قاله أهل

العلم في بيان معنى الطاغوت تبين أنه يرجع إلى خمسة أمور ، وهذا كثير في كلام أهل العلم ، يذكرون أعداداً في أمور شرعية ، وهذه الأعداد لم يرد بها نص ، إنما عُرف هذا العدد وتُوصل إليه بالتتبع والاستقراء والنظر في الأدلة ، وهذا شيء يستعمله كثير من أهل العلم والمحققين ، ولا إشكال فيه.

قال رحمه الله في بيان هذه الرءوس الخمسة:

إبليس لعنه الله هذا أول الطواغيت ، واعلم أن إبليس هو أكبر الطواغيت وأعظمها شراً ، وأخطرها أمراً ، وأشدها طغياناً.

أما من أين للمؤلف رحمه الله أن إبليس من رءوس الطواغيت فنقول: إن جماعةً من السلف فسروا الطاغوت بالشيطان ، ففي مثل قوله تعالى: {فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ} [البقرة:٢٥٦] ورد تفسير معنى الطاغوت عن جماعة من الصحابة بأن الطاغوت هو الشيطان ، وكذلك في قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ} [النساء:٥١] ، وقوله تعالى: {يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ} [النساء:٦٠] ، وورد تفسير الطاغوت في هذه الآيات بأنه الشيطان عن ابن عباس ، وعن غيره من السلف ، ولا شك أن إبليس هو أصل الطغيان ، كما قال الله جل وعلا حاكياً عنه: {قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ} [ص:٨٢] ، فقد تكفل وتعهد وأقسم بعزة الله عز وجل أن يضل بني آدم ، وإضلالهم من الطغيان ، ولا يكون إضلال إلاّ بطغيان ، فهذا الرأس الأول ، وهو أصل ما بعده من الطواغيت والشرور.

من رءوس الطواغيت الذي يعبد من دون الله وهو راض

الثاني: قال رحمه الله: [ومن عُبد وهو راضٍ] ، فكل من صرفت له العبادة بطلب منه أو بغير طلب منه وهو راضٍ عن هذه العبادة فإنه طاغوت ؛ لأنه مما يحصل به التجاوز ، وذلك أن العبد لا يصلح أن يكون رباً ، ولا يصلح أن تصرف إليه أنواع العبادة ، فمن صرف إلى غير الله عز وجل شيئاً من العبادة فقد تجاوز به الحد وطغى فيه ، فلذلك كان طاغوتاً ، ودليل ذلك قوله تعالى: {قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ} [المائدة:٦٠] ، وقوله: {وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ} معطوف على {مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ} ، وليس معطوفاً على {وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ} فتنبه.

فهؤلاء وصفهم الله عز وجل بأنهم عبدوا الطاغوت ، وكذلك في قوله: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ} [النساء:٥١] ، فهؤلاء زكوا عبادة المشركين ، فكل من عُبد من دون الله وهو راضٍ بهذه العبادة فإنه طاغوت ، وقد جاء في الصحيحين عن أبي هريرة في نبأ المحشر عن النبي ﷺ قال: (ينادي منادٍ يوم القيامة: ألا ليتبع كل أحد ما كان يعبد في الدنيا) ثم قال: (فيتبع من كان يعبد الطّواغيت الطّواغيت) ، وهذا يشمل كل معبود من دون الله ، فكل من عبد من دون الله وهو راضٍ فإنه طاغوت بنص الكتاب والسنة ، ومن حيث المعنى موافق ومطابق ؛ لأنه تجاوز بالعبد عن حده ، وعن قدره الذي يناسبه.

من دعا الناس إلى عبادة نفسه فهو من رءوس الطواغيت

الثالث: قال رحمه الله: [ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه] .

هذا ثالث الطواغيت ، سواءٌ أطاعوه أم لم يطيعوه ، فإنه طاغوت ؛ لأنه تجاوز بنفسه عن حده -وهو العبودية- إلى أن يكون معبوداً ، ولا يلزم أن يُوافق وأن يُطاع ، ولكن كل من ادعى الربوبية وكل من ادعى الألوهية فإنه طاغوت ، ولذلك ورد تسمية فرعون بالطاغوت ؛ لأنه قال كما حكي الله عنه-: {فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى} [النازعات:٢٤] ، وقال: {مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي} [القصص:٣٨] ، فجاء وصفه بهذا الاسم.

مدعي معرفة الغيب رأس في الطغيان

الرابع من الطواغيت: قال رحمه الله: [من ادعى شيئاً من علم الغيب] .

علم الغيب هو: ما استأثر الله سبحانه وتعالى به دون خلقه من العلم وهو نوعان: غيب مطلق ، وغيب نسبي فالغيب المطلق لا يعلمه أحد إلا الله ، ومفاتحه خمسة ، وهي في قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [لقمان:٣٤] ، فهذه هي مفاتح الغيب كما فسرها النبي ﷺ ، فمن ادعى علم شيء من هذه الأمور فإنه كافر بالقرآن العظيم ؛ لأن الله عز وجل قال: {قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ} [النمل:٦٥] ومعنى قوله: {وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ} أي: لا يعلمون متى يبعثون ، وكذلك قال سبحانه وتعالى: {عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ} [الجن:٢٦-٢٧] ، فعلمه سبحانه وتعالى

بالغيب المطلق مما اختص به هو جل وعلا دون غيره ، أما الغيب النسبي فهذا كثير ، وقد يعلمه بعض الناس ؛ إذ كل ما غاب عنا مما علمه غيرنا فهو غيب بالنسبة لنا ، وعلم بالنسبة لمن علمه ، فالغيب النسبي هو بالنسبة إلى أشخاص دون أشخاص ، وإلى أناسٍ دون أناس ، فمن ادعى علم شيءٍ من ذلك فإن كان تحصيله بأسبابٍ معلومةٍ كأن يسأل ويتوصل فهذا لا إشكال فيه ، لكن الإشكال في ادعاء علم الغيب المطلق الذي فيه الإخبار عن المستقبل فهذا هو رابع رءوس الطواغيت ؛ لأن هذا طغى وتجاوز حده ، والله سبحانه وتعالى قد أعلمنا وأخبرنا في كتابه أنه لا يعلم الغيب إلاّ هو جل وعلا ، فكل من ادعى علم الغيب فقد تجاوز حده وطغى ، فهو طاغوت ، هذا من حيث المعنى ، أما من حيث النقل فقد فسر جماعة من السلف -منهم سعيد بن جبير وأبو العالية - الطاغوت في قوله تعالى: {يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ} [النساء: ٦٠] بالكاهن ، والكاهن هو الذي يخبر عن المغيّبات في المستقبل ، فعلى هذا يكون كل من أخبر عن المغيبات في المستقبل طاغوتاً بتفسير السلف.

باب قول الله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ} [النساء: ٦٠] [النساء: ٦٠] ": قوله {يَزْعُمُونَ} [النساء: ٦٠] يدل على أنهم كذبة ، فلا يجتمع الإيمان مع إرادة الحكم والتحاكم إلى الطاغوت ، قوله: (يريدون) هذا ضابط مهم ، وشرط في نفي أصل الإيمان عمن تحاكم إلى الطاغوت ، فإن من تحاكم إلى الطاغوت قد يكون بإرادته -وهي الطواعية والاختيار والرغبة في ذلك وعدم الكراهة - ، وقد يكون بغير إرادته ، بأن يكون مجبرا على ذلك ، وليس له في ذلك اختيار ، وهو كاره لذلك ، فالأول هو الذي ينتفي عنه الإيمان ، إذ لا يجتمع الإيمان بالله وبما أنزل إلى النبي ﷺ وما أنزل من قبله مع إرادة التحاكم إلى الطاغوت ، فالإرادة شرط ؛ لأن الله -جل وعلا- جعلها في ذلك مساق الشرط ، فقال: {يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ} [النساء: ٦٠] و {أَنْ يَتَحَاكَمُوا} [النساء: ٦٠] هذا مصدر ، يعني: يريدون التحاكم إلى الطاغوت ، والطاغوت. اسم لكل ما تجاوز به العبد حده من متبوع ، أو معبود ، أو مطاع -كما تقدم بيانه -.

ولاحظوا قوله:" {وَاجْتَنِبُوا} " ، ما قال: اتركوا عبادة الطاغوت ؛ لأن "اجتنبوا" أبلغ ؛ يعني: اتركوا كل الوسائل التي توصِّل إلى الشرك ٤ والاجتناب أبلغ من الترك ، فالاجتناب معناه: أننا نترك الشيء ونترك الوسائل والطرق التي توصِّل إليه ، فهذه الآية فيها: أن الرسل بُعثوا بالتّوحيد ، الذي هو عبادة الله وترك عبادة الطاغوت ، من أولهم إلى آخرهم.

والإيمان بالطاغوت: يكون بتصديقه فيما ادعاه من حق الله. أو تصديق ما نسب إليه من ذلك حتى لو لم يعمل به.

وعبادة الطاغوت: تكون بالعمل بموجب ذلك التصديق ، بصرف شيء من العبادة له كالصلاة أو الدعاء أو الرجاء ... ونحو ذلك.

والكفر بالطاغوت: يكون باعتقاد بطلان عبادة غير الله ، وتكذيب ما يدّعون أو ما ينسب إليهم من حق الله.

ويدخل في ذلك بغض الطواغيت وأتباعهم ومللهم وكراهتهم والبراءة منهم ومما يعبدون وعداوتهم ١ وقد بين الله تعالى أهمية الكفر بالطاغوت وكيفيته وممن يكون في سياق واحد في سورة الممتحنة فقال: {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ

الخامس :- الحاكم بغير ما أنزل الله رأس في الطغيان والجور ، لمجاوزته حكم الله تعالى وإعراضه عنه ، واستبداله بحكم وشرائع الجاهلية الأخرى.
قال تعالى : (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْكَافِرُونَ)[المائدة[44

وقال : (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ)[المائدة: ٤٥] ،

وقال (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُون)[المائدة: ٥٠] .

وكل حكم غير حكم الله فهو حكم الجاهلية ، والآية تشمله وتطاله ، وكل من يبغي حكماً غير حكم الله فهو ممن يبغي حكم الجاهلية .

وممن ينالهم مسمى الطاغوت وصفته لعدم حكمهم بما أنزل الله ، قضاة المحاكم الوضعية ، ونحوهم مشايخ العشائر والقبائل الذين يحكمون بالعادات السائدة ، وبالأعراف والأهواء ، وسواليفهم الباطلة ، يقدمونها على شرع الله تعالى فالحاكم بغير ماأنزل الله طاغوتا لأمور كثيرة .

منها : أن الله تعالى قد سمى الحاكم بغير ما أنزل الله طاغوتاً ، في قوله تعالى : (يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ)[النساء: ٦٠

ولا شك أن الطاغوت الوارد ذكره في الآية يشمل الحاكم بغير ما أنزل الله. وقد أثر عن بعض السلف أن المراد بالطاغوت الوارد في هذه الآية هو كعب بن الأشرف اليهودي ، لكونه يحكم بغير ما أنزل الله...

ومنها : أن الحاكم بغير ما أنزل الله يُعبد من جهة التحاكم والطاعة من قبل المتحاكم إليه ، وقد تقدم أن التحاكم عبادة لا تُصرف إلا لله تعالى ، فمن تحاكم

إلى غيره فهو متأله لهذا الغير وعابد له .

ومنها : أن الذي يحكم بغير ما أنزل الله ، يُخرج أولياءه ومتابعيه الراضين به ، من نور الوحي وعدل الإسلام وهو الحكم بما أنزل الله ، إلى ظلمات الشرك والكفر والجاهلية وهو الحكم بغير ما أنزل الله ، وهو المراد من قوله تعالى(: وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمْ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنْ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ([البقرة.[257 :

ومنه يعلم أن الحاكم بغير ما أنزل الله يُجرى عليه مسمى الطاغوت ، اسماً وصفة ومعنى ، ولا محالة .

المبحث السادس

"كفر الحاكم المبدل لدين الله المغير للشريعة"

دليل ذلك من كتاب الله:

قال تعالى: {إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ} [يوسف: ٤٠]

وقال سبحانه: {وهُوَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الحَمْدُ فِي الأُولَى والآخِرَةِ ولَهُ الحُكْمُ وإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [القصص: ٧٠]

وقال سبحانه: {إِنْ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلْ الْمُتَوَكِّلُونَ} [يوسف: ٦٧].

وقال سبحانه: {أَلا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ} [الأنعام: ٦٣].

وقال سبحانه: {وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنْ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنْ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا وَاقٍ} [الرعد: ٣٧].

وقال سبحانه: {وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا} [الكهف: ٢٦].

فعبادة الله تعالى تقتضي إفراده عز وجل بالتحليل والتحريم ،

حيث قال سبحانه: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ ورُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ والْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ ومَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهاً واحِداً لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ}.

- منزلة الحكم بما أنزل الله من الدين: فرض الله تعالى الحكم بشريعته ، وأوجب ذلك على عباده ، وجعله الغاية من تنزيل الكتاب ،

فقال سبحانه: {وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه} [البقرة ، ٢١٣ ، وقال تعالى: {إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله} [النساء ، آية ١٠٥].

-وبين سبحانه اختصاصه وتفرده بالحكم ، فقال: {إن الحكم إلا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين} [الأنعام ، آية ٥٧] ،

وقال سبحانه: {إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه} [يوسف ، آية ٤٠] ،

وقال عز وجل: {له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون} [القصص ، آية ٧٠] ،

وقال سبحانه: {وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله} [الشورى ، آية ٤٢].

وجاءت الآيات القرآنية مؤكدة على أن الحكم بما أنزل الله من صفات المؤمنين ، وأن التحاكم إلى غير ما أنزل الله (وهو حكم الطاغوت والجاهلية). من صفات المنافقين.

قال سبحانه: {وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (٤٧) وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ (٤٨) وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (٤٩) أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٥٠) إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥١) وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٥٢)} [النور ، آية ٤٧ — ٥١].

وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٥٩) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آَمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا (٦٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا (٦١) فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا (٦٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا (٦٣) وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا (٦٤) فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٦٥)النساء ،

الآيات تثبت الحكم لله وحده وتنفيه عن غيره سبحانه ، كقوله تعالى على لسان يوسف عليه الصلاة والسلام و على وجه الحصر :(يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ * مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ } -يوسف

وقال سبحانه على لسان أبيه يعقوب :وَقَالَ يَا بَنِيَّ لاَ تَدْخُلُواْ مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُواْ مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ} -يوسف -

وقوله سبحانه :قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ} -الأنعام-

وقوله سبحانه بعد ذلك بآيات :ثُمَّ رُدُّواْ إِلَى اللّهِ مَوْلاَهُمُ الْحَقِّ أَلاَ لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ } -الأنعام-

وقوله سبحانه في سورة القصص :وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ- {القصص-

وقوله بعد ذلك في نفس السورة :وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } -القصص-

-و الآيات التي تثبت أن الأمر لله وحده ، الذي ينازع فيه المشرعون وأتباعهم ،كثيرة ، فمن ذلك

قوله تعالى :أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ } —الأعراف

وقوله :وَلِلّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ- {هود-

وقوله سبحانه :الم * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ— {الروم

و الآيات التي تنفي التعقيب على حكم الله سبحانه وتتوعد من يخالف ذلك وتصفه بالشرك وتنفي عنه الإيمان كثيرة جدا

كقوله سبحانه :أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللّهُ يَحْكُمُ لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ } -الرعد-

وقوله :وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ } —القصص-

وقوله :وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُّبِيناً } —الأحزاب -

فماذا يفعل المشرعون في برلماناتهم إلا الاختيار من أحكام الشريعة ومن غيرها من أحكام طواغيت الشرق والغرب ؟

-و الآيات التي تثبت أن المشرعين قد جعلوا أنفسهم أربابا من دون الله وسمى أتباعهم بالمشركين ، وهذه ربوبية طاعة وليست ربوبية نسك كما بين النبي ﷺ لعدي بن حاتم لما سأله عن قوله تعالى :اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَهاً وَاحِداً لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ } —التوبة-

وقد قال تعالى أيضا :قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ }

وقال أيضا :وَلاَ يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ الْمَلاَئِكَةَ وَالنِّبِيِّيْنَ أَرْبَاباً أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ } -آل عمران-

فدلت هذه الآيات على أن طاعة المشرعين في التحليل والتحريم تعني اتخاذهم أربابا ومخالفة دين الإسلام وكفر بالله العظيم ، نسأل الله حسن البصيرة في دينه وكتابه.

و الآيات التي تنفي الشريك في حكمه سبحانه وتصف المشرعين بالشرك والشركاء كثيرة منها

قوله تعالى :قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً (٢٦)} —الكهف -

وقوله سبحانه :أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ— { الشورى -

وقوله سبحانه لا شريك له :وَجَعَلُواْ لِلّهِ مِمِّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيباً فَقَالُواْ هَذَا لِلّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَآئِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلاَ يَصِلُ إِلَى اللّهِ وَمَا كَانَ لِلّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَآئِهِمْ سَاء مَا يَحْكُمُونَ * وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلاَدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ * وَقَالُواْ هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لاَّ يَطْعَمُهَا إِلاَّ مَن نّشَاء بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لاَّ يَذْكُرُونَ اسْمَ اللّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاء عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ * وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاء سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حِكِيمٌ عَلِيمٌ * قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُواْ أَوْلاَدَهُمْ سَفَهاً بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ اللّهُ افْتِرَاء عَلَى اللّهِ قَدْ ضَلُّواْ وما كانوا مهتدين)

والآيات التي تتعلق بالإنكار على من ابتغى غير دين الله وحكمه ،كثيرة

كقوله تعالى :أَفَغَيْرَ دِينِ اللّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ } -آل عمران -

وقوله سبحانه :أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ } —المائدة -

وقوله سبحانه :أَفَغَيْرَ اللّهِ أَبْتَغِي حَكَماً وَهُوَ الَّذِي أَنَزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ } —الأنعام -

والدين هو الطاعة فهل المشرعين في طاعة الله أم في طاعة شياطينهم ووساوسهم؟

-والآيات التي تتعلق بالتحليل والتحريم وآحاد التشريعات. المخالفة لدين الله وأن من حماقة الجهمية والمرجئة أنهم يكفرون العامي إذا استحل محرما أو حرم حلالا ، ويجادلون في حكم من يجعل ذلك شرعا عاما ويلزم الناس به ،ويعاقب كل من خالفه ،ويحارب كل من يطالب بتحكيم شرع الله وقد قال تعالى وهذا من أصرح الأدلة :إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلِّونَهُ عَاماً وَيُحَرِّمُونَهُ عَاماً لِّيُوَاطِؤُواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ اللّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ

أَعْمَالِهِمْ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ }—التوبة-

والنسيء عين التشريع وهو كفر مزيد بنص الآية ولو لم تكن إلا هذه لكفتنا فكيف بها مع غيرها.

قال تعالى :الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىَ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ— { البقرة-

فهم خالدون في النار لأنهم أصروا على قولهم إنما البيع مثل الربا وهذا عين ما نعيشه اليوم في بلاد المسلمين كما قال العلامة الشيخ عبد الرحمن الدوسرى رحمه الله .

وقال تعالى أيضا :مَا جَعَلَ اللّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلاَ سَآئِبَةٍ وَلاَ وَصِيلَةٍ وَلاَ حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ }—المائدة-

وقال تعالى :وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلاَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ }النحل -والذي لا يفلح مطلقا هو الكافر

<u>وقد وصف الله متبعي المشرعين بالشرك فمن باب أولى المشرعين أنفسهم.</u>

قال سبحانه :وَلاَ تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ }—الأنعام -

وقال أيضا :إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ * فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ }— مُحَمَّد -

<u>-وأخيرا نذكر الآيات التي تأمرنا بقتالهم حتى يكون الدين كله لله وهي أشد الآيات على الجهمية والمرجئة لأنهم يكرهون الجهاد وأهله ويحبون القعود وأهله.</u>

قال تعالى :قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ * وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ * اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَهاً وَاحِداً لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ }

وقال أيضا :وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ— {البقرة-

ومثلها في سورة الأنفال :وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}—الأنفال-ومعلوم أن القتال منوط بالقدرة والاستطاعة والتمكن

<u>فهذه الآيات تدل على أن الحاكمية عبادة كأي نوع آخر من العبادات مثل الصلاة ، والصيام ، والذبح ، والدعاء ، والنذر ، و... و... لا فرق بينهم أبداً و أنها من توحيد العبادة أي "توحيد الألوهية" ، وأن الذي يشرك مع الله في حكمه كالذي يشرك في أي نوع من أنواع العبادة</u>

<u>قال الشنقيطي</u>: (الإشراك بالله في حكمه ، والإشراك في عبادته كلها بمعنى واحد ، لا فرق بينهما البتة ، فالذي يتبع نظاماً غير نظام الله ، وتشريعاً غير تشريع الله ، كالذي يعبد الصنم ويسجد للوثن ، لا فرق بينهما البتة بوجه من الوجوه ، فهما واحد ، وكلاهما مشرك بالله) [١٦٢/٧].

<u>وقال الشيخ مُحَمَّد الأمين الشنقيطي</u> رحمه الله بعد أن ذكر النصوص الدالة على كفر محكّمي القوانين: (وبهذه النصوص السماوية التي ذكرنا يظهر غاية الظهور أن الذين يتبعون القوانين الوضعية التي شرعها الشيطان على ألسنة أوليائه مخالفة لما شرعه الله جل وعلا على ألسنة رسله صلى الله عليهم وسلم ، أنه لا يشك في كفرهم وشركهم إلا من طمس الله بصيرته وأعماه عن نور الوحي مثلهم

<u>ويقول رحمه الله تعالى أيضاً</u>: (ويفهم من هذه الآية {ولا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً...} أن متبعي أحكام المشرعين غير ما شرعه الله أنهم مشركون بالله ، وهذا المفهوم جاء مبيناً في آيات أخر ، كقوله فيمن اتبع تشريع الشيطان في إباحة الميتة بدعوى أنها ذبيحة الله ولا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وإِنَّهُ لَفِسْقٌ وإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ) فصرح بأنهم مشركون بطاعتهم ، وهذا الإشراك في الطاعة ، وإتباع التشريع المخالف لما شرعه الله تعالى ، هو المراد بعبارة الشيطان في قوله تعالى: {أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * وأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ}. وقوله تعالى عن نبيه إبراهيم: {يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِياً}) [أضواء البيان ٨٣/٤

<u>**ومن أحاديث المصطفى ﷺ**</u>

حديث الصحيحين أن عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار ، وكان أول من سيب السوائب ، وبحر البحيرة وغير دين إبراهيم عليه السلام ؟

حديث عدي بن حاتم الذي سبق الإشارة إليه في الأرباب والعبادة والتحليل والتحريم ؟

حديث الرجل الذي تزوج امرأة أبيه فبعث النبي صلى الله عليه والبراء بن عازب لقتله وعقد له لواء كأنه ذاهب للحرب ، لأنه استحل ما حرم الله على مسمع من رسوله ﷺ ؟

الإجماع على كفر مبدل الشريعة بقوانين وضعية عامة وألزم الناس بالتحاكم إليها

قال ابن تيمية: (والإنسان متى حلل الحرام - المجمع عليه - أو حرم الحلال المجمع عليه أو بدل الشرع المجمع عليه كان كافراً مرتداً باتفاق الفقهاء) ٢٢]

.[وقال في الفتاوى (٣٧٢/٣٥): (ومتى ترك العالم ما علمه من كتاب الله وسنة رسوله واتبع حكم الحاكم المخالف لحكم الله ورسوله كان مرتدا كافرا ، يستحق العقوبة في الدنيا والآخرة)

وذلك لأن التشريع خالص حق الله تعالى وهو من أخص خصائص ألوهيته سبحانه ، كما قال تعالى: {ولا يشرك في حكمه أحداً} ، وكما قال سبحانه على سبيل الحصر والقصر: {إن الحكم إلا لله}. فهو حق لا يمنح لغير الله ، ولا يعطى لأحد سواه فمن زعم هذا الحق لنفسه أو ادعاه لمخلوق غيره فقد جعل من نفسه أو من ذاك الغير شريكاً مع الله في حكمه وأمره ، كما قال تعالى: {أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله}. فسمى المشرعين شركاء ، وحكم على من منحهم حق بأنهم مشركون ، كما قال تعالى: {وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون)

والأدلة من الكتاب والسنة مطبقة على دمغ المشرعين من دون الله بالشرك والكفر ،فأيما امرئ اغتصب هذا الحق في التحليل والتحريم فهو باتفاق الأمة مرتد مارق ليس له في الإيمان نصيب.

قال الشيخ سليمان العلوان حفظه الله: (كما نقل الإجماع على ذلك إسحاق والإمام ابن حزم والحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى في المجلد الثالث من "البداية والنهاية" في ترجمة "جنكيز خان". قوله تعالى: {وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فأولئكَ همُ الكَافِرون}...

والمروي عن ابن عباس "كفر دون كفر" ؛ هذا لا يصح عنه ، رواه الحاكم في المستدرك من طريق هشام بن حجير عن طاووس عن ابن عباس ، وهشام بن حجير ضعيف ضعفه أحمد ويحيى وطوائف ، وقد خولف في الإسناد ، فرواه عبد الله بن طاوس عن أبيه عن ابن عباس بغير ما رواه هشام ، وعبد الله بن طاوس أوثق من هشام ، فرواية هشام منكرة لا يحتج بها).

وعبارة كفر دون كفر لاتقال فى الحاكم المبدل لدين الله ،الذى نحى شريعة الله ،وغير حكم الله بقوانين وضعية وجعلها قانونا عاما ،وألزم الناس بالتحاكم اليها ،وعاقب كل من يخالفها ،وحارب كل من يطالب بتحكيم الشريعة ،فهذا كافر مرتد خرج من الإسلام من أكثر من باب فردته مغلظة وكفره مزيد ،ولكنها إن ثبتت فيقصد بها الحاكم المسلم الملتزم أصلا بتحكيم شرع الله فلا يحكم إلا بالكتاب والسنة ولايحيد عنهما ،ولكنه يحكم فى قضايا معينة لاتتكرر ولايجعلها قانونا عاما ملزما ،يحكم أحيانا بغير الشرع للهوى أو للرشوة أو لغير ذلك مع التزامه بحكم الله وبتحكيم شرع الله فى كل مناحي الحياة وسياتى بحث هذه المسألة وتحقيق هذه المقالة وضعف ثبوتها وعدم صحتها.

وقال ابن حزم رحمه الله تعالى: (من حكم بحكم الإنجيل مما لم يأت بالنص عليه وحي في شريعة الإسلام فإنه كافر مشرك خارج عن ملة الإسلام) [الأحكام في أصول الأحكام ١٥٣/٥].

وقال ابن تيمية: (والحكم بما أنزل الله على مُحَمَّد ﷺ هو عدل خاص وهو أكمل أنواع العدل وأحسنها ، والحكم به واجب على النبي ﷺ وكل من اتبعه ، ومن لم يلتزم حكم الله ورسوله فهو كافر) [منهاج السنة ج ١٣١/٥].

وقال رحمه الله: (ومعلوم أن من أسقط الأمر والنهى الذى بعث الله به رسله فهو كافر باتفاق المسلمين واليهود والنصارى) [مجموع الفتاوى ج ٨/ص ١٠٦].

وقال: (وقد يقولون إن الشرائع قوانين عدلية وضعت لمصلحة الدنيا ، فأما المعارف والحقائق والدرجات العالية فى الدنيا والآخرة فيفضلون فيها أنفسهم وطرقهم على الأنبياء وطرق الأنبياء ، وقد علم بالاضطرار من دين المسلمين أن هذا من أعظم الكفر والضلال) [مجموع الفتاوى ٢٣٢/٢].

وقال رحمه الله تعالى: (ومعلوم بالاضطرار من دين المسلمين وباتفاق جميع المسلمين أن من سوغ إتباع غير دين الإسلام أو إتباع شريعة غير شريعة مُحَمَّد فهو كافر ، وهو ككفر من آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض الكتاب) [مجموع الفتاوى ٥٢٤/٢٨].

قال ابن القيم: (ثم أخبر سبحانه أن من تحاكم أو حاكم إلى غير ما جاء به الرسول فقد حكّم الطاغوت وتحاكم إليه ، والطاغوت كل ما تجاوز به العبد حدَّه من معبود أو متبوع أو مطاع ، فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله أو يعبدونه من دون الله أو يتبعونه على غير بصيرة من الله أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة له) [أعلام الموقّعين ٨٥/١].

يقول ابن كثير رحمه الله تعالى في معرض تفسير قوله: {أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقومٍ يُوقنون}: (يُنكر الله تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كلّ خيرٍ الناهي عن كلّ شرٍّ ، وعَدَل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من الشريعة... كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات... فمن فعل ذلك منهم فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله ، فلا يحكم سواه في قليل أو كثير).

وقال رحمه الله تعالى - بعد أن نقل عن الجويني نتفاً من الياسق أو الياسا التي كان يتحاكم إليها التتار -: (فمن ترك الشرع المحكم المنزل على مُحَمَّد بن عبد الله خاتم الأنبياء وتحاكم إلى غيره من الشرائع المنسوخة كفر ، فكيف بمن تحاكم إلى الياسا وقدمها عليه ؟ من فعل ذلك كفر بإجماع المسلمين) [البداية والنهاية ١٢٨/١٣].

وقال عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ رحمه الله تعالى: (من تحاكم إلى غير كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ بعد التعريف فهو كافر) [الدرر السنية ٢٤١/٢].

ويقول الشيخ عبد الله بن حميد رحمه الله تعالى: (ومن أصدر تشريعاً عاماً ملزماً للناس يتعارض مع حكم الله فهذا يخرج من الملة كافراً) [أهمية الجهاد ص ١٩٦] ..

وقال الشيخ عبد العزيز بن باز-رحمه الله تعالى - (مجموع الفتاوى ٣٠٥/١

في رسالته (نقد القومية العربية ص ٣٩) قال عمن اتخذ أحكاما وضعية تخالف القرآن:

(وهذا هو الفساد العظيم والكفر المستبين والردة السافرة كما قال تعالى: "فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما" ،

وقال تعالى: "أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون"...) ،

إلى أن قال الشيخ رحمه الله: (... وكل دولة لا تحكم بشرع الله ولا تنصاع لحكم الله فهي دولة جاهلية كافرة ظالمة فاسقة بنص هذه الآيات المحكمات ، يجب على أهل الإسلام بغضها ومعاداتها في الله ، وتحرم عليهم مودتها وموالاتها حتى تؤمن بالله وحده وتحكم شريعته) اهـ

وقال الشيخ حمد بن عتيق رحمه الله :

[ولا يكون المسلم مظهراً لدينه ، حتى يخالف كل طائفةٍ بما اشتهر عندها ، ويصرح لها بعداوته ، والبراءة منه . فمن كان كفره بالشرك فإظهار الدين عنده : التصريح بالتوحيد ، أو النهي عن الشرك ، والتحذير منه] ١.هـ سبيل النجاة والفكاك ص٩٢

فإن الذي اشتهر في وقتنا الحاضر هو طاغوت الحكم والتشريع ، فقد انتشرت القوانين المخالفة لشرع الله ، وانتشرت في بعض القبائل أحكام الجاهلية .

قال سليمان بن سحمان رحمه الله :

[الطاغوت ثلاثة أنواع : طاغوت حكم ، وطاغوت عبادة ، وطاغوت طاعة ومتابعة. والمقصود في هذه الورقة هو طاغوت الحكم ، فإن كثيراً من الطوائف المنتسبين إلى الإسلام ، قد صاروا يتحاكمون إلى عادات آبائهم ويسمون ذلك الحق بشرع الرفاقة ، كقولهم شرع عجمان ، وشرع قحطان ، وغير ذلك ، وهذا هو الطاغوت بعينه ، الذي أمر الله باجتنابه] ١.هـ الدرر السنية ٥٠٣/١٠ رسالة مهمة في الطاغوت فلتراجع

(ومن أراد المزيد من الأدلة وأقوال أهل السنة على كفر الحاكم الذى يحكم بغير ماأنزل الله ،ونحى شريعة الله ،وسن قوانين وضعية وبدل الشريعة وألزم الناس بالتحاكم إلى هذه القوانين الوضعية ،وقام بحراستها وحمايتها وتقديسها ،وعاقب كل من خالفها ،وطارد وحارب كل من يطالب بتحكيم شرع الله ،فليراجع كتابنا (فصل الكلام فى الحاكمية والحكام)والمسألة الثانية من كتابنا (التنبيهات المختصرة على المسائل الخلافية المنتشرة)وهى مسألة (الحكم والتحاكم وأحوال المتحاكمين) وغير ذلك مما كتبه علماء أهل السنة حتى يقف بنفسه على انحراف و تدليس بعض الدعاة وطلبة العلم عندما يدافعون عن هؤلاء الحكام ويصفونهم بولاة الأمور الموحدين وإن بدلوا الدين وغيروا الشريعة واعتنقوا العلمانية وعبدوا الديمقراطية!فليتق الله الدعاة الذين

يضلون الأمة ويلبسون على الشباب دينهم ويسوغون الكفر والشرك بدفاعهم عن الحكام المرتدين المبدلين للدين المغيرين حكم الله الحاكمين بغير شريعته ويحكمون لهم بالإسلام باسم السلفية وأنصار السنة ،مخالفين بذلك الكتاب والسنة والإجماع وفهم الصحابة وكبار العلماء وشيوخ الإسلام ،فلا تكتموا الحق وأنتم تعلمون ،فإن عجزتم عن قول الحق فاصمتوا ولا تقولوا الباطل أسلم لدينكم وأتقى لربكم ،أما أن تقولوا بقول المرجئة والجهمية وتقيدوا كفر المشرع والمبدل لدين الله بالإستحلال والجحود والإعتقاد فهذا هو الضلال بعينة وسببه أنكم لم تفرقوا بين الحاكم والقاضي وبين المشرع ،وكذلك لم تفرقوا بين الحاكم الملتزم بالشريعة المحكم لها فى كل شيء فهذا حكمه حكم أهل المعاصي والكبائر ولا يكفر مرتكب المعصية إلا بالإستحلال خلافا للخوارج وأهل الغلو فى التكفير ،أما فى حالة الكفر الأكبر فلا يشترط الاستحلال ولا الجحود ولا الإعتقاد ،وهذا ماعليه أهل السنة والجماعة خلافا للمرجئة والجهمية أدعياء السلفية الذين يقيدون الكفر بالجحود والاستحلال واعتقاد القلب وقصد الكفر وهذا مايدندن حوله كثير من دعاة الفضائيات هذه الأيام ويحذرون من الخوارج الذين يكفرون المسلمين ويخرجون على الحكام وولاة الأمر ويقومون بحملة إعلامية مكثفة فى وصف حكام هذا الزمان بأمراء المؤمنين وولاة أمر المسلمين ووصفهم بحماة الدين وعباد الله الموحدين !!وكل ذلك تحذيرا من الخروج عليهم ،وهذه طامة كبرى وبلية عظمى إذ لاعلاقة بين كفر الحاكم المبدل للشريعة وبين الخروج عليه ،فإن الخروج منوط بالقدرة والمنعة والاستطاعة وهذا يكاد أن يكون محل إجماع بين أهل السنة والجماعة بعد عصر الصحابة والتابعين مع مراعاة المصالح والمفاسد فى حالة الخروج مع أن أعظم مصلحة هى التوحيد والعمل به والدعوة إليه ،ولا توجد مفسدة أعظم من مفسدة الشرك والكفر وظهوره وانتشاره بين المسلمين ،فليس خارجيا ولا تكفيريا ولا من الفئة الضالة من يقول بكفر الحاكم المبدل لدين الله ،المشرع من دون الله ،وليس مبتدعا من يقول بكفر تارك الصلاة ،وليس من الخوارج من يكفر عباد القبور الذين يصرفون العبادة التى هى حق لله ،لغير الله .فمن التلبيس والتدليس والكذب البهتان رمى أهل التوحيد والسنة بهذه التهم ليشوهوا دعوة التوحيد ويصورونهم للناس والعوام أنهم خوارج وتكفير ،مع أن منهج ومذهب أهل التكفير والهجرة والتوقف والتبين وغيرهم من أهل الغلو يختلف تماما عن أهل السنة والجماعة وأصولهم المخالفة بالكلية لأصول أهل السنة والجماعة من تكفير الناس بالعموم وتكفير المجتمع والتكفير بالجملة والتكفير بالمعصية والظن والشبهة والتأويل والاحتمال ،وغير ذلك من الأهواء والبدع التى عصم الله أهل السنة والجماعة منها ،فأصول الخوارج وأهل الغلو فى التكفير واضحة ومع ذلك فهي مباينة ومخالفة لأصول أهل السنة والجماعة ،فليتنبه طالب العلم لذلك

المبحث السابع

بحث وتحقيق قول (كفر دون كفر) والرد على الحلبى ومرجئة العصر أدعياء السلفية

سبق وقلنا أن مقولة كفر دون كفر لاتُقال إلا فى الحاكم الملتزم أصلا بدين الله وبتحكيم شرع الله فى كل مناحى الحياة فلم يغير ولم يبدل ولم يسن ويشرع قوانين وأنظمة تخالف دين الله ويلزم الناس بالتحاكم إليها ،ولكن خالف حكم الله لهوى أو لرشوة أو لقرابة ولم يجهل ذلك قانونا عاما للناس فهذا الذى يقال فيه كفر دون كفر أى كفر أصغر وكبيرة من الكبائر ومعصية من المعاصى التى هى دون الكفر الأكبر ،وهو عظيمة لأن معصية سماها الله كفرا أعظم عند الله من معصية لم يسمها الله كفرا ولايكفر المسلم بالمعاصى التى هى دون الكفر الأكبر إلا بالاستحلال والاعتقاد مع أن مسألة كفر دون كفر مبنية على الأثر المروي عن ابن عباس رضي الله عنه ، ومن أراد الحق فليعلم أن زيادة كفر دون كفر زيادة منكرة ، وكثير من الناس اليوم يتعصب لعلماء زلوا في هذه المسألة و يقولون)) هل أنتم أعلم أم الشيخ فلان و المحدث علان)) وهذا باطل من كل وجه وهو أقبح و الله من المذهبية ، فعلى الأقل المذهبية يتعصبون للشافعي وهو من هو ، أو لأحمد وهو من هو , وغيرهم من الأئمة ، أما مذهبية العصر فهي و الله أقبح من السابقة فيتعصب شباب اليوم لشيخ((فاضل لديه علم)) ويقولون كل يأخذ من قوله ويرد .... ولكن لا يطبقونها في شيوخهم ، فيرفعونهم إلى درجة العصمة ، فهو يسلم لك أنه ليس معصوم ولكن في الحقيقة لا يسمح لأحد أن يخطئ شيخه ولو بشيء صغير و تبدأ المقارنة الجاهلية هل أنتم أعلم أم العلامة فلان ؟ ونحن نختصر ونقول لهم هل الإمام فلان أو الشيخ علان أعلم من الصحابة ؟... و الله المستعان ،(وقد فصلنا ذلك في بحث مقولة كفر دون كفر من حيث الثبوت والصحة والدلالة)

وقد كتب الشيخ أبو مروان السوداني بحثاً في جمع طرق هذا الأثر و بيان الصحيح من الضعيف من المدرج كما ضعف هذا الأثر الشيخ العلامة المحدث سليمان العلوان والعلامة المحدث الشيخ عبد الله السعد والعلامة حمود بن عقلا الشعيبى ،والشيخ الخضير وغيرهم كثير من علماء السلف الصالح فعليك ياطالب العلم اتباع الحق و ليس القائل فلا يهم من يقول الحق المهم هو الحق نفسه ، و لا تقلد تقليد الأعمى الذي لو قدته لجنة تبعك أو قدته لجهنم ما اعترض عليك

إنا نرى التقليد داء قاتلا حجب العقول عن الطريق الأرشد
جعل الطريق على المقلد حالكا فترى المقلد تائها لايهتدي
لذا بدأنا في اجتثاث جذوره من كل قلب خائف متردد
ولسوف ندمل داءه وجراحه بمراهم الوحي الشريف المرشد

ذكر الطرق التي جمعها علي الحلبي في رسالته والكلام عليها .

الطريق الأولى والثانية :

قال أبو مروان :قال ابن جرير الطبري: حدثنا هناد حدثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع قال: حدثنا أبى عن سفيان عن معمر بن راشد عن ابن طاووس عن أبيه عن ابن عباس في قوله تعالى: ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون. قال هي به كفر ، وليس كفرا بالله وملائكته وكتبه ورسله.

قلت: هذا إسناد صحيح. والظاهر من هذه الطريق أن الكلام كله من قول ابن عباس رحمه الله. وقد اغتر بها الكثير لصحة الإسناد ، وخفي عليهم الإدراج الذي بينته رواية عبد الرزاق الآتية :

قال الإمام عبد الرزاق: اخبرنا معمر عن ابن طاووس عن أبيه قال: سئل ابن عباس عن قوله (..فأولئك هم الكافرون) قال: هي به كفر .

قال ابن طاوس: وليس كمن كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله .

فثبت من هذه الرواية الصحيحة التصريح بأن قوله: وليس كمن كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله مدرجة من قول ابن طاوس لا من كلام ابن عباس كما قد يفهم من ظاهر رواية - سفيان عن معمر

قال الحافظ الذهبي: المدرج هو ألفاظ تقع من بعض الرواة متصلة بالمتن لا يبين للسامع إلا أنها من صلب الحديث ويدل دليل علي أنها من لفظ راوي ، يأتي الحديث من بعض الطرق بعبارة تفصل هذا من هذا .

وما قرره الذهبي في هذه القاعدة واضح في أثرنا هذا وهو خير مثال لها. فطريق سفيان عن معمر توهم السامع أن الكلام كله لعبد الله بن عباس ولكن دل دليل آخر وهو طريق عبد الرزاق عن معمر أن هناك ألفاظ مدرجة وهي قوله قال ابن طاوس: وليس كمن كفر بالله وملائكته و... فجاءت هذه العبارة تفصل

هذا من هذا .

أضف إلى ذلك أن عبد الرزاق أثبت وأتقن الناس في معمر ، بل القول قوله عند الاختلاف .

قال يعقوب بن شيبة: (عبد الرزاق أثبت في معمر جيد الإتقان

وقال ابن عسكر: سمعت أحمد بن حنبل يقول: (إذا اختلف أصحاب معمر فالحديث لعبد الرزاق

فكان علَى علِي الحلبي أن يتنبه لذلك فإنه واضح لا يخفى على طلبة هذا الفن. فإن صحة الخبر لا تتوقف على عدالة الرواة وضبطهم ، إنما تعرف بجمع الطرق والروايات ثم النظر في العلل مثل الاختلاف في الوصل والقطع والرفع والوقف أو دخول حديث في حديث إلي غير ذلك .

يقول الحافظ العراقي: وتدرك العلة بتفرد الراوي ومخالفته غيره مع قرائن تنضم إلي ذلك يهتدي الجهبذ- أي الناقد- بذلك إلي اطلاعه على إرسال في الموصول أو وقف في المرفوع أو دخول حديث في حديث أو وهم واهم أو غير ذلك .

قال الإمام السخاوي- عن أسباب العلل: تدرك بعد جمع طرق الحديث والفحص عنها بالخلاف من راوي الحديث لغيره ممن هو أحفظ وأضبط وأكثر عدداً عليه والتفرد بذلك وعدم المتابعة عليه مع قرائن قد يقصر التعبير عنها تضم لذلك يهتدي بمجموعها جهبذها أي الحاذق في النقل في النقد من أهل هذه الصناعة- لا كل محدث- إلى إطلاعه على : تصويب إرسال- يعني خفي -ونحوه لما قد وصل أو تصويب وقف مما كان يرفع أو تصويب فصل متن أو بعض متن دخل درجا في متن غيره وكذا بإدراج لفظة أو جملة ليست من الحديث فيه ...

فهذه هي طرائق المحدثين ومنهجهم وقواعدهم لمعرفة صحة الحديث وسقمه ، ليس الاكتفاء بترجمة رجال الإسناد ومعرفة مراتبهم فإن هذا معرفته هينة لأن الثقاة والضعفاء قد دونوا في كثير من التصانيف وقد اشتهرت بشرح أحوالهم التواليف .

قال أبو مروان: فالأمر في هذا الأثر ليس كما قال علي الحلبي: (وقد وردت هذه الجملة من كلام ابن عباس نفسه في السند الآتي)

بل قد ثبت أن قول ابن عباس هو: هي به كفر. أما باقي الألفاظ فهي من كلام عبد الله بن طاوس كما ثبت ذلك باتباع طرق أئمتنا ومحدثينا ، وهذا لا يخفى على من له أدنى علم بهذا الفن. والله تعالى أعلم بالصواب .

الطريق الثالثة :

قال الحافظ ابن نصر: حدثنا مُحَمَّد بن يحي حدثنا عبد الرزاق عن سفيان عن رجل عن طاوس عن ابن عباس في قوله (.. فأولئك هم الكافرون) قال : كفر لا ينقل عن الملة .

والإسناد ضعيف لإبهام الرجل .

أما قول علي الحلبي: (لكنه حسن في الشواهد) ليس بحسن منه لأنه حاد عن قواعد المحدثين في ذلك وكما قدمنا أن البحث لا يقتصر على تراجم الرجال ولكنه البحث عن العلل وهذا هو عمل أهل هذا الفن. فقد ورد هذا الأثر من رواية أخرى مخالفة لهذه الطريق :

قال ابن جرير الطبري حدثنا الحسن بن يحي قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن رجل عن طاوس في قوله تعالى (... فأولئك هم الكافرون) قال كفر لا ينقل عن الملة .

فجعلها من كلام طاوس لا من كلام ابن عباس ؛ فكان على علي الحلبي أن يأتي بهذه الرواية في رسالته فإنه لم يشر إليها. ثم عليه الترجيح فيما هو الثابت من هذا الاختلاف ، مع أننا نعلم انه قد وقف على هذه الرواية لأنه ذكر في رسالته رواية قبلها ورواية بعدها من تفسير ابن جرير الطبري ، فمن الأمانة العلمية أن يثبتها في رسالته لأنها ترد على قوله (لكنه حسن في الشواهد) أو نعتذر له بأنها خفيت عليه لاستعجاله في النشر .

قال أبو مروان: والاختلاف الحاصل في الطريقين إما أن يكون من عبد الرزاق رواه مرة من كلام ابن عباس ومرة من كلام طاوس وإما أن يكون من الذين سمعوا الأثر من عبد الرزاق على كلٍ فكلا الإسنادين ضعيف لنفس العلة. ولعل الصواب ترجيح الطريق التي فيها أن الأثر من كلام طاوس لا من كلام ابن عباس ، وقد ثبت ذلك مبيناً بإسنادٍ صحيح .

قال ابن جرير الطبري: حدثنا هنادٌ قال ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن سعيد المكي عن طاوس في قوله تعالى (.. فأولئك هم الكافرون) قال: ليس بكفرٍ ينقل عن الملة .

وهذا إسناد صحيح ولعل الرجل المبهم في رواية عبد الرزاق هو سعيد المكي نفسه وهو ابن حسان المخزومي وثقه ابن معين والنسائي وأبو داود .

فثبت من ذلك أن الكلام لـطاوس رحمه الله وليس لابن عباس كما هو واضح . أما قول علي الحلبي: (فمن الممكن أنه تلقاه عمن سمعه منه ثم أفتى به) فكأنه جعل الأثر مروياً من طريقٍ عن ابن عباس ثم من طريق أخرى عن طاوس. فإن من الخطأ أن يدرس إسناداً من هذه الأسانيد مستقلاً كما فعل. ثم حكم الحلبي

على أنه صحيح عن طاوس وجعل إسناد عبد الرزاق الأول حسناً في الشواهد !!وهذا خطأ يقع فيه الكثير من الباحثين. إذ أن الحديث لكي يصح يلزم- فضلاً عن صحة إسناده- السلامة من العلل كما قدمنا ، فإن هذا الأثر مخرجه واحد وألفاظه واحدة فوصله إلى ابن عباس ووقفه على طاوس من العلل القادحة في الأثر كما قدمنا من منقولات أهل العلم وهي كثيرة فعلى العالم العارف بالعلل أن يرجح الصواب من هذا الاختلاف .

ولكن كما قلنا أن رسالته هذه لا تمِتُّ لعلم العلل بصلة ، بل هي تراجم لرواة الإسناد .

الطريق الرابعة :

قال الحافظ ابن نصر: حدثنا يحي ابن يحي ثنا سفيان بن عيينة عن هشام- بن حجير- عن طاوس عن ابن عباس في قوله تعالى (فأولئك هم الكافرون) قال : ليس الكفر الذي يذهبون إليه .

وهذا الإسناد رجاله ثقاتٌ غير هشام بن حجير المكي. فقد ضعفه الأئمة الجبال :

قال علي بن المديني قرأت على يحي بن سعيد: ثنا بن جريج عن هشام بن حجير حديثا ، قال يحي بن سعيد: خليق أن أدعه. قلت :أضرب على حديثه ؟ قال: نعم .

قال بن عدي كتب إلي مُحَمَّد بن الحسن: ثنا عمرو بن علي سمعت يحي سئل عن حديث هشام بن حجير فأبى أن يحدث به ولم يرضه .

قال عبد الله بن أحمد: سألت يحي عن هشام بن حجير فضعفه جداً .

وقال سمعت أبي يقول: هشام بن حجير مكيٌ ضعيف الحديث .

قال أبو حاتم: يكتب حديثه .

وذكره العقيلي في الضعفاء .

ومع تضعيف هؤلاء الجبال الرواسي لـهشام بن حجير تعلق البعض بتوثيق بعض الأئمة له ، فمن هؤلاء الأئمة ابن حبان ، وابن سعد ،وابن شاهين والعجلي .

أما ابن سعد فلا يعتمد توثيقه إذا خالف الأئمة لأنه يعتمد على الواقدي ومادته في الطبقات منه في الغالب والواقدي ليس بمعتمد .

وأما ابن حبان والعجلي فمشهوران بالتساهل في توثيق المجاهيل ويؤخذ بتوثيقهم لغير المجاهيل لكنهما في هشام قد خالفا أئمة الجرح والتعديل وأساطين هذا الفن وركائز علم العلل ومعرفة الرجال. لذا قال عنه الحافظ ابن حجر: (صدوق له أوهام) ولم يجعله في مرتبة من يقبل حديثه لو انفرد ، فكيف يعارض بقول ابن حبان والعجلي وابن شاهين في رجلٍ ضعفه أحمد بن حنبل ، ويحي بن معين ، وتركه يحي بن سعيد ، وضرب علي بن المديني على حديثه. وتمسك البعض بأنه من رجال الصحيحين وهذا تمسك فاسد لأنه لم يروِ له البخاري ولا مسلم إلا مقروناً بغيره من الثقات ولم يحتجا به في الأصول فالقول فيه ما قاله الإمام أبو حاتم: (يكتب حديثُهُ). أي ليتابع به ، فإن حديثه يصلح في الشواهد. أما في هذا الأثر فالراجح أنه لم يتابع عليه بل انفرد بهذه الرواية لأنا لم نجد من يتابعه ولم نجزم بذلك إلا بعد أن وقفنا على قول الإمام سفيان بن عيينة في روايته عن هشام .

روى العقيلي في الضعفاء عن ابن عيينة قال :لم نأخذ منه إلا ما لا نجد عند غيره .

أي كل ما رواه سفيان عن هشام فهو من ما انفرد به وإلا لأخذه من غيره فثبت بذلك ضعف قول علي بن حسن الحلبي: (وعلى هذا فإن الأخبار الأخرى الواردة عن ابن عباس بالأسانيد الثابتة في معني الخبر نفسه تقوي خبره هذا ولا ترده كما سيأتي فهو حسن لغيره على أقل الأقوال

ثم رد الحلبي على بعض الأفاضل الذي أرسل إليه رداً على تصحيحه للأثر بأن قال: (لكن لي عليه بعض الملاحظات أهمها أنه- حفظه الله- لم يشر إلى مسألة الشواهد الواردة في معنى هذا الخبر الذي اجتهد في تضعيفه

ونقول بل هو الذي اجتهد في تصحيح هذا الأثر فقد بحث وبحث ليخرج له شواهد يَتَعَضَّدُ بها فإليك هذه الشواهد التي ذكرها بعد أن قال) :كما سيأتي

الطريق الخامسة :

روى الحاكم من طريق علي بن حرب عن سفيان به بلفظ: (إنه ليس بالكفر الذي يذهبون إليه ، إنه ليس كفراً ينقل عن الملة (فأولئك هم الكافرون) كفر دون كفر). وزاد بعضهم (وظلم دون ظلم وفسق دون فسق

وهذه الطريق أيضا من رواية هشام بن حجير ، وهي ضعيفة كما قدمنا ، ولا أدري بعد أن جعلها طريقا آخر خامسا للأثر أجعلها شاهداً للطريق الرابعة أم لا ؟!

فإنه قال: (كما سيأتي). فإن كان كذلك فيكون هذا من الطرائف أن يشهد ابن حجير لابن حجير !!

ثم إن هذه الرواية ملفقة من عدة روايات مما يدل على الوهم والخطأ الذي وقع فيها فإنها جمعت كل الألفاظ سابقة الذكر .

الطريق السادسة :

قال ابن جرير الطبري حدثنا المثنى ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى) فأولئك هم الكافرون) قال من جحد ما أنزلت فقد كفر ومن أقر به ولم يحكم فهو ظالم فاسق .

عبد الله بن صالح هو: ابن مُحَمَّد بن مسلم الجهني المصري كاتب الليث بن سعد وهو ضعيف .

قال عبد الله بن أحمد: سألت أبي عن عبد الله بن صالح كاتب الليث بن سعد فقال كان أول أمره متماسك ثم فسد بآخره وليس هو بشيء ،

قال ابن المديني: لا أروي عنه شيئاً ،

وقال النسائي: ليس بثقة ،

قال أحمد بن صالح: متهم ليس بشيء ،

قال صالح جزرة: كان ابن معين يوثقه وهو عندي يكذب في الحديث ،

قال أبو زرعة :لم يكن عندي ممن يتعمد الكذب وكان حسن الحديث .

قال أبو حاتم: صدوق أمين ما علمته .

وقد كثر الكلام في عبد الله بن صالح منهم من جعله كذابا ومنهم من ضعفه ومنهم من حسن حديثه ، وجامع القول فيه ما قاله الإمام ابن حبان- وهو من أهل الاستقراء التام-: كان في نفسه صدوقا إنما وقعت له مناكير في حديثه من قبل جار له فسمعت ابن خزيمة يقول: كان له جار بينه وبينه عداوة كان يضع الحديث على شيخ أبي صالح ويكتبه بخط يشبه خط عبد الله ويرميه في داره بين كتبه فيتوهم عبد الله أنه خطه فيحدث به. ولذلك قال عنه الحافظ ابن حجر: صدوق كثير الغلط ثبت في كتابه فيه غفلة .

وقال عنه الذهبي: فيه لين .

وفي الإسناد كذلك علي بن أبي طلحه: واسمه سالم بن المخارق الهاشمي .

قال احمد بن حنبل: علي بن أبي طلحه له أشياء منكرات .

قال النسائي: ليس به بأس .

قال العجلي: ثقة. وذكره ابن حبان في الثقات .

قال الآجرى عن أبي داود: هو إن شاء الله مستقيم الحديث .

قال يعقوب عن سفيان: ضعيف الحديث منكر ليس مجود المذهب. وقال شامي ليس هو بمتروك ولا حجة. وأما عن روايته عن ابن عباس فهي منقطعة فإنه لم يسمع منه قال ابن أبي حاتم: سمعت أبي يقول سمعت دحيماً يقول: أن علي بن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس التفسير .

قال ابن حبان: روى عن ابن عباس ولم يره .

وقال الحافظ بن حجر: أرسل عن ابن عباس ولم يره .

قال ابن أبي حاتم: سمعت أبي يقول: علي بن أبي طلحة عن ابن عباس مرسل إنما يروي عن مجاهد والقاسم بن مُحَمَّد وراشد بن مُحَمَّد ومُحَمَّد بن يزيد .

وقال الذهبي: أخذ تفسير ابن عباس عن مجاهد فلم يذكر مجاهدا بل أرسله عن ابن عباس. فإن صح أنه أخذ هذا الأثر عن مجاهد فقد يكون موصولاً. أما محاولة الحلبي جعل هذه الطريق شاهدا لطريق هشام بن حجير فهذا بعيد جدا لضعفها الشديد .

الطريق السابعة والثامنة :

ثم ذكر علي بن حسن الحلبي طريقين ليقوى بهما طريق هشام بن حجير فإنه قال (كما سيأتي)

عن ابن عباس قال: نعم القوم أنتم إن كان من حلو فهو لكم وما كان من مرٍ فهو لأهل الكتاب ، كأنه يرى أن ذلك ليس في المسلمين (فأولئك هم الكافرون)

قال الحلبي: ولم أقف على سنده !!

والطريق التي ختم بها الحلبي رسالته هي :

ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون.. الظالمون.. الفاسقون قال ابن عباس إنما أنزل الله في اليهود خاصة .

قال الحلبي : ولم أقف على سنده !!

وإيراده لهذين الطريقين من باب الحشو وتكثير الطرق حتى يوهم القراء أن لهذا الأثر طرقٌ عدة فبمجموعها يصير الأثر صحيحا. كما لبس عليهم آنفا بقوله (وعلى هذا فإن الأخبار الأخرى الواردة عن ابن عباس بالأسانيد الثابتة!! في معنى الخبر نفسه تقوي خبره هذا ولا ترده كما سيأتي!! فهو حسنٌ لغيره على أقل الأحوال .)

وهذان الطريقان لم يقف على إسناديهما كما قال فلا يدخلان في قوله (الأسانيد الثابتة) ولا يُقوى بهما خبر هشام بن حجير المتقدم فأين هذه (الأسانيد الثابتة) التي جعلت الخبر حسناً لغيره !!فهو مطالبٌ بإيراد هذه (الأسانيد الثابتة) أو حتى الضعيفة التي تصلح أن تقوي خبر هشام بن حجير وإلا ضرب بقوله هذا عرض الحائط .

خاتمة :

في بيان ما ثبت عن ابن عباس في تفسير هذه الآية

اعلم أخي وفقني الله وإياك أنه لم يثبت عن عبد الله بن عباس في تفسير هذه الآية إلا ما رواه الإمام عبد الرزاق قال :

أخبرنا معمر عن بن طاوس عن أبيه قال: سئل ابن عباس عن قوله تعالى: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) قال: هي به كفر .

وأن كل الألفاظ التي تنسب إليه ما عدا ذلك لم تثبت بأسانيد صحيحة ، أو أن تكون مدرجة من أقوال الرواة كما بيناها في أصل هذا الجزء .

وبهذا نكون قد أتممنا بحمد الله وعونه بيان ضعف هذه المقولة التي نسبت له ، ورفعنا الإلتباس الذي وقع لبعض الناس وبينا ما جاء في رسالة علي بن حسن المسماة بـ(القول المأمون) من الأخطاء الحديثية وفق منهج المحدثين وما قرروه من القواعد الثابتة الصحيحة . والله أعلم بالصواب.

المبحث الثامن

" ثمرة الكفر بالطاغوت "

تتجلي ثمرة الكفر بالطاغوت بجميع أشكاله في : -

١- تطهير القلب والنفس من الأرجاس والأنجاس فقد وصف الله عز وجل الاوثان بأنها رجس " قال سبحانه " فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ " (الحج : ٣٠) — كما وصف الله عز وجل المشركين بأنهم نجس قال عز من قائل " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا " (التوبة :٢٨) .

وقد ثبت عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول " لأخرجن اليهود و النصاري من جزيرة العرب حتي لا أدع إلا مسلماً " رواه مسلم .

٢- التحرر من عبودية الطواغيت سواء عبودية العباده ، كما قال سبحانه وتعالي " وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ " (الزمر : ١٧) أم عبودية القهر والتسلط ، كما قال سبحانه وتعالي " وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل " (وهذا خطاب موسي صلي الله عليه وسلم لفرعون).

٣- وإذا تحقق ذلك كله تهيأ الانسان الذي كفر بالطاغوت بجميع المعاني السابقة إلي الثمرة العظمي والسعاده الكبري فما هي ؟

الولاء والبراء والكفر بالطاغوت .

إن قضية الولاء والبراء هي من القضايا الهامة والاساسية في دين الله عز وجل ، وذلك لما يترتب علي هذه القضية من أحكام وواجبات وتبعات خطيرة علي واقع جماعة المسلمين ، لذلك تجد أن النصوص الشرعية المستفيضة من الكتاب والسنة والاجماع قد ذكرت في بيان هذه القضية بياناً واضحاً لا لبس فيه وذلك لأن الولاء من لوازم لا إله إلا الله .

" الولاء والبراء من لوازم "لا إله إلا الله "

" لما كان أصل الموالاة :- الحب . وأصل المعاداه : البغض ، وينشأ منهما من أعمال القلوب والجوارح ما يدخل في حقيقة الموالاه والمعاداه كالنصرة والانس والمعاونة ،وكالجهاد والهجرة ، ونحو ذلك " (١) فإن الولاء والبراء من لوازم لا إله إلا الله .

وأدلة ذلك كثيرة من الكتاب والسنة . وأما الكتاب فمن ذلك قوله تعالي " لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ۗوَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ. " (ال عمران : ٢٨)

ويقول تعالي " قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ(٣١) قُلْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ فإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ(٣٢) " (ال عمران : ٣١ – ٣٢)

ويقول تباركت اسماؤه عن أهداف أعداء الله :-

" وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ۖ فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ: (النساء : ٨٩)

وقال تعالي " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ " (المائدة : ٥١)

ويقول عز وجل " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ " (المائده :٥٤)

أما الاحاديث والأثار فكثيرة واذكر منها :-

١- ما رواه الامام أحمد عن جرير بن عبد الله البجلي أن رسول الله صلي الله عليه وسلم بايعه علي أن " تنصح لكل مسلم ، وتبرأ من الكافر " (٢)

٢- روي ابن شيبه بسندة قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم" أوثق عري الإيمان الحب في الله والبغض في الله " (٣)

٣- روى الطبراني في " الكبير " عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال " أوثق عري الإيمان الموالاه في الله والمعاداة في الله ، والحب في الله والبغض في الله.(٤)

٤-أخرج ابن جرير و مُحَمَّد بن نصر المروزي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : من أحب فى الله وأبغض في الله ،ووالي في الله وعادي في الله ، فإنما تنال ولاية الله بذلك ، ولن يجد عبد طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه حتي يكون كذلك ، وقد صارت مؤاخاه الناس علي أمر الدنيا وذلك لا يجدي علي أهله شيئاً " (٥)

---

(١)الرسائل المفيده للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ (ص٢٩٦)(٢)المسند لامام أحمد ج٣٥٧/٤"

(٣)"الايمان لابى بكر عبد الله بن أبي شيبه تحقيق الالباني واخرجة الطبراني . (٤) ذكر السيوطي في "الجامع الصغير " (٦٩/١) حسنة الالباني (٥) " حلية الأولياء (٣١٢/١) ابن عباس"

يقول الشيخ سليمان بن عبد الله بن مُحَمَّد بن عبد الوهاب في شرح قول ابن عباس هذا :-

" قوله " : ووالي في الله " هذا بيان للازم المحبة في الله ، وهو المولاه فيه ، إشارة إلي أنه لا يكفي في ذلك مجرد الحب ، بل لابد مع ذلك من الموالاه التي هي لازم الحب . وهي النصرة والإكرام والإحترام والكون مع المحبوبين باطناً وظاهراً . وقوله " وعادي في الله " هذا بيان للازم البغض في الله ، وهو المعاداه فيه أي إظهار العداوه بالفعل كالجهاد لأعداء الله ، والبراءه منهم ، والبعد عنهم باطناً وظاهراً . إشاره إلي أنه لا يكفي مجرد بغض القلب ، بل لا بد مع ذلك من الإتيان بلازمه كما قال تعالي " قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَؤُا مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ " (الممتحنة:

قلت ومما سبق يتضح أن الولاء في الله هو :- محبة الله ونصرة دينه ، ومحبة أوليائه ونصرتهم ، والبراء هو: بغض أعداء الله ومجاهدتهم . وعلي ذلك جاءت تسمية الشارع الحكيم للفريق الاول :- بـ" أولياء الله" والفريق الثاني " أولياء الشيطان " قال تعالي " اللَّهُ وَلِيُّ الذين أَمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إلى النُّورِ وَالذين كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إلى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ " (البقرة : ٢٥٧)

وقال تعالي " الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ ۖإِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا " (النساء : ٧٦)

وأعلم أن الله سبحانه وتعالي لم يبعث نبياً بهذا التوحيد إلا جعل له أعداء كما قال تعالي " وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا " (الانعام :١٢) "١"

"و قد يكون لأعداء التوحيد علوم كثيرة ، وكتب وحجج كما قال تعالي "
" فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (غافر : ٨٣)
" والواجب علي المسلم أن يتعلم من دين الله ما يصير له سلاحاً يقاتل به هؤلاء الشياطين ، ومن ثم لا خوف ولا حزن لأن " إن كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا " (النساء : ٧٦)

" والعامي من الموحدين يغلب الألف من علماء المشركين كما قال تعالي :- " وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ " (الصافات : ١٧٣)

" فجند الله هم الغالبون بالحجة واللسان ، كما أنهم الغالبون بالسيف والسنان " (٢)

---

(١)"تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد "ص٤٢٢"
(٢)اكتشاف الشبهات " للامام محمد بن عبد الوهاب (ص ٢٠)

قلت : ومن هنا نتعلم يقيناً أن قضية الولاء والبراء هي قضية شرعيه محسومة في دين الله بالإدلة الشرعيه قطعية الدلالة والثبوت فهي خرجت عن حيز الإجتهاد والرأي بحيث لا يمكن لأحد أن يحرف أو يميع هذه القضيه العقديه الخطيرة أو يتكلم فيها بالجهل والهوى . ولذا كانت قضية الولاء والبراء هي الركن الركين في دين الله لا يستقيم الإسلام أو يتحقق التوحيد أو يكتمل الإيمان إلا بحصولها في واقع المسلمين .

يقول شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله تعالي " هذا الموضع غلط فية كثير من العامه ، بل ومن السالكين ، فمنهم من يشهد القدر فقط ويشهد الحقيقة الكونية دون الدينية ، فيري أن الله خالق كل شئ وربه ، ولا يفرق بين ما يحبه الله ويرضاه وبين مايسخطه ويبغضه ، وإن قدره وقضاه ولا يميز بين توحيد الألوهية وبين توحيد الربوبيه ، فيشهد الجمع الذي يشترك فيه جميع المخلوقات سعيدها وشقيها مشهد الجمع الذي يشترك فيه المؤمن والكافر ، والبر والفاجر والنبي الصادق والمتنبئ الكاذب ، وأهل الجنة و أهل النار و أولياء الله و أعداؤه ، و الملائكة المقربون و المردة الشياطين ، فإن هؤلاء كلهم يشتركون في هذا الجمع وهذه الحقيقة الكونيه ، وهو أن الله ربهم وخالقهم ومليكهم لا رب لهم غيره ، ولا يشهد الفرق الذي فرق الله به بين أوليائه وأعدائه ، وبين المؤمنين والكافرين والأبرار والفجار ،وأهل الجنة والنار وهو توحيد الألوهيه ، وهو عبادته وحده لا شريك له ، وطاعته وطاعة رسوله و فعل مايحبه ويرضاه وهو ما أمر الله به ورسوله أمر إيجاب ،أو أمر أستحباب و ترك ما نهى الله عنه و رسوله ،وموالاه أوليائه ومعاداة أعدائه و الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ،وجهاد الكفار والمنافقين بالقلب واليد واللسان ، فمن لم يشهد هذه الحقيقة الدينية ،الفارقه بين هؤلاء و هؤلاء ، و يكون مع أهل الحقيقه الدينيه و إلا فهو من جنس المشركين ، و هو شر من اليهود و النصارى ....و أما الذى يشهد الحقيقه الدينيه ، وتوحيد الربوبية الشامل للخليقة ، ويقر أن العباد كلهم

تحت القضاء والقدر ، ويسلك هذه الحقيقة ، فلا يفرق بين المؤمنين والمتقين الذين أطاعوا أمر الله الذى بعث به رسله و بين من عصى الله ورسوله من الكفار والفجار ، فهؤلاء أكفر من اليهود والنصاري " أ هـ مجموع الرسائل والمسائل (٧/١)

وقال العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ رحمه الله :

" والمرء قد يكره الشرك ، ويحب التوحيد لكن يأتيه الخلل من جهه عدم البراءة من أهل الشرك ، وترك موالاة أهل التوحيد أصولاً وشعباً ، لا يستقيم معها إيمانه الذي ارتضاه ، فلا يحب ولا يبغض لله ، ولا يعادي ولا يوالي لجلال من انشأة وسواه ، وكل هذا يؤخذ من شهادة لا إله إلا الله (١)

ومن هنا نعلم يقيناً أن المرء لا يثبت له حكم الأسلام إلا بتحقيق أصل الولاء والبراء في واقع حياته العملية ، لأن هذه القضية هي الاساس في التفريق بين التوحيد والشرك والإيمان والكفر .

يقول شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله : " إنما يصير الرجل مسلماً حنيفاً موحداً إذا شهد أن لا إله إلا الله فعبد الله ووحده بحيث لا يشرك معه احداً في تألهه ، ومحبته له وعبوديته ، وإنابته إليه ،وإسلامه له ، ودعائه له ،و التوكل عليه ، وموالاته فيه ، ومعاداته فيه ، ومحبته مايحب ، وبغضه ما يبغض " أ هـ (١)

---

(١)الدرر السنية (٣٩٦/٨)

(2)مجموع الفتاوي (١٦٤/٨)

ولذا كان من لوازم شهاده " أن لا إله إلا الله " أن يتولي أهل الإيمان بعضهم بعضاً برابطة الإسلام منفصلين في ذلك عن الكفار والمشركين علي اختلاف مللهم الكفريه ، ومتي لم يقوموا بهذا الواجب الشرعي تكن فتنة في الأرض وفساد كبير ، ويقول الله تعالي : وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ " سورةالانفال : ٧٣

قال الشيخ مُحَمَّد بن عبد اللطيف آل الشيخ رحمه الله في تفسير هذه الايه الكريمة :(قال بعض العلماء الفضلاء الفتنة في الأرض الشرك والفساد الكبير اختلاط المسلم بالكافر ، والمطيع بالعاصي ، فعند ذلك يختل نظام الإسلام وتضمحل حقيقة التوحيد ، ويحصل من الشر ما الله به عليم ، فلا يستقيم الإسلام ويقوم قائم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ويرتفع علم الجهاد ، إلا بالحب في الله ، والبغض في الله ، وموالاة أوليائه ، ومعاداة أعدائه ، والايات الدالة علي ذلك أكثر من أن تحصر ، وأما الاحاديث ، فاشهر من أن تذكر)

والمقصود بيان أن من أكبر أسباب حصول الفتنة و الفساد في الأرض هو ترك موالاة المؤمنين واتخاذ الكفار أولياء ، فعندها يختل نظام الإسلام ويقع الشر والبلاء وهكذا فإنه لما هدمت قواعد الدين ، وطمست أثار التوحيد واندثرت معالم ملة إبراهيم عليه السلام في هذا الزمان الذي اشتدت فيه غربة الدين وعادت فيه الجاهلية ، وانقلبت فيه الحقائق الشرعية عند الأكثرين حتي عاد المعروف عندهم منكراً والمنكر معروفاً ، فاختلط أهل الإيمان بأهل الكفر ، والتبست الملة الإسلامية بالملل الشركية ، واختل ميزان الحب والبغض والولاء والبراء عند كثير من المنتسبين إلي الإسلام فصاروا يوالون الكفره المشركين ويحبونهم ويقربونهم ، ويتبرأون من المؤمنين الموحدين ويبغضونهم ويبعدونهم .

وقد ساعد علي ظهور هذه الفتنة وتثبيت أوتادها كثير من أدعياء العلم والتوحيد من المنتسبين إلي السلفية زوراً و كذباً الذين نراهم يصدرون الفتاوي الضالة المضله يتبرأون فيها من الموحدين والمجاهدين ويعتبرونهم من خوارج هذا العصر بينما يوالون الحكام الكفرة الذين يحاربون الله ودينه ويسعون في الأرض فساداً ، ويفرضون الدساتير العلمانية ويحكمون بالقوانين الوضعية ويتسابقون في سياسة التطبيع مع اسرائيل ويقفون في صف الصليبين لقتال المسلمين ، فعظمت الفتنة وظهر الفساد في البر والبحر واصبح الدين الحق غريباً وأهله المتمسكين به هم الغرباء ولا حول ولا قوة الا بالله .

ولذا كان من الضروري علي المسلم في هذا العصر أن يتنبه إلي خطورة الانحراف الحاصل في قضية الولاء والبراء حتي لا تلتبس عليه الحقائق الشرعية والواقعية أو يختلط عليه سبيل المؤمنين بسبيل المجرمين فيضع الأمور في غير موضعها الصحيح .

يقول شهيد الإسلام سيد قطب رحمه الله عن ضرورةالتفريق بين المسلمين والكفار " إن سفور الكفر والشر والأجرام ضروري لوضوح الإيمان والخير والصلاح ، واستبانة سبيل المجرمين هدف من اهداف التفصيل الرباني
.... ذلك أن أي غبش أو شبهة في موقف المجرمين وفي سبيلهم ترتد غبشاً وشبهة في موقف المؤمنين وفي سبيلهم ..... فهما صفحتان متقابلتان وطريقان مفترقان ولا بد من وضوح الالوان والخطوط ، ، ، ومن هنا يجب أن تبدأ كل حركة إسلامية بتحديد سبيل المؤمنين وتعريف سبيل المجرمين ووضع العنوان المميز للمؤمنين والعنوان المميز للمجرمين في عالم الواقع لا في عالم النظريات .

فيعرف أصحاب الدعوة الإسلامية والحركة الإسلامية من هم المؤمنين ممن حولهم ومن هم المجرمين بعد تحديد سبيل المؤمنين ومنهجهم وعلامتهم ،وتحديد سبيل المجرمين ومنهجهم وعلامتهم ، بحيث لا يختلط السبيلان ولا يتشابه العنوان ، ولا تلتبس الملامح والسمات بين المؤمنين والمجرمين وهذا التحديد كان قائماً ، وهذا الوضوح كان كاملاً، يوم كان الإسلام يواجه المشركين في الجزيرة العربية ، فكانت سبيل المسلمين الصالحين هي سبيل رسول الله صلي الله عليه وسلم ،ومن معه ، وكانت سبيل المشركين المجرمين هي سبيل من لم يدخل معهم في هذا الدين ..... يجب أن نبدأ الدعوة إلي الله باستبانة سبيل المؤمنين وسبيل المجرمين ويجب

ألا تأخذ أصحاب الدعوة إلي الله في كلمة الحق والفصل هوادة ولا مداهنه ، وألا تأخذهم فيها خشية ولا خوف ، وألا تقعدهم عنها لومة لائم ،ولا صيحة صائح (١)

يقول شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله :" فإن تحقيق الشهادة بالتوحيد يقتضي ألا يحب إلا الله ولا يبغض إلا لله ولا يوالي إلا لله ، ولا يعادي إلا لله ،وأن يحب ما يحبه الله ، ويبغض ما أبغضه الله ،ويأمر بما أمر الله به وينهي عما نهي الله عنه ، وإنك لا ترجو إلا الله ،ولا تخاف إلا الله ، ولا تسأل إلا الله ، وهذه ملة إبراهيم ،وهذا الإسلام الذي بعث الله به جميع المرسلين " (٢)
ومن هنا يتضح لنا بجلاء أن الولاء والبراء هو من توحيد الألوهية والعبادة ،ولذلك كان داخل في أصل الدين كما قرر ذلك الائمة وسلف الامة .

يقول شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله :" أصل الدين أن يكون الحب لله والبغض في الله والمالاة لله والمعاده لله والعبادة لله .... وهذا إنما يكون بمتابعة رسول الله صلي الله عليه وسلم الذي أمره أمر الله ونهيه نهي الله ومعاداته معاداه الله وطاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله "(٣)

وقال العلامة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رحمه الله :" وأصل دين الإسلام معرفة الشرك والبراءه منه وإنكار ومعاداة أهله ، ومعرفة التوحيد علي الحقيقة وقبوله ومحبته وموالاة أهله .(٤)

---

(١)"كتاب ظلال القرآن للشيخ العلامه سيد قطب
(٢)"مجموع الفتاوى(١٦٤/٨)
(٣)منهاج السنة النبوية (٦٤/٣)
(٤)مجموعة الرسائل و المسائل (٥٩/٢)

ومن هذه النقول الواضحة لشيخ الإسلام ابن تيميه والعلامة عبد الرحمن حسن آل الشيخ رحمهما الله تعالي يتبين لنا بجلاء خطأ قول المرجئة والجهمية الجدد في زعمهم أن الولاء والبراء ليس من أصل الدين .

إن الولاء والبراء أوثق عري الإيمان كما قال صلي الله عليه وسلم " أوثق عري الإيمان المواله في الله والمعاداه في الله والحب في الله والبغض في الله "(١)

يقول الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ رحمه الله :" فهل يتم الدين أو يقام علم الجهاد ، أو علم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا بالحب في الله والبغض في الله ، والمعاداة في الله والمولاة في الله ، لو كان الناس متفقين علي طريقة واحدة ومحبة من غير عداوة ولا بغضاء ،و لم يكن فرقاناً بين الحق والباطل ، ولا بين المؤمنين والكفار ولا بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان "(٢)

وبالجملة فالحب في الله والبغض في الله أصل عظيم من أصول الدين يجب علي العبد مراعاته .

إن الولاء والبراء قائم علي الحب والبغض في الله وأصل الإيمان أن تحب في الله أنبيائه وأتباعهم وأن تبغض في الله أعداء رسله فالولاء لله هو محبة الله و نصرة دينه ومحبة أوليائه ونصرتهم والبراء هو بغض أعداء الله ومعاداتهم وتكفيرهم ومجاهدتهم بقدر الامكان .

والعباد ينقسمون إلي فريقان لا ثالث لهما :- الفريق الأول " أولياء الله " الفريق الثاني :- أولياء الشيطان "

قال تعالي " اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَالنُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِۖهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ " (سورة البقرة – ٢٥٧)

ويقول العلامه صديق حسن خان القنوجي رحمه الله معلقاً علي هذه الاية الكريمة "فالأية تقتضي أن الناس " قسمان الذين أمنوا وليهم الله تعالي أي لا غيره ، فليس لهم مولي دون الله ورسوله

صلي الله عليه وسلم . الله مولانا ولا موالي لكم ، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت فلا واسطة ، فمن اتخذ الطاغوت ولياً دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً وارتكب خطباً جسيماً فليس إلا ولي الله أو ولي الشطيان والطاغوت فلا شركة بوجه من الوجوه البته كما تقتضيه الأية "(٣)

وقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال " من أحب في الله وأبغض في الله ووالي في الله وعادي في الله فإنما تنال ولاية الله بذلك ، ولن يجد عبد طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه حتي يكون كذلك ، وقد صارت عامة مؤخاه الناس علي أمر الدنيا وذلك لا يجدي علي أهله شيئاً " (٤)

---

(١)رواه الطبراني

(٢) رسالة أوثق عري الايمان (٣٨)

(٣) العبرة مما جاء في العزو والشهاده والهجرة (٢٤٤)

(٤)رواه الامام أحمد

والولاء يكون في الأصل لله تعالي ثم الرسول صلي الله عليه وسلم وللمؤمنين تبع ، فلا يتولي المسلم غير المسلمين ولا يتولي بغير ولاية الإسلام ولا يتولي إلا تبعاً لولاية الله عز وجل ورسوله صلي الله عليه وسلم ولله وفي الله وبولاية الإسلام وليست بغير ذلك .

قال تعالي " إِنَّمَا وَلِيُّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ " (سورة المائده : ٥٥)

والبراءة من الكفار تكون ببغضهم وعداوتهم وتكفيرهم ومفارقتهم وعدم مشايعتهم علي دينهم الباطل .

قال تعالي " قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ (سورة الممتحنة :٤)

وفي الحديث عن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال اتيت رسول الله صلي الله عليه وسلم وهو يبايع فقلت : يارسول الله ابسط يدك حتي أبايعك واشترط علي فأنت أعمل : قال : أبايعك علي أن تعبد الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتناصح المسلمين ، وتفارق المشركين : (١) وبالجملة

فلايدخل العبد في الإسلام ولا يعصم دمه وماله إلا بتحقيق أصل الولاء والبراء في واقع حياته لأن موالاة الكفار ونصرتهم ومحبتهم لدينهم وإعانتهم علي المسلمين ناقض من نواقض الإسلام .

يقول الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب رحمه الله "(أعلم وفقنا الله وإياك لما يحب ويرضي أنه لا يستقيم للعبد إسلام ولا دين إلا بمعاداة أعداء الله ورسوله وموالاة أولياء الله ورسوله قال تعالي " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ " سورة التوبة : ٢٣)

قال تعالي " الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا "سورة النساء : (١٣٩)

وقال تعالي " لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ " (سورة المجادلة:٢٢

فالواجب علي من أحب نجاة نفسه وسلامة دينه ، أن يعادي من أمره الله ورسوله بعداوته ، ولو كان أقرب قريب ، فإن الإيمان لا يستقيم إلا بذلك والقيام به ، لأنه من أهم المهمات وأكد الواجبات "(١)

فالله الله أخي المسلم .... أحرص أشد الحرص علي تحقيق هذا الأصل العظيم الذي ضيعه كثير من الخلق في هذا الزمان ، وعض عليه بالنواجز وتمسك به ، واجعل ميزانك في الحب والبغض ، والولاء والبراء ، قائم علي رابطة الإيمان والإسلام ، وليس علي رابطة الأهل والعشيرة أو الطائفة أو الوطنية أو القومية أو الجنسية أو الانسانية أو غيرها من دعاوي الجاهلية التي ابتلينا بها في هذه الأيام التي اختلطت فيها المفاهيم ووقع الإلتباس بين كثير من الناس في مفهوم الإسلام والإيمان والكفر بالطاغوت ، ونتيجة ذلك ظهرت مصطلحات ومفاهيم تهدم الإسلام فظهر المسلم العلماني والمسلم الديمقراطي ، والمسلم الوطني ، والمسلم الشيوعي والمسلم الليبرالي ، والمسلم القومي البعثي !!!

---

(١)"الدرر السنيه فى الأجوبة النجدية (٣٧/٨)

وظن كثيراً من الناس أن لا حرج في كل ذلك وأنه مثل مسلم حنفي ومسلم مالكي ومسلم شافعي ومسلم حنبلي ومسلم ظاهري ، وجهل هؤلاء أن هذه العقائد الفكرية طواغيت تعبد من دون الله ودين يفارق دين الإسلام من كل وجه ، والكفر والإيمان ضدان لا يجتمعان .

الباب الثالث

المبحث الأول

الإيمان بالله و ملائكته وكتبه و رسله و اليوم الآخر و القدر خيره وشره

لما كان الأصل فى الإيمان بالله هو "التخلية قبل التحلية " أى التبرأ من الشرك و أهله ثم الإيمان بالله و ملائكته و كتبه ورسله و اليوم الآخر و القدر خيره وشره فكان من الأحرى ذكر و تفصيل التبرأ من الشرك وأهله قبل الإيمان بالله و الدليل.

قال الله تعالي :- " قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ " (الانعام : ١٩)

و قال تعالى :- " فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انفِصَامَ لَهَ "

في هذه الاية الكريمة بين الله عز وجل أن مهمة الرسل عليهم السلام كانت دعوة أممهم إلي توحيد الله والذي لا يتم إلا بالكفر بالطاغوت والإيمان بالله وحده ، الكفر بالطاغوت بجميع أشكاله وألوانه ، سواء كان شجراً أم حجراً أم بشراً أم هوا .

فلله الحمد والمنه بأننا قد بينا و فصلنا صفة وحقيقة الكفر بالطاغوت ،ومن ثم أنقل إليك أخى الكريم عقيدة أهل السنه و الجماعة فى الإيمان بالله و ملائكته و كتبه ورسله و اليوم الآخر و القدر خيره و شره من كلام أئمة السلف.

الطريق لرفع رايه التوحيد

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك الحقّ المبين ، وأشهد أن مُحَمَّداً عبده ورسوله خاتم النبيين وإمام المتقين ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يومِ الدين ، أما بعد:

فإن الله تعالى أرسل رسوله مُحَمَّداً ﷺ بالهدى ودين الحق رحمة للعالمين وقدوة للعالمين وحجة على العباد أجمعين ، بيّن به وبما أنزل عليه من الكتاب والحكمة كل ما فيه صلاح العباد واستقامة أحوالهم في دينهم ودنياهم ، من العقائد الصحيحة والأعمال القويمة والأخلاق الفاضلة والآداب العالية ، فترك ﷺ أمّته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك ، فسار على ذلك أمته الذين استجابوا لله ورسوله ، وهم خيرة الخلق من الصحابة والتابعين والذين اتبعوهم بإحسان ، فقاموا بشريعته وتمسكوا بسنّته وعضّوا عليها بالنواجذ عقيدة وعبادة وخلقاً وأدباً ، فصاروا هم الطائفة الذين لا يزالون على الحق ظاهرين ، لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله تعالى وهم على ذلك.

ونحن - ولله الحمد - على آثارهم سائرون وبسيرتهم المؤيّدة بالكتاب والسنّة مهتدون ، نقول ذلك تحدُّثاً بنعمة الله تعالى وبياناً لما يجب أن يكون عليه كل مؤمن ، ونسأل الله تعالى أن يثبتنا وإخواننا المسلمين بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، وأن يهب لنا منه رحمة إنه هو الوهاب.

ولأهمية هذا الموضوع وتفُّرق أهواء الخلق فيه ، أحببت أن أكتب على سبيل الاختصار عقيدتنا ، عقيدة أهل السنة والجماعة ، وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشرّه ، سائلاً الله تعالى أن يجعل ذلك خالصاً لوجهه موفقاً لمرضاته نافعاً لعباده.

<u>عقيدتنا :</u>

عقيدتنا: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

فنؤمن بربوبية الله تعالى ، أي بأنه الرب الخالق الملك المدبّر لجميع الأمور.

ونؤمن بأُلوهية الله تعالى ، أي بأنه الإله الحق وكل معبود سواه باطل.

ونؤمن بأسمائه وصفاته ، أي بأن له الأسماء الحسنى والصفات الكاملة العليا.

ونؤمن بوحدانيته في ذلك ، أي بأنه لا شريك له في ربوبيته ولا في ألوهيته ولا في أسمائه وصفاته ، قال تعالى: (رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً)(مريم:٦٥).

ونؤمن بأنه ((اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلا يَؤُدُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ) (البقرة:٢٥٥) .

ونؤمن بأنه (هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (الحشر: ٢٢ - ٢٤).

ونؤمن بأن الله له ملك السماوات والأرض (لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ * أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيماً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ) (الشورى:٤٩ ، ٥٠).

ونؤمن بأنه (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ * لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (الشورى: ١١، ١٢).

ونؤمن بأنه (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ)(هود:٦)

ونؤمن بأنه (وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) (الأنعام:٥٩)

ونؤمن بأن الله (إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)

(لقمان:٣٤)
ونؤمن بأن الله يتكلم بما شاء متى شاء كيف شاء (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً)(النساء: من الآية١٦٤) النساء: ١٦٤. ((وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ)(الأعراف: من الآية١٤٣) (وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيّاً) (مريم:٥٢)

ونؤمن بأنه (قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً) (الكهف:١٠٩). (وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (لقمان:٢٧)
ونؤمن بأن كلماته أتم الكلمات صدقاً في الأخبار وعدلاً في الأحكام وحسناً في الحديث ، قال الله تعالى : (وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً)(الأنعام: الآية١١٥) (وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثاً)(النساء: الآية٨٧).

ونؤمن بأن القرآن الكريم كلام الله تعالى تكلم به حقاً وألقاه إلى جبريل فنزل به جبريل على قلب النبي ﷺ (قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ)(النحل: الآية١٠٢). (وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ* نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ *عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ) (الشعراء: ١٩٢ ، ١٩٥)
ونؤمن بأن الله عز وجل عليّ على خلقه بذاته وصفاته لقوله تعالى: (وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ) (سورة البقرة من الآية:٢٥٥) ، قوله: (وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ) (الأنعام:١٨)
ونؤمن بأنه (خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ)(يونس:الآية٣). واستواؤه على العرش: علوه عليه بذاته علوّاً خاصاً يليق بجلاله وعظمته لا يعلم كيفيته إلا هو.

ونؤمن بأنه تعالى مع خلقه وهو على عرشه ، يعلم أحوالهم ويسمع أقوالهم ويرى أفعالهم ويدبِّر أمورهم ، يرزق الفقير ويجبر الكسير ، يؤتي الملك من يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الخير وهو على كل شيء قدير. ومن كان هذا شأنه كان مع خلقه حقيقة ، وإن كان فوقهم على عرشه حقيقة (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)(الشورى: الآية١١) .

ولا نقول كما تقول الحلولية من الجهمية وغيرهم: إنه مع خلقه في الأرض. ونرى أن من قال ذلك فهو كافر أو ضال ، لأنه وصف الله بما لا يليق به من النقائص.

ونؤمن بما أخبر به عنه رسوله ﷺ أنه ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول:{ من يدعوني فأستجيب له ؟ من يسألني فأعطيه ؟ من يستغفرني فأغفر له ؟ }
ونؤمن بأنه سبحانه وتعالى يأتي يوم المعاد للفصل بين العباد لقوله تعالى: (كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكّاً دَكّاً * وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً * وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى) (الفجر: ٢١ ،٢٣) .

ونؤمن بأنه تعالى (فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ) (البروج: الآية ١٦)
ونؤمن بأن إرادة الله تعالى نوعان: كونية: يقع بها مراده ولا يلزم أن يكون محبوباً له ، وهي التي بمعنى المشيئة كقوله تعالى (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ)(سورة البقرة: من الآية٢٥٣) (إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ)(سورة هود: من الآية٣٤). وشرعية: لا يلزم بها وقوع المراد ولا يكون المراد فيها إلا محبوباً له ، كقوله تعالى: (وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ)(سورة النساء:ا من لآية٢٧).

ونؤمن بأن مراده الكوني والشرعي تابع لحكمته ، فكل ما قضاه كوناً أو تعبد به خلقه شرعاً فإنه لحكمة وعلى وفق الحكمة ، سواء علمنا منها ما نعلم أو تقاصرت عقولنا عن ذلك (أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ) (سورة التين:الآية ٨) ، (وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ)(سورة المائدة: من الآية ٥٠).

ونؤمن بأن الله تعالى يحب أولياءه وهم يحبونه (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ) (سورة آل عمران: من الآية ٣١). (فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ)(سورة المائدة:من الآية ٥٤). (وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ)(سورة آل عمران: من الآية ١٤٦). (وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)(سورة الحجرات: من الآية٩)، (وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)(سورة البقرة: من الآية١٩٥).

ونؤمن بأن الله تعالى يرضى ما شرعه من الأعمال والأقوال ويكره ما نهى عنه منها (إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ)(الزمر: الآية٧) (وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ)(سورة التوبة: من الآية٤٦).

ونؤمن بأن الله تعالى يرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ)(سورة البينة: من الآية٨).

ونؤمن بأن الله تعالى يغضب على من يستحق الغضب من الكافرين وغيرهم (الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ)(سورة الفتح: من الآية٦)، (وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)(سورة النحل: من الآية١٠٦).

ونؤمن بأن لله تعالى وجهاً موصوفاً بالجلال والإكرام (وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالْإِكْرَامِ) (سورة الرحمن: الآية٢٧)

ونؤمن بأن لله تعالى يدين كريمتين عظيمتين(بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ)(سورة المائدة: من الآية٦٤). (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) (سورة الزمر:الآية ٦٧).

ونؤمن بأن لله تعالى عينين اثنتين حقيقيتين لقوله تعالى:(وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا)(سورة هود: من الآية٣٧). (وقال النبي ﷺ "حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه). وأجمع أهل السنة على أن العينين اثنتان ويؤيده قول النبي ﷺ في الدجال: "إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور".

ونؤمن بأن الله تعالى : (لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) (سورة الأنعام :الآية١٠٣).

ونؤمن بأن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة ((وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) (سورة القيامة:٢٣،٢٢)

ونؤمن بأن الله تعالى لا مثل له لكمال صفاته (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) (سورة الشورى:من الآية١١).

ونؤمن بأنه (لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ)(سورة البقرة: من الآية٢٥٥). لكمال حياته وقيوميته.

ونؤمن بأنه لا يظلم أحداً لكمال عدله ، وبأنه ليس بغافل عن أعمال عباده لكمال رقابته وإحاطته.

ونؤمن بأنه لا يعجزه شيء في السماوات ولا في الأرض لكمال علمه وقدرته (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) (سورة يّس:الآية ٨٢). وبأنه لا يلحقه تعب ولا إعياء لكمال قوته (وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ) (سورة ق:الآية ٣٨). أي من تعب ولا إعياء.

ونؤمن بثبوت كل ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات لكننا نتبرأ من محذورين عظيمين هما: التمثيل: أن يقول بقلبه أو لسانه: صفات الله تعالى كصفات المخلوقين. والتكييف: أن يقول بقلبه أو لسانه: كيفية صفات الله تعالى كذا وكذا.

ونؤمن بانتفاء كل ما نفاه الله عن نفسه أو نفاه عنه رسول الله ﷺ وأن ذلك النفي يتضمن إثباتاً لكمال ضده ، ونسكت عما سكت الله عنه ورسوله.

ونرى أن السير على هذا الطريق فرض لا بد منه ، وذلك لأن ما أثبته الله لنفسه أو نفاه عنه سبحانه فهو خبر أخبر الله به عن نفسه وهو سبحانه أعلم بنفسه وأصدق قيلاً وأحسن حديثاً ، والعباد لا يحيطون به علماً. و ما أثبته له رسوله أو نفاه عنه فهو خبر أخبر به عنه ، وهو أعلم الناس بربه وأنصح الخلق وأصدقهم وأفصحهم. ففي كلام الله تعالى ورسوله ﷺ كمال العلم والصدق والبيان ، فلا عذر في رده أو التردد في قبوله.

فصل :

وكل ما ذكرناه من صفات الله تعالى تفصيلاً أو إجمالاً ، إثباتاً أو نفياً ، فإننا في ذلك على كتاب ربِّنا وسُنةِ نبينا معتمدون ، وعلى ما سار عليه سلف الأُمة وأئمة الهدى من بعدهم سائرون.

ونرى وجوب إجراء نصوص الكتاب والسُنّة في ذلك على ظاهرها وحملها على حقيقتها اللائقة بالله عزّ وجل ، ونتبرّأ من طريق المحرّفين لها الذين صرفوها إلى غير ما أراد الله بها ورسوله ، ومن طريق المعطلين لها الذين عطلوها من مدلولها الذي أراده الله ورسوله ، ومن طريق الغالين فيها الذين حملوها على التمثيل أو تكلفوا لمدلولها التكييف.

ونعلم علم اليقين أن ما جاء في كتاب الله تعالى أو سُنة نبيّه ﷺ فهو حق لا يناقض بعضه بعضاً لقوله تعالى: (أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً) (سورة النساء:الآية ٨٢). ولأن التناقض في الأخبار يستلزم تكذيب بعضها بعضاً وهذا محال في خبر الله تعالى ورسوله ﷺ. ومن أدعى أن في كتاب الله تعالى أو في سُنة رسوله ﷺ أو بينهما تناقضاً فذلك لسوء قصده وزيغ قلبه فليتب إلى الله ولينزع عن غيّه ، ومن توهم التناقض في كتاب الله تعالى أو في سُنة رسوله ﷺ أو بينهما ، فذلك إمّا لقلّة علمه أو قصور فهمه أو تقصيره في التدبر ، فليبحث عن العلم وليجتهد في التدبر حتى يتبين له الحق ، فإن لم يتبين له فليكل الأمر إلى عالمه وليكفّ عن توهمه ، وليقل كما يقول الراسخون في العلم (آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا)(سورة آل عمران: من الآية٧). وليعلم أن الكتاب والسُنَّة لا تناقض فيهما ولا بينهما ولا اختلاف.

فصل :

ونؤمن بملائكة الله تعالى وأنهم (عِبَادٌ مُكْرَمُونَ *لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ) (سورة الأنبياء:من الآية ٢٦ ،والآية٢٧) . خلقهم الله تعالى فقاموا بعبادته وانقادوا لطاعته (لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ * يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ) (سورة الأنبياء: من الآية١٩ ، والآية ٢٠).

حجبهم الله عنا فلا نراهم ، وربما كشفهم لبعض عباده ، فقد رأى النبي ﷺ جبريل على صورته له ستمائة جناح قد سدّ الأفق ، وتمثل جبريل لمريم بشراً سوياً فخاطبته وخاطبها ، وأتى إلى النبي ﷺ وعنده الصحابة بصورة رجل لا يُعرف ولا يُرى عليه أثر السفر ، شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر ، فجلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبته إلى ركبتي النبي ﷺ ووضع كفيه على فخذيه ، وخاطب النبي ﷺ ، وخاطبه النبي ﷺ وأخبر النبي ﷺ أصحابه أنه جبريل.

ونؤمن بأن: للملائكة أعمالاً كلفوا بها: فمنهم جبريل الموكل بالوحي ينزل به من عند الله على من يشاء من أنبيائه ورسله ، ومنهم ميكائيل الموكل بالمطر والنبات ، ومنهم إسرافيل: الموكل بالنفخ في الصور حين الصعق والنشور ، ومنهم ملك الموت: الموكل بقبض الأرواح عند الموت ، ومنهم ملك الجبال: الموكل بها ، ومنهم مالك: خازن النار ، ومنهم ملائكة موكلون بالأجنة في الأرحام وآخرون موكلون بحفظ بني آدم وآخرون موكلون بكتابة أعمالهم ، لكل شخص ملكان (عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ) (سورة ق: من الآية١٧ ، والآية١٨). وآخرون موكلون بسؤال الميت بعد الانتهاء من تسليمه إلى مثواه ، يأتيه ملكان يسألانه عن ربه ودينه ونبيه فـ(يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ) (سورة إبراهيم:الآية ٢٧). ومنهم الملائكة الموكلون بأهل الجنة (وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ) (سورة الرعد:من الآية ٢٣والآية ٢٤) . وقد أخبر النبي ﷺ أن البيت المعمور في السماء يدخله —وفي رواية يصلي فيه- كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه آخر ما عليهم.

فصل :

ونؤمن بأن الله تعالى أنزل على رسله كتباً حجّة على العالمين ومحجة للعالمين يعلّمونهم بها الحكمة ويزكونهم.

ونؤمن بأن الله تعالى أنزل مع كل رسول كتاباً لقوله تعالى (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ)(سورة الحديد: من الآية٢٥).

ونعلم من هذه الكتب:

أ. التوراة: التي أنزلها الله تعالى على موسى ﷺ ، وهي أعظم كتب بني إسرائيل (فِيهَا هُدىً وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ)(سورة المائدة: من الآية٤٤).

ب. الإنجيل: التي أنزله الله تعالى على عيسى ﷺ ، وهو مصدق للتوراة ومتمم لها (وَآتَيْنَاهُ الْأِنْجِيلَ فِيهِ هُدىً وَنُورٌ وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدىً وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ)(سورة المائدة: من الآية٤٦). (وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ) (سورة آل عمران: من الآية ٥٠).

ج. الزبور: الذي آتاه الله داود ﷺ.

د. صحف إبراهيم وموسى: عليهما الصلاة والسلام.

هـ. القرآن العظيم: الذي أنزله الله على نبيه مُحَمّد خاتم النبيين (هُدىً لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ)(سورة البقرة: من الآية١٨٥). (مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ)(سورة المائدة:من الآية٤٨). فنسخ الله به جميع الكتب السابقة وتكفل بحفظه عن عبث العابثين وزيغ المحرفين (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (سورة الحجر: الآية ٩). لأنه سيبقى حجة على الخلق أجمعين إلى يوم القيامة.

أما الكتب السابقة فإنها مؤقتة بأمدٍ ينتهي بنزول ما ينسخها ويبين ما حصل فيها من تحريف وتغيير ، ولهذا لم تكن معصومة منه فقد وقع فيها التحريف والزيادة والنقص (مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ)(سورة النساء: من الآية٤٦). (فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ) (سورة البقرة:٧٩). (قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدىً لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً)(سورة الأنعام: من الآية٩١). (وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَاداً لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ)(سورة آل عمران: الآية٧٨ ،ومن الآية٧٩) . (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ)(سورة المائدة: من الآية١٥) إلى قوله: (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ)(سورة المائدة: من الآية١٧).

فصل :

ونؤمن بأن الله تعالى بعث إلى خلقه رسلاً (رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً) (سورة النساء: من الآية ١٦٥)

ونؤمن بأن أولهم نوح وآخرهم محمّد صلى الله وسلّم عليهم أجمعين(إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ)(سورة النساء: من الآية١٦٣). (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ)(سورة الأحزاب: من الآية ٤٠).

وأن أفضلهم محمّد ثم إبراهيم ثم موسى ثم نوح وعيسى بن مريم وهم المخصوصون في قوله تعالى (وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً) (سورة الأحزاب من الآية:٧) .

ونعتقد أن شريعة محمّد ﷺ حاوية لفضائل شرائع هؤلاء الرسل المخصوصين بالفضل لقوله تعالى: (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ) (سورة الشورى: من الآية١٣)).

ونؤمن بأن جميع الرسل بشر مخلوقون ، ليس لهم من خصائص الربوبية شيء ، قال الله تعالى عن نوح وهو أولهم: (وَلا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ)(سورة هود:من الآية ٣١) . وأمر الله تعالى محمّداً وهو آخرهم أن يقول: (لا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ) (سورة الأنعام: من الآية ٥٠). وأن يقول: (قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلا ضَرّاً إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ) (سورة الأعراف:من الآية١٨٨). وأن يقول: (قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلا رَشَداً * قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَداً) (سورة الجن:من الآية ٢١ والآية٢٢)) .

ونؤمن بأنهم عبيد من عباد الله أكرمهم الله تعالى بالرسالة ، ووصفهم بالعبودية في أعلى مقاماتهم وفي سياق الثناء عليهم ، فقال في أولهم نوح (ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً) (الإسراء:٣) . وقال في آخرهم محمّد ﷺ (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً) (الفرقان:١) . وقال في رسل آخرين (وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ) (ص:٤٥). (وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ)(ص: الآية١٧). (وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ) (ص: ٣٠). وقال في عيسى ابن مريم: (إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِبَنِي إِسْرائيلَ) (الزخرف:٥٩).

ونؤمن بأن الله تعالى ختم الرسالات برسالة محمّد ﷺ وأرسله إلى جميع الناس لقوله تعالى: (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) (الأعراف:١٥٨).

ونؤمن بأن شريعته ﷺ هي دين الإسلام الذي ارتضاه الله تعالى لعباده ، وأن الله تعالى لا يقبل من أحد ديناً سواه لقوله تعالى: (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلامُ)(آل عمران: الآية١٩). وقوله: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً)(المائدة: الآية٣) . وقوله: (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (آل عمران:٨٥).

ونرى أن من زعم اليوم ديناً قائماً مقبولاً عند الله سوى دين الإسلام ، من دين اليهودية أو النصرانية أو غيرهما ، فهو كافر يستتاب ، فإن تاب وإلا قتل مرتداً لأنه مكذب للقرآن.

ونرى أن من كفر برسالة مُحَمَّد ﷺ إلى الناس جميعاً فقد كفر بجميع الرسل ، حتى برسوله الذي يزعم أنه مؤمن به متبع له ، لقوله تعالى: (كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ) (الشعراء:١٠٥) . فجعلهم مكذبين لجميع الرسل مع أنه لم يسبق نوحاً رسول. وقال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً * أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً) (النساء: ١٥٠ ، ١٥١).

ونؤمن بأنه لا نبي بعد مُحَمَّد رسول الله ﷺ ، ومن ادعى النبوة بعده أو صدّق من ادّعاها فهو كافر لأنه مكذب لله ورسوله وإجماع المسلمين.

ونؤمن بأن للنبي ﷺ خلفاء راشدين خلفوه في أمته علماً ودعوة وولاية على المؤمنين ، وبأن أفضلهم وأحقهم بالخلافة أبو بكر الصديق ، ثم عمر بن الخطاب ، ثم عثمان بن عفان ، ثم علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين. وهكذا كانوا في الخلافة قدراً كما كانوا في الفضيلة. وما كان الله تعالى —وله الحكمة البالغة- ليولي على خير القرون رجلاً ، وفيهم من هو خير منه وأجدر بالخلافة.

ونؤمن بأن المفضول من هؤلاء قد يتميز بخصيصة يفوق فيها من هو أفضل منه ، لكنه لا يستحق بها الفضل المطلق على من فَضَله ، لأن موجبات الفضل كثيرة متنوعة.

ونؤمن بأن هذه الأمة خير الأمم وأكرمها على الله عز وجل ، لقوله تعالى: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)(آل عمران: الآية ١١٠).

ونؤمن بأن خير هذه الأمة الصحابة ثم التابعون ثم تابعوهم وبأنه لا تزال طائفة من هذه الأمة على الحق ظاهرين ، لا يضرّهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله عز وجل.

ونعتقد أن ما جرى بين الصحابة رضي الله عنهم من الفتن ، فقد صدر عن تأويل اجتهدوا فيه ، فمن كان منهم مصيباً كان له أجران ، ومن كان منهم مخطئاً فله أجر واحد وخطؤه مغفور له ، ونرى أنه يجب أن نكف عن مساوئهم ، فلا نذكرهم إلا بما يستحقونه من الثناء الجميل ، وأن نطهّر قلوبنا من الغل والحقد على أحد منهم ، لقوله تعالى فيهم: (لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلّاً وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى)(الحديد: الآية ١٠) . وقول الله تعالى فينا: ((وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْأِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلّاً لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ) (الحشر: ١٠)

فصل :

ونؤمن باليوم الآخر وهو يوم القيامة الذي لا يوم بعده ، حين يبعث الناس أحياء للبقاء إمّا في دار النعيم وإمّا في دار العذاب الأليم.

فنؤمن بالبعث وهو إحياء الله تعالى الموتى حين ينفخ إسرافيل في الصور النفخة الثانية (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ) (الزمر:٦٨). فيقوم الناس من قبورهم لرب العالمين ، حفاة بلا نعال ، عراة بلا ثياب ، غرلاً بلا ختان (كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ)(الأنبياء: الآية ١٠٤).

ونؤمن بصحائف الأعمال تعطى باليمين أو من وراء الظهور بالشمال (فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ) *فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً *وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُوراً * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُوراً * وَيَصْلَى سَعِيراً) (الانشقاق: ٧ -١٢). (وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنْشُوراً * اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً) (الإسراء: ١٣ ، ١٤).

ونؤمن بالموازين تُوضع يوم القيامة فلا تُظلم نفس شيئاً (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ) (الزلزلة: ٧ ، ٨) . (فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ * تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ) (المؤمنون:١٠٢ -١٠٤). (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ) (الأنعام: ١٦٠) .

ونؤمن بالشفاعة العظمى لرسول الله ﷺ خاصة ، يشفع عند الله تعالى بإذنه ليقضي بين عباده ، حين يصيبهم من الهمّ والكرب ما لا يُطيقون فيذهبون إلى آدم ثم نوح ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى حتى تنتهي إلى رسول الله ﷺ.

ونؤمن بالشفاعة فيمن دخل النار من المؤمنين أن يخرجوا منها ، وهي للنبي ﷺ وغيره من النبيين والمؤمنين والملائكة ، وبأن الله تعالى يُخرج من النار أقواماً من المؤمنين بغير شفاعة ، بل بفضله ورحمته.

ونؤمن بحوض رسول الله ﷺ ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل وأطيب من رائحة المسك طوله شهر وعرضه شهر وآنيته كنجوم السماء حسناً وكثرة ، يرده المؤمنون من أمته ، من شرب منه لم يظمأ بعد ذلك.

ونؤمن بالصراط المنصوب على جهنم يمر الناس عليه على قدر أعمالهم ، فيمر أولهم كالبرق ثم كمر الريح ثم كمر الطير وشد الرجال ، والنبي ﷺ قائم على الصراط يقول: يا رب سلّم سلّم. حتى تعجز أعمال العباد ، فيأتي من يزحف ، وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة ، تأخذ من أمرت به ، فمخدوش ناجٍ ومكردس في النار.

ونؤمن بكل ما جاء في الكتاب والسنة من أخبار ذلك اليوم وأهواله ، أعاننا الله عليها.

ونؤمن بشفاعة النبي ﷺ لأهل الجنة أن يدخلوها. وهي للنبي ﷺ خاصة.

ونؤمن بالجنة والنار ، فالجنة دار النعيم التي أعدها الله تعالى للمؤمنين المتقين ، فيها من النعيم ما لا عين رأت ولا أُذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (السجدة:١٧) . والنار: دار العذاب التي أعدَّها الله تعالى للكافرين الظالمين ، فيها من العذاب والنكال ما لا يخطر على البال (إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً)(الكهف: الآية٢٩). وهما موجودتان الآن ولن تفنيا أبد الآبدين (وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحاً يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقاً)(الطلاق: الآية١١). (إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا * خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا* يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَالَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ) (الأحزاب ٦٤ -٦٦).

ونشهد بالجنة لكل من شهد له الكتاب والسنة بالعين أو بالوصف ، فمن الشهادة بالعين: الشهادة لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، ونحوهم ممن عينهم النبي ﷺ ، ومن الشهادة بالوصف: الشهادة لكل مؤمن أو تقي.

ونشهد بالنار لكل من شهد له الكتاب والسنة بالعين أو بالوصف ، فمن الشهادة بالعين: الشهادة لأبي لهب وعمرو بن لحي الخزاعي ونحوهما ، ومن الشهادة بالوصف ، الشهادة لكل كافرٍ أو مشركٍ شركاً أكبر أو منافق.

ونؤمن بفتنة القبر: وهي سؤال الميت في قبره عن ربّه ودينه ونبيه في قوله تعالى : (يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ)(ابراهيم: الآية٢٧). فيقول المؤمن: ربي الله وديني الإسلام ونبيي مُحَمّد ، وأما الكافر والمنافق فيقول: لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته.

ونؤمن بنعيم القبر للمؤمنين (الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (النحل:٣٢) .

ونؤمن بعذاب القبر للظالمين الكافرين (وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ)(الأنعام: الآية٩٣).

والأحاديث في هذا كثيرة معلومة ، فعلى المؤمن أن يؤمن بكل ما جاء به الكتاب والسُنة من هذه الأمور الغيبية ، وألا يعارضها بما يشاهد في الدنيا ، فإن أمور الآخرة لا تُقاس بأمور الدنيا لظهور الفرق الكبير بينهما. والله المستعان.

فصل :

ونؤمن بالقدر خيره وشره ، وهو تقدير الله تعالى للكائنات حسبما سبق به علمه واقتضته حكمته.

وللقدر أربع مراتب:

المرتبة الأولى: العلم ، فتؤمن بأن الله تعالى بكل شيء عليم ، علم ما كان وما يكون وكيف يكون بعلمه الأزلي الأبدي ، فلا يتجدد له علم بعد جهل ولا يلحقه نسيان بعد علم.

المرتبة الثانية: الكتابة ، فتؤمن بأن الله تعالى كتب في اللوح المحفوظ ما هو كائن إلى يوم القيامة (أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) (الحج: ٧٠)

المرتبة الثالثة: المشيئة ، فتؤمن بأن الله تعالى قد شاء كل ما في السماوات والأرض ، لا يكون شيء إلا بمشيئته ، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

المرتبة الرابعة: الخلق ، فتؤمن بأن الله تعالى : (اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ *لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)(الزمر: الآية ٦٢ ، ٦٣) .

وهذه المراتب الأربع شاملة لما يكون من الله تعالى نفسه ولما يكون من العباد ، فكل ما يقوم به العباد من أقوال أو أفعال أو تروك فهي معلومة فهي معلومة لله تعالى مكتوبة عنده والله تعالى قد شاءها وخلقها ((لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ* وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ * (التكوير: ٢٨ ، ٢٩). (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ)(البقرة: الآية٢٥٣). (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ)(الأنعام: الآية١٣٧) .(وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ) (الصافات:٩٦).

ولكننا مع ذلك نؤمن بأن الله تعالى جعل للعبد اختياراً وقدرة بهما يكون الفعل ، والدليل على

أن فعل العبد باختياره وقدرته أمور:

الأول: قوله تعالى: (فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ)(البقرة: الآية٢٢٣). وقوله: (وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً)(التوبة: الآية٤٦). فأثبت للعبد إتيانا بمشيئته وإعداداً بإرادته.

الثاني: توجيه الأمر والنهي إلى العبد ، ولو لم يكن له اختيار وقدرة لكان توجيه ذلك إليه من التكليف بما لا يطاق ، وهو أمر تأباه حكمة الله تعالى ورحمته وخبره الصادق في قوله: (لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا)(البقرة: الآية٢٨٦).

الثالث: مدح المحسن على إحسانه وذم المسيء على إساءته ، وإثابة كل منهما بما يستحق ، ولولا أن الفعل يقع بإرادة العبد واختياره لكان مدح المحسن عبثاً وعقوبة المسيء ظلماً ، والله تعالى منزه عن العبث والظلم.

الرابع: أن الله تعالى أرسل الرسل (رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً) (النساء:١٦٥). ولولا أن فعل العبد يقع بإرادته واختياره ، ما بطلت حجته بإرسال الرسل.

الخامس: أن كل فاعل يحسُّ أنه يفعل الشيء أو يتركه بدون أي شعور بإكراه ، فهو يقوم ويقعد ويدخل ويخرج ويسافر ويقيم بمحض إرادته ، ولا يشعر بأن أحداً يكرهه على ذلك ، بل يفرّق تفريقاً واقعياً بين أن يفعل الشيء باختياره وبين أن يكرهه عليه مكره. وكذلك فرّق الشرع بينهما تفريقاً حكيماً ، فلم يؤاخذ الفاعل بما فعله مكرهاً عليه فيما يتعلق بحق الله تعالى.

ونرى أن لا حجة للعاصي على معصيته بقدر الله تعالى ؛ لأن العاصي يقدم على المعصية باختياره ، من غير أن يعلم أن الله تعالى قدّرها عليه ، إذ لا يعلم أحد قدر الله تعالى إلا بعد وقوع مقدوره (وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً)(لقمان: الآية٣٤) . فكيف يصح الاحتجاج بحجة لا يعلمها المحتجّ بها حين إقدامه على ما اعتذر بها عنه ، وقد أبطل الله تعالى هذه الحجة بقوله: (سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ) (الأنعام:١٤٨) .

ونقول للعاصي المحتج بالقدر: لماذا لم تقدم على الطاعة مقدراً أن الله تعالى قد كتبها لك ، فإنه لا فرق بينها وبين المعصية في ا لجهل بالمقدور قبل صدور الفعل منك ؟ ولهذا لما أخبر النبي ﷺ الصحابة بأن كل واحد قد كُتب مقعده من الجنة ومقعده من النار قالوا: أفلا نتكل وندع العمل ؟ قال" "لا ، اعملوا فكلٌ ميسر لما خُلق له".

ونقول للعاصي المحتج بالقدر: لو كنت تريد السفر لمكة وكان لها طريقان ، أخبرك الصادق أن أحدهما مخوف صعب والثاني آمن سهل ، فإنك ستسلك الثاني ولا يمكن أن تسلك الأول وتقول: إنه مقدر عليَّ ، ولو فعلت لعدّك الناس في قسم المجانين.

ونقول له أيضاً: لو عرض عليك وظيفتان إحداهما ذات مرتب أكثر ، فإنك سوف تعمل فيها دون الناقصة ، فكيف تختار لنفسك في عمل الآخرة ما هو الأدنى ثم تحتجّ بالقدر ؟

ونقول له أيضا: نراك إذا أصبت بمرض جسمي طرقت باب كل طبيب لعلاجك ، وصبرت على ما ينالك من ألم عملية الجراحة وعلى مرارة الدواء. فلماذا لا تفعل مثل ذلك في مرض قلبك بالمعاصي ؟

ونؤمن بأن الشر لا ينسب إلى الله تعالى لكمال رحمته وحكمته ، قال النبي ﷺ "والشر ليس إليك" رواه مسلم. فنفس قضاء الله تعالى ليس فيه شر أبداً ، لأنه صادر عن رحمة وحكمة ، وإنما يكون الشرُّ في مقتضياته ، لقول النبي ﷺ في دعاء القنوت الذي علّمه الحسن: "وقني شر ما قضيت" فأضاف الشر إلى ما قضاه ، ومع هذا فإن الشر في المقتضيات ليس شراً خالصاً محضاً ، بل هو شر في محله من وجه ، خير من وجه ، أو شر في محله ، خير في محل آخر ، فالفساد في الأرض من الجدب والمرض والفقر والخوف شر ، لكنه خير في محل آخر ، قال الله تعالى: (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) (الروم:٤١) . وقطع يد السارق ورجم الزاني شر بالنسبة للسارق والزاني في قطع يد السارق وإزهاق النفس ، لكنه خير لهما من وجه آخر ، حيث يكون كفارة لهما فلا يجمع لهما بين عقوبتي الدنيا والآخرة ، وهو أيضاً خير في محل آخر ، حيث إن فيه حماية الأموال والأعراض والأنساب.

<u>فصل :</u>

هذه العقيدة السامية المتضمنة لهذه الأصول العظيمة تثمر لمعتقدها ثمرات جليلة كثيرة ، <u>فالإيمان بالله تعالى وأسمائه وصفاته</u> يثمر للعبد محبة الله وتعظيمه الموجبين للقيام بأمره واجتناب نهيه ، والقيام بأمر الله تعالى واجتناب نهيه يحصل بهما كمال السعادة في الدنيا والآخرة للفرد والمجتمع (مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (النحل:٩٧).

<u>ومن ثمرات الإيمان بالملائكة:</u>

<u>أولاً</u>: العلم بعظمة خالقهم تبارك وتعالى وقوته وسلطانه.

<u>ثانياً</u>: شكره تعالى على عنايته بعباده ، حيث وكل بهم من هؤلاء الملائكة من يقوم بحفظهم وكتابة أعمالهم وغير ذلك من مصالحهم.

<u>ثالثاً</u>: محبة الملائكة على ما قاموا به من عبادة الله تعالى على الوجه الأكمل واستغفارهم للمؤمنين.

<u>ومن ثمرات الإيمان بالكتب:</u>

<u>أولاً</u>: العلم برحمة الله تعالى وعنايته بخلقه ، حيث أنزل لكل قوم كتاباً يهديهم به.

<u>ثانياً</u>: ظهور حكمة الله تعالى ، حيث شرع في هذه الكتب لكل أمة ما يناسبها. وكان خاتم هذه الكتب القرآن العظيم ، مناسباً لجميع الخلق في كل عصر ومكان إلى يوم القيامة.

<u>ثالثاً</u>: شكر نعمة الله تعالى على ذلك.

<u>ومن ثمرات الإيمان بالرسل:</u>

<u>أولاً</u>: العلم برحمة الله تعالى وعنايته بخلقه ، حيث أرسل إليهم أولئك الرسل الكرام للهداية والإرشاد.

<u>ثانياً</u>: شكره تعالى على هذه النعمة الكبرى.

<u>ثالثاً</u>: محبة الرسل وتوقيرهم والثناء عليهم بما يليق بهم ؛ لأنهم رسل الله تعالى وخلاصة عبيده ، قاموا بعبادته وتبليغ رسالته والنصح لعباده والصبر على أذاهم.

<u>ومن ثمرات الإيمان باليوم الآخر:</u>

<u>أولاً</u>: الحرص على طاعة الله تعالى رغبة في ثواب ذلك اليوم ، والبعد عن معصيته خوفاً من عقاب ذلك اليوم.

<u>ثانياً</u>: تسلية المؤمن عما يفوته من نعيم الدنيا ومتاعها بما يرجوه من نعيم الآخرة وثوابها.

<u>ومن ثمرات الإيمان بالقدر:</u>

<u>أولاً</u>: الاعتماد على الله تعالى عند فعل الأسباب ؛ لأن السبب والمسبب كلاهما بقضاء الله وقدره.

ثانياً: راحة النفس..طمأنينة القلب ؛ لأنه متى علم أن ذلك بقضاء الله تعالى ، وأن المكروه كائن لا محالة ، ارتاحت النفس واطمأن القلب ورضي بقضاء الرب ، فلا أحد أطيب عيشاً وأربح نفساً وأقوى طمأنينة ممن آمن بالقدر.

ثالثاً: طرد الإعجاب بالنفس عند حصول المراد ، لأن حصول ذلك نعمة من الله بما قدّره من أسباب الخير والنجاح ، فيشكر الله تعالى على ذلك ويدع الإعجاب.

رابعاً: طرد القلق والضجر عند فوات المراد أو حصول المكروه ، لأن ذلك بقضاء الله تعالى الذي له ملك السماوات والأرض وهو كائن لا محالة ، فيصبر على ذلك ويحتسب الأجر ، وإلى هذا يشير الله تعالى بقوله: (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ*لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) (الحديد:: ٢٢ ، ٢٣).

فنسأل الله تعالى أن يثبتنا على هذه العقيدة ، وأن يحقق لنا ثمراتها ويزيدنا من فضله ، وألا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا ، وأن يهب لنا من رحمته ، إنه هو الوهاب. والحمد لله رب العالمين. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان.

تمت

بقلم مؤلفها ، محمد الصالح العثيمين

في ٣٠ شوال سنة ١٤٠٤هـ

المبحث الثاني

" أثار الإقرار بـ لا إله إلا الله وتحقيق الكفر بالطاغوت في حياة الإنسان "

ذكر الاستاذ المودودي رحمه الله في كتابه القيم " مبادئ الإنسان " تسعة آثار لكلمة التوحيد أذكر ملخصها فيما يلي :-

(١)إن المؤمن بهذه الكلمة لا يكون ضيق النظر ، وبخلاف من يقول بآلهة متعددة أو من يجحدها .

(٢)إن الإيمان بهذه الكلمة ينشئ في النفس من الأنفة وعزة النفس ما لا يقوم دونه شئ ، لأنه لا نافع إلا الله ولا ضار إلا الله ، وهو المحي المميت ، وهو صاحب الحكم والسلطة والسياده ، ومن ثم ينزع من القلب كل خوف إلا منه سبحانه ، فلا يطأطئ الرأس أمام أحد من الخلق ،ولا يتضرع إليه ، ولا يتكفف له . ولا يرتعب من كبريائه وعظمته لأن الله هو العظيم القادر ،وهذا بخلاف المشرك والكافر والملحد .

(٣)ينشأ من الإيمان بهذه الكلمة من أنفة النفس وعزتها تواضع من غير ذل ، وترفع من غير كبر . فلا يكاد ينفخ أوداجه شيطان الغرور ويزهيه بقوته وكفاءته لإنه يعلم و يستيقن أن الله الذي وهبه كل ما عنده ،قادر علي سلبه إياه إذا شاء أما الملحد فإنه يتكبر ويبطر إذا حصلت له نعمة عاجلة .

(٤)المؤمن بهذه الكلمة : يعلم علم اليقين أنه لا سبيل إلي النجاة والفلاح إلا بتزكية النفس والعمل الصالح ، وأما المشركون والكفار فإنهم يقضون حياتهم علي أماني كاذبة ، فمنهم من يقول إن ابن الله قد أصبح كفاره عن ذنوبنا عند أبيه ، ومنهم من يقول : نحن أبناء الله وأحباؤه فلن يعذبنا بذنوبنا ، ومنهم من يقول :- إنا نستشفع عند الله بكبرائنا وأتقيائنا ،و منهم من يقول :من يقدم النذر والقرابين إلي ألهته زاعماً أنه قد نال بذلك رخصة في العمل بما يشاء ، أما الملحد الذي لا يؤمن بالله فيعتقد أنه حر في هذه الدينا غير مقيد بشرع الله وإنما إلهه هواه وشهوته ، وهو عبدهما .

(٥)قائل هذه الكلمة لا يتسرب إليه اليأس ، ولا يقعد به القنوط لأنه يؤمن أن الله له خزائن السماوات والأرض . ومن ثم فهو علي طمأنينة وسكينة وأمل ، حتي لو طرد وأهين وضاقت عليه سبل العيش .

(٦)الإيمان بهذه الكلمة يربي الإنسان علي قوة عظمية من العزم والاقدام والصبر والثبات والتوكل حينما يضطلع بمعالي الامور ابتغاء مرضاة الله ، إنه يشعر أن وراءه قوة مالك السماوات والارض ، فيكون ثباته و رسوخه وصلابته التي يستمدها من هذا التصور ، كالجبال الراسية وأني للكفر والشرك بمثل هذه القوة والثبات ؟

(٧)هذه الكلمة تشجع الإنسان وتملاء قلبه جراءة لأن الذي يجبن الإنسان ويوهن عزمه شيئان حبه للنفس والمال والأهل ، أو اعتقاد أن هناك أحد غير الله يميت الانسان فإيمان المرء بلا إله إلا الله ينزع عن قلبه كلاً من هذين السببين فيجعله موقناً أن الله هوالمالك الوحيد لنفسه وماله فعندئذ يضحي في سبيل مرضاة ربه بكل غال ورخيص عنده ،وينزع الثاني بأن يلقي في روعه أنه لا يقدر علي سلب الحياة منه إنسان ولا حيوان ولا قنبلة ولا مدفع ، ولا سيف ولا حجر وإنما يقدر علي ذلك الله وحده من أجل ذلك لا يكون في الدنيا أشجع ولا أجرأ ممن يؤمن بالله تعالي ، فلايكاد يخفيه أو يثبت في وجهه زحف الجيوش ولا السيوف المسلولة ، ولا مطر الرصاص والقنابل ، فإنه عندما يتقدم في سبيل الله للجهاد ، يهزم قوة تزيد علي قوته بعشرة مرات وأني بمثل هذا للمشركين والكفار والملحدين ؟

(٨) الإيمان ب " لا إله إلا الله " يرفع قدر الانسان وينشئ فيه الترفع والقناعة والاستغناء ، ويطهر قلبه من أوساخ الطمع والشره والحسد والدناءه واللؤم ،وغيرها من الصفات القبيحة .

(٩) وأهم شئ وأجدره في هذا الصدد :- أن الإيمان بـ " لا إله إلا الله " يجعل الإنسان متقيداً بشرع الله ومحافظاً عليه ، فإن المؤمن يعتقد بيقين أن الله خبير بكل شئ ، و هو أقرب إليه من حبل الوريد وأنه إن كان يستطيع أن يفلت من بطش أى كان ، فإنه لا يستطيع أن يفلت من الله عز وجل .

وعلي قدر ما يكون هذا الإيمان راسخاً في ذهن الإنسان يكون متبعاً لأحكام الله قائماً عند حدوده لا يجرؤ علي اقتراف ما حرم الله ، ويسارع إلى الخيرات والعمل بما أمر الله .

ومن أجل ذلك جعل الإيمان بـ " لا إله إلا الله " أول ركن وأهمه ليكون الإنسان مسلماً .والمسلم هوالعبد المطيع المنقاد لله تعالي ، ولا يكون كذلك إلا اذا كان مؤمناً من قلبه بأنه لا إله إلا الله ،وهذا هو أصل الإسلام ومصدر قوته وكل ما عداه من معتقدات الإسلام وأحكامه إنما هي مبنية عليه ولا تستمد قوتها إلا منه ،والإسلام لا يبقي منه شئ لو زال هذا الاساس .

ومن فضائلها ما ذكره ابن رجب ، حيث أورد قول سفيان بن عيينه ، ما أنعم الله علي عبد من العباد نعمة أعظم من أن عرفهم لا إله إلا الله ، وأن لا إله إلا الله لأهل الجنة كالماء البارد لأهل الدنيا لأجلها أعدت دار الثواب ودار العقاب ،ولأجلها أمرت الرسل بالجهاد ، فمن قالها عصم ماله ودمه ، ومن أباها فماله ودمه هدر وهي مفتاح الجنة ومفتاح دعوة الرسل .

ولو أردت أن اذكر ما أورده العلماء رحمهم الله تعالي حول فضلها وما في ذلك من الأحاديث النبوية وآثار السلف لطال المقام .(١)

---

(١) كتاب (الولاء والبراء) للشيخ محمد بن سعيد القحطاني (٥١)

الباب الرابع

المبحث الأول" نواقض لا إله إلا الله "

<u>(حرص الإسلام على بيات حقيقته وحقيقة ما يناقضه)</u>

سبق الكلام على مفهوم ((لا إله إلا الله) وشروطها وحقيقتها وآثارها

وهنا أذكر نواقضها من أجل أن تتضح معالم الصوره الكامله لحقيقة " لا إله إلا الله " وذلك أن معرفه الضد يميز الشئ المراد إيضاحه كما قيل(وبضدها تتميز الأشياء) ومعلوم أن الكفر و الشرك و النفاق و الردة هى نواقض الإسلام ،بشتى صورها ،وقبل إيراد ذلك لابد من أن نورد — قاعده جليله لأهل السنه والجماعه بها نضبط المسائل أصولاً وفروعاً وسيتضح من خلال هذه القاعده الرد على فرقه المرجئه الذين ميعوا وضيعوا مفهوم هذه العقيدة والرد أيضا على الخوارج الذين غلوا وحادوا عن الصراط ، ودين الإسلام وسط بين الإفراط والتفريط

وقد كثر كلام الناس حول هذا فى القديم والحديث ولكل وجهة هو موليها ، بيد أنى وجدت للعلامه ابن القيم كلاماً قيماً فى هذا الموضوع وهو القاعده التى أشرت إليها آنفاً سأوردة كلاماً علي الرغم عن طوله :-

قال رحمه الله في كتاب الصلاة :-

(الكفر والإيمان متقابلان إذا زال أحدهم خلفه الأخر ولما كان الإيمان أصلاً له شعب متعددة وكل شعبة منها تسمي إيماناً فالصلاة من الإيمان ، وكذلك الزكاة والحج والصيام والاعمال الباطنة كالحياء ، والتوكل والخشية من الله ، والإنابة إليه ، حتي تنتهي هذه الشعب إلي إماطة الاذي عن الطريق فإنه شعبة من شعب الإيمان .

(وهذه الشعب منها ما يزول الايمان بزوالها كشعبة الشهاده ومنها ما لا يزال بزوالها كترك إماطة الاذي عن الطريق . وبينهما شعب متفاوتة تفاوتاً عظيماً . منها ما يلحق بشعبة الشهادة ويكون إليها أقرب ، وكذلك الكفر ذو أصل وشعب ،فكما أن شعب الإيمان إيمان فشعب الكفر كفر ، والحياء شعبة من الإيمان ، وقلة الحياء شعبة من شعب الكفر ، والصدق شعبة من شعب الإيمان ، والكذب شعبة من شعب الكفر ، والصلاة والزكاه والحج والصيام من شعب الإيمان ، وتركها من شعب الكفر والحكم بما أنزل الله من شعب الإيمان ، والحكم بغير ما أنزل الله من شعب الكفر ، والمعاصي كلها من شعب الكفر ، كما أن الطاعات كلها من شعب الإيمان .

(وشعب الإيمان قسمان :قولية وفعلية ، وكذلك شعب الكفر نوعان : قولية وفعلية ، ومن شعب الإيمان القولية شعب يوجب زوالها زوال الإيمان ، فكذلك من شعبة الفعلية ما يوجب زوالها زوال الإيمان ، وكذلك شعب الكفر القولية والفعلية- فكما يكفر بالاتيان بكلمة الكفر اختياراً —وهي شعبة من شعب الكفر —فكذلك يكفر بفعل شعبة من شعبه كالسجود للصنم و والاستهانة بالمصحف فهذا أصل .

(وها هنا أصل آخر : وهو أن حقيقة الإيمان مركبة من قول وعمل والقول قسمان : قول القلب : وهو الاعتقاد وقول اللسان : وهو التكلم بكلمة الإسلام .

(والعمل قسمان : عمل القلب : وهو نيته وإخلاصه وعمل الجوارح ، فإذا زالت هذه الأربعة زال الإيمان بكماله وإذا زال تصديق القلب لم تنفع بقية الأجزاء ، فإن تصديق القلب شرط في اعتقادها و كونها نافعة ، وإذا زال عمل القلب مع اعتقاد الصدق : فهذا موضع المعركة بين المرجئة وأهل السنة .

فأهل السنة : مجموعون علي زوال الإيمان ،وأنه لا ينفع التصديق مع انتفاء عمل القلب وهو محبته وإنقياده ، كما لم ينفع ابليس وفرعون وقومه واليهود والمشركين والذين كانوا يعتقدون صدق الرسول ، بل ويقرون به سراً وعلانية ويقولون : ليس بكاذب ولكن لا نتبعه ولا نؤمن به .

(وإذا كان الإيمان يزول بزوال عمل القلب ، فغير مستنكر أن يزول بزوال أعظم هو "أعمال الجوارح" ، ولا سيما إذا كان ملزوماً لعدم محبة القلب وإنقياده ، الذي هو ملزوم لعدم التصديق الجازم كما تقدم تقريره ، فإنه يلزم من عدم طاعة القلب عدم طاعة الجوارح . إذا لو اطاع القلب وانقاد أطاعت الجوارح وانقادت ، ويلزم من عدم طاعته وإنقياده عدم التصديق المستلزم للطاعة ، وهو حقيقة الإيمان ، فإن الإيمان ليس مجرد التصديق كما تقدم إنما هو التصديق المستلزم للطاعة والانقياد وهكذا الهدي ليس مجرد معرفة الحق وتبينه ، بل هو معرفته المستلزمة لإتباعه والعمل بموجبه ، وإن سمي الأول هدي فليس هو الهدي التام المستلزم للإهتداء ، كما أن اعتقاد التصديق وإن سمي تصديقاً فليس هو التصديق المستلزم للإيمان ، فعليك بمراجعة هذا الاصل ومراعاته) " كتاب الصلاة للعلامة ابن القيم "

علي أي شئ أجمع أهل السنه والجماعة في موضوع الإيمان علي ؟ (١)

أولاً:تعريف الإيمان عند أهل السنة :

نقول : إن اللفظ- أو التعريف أو العبارة —التي أجمع عليها أهل السنة والجماعة في الإيمان ، هو :"أن

الإيمان قول وعمل يزيد وينقص ، وهاتان الكلمتان علي إيجازهما تحمل معاني عظيمة جداً .
فإذا سئلت وقيل لك : ما هو الإيمان عند أهل السنة والجماعة ؟
فإنك تقول :- الإيمان قول وعمل .
وسنعرف معناها بعد أن نتأكد ونتبين من أن الاجماع قد وقع عليها ، وهذا الأجماع ثابت من المصادر الأصلية.
إجماع السلف علي أن الإيمان قول وعمل .

الامام البخاري – رحمه الله – يقول – لقيت أكثر من الف رجل من أهل العلم كلهم يقول :- الإيمان قول وعمل ويقول :- أدركت العلماء علي ذلك قرنا بعد قرن- أي طبقة بعد طبقة – في مصر والشام والحجاز والعراق بغداد وواسط كلهم يجمعون علي أن الإيمان قول وعمل .

---

(١)كتاب " الكفر بالطاغوت بين غلو الخوارج وتفريط الموجئة للشيخ/ عبد الله الغليفي

ونقل مثل ذلك الإمامان أبو زرعة وأبو حاتم الرازيان : فقالا :- إننا أدركنا علماء الامصار قديماً وحديثاً ، شاماً ويمناً وحجازاً وعراقاً ، كلهم مجمعون علي أن الإيمان قول وعمل " وهذان النقلان أوردهما اللاكائي في كتابه شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة وهو في اعتقاد الامام البخاري وفي اعتقاد أبي زرعة وأبي حاتم وغيرم من أئمة السلف .

وممن نقل الإجماع على ذلك شَيْخ الإِسْلامِ ابن تيمية في كتاب الإيمان ، وقبل ذلك نقله الإمام الكبير الحجة الإمام الشافعي رحمه الله تعالى ، فقد نقل ذلك في كتابه الأم في باب النية: فقال: 'أجمع الصحابة والتابعون على أن الإيمان قول وعمل' ونقل مثل ذلك أيضاً الإمام مُحَمَّد بن جرير الطبري فذكر إجماع الصحابة ومن بعدهم على أن الإيمان قول وعمل ، ونقل ذلك أيضاً الحافظ ابن كثير في أول تفسير سورة البقرة الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ [البقرة:٣] أن هذا إجماعٌ من السلف الصالح ، ونقل ذلك أيضاً الإمام أحمد

رحمه الله تعالى ، ونقله عن الفضيل بن عياض وعن سفيان بن عيينه ، وعن غيرهم من الأئمة والعلماء ، كما نقل ذلك الحافظ ابن رجب في أول كتابه جامع العلوم والحكم في شرح حديث جبريل.

فالنقول كثيرة ومتوافرة ولله الحمد ، وقد ذكر الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله أسماء هؤلاء العلماء الذين أجملهم الآخرون ، وذكر ذلك أو بعضاً منهم وغيرهم ، وذكره الإمام عبد الله بن أحمد في كتابه السنة .
وذكر مثل ذلك ابن بطة في الإبانة ، والآجري في الشريعة ، وسائر الكتب التي ألفت في العقيدة كلها تنقل الإجماع على ذلك ، والشاهد أن الإجماع منقول وثابت على أن الإيمان قول وعمل.
شرح تعريف الإيمان :أما معنى هذه العبارة -كما فسرها السلف ومنهم الأوزاعي والشافعي وسفيان بن عيينه وغيرهم- فهو: قول القلب واللسان ، وعمل القلب والجوارح.
فالقول يطلق على أمرين: قول القلب ، وقول اللسان.
والعمل يطلق على أمرين: عمل القلب ، وعمل الجوارح.

هذه الأربعة يتكون منها الإيمان ، فهو يتكون من: قول القلب ، وقول اللسان ، وعمل القلب ، وعمل الجوارح وإذا عرفنا هذه الأربعة بالتفصيل عرفنا حقيقة الإيمان عند أهل السنة والجماعة ، وعرفنا بعد ذلك لماذا يحكمون على مرتكب الكبيرة بأنه ناقص الإيمان ، فلا يخرجونه من الملة كما تقوله الخوارج ، ولا يقولون هو كامل الإيمان كما تقوله المرجئة.

فأما قول القلب: فهو الإقرار والاعتقاد الجازم بما جاء في حديث جبريل عليه السلام ، وهو: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره ، أي: انقياد القلب وإذعانه وتصديقه الجازم ، بالإيمان المجمل وهو: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره ،

الذي هو: الإيمان بالغيب. وهي الصفة الأولى التي ذكرها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من صفات المؤمنين في أول سورة مدنية ، وهي سورة البقرة ، فقول القلب: هو الإقرار والاعتقاد والتصديق الجازم بما ورد في حديث جبريل.

وأما قول اللسان: فهو إظهار هذا الإيمان وقوله وتلفظه بشهادة أن لا إله إلا الله ، أو ما يقوم مقامها في حال البدء ، كأن يقول الرجل: آمنت أو أسلمت أو دخلت في دين الإسلام ، أو شهدت بأن الله حق ، إلى آخر ذلك ، ثم يلتزم بسائر العبادات والشرائع ، ومنها: وهو أولها وأعظمها: شهادة أن لا إله إلا الله وأن مُحَّداً رسول الله ، فهذا هو قول اللسان.

فتعبير اللسان عندما يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن مُحَّداً رسول الله ، هو تعبير عن الإيمان القلبي ، الذي هو الإقرار بحقيقة ألوهية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، والإيمان به وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر

وأما اللفظة الأخرى من تعريف الإيمان وهي العمل ، فتشمل عمل القلب وعمل الجوارح.

فأما عمل القلب فأمور كثيرة ذكرها الله تبارك وتعالى في القرآن الكريم ، وفي حديث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فمن عمل القلب:المحبة: محبة الله ورسوله ، ومحبة هذا الدين.

ومن عمل القلب: الاستسلام والرضا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسولاً.

ومن عمل القلب: الصدق ، فإن المنافقين يقولون: نشهد إنك لرسول الله ، ولكن لما شهد الله أنهم كاذبون في ذلك ، لم ينفعهم هذا الإيمان ولا هذه الشهادة.

ومن عمل القلب: الإنابة ، والإخبات ، والخوف ، والرجاء ، والتوكل ، والصبر ، كل هذه الأعمال القلبية الواجبة شرعاً كوجوب الفرائض ، بل هي الأصل لوجوب الفرائض فإن من لا توكل له ولا صبر ولا يقين ولا إخلاص ولا صدق ؛ لا يستطيع أن يعبد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وأن يقوم بهذه الواجبات وهذه التعبدات. فعمل القلب -إذاً- يشمل كل ما جاء في الكتاب والسنة من الواجبات الإيمانية القلبية ، التي لا بد ولا محالة أن يظهر أثرها على الجوارح ، وإلا فإنه لا وجود لها إطلاقاً ، لكن هي محلها القلب ، كالتوكل فإن محله القلب -كما تعلمون- لكن لا بد أن يظهر ذلك على الجوارح ، فإن عدم التوكل كأن يظهر المرء الجزع أو الهلع أو القنوط ، فإن ذلك يظهر على جوارح الإنسان وعلى كلامه ، أما المتوكل الصابر الموقن المخلص ، فإن ذلك يظهر -ولا محالة- على جوارحه.

ومن أعظم ذلك الحياء ، ولذلك أفرد في حديث شعب الإيمان الذي يقول فيه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {الإيمان بضع وسبعون -أو وستون- شعبة ، فأعلاها شهادة أن لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان } فهذه الشعبة لأهميتها: أفردت ، ولأنها خيرٌ كلها كما في الحديث الصحيح: {الحياء كله خير

ولا يمكن أن نحكم أو نعرف أو نقول: إن الإنسان لديه حياء -وهو عمل قلبي- إلا أن يظهر ذلك على جوارحه ، فإن مشية الإنسان الحيي غير مشية الإنسان الذي لا يستحي ، وكلام الإنسان صاحب الحياء غير كلام الآخر ، وكذلك صلاته وعبادته ، وفعله لما أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، فإن الحيي يتورع عن ارتكاب المحرمات ، ومن تجرأ على المحرمات وعلى المنكرات جزمنا وعلمنا بأنه فاقد للحياء كله أو بعضه ، فهذه هي أعمال القلب ، فعمل القلب -إذاً- هو هذه الأمور الباطنة من الإيمان.

وأما عمل الجوارح فهو: جميع التعبدات التي فرضها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على الجوارح ، كإقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والحج ، والجهاد ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأمثال ذلك.

الإيمان حقيقة مركبة

ومن هذه الأربعة -أي من قول القلب وقول اللسان ، وعمل القلب وعمل الجوارح- تتكون حقيقة الإيمان الكلية المركبة الذي هو الإيمان الشرعي ، الذي جاء به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبلغه لنا بما أنزله الله من الوحي في القرآن ، وبما علَّمنا إياه وفسره لنا في السنة.

ولذلك فإن أهل السنة والجماعة يحتجون على مخالفيهم بأنهم يفسرون الإيمان ويشرحونه ، ويعبرون عنه بغير ما جاء عن الله وعن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، والرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أجاب عن الإيمان وأوضحه بما يجاب به عن الحقيقة المسئول عنها ، فإنه في حديث جبريل المشهور { قال: أخبرني ما الإيمان ؟ فقال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره } فالسؤال هنا عن حقيقة الإيمان ، وأجاب النبي عليه الصلاة والسلام بذلك.

وفي حديث وفد عبد القيس -المتفق عليه- يقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهم: {أتدرون ما الإيمان ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم ، قال: شهادة أن لا إله إلا الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وأن تؤدوا الخُمُس من المغنم } وهذا الحديث متقدم على حديث جبريل ، ولذلك لم يذكر فيه الحج مثلاً ، فالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لهم: أتدرون ما الإيمان ؟ ثم شرح ذلك: فأدخل فيه الركن الأول وهو شهادة أن لا إله إلا الله ، ثم ذكر الصلاة ، ثم ذكر الزكاة ، ثم ذكر أداء الخُمُس ، الذي هو من غنيمة الجهاد.

وفي حديث شعب الإيمان السابق: {الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان } فأعلاها هو هذه الشهادة وهذه الكلمة العظيمة التي هي تحوي جميع أعمال الإيمان القلبية الظاهرة والباطنة ، وأدناها هو عمل من أيسر العمل وأهونها ولكنه مع ذلك يعتبر شعبة من الإيمان.

فيتبين من مجموع ذلك أن الإيمان فعلاً هو قول وعمل ، وهذه هي التي عبر عنها العلماء بأن الإيمان حقيقة مركبة من القول والعمل.

فالإيمان مركب من هذين الجزأين ، كما تتركب حقيقة الإنسان من الروح ومن الجسد ، فلا يمكن أن نتصور وجود روح بدون جسد ، ونقول: هذا إنسان له روح بدون جسد ، ولا يمكن أن يكون هناك جسد بدون روح.

فأما الجسد بدون روح فهذا هو المنافق الذي يعمل أعمال الإسلام ، ولكن لا إيمان في قلبه بهذا الدين ، فهذا جسد بدون روح ، فهم يصلون ويزكون ويجاهدون ، ويعملون أعمال الإيمان ، ولكنها بدون الإيمان القلبي ، فهذه الأعمال الظاهرة هي كالجسد بدون روح ، وأما وجود روح بدون جسد ، فهذا لا يتصور أصلاً ، أي لا يتصور أن يوجد الإيمان الباطن الحقيقي في القلب ، ولا يظهر أبداً أثر له على الجوارح ، فهذا من المحال مطلقاً ، وفي هذا أعظم الرد على من يقول: إن الإيمان هو مجرد التصديق القلبي ، حتى وإن لم يعمل الإنسان أي عمل من أعمال الإيمان ، كما قالت بذلك الجهمية وتبعهم سائر فرق المرجئة إلى عصرنا الحاضر ، وهذا موجودٌ في كل كتبهم: أن الإيمان عندهم -فقط- هو التصديق القلبي.

فكيف فهم السلف وكيف قالوا: إن الإيمان حقيقة مركبة من القول ومن العمل جميعاً.

نقول: فهموا ذلك من حديث جبريل ، فقد ورد في روايات صحيحة له ، أنه جاء رجل في آخر عُمْرِ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال الحافظ ابن حجر : ' إن ذلك يحتمل أن يكون بعد حجة الوداع وقبيل وفاته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ' وهو جبريل عليه السلام ليعلم المؤمنين دينهم ، كما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -في آخر الحديث-: {هذا جبريل جاءكم يعلمكم دينكم } لأن هذا آخر مجلس تذكر فيه هذه المعاني بعد اكتمال الفرائض.

وأما حديث وفد عبد القيس -مثلاً- لم يُذكر فيه إلا الشهادتان والصلاة والزكاة فقط ، لكن حديث جبريل ذكر الخمسة الأركان الظاهرة ، وذكر الستة الأركان الباطنة.

فقال للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {أخبرني ما الإسلام ؟ فقال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن مُحَمَّداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان وحج البيت } فذكر الأركان الخمسة في جواب قوله: ما الإسلام ؟ ثم لما {قال: ما الإيمان ؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وبالقدر خيره وشره } وفي رواية صحيحة على شرط مسلم -رواها ابن مندة - قال له جبريل بعد أن ذكر أركان الإسلام: {فإذا فعلت ذلك فأنا مسلم ؟ قال: نعم -وقال له بعد أن ذكر أركان الإيمان- فإذا فعلت ذلك فأنا مؤمن ؟ قال: نعم } وفهم الإمام أحمد من ذلك تكفير من ترك ركناً من أركان الإسلام أو ركناً من أركان الإيمان ، قال: ' ومن قال إنه يكون مؤمناً وإن لم يعمل شيئاً ، فقد عاند الحديث ' فهو يقول: من قال: إن الرجل يكون مؤمناً بالتصديق القلبي الباطن فقط فقد عاند الحديث ، ألم تره يقول: فإن فعلت ذلك فأنا مسلم ، فإن فعلت ذلك فأنا مؤمن ، فالصحابة رضوان الله تعالى عليهم وأهل السنة والجماعة -أيضاً- فهموا من هذا أن الإيمان قول وعمل: القول الباطن والعمل الباطن ، القول الباطن الذي هو قول القلب ، والقول الظاهر الذي هو قول اللسان ، والعمل الباطن الذي هو عمل القلب ، والعمل الظاهر الذي هو عمل الجوارح.

فمن هذا الحديث علمنا أن الأركان الستة هي أركان الإيمان ، وهي أعمال باطنة: أن تؤمن بقلبك بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر.

وأما أركان الإسلام الخمسة فهي أركان ظاهرة: شهادة أن لا إله إلا الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان والحج ، أي أعمال ظاهرة بالجوارح.

فيتركب من هذين -أي: الأعمال الظاهرة والأعمال الباطنة- حقيقة واحدة ، هي: الدين ، ولذلك يقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم } ، فلو تصورنا أن أحداً قال: الشهادتين وأدى الأركان الخمسة الظاهرة ، ولكن في الباطن لا يؤمن بالله ولا بكتبه ولا برسله ولا باليوم الآخر ، فهل هذا مؤمن ؟ لا يمكن أن يكون مؤمناً أبداً.

وأيضاً لو قلنا بعكس ذلك: أن يكون إنسان يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، ولا يشهد أن لا إله إلا الله ، ولا يصوم ولا يصلي ولا يزكي ولا يحج ، فلا يمكن أن يكون مؤمناً أيضاً.

إذاً الإيمان الشرعي يتركب من هاتين الحقيقتين معاً: من إيمان الظاهر وإيمان الباطن معاً ، ولذلك لما كان في حديث جبريل أُفْرِدَ الإسلام والإيمان ، أي قرنهما وذكرهما معاً ، فأفرد هذا بتعريف ، وهذا بتعريف ، وذكرهما معاً ، وذلك حتى نعلم الظاهر من الباطن.

وإذا قارناه بالأحاديث التي ذكر فيها الإيمان مفرداً نجد أنها تفسر ذلك ولا تناقضه ، فهنا لما ذكرهما معاً فسر حقيقة كل منهما ، بأن هذه هي الأعمال الظاهرة ، وهذه هي الأعمال الباطنة ، لكن في حديث وفد عبد القيس ، قال: {أتدرون ما الإيمان بالله ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم ، قال: شهادة أن لا إله إلا الله } مع أنه في حديث جبريل جعلها الركن الأول من أركان الإسلام أي الأعمال الظاهرة وكذلك في حديث الشعب:

الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله } جعلها من الإيمان فكيف نجمع بين نصين يدل أحداهما على أن الشهادتين من } الإسلام وآخر يدل على أنهما من الإيمان ؟

نقول: هذا دليل على أن الإيمان حقيقة مركبة من الظاهر والباطن معاً ، لكن إذا قُرِنَا معاً ، بُيِّنَت حقيقة الأعمال الظاهرة وأنها تسمى في عرف الشارع إسلاماً ، وحقيقة الأعمال الباطنة وأنها تسمى إيماناً ، أي مرتبةً من مراتب الدين ، فإذا ذكر الإسلام وحده ، كما قال تعالى: إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلامُ [آل عمران:١٩] فالدين عند الله فعل هذه الأركان جميعاً الظاهر منها والباطن ، وإذا ذكر الإيمان وحده يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ [النساء:١٣٦] فمعنى آمنوا بالله ورسوله ، أي اعملوا الأعمال الظاهرة والباطنة ، من أعمال الإيمان.

إذاً: مجموع هذه الأحاديث وهذه الآيات يدل على أن هذه الحقيقة مركبة ، فأحياناً تذكر الحقيقة ويذكر الجزء الأول منها (الباطن) ويذكر الجزء الظاهر منها ، ويعرف أن الإيمان يتركب منهما معاً ، وأحياناً يذكر واحد منهما لأنه يتكلم عنهما على أنهما حقيقة واحدة وأمر واحد لا فرق فيه ولا اختلاف.

المبحث الثاني

أصول أهل السنة في الإيمان ؛

الأصل الأول ؛ الإيمان إعتقاد بالجنان وقول باللسان وعمل بالأركان:

قال تعالى: {وحبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم} [الحجرات: ٧] ، وقال تعالى: {وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حُنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة} [البينة: ٥].

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (الإيمان بضع وسبعون - أو بضع وستون - شعبة ، فأفضلها ؛ قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان) [١].

قال الشافعي: (وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ومن أدركناهم يقولون: الإيمان قول وعمل ونية ، لا يجزي واحد من الثلاث إلا بالآخر) [٢].

قال شيخ الإسلام: (ومن أصول أهل السنة والجماعة ؛ أن الدين والإيمان قول وعمل ، قول القلب واللسان ، وعمل القلب واللسان والجوارح) [٣].

وقال ابن القيم: (وها هنا أصل آخر ؛ وهو ان حقيقة الإيمان مركبة من قول وعمل ، والقول قسمان: قول القلب ، وهو الاعتقاد ، وقول اللسان: وهو التكلم بكلمة الإسلام ، والعمل قسمان: عمل القلب ، وهو نيته وإخلاصه وعمل الجوارح ، فإذا زالت هذه الأربعة زال الإيمان بكماله ، وإذا زال تصديق القلب لم تنفع بقية الأجزاء ، فإن تصديق القلب شرط في اعتقادها وكونها نافعة ، وإذا زال عمل القلب مع اعتقاد الصدق ؛ فهذا موضع المعركة بين المرجئة وأهل السنة.

فأهل السنة ؛ مجمعون على زوال الإيمان ، وأنه لا ينفع التصديق مع انتفاء عمل القلب ، وهو محبته وانقياده ، كما لم ينفع إبليس وفرعون وقومه واليهود والمشركين الذين كانوا يعتقدون صدق الرسول ﷺ ، بل ويقرون به سرا وجهرا ، ويقولون ليس بكاذب ولكن لا نتبعه ولا نؤمن به ، وإذا كان الإيمان

يزول بزوال عمل القلب ؛ فغير مستنكر أن يزول بزوال أعظم أعمال الجوارح ، ولا سيما إذا كان ملزوما لعدم محبة القلب وانقياده الذي هو ملزوم لعدم التصديق الجازم - كما تقدم تقريره - فإنه يلزمه من عدم طاعة القلب عدم طاعة الجوارح ، إذ لو أطاع القلب وانقاد ؛ أطاعت الجوارح وانقادت ، ويلزم من عدم طاعته وانقياده عدم التصديق المستلزم للطاعة ، وهو حقيقة الإيمان ، فإن الإيمان ليس مجرد التصديق - كما تقدم بيانه - وإنما هو التصديق المستلزم للطاعة .[والانقياد) [٤

الأصل الثاني ؛ ولما كان الإيمان أصلا له شعب متعددة

وكل شعبة منها تسمى إيمانا ، فالصلاة من الإيمان ، وكذلك الزكاة والحج والصيام ، والأعمال الباطنة كالحياء والتوكل والخشية من الله والإنابة إليه ، " حتى تنتهي هذه الشعب إلى إماطة الأذى عن الطريق فإنه شعبة من شعب الإيمان.وهذه الشعب ؛ منها ما يزول الإيمان بزوالها ، كشعبة الشهادة ، ومنها ما لا يزول بزوالها ، كترك إماطة الأذى عن الطريق ، وبينهما شعب متفاوتة تفاوتا عظيما ، منها ما يلحق بشعبة الشهادة ويكون إليها أقرب ، ومنها ما يلحق بشعبة .إماطة الأذى ويكون إليها أقرب

وكذلك الكفر ذو أصل وشعب ، فكما أن شعب الإيمان إيمان ، فشعب الكفر كفر ، والحياء شعبة من الإيمان ، وقلة الحياء شعبة من شعب الكفر ، والصدق شعبة من شعب الإيمان ، والكذب شعبة من شعب الكفر ، والصلاة والزكاة والحج والصيام من شعب الإيمان ، وتركها من شعب الكفر ، والحكم .بماأنزل الله من شعب الإيمان ، والحكم بغير ما أنزل الله من شعب الكفر ، والمعاصي كلها من شعب الكفر ، كما ان الطاعات كلها من شعب الإيمان

وشعب الإيمان: قسمان ؛ قولية وفعلية ، وكذلك شعب الكفر: نوعان ، قولية وفعلية ، ومن شعب الإيمان القولية شعبة يوجب زوالها زوال الإيمان ، فكذلك من شعبة الفعلية ما يوجب زوالها زوال الإيمان ، وكذلك شعب الكفر القولية والفعلية ، فكما يكفر بالأتيان بكلمة الكفر اختيارا وهي شعبة من شعب الكفر ، فكذلك يكفر بفعل شعبة من شعبه كالسجود للصنم والاستهانة بالمصحف" [٥].والأصل في ذلك ؛ حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: .[(الإيمان بضع وسبعون - أو بضع وستون - شعبة ، فأفضلها ؛ قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان) [٦

[**الأصل الثالث** ؛ أنه "قد يجتمع في الإنسان إيمان ونفاق ، وبعض شعب الإيمان وشعبة من شعب الكفر[٧

قال ابن القيم: (وههنا أصل آخر ، وهو أن الرجل قد يجتمع فيه كفر وإيمان ، وشرك وتوحيد ، وتقوى وفجور ، ونفاق وإيمان ، هذا من أعظم اصول أهل السنة ، وخالفهم فيه غيرهم من أهل البدع ، كالخوارج والمعتزلة والقدرية ، ومسألة خروج أهل الكبائر من النار وتخليدهم فيها ؛ مبنية على هذا الأصل ، .[وقد دل عليه القرآن والسنة والفطرة وإجماع الصحابة) [٨

والأصل في ذلك ما رواه الشيخان عن المعرور ، قال: لقيت أبا ذر بالربذة - وعليه حلة وعلى غلامه حلة - فسألته عن ذلك ، فقال: إني ساببت رجلا فعيرته بأمه ، فقال لي النبي ﷺ: (يا أبا ذر أعيرته بأمه ؟! إنك امرؤ فيك جاهلية ، إخوانكم خولكم ، جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم ما يغلبهم ، فإن كلفتموهم فأعينوهم) [٩

وعن عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ ، قال: (أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها ، .[إذا أؤتمن خان ، وإذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر) [١٠

:**الأصل الرابع** ؛ الإيمان يزيد وينقص والناس يتفاضلون فيه

:قال تعالى: {إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً} [الأنفال

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (أكمل المؤمنين إيمانا ؛ أحسنهم خلقا) [١١].قال يعقوب بن سفيان: (الإيمان عند أهل السنة ؛ الإخلاص لله .[تعالى بالقلوب والألسنة والجوارح ، وهو قول وعمل ، يزيد وينقص ، على ذلك وجدنا كل من أدركنا من عصرنا بمكة والمدينة والشام والبصرة والكوفة) [١٢

الأصل الخامس ؛ "مرتكب الكبيرة مؤمن ناقص الإيمان ، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته ، فلا يُعطى إسم الإيمان المطلق - أي الإيمان الكامل - ولا :[يُسلب مطلق الإسم - أي أصل الإيمان -" [١٣

والأصل فيه ما رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال: قال النبي ﷺ: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو .[مؤمن ، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا ينتهب نهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن) [١٤

قال أبو عبيد: (والذي عندنا في هذا الباب كله - أي صيغ الوعيد - أن المعاصي والذنوب لا تزيل إيماناً ولا توجب كفراً ، ولكنها إنما تنفي من الإيمان .[حقيقته وإخلاصه) [١٥

الأصل السادس ؛ مرتكب الكبيرة إن مات من غير توبة ، فهو في مشيئة الله ، إن شاء عذبه ، وإن شاء غفر له ، ولا يخلد في النار:قال تعالى: {إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء} [النساء: ١١٦].وعن يزيد بن صهيب الفقير ، قال: كنا عند جابر فذكر الخوارج ، قال: قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم: (إن ناسا من أمتي يعذبون بذنوبهم ، فيكونون في النار ما شاء الله أن يكونوا ، ثم يعيرهم أهل الشرك فيقولون لهم ؛ ما نرى ما كنتم تخالفونا فيه من تصديقكم وإيمانكم نفعكم! لما يريد الله أن يري أهل الشرك من الحسرة ، فما يبقى موحد إلا أخرجه الله ، ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: {ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين} [الحجر: ٢]) [١٦].

الأصل السابع ؛ الإستثناء في الإيمان يقع على وجهين:

الأول: أن يراد به أصل الإيمان ، فالواجب الجزم به ، ولا يجوز الإستثناء فيه لما يتضمنه الإستثناء من تردد ، إلا أن يكون من باب التبرك بذكر المشيئة فلا حرج فيه

قال الأوزاعي: (من قال: أنا مؤمن فحسن ، ومن قال: أنا مؤمن إن شاء الله فحسن ، لقول الله حل وعلا: {لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين} [الفتح: ٢٧] ، وقد علم انهم داخلون) [١٧].

الثاني: أن يراد به كمال الإيمان ، فالإستثناء فيه واجب ، تجنباً لتزكية النفس ، ولأن المؤمن لا يعلم إن كان عمله مقبولاً عند الله أم لا ، ولا يجزم باستكمال أعمال الإيمان ، قال تعالى: {ولا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن أتقى} [النجم: ٣٢].

وقال رجل لعلقمة: أمؤمن أنت ؟ فقال: (أرجو إن شاء الله) [١٨].

وقال يحيى بن سعيد: (ما أدركت أحداً من أصحابنا إلا على الإستثناء) [١٩].

الأصل الثامن ؛ الإيمان له طعم وحلاوة وحقيقة وآيات:

عن العباس بن عبد المطلب أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (ذاق طعم الإيمان من رضى بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا) [٢٠].

عن أنس عن النبي ﷺ قال: (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان ، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار) [٢١].

(وعن أنس عن النبي ﷺ قال: (آية الإيمان حب الأنصار ، وآية النفاق بغض الأنصار [

الأصل التاسع ؛ التلازم بين الظاهر والباطن:

عن النعمان بن بشير قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (الحلال بين والحرام بين ، وبينهما مشبهات ، لا يعلمها كثير من الناس ، فمن اتقى المشبهات استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه ، ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا إن حمى الله في أرضه محارمه ، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب)

<u>لفت النظر الى ضلالتين تفرعتا عن مذاهب المرجئة يجب الحذر منهما</u>

الضلالة الأول:

زعم بعض الناس: أن الكفر محصور في الجحود والإستحلال:

وأصل هذه الضلالة من جهة المرجئة ، حيث أنهم لما قرروا أن الإيمان هو التصديق فحسب ، إضطرهم ذلك إلى حصر الكفر في نقيضه ، لتوفية المقابلة بين الإيمان والكفر حقها.

ولما ووجهوا بما أجمع المسلمون على اعتباره كفراً من الأعمال - كالسجود للصنم - تخلصوا من لازم قولهم - وهو ألا يكون السجود للصنم كفراً - ؛ بجعل هذا العمل علامة على الكفر ، الذي هو عندهم إنتفاض الإعتقاد الباطن وليس كفرا بالوضع الشرعي [٢٤].

قال ابن تيمية: (ومن هنا يظهر خطأ قول جهم بن صفوان ومن إتبعه ، حيث ظنوا أن الإيمان مجرد تصديق القلب وعلمه ، لم يجعلوا أعمال القلب من الإيمان ، وظنوا أنه قد يكون الإنسان مؤمنا كامل الإيمان بقلبه وهو مع هذا يسب الله ورسوله ويعادى الله ورسوله ويعادى أولياء الله ويوالى أعداء الله ويقتل الأنبياء ويهدم المساجد ويهين المصاحف ويكرم الكفار غاية الكرامة ويهين المؤمنين غاية الإهانة ، قالوا: وهذه كلها معاص لا تنافي الإيمان الذي في قلبه ، بل يفعل هذا وهو في الباطن عند الله مؤمن ، قالوا: وإنما ثبت له في الدنيا أحكام الكفار لأن هذه الأقوال أمارة على الكفر ، ليحكم بالظاهر كما يحكم بالإقرار والشهود ، وإن كان في الباطن قد يكون بخلاف ما اقر به وبخلاف ما شهد به الشهود ، فإذا أورد عليهم الكتاب والسنة والإجماع ؛ على أن الواحد من هؤلاء كافر في نفس الأمر معذب في الآخرة ، قالوا: فهذا دليل على إنتفاء التصديق والعلم من قلبه ، فالكفر عندهم شيء واحد ، وهو الجهل والإيمان ، شيء واحد وهو العلم أو تكذيب القلب وتصديقه ، فإنهم متنازعون هل تصديق القلب شيء غير العلم أو هو ؛ هو.

وهذا القول - مع أنه أفسد - قول قيل في الإيمان ، فقد ذهب إليه كثير من أهل الكلام المرجئة.

.وقد كفر السلف - كوكيع بن الجراح وأحمد بن حنبل وابى عبيد وغيرهم - من يقول بهذا القول

.وقالوا: إبليس كافر بنص القرآن وإنما كفره بإستكباره وإمتناعه عن السجود لآدم ، لا لكونه كذب خبرا

وكذلك فرعون وقومه ، قال الله تعالى فيهم: {وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا} ، وقال موسى عليه السلام لفرعون: {لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر} ، بعد قوله: {ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فاسأل بني إسرائيل إذ جاءهم فقال له فرعون إني لأظنك يا موسى مسحورا * قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر وإني لأظنك يا فرعون مثبورا} ، فموسى وهو الصادق المصدوق يقول: {لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر} ، فدل على أن فرعون كان عالما بأن الله أنزل الآيات ، وهو من أكبر خلق الله عنادا وبغيا ، لفساد إرادته وقصده ، لا لعدم علمه ، قال تعالى: {إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين} ، وقال تعالى: .{{وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا

.{وكذلك اليهود الذين قال الله فيهم: {الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم

.{وكذلك كثير من المشركين الذين قال الله فيهم: {فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون

:<u>فهؤلاء غلطوا في أصلين</u>

أحدهما ؛ ظنهم أن الإيمان مجرد تصديق وعلم فقط ، ليس معه عمل وحال وحركة وإرادة ومحبة وخشية في القلب ، وهذا من أعظم غلط المرجئة مطلقا ، فإن أعمال القلوب - التى يسميها بعض الصوفية أحوالا ومقامات أو منازل السائرين إلى الله أو مقامات العارفين أو غير ذلك - كل ما فيها مما فرضه الله ورسوله فهو من الإيمان الواجب ، وفيها ما أحبه ولم يفرضه فهو من الإيمان المستحب ، فالأول لابد لكل مؤمن منه ، ومن اقتصر عليه ؛ فهو من الابرار اصحاب اليمين ، ومن فعله وفعل الثاني ؛ كان من المقربين السابقين ، وذلك مثل حب الله ورسوله ، بل أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، بل أن يكون الله ورسوله والجهاد في سبيله أحب إليه من أهله وماله ، ومثل خشية الله وحده دون خشية المخلوقين ، ورجاء الله وحده دون رجاء المخلوقين ، والتوكل على الله وحده دون المخلوقين ، والإنابة إليه مع خشيته ، كما قال تعالى: {هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب} ، .ومثل الحب في الله والبغض في الله والموالاة لله والمعاداة لله

والثاني ؛ ظنهم أن كل من حكم الشارع بأنه كافر مخلد في النار ؛ فإنما ذاك ، لأنه لم يكن في قلبه شيء من العلم والتصديق ، وهذا أمر خالفوا به الحس والعقل والشرع وما أجمع عليه طوائف بنى آدم السليمي الفطرة وجماهير النظار ، فإن الإنسان قد يعرف أن الحق مع غيره ومع هذا يجحد ذلك ، لحسده إياه أو لطلب علوه عليه أو لهوى النفس ، ويحمله ذلك الهوى على أن يعتدى عليه ويرد ما يقول بكل طريق ، وهو في قلبه يعلم أن الحق معه ، وعامة من كذب الرسل علموا أن الحق معهم وأنهم صادقون ، لكن إما لحسدهم وإما لإرادتهم العلو والرياسة وإما لحبهم دينهم الذي كانوا عليه وما يحصل لهم به من الأغراض - كأموال ورياسة وصداقة أقوام وغير ذلك - فيرون في اتباع الرسل ترك الأهواء المحبوبة إليهم أو حصول أمور مكروهة إليهم ، فيكذبونهم .[ويعادونهمن فيكونون من أكفر الناس - كإبليس وفرعون - مع علمهم بأنهم على الباطل والرسل على الحق) [٢٥

وهذا القول - أي حصر الكفر في إنتقاض إعتقاد القلب - مع تولده عن مذهب المرجئة في تعريف الإيمان ، هو مصادم للإجماع الصريح على خلافه عند .السلف

قال الإمام اسحاق بن راهويه - أحد الأئمة الأعلام -: (أجمع المسلمون ؛ على أن من سب الله أو سب رسوله ﷺ أو دفع شيئًا مما أنزل الله عز وجل أو .[قتل نبيا من أنبياء الله عز وجل انه كافر بذلك ، وان كان مقرا بكل ما انزل الله) [٢٦

وقال ابن القيم: (وها هنا أصل آخر ، وهو أن الكفر نوعان ، كفر عمل وكفر جحود وعناد ، فكفر الجحود ؛ أن يكفر بما علم أن الرسول جاء به من عند الله جحودا وعنادا من اسماء الرب وصفاته وأفعاله وأحكامه ، وهذا الكفر يضاد الإيمان من كل وجه ، وأما كفر العمل ؛ فينقسم إلى ما يضاد الإيمان وإلى ما لا [يضاده) [٢٧

.

:الضلالة الثانية

الملة ، وربما عبروا عنه بأن الأعمال - أي زعمهم أن الإعراض الكلي عن الأعمال الظاهرة - أو ما يعبر عنه بترك جنس العمل - ليس كفراً مخرجاً من الملة ، بمجموعها لا بالنظر لكل فرد منها على حدة - شرط كمال في الإيمان.

وهذا من تأثير الخلل في تعريف الإيمان ، فإن المرجئة لما عرفوا الإيمان بالتصديق ولم يدخلوا الأعمال في مسماه ، كان من لازم قولهم ؛ أن لا يكفر المؤمن بترك جميع الأعمال الظاهرة ما دام التصديق والإعتقاد ثابتاً في قلبه ، وقد إلتزموه" [٢٨

قال ابن تيمية: (وقول القائل: الطاعات ثمرات التصديق الباطن ، يراد به شيئان ، يراد به أنها لوازم له فمتى وجد الايمان الباطن وجدت ، وهذا مذهب السلف وأهل السنة ، ويراد به أن الإيمان الباطن قد يكون سببا وقد يكون الايمان الباطن تاما كاملا ، وهي لم توجد ، وهذا قول المرجئة من الجهمية وغيرهم.

وقد ذكرنا فيما تقدم أنهم غلطوا في ثلاثة أوجه:

أحدها ؛ ظنهم أن الإيمان الذي في القلب يكون تاما بدون العمل الذي في القلب ، تصديق بلا عمل للقلب - كمحبة الله وخشيته وخوفه والتوكل عليه والشوق إلى لقائه -

والثاني ؛ ظنهم أن الإيمان الذي في القلب يكون تاما بدون العمل الظاهر ، وهذا يقول به جميع المرجئة.

والثالث ؛ قولهم كل من كفره الشارع فانما كفره لانتفاء تصديق القلب بالرب تبارك وتعالى ، وكثير من المتأخرين لا يميزون بين مذاهب السلف واقوال المرجئة والجهمية ، لاختلاط هذا بهذا في كلام كثير منهم ممن هو في باطنه يرى رأى الجهمية والمرجئة في الإيمان وهو معظم للسلف وأهل الحديث ، فيظن أنه يجمع بينهما ، أو يجمع بين كلام أمثاله وكلام السلف) [٢٩.

والخلاصة ؛ أن هذه الضلالة تناقض أصلين من أصول أهل السنة:

الأول ؛ شمول مفهوم الإيمان للعمل:

قال الإمام أحمد: (الإيمان لا يكون إلا بعمل) [٣٠.

وقال ابن أبي زمنين: (الإيمان بالله ؛ هو باللسان والقلب ، وتصديق ذلك العمل ، فالقول والعمل قرينان لا يقوم أحدهما إلا بصاحبه) [٣١.

قال اللالكائي: أخبرنا مُحَمَّد بن أحمد البصير قال: أنا عثمان بن أحمد قال: نا حنبل بن إسحاق قال: نا الحميدي: (وأخبرت أن أناسا يقولون من أقر بالصلاة والزكاة والصوم والحج ولم يفعل من ذلك شيئًا حتى يموت ، أو يصلي مستدبر القبلة حتى يموت ، فهو مؤمن ما لم يكن جاحدا ، إذا علم أن تركه ذلك فيه إيمانه ، إذا كان يقر بالفرائض واستقبال القبلة ، فقلت: هذا الكفر الصراح وخلاف كتاب الله وسنة رسوله وفعل المسلمين ، قال الله عز وجل: {وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة }).

أنا مُحَمَّد أنا عثمان نا حنبل قال: سمعت أبا عبد الله يعني أحمد بن حنبل يقول: (من قال هذا ؛ فقد كفر بالله ورد على الله أمره وعلى الرسول ما جاء به) [٣٢].

الثاني ؛ التلازم بين الظاهر والباطن:

قال ابن تيمية: (وقد تقدم ؛ أن جنس الأعمال من لوازم إيمان القلب ، وأن إيمان القلب التام بدون شيء من الأعمال الظاهرة ممتنع) [٣٣].وكان قد قال [٣٤]: (ومن الممتنع أن يكون الرجل مؤمناً إيماناً ثابتاً في قلبه بأن الله فرض عليه الصلاة والصيام والزكاة والحج ، ويعيش دهره لا يسجد له سجدة ، ولا يصوم من رمضان ، ولا يؤدي زكاة ، ولا يحج إلى بيته ، فهذا ممتنع ولا يصدر إلا مع نفاق القلب وزندقته) [٣٥.

ومن أجل ضلال هؤلاء المرجئة ندعو أخواننا السلفيين ؛ إلى التعاون على محاربة التيار الإرجائي ، وعدم التهاون فيه ، ونُذكر بضرورة إعمال قاعدتي النقد والهجر الوقائي ، لصيانة المعتقد السلفي من التغيير والإنحراف.

كما نذكر بضرورة التفريق:

بين من كان إماما في السنة ، معروفا بتحري الحق ، وله سابقة حسنة في الدين ولكنه وقع في شيء من فروع الإرجاء ، على وجه الزلل ، ولم ينتصب للدعوة لذلك.

وبين من تصدى للدعوة لتيار الإرجاء وذب عنه ، ووالى وعادى عليه ، وألف فيه الرسائل ، وعقد لأجله المحاضرات.

فالأول ؛ يُعتذر له ، ولا يتابع على زلته.

.والثاني ؛ يعامل بأشد من ذلك ، مما تقتضيه صيانة الدين والنصح للمسلمين
."وقد أشار لهذا التفريق جمع من العلماء ، وفصل فيه الشاطبي في "الإعتصام و الله اعلم

المبحث الثالث

الكفر

تعريف الكفر

تعريفه لغة:

أصل الكفر تغطية الشيء ، وسمى الفلاح كافراً لتغطية الحب ، وسمي الليل كافراً لتغطية كل شيء.

قال تعالى {كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ} [الحديد ، آية ٢٠] ،

وقال لبيد بن ربيعة: _ حتى إذا ألقت يداً في كافر ، يريد الليل ؛ لأنه يغطي كل شيء ،

والكفر جحود النعمة وهو نقيض الشكر ،

وكفرّه بالتشديد ، نسبه إلى الكفر ، أو قال له كفرت بالله ، وأكفره إكفاراً: حكم بكفره.

والكفر: ضد الإيمان ؛ سمي بذلك لأنه تغطية للحق.

يقول ابن الجوزى " ذكر أهل التفسير أن الكفر في القرآن على خمسة أوجه: _

أحدها الكفر بالتوحيد ، ومنه قوله تعالى في البقرة {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ} [آية ٦] ،

والثاني: كفران النعمة ، ومنه قوله تعالى في البقرة: {وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ} [آية ١٥٢] ،

والثالث: التبرؤ ، ومنه قوله تعالى في العنكبوت:{ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ}[آية ٢٥] ، أي يتبرأ بعضكم من بعض ،

والرابع: الجحود ، ومنه قوله تعالى في البقرة: _ {فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ} [آية ٨٩] ،

والخامس: التغطية ، ومنه قوله تعالى في الحديد: _{أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ} [آية ٢٠] ، يريد الزراع الذين يغطون الحب) " نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر ، ابن الجوزي ١١٩/٢ ، ١٢٠

و أما تعريف الكفر إصطلاحاً ،

هو الاعتقاد والقول والعمل المنافي للإيمان ، وهو على شعب ، ومراتب متفاوتة.

والكفر: هو نقيض الإيمان ، أو عدم الإيمان.

والإيمان: هو الإقرار التام ظاهراً وباطناً بما جاء به الرسول ﷺ من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ، والعمل به ظاهراً وباطناً.

أي: هو جميع الطاعات الباطنة والظاهرة.

والكفر: ما يناقض الإيمان ؛ من اعتقاد ، أو قول ، أو عمل.

والكفر: هو الكفر بالله - عز وجل - وعدم الإيمان به - سبحانه وتعالى - أو بما جاء به رسوله ﷺ من التشريع ، أو إنكار شيء من ذلك ، أو الإيمان ببعضه دون بعض ؛ سواء كان معه تكذيب ، أو لم يكن معه تكذيب ؛ بل مجرد شك وريب ، أو توقف ، أو إعراض ، أو حسد ، أو كبر ، أو بغض الدين ، أو بغض الرسول ﷺ أو سبه ، أو عداوته ، أو اتباع لبعض الأهواء الصادة عن اتباع حكم الله سبحانه وتعالى.

ويقع الكفر: باعتقاد القلب ، وبالفعل ، وبالقول ، وبالشك ، وبالترك.

فالإيمان والكفر نقيضان لا يجتمعان أبداً ؛ فمتى وجد أحدهم انتفى الآخر ، ومن المقرر في المعقول أن النقيضين لا يجتمعان.

والكفر ذو أصول وشعب متفاوتة: منها ما يوجب الخروج من ملة الإسلام ، ومنها ما هو دون ذلك.فيرد ذكر الكفر في النصوص الشرعية ؛ مراداً به - أحياناً - الكفر الأكبر أي المخرج عن الملة ، وأحياناً الكفر الأصغر غير المخرج عن الملة ، وذلك أن للكفر شعباً كما أن للإيمان شعباً ، وكما أن الإيمان قول وعمل ، فكذلك الكفر قول وعمل.

والمعاصي والذنوب كلها من شعب الكفر ، كما أن الطاعات كلها من شعب الإيمان.

ومن أصول أهل السنة والجماعة ؛ أنه من الممكن أن يجتمع في العبد بعض شعب الإيمان ، وبعض شعب الكفر أو النفاق التي لا تنافي أصل الإيمان وحقيقته ، قال الله تبارك وتعالى:{ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ }.

والكفار في الشرع صنفان:

الصنف الأول: كفار أصليون ؛ أي الذين لم يدخلوا في دين الإسلام أصلاً ، وهم: الدهريون ، والفلاسفة ، والمشركون ، والمجوس ، والوثنيون ، وأهل الكتاب من اليهود والنصارى ، وغيرهم من أمم الكفر ؛ فهؤلاء قد دل على كفرهم الكتاب والسنة والإجماع ، وموتاهم مخلدون في النار ، ويحرم عليهم دخول الجنة ، وأمرهم معلوم من الدين بالضرورة.

فهؤلاء الكفار ؛ يجب على المسلمين دعوتهم إلى الإسلام حتى يستجيبوا ؛ فإن لم يستجيبوا وجب قتالهم متى استطاعوا ذلك ؛ حتى يدخلوا في الإسلام ، أو يدفعوا الجزية وهم صاغرون.

ويثبت الإسلام لهؤلاء بالتلفظ بالشهادتين أو مايدل على أنهم دخلوا فى الإسلام ويجب الكف عنهم عندقولهم ذلك

الصنف الثاني: المرتدون ؛ الذين ينتسبون إلى الإسلام ، ولكن يصدر منهم اعتقاد ، أو فعل ، أو قول ، يناقض إسلامهم ؛ فيكفرون بذلك ، وإن قاموا ببعض شعائر الإسلام ؛ كالباطنية ، وغلاة الرافضة ، والقاديانية ، ونحوهم.

وهؤلاء لايقبل منهم التلفظ بالشهادتين ولا يجب الكف عنهم إلا إذا دخلوا من الباب الذى خرجوا منه.

فيجب التفريق بين من يقول لاإله إلا الله وهو كافر أصلى فيجب الكف عنه ،وعليه يُحمل حديث أسامة والمقداد وغيرهما فى ثبوت عقد الإسلام للكافر الأصلي إذا نطق بالشهادتين .

وبين من يقول لاإله إلا الله وهو كافر مرتد لم يخرج من الإسلام من باب الإمتناع عن التلفظ بالشهادتين ،بل هو يقولهما حال ردته وكفره ،فلا تغنى عنه شيئاً حتى يدخل من الباب الذى خرج منه كحال مسيلمة الكذاب والأسود

العنسى على عهد النبى ﷺ ،وكحال المرتدين فى عهد أبى بكر رضى الله عنه وكان إجماع الصحابة على ذلك ،فالمسلم هو الذى تخلى عن الشرك فى البدء والاستمرار والإنتهاء ومات على ذلك ،فلا تنفع لاإله إلا الله مع الشرك الأكبر فإن الشرك محبط للعمل ،ولا تدخل الجنة إلا نفس مسلمة مؤمنة طيبة موحدة ،فيجب فهم هذا الفرق

والكفر في الشرع نوعان: كفر أكبر، وكفر أصغر.

النوع الأول: كفر أكبر مخرج من الملة:

وهو يناقض الإيمان ، ويخرج صاحبه من الإسلام ، ويوجب الخلود في النار ، ولا تناله شفاعة الشافعين ، ويكون بالاعتقاد ، وبالقول ، وبالفعل ، وبالشك والريب ، وبالترك ، وبالإعراض ، وبالاستكبار.

ولهذا الكفر أنواع كثيرة ؛ من لقي الله تعالى بواحد منها لا يغفر له ، ولا تنفعه الشفاعة يوم القيامة ، ومن أهمها:

١- كفر الإنكار والتكذيب:

وهو ما كان ظاهراً وباطناً ، مثل اعتقاد كذب الرسل ، وأن إخبارهم عن الحق بخلاف الواقع ، أو ادعاء أن الرسول ﷺ جاء بخلاف الحق ، وكذلك من ادعى أن الله تعالى حرم شيئاً أو أحله مع علمه بأن ذلك خلاف أمر الله ونهيه.

وإن كان هذا النوع قليل فى الكفار ،فإن الله تعالى أيد رسله بالمعجزات وأعطاهم من البراهين والآيات على صدقهم ماأقام به الحجة وأزال به المعذرة ,والدليل على ذلك قوله تعالى:ومن أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ [العنكبوت: ٦٨

وقوله تعالى (وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (١٤))النمل ١٤ ،

وقوله تعالى (قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (٣٣))الأنعام ٣٣ ،

٢- كفر الجحود الإباء والاستكبار مع التصديق:

وهو عدم الانقياد والإذعان لرسول الله ظاهراً مع العلم به ومعرفته باطناً ، وذلك بأن يقر أن ما جاء به الرسول ﷺ حق من ربه ؛ لكنه يرفض اتباعه أشراً وبطراً واحتقاراً للحق وأهله.

والجحد في اللغة: إنكارك بلسانك ما تستيقنه نفسك ، قال تعالى " " فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون " " الأنعام ، آية ٣٣ ،

٣- كفر الشك:

بأن لا يجزم بصدق النبي ﷺ ولا كذبه ؛ بل يشك في أمره ، ويتردد في اتباعه ؛ إذ المطلوب هو اليقين بأن ما جاء به الرسول من ربه حق لا مرية فيه ؛ فمن شك في الإتباع لما جاء به الرسول ، أو جوز أن يكون الحق خلافه ؛ فقد كفرَ كُفر شك.

والدليل قوله تعالى: وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَداً (٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْراً مِّنْهَا مُنقَلَباً (٣٦) قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً (٣٧) لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً [الكهف:٣٥-٣٨ ٤

٤- كفر الإعراض:

بأن يعرض بسمعه وقلبه عما جاء به الرسول ﷺ ؛ فلا يصدق ذلك ولا يكذبه ، ولا يوالي الرسول ﷺ ولا يعاديه ، ولا يصغي إلى ماجاء به ، ويترك الحق لا يتعلمه ولا يعمل به ، ويهرب من الأماكن التي يذكر فيها الحق ؛ فهو كافر كفر إعراض.

وهو أنواع :

النوع الأول : أن يعرض عن هذا الدين كله لا يهتم بالإسلام ولا بالواجب ولا بالمحرم ولا تدخل في اهتماماته وهذا أغلظ الأنواع

النوع الثاني : أن يعرض عن أصل الدين لا يتعلمه ولا يعمل به ، مثل إعراض المشركين ، ومثل إعراض من يدعي القبلة وهو يفعل الشرك الكبر جهلا أو تأويلا .

النوع الثالث : أن يعرض عن الأركان الأربعة فلا يتعلمها ولا يعمل بها وهو عائش بين المسلمين وهذا كفر.

النوع الرابع : أن يعرض عن المسائل الظاهرة لا يتعلمها ولا يعمل بها وهو عائش بين المسلمين

ما الفرق بين الإعراض والإباء والاستكبار ؟ .

بينهما عموم وخصوص الإعراض عام لأن من كَفر كُفر إباء أو استكبار فهو معرض لكنه معرض عن علم وعناد ، وأما كفر الإعراض هنا في هذا النوع الرابع فيقصد به الإعراض عن جهل وعدم اهتمام وهو يكون عند المقلدة والعوام فيعرضون تبعاً لعلمائهم وحكامهم مثل إعراض القبورية عن تعلم التوحيد والعمل به ومثل إعراض الحكام عن سؤال العلماء في الأمور العامة كتنظيم الناحية الاجتماعية والناحية الاقتصادية والسياسة فيعرضون عن الاستفتاء فيها وينتهجون العلمانية ، أو يعرضون عن تطبيق الشريعة في النواحي السياسية ونحوها.

والدليل قوله تعالى: وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ [الأحقاف:٣

والدليل قوله تعالى: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ [السجدة:٢٢

وقوله تعالى (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ (٢٣))/آل عمران٢٣

وقوله (وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آَيَةٍ مِنْ آَيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ (٤))الأنعام ٤

وقوله (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآَيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آَذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا (٥٧)) الكهف

وقوله (أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آَلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ (٢٤))الأنبياء ٢٤

٥- كفر النفاق:

هو إظهار الإسلام والخير ، وإبطان الكفر والشر.

وهو مخالفة الباطن للظاهر ، وإظهار القول باللسان ، أو الفعل ؛ بخلاف ما في القلب من الاعتقاد.

والمنافق: يخالف قوله فعله ، وسره علانيته ؛ فهو يدخل الإسلام من باب ، ويخرج من باب آخر ، ويدخل في الإيمان ظاهراً ، ويخرج منه باطناً ؛ فهذا هو النفاق الأكبر.

والمراد به النفاق الأكبر بعدم تصديق القلب وعمله مع الانقياد ظاهرا كابن سلول وحزبه ومن هو على شاكلته والدليل قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون:٣

وقوله تعالى وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ)إلى قوله تعالى (يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٠) البقرة ٨-٢٠ .

٦- كفر السب والاستهزاء:

وهو استهزاء ، أو سخرية أو انتقاص ، أو سب بشيء من دين الإسلام مما هو معلوم من الدين بالضرورة ؛ سواء كان هازلاً ، أو لاعباً ، أو مجاملاً لكفار ، أو في حال مشاجرة ، أو في حال غضب ، ونحوها ؛ فقد أجمع الأئمة على كفر فاعله.

٧- كفر البغض:

وهو كره دين الإسلام ، أو شيئاً من أحكامه ، أو شيئاً من شرع الله تعالى ، أو مما أنزل ، أو كره نبي الإسلام ﷺ أو ما جاء به من الشرع ، أو شيئاً من ذلك ، وتمنى أنه لم يكن ، أو كره شيئاً مما أجمع أهل العلم عليه أنه من الدين.

لأن من تعظيم هذا الدين العظيم محبته ، ومحبة الله تعالى ورسوله الأمين ﷺ وما أنزل الله من الشرع من أوامره ونواهيه ، ومحبة أوليائه ، والمحبة: شرط من شروط (لا إله إلا الله).

والبغض يناقض المحبة والقبول والانقياد والتسليم ، ويريد العداوة والكراهية للحق ولأوليائه.

٨- كفر الجهل :

هو ما كان ظاهرا وباطنا كغالب الكفار من قريش ومن قبلهم من الأمم الذين قال الله تعالى فيهم : { الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ } ،

وقال تعالى : { وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ } ،

وقال تعالى : { وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ حَتَّى إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمْ مَاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } . الآيات ،

وقال تعالى : { بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ } . الآيات

وقوله تعالى :- (وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ (١١١)الأنعام

وقال تعالى (قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ (٦٤)الزمر

يقول الإمام ابن القيم - رحمه الله - (... و أما كفر الجهل مع عدم قيام الحجة ، وعدم التمكن من معرفتها ، فهذا الذي نفي الله التعذيب عنه حتى تقوم حجة الرسل) (٤٨٠).

ويقول أيضاً: (.... فإن حجة الله قامت على العبد بإرسال الرسل ،وإنزال الكتب ، وبلوغ ذلك إليه ، وتمكنه من العلم به ، سواء علم أو جهل ، فكل من تمكن من معرفة ما أمر الله به ونهى عنه ، فقصر عنه ولم يعرفه ، فقد قامت عليه الحجة ، والله سبحانه لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه)

فكفر الجهل : مثل أهل الفترة الذين وردت السنة في أنهم يمتحنون يوم القيامة ، فهؤلاء كفار بالإجماع ، لأن كل من لم يدن بدين الإسلام يكون كافراً ولو لم يكن معاندا.

فالكافر قد يكون كافرا معاندا وقد يكون كافرا جاهلا

وقد جعل ابن القيم كفر الجهل قائما على نوعين :

أ .عدم قيام الحجة أي لم يسمعها ولم يتمكن منها لكونه في بادية أو مفازة بعيدة أو حديث عهد بكفر أو عاش ونشأ في بلاد كفر منقطع به عن أهل الإسلام ، هذا من لم تقم عليه الحجة هنا . لكنه ليس بمسلم وليس معنى أنها لم تقم عليه الحجة أنه يسمى مسلما جاهلا فليس كذلك كما نقل ابن القيم الإجماع كما سبق أن من لم يوحد الله فليس بمسلم كائنا من كان أصليا أو ادعى القبلة ، فقال (والإسلام هو توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له والإيمان بالله وبرسوله وإتباعه فيما جاء به فما لم يأت العبد بهذا فليس بمسلم وإن لم يكن كافرا معاندا فهو كافر جاهل) اهـ . ويخطئ كثير من الناس إذا قيل انه جاهل خالف في باب أصل الدين أنه معذور ، فيظن أنه معذور في باب الأسماء والأحكام وهذا خطأ بل معذور في باب الأحكام لا الأسماء إلا اسم الكفر فهو

معذور فيه .أي كفر التكذيب والعناد والعذاب لأنه لم تبلغه الحجة ، لكنه ليس بمسلم بل مشرك خارج عن الملة وان لم يسم كافرا . ونقل أئمة الدعوة الإجماع على ذلك .

٩- كفر التقليد :

أما كفر التقليد: فهو كقوله تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ).

قال تعالى: (وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ)

فهذه بعض أنواع الكفر الأكبر وبهذا يتضح فساد قول المرجئة والفرق الضالة من أهل الأهواء والبدع من حصر الكفر بالجحود والاستحلال والاعتقاد القلبي فقط وقد تبين بالقرآن والسنة الصحيحة أن الكفر ليس محصورا فى القلب والاعتقاد فقط بل هو بالقول والعمل والاعتقاد والشك والترك إلى غير ذلك من أنواع الكفر الأكبر ،لذلك لاينبغى تسميته أو تقسيمه إلى كفر اعتقاد وكفر عمل لأن الكفر الأكبر منه ماهو بالعمل ومنه غير ذلك ،

والترك المكفر ،إما ترك التوحيد ،أو ترك الانقياد بالعمل ،أو ترك الحكم بما أنزل الله ،أو ترك الصلاة ،وكل ذلك يدل على أن الكفر يكون بالاعتقاد ويكون بالقول ويكون بالعمل ويكون بالشك ويكون بالترك ،كما سبق خلافا للمرجئة الذين يحصرون الكفر فى اعتقاد القلب ،وانشراح الصدر ،والجحود والاستحلال والتكذيب واشتراط القصد(أى قصد الكفر)

النوع الثاني: كفر أصغر غير مخرج من الملة:

وهو ما لا يناقض أصل الإيمان ؛ بل ينقصه ويضعفه ، ولا يسلب صاحبه صفة الإسلام وحصانته ، وهو المشهور عند العلماء بقولهم: (كفر دون كفر) ويكون صاحبه على خطر عظيم من غضب الله - عز وجل - إذا لم يتب منه ؛ وقد أطلقه الشارع على بعض المعاصي والذنوب على سبيل الزجر والتهديد ؛ لأنها من خصال الكفر ، وهي لا تصل إلى حد الكفر الأكبر ، وما كان من هذا النوع فمن كبائر الذنوب.

وهو مقتض لاستحقاق الوعيد والعذاب دون الخلود في النار ، وصاحب هذا الكفر ممن تنالهم شفاعة الشافعين ،ولهذا النوع من الكفر صور كثيرة ، منها:

١- كفر النعمة:

وذلك بنسبتها إلى غير الله تعالى دون اعتقاده.

قال تعالى:{ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ }.

كقول الرجل: هذا مالي ورثته عن آبائي على سبيل إسناد النعمة إلى آبائه ، أو قول أحدهم: لولا فلان لم يكن كذا .. وغيرها مما هو جار على ألسنة كثير من الناس ، والمراد أنهم ينسبونه إلى أولئك ، مع علمهم أن ذلك بتوفيق الله.

ومن ذلك تسمية الأبناء بعبد الحارث ، وعبد الرسول ، وعبد الحسين ونحوها ؛ لأنه عبده لغيره الله مع أنه هو خالقه والمنعم عليه.

٢- كفران العشير والإحسان:

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال النبي ﷺ : (أريت النار ؛ فإذا أكثر أهلها النساء ، يكفرن) قيل: أيكفرن بالله. قال: (يكفرن العشير ، ويكفرن الإحسان ؛ لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأت منك شيئاً ، قالت: ما رأيت خيراً قط) .

٣- الحلف بغير الله تعالى : لقوله ﷺ :

(من حلف بغير الله فقد كفر ، أو أشرك) .

فإجماع أهل السنة والجماعة على أن هذا الشرك والكفر هما من الأصغر الذي لا يخرج صاحبه من الإسلام ، ما لم يعظم المخلوق به في قلب الحالف كعظمة الله تعالى.

٤- قتال المسلم: لقوله ﷺ :(سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر) .

وقوله ﷺ : (لا ترجعوا بعدي كفاراً ؛ يضرب بعضكم رقاب بعض).

فهذا النوع من الكفر غير مخرج من الملة باتفاق الأئمة ؛ لأنهم لم يفقدوا صفات الإيمان ،

لقول الله تعالى { وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا }.

٥- الطعن في النسب، والنياحة على الميت:

قال النبي ﷺ : (اثنتان في الناس هما بهم كفر ؛ الطعن في النسب ، والنياحة على الميت) (٤٦٧).

٦- الانتساب إلى غير الأب:

قال النبي ﷺ :

(لا ترغبوا عن آبائكم ؛ فمن رغب عن أبيه فهو كفر) .

وقال ﷺ : (ليس من رجل ادعى لغير أبيه - وهو يعلمه - إلا كفر ، ومن ادعى قوماً ليس له فيهم نسب ؛ فليتبوأ مقعده من النار) .

وأنواع الكفر الأصغر كثيرة يتعذر حصرها ؛ فكل ما جاءت به النصوص الشرعية من تسميته كفراً ، ولم يصل إلى حد الكفر الأكبر ، أو النفاق الأكبر ، أو الشرك الأكبر ، أو الفسق الأكبر ، أو الظلم الأكبر ؛ فهو كفر أصغر.

كلام أهل السنة في تعريف الكفروحقيقته.

يقول ابن تيمية: " الكفر: عدم الإيمان ، باتفاق المسلمين ، سواء اعتقد نقيضه وتكلم به ، أو لم يعتقد شيئاً ولم يتكلم ٨٦/٢٠

ويقول: ــ ((الكفر عدم الإيمان بالله ورسله ، سواء كان معه تكذيب أو لم يكن معه تكذيب ، بل شك وريب ، أو إعراض عن هذا كله حسداً أو كبراً ، أو اتباعاً لبعض الأهواء الصارفة عن اتباع الرسالة) الفتاوي ٣٣٥/١٢ ، وانظر: ٣١٥/٣

ويقول أيضاً في ذكر بعض أقوال الفرق في تعريف الكفر: ــ

" والناس لهم فيما يجعلونه كفراً طرق متعددة ، فمنهم من يقول الكفر تكذيب ما علم بالاضطرار من دين الرسول ، ثم الناس متفاوتون في العلم الضروري بذلك ، ومنهم من يقول الكفر هو الجهل بالله تعالى ، ثم قد يجعل الجهل بالصفة كالجهل بالموصوف ، وقد لا يجعلها ، وهم مختلفون في الصفات نفياً وإثباتاً ، ومنهم من لا يحده بحد ، بل كل ما تبين له أنه تكذيب لما جاء به الرسول من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر ، جعله كفراً ، إلى طرق أخرى.

ولا ريب أن الكفر متعلق بالرسالة ، فتكذيب الرسول كفر ، وبغضه وسبه وعداوته ، مع العلم بصدقه في الباطن كفر عند الصحابة ، والتابعين لهم بإحسان وأئمة العلم ، إلا الجهم ومن وافقه كالصالحي والأشعري ، وغيرهم منهاج السنة ٢٥١/٥

ويقول رحمه الله" إنما الكفر يكون بتكذيب الرسول ﷺ فيما أخبر به ، أو الامتناع عن متابعته مع العلم بصدقه ، مثل كفر فرعون واليهود ونحوهم الدرء ٢٤٢/١

ويقول في كتاب رابع: ــ " الإيمان متضمن للإقرار بما أخبر به النبي ﷺ ، والكفر تارة يكون بالنظر إلى عدم تصديق الرسول والإيمان به ، وهو من هذا الباب يشترك فيه كل ما أخبر به ، وتارة بالنظر إلى عدم الإقرار بما أخبر به ، والأصل في ذلك هو الإخبار بالله وبأسمائه ، ولهذا كان جحد ما يتعلق بهذا الباب أعظم من جحد غيره ، وإن كان الرسول أخبر بكليهما ، ثم مجرد تصديقه في الخبر ، والعلم بثبوت ما أخبر به ، إذا لم يكن معه طاعة لأمره لا باطناً ولا ظاهراً ، ولا محبة لله ولا تعظيم له ، لم يكن ذلك إيماناً. مجموع الفتاوى ٥٣٣/٧ ، ٥٣٤ .

من خلال ما أوردناه من كلام ابن تيمية ، نستخلص أن الكفر ــ وهو نقيض الإيمان ــ قد يكون تكذيباً في القلب ، فهو مناقض لقول القلب ــ وهو التصديق ــ ، وقد يكون الكفر عملاً قلبياً كبغض الله تعالى ، أو آياته ، أو رسوله ﷺ ، والذي يناقض الحب الإيماني ، وهو آكد أعمال القلوب وأهمها ، كما أن الكفر يكون قولاً ظاهراً يناقض قول اللسان ، وتارة يكون عملاً ظاهراً كالإعراض عن دين الله تعالى ، والتولي عن طاعة الله ورسوله ﷺ ، وهو بهذا يناقض عمل الجوارح القائم على الانقياد والخضوع والقبول لدين الله تعالى.

ويعرف ابن حزم الكفر بعبارة جامعة فيقول عن الكفر:

" وهو في الدين: صفة من جحد شيئاً مما افترض الله تعالى الإيمان به بعد قيام الحجة عليه ببلوغ الحق إليه بقلبه دون لسانه ، أو بلسانه دون قلبه ، أو بهما معاً ، أو عمل عملاً جاء النص بأنه مخرج له بذلك عن اسم الإيمان) الإحكام والفصل

ويقول تاج الدين عبد الوهاب بن على السبكي الشافعي: " التكفير حكم شرعي سببه جحد الربوبية ، أو الوحدانية ، أو الرسالة ، أو قول ، أو فعل حكم الشارع بأنه كفر وإن لم يكن جحداً " فتاوى السبكي ٥٨٦/٢

ويقول ابن القيم ــ في بيان معنى الكفر ــ

" الكفر جحد ما علم أن الرسول جاء به ، سواء كان من المسائل التي تسمونها علمية أو عملية فمن جحد ما جاء به الرسول ﷺ بعد معرفته بأنه جاء به ، فهو كافر في دق الدين وجله. " مختصر الصواعق المرسلة ٤٢١/٢

ويعرف الشيخ عبد الرحمن السعدي الكفر قائلاً: ــ " وحد الكفر الجامع لجميع أجناسه ، وأنواعه ، وأفراده هو جحد ما جاء به الرسول ، أو جحد بعضه ، كما أن الإيمان اعتقاده ما جاء به الرسول والتزامه جملة وتفصيلاً ، فالإيمان والكفر ضدان متى ثبت أحدهما ثبوتاً كاملاً ، انتفى الآخر " الإرشاد إلى معرفة الأحكام ص ٢٠٣ ، ٢٠٤

من خلال النصوص السابقة ، ندرك معنى الكفر الذي لا يجامع الإيمان ، بأنه اعتقادات ، وأقوال ، وأفعال حكم الشارع بأنها تناقض الإيمان.

٧ ــ إذا كان الإيمان قولاً وعملاً ، فكذا الكفر يكون قولاً وعملاً ، فهو ــ أي الكفر ــ قول القلب (التكذيب) ، كما أنه أعمال قلبية ــ كالبغض ــ تناقض الإيمان ، وهو قول باللسان ، كما أنه أعمال ظاهرة بالجوارح تنقل عن الملة.

و لمزيد من التفصيل لهذا التعريف نقول: إن الكفر قد يكون تكذيباً في القلب ، وهذا الكفر قليل في الكفار ــ

كما يقول ابن القيم فى مدارج السالكين ٣٣٧/١ . ــ ؛ لأن الله تعالى أيد رسله ، وأعطاهم من البراهين والآيات على صدقهم ما أقام به الحجة ، وأزال به المعذرة

وقد يكون الكفر قولاً باللسان ، وإن كان القلب مصدقاً ، أو غير معتقد بهذا الكفر القولي ، يقول أبو ثور ــ وقد سبق إيراد قوله بتمامه: ــ

ولو قال / المسيح هو الله ، وجحد أمر الإسلام ، وقال: لم يعتقد قلبي على شيء من ذلك أنه كافر بإظهار ذلك ، وليس بمؤمن. أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ٨٤٩/٤

ويقول ابن حزم: ــ

" ومما يتبين أن الكفر يكون بالكلام ، قول الله ــ عز ، قول الله ــ عز وجل ــ {وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا {٣٥} وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا {٣٦} قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً} إلى قوله {يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا} [الكهف الآيات ، ٣٥ ــ ٤٢] ، فأثبت الله الشرك والكفر مع إقراره بربه تعالى ، إذ شك في البعث. " الفصل

ويقول أيضاً: " لم يختلف أهل العلم بأن في القرآن التسمية بالكفر ، والحكم بالكفر قطعاً على من نطق بأقوال معروفة ، كقوله تعالى: ــ {لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَآلُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ} [المائدة ، آية ١٧]و قوله تعالى {وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلاَمِهِمْ} [التوبة آية ٧٤] ، فصح أن الكفر يكون كلاماً" المحلى ٤٩٨/١٣ = بتصرف

ويقول ابن تيمية: ــ

" إن سب الله ، أو سب رسوله كفر ظاهراً وباطناً ، سواء كان الساب يعتقد أن ذلك محرم ، أو كان مستحلاً له ، أو كان ذاهلاً عن اعتقاده ، هذا مذهب الفقهاء ، وسائر أهل السنة القائلين بأن الإيمان قول وعمل" الصارم المسلول ٥١٢

ومما يدل على أن الكفر قول باللسان ، قوله تعالى في شأن المنافقين {وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِؤُونَ {٦٥} لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ} [التوبة ، آية ٦٦].

قال ابن تيمية: ــ " فقد أخبر تعالى أنهم كفروا بعد إيمانهم ، مع قولهم إنا تكلمنا بالكفر من غير اعتقاد له ، بل كنا نخوض ونلعب ، وبين أن الاستهزاء بآيات الله كفر ، ولا يكون هذا إلا ممن شرح صدره بهذا الكلام. "الفتاوى ٢٢٠/٧

ويقول ابن نجيم الحنفى إن من تكلم بكلمة الكفر هازلاً ، أو لاعباً كفر عند الكل ، ولا اعتبار باعتقاده" البحر الرايق

وإن الكفر ــ أيضاً ــ قد يكون عملاً قلبياً ، فإن الأعمال القلبية مثل الحب والتوكل والخوف... لابد منها في الإيمان ، فلو صدق الله ورسوله ، ولم يكن محباً لله أو رسوله ــ مثلاً ــ لم يكن مؤمناً... بل هو كافر.

وكذا الكفر ، فقد يكون الشخص مصدقاً بالله ورسوله ، ولكنه يبغض الله أو رسوله ، ومن ثم فهو كافر لبغضه لله أو لرسوله.

يقول ابن تيمية: " فمن صدق الرسول ، وأبغضه ، وعاداه بقلبه وبدنه ، فهو كافر قطعاً بالضرورة. مجموع الفتاوى ٥٥٦/٧ . وانظر: ٣٩٧/٧ ، ٥٢٩ ، ٥٤١"

ويقول أيضاً: ــ " والقلب إذا لم يكن فيه بغض ما يكرهه الله من المنكرات ، كان عادماً للإيمان ، والبغض والحب من أعمال القلوب الفتاوى ٥٥٧/٧

ويقول ــ في موضع ثالث ــ: ــ " إن ما أخبرت به الرسل من الحق ليس إيمان القلب مجرد العلم بذلك ، فإنه لو علم بقلبه أن ذلك حق ، وكان مبغضاً له وللرسول الذي جاء به ، ولمن أرسله ، معادياً لذلك ، مستكبراً عليهم ، ممتنعاً عن الانقياد لذلك الحق ، لم يكن هذا مؤمناً مثاباً في الآخرة باتفاق المسلمين " التسعينية فتاوي ابن تيمية ١٦٥/٥ ، وانظر الصارم المسلول ص ٥١٨ ، ٥١٩

ويذكر ابن تيمية دليلاً على ذلك فيقول: ــ يبين ذلك قوله تعالى: ــ {مَن كَفَرَ بِاللّهِ مِن بَعْدِ إيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ {١٠٦} ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّواْ الْحَيَاةَ الْدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ {١٠٧}أُولَـئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ} [النحل ، الآيات ١٠٦ ــ ١٠٩].

فقد ذكر تعالى من كفر بالله من بعد إيمانه ، وذكر وعيده في الآخرة ، ثم قال{ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّواْ الْحَيَاةَ الْدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ} ، وبيّن تعالى أن الوعيد استحقوه بهذا ، ومعلوم أن باب التصديق والتكذيب ، والعلم والجهل ، ليس هو من باب الحب والبغض... واستحباب الدنيا على الآخرة ، قد يكون مع العلم والتصديق بأن الكفر يضر في الآخرة ، وبأنه ماله في الآخرة من خلاق " ٥٥٩/٧-٥٦٠

ويقول أيضاً: " قد يحصل في القلب علم بالحق وتصديق به ، ولكن ما في القلب من الحسد والكبر ونحو ذلك مانع من استسلام القلب وانقياده ومحبته. " ٥٣٥/٧والموافقات للشاطبى

ويقرر ابن حزم عدم انحصار الكفر في التكذيب فحسب ، فيقول:

" قد قال الله تعالى: ــ {إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ {٢٥} ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ {٢٦} فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ {٢٧} ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ} [محمد ، الآيات ٢٥ــ٢٨] ، فجعلهم مرتدين كفاراً بعد علمهم بالحق ، وبعد أن تبين لهم الهدى ، بقولهم للكفار ما قالوا فقط وأخبرنا تعالى أنه يعرف إسرارهم ، ولم يقل تعالى أنهم جحدوا ، بل قد صح أن في سرهم التصديق ؛

لأن الهدى قد تبين لهم ، ومن تبين له شيء ، فلا يمكن ألبتة أن يجحده بقلبه أصلاً. " الفصل ٢٦٢/٣ ، وانظر الفصل ٢٥٩/٣ .

ويكون الكفر عملاً ظاهراً ــ كالإعراض عن دين الله تعالى مثلاً ــ فلقد حكم الله تعالى بكفر الممتنع عن طاعته تعالى ، وطاعة الرسول ﷺ ، ولا تكون الطاعة تصديقاً فقط ، قال تعالى {قُلْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ فإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ} [آل عمران ، آية ٣٢].

يقول ابن كثير رحمه الله ــ عن هذه الآية: ــ دلت الآية على أن مخالفة الرسول ﷺ في الطريقة كفر ، والله لا يحب من اتصف بذلك ، وإن ادعى وزعم في نفسه أنه محب لله ، ويتقرب إليه ، حتى يتابع الرسول النبي الأمي خاتم الرسل ورسول الله إلى جميع الثقلين. "

وساق الخلال بسنده إلى الحميدي حيث قال: " وأخبرت أن قوماً يقولون: إن من أقر بالصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج ، ولم يفعل من ذلك شيئاً حتى يموت ، أو يصلي مسند ظهره ، مستدبر القبلة حتى يموت ، فهو مؤمن ، ما لم يكن جاحداً إذا علم أن تركه ذلك في إيمانه ، إذا كان يقر الفروض ، وإستقبال القبلة. فقلت: هذا الكفر بالله الصراح ، وخلاف كتاب الله ، وسنة رسوله ﷺ ، وفعل المسلمين. قال الله عز وجل {حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ} [البينة ، آية ٥]. "السنة للخلال

وقال إسحاق بن راهويه: ــ ومما أجمعوا على تكفيره وحكموا عليه كما حكموا على الجاحد ، فالمؤمن الذي آمن بالله تعالى ، ومما جاء من عنده ، ثم قتل نبياً ، أو أعان على قتله ، ويقول قتل الأنبياء محرم ، فهو كافر.(تعظيم قدر الصلاة)

ويقول ابن تيمية: ــ قال تعالى: ــ {وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُوْلَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ} [النور آية ٤٧] ، والتولي هو التولي عن الطاعة ، كما قال تعالى: ــ {قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا} [الفتح ، آية ١٦] ، وقال تعالى: ــ {فَلا صَدَّقَ وَلا صَلَّى {٣١} وَلَكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى}[القيامة ، آية ٣١ ، ٣٢].

فعلم أن التولي ليس هو التكذيب ، بل هو التولي عن الطاعة ، فإن الناس عليهم أن يصدقوا الرسول فيما أخبر ، ويطيعوه فيما أمر ، وضد التصديق التكذيب ، وضد الطاعة التولي ، فلهذا قال: ــ {فَلا صَدَّقَ وَلا صَلَّى {٣١} وَلَكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى} [القيامة آية ٣١ ، ٣٢]و قد قال تعالى: ــ {وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُوْلَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ} [النور ، آية ٤٧] فنفي الإيمان عمن تولى عن العمل ، وإن كان قد أتى بالقول...

.إلى أن قال .ففي القرآن والسنة من نفي الإيمان عمن لم يأت بالعمل مواضع كثيرة ، كما نفي فيها الإيمان عن المنافق. "

ويقول أيضاً: ــ " الكفر يكون بتكذيب الرسول فيما أخبر به ، أو الامتناع عن متابعته مع العلم بصدقه ، مثل كفر فرعون واليهود ونحوهم. " الدرء ٢٤٢/١

ولذا يقول ابن الوزير ــ في الرد على من اشترط الاعتقاد في قول الكفر: ــ

".. وعلى هذا لا يكون شيء من الأفعال والأقوال كفراً ، إلا مع الاعتقاد ، حتى قتل الأنبياء ، والإعتقاد من السرائر المحجوبة ، فلا يتحقق كفر كافر قط إلا بالنص الخاص في شخص . " إيثار الحق على الخلق ص ٤١٩

٨ ــ من خلال العرض السابق لمعنى الكفر ، ندرك أن الكفر ليس حقيقة أو شعبة واحدة ، وهي التكذيب الإعتقادي أو القلبي كما هو عند المرجئة ، بل هو شعب متعددة ، ومراتب متفاوتة ، كما أن مقابله ــ وهو الإيمان ــ شعب متعددة كما سبق ذكره

يقول ابن القيم ــ مقرراً لذلك: ــ " الكفر ذو أصل وشعب ، فكما أن شعب الإيمان إيمان ، فشعب الكفر كفر ، والحياء شعبة من الإيمان ، وقلة الحياء شعبة من شعب الكفر ، والصدق شعبة من شعب الإيمان ، والكذب شعبة من شعب الكفر ، والصلاة والزكاة ، والحج ، والصيام من شعب الإيمان ، وتركها من شعب الكفر ، والحكم بما أنزل الله من شعب الإيمان ، والحكم بغير ما أنزل الله من شعب الكفر ، والمعاصي كلها من شعب الكفر ، كما أن الطاعات كلها من شعب الإيمان "كتاب الصلاة

ويقول أيضاً: ــ "وها هنا أصل آخر ، وهو أن الكفر نوعان: كفر عمل ، وكفر جحود وعناد ، فكفر الجحود: أنه يكفر بما علم أن الرسول جاء به من عند الله جحوداً وعناداً من أسماء الرب وصفاته وأفعاله وأحكامه ، وهذا الكفر يضاد الإيمان من كل وجه ، وأما كفر العمل ، فينقسم إلى ما يضاد الإيمان ، وإلى ما لا يضاده ، فالسجود للصنم ، والاستهانة بالمصحف ، وقتل النبي وسبه يضاد الإيمان كتاب الصلاة ، ص ٥٥ ، انظر الرسائل المفيدة للشيخ عبد اللطيف عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص ٢٧ ، ٢٨ وأعلام السنة المنشورة للحكمي ص ٧٣ . ٧٦ "

وقد أورد مُحَمَّد بن نصر المروزي هذا الأصل ، وحكاه عن علماء أهل الحديث قائلاً: " والكفر ضد الإيمان ، إلا أن الكفر كفران: ــ كفر هو جحد بالله ، وبما قال ، فذلك ضد الإقرار بالله ، والتصديق به ، وبما قال ، وكفر هو عمل ضد الإيمان الذي هو عمل.

وإن للكفر فروعاً ، دون أصله ، لا تنقل صاحبه عن ملة الإسلام ، كما أن الإيمان من جهة العمل فرعاً للأصل ، لا تنقل تركه عن ملة الإسلام. "تعظيم قدر الصلاة للمروزى

وقد ورد عن سلف هذه الأمه تقسيم الكفر إلى ما يخرج عن الملة وإلى ما لا يخرج ، كابن عباس ، وطاووس ، وعطاء وغيرهم.

وإذا ثبت أن الكفر شعب متعددة ، وأن له مراتب ، فمنه ما يخرج من الملة ، ومنه ما لا يخرج من الملة ، فإنه يمكن أن يجتمع في الرجل كفر .غير ناقل من الملة ــ وإيمان. وهذا أصل عظيم عند أهل السنة ، وقد خالفهم فيه أهل البدع ، مع أن النصوص القرآنية والأحاديث النبوية والإجماع أدلة ظاهرة على هذا الأصل.

وإذا تقرر ما سبق فلا يلزم من قيام شعبة من شعب الكفر بالعبد ، أن يصير كافراً الكفر المطلق ، حتى تقوم به حقيقة الكفر ، كما أنه ليس كل من قام به شعبة من شعب الإيمان يصير مؤمناً ، حتى يقوم به أصل الإيمان.

يقول ابن تيمية: ــ "فرق بين الكفر المعرف باللام ، كما في قوله ﷺ عند مسلم " ليس بين العبد وبين الكفر أو الشرك ، إلا ترك الصلاة. " وبين كفر منكر في الإثبات.

وفرق أيضاً بين معنى الإسم المطلق ، إذا قيل: كافر. أو مؤمن ، وبين المعنى المطلق للاسم في جميع موارده كما في قوله: " لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض. فقوله " يضرب بعضكم رقاب بعض " تفسير الكفار في هذا الموضع ، وهؤلاء يسمون كفاراً تسمية مقيدة ، ولا يدخلون في الإسم المطلق إذا قيل: كافر ، ومؤمن. "

وإذا تقرر معنى الكفر ،و أنه اعتقادات ، وأقوال ، وأعمال تنافي الإيمان ، وأنه على شعب ، ومراتب متفاوتة ، فسندرك ما يلي: ــ

١ــ أن المرجئة قد أخطئوا في قولهم إن الكفر هو التكذيب من وجهين: ــ

الأول: قولهم كل من كفره الشارع ، فإنما كفره لانتفاء تصديق القلب بالرب تبارك وتعالى ، فحصروا الكفر في مجرد التكذيب فقط.

الثاني: قولهم: إن التكذيب يقوم بالباطن ، بحيث ينتفي التصديق عن الكافر ، مع أن كفر إبليس وفرعون واليهود ونحوهم ، بل وغالب الأمم الكافرة ، لم يكن أصله من جهة عدم التصديق والعلم ، فإن إبليس مثلاً لم يخبره أحد بخبر ، بل أمره الله بالسجود لآدم فأبى واستكبر ، وكان من الكافرين ، فكفره الإباء والاستكبار وما يتبع ذلك.

ولذا يقول ابن القيم رحمه الله: " وهذان القسمان (كفر الجحود والعناد ، وكفر الإعراض) أكثر المتكلمين ينكرونهما ، ولا يثبتون من الكفر إلا الأول (كفر التكذيب أو الجهل) ، ويجعلون الثاني والثالث (كفر الجحود ، والإعراض) كفراً لدلالته على الأول لا لأنه في ذاته ، فليس عندهم الكفر إلا مجرد الجهل ، ومن تأمل القرآن والسنة ، وسير الأنبياء في أممهم ، ودعوتهم لهم ، وما جرى لهم معهم ، جزم بخطأ أهل الكلام فيما قالوه ، وعلم أن عامة كفر الأمم عن تيقن وعلم ، ومعرفة بصدق أنبيائهم)مفتاح دار السعادة ٩٤/١

وقد غلط المرجئة عندما ظنوا أن ترك العمل بالكلية ، وعدم الإلتزام بالشريعة ليس كفراً ،ما لم يكن عن تكذيب ، فكما أنه لا يكفي لتحقيق الإيمان مجرد الإلتزام المجمل بالشريعة دون التصديق ، فكذلك لا يكفي مجرد التصديق دون تحقيق الإلتزام الإجمالي.

٢ــ خطأ المبتدعة ــ عموماً ــ في دعواهم أن الكفر خصلة واحدة ، بناء على ظنهم أن الإيمان شيء واحد ، أو شعبة واحدة ، مع أن النصوص الشرعية ــ كما سبق ذكره ــ تدل على أن الكفر شعب متفاوتة ، فهناك كفر أكبر ، وهناك كفر دون كفر... وهكذا.

ومن الفائدة هنا أن نذكر معنى الشرك كما فصلنا فى معنى الكفر وهل هناك فرق بين الكفر والشرك

المبحث الرابع

الشرك

تعريف الشرك

الشرك في اللغة: هو المقارنة وخلاف الانفراد ، ويطلق على المعاني الآتية :المخالطة ، والمصاحبة والمشاركة.

تقول: شاركته في الأمر ، وشركته فيه أشركته شركاً ، ويأتي شركة ، ويقال: أشركته ، أي جعلته شريكاً.

الشرك في الاصطلاح: هو اتخاذ الند مع الله تعالى ؛ سواء أكان هذا الند في الربوبية أم في الألوهية أو الأسماء والصفات ، أي: جعل شريك مع الله في التوحيد ، ولذا يكون الشرك ضد التوحيد ، كما أن الكفر ضد الإيمان ، قال تعالى: { فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ }.

وغالب الشرك عند الناس يقع في الألوهية ؛ كالشخص الذي يدعو مع الله تعالى غيره ، أو يصرف له شيئاً من أنواع العبادة ، كالذبح والنذر ، والخوف والرجاء والمحبة ، والخشية ، والإنابة ، والدعاء ، والتوبة ، والتعظيم والإجلال ، والاستعانة ، والطاعة ، والتوكل به ، وغيرها.

والشرك أعظم الذنوب إطلاقاً ؛ لأنه تشبيه المخلوق بالخالق في خصائصه ؛ ومن الخصائص الإلهية:

الكمال المطلق من جميع الوجوه.

التفرد بملك الضرر والنفع والعطاء والمنع.

العبودية المطلقة له ، بأن تكون العبادة كلها له وحده ، مع غاية الحب والذل.

فمن أشرك مع الله أحداً فقد شبهه به - سبحانه - وهذا من أقبح التشبيه: تشبيه هذا العاجز الفقير بالذات ؛ بالقادر الغني بالذات ، قال تعالى : { إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ }.

والظلم: هو وضع الشيء في غير موضعه ؛ فمن عبد غير الله - سبحانه وتعالى - فقد وضع العبادة في غير موضعها ، وصرفها لغير مستحقها ، وهذا من أعظم الظلم.

والله تعالى يغفر الذنوب جميعاً إلا الشرك ؛ لمن لم يتب منه.

قال تعالى : { إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا }.

والشرك يحبط جميع الأعمال ، قال تعالى: { وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ }.

والمشرك حرمت عليه الجنة ، وهو مخلد في النار ، والعياذ بالله ، قال تعالى : {إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ }.

والمشرك حلال الدم والمال ، قال تعالى : { فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ }.والشرك في الشرع نوعان: شرك أكبر ، وشرك أصغر.

الشرك الأكبر:

هو بمعنى الكفر الأكبر ؛ يحبط جميع الأعمال ، ويخرج صاحبه من الإسلام ، ويخلده في النار ، إذا مات عليه ، ولم يتب منه ، ولا تنفعه شفاعة الشافعين يوم القيامة.

والشرك الأكبر: هو صرف شيء من العبادة لغير الله تعالى ؛ كدعاء غير الله. ومحبة غيره تعالى كمحبته. والخوف من غيره تعالى ، والاعتقاد بأن غيره يضر وينفع ، أو التسوية بين الله وغيره في الخشية ، وكالتقرب بالذبائح والنذور لغير الله. والتوكل على غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله. وطاعة غير الله تعالى في التشريع والحكم.

والاعتقاد بقدرة الأنبياء والصالحين والأولياء على التصرف في الكون مع الله تعالى ، وغير ذلك من العبادات التي يجب أن تصرف لله تعالى وحده لا شريك له.

الشرك الأصغر:

هو ما ورد في النصوص الشرعية من تسمية بعض الذنوب شركاً ، ولم يصل إلى حد الشرك الأكبر ، ولكنه ذريعة إليه ووسيلة للوقوع فيه ، وهو أعظم وأكبر من الكبائر.

وهذا النوع لا يخرج صاحبه من الإسلام ، ولا ينفي عنه أصل الإيمان ، ولكن ينافي كماله الواجب. وحكمه أنه لا يغفر لصاحبه إلا بالتوبة ، وإذا مات عليه ولم يتب منه ؛ فهو تحت المشيئة ، وأمره إلى الله تعالى ، إن شاء عذبه ، وإن شاء عفا عنه ، ولو عذب لا يخلد في النار ، وتناله شفاعة الشافعين بإذن الله تعالى.

والشرك الأصغر قسمان:

القسم الأول: شرك باللسان والجوارح ، وهو ألفاظ وأفعال:

فالألفاظ كالحلف بغير الله ، وقول: ما شاء الله وشئت ، والصواب أن يقال: ما شاء الله ثم شاء فلان.

ومنه التسمية: بملك الملوك ، أو قاضي القضاة ، والتعبيد لغير الله تعالى ؛ كتسمية الشخص بعبد النبي ، وعبد الحسين ، وغيرها.

والأفعال: كلبس الحلقة والخيط لرفع البلاء أو دفعه ، وتعليق التمائم خوفاً من العين ، والتطير والتشاؤم من أشياء عند رؤيتها أو سماعها ، والامتناع عن العمل المنوي فعله بسبب ذلك ، وغيرها من الأعمال التي تخالف ما جاء به الشرع.

القسم الثاني: شرك خفي ، وهو شرك النية ، أي: يقصد بعمله رضا الناس ؛ كالرياء والسمعة ، وإرادة الدنيا ببعض الأعمال.

الفرق بين الكفر والشرك

قال الشيخ بن باز –رحمه الله تعالى -

الكفر جحد الحق وستره ، كالذي يجحد وجوب الصلاة أو وجوب الزكاة أو وجوب صوم رمضان أو وجوب الحج مع الاستطاعة ، أو وجوب بر الوالدين ونحو هذا ، وكالذي يجحد تحريم الزنا أو تحريم شرب المسكر ، أو تحريم عقوق الوالدين أو نحو ذلك. أما الشرك فهو صرف بعض العبادة لغير الله ، كمن يستغيث بالأموات أو الغائبين أو الجن أو الأصنام أو النجوم ونحو ذلك ، أو يذبح لهم أو ينذر لهم ، ويطلق على الكافر أنه مشرك وعلى المشرك أنه كافر ، كما قال الله عز وجل: وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ[١] ، وقال سبحانه: إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ[٢] ، وقال جل وعلا في سورة فاطر: ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ * إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ[٣] ، فسمى دعاءهم غير الله شركاً في هذه السورة ، وفي سورة "قد أفلح المؤمنون" سماه كفراً.

وقال سبحانه في سورة التوبة: يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ[٤] ،

فسمى الكفار به كفاراً وسماهم مشركين ، فدل ذلك على أن الكافر يسمى مشركاً ، والمشرك يسمى كافراً ، والآيات والأحاديث في ذلك كثيرة. ومن ذلك قول النبي ﷺ: ((بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة)) أخرجه مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، وقوله ﷺ: ((العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر) أخرجه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة بإسناد صحيح عن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه ، والله ولي التوفيق.أ.هـ

فالأصل أن المعنى واحد ، فكل كافر مشرك ، وكل مشرك كافر ، لكن يختص كل واحد منهما بمعنى غير الذي يختص به الآخر ، وذلك أن الكفر في اللغة هو الجحد ، والستر ، والتغطية ، ومن هنا سمي الفلاحون أو الزُراع كفاراً ؛ لأن الفلاح يستر ويغطي البذرة بالتربة.

فالكافر يستر الإيمان والفطرة التي فطره الله عليها ، ويستر الدين ويجحده ويغطيه ، ويكفر بآيات الله تبارك وتعالى ، فهناك مناسبة بين المعنى اللغوي والمعنى الشرعي.

أما الشرك فإنه كما يدل عليه لفظه: هو جعل ند مع الله ، أي: اتخاذ إله مع الله ، فهذا هو الشرك ، وهذه حقيقته.

فإذا ذُكِرَا معاً فلكل منهما دلالته ، كما في قوله تعالى: {لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ }[البينة:١] فهاهنا أهل الكتاب المقصود بهم: اليهود والنصارى ، والمشركون المقصود بهم: الأميون من العرب وأشباههم.

وإذا أُفرد ذكر الشرك أو الكفر مطلقاً ، فإنه يعم اليهود والنصارى ومشركي الأمم والعرب ، فكلهم يشملهم هذا التعبير ، فالكفار هم كفار ، وهم مشركون ، فمن شركهم: أنهم قالوا: إن عيسى ابن الله ، وإنه إله ، كما ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، فهم مشركون وهم كفار ، قال تعالى: لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ [المائدة:٧٢] وإذا أُطلق الشرك ، فإنه يشمل أولئك أيضاً ، فبهذا يكون المعنى قد اتضح .

فالكفر معناه في الأصل الجحود والستر فكل من جحد الرب وأنكر ذاته أو أفعاله أو أسماءه وصفاته أو أنكر الرسالة أو أنكر أصلا من أصول الإيمان فهو كافر كالملحدين وأهل الكتاب. قال تعالى: (وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا). وقال تعالى: (أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآَيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا). وإذا أطلق هذا الاصطلاح في الكتاب انصرف إلى أهل الكتاب غالبا.

والكفر أنواع منه تكذيب واستكبار وشك ونفاق وغيره وكل هذه الأنواع تعود إلى معنى التكذيب والإنكار.

وأما الشرك فمعناه في الأصل التسوية بين الخالق والمخلوق في شيء من خصائص الله كالألوهية والأسماء والصفات فكل من شرك بين المخلوق والخالق في فعل أو صفة ما تليق إلا بالله وصرف إلى مخلوق نوعا من أنواع العبادة فهو مشرك. قال تعالى: (تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ). قال تعالى: (وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ). وقال تعالى: (وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آَبَاؤُنَا). وفي السنة قال النبي ﷺ مفسرا للشرك: (أن تجعل لله ندا وهو خلقك). وإذا أطلق هذا الاصطلاح انصرف لمشركي قريش وغيرهم من غير أهل الكتاب غالبا.

وقد يجتمع الكفر والشرك في شخص أو طائفة من وجه عام أو خاص كحال أهل الكتاب فقد جمعوا بين الكفر بجحودهم برسالة مُحَمَّد والشرك بعبادة عيسى. وكل مشرك كافر وليس كل كافر مشرك فالكفر أعم من الشرك وبينهما نوع من التداخل.وإذا أطلق أحدهما دخل في معناه الآخر. قال تعالى: (وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ). وقال تعالى: (ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ). وإذا اقترنا دل كل واحد منهما على معنى خاص. قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا). فإذا افترقا اجتمعا وإذا اجتمعا افترقا.

ولا فرق بينهما في الأحكام والآثار المترتبة عليهما من البراءة والهجران والمناكحة والولاية وغير ذلك من الأحكام. إلا أن الله عز وجل خص أهل الكتاب اليهود والنصارى بشيء من الأحكام دون غيرهم من الكفار في إباحة طعامهم ونسائهم ورد السلام وغير ذلك لما معهم من أصل الكتاب وإن كان محرفا فهم أخف درجة وأدنى منزلة في الكفر من غيرهم ولذلك خفف الشارع في أحكامهم والتعامل معهم.

والحاصل أن معنى الكفر في مدلوله الخاص يدل على معنى تكذيب ما يجب الإيمان به بالله ومقتضياته. والشرك يدل على العبادة والتقرب لغير الله والمشرك في الحقيقة كافر لأنه أنكر شيئًا من حق الله وعبادته وصرفها لغيره. والكافر قد يكون مشركا أيضا وقد لا يكون مشركا كالملحد الذي ينكر وجود الرب ولا يعبد شيئًا. وبهذا يمكن أن نقول أن الكفر بمعناه العام جنس يشمل كل من خرج عن الإيمان الصحيح والشرك نوع داخل فيه.

قال في تهذيب اللغة: (وروى عن عبد الملك أنه كتب إلى سعيد بن جبير يسأله عن الكفر ، فقال: الكفر على وجوه ، فكفر هو شرك يتخذ مع الله إلها آخر ، وكفر بكتاب الله ورسوله ، وكفر بادعاء ولد لله ، وكفر مدعي الإسلام ، وهو أن يعمل أعمالا بغير ما أنزل الله: يسعى في الأرض فسادا ويقتل نفساً محرمة بغير حقٍّ ، ثم نحو ذلك من الأعمال)

قال النووي رحمه الله : "شرح صحيح مسلم" (٧١/٢) . " الشرك والكفر قد يطلقان بمعنى واحد وهو الكفر بالله تعالى ، وقد يفرق بينهما فيخص الشرك بعبادة الأوثان وغيرها من المخلوقات مع اعترافهم بالله تعالى ككفار قريش ، فيكون الكفر أعم من الشرك " انتهى .

قال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله ردّاً على من قال : إن لفظ المشركين بإطلاقه لا يتناول أهل الكتاب : " والأقرب أن أهل الكتاب داخلون في المشركين والمشركات عند الإطلاق رجالهم ونساؤهم ؛ لأنهم كفار مشركون بلا شك ، ولهذا يمنعون من دخول المسجد الحرام ، لقوله عز وجل : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا) التوبة/٢٨. ولو كان أهل الكتاب لا يدخلون في اسم المشركين عند الإطلاق لم تشملهم هذه الآية ، ولما ذكر سبحانه عقيدة اليهود والنصارى في سورة براءة قال بعد ذلك : (وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لا إِلَهَ إِلا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) التوبة ٣١ ، فوصفهم جميعا بالشرك ؛ لأن اليهود قالوا : عزير ابن الله ، والنصارى قالوا : المسيح ابن الله ؛ ولأنهم جميعاً اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ، وهذا كله من أقبح الشرك والآيات في هذا المعنى كثيرة " انتهى . "/مجموع فتاوى الشيخ ابن باز" (٢٧٤/٤) .

وقال الشيخ رحمه الله – أيضاً - : ومن الشرك أن يعبد غير الله عبادة كاملة ، فإنه يسمى شركا ، ويسمى كفرا ، فمن أعرض عن الله بالكلية وجعل عبادته لغير الله كالأشجار أو الأحجار أو الأصنام أو الجن أو بعض الأموات من الذين يسمونهم بالأولياء ، يعبدهم أو يصلي لهم أو يصوم لهم وينسى الله بالكلية ، فهذا أعظم كفرا وأشد شركا ، نسأل الله العافية ، وهكذا من ينكر وجود الله ، ويقول ليس هناك إله ، والحياة مادة ، كالشيوعيين والملاحدة

المنكرين لوجود الله ، هؤلاء أكفر الناس وأضلهم وأعظمهم شركا وضلالا نسأل الله العافية ، والمقصود أن أهل هذه الاعتقادات وأشباهها كلها تسمى شركا ، وتسمى كفرا بالله عز وجل ، وقد يغلط بعض الناس لجهله فيسمي دعوة الأموات والاستغاثة بهم وسيلةً ، ويظنها جائزة ، وهذا غلط عظيم ؛ لأن هذا العمل من أعظم الشرك بالله ، وإن سماه بعض الجهلة أو المشركين وسيلة ، وهو دين المشركين الذي ذمهم الله عليه وعابهم به ، وأرسل الرسل وأنزل الكتب لإنكاره والتحذير منه " انتهى . "مجموع فتاوى الشيخ ابن باز" (٣٢/٤ ، ٣٣) .

واليهود والنصارى كفار ومشركون ، أما كفرهم فلأنهم جحدوا الحق ، وكذبوا به ، وأما شركهم فلأنهم عبدوا غير الله قال الله تعالى : (وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ . اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إلا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لا إِلَهَ إلا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) التوبة/ ٣٠ ، ٣١ . فوصفهم هنا بالشرك ، وفي سورة البينة وصفهم بالكفر ، قال الله تعالى : (لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ)

يقول الإمام ابن حزم الأندلسي رحمه الله في كتابه " مراتب الإجماع " : (واتفقوا على تسمية اليهود والنصارى كفاراً ، واختلفوا في تسميتهم مشركين ، واتفقوا أن من عداهم من أهل الحرب يسمون مشركين) إهـ .

وقد فصل ابن حزم هذه المسألة في كتابه (الفصل في الملل والأهواء والنحل .

قال أبو مُحَمَّد : واحتجت الطائفة الأولى بقول الله عز وجل: " لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين " قالوا : ففرق الله تعالى بين الكفار والمشركين ، وقالوا لفظة الشرك مأخوذة من الشريك ، فمن لم يجعل الله تعالى شريكاً فليس مشركاً .

قال أبو مُحَمَّد : هذه عمدة حجتهم ما نعلم لهم حجة غير هاتين .

قال أبو مُحَمَّد : أما احتجاجهم بقول الله عز وجل : " لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين " فلو لم يأت في هذا المعنى غير هذا المعنى غير هذه الآية لكانت حجتهم ظاهرة ، لكن الذي أنزل هذه الآية هو القائل: " اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إله واحداً " ، وقال تعالى : " يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله " ، وقال تعالى عنهم أنهم قالوا : أن الله ثالث ثلاثة ، وهذا كله تشريك ظاهر لإخفائه فإذ قد صح الشرك والتشريك في القرآن من اليهود والنصارى فقد صح أنهم مشركون ، وأن الشرك والكفر اسمان لمعنى واحد .

وقد قلنا أن التسمية لله عز وجل لا لنا ، فإذ ذلك كذلك فقد صح أن قوله تعالى: " الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين " ، كقوله تعالى: " إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً " ، ولا خلاف بين أحد من أهل الإسلام في أن المنافقين كفار ، وكقوله تعالى : " قل من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل فإن الله عدو للكافرين " ولا خلاف في أن جبريل وميكائيل من جملة الملائكة وكقوله تعالى : " فيها فاكهة ونخل ورمان " والرمان من الفاكهة .

والقرآن نزل بلغة العرب ، والعرب تعيد الشيء باسمه وإن كانت قد أجملت ذكره تأكيداً لأمره ، فبطل تعلق من تعلق بتفريق الله تعالى بين الكفار والمشركين في اللفظ وبالله تعالى التوفيق .

وأما احتجاجهم : بأن لفظ الشرك مأخوذ من الشريك ، فقد قلنا أن التسمية لله عز وجل لا لأحد دونه ، وله تعالى أن يوقع أي أسم شاء على أي مسمى شاء ، برهان ذلك أن من أشرك بين عبدين له في عمل ما أو بين اثنين في هبة وهبها لهما فإنه لا يطلق عليه اسم مشرك ، ولا يحل أن يقال : أن فلاناً أشرك ، ولا أن عمله شرك ، فصح أنها لفظة منقولة أيضاً عن موضوعها في اللغة . كما أن الكفر لفظة منقولة أيضاً عن موضوعها إلى ما أوقعها الله تعالى عليه .

والتعجب من أهل هذه المقالة ، وقولهم : أن النصارى ليسوا مشركين ، وشركهم أظهر وأشهر من أن يجهله أحد لأنهم يقولون كلهم بعبادة الأب ، والابن ، وروح القدس ، وأن المسيح إله حق ، ثم يجعلون البراهمة مشركين وهم لا يقرون إلا بالله وحده ولقد كان يلزم أهل هذه المقالة أن لا يجعلوا كافراً إلا من جحد الله تعالى فقط ، فإن قال قائل : كيف اتخذ اليهود والنصارى أرباباً من دون الله وهم ينكرون هذا ؟ .

قلنا وبالله تعالى التوفيق : أن التسمية لله عز وجل ، فما كان اليهود والنصارى يحرمون ما حرم أحبارهم ورهبانهم ويحلون ما أحلوا كانت هذه ربوبية صحيحة ، وعبادة صحيحة قد دانوا بها ، وسمى الله تعالى هذا العمل باتخاذ أرباب من دون الله وعبادة ، وهذا هو الشرك بلا خلاف ، كما سمي كفرهم بأن رسول الله ﷺ نبي ناسخ لما هم عليه كفر بالله عز وجل ، وإن كانوا مصدقين به تعالى ، لكن لما أحبط الله تعالى تصديقهم سقط حكمه جملة .

فإن قالوا : كيف تقولون أن الكفار مصدقون بالله تعالى ، والله تعالى يقول : " لا يصلاها إلا الأشقى الذي كذب وتولى ويقول تعالى : " وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم " .

قلنا وبالله تعالى نتأيد: إن كل من خرج إلى الكفر بوجه من الوجوه ، فلا بد له من أن يكون مكذباً بشيء مما لا يصح الإسلام إلا به ، أو رد أمراً من أمور الله عز وجل لا يصح الإسلام إلا به ، فهو مكذب بذلك الشيء الذي رده أو كذب به ، ولم يقل الله تعالى : الذي كذب بالله عز وجل ، لكن قال : " كذب

وتولى " ، ولا قال تعالى : و أما إن كان من المكذبين بالله ، وإنما قال تعالى : " من المكذبين الضالين " فقط ، فمن كذب بأمر من أمور الله عز وجل لا يصح الإسلام إلا به ، فهو مكذب على الإطلاق كما سماه الله تعالى ، وإن كان مصدقاً لله تعالى وبمن صدق به ..) إهـ الفصل في الملل والأهواء والنحل .

ويرى العلامة مبارك الميلي رحمه الله في كتابه الرائع (الشرك ومظاهره) أن لفظ الشرك من الألفاظ المشتركة .. وأن بيان الشرك بالكفر هو تساهل في المعنى ، قرّبه اتحادهما في الحكم .

وأورد على هذا قول الله تعالى : (وقاتلوا المشركين كافة .. الآية في سورة التوبة) .. فأكثر الفقهاء يحملونه على الكفار جميعاً.

كما ذكر العلامة الميلي رحمه الله أن أبو هلال العسكري في كتابه (الفروق اللغوية) قد فرق بين الكفر والشرك .

فقال العسكري في تعريفه : (الكفر إسم يقع على ضروب من الذنوب ، فمنها : الشرك بالله ، ومنها الجحد للنبوة ، ومنها إستحلال ما حرم الله ، وهو راجع إلى جحد النبوة وغير ذلك مما يطول الكلام فيه وأصله التغطية) إهـ

ثم قال : (الفرق بين الكفر والشرك : أن الكفر خصال كثيرة على ما ذكرنا ، وكل خصلة منها تضاد خصلة من الإيمان ، لأن العبد إذا فعل خصلة من الكفر فقد ضيع خصلة من الإيمان ، والشرك خصلة واحدة وهو إيجاد ألوهية مع الله أو دون الله ، واشتقاقه ينبئ عن هذا المعنى ، ثم كثُر حتى قيل : لكل كفر شرك على وجه التعظيم له والمبالغة في صفته ، وأصله كفر النعمة ونقيضه الشكر ، ونقيض الكفر بالله الإيمان ، وإنما قيل لمضيع الإيمان كافر لتضييعه حقوق الله تعالى ، وما يجب عليه من شكر نعمه ، فهو بمنزلة الكافر لها ، ونقيض الشرك في الحقيقة الإخلاص ، ثم لما استعمل في كل كفر صار نقيضه الإيمان ، ولا يجوز أن يطلق إسم الكفر إلا لمن كان بمنزلة الجاحد لنعم الله ، وذلك لعظم ما معه من المعصية وهو إسم شرعي كما أن الإيمان إسم شرعي) إهـ الفروق اللغوية

الفرق بين الكفر والشرك والأكبر ،والكفر والشرك الأصغر

اعلم رحمك الله –أن الكفر أعم من الشرك ،وهو أن يجعل المرء لله نداً أوشريكاً فى ألوهيته أو ربوبيته فهذا أخص من الكفر فأهل السنة يكفرون ساب الله أورسوله ويكفرون المستهزئ بشئ من دين الله ،ويكفرون المستهين بالمصحف ،ويكفرون المشرع مع الله الحاكم بغير شريعة الله ،ويكفرون المعرض عن دين الله ،وغير ذلك من النواقض .

ومن العلماء من لايفرق بين الشرك والكفر ،ومنهم من يطلق الشرك ويراد به ارتكاب الفعل المكفر ،ومنهم من يطلق التكفير على القتل والحد ،وغير ذلك من الأحكام والأسماء ،كالكفر والتكفير والفسق والتفسيق والفرق واضح بين الشرك الكبر والشرك الأصغر ،والكفر الأكبر ،والكفر الأصغر ومن ذلك أن:-

١-الشرك الأكبر مخرج من الملة ،والشرك الأصغر لايخرج من الملة لكنه ينقص التوحيد

٢ - الشرك والكفر الأكبر يخلد صاحبه فى النار ،والأصغر لايخلد صاحبه فى النار إن دخلها

٣-الأكبر يحبط جميع الأعمال ،والأصغر لايحبط جميع الأعمال وإنما يحبط العمل الذى خالطه فقط ،مثل الرياء والعمل لأجل الدنيا

٤ - الشرك والكفر الأكبر يبيح الدم والمال والشرك والكفر الأصغر لايبيحهما

٥-الأكبر يوجب العداوة الخالصة بين صاحبه وبين المؤمنين ،فلا يجوز للمؤمنين محبته وموالاته ولو كان أقرب قريب ،وأما الأصغر فإنه لايمنع الموالاة مطلقا بل صاحبه يحب ويوالى بقدر مافيه من الإيمان ويبغض ويعادى بقدر مافيه من العصيان

٦-الكفر الأكبر منه ماهو عملي لكونه وقع بعمل الجوارح وليس الكفر الأصغر يسمى عمليا بإطلاق بل هو قسمان ،كفر عملي مخرج من الملة ،وكفر بالعمل غير مخرج من الملة كما هو اعتقاد أهل السنة والجماعة خلافا للمرجئة الذين يقسمون الكفر إلى قسمين كفر اعتقاد مخرج وكفر عمل غير مخرج فهم بذلك يحصرون الكفر الأكبر بالاعتقاد فقط ويجعلون الكفر العملي كله أصغر غير مخرج وهذه عقيدة المرجئة ،فتنبه لذلك ،فإن الكفر غير محصور فى الاعتقاد ولا مقيد بالجحود والاستحلال والقصد ،بل الكفر يكون بالقول وبالعمل وبالاعتقاد وبالشك وبالترك ،فإن ارتكب الكفر ووقع فيه فهو كفر مجرد وإن صاحبه جحود واستحلال وقصد وانشراح صدر فهو كفر مغلظ ،عند أهل السنة والجماعة ،خلافا للمرجئة وغيرهم من أهل الأهواء والبدع والضلال المنحرفون عن منهج القرآن والسنة المخالفين لفهم الصحابة

والمقصود التفريق بين الكفر والشرك ،وبين الكبائر وصغائر الذنوب فثلاثة أشياء ضد ثلاثة أشياء

التوحيد وضده الشرك والكفر ،السنة وضدها البدعة ،والطاعة وضدها المعصية .

المبحث الخامس
"نواقض الإسلام العشرة"

الحمد لله ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد:

فاعلم أيها المسلم أن الله سبحانه أوجب على جميع العباد الدخول في الإسلام والتمسك به والحذر مما يخالفه ، وبعث نبيه مُحَّداً (ﷺ) للدعوة إلى ذلك ، وأخبر -عزّ وجلّ- أن من اتبعه فقد اهتدى ، ومن أعرض عنه فقد ضل ، وحذر في آيات كثيرات من أسباب الردة ، وسائر أنواع الشرك والكفر ، وذكر العلماء رحمهم الله في باب حكم المرتد ، أن المسلم قد يرتد عن دينه بأنواع كثيرة من النواقض التي تحل دمه وماله ، ويكن بها خارجاً عن الإسلام ، ومن أخطرها وأكثرها وقوعاً عشرة نواقض ذكرها الشيخ مُحَّد بن عبد الوهاب ، وغيره من أهل العلم رحمهم الله جميعاً ونذكرها لك فيما يلي على سبيل الإيجاز ، لتَحْذَرَها وتُحَذِّر منها غيرك ، رجاء السلامة والعافية منها ، مع توضيحات قليلة نذكرها بعدها:

<u>من النواقض العشرة :</u>

<u>الأول:</u>

الشرك في عبادة الله تعالى ، قال الله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ) ، وقال تعالى: (إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ) [المائدة: ٧٢] ، ومن ذلك دعاء الأموات ، والاستغاثة بهم ، والنذر والذبح لهم (كمن يذبح للجن أو للقبر).

<u>الثاني:</u>

من جعل بينه وبين الله وسائط ؛ يدعوهم ، ويسألهم الشفاعة ، ويتوكل عليهم ، فقد كفر إجماعاً.

<u>الثالث:</u>

من لم يُكَفِّر المشركين ، أو شَكَّ في كفرهم ، أو صحّح مذهبهم كفر.

<u>الرابع:</u>

من اعتقد أن هدي غير النبي (ﷺ) أكمل من هديه ، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه ، كالذين يفضلون حكم الطواغيت على حكمه فهو كافر.

<u>الخامس:</u>

من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول (ﷺ) ولو عمل به فقد كفر ، لقوله تعالى: (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ) [مُحَّد: ٩].

<u>السادس:</u>

من استهزأ بشيء من دين الرسول (ﷺ) أو ثوابه ، أو عقابه كفر ، والدليل قوله تعالى: (قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ) [التوبة: ٦٥ ، ٦٦] .

<u>السابع:</u>

السحر ، ومنه الصرف والعطف ، فمن فعله أو رضي به كفر ، والدليل قوله تعالى: {وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر} [البقرة: ١٠٢].

<u>الثامن:</u>

مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين ، والدليل قوله تعالى: (وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) [المائدة: ٥١] وقوله تعالى : ((فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) [القصص :

٥٠].

التاسع:

من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة مُحَمَّد (ﷺ) (كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى عليه السلام) فهو كافر ؛ لقوله تعالى: (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) [آل عمران: ٨٥]

العاشر:

الإعراض عن دين الله ، لا يتعلمه ولا يعمل به ؛ والدليل قوله تعالى: (ومن أظلم ممن ذُكر بآيات ربه ثم أعرض عنها إنا من (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآياتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ) [السجدة: ٢٢].

ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف ، إلا المكره ، وكلها من أعظم ما يكون خطراً ، وأكثر ما يكون وقوعاً. فينبغي للمسلم أن يحذرها ، ويخاف منها على نفسه ، نعوذ بالله من موجبات غضبه ، وأليم عقابه ، وصلى الله على خير خلقه مُحَمَّد وآله وصحبه وسلم. انتهى كلامه رحمه الله.

ويدخل في القسم الرابع:

من اعتقد أن الأنظمة والقوانين التي يسنها الناس ، أفضل من شريعة الإسلام ، أو أنها مساوية لها ، أو أنه يجوز التحاكم إليها ، ولو اعتقد أن الحكم بالشريعة أفضل ، أو أن نظام الإسلام لا يصلح تطبيقه في القرن العشرين ، أو أنه كان سبباً في تخلف المسلمين ، أو أنه يحصر في علاقة المرء بربه دون أن يتدخل في شؤون الحياة الأخرى.

ويدخل في الرابع:

أيضاً من يرى أن إنفاذ حكم الله في قطع يد السارق ، أو رجم الزاني المحصن لا يناسب العصر الحاضر.

ويدخل في ذلك أيضاً :

كل من اعتقد أنه يجوز الحكم بغير شريعة الله في المعاملات ، أو الحدود ، أو غيرهما ، وإن لم يعتقد أن ذلك أفضل من حكم الشريعة ، لأنه بذلك يكون قد استباح ما حرم الله إجماعاً وكل من استباح ما حرّمه الله مما هو معلوم من الدين بالضرورة ، كالزنا ، والخمر ، والربا ، والحكم بغير شريعة الله فهو كافر بإجماع المسلمين.

ونسأل الله أن يوفقنا جميعاً لما يرضيه ، وأن يهدينا وجميع المسلمين صراطه المستقيم ، إنه سميع قريب ، وصلى الله وسلم على نبينا مُحَمَّد ، وآله وصحبه.

المبحث السادس

تفصيل القول فى قاعدة من لم يكفر الكافر

فإن قاعدة "من لم يكفر الكافر فهو كافر" قاعدة معروفة مشهورة ، وهي الناقض الثالث من نواقض الإسلام التي ذكرها الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى حيث قال: (الثالث: من لم يكفر المشركين أو يشك في كفرهم أو صحح مذهبهم كفر).

إلا أن هذه القاعدة ليست على هذا الإطلاق ، بل فيها تفصيل من أغفله وقع في الباطل من تكفير المسلمين أو ترك الكفار الأصليين بلا تكفير.

وأهل السنة والجماعة لايكفرون بالشبهات ولا بالظن ولا بالتأويل ويفصلون فى كفر من توقف فى تكفير الكافر المرتد خلافا لأهل الغلو فيفصلون فى قاعدة (من لم يكفر الكافر)فمن لم يكفر الكافر الأصلى مثل اليهود والنصارى والمجوس وكل من لم يدين بالإسلام فهو كافر قولا واحدا لاإشكال فى ذلك ،أما من لم يكفر الكافر المرتد أو توقف فى كفره أو جادل عنه كما يحدث من بعض الدعاة الذين لايكفرون الطواغيت والحكام المبدلين للشريعة ،أو الذين لايكفرون المشرك المتلبس بشرك ،أو من يقول بقول الخوارج والمرجئة والقدرية والمعتزلة والإباضية ،وغير ذلك من أهل البدع وأصحاب المقالات والتأويل ،فإذا كان لايكفر هم بدون شبهة ولا تأويل ،بل بالهوى والتعصب والجهل فهذا كافر مثلهم ،أما إذا كان عنده شبهات وتأويل وأدلة معارضة فى ذهنه أو فهم خاطئ لبعض النصوص فهذا لايكفر إلا بعد إزالة اللبس وكشف الشبهات بالعلم المتين المبنى على الدليل المعتبر من القرآن والسنة الصحيحة وفهم الصحابة

وأقوال أهل العلم وشيوخ الإسلام المؤيدة لذلك حتى تقوم عليه الحجة ولاتبقى له شبهة ،فهنا لابد من إقامة الحجة على المتأول لأن المسألة من المسائل الخفية ،وإن كان أصلها ظاهرا لاعذر فيه لكن التفصيل وما تفرع من الأصل لابد من البيان على وفق ماذكرنا ،كما هو مذهب الصحابة والسلف الكرام مع أهل التأويل وعند ورود الشبهات فى المسائل الخفية ،وأفضل مايبين لك ذلك ماحدث بين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما من مناظرة فى قتال المرتدين فتعجب عمر من تكفير أبى بكر وقتاله لمن يقول لاإله إلا الله ويصوم ويصلى ويقرأ القرآن ويقوم الليل ويأتى بشعائر الإسلام ؟فكيف يكفرهم ويقتلهم ويسبى نسائهم ويستحل أموالهم وأعراضهم ،وعنده أحاديث توجب الكف عن من يقول لاإله إلا الله ؟فناظره أبو بكر وأزال عنه الشبهة وأن التلفظ بالشهادتين لاينفع مع ارتكاب النواقض والكفر ،وكان إجماع الصحابة على كفر مانعى الزكاة وقتالهم قتال كفر وردة ،فقد توقف عمر الفاروق رضى الله عنه وشك فى كفر من كفره خليفة رسول الله ﷺ ،ومثل ماحدث من قدامة وأصحابه رضى الله عنهم فى تأويل حل شرب الخمر ،ومعلوم تحريم الخمر ومن يستحلها فقد كفر ولكن هؤلاء تأولوا الآية ولم يكفروا ابتدءا بل زالت عنهم الشبهة ،ومن ذلك حال السلف مع أهل التأويل فلم يكفروا الخوارج ولا المرجئة ولا الأشاعرة ولا المعتزلة مع أنهم قالوا مقالات كفرية تخرج من الملة ،لكن منع من كفرهم التأويل السائغ والشبهة المعتبرة ،لكن لو أصر على موقفه بعد البيان وإزالة الشبهات وانقطع عن الحجة والدليل فى المناظرة فهو كافر مثلهم لأنه مكابر ومكذب بالقرآن يجادل عن المشركين بغير دليل ، وفى هذه الحالة يكفر كفر عناد بعد البيان وإقامة الحجة عليه وانقطاعه فلابد من فهم هذه المسألة فهما جيدا ولابد من مراعاة التفصيل السابق حتى لاتشوه دعوة التوحيد وحتى لايتهم دعاتها بالغلو والجهل والتساهل فى إطلاق الأحكام بغير حق فالمرجئة وأعداء التوحيد يتربصون ويتصيدون أخطاء أهل الحق فكونوا على حذر رحمكم الله من ذلك ولا تكفروا العلماء والدعاة الذين لايكفرون الحكام لشبهات عندهم حتى تقيموا عليهم الحجة وتزيلوا الشبهة بالعلم والدليل المفصل ولا تعتمدوا على المجمل وكلام العلماء المطلق فلابد من التفصيل رحمكم الله ،نعم هم على خطأ كبير ،وأكبر منه مجادلتهم عن الطواغيت لكن هناك فرق بين الخطأ والضلال و بين الكفر والخروج من الإسلام ،لكن لو ارتكبوا ناقضا مكفرا ظاهرا جليا يكفروا به ،أما غير ذلك فلا يجوز الإقدام على تكفيرهم والتحدث بذلك بين الشباب ،هذا هو الحق والعدل والإنصاف وهذا أعظم مايميز أهل السنة عن غيرهم ،وفقنا الله وإياكم إلى الفهم الصحيح والقول السديد ،وقول الحق بعلم وإنصاف وتجرد وعدل وعليكم بتحقيق العلم ، والتحقيق فى هذا أن القول قد يكون كفرا كمقالات الجهمية الذين قالوا إن الله لا يتكلم ولا يرى فى الآخرة ولكن قد يخفى على بعض الناس أنه كفر فيطلق القول بتكفير القائل كما قال السلف من قال القرآن مخلوق فهو كافر ومن قال إن الله لا يرى فى الآخرة فهو كافر ولا يكفر الشخص المعين حتى تقوم عليه الحجة كما تقدم كمن جحد وجوب الصلاة والزكاة واستحل الخمر والزنا وتأول فإن ظهور تلك الأحكام بين المسلمين أعظم من ظهور هذه فإذا كان المتأول المخطئ فى تلك لا يحكم بكفره إلا بعد البيان له واستتابته كما فعل الصحابة فى الطائفة الذين إستحلوا الخمر ففي غير ذلك أولى وأحرى.

وتفصيل هذا الأمر كما يلي:

اعلم أولاً أن الأصل في هذه القاعدة ليس من جهة ملابسة الكفر قولاً أو فعلاً ، بل من جهة رد الأخبار وتكذيبها ، فمن ترك الكافر بلا تكفير كان هذا منه تكذيباً بالأخبار الواردة في تكفيره ، فعلى هذا لا بد أن يكون الخبر الوارد في التكفير صحيحاً متفقاً عليه ، ولا بد أن يكون من ترك التكفير راداً لهذه الأخبار ، فالمكفرات ليست واحدة ،والوقوع فيها أيضاً ليس على مرتبة واحدة ، ولبيان هذا الأمر لا بد من التفريق بينها ، وهذا ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: الكافر الأصلي:

كاليهودي والنصراني والمجوسي وغيرهم ، فهذا من لم يكفره أو شك في كفره أو صحح مذهبه فإنه يكفر بالإجماع كما ذكره غير واحد من أهل العلم ، لأن في هذا رداً للنصوص الواردة في بطلان غير عقيدة المسلمين وكفر من ليس على دين الإسلام .

القسم الثاني: المرتد عن الإسلام:

وهذا على قسمين:

الأول: من أعلن كفره وانتقاله من الإسلام إلى غيره كاليهودية أو النصرانية أو الإلحاد ، فحكمه حكم القسم السابق (الكافر الأصلى.

الثاني: من ارتكب ناقضاً من نواقض الإسلام إلا أنه يزعم أنه على الإسلام ولم يكفر بهذا الناقض فهو على قسمين أيضاً:

الأول: من ارتكب ناقضاً صريحاً مجمعاً عليه كسب الله سبحانه وتعالى مثلاً فإنه يكفر بالإجماع ، ومن توقف في تكفيره أحد رجلين:

الأول: من أقر بأن السب كفر ، وأن هذا فعله كفر ، إلا أنه توقف في تنزيل الحكم على لمعين لقصور في علمه أو لشبهة رآها ونحو ذلك ، فإنه يكون مخطئاً وقوله هذا باطل ، إلا أنه لا يكفر لأنه لم يرد خبراً أو يكذب به ؛ فإنه أقر بما ورد في الأخبار والإجماع من أن السب كفر

والثاني: من أنكر أن يكون السب كفراً أصلاً فهذا يكفر بعد البيان لأنه رد للأخبار والإجماع . وهذا مثل من يعبد القبر ممن ينتسب إلى الإسلام ، فمن خالف في أن فعله كفر فإنه يكفر لأنه رد للنصوص والإجماع ، ومن أقر بأن فعله كفر إلا أنه توقف في تكفيره لشبهة رآها فإنه لا يكفر.

فعلى المؤمن أن يبني معتقده وعمله على كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ فيجعلهما إماماً له يستضيء بنورهما ويسير على منهاجهما فإن ذلك هو الصراط المستقيم الذي أمر الله تعالى به في قوله { وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون } [الأنعام : ١٣٥] . وليحذر ما يسلكه بعض الناس من كونه يبني معتقده أو عمله على مذهب معين فإذا رأى نصوص الكتاب والسنة على خلافه حاول صرف هذه النصوص إلى ما يوافق ذلك المذهب على وجوه متعسفة فيجعل الكتاب والسنة تابعين لا متبوعين وما سواهما إماماً لا تابعاً وهذه طريق من طرق أصحاب الهوى لا أتباع الهدى وقد ذم الله هذه الطريق في قوله : { ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون } [المؤمنون : ٧١] .والناظر في مسالك الناس في هذا الباب يرى العجب العجاب ويعرف شدة افتقاره إلى اللجوء إلى ربه في سؤال الهداية والثبات على الحق والاستعاذة من الضلال والانحراف .ومن سأل الله تعالى بصدق وافتقار إليه عالماً بغنى ربه عنه وافتقاره هو إلى ربه فهو حرى أن يستجيب الله تعالى له سؤله يقول الله تعالى : { وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون } [البقرة : ١٨٦] فنسأل الله أن يجعلنا ممن رأى الحق حقاً واتبعه ورأى الباطل باطلاً واجتنبه وأن يجعلنا هداة مهتدين وصلحاء مصلحين وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا ويهب لنا منه رحمة إنه هو الوهاب.

الباب الخامس

"مسألة عدم العذر بالجهل"(١)

. بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه

أما بعد

فإن مسألة العذر بالجهل من مسائل الأسماء والأحكام والتي وقع فيها خلط واضطراب كثيراً لعدم ضبطها ولعدم التفريق بين الأسماء والأحكام فإن كثير ممن تناول هذا الموضوع تناوله من باب العذر فى العقوبة والمؤاخذة ، وعليه فحصروا المسألة فى الأدلة التي تنفي العقوبة قبل إقامة الحجة وتكلموا فى المسلم المرتكب الشرك الأكبر هل هو معذور بمعنى لا يعاقب ، أو غير معذور فيعاقب . ولم يتطرق هؤلاء إلى:-

ما هو اسمه قبل وبعد ارتكابه الشرك ؟

وما معنى العذر بالجهل وهل العذر في الاسم أم في العقوبة ؟

وكيف التعامل معه بعد ارتكابه الشرك والكفر الأكبر الظاهر الجلي وهو يعيش بين المسلمين فى بلاد المسلمين ؟

وما هو الموقف منه إن مات على شركه سواء قبل الحجة فى زمن غياب الشريعة أو بعد الحجة فى ظل تحكيم الشريعة لم يتكلم فى هذه التفاصيل إلا شيخ الإسلام ابن تيمية والإمام مُحَّد بن عبد الوهاب وأولاده وأحفاده وتلامذته من أئمة الدعوة واللجنة الدائمة وهيئة كبار العلماء زمن الشيخ مُحَّد بن إبراهيم والشيخ ابن باز — رحمهما الله تعالى .

مع أن هذا البلاء ليس منتشراً فى الجزيرة العربية وبلاد الحرمين إلا أنه إجابات للوافدين من مصر وغيرهم لما انتشر هذا البلاء عندهم - نسأل الله السلامة والعافية —.

---

(١)"كتاب العذر بالجهل أسماء و أحكام" الشيخ الدكتور/عبد الله الغليفى

المبحث الأول

مسألة الأسماء و الأحكام.

أهمية دراسة الموضوع والفوائد المترتبة عليه :

اعلم رحمنى الله وإياك والمسلمين أن مَسْأَلَةُ الْأَسْمَاءِ وَالْأَحْكَامِ من أول ما وقع فِيهِ النِّزَاعُ فِي الْإِسْلَامِ بَيْنَ الطَّوَائِفِ الْمُخْتَلِفَةِ ، وَالْمُرَادُ بِالْأَسْمَاءِ هُنَا أَسْمَاءُ الدِّينِ ، مِثْلُ : مُؤْمِنٍ ، وَمُسْلِمٍ ، وَكَافِرٍ ، وَفَاسِقٍ ، ومنافق ، ومشرك ،وظالم ، وعاصٍ .

وَالْمُرَادُ بِالْأَحْكَامِ أَحْكَامُ أَصْحَابِهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

فهذا من أهم المواضيع لكثرة الأحكام المترتبة عليه في الدنيا والآخرة ، بل هذا الموضوع من أهم أحكام الملة فهو الأصل وغيره فرع عنه ، إذ سعادة الخلق في الدنيا والآخرة متعلق مصيرها على هذا الأمر أعني أحكام الإيمان والكفر .

أما في الآخرة فإن المصير إما إلى الجنة وإما إلى النار ، وذلك بحسب إيمان الرجل أو كفره عياذاً بالله ، ولذلك ذكر بعض أهل العلم أهمية هذه المسائل في الدين ، وأن الخطأ فيها ليس كالخطأ في غيرها ، فمن ذلك ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى (١٢/ ٤٦٨):

(إذا تبين ذلك فاعلم أن "مسائل التكفير والتفسيق" هي من مسائل "الأسماء والأحكام" التي يتعلق بها الوعد والوعيد في الدار الآخرة ، وتتعلق بها الموالاة والمعاداة والقتل والعصمة وغير ذلك في الدار الدنيا ، فإن الله سبحانه أوجب الجنة للمؤمنين ، وحرم الجنة على الكافرين ، وهذا من الأحكام الكلية في كل وقت ومكان) اهـ.

وقال في المجموع أيضاً (٧/ ٣٩٥): (فإن الخطأ في اسم الإيمان ليس كالخطأ في اسم محدث ، ولا كالخطأ في غيره من الأسماء ، إذ كانت أحكام الدنيا والآخرة متعلقة باسم الإيمان والإسلام والكفر والنفاق) ا. هـ

وقال (١٣/ ٥٨): (وليس في القول اسم علق به السعادة والشقاء ، والمدح والذم ، والثواب والعقاب ، أعظم من اسم الإيمان والكفر ، ولهذا سمي هذا الأصل "مسائل الأسماء والأحكام") ا. هـ

وقال العلامة ابن رجب في (جامع العلوم) (١/ ١١٤) ما نصه: (وهذه المسائل -أعني مسائل الإسلام والإيمان والكفر والنفاق- مسائل عظيمة جداً ، فإن الله عز وجل علق بهذه الأسماء السعادة ، والشقاوة ، واستحقاق الجنة والنار ، والاختلاف في مسمياتها أول اختلاف وقع في هذه الأمة) اهـ.

فعلم من ذلك أن هذه المسائل -أعني مسائل الإيمان والكفر - من أعظم المسائل في الشريعة ، ولذلك سميت: (بمسائل الأسماء والأحكام)، لأن الإنسان إما أن يسمى بالمسلم أو يسمى بالكافر ، والأحكام مرتبة على أهل هذه الأسماء في الدنيا والآخرة ، أما في الدنيا فإن المسلم معصوم الدم والمال ، وتجب موالاته والجهاد معه ضد الكافرين ، وتثبت له بعد مماته أحكام التوارث ، وأحكام الجنائز من تغسيل وتكفين ، ويترحم عليه وتسأل له المغفرة ، إلى غير ذلك من الأحكام الكثيرة التي سبق الإشارة إليها ،وسيأتي تفصيلها قريباً إن شاء الله .

والكافر على العكس من ذلك ، حيث تجب معاداته ،وتوليه كفر وخروج من الملة ، والقتال معه ضد المسلمين كذلك ، إلى غير ذلك من الأحكام التي أشرنا إليها -أيضاً- من أحكام التوارث والجنائز وغير ذلك .

ولأهمية هذه المسائل ضمَّنها أهل السنة والجماعة في مباحث العقيدة الكبار ، وقال الحافظ ابن رجب مبيناً أهمية هذه المسألة: (وهذه المسائل ، أعني مسائل الإسلام والإيمان ، والكفر والنفاق مسائل عظيمة جداً) .

فإن الله عز وجل علَّق بهذه الأسماء السعادة والشقاوة ، واستحقاق الجنة والنار.

وتكمن أهمية معرفة مسائل الأيمان و الكفر في تعلق الأحكام الشرعية المترتبة عليها في الدنيا والآخرة قال ابن تيمية رحمه الله : وليس في القول اسم علق به السعادة و الشقاء أو المدح والذم والثواب والعقاب أعظم من اسم الإيمان والكفر و لهذا سمي هذا الأصل " مسائل الأسماء والأحكام")[المجموع ج ١٣ /٥٨] .

قال أيضا رحمه الله : (فإن الخطا في اسم الإيمان ليس كالخطأ في اسم محدث ، ولا كالخطأ في غيره في الأسماء ، اذا كانت أحكام الدنيا و الاخرة متعلقة باسم الإيمان و الإسلام و الكفر و النفاق) [المجموع ٧/ ٣٩٥].

قال تعالى :{ أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون } [الجاثية: ٢١] .

وقال تعالى : { ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعاً فيجعله في جهنم أولئك هم الخاسرون }[الأنفال :٣٧] .

أما أهمية هذا الموضوع في الآخرة فإن مصائر الخلق متوقفة على الإيمان والكفر ، فإما إلى جنة وإما إلى نار ، وأما في الدنيا فمترتب على مسائل الإيمان والكفر أحكام عديدة.

قال ابن رجب الحنبلى رحمه الله : وهذه المسائل أعني مسائل الإسلام والإيمان والكفر والنفاق مسائل عظيمة جداً ، فإن الله عز وجل علق بهذه الأسماء السعادة والشقاوة واستحقاق الجنة والنار ، والاختلاف في مسمياتها أول اختلاف وقع في هذه الأمة) [جامع العلوم والحكم /٢٧] يريد بذلك خلاف الخوارج للصحابة .

"وإن الخلط أو الجهل بهذه المسائل قد ضل بسببه أقوام نسبوا من يتمسك بعقيدة السلف وأهل السنة والجماعة الى البدعة بل اتهموهم بالخروج وعادوهم ، وأدخلوا في هذا الدين من حرضت الشريعة بتكفيره وأجمع العلماء على كفرهم ، بل وشايعهم هؤلاء ونصروهم بالأقوال والأفعال ، كل ذلك بسبب جهلهم أو إعراضهم عن تعلم هذه المسائل ، وإضلالهم بسبب إعراضهم جزاًء وفاقًا ولا يظلم ربك أحدًا " [التبيان/ ٤٤] .

وأنه كما يجب أن نحكم بالإسلام لمن ثبت إسلامه بيقين ولا نكفره من غير بينة شرعية ، فإنه ينبغى الحذر من عدم تكفير من فعل الكفر وليس له عذر شرعي ، بل الواجب تكفيره إن لم يكن له عذر شرعي دون الرجوع إلى قصده .

يقول الشيخ عبد اللطيف آل الشيخ رحمه الله : (وأما إن كان المكفر لأحد في هذه الأمة يستند في تكفيره إلى نص وبرهان من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وقد رأى كفراً بواحاً ، كالشرك بالله وعبادة ما سواه ، والاستهزاء به تعالى أو بآياته أو برسله ، أو تكذيبهم أو كراهة ما أنزل الله من الهدى ودين الحق ، أو جحد صفات الله تعالى ونعوت جلاله ونحو ذلك ، فالمكفر بهذا وأمثاله مصيب مأجور مطيع لله ولرسوله ﷺ) [الرسائل المفيده /٣٨٨]وأن ثمرة هذا الموضوع - الكلام في الأسماء والأحكام - هي تميز المؤمن من الكافر لمعاملة كل منهما بما يستحقه في شرع الله تعالى وهذا واجب على كل مسلم ، ثم إن من مصلحة الكافر أو المرتد ، أن يعلم أنه كافر فقد يبادر بالتوبة أو بتجديد إسلامه ، فيكون هذا خيراً له في الدنيا والآخرة ، أما أن نكتم عنه حكمه ولا نخبره بكفره أو ردته بحجة أن الخوض في هذه المسائل غير مأمون العواقب ، فهذا فضلاً عما فيه من كتمان للحق وهدم لأركان الدين ، فهذا ظلم لهذا الكافر وخداع له بحرمانه من فرصة التوبة إذا علم بكفره فكثير من الكفار هم من ؛ {الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً}[الكهف: ١٠٤].

الفوائد والأحكام المترتبة فى الدنيا

أولاً : السياسة الشرعية :

فإن لأحكام الإيمان والكفر علاقة في هذا الباب من وجوه :

١ - بالنسبة للحاكم ، فإنه إن كان كافراً أو مرتداً فلا يجب طاعته ولا ولايته ،ولا سمع له و لا طاعة . ويجب على الأمة العمل على إزالته ، وهذا بعكس الحاكم المسلم فإنه على الضد من ذلك حيث تجب طاعته وولايته وذلك بالمعروف

٢- أنه يترتب على مسألة الحاكم قضية البيعة ، فيجب مبايعة الحاكم المسلم الذي تتوفر فيه شروط الحكم ، كما هي مسطورة في كتب أهل العلم ، وهذا بعكس الحاكم الكافر أو المرتد ، فإنه لا تجوز له بيعة ولا طاعة على مسلم ، وأحكامه غير نافذة فلا يصح له عقد أمان ولا ذمة ، لأنه ليس بمسلم بل يجب خلعه وجهاده والخروج عليه وإزالته عند التمكن والقدرة ، وهذا بإجماع أهل العلم ، وعند العجز يجب الإعداد لذلك حتى يُزال الكفر ويحكم الإسلام .

أنواع الديار وأحكامها

٣- إن الدار التي تحُكم بالقوانين الوضعية ، هي دار كفر ليست بدار إسلام ، فيجب الهجرة منها عند وجود دار الإسلام في الأرض ،فالدار بما يعلوها من أحكام وليس بما يعلوها من حُكام ،فإن كان يعلوها حكم الله وشريعة الله فهى دار إسلام وإن كان غالب أهلها كفار ،وإن كان يعلوها حكم الطاغوت والعلمانية والقوانين الوضعية فهى دار كفر ، وإن كان غالب أهلها مسلمين ،فلا تلازم بين حكم الدار وحكم الأفراد ،كما فى مكة قبل الهجرة ،والمدينة بعد الهجرة ،وخيبر والأندلس وغير ذلك .

والأصل أن الدار داران .دار كفر ودار إسلام ،وهذا هو الصحيح الثابت عند أهل التحقيق .

فدار الإسلام:- هى التى فتحها المسلمون ويعلوها حكم الله وشريعة الله وإن كان غالب أهلها كفار .

ودار الكفر:- إما دار كفر أصلى كأمريكا وغيرها من بلاد الغرب الكافر ،فالدار دار كفر والمجتمع الأصل فيه الكفر إلامن ثبت إسلامه .

أو دار كفر ردة كبلاد المسلمين الآن ، فهى دار كفر ردة لتنحيتها الشريعة وتحكيمها للقوانين الوضعية المخالفة لدين رب البرية ،ولا يلزم كفر الناس لأن المجتمع الأصل فيه الإسلام ، إلا من ظهر منه كفر وشرك بيقين ينقض هذا الأصل

وقال الكاساني : (وجه قولهما إن قولنا دار الإسلام ودار الكفر إضافة دار إلى الإسلام وإلى الكفر ، وإنما تضاف الدار إلى الإسلام أو إلى الكفر لظهور الإسلام أو الكفر فيها ، كما تسمى الجنة دار السلام والنار دار البوار ، لوجود السلامة في الجنة والبوار في النار ، وظهور الإسلام والكفر بظهور أحكامهما ، فإذا ظهر أحكام الكفر في دار فقد صارت دار كفر فصحت الإضافة ، ولهذا صارت الدار دار الإسلام بظهور أحكام الإسلام فيها من غير شريطة أخرى ، فكذا تصير دار الكفر بظهور أحكام الكفر فيها والله أعلم) .

والذي ينبغي أن يقال هو أن العبرة بالمسميات والحقائق لا بمجرد الأسماء والصور ، فكما أن الدار التي كانت بأيدي الكافرين ، وتجري عليها أحكامهم ، ولهم فيها القوة والمنعة والشوكة ، إذا غلب عليها أهل الإسلام ، وجرت عليها أحكامه ، فإنها تصير بذلك دار إسلام بالاسم والحقيقة ولو بقي فيها كفار ذميون ، فكذلك دار الإسلام التي تحكم بشرائعه وله فيها القوة والغلبة والسلطان ، إذا تبدل حالها وغلب عليها الكافرون أيا كان جنسهم وملتهم ، وأجروا عليها أحكامهم فإنها تصير بذلك دار كفر ولا يبقى معنى في التشبث بوصفها دار إسلام مع هذه الحال ، لأنها لا تختلف في شيء عن دار الكفر التي لم يفتحها المسلمون أصلاً اللهم إلا في تعين إرجاعها إلى الحكم الإسلامي ، وفرضية مقاتلة غاصبيها ، أو في كون غالب سكانها من المسلمين وإن لم يكن هذا دائماً ، فالأندلس وهي ما تسمى اليوم بأسبانيا ، قد فتحها المسلمون بسيوفهم وسقط فيها آلاف الشهداء ، وتخرج منها الكثير من أفذاذ العلماء ، واستنارت بنور الإسلام وهديه أحقاباً طويلة ، ونعمت بحكمه قروناً مديدة ، ثم دارت الدائرة على المسلمين ، وتغلب عليها النصارى الصليبيون ، فاستأصلوا منها الإسلام والمسلمين ولم يبقوا فيها أحداً ممن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ومنذ سقوطها وإلى اليوم هي تحت حكمهم وسلطانهم وليس بينها وبين بلدان النصارى الأخرى مثل بريطانيا وأمريكا وغيرها من الفروق إلا المعالم الإسلامية التي صارت مزاراً للسياح ومرتعاً للسفاح ، فهل مع مثل هذه الحال والصفة يقال إن الأندلس ما زالت دار إسلام سواء في الصورة أو الحكم ، لا شك في بُعْدِ هذا القول وضعفه ، والحاصل أنه وكما أن دار الكفر تنقلب إلى دار إسلام - وهذا موضع اتفاق — بظهور أحكامه عليها فكذلك دار الإسلام تنقلب إلى دار كفر إذا غلبت عليها أحكامه .

قال شيخ الإسلام —رحمه الله- : (فإن كون الأرض دار كفر ، أو دار إسلام ، أو إيمان ، أو دار سلم ، أو حرب ، أو دار طاعة ، أو معصية ، أو دار المؤمنين ، أو الفاسقين ، أوصاف عارضة لا لازمة ، فقد تنتقل من وصف إلى وصف ، كما ينتقل الرجل بنفسه من الكفر إلى الإيمان والعلم وكذلك بالعكس) اهـ .

ومن هذا ما حدث عند تغلب العبيديين على مصر حيث قال فيها شيخ الإسلام -رحمه الله-: (ولأجل ما كانوا عليه من الزندقة والبدعة بقيت البلاد المصرية مدة دولتهم نحو مائتي سنة قد انطفأ نور الإسلام والإيمان ، حتى قالت فيها العلماء إنها كانت دار ردة ونفاق كدار مسيلمة الكذاب) اهـ .

أما عن الشروط التي نقلت عن الإمام أبي حنيفة -رحمه الله -حتى تصير الدار دار كفر فقد ردها ابن قدامة بقوله : (لنا أنها دار كفار فيها أحكامهم فكانت دار حرب كما لو اجتمع فيها هذه الخصال أو دار الكفرة الأصليين) اهـ .

وبهذا يتبين أن القدر الحقيقي الذي تصير به الدار دار كفر هو علو أحكام الكافرين وجريانها عليها ، حتى ولو كان أكثر سكانها من المسلمين ، تماماً كما لو ضربت الجزية على قوم من الكافرين وصارت أحكام الإسلام هي المهيمنة والجارية ، فإن الدار بذلك تصبح دار إسلام دون النظر إلى سكانها ، أما اشتراط كون الدار التي يحكم عليها بأنها دار كفر لا بد أن تكون منفصلة عن دار الإسلام ، فلا يظهر بالتأمل أن له تأثيراً حقيقياً ، إذ ما معنى قربها أو بعدها من دار الإسلام إذا كانت الأحكام الجارية والمسيطرة والغالبة هي أحكام الكفار ، وأي تأثير لهذا القرب ما دام المسلمون تحت سلطانهم وقهرهم وتحكمهم قوانينهم ، ومما يدل على ذلك أن الله سبحانه قد ذكر الهجرة في كتابه وحث عليها وبين ما أعده للمهاجرين ، وتوعد الباقين بين أظهر الكافرين مع قدرتهم على الخروج ، وعلق الوعيد على أمر واحد وهو عدم القدرة على إظهار الدين ، ومعلوم أن العجز عن إقامة الدين وإظهار شعائره إنما يوجد حين تكون الغلبة للكافرين ، لأن الضعف يقابله القوة كما قال سبحانه : { إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالْوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءتْ مَصِيراً * فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللّهُ عَفُوّاً غَفُوراً } [سورة النساء٩٧- ٩٩].

فلما احتج هؤلاء الذين لحقهم الوعيد بالاستضعاف ظناً منهم أنه عذر لهم في ترك الهجرة التي هي الخروج من دار الحرب إلى دار الإسلام ، وردت عليهم الملائكة حجتهم بأن أرض الله واسعة فيمكن إزالة هذا الاستضعاف بالهجرة والخروج ، علمنا من ذلك أن مدار الأمر ومناط الحكم وتعليقه إنما هو في القدرة على إزالة الاستضعاف الناتج عن قوة الكافرين وغلبتهم ، ومعلوم أن تمام القوة والتمكين والاستطاعة لا يمكن إلا حيث تكون للمسلمين دولة وشوكة وسلطان يقيمون بها أحكام الله تعالى ،كما أن تمام تمكن الكافرين وبلوغهم الغاية في القهر والإذلال للمسلمين لا يتحقق إلا حينما تكون لهم القوة والشوكة والسلطان والذي يتمثل في دولة يحكمونها ، ومن المعلوم أن الهجرة هي جزء من الأحكام الناشئة عن تقسيم العالم إلى دار إسلام ودار كفر.

إذا تبين هذا ونظرنا في حال أغلب ديار المسلمين اليوم وما يعلوها من أحكام الكفر والجاهلية من القوانين الوضعية ، وعلمنا أنها قد فرضت على المسلمين فرضاً وأقيمت فوقهم قسراً وأجريت عليهم قهراً ، وألزموا بالتحاكم إليها إلزاماً ، وقدمت فيها على أحكام الشرع الحنيف ، وصارت هي الغالبة المسيطرة على الديار ، حتى أصبح من العسير أن يأخذ المسلم حقه وفقاً لأحكام الشريعة الإسلامية ، ذلك لأن المحاكم التي تحكم بشرع الله صارت منعدمة فيها ، وإن وجد منها شيء فهو في جوانب محددة مقيدة لا تتجاوزها أو تتعداها وهي ما يسمونها بالأحوال الشخصية ، هذا مع ما داخلها من التشويه والتلبيس والمزج بشيء من لوثة تلك القوانين الوضعية والنظم الطاغوتية ، حيث وضعت في قوالب وسكك لا يمكنها الخروج منها والانفكاك عنها فهي تابعة وليست

متبوعة ، ومحكومة وليست حاكمة ، ولهذا كانت مسألة الحكم بما أنزل الله وما يتصل بها من أحكام من أكثر القضايا – إن لم تكن أكثرها على الإطلاق – بحثًا ومناقشة وتناولًا لها في الكتب والرسائل والبحوث والفتاوى والمحاضرات ، زد على ذلك كله أن المسلمين الملتزمين بدينهم الحق لم يعودوا آمنين في هذه الديار ، بل هم مطاردون مضيق عليهم ، عرضة في كل حين للاضطهاد والتنكيل والتشريد على أيدي حكام هذه البلدان ، لا لشيء إلا لأنهم رجعوا للحق ودعوا إليه ، ولا أظن أن أحدًا يماري أو ينكر مثل هذه الحقائق التي أصبحت اليوم أبين من الشمس في رابعة النهار ليس دونها حجاب ، وإلا فما بال سجون هؤلاء الطواغيت قد غصت بالشباب المسلمين المستمسكين بالهدى والحق بينما أعداء الله ورسوله من الملحدين والعلمانيين واليهود والنصارى يعربدون ويفسدون عقائد المسلمين ويهدمون دينهم ويعبثون بأخلاقهم ، ويشاقون الله ورسوله على مرأى من الناس ، ولهم في ذلك كله من هؤلاء الطغاة كامل الحماية وتمام التقدير والتبجيل والاحترام والحفاوة وتوفير سبل العيش في أرقى مستوياته ، إذا تبين هذا وعلمنا أن مناط الحكم على الديار – ألا وهو اعتبار الأحكام التي تعلوها وتهيمن عليها- قد وجد فيها وغدا واضحًا جليًا وسمة بارزة مميزة لها استطعنا أن نحكم على هذه الديار التي صفتها ما ذكرنا بأنها ديار حرب وكفر وردة ، وإن كان صوت الأذان يرفع فوق مآذنها أو الجماعات تقام في مساجدها ، أو العيدين تصلى في مصلياتها أو المنابر تهتز بالخطب فوقها ، أو أن أكثر سكانها من المسلمين ، فكل هذا لا يغير من الحكم شيئًا ، لأنه ليس مناطًا للحكم ، ولا مداره عليه ، فإن المساجد اليوم في كثير من الدول الغربية النصرانية ، ومثل ذلك المراكز والهيئات الإسلامية ، ونسبة المسلمين في تلك البلاد عالية وإن لم يكونوا الأكثر ، بل أغلب هذه الدول أصبحت آمن للمسلم من كثير من الدول التي افتتحها المسلمون وكانت يوماً ما دار إسلام ، ومع ذلك فإن ديارهم ديار كفر وحرب ، وكما ذكرنا من قبل ونبهنا عليه ونعيده هنا لأهميته أن هذا الحكم إنما هو للديار فقط ، وهو صفة لها وليس لساكنيها ، ولا تلازم بين الحكم على الدار بأنها دار كفر وبين الحكم على أهلها بأنهم كفار ، فالمسلم تبقى حرمة نفسه وماله ودمه وعرضه أينما وجد وحيثما حل ، ولا ينبغي الخلط بين الأمرين ، فإنه كما حكم بعض الناس على بعض هذه الديار بأنها ديار إسلام وجعلوا حكامها ولاة أمور يجب السمع والطاعة لهم ، ونتج عن ذلك أحكام منحرفة زائغة ، وفي المقابل هناك من يفهم من القول بأن هذه البلاد التي أصبحت ديار كفر أن أهلها صاروا بذلك كفارًا مرتدين ورتبوا على ذلك أحكاماً واستخلصوا نتائج هي أشد ضلالًا وأكثر زيغاً من القول الأول ، والحق وسط بين هذين القولين ، فلا الديار التي غلبت عليها أحكام المرتدين ونظمهم وقوانينهم يحكم عليها بأنها ديار إسلام بمجرد أن أكثر أهلها مسلمون ، ولا سكانها يستحقون الحكم عليهم بالكفر والردة بناء على أن الديار التي يقطنونها هي كذلك ، وقد نقلنا كلام شيخ الإسلام ابن تيمية عندما سئل عن ماردين ، وكلامه ينطبق تمامًا على هذه الديار من حيث التفصيل ، وذلك بغض النظر عن جعلها قسمًا ثالثًا كما هو قول شيخ الإسلام ابن تيمية في ماردين ، أو جعلها ديار كفر كما هو قول الجمهور وهو الراجح إن شاء الله تعالى ، كما حققه ابن مفلح تلميذ شيخ الإسلام ، وعليه أئمة الدعوة .

ولعل أبرز الصور التي تنطبق على هذه البلدان من حيث الحكم والوصف ومن حيث اعتبار حال أهلها وإبقائهم على حكم الإسلام رغم تسلط المرتدين عليها هو ما جرى من غلبة العبيديين على مصر وإجراء أحكامهم الكفرية على أهلها ، مع إقامتهم لكثير من شعائر الإسلام الظاهرة كالجمع والعيدين والصلوات الخمس والأذان وإن مزجوا كثيرًا من هذه العبادات ببدعهم ، ومع ذلك فقد أفتى العلماء بأن دارهم قد صارت دار كفر وردة ، ولم يلزم من ذلك أن يكون جميع من فيها كفارا بمجرد ذلك ، وقد نقلنا ما ذكره شيخ الإسلام -رحمه الله- تعالى في ذلك ، ومن المعلوم أن صلاح الدين الأيوبي -رحمه الله -لما تغلب على مصر وأزال دولة العبيديين عنها وأعاد الحكم لأهل السنة لم يستتب سكانها ولم يحكم عليهم بالكفر والردة باعتبار سابق بقائهم تحت حكم المرتدين ، بل أنقذهم من ظلم أولئك المارقين الزنادقة وأرجع الدولة إلى حوزة المسلمين.
قال الإمام الذهبي -رحمه الله- : (قال القاضي عياض : أجمع العلماء بالقيروان أن حال بني عبيد حال المرتدين والزنادقة) اهـ.

وقال الإمام مُحَمَّد بن عبد الوهاب -رحمه الله- : (قصة بني عبيد القداح : فإنهم ظهروا على رأس المائة الثالثة ، فادعى عبيد الله أنه من آل علي بن أبي طالب ، ومن ذرية فاطمة ، وتزيَّ بزي أهل الطاعة والجهاد في سبيل الله ، فتبعه أقوام من البربر من أهل المغرب وصار له دولة كبيرة من المغرب ولأولاده من بعده ، ثم ملكوا مصر والشام ، وأظهروا شرائع الإسلام ، وإقامة الجمعة والجماعة ، ونصبوا القضاة والمفتين ، لكن أظهروا الشرك ومخالفة الشريعة ، وظهر منهم ما يدل على نفاقهم وشدة كفرهم ، فأجمع أهل العلم : أنهم كفار وأن دارهم دار حرب مع إظهار شعائر الإسلام ، وفي مصر من العلماء والعباد أناس كثير ، وأكثر أهل مصر لم يدخل معهم فيما أحدثوا من الكفر ، مع ذلك : أجمع العلماء على ما ذكرنا ، حتى إن بعض أهل العلم المعروفين بالصلاح قال : لو أن معي عشرة أسهم لرميت بواحد منها النصارى المحاربين ، ورميت بالتسعة بني عبيد ولما كان زمن السلطان محمود بن زنكي أرسل إليهم جيشًا عظيمًا بقيادة صلاح الدين ، فأخذوا مصر من أيديهم ، ولم يتركوا جهادهم بمصر لأجل من فيها من الصالحين) اهـ.

فهذا النص بيّنٌ فيما ذكرنا من عدم التلازم بين الحكم على الدار بأنها دار كفر وردة بسبب ما يعلوها من أحكام الكافرين ولأجل تغلبهم عليها ، وبين بقاء إسلام سكانها المحكومين بتلك القوانين والمقهورين بسلطان الكافرين ، فالحكم على الدار لا يعني إطلاقا الحكم على السكان ، وذلك كأهل الذمة الذين لا يكونون مسلمين مع إقامتهم في دولة الإسلام وجريان أحكامه عليهم ، وقد أشاربعض العلماء إلى ثمرة الخلاف بين الجمهور وأبي حنيفة في صيرورة دار الإسلام دار كفر بقوله : (لعل ثمرة الخلاف بين الرأيين تظهر في عصرنا هذا ، فإنه على تطبيق رأي أبي حنيفة : تكون الأقاليم الإسلامية من أقصى المغرب إلى سهول تركستان وباكستان ديارًا إسلامية ، لأنها إن كان سكانها لا يطبقون أحكام الإسلام ، يعيشون بأمان الإسلام الأول وبذلك تكون الديار ديارًا إسلامية .

وبتطبيق رأي أبي يوسف ومُحَمَّد ومن معهما من الفقهاء تكون الأقاليم الإسلامية لا تُعد دار إسلام بل دار حرب ، لأنها لا تظهر فيها أحكام الإسلام ولا تطبق)

وننقل هنا كلاماً جيداً للدكتور عبد الله بن أحمد القادري حول واقع كثير من البلدان الإسلامية في هذا العصر وتوضيح مناط الحكم على الديار ، وأن الحكم عليها بأنها دار حرب وكفر لا يلزم منها أن يكون أهلها كذلك كفارًا ، فقال بعد كلام طويل له حول حقيقة دار الإسلام ودار الكفر : ولكن يجب أن يبين هنا ما تصير به البلاد الإسلامية دار كفر والباحث يميل إلى تلك القاعدة وهي : "أن أي بلد كانت فيه القوة والسلطان للكفار الذين يطبقون أحكام الكفر ويقصون أحكام الإسلام من حياة الناس السياسية والاجتماعية والعسكرية ولا يستطيع المسلمون أن يطبقوا من أحكام الإسلام إلا ما أذن به ذوو السلطان الكفرة مما لا تعلو به كلمة الله ولا تسقط به راية الكفر فإن ذلك البلد الذي تحققت فيه هذه الأمور هو دار كفر وليس دار إسلام" ولو كان أغلب سكانه مسلمين ، ولو كان حكام الكفر ينسبون أنفسهم إلى الإسلام ، لأن العبرة في دار الإسلام بظهور أحكام الله فيها وكون كلمة الله هي العليا ، والعبرة في دار الكفر بظهور أحكام الكفر وكون مناهج الحياة فيها هي مناهج كفر لا مناهج إسلام .

ولا يهولن القارئ أن هذه القاعدة تنطبق على بلدانٍ أغلب سكانها مسلمون يقيمون شعائر دينهم التي أذن لهم بإقامتها حكامهم المحاربون لله ولرسوله وللمؤمنين ، فإن العبرة ليست بكثرة من ينتسب إلى الإسلام وإنما هي بمن يطبق أحكامه ويظهرها وينصرها ، ويظهر ذلك بعكس هذه المسألة ، وهو أن يغلب المسلمون على بلد أغلب سكانه كفار فيقيمون في ذلك البلد أحكام الإسلام وهم أقل من سكانه فإنه يكون دار إسلام وليس دار كفر ، فكذلك إذا استولت شرذمة من الكفار على بلد أغلب سكانه مسلمون فأقامت تلك الشرذمة في هذا البلد أحكام الكفر فإنه يصير بلاد كفر وليس بلاد إسلام ومن أوضح الأمثلة على ذلك ألبانيا التي لا زالت أسماء بعض حكامها أسماء مسلمين وأغلب سكانها مسلمون ولكن الزمرة الحاكمة فيها اشتطت في تطبيق أحكام أعظم كفر وجد على ظهر الأرض وهو الإلحاد الماركسي ، وإذا كانت ألبانيا أصبحت دار كفر بذلك فما الفرق بينها وبين بلدان أخرى في غير أوروبا تسير في نفس هذا السبيل ، ويعلن للملأ حكامها بأنهم لينينيون ماركسيون أو علمانيون لا يعترفون بحكم الله في جزئية من الجزئيات وقد يخدعون المسلمين بالإذن لهم بتطبيق بعض الأحكام التي لا يرون من تطبيقها ضررًا على حكمهم الكافر .

ولا يلزم من إطلاق اسم دار الكفر على تلك الديار كفر جميع سكانها فقد يكون منهم المسلم المغلوب على أمره ومنهم الكافر الغالب ولا عبرة بقلة أو بكثرة ، وقد تكون البلاد بلاد إسلام فيستولي عليها الكفار ويطبقون فيها أحكام الكفر ، فتنقلب دار كفر كما أن بعض الديار تكون دار كفر فيستولي عليها المسلمون ويطبقون فيها أحكام الإسلام فتنقلب دار إسلامٍ وهكذا ... والدليل الواضح من الواقع وهو أن الكفرة الذين يطبقون أحكام الكفر ويستميتون في إبقائها وتثبيتها لو دعاهم داع إلى الإسلام وإظهار أحكامه بدلًا من الكفر لما استجابوا له بل إنهم لينصبون له العداء ويستعدون لحربه كما يفعل الكفار في بلاد الكفر الأصلية) اهـ

ومما يدل على عدم التلازم بين حكم الدار وحكم الأفراد مكة قبل الهجرة كانت دار كفر وحرب وكان يعلوها حكم أبو جهل فرعون هذه الأمة وكان فيها النبي ﷺ والعصبة المؤمنة معه ،وكذلك المدينة بعد الهجرة كانت دار إسلام وكان فيها اليهود والمشركون ولم يقل أحد من أهل العلم بالتلازم .

فلا يوجد ما يمنع من تحول دار الإسلام إلى دار كفر بهذا الاعتبار ، وذلك إذا تغلب الكافرون عليها وأجروا فيها أحكامهم وكانت القوة والغلبة لهم وقد فصلنا ذلك فى كتابنا (التنبيهات المختصرة مبحث أحكام الديار) ولله الحمد .

٤ - أن القضاة الحاكمين بالقوانين الوضعية في هذه البلاد كفار مرتدون ، فلا يجوز لمسلم أن يعمل في سلك هذه المهنة فهي محرمة إجماعاً ، بل لا يجوز التحاكم إلى محاكم هذه البلاد لأنها محاكم كفر لا تحكم بالتنزيل ، فمن تحاكم إليها مع القدرة على أن يتحاكم إلى الإسلام فأبى إلا التحاكم إليها ، فإنه مرتد كافر.(وقد فصلنا ذلك فى الحكم والتحاكم)

٥ - أنه يترتب على مسألة الدار المحكومة بالقوانين الوضعية ، أن أنصارها من الجيش والشرطة والمخابرات والعسكر كفار مرتدون على العموم ،(ولايمنع ذلك أن يوجد فى أعيانهم مسلم موحد مستخفى بدينه) يجب قتالهم عند القدرة ، بل قتالهم عند أهل العلم أولى من قتال الكافر الأصلي ، لأن قتال الكافر الأصلي فيه زيادة ربح على رأس المال ، وقتال المرتدين هو حفظ لرأس المال ، وحفظ رأس المال أولى من الربح ، فقتال المرتد أولى من قتال الكافر الأصلي عند القدرة .

٦ - أنه إذا كانت الديار ديار كفر فإنه يحرم الدخول في المجالس النيابية ، فلا يجوز للمسلم أن يرشح نفسه للانتخابات ، ولا أن ينتخب غيره ، لأن هذا منازعة لله في ربوبيته ، وهذا الذي يسميه أهل العلم بـ"شرك التشريع" وهو حرام بإجماع الأمة ، بل هو شرك أكبر باتفاق ، وقد فصلنا ذلك فى رسالة (الحكم والتحاكم وأحوال المتحاكمين).ورسالة (حكم الإسلام فى العلمانية والديمقراطية والانتخابات البرلمانية)(١) ورسالة (حكم الاستفتاء على الدستور المخالف لدين الله وماجاء به الرسول ﷺ) . فيجب على الدعاة الانشغال بالدعوة إلى التوحيد وتعليم الناس أصل دينهم ، وعليه: فإنه يجب على كل مسلم معرفة حكم الديار التي يسكنها ، وحكم حاكمها "حتى يعامله بما يستحق شرعًا .

وبهذا يتبين بما لا يدع مجالاً للشك لأحد ضلال تلك العبارة التي يرددها بعض من ينتسب إلى العلم بقوله: (ماذا يترتب على بيان كفر الحاكم بأنه كافر أو مسلم)! أو يقولون: (ما الفائدة المرجوة من تكفير الحاكم أو عدم تكفيره ... !!!) وهذا إن دل إنما يدل على أن القوم بمعزل عن كلام أهل العلم في هذا الباب العظيم ، وهو جهل بالشرع والدين .

ثانياً: أحكام الولاية: فليس لكافر أن يكون قاضياً على مسلم ، وإن صلى بالمسلمين إماماً فصلاتهم باطلة ... إلى غير ذلك من الأحكام .

ثالثاً: أحكام النكاح: أن الكافر أو المرتد كتارك الصلاة ، أو ساب الله ورسوله ، أو من يشتم الدين والإسلام يحرم نكاحه لمسلمة ، ولا يجوز له تزوجها ، وإن استمر معها على كفره كان نكاحه زناً.

رابعاً: أحكام التوارث: وذلك أن المسلم لا يرث الكافر كما لا يرث الكافر المسلم.

---

(١)إنها أسماء كتب للشيخ عبد الله الغليفى ليست لمن قام بأعداد الكتاب

خامساً: أحكام الجنائز: فإن الإنسان متى كان كافراً أو مرتداً لا يجوز الصلاة عليه ولا يغسل ، ومن ترحم عليه بعد موته كان آثماً.

سادساً: أحكام الولاء والبراء: فإنه يجب على المسلم أن يتولى المؤمنين ، ويتبرأ من الكافرين والمرتدين.

سابعاً: أحكام العصمة: فإن عصمة الدم والمال مترتبة على أمرين:

١ - إما إيمان ، وهذا لا يكون إلا للمسلم .

٢ - أو أمان ، وهذا لا يكون إلا للكافر وهو قسمان:

أ- أمان مؤقت ، وهو للمستأمن الذي يسمح له بدخول ديار الإسلام لحاجة .

ب- أمان مؤبد ، وهو للذمي وذلك بشروط عقد الذمة المسطورة في كتب الفقه .

هذه بعض ثمرات موضوع الإيمان والكفر ، وما يترتب عليها في الدنيا ، ولذلك كانت أصلاً من أصول الإسلام ، بل هي أصل الإسلام ورسالته ، التي لأجلها أريقت الدماء ورملت النساء وقتل الرجال ويتم الأطفال .

وبالجملة: فإنها رسالة الله إلى خلقه ، بها بعث الله أنبياءه إلى الدنيا ، وعليها يكون المصير في الأخرى .

ضرورة معرفة الأسماء والأحكام

وقد أشار إلى ضرورة معرفة الأسماء والأحكام ومسائل الحجة وغيرها جمعٌ من أهل العلم بينوا أهمية ذلك .

فقال ابن تيمية رحمه الله : (ومعرفة حدود الأسماء واجبة ، لا سيما حدود ما أنزل الله على رسوله) اهـ

وقال الشيخ عبد اللطيف رحمه الله في "منهاج التأسيس" [ص: ١٢]: (وكم هلك بسبب قصور العلم وعدم معرفة الحدود والحقائق من أمة ، وكم وقع بذلك من غلط وغمة ، مثال ذلك الإسلام والشرك ، نقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان ، والجهل بالحقيقتين أو أحدهما أوقع كثيراً من الناس بالشرك وعبادة الصالحين ، لعدم معرفة الحقائق وتصورها) اهـ .

وقال الشيخ عبد الله أبا بطين: (ومما يتعين الاعتناء به ؛ معرفة حدود ما أنزل الله على رسوله ، لأن الله سبحانه ذم من لا يعرف حدود ما أنزل الله على رسوله ، فقال تعالى: {الأعراب أشد كفراً ونفاقاً وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله} اهـ [رسالة الانتصار] .

الأسماء والأحكام وما يتعلق بهما

١ - المراد بأسماء الدين مثل: مسلم ، ومشرك ، ومؤمن ، وكافر ، ومنافق ، وفاسق ، وعاصٍ ، وملحد ، ومبتدع ، وضال ، ومخطئ ، ومجتهد ، ومقلد ، وجاهل ، ويهودي ، ونصراني ، ومجوسي ، وطاغٍ ، ومفسد ، وكاذب ، وأمثال ذلك

والمراد بالأحكام مثل: المناكحة ، والموارثة ، والمحبة ، والموالاة ، والنصرة ، والمعاداة ، والبراءة ، وإقرار ولايته ، والصلاة خلفه وعليه ، وتضليل من كفره ، ومساكنته ، والدعاء له أو عليه ، وسبه ، ولعنه ، والجزية ، والصغار ، والقتل ، والقتال ، والتعذيب ، والنار ، والعقوبة ، وحل نسائهم أو عدمه ، وحل ذبائحهم أو عدمه ، والدفن في أي المقابر ، وأمثال ذلك أو بعبارة أخرى المراد بالأحكام هو: ما يترتب على الأسماء من الأحكام الدنيوية والأخروية .

٢ - مرجع الأسماء الشرعية : كاسم المسلم ، والمشرك ، والكافر ، والمبتدع ، والفاسق إلى ما حدّه الشارع حقيقةً ومعنى ومن لم يفرق بين حقائق هذه المسميات ويتصورها يقع في خبط وخلط ، وقد ذمّ سبحانه من لم يعرف حدود ما أنزل الله على رسوله فقال: { الأعراب أشد كفرًا ونفاقًا وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله } [التوبة: ٩٧].

٣- القاعدة في الأسماء والأحكام هي: أن الاسم والحكم يفترقان قبل قيام الحجة ويجتمعان بعدها ، فعدم قيام الحجة لا يغير الأسماء الشرعية مما سماه الشارع شركًا ، أوكفرًا ، أو فسقًا وإن لم يعاقب فاعله إذا لم تقم عليه الحجة وتبلغه الدعوة .

فاسم المشرك ثبت قبل مجيء الرسول لأنه يشرك بربه ويعدل به غيره وكل حكم علق بأسماء الدين من إسلامٍ ، وإيمانٍ ، وكفرٍ ، و نفاقٍ ، وردةٍ ، وتهودٍ ، وتنصرٍ إنما يثبت لمن اتصف بالصفات الموجبة لذلك ، قال ابن تيمية - رحمه الله -: (وقد فرق الله بين ما قبل الرسالة وما بعدها في أسماء وأحكام وجمع بينها في أسماء وأحكام) [الفتاوى: ٣٧/٢٠] .

٤ - تختلف أحكام الأسماء ومدلولها حسب المواضع مثل: قوله تعالى: {فانكحوا ما طاب لكم من النساء} [المائدة: ٣] ، مع قوله { حتى تنكح زوجا غيره } [البقرة: ٢٣٠] ، وقصة سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه مع عبد بن زمعة رضى الله عنه في الصحيحين ، قال لهما الرسول - ﷺ -: (هو لك يا عبد بن زمعة ، الولد للفراش وللعاهر الحجر واحتجبي منه ياسودة) قال ابن تيمية: (فتبين أن الاسم الواحد يُنفى في حكم ، ويُثبت في حكم ، فهو أخ في الميراث وليس أخ في المحرمية) [الفتاوى: ٧ ص ٤٢١] ، وقال أيضًا : (إن الاسم الواحد يُنفى ويثبت بحسب الأحكام المتعلقة به فلا يجب إذا ثبت أو نفى في حكم أن يكون كذلك في سائر الأحكام وهذا في كلام العرب وسائر الأُمم) [الفتاوى: ٧ ص ٤١٩].

٥ - الأسماء التي ليس لها ارتباط بقيام الحجة وتُطلق على من فعلها ولو لم تقم عليه الحجة :

- الشرك. ... الافتراء الغفلة. ... الطغيان الظلم. ... الفساد العلو. ... الضلال .
- الفاحشة. ... المقت الجاهلية. ... الإلحاد البدعة. ... اليهودية النصرانية
- الانحراف ... المجوسية وغيرها من الملل .

٦ - الأسماء المرتبطة بالحجة والتي لا تكون إلا بعد قيام الحجة :- الكفر - التكذيب — الجحود - الطاعة والمعصية — التولي - الإعراض-الإباء والاستكبار

.

٧ - الأحكام التي لا تكون إلا بعد قيام الحجة: - التعذيب.- القتل والقتال.- أحكام الآخرة.- الاستتابة .

نتيجة عدم التفريق بين الأسماء والأحكام .

وعدم التفريق بين الأسماء والأحكام ؛ مضلة أفهام ومزلة أقدام ، ولذلك التبس على كثير من الناس إطلاق العلماء الكفر في مواضع ونفيهم إياه في مواضعٍ أخرى ، كقول بعضهم ؛ من دعا غير الله أو استعان بغير الله أو فعل الشرك لا يكفر إلا بعد إقامة الحجة ، وقول آخرين ؛ أن من دعا غير الله فهو كافر يستتاب فإن تاب وإلا قتل.

فمراد العلماء رحمهم الله من إطلاق الكفر ؛ ثبوت إسم الشرك على فاعله ، وسيأتي نقل الإجماع على ذلك .

وأما مرادهم بالنفي ؛ قبل قيام الحجة نفي العقوبة المتعلقة بذلك الإسم في الدنيا والآخرة.

ليس كل كافر معذب كما أنه ليس كل كافر يقتل .

والقاعدة في الأسماء الشرعية: (أن الاسم الواحد يُنفى ويثبت بحسب الأحكام المتعلقة به ، فلا يجب إذا ثبت أو نُفِيَ في حكم أن يكون كذلك في سائر الأحكام ، وهذا في كلام العرب وسائر الأمم) - قاله شيخ الإسلام ابن تيمية
رحمه الله ، ففرق بين الكفر المعذب عليه والكفر الغير المعذب عليه -

وقال الشيخ المحدث عبد العزيز الطريفي .حفظه الله .:

(ومعلوم أن الناس في هذه الأرض إما مسلمون وإما كفار لا يوجد غيرهم ، ولكن قد يكون هناك من الكفار مَنْ هُم كفارٌ اسما لكنهم لا يكفرون حكماً ، فمن تلبَّس بشيء من أفعال الكفر وإن كان معذورا في باطنه ، إلا أنه يكون قد شابه الكفار في أفعالهم فيكون قد كفر ، وإن لم تبلغه البينة والحجة ، ولذلك يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه العظيم: (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) ، فسماه الله جل وعلا مشركا قبل أن يسمع كلام الله ، وذلك لمشابهته في الظاهر لأعمال الكفار ، إلا أنه في الباطن أمره إلى الله جل وعلا ، وهذا يسمى عند العلماء في باب: (باب الأسماء والأحكام) ، فهو قد شابه الكفار في الظاهر فاستحق الاسم في الظاهر أيضا ، ومن جهة الأحكام فأمره إلى الله سبحانه وتعالى ، والأحكام تتعلق بالدنيا والآخرة ، ومعلوم أن الأسماء لها تعلق كذلك بالأمرين في الدنيا والآخرة ، ولذلك من تلبَّس بشيء من أعمال الكفر في الظاهر فإنه يكفر اسما لكنه لا يكفر حكما حتى تقام عليه البينة ، ولذلك حكم الله جل وعلا بكفر وإشراك من تشبه بالكفار فعلا وإن كان معذور ، ولذلك قال الله جل وعلا: (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) فسماه مشركا قبل أن يسمع كلام الله ، وكذلك في الآيات في أوائل سورة البينة ، فالله جل وعلا قد حكم بكفرهم وإشراكهم (من أهل الكتاب والمشركين حتى تأتيهم البينة) فهم لم تأتيهم البينة بعد) [شرح كتاب مفيد المستفيد ص: ٢].

الأسماء والأحكام على قسمين فى حق المعين

إذا عُلِمَ ما تقدَّم: فإنَّ الأسماء والأحكام على قسمين:

أسماءٌ وأحكامٌ دُنيويَّة: تُبنى على الظَّواهِر ، اعتمادًا على أنَّ الأصل مطابقة الظاهر للباطن ، كإثباتِ اسمِ الإسلام لفلانٍ من الناس ، وقد يكون في باطن الأمر كافرًا مشتملاً قلبُهُ على ناقضٍ من نواقض الإيمان.

ويترتَّبُ الحُكم تبعًا لذلكَ بأحكام الإسلام الدنيويَّة له من:

؟ موالاةٍ ونصرةٍ وعصمةٍ للدم والمال والعرض ، وكذا صحَّةُ إمامتِه في الصلاة ، ونكاحه بمسلمةٍ وفيه من الأسماء إثباتُ اسمِ الزَّوجيَّة ، ونحو ذلك من أحكام الحياة.

؟ وغسلٍ وتكفينٍ وصلاةٍ ودفنٍ مع المسلمين وما إليها عند الموت ، وإرثٍ وترحُّمٍ عليه وما يلحقُ بذلك بعد الموت.

وأسماءٌ وأحكامٌ أُخرويَّة: فأمَّا الأسماءُ الأُخرويَّة ، فلا تعرف على اليقين في حقِّ الرَّجل المعيَّن إلاَّ في الآخرة ، عدا من فيه نصٌّ أو إجماعٌ كالأنبياء ومن بُشِّر بالجنَّة أو بالنَّار ، أو ثبتَ بيقينٍ موتُهُ على الكُفر.

أمَّا ثُبوتُ موتِهِ على الإيمان بيقينٍ وأنه من أهل الجنة قطعاًفمتعذِّرٌ لاشتراط موافقة الباطِنِ في صحَّة الإيمان دون الكفر ، وقد استثنى بعضُ أهل العلم من اجتمع الناس على الثَّناء عليه بالخير لحديث "وجبَت وجبَت" ، دون الجزم بذلك

ولكن نرجوا للمحسن العفو والمغفرة ودخول الجنة ،ونخشى على المسيئ من العذاب ودخول النار .

إذا بان لك ذلك علمت الجواب عمن يقول: (ما الفائدة من تكفير الحكام)؟!، وهذا سؤال الجاهل بمثل هذا الأصل العظيم، أعني مسائل (الأسماء والأحكام)، فإنه يترتب على تكفير الكافر أو المرتد أحكام كثيرة كما أبناه سابقاً،

لا سيما بالنسبة لحكام اليوم الذين لا يحكمون بما أنزل الله، فإنه ينبني على تكفيرهم أحكام عظيمة ومسائل كثيرة.

وبهذا يُعلم جهل من يحكى مثل هذا السؤال السابق وهو: (ما الفائدة من تكفير الحكام)؟!

ولانعنى من ذلك ولايُفهم من كلامنا أننا نشترط فى الحكم باسلام الناس والمجتمعات الكفر بالطاغوت على التفصيل كما تشترطه فرق الغلو فى التكفير ،والتوقف والتبين ،فالضابط هو الرضا والمتابعة ،وعدم ارتكاب ناقض مكفر من نواقض الإسلام القولية والعملية على حد سواء ، ولكن من لم يرض ولم يتابع ،وأنكر بلسانه أو بقلبه ،فقد استبرأ لدينه وبرء من الكفر ،فإن الأحكام تجرى على الظاهر من إسلام وكفر ،وما ثبت بيقين لايزول بالشك أو الظن والإحتمال ،وقد فصلنا ذلك فى كتابنا (الكفر بالطاغوت بين غلو الخوارج وتفريط المرجئة)

المبحث الثانى

"الجهل ومعناه والمقصود من قولنا " العذر بالجهل " .

الجهل لغة : ضد العلم وقولهم ضد العلم أي أن للعلم حقيقة ، ما لم يأت بها المرء فهو على ضدها كالكفر تماما فهو ليس له حقيقة إلا أنه ضد الإيمان الذي له حقيقة ، ولعل هذا يقال في كل ما يعرف بأنه ضد مقابله في المعنى

ولهذا يقال ما هو الإيمان الذي ضده الكفر ؟ وما هو العلم الذي ضده الجهل ؟

العلم هو موافقة ما في النفس للأمر المعلوم على ما هو عليه في الواقع والحقيقة ، أو بمعنى آخر إدراك الأشياء على... ما هي عليه فإن وافق على ما هو عليه فهو علم - وعلى هذا فيكون الجهل خلو النفس من العلم أو العلم على خلاف الحقيقة -

فكلا الأمرين يسمى جهلا وإن فرق بينهم أهل العلم ،فاصطلحوا أن يكون اسم الأول جهل بسيط والأخر جهل مركب وخلو النفس من العلم هو ما أشار إليه قوله تعالى : "هو الذي أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا" والمقصود هنا في مسألة العذر بالجهل كلا المعنيين ...لأنهما في معناه والمقصود في كلا المعنيين الجهل بالحكم الشرعي ..والبحث هو فيما يخص تأثير هذا الجهل على الوصف الشرعي للفعل والفاعل والإثم المترتب على ذلك الوصف...

-والجهل قد يكون جهلا بالحكم ، وقد يكون أيضا جهلا بالسبب الموجب للحكم مع العلم بالحكم... ومثال الأول رجل يجهل أن الخمر حرام فشربها جاهلا بحكمها الذي هو التحريم...ومثال الثاني رجل يعلم أن الخمر حرام ولكن يجهل أن هذا النبيذ قد تخمر فشربها جاهلا بالسبب الموجب للتحريم والذي هو التخمر...

والمقصود في العذر بالجهل هو النوع الأول (الجهل بالحكم) أما الثاني فيلحق بالخطأ لانتفاء القصد فيه...

-الجهل يختلف عن بقية الأعذار في إنه لا يغير من حقيقة العمل...

- فالجاهل من جهة مباشرة العمل كالعالم تماما بمعنى أنه يقصد العمل ويتعمده ويريده فلو كان عبادة مثلا موجهة لغير الله فتقوم في الجاهل حقائق العبودية

لغير الله كما العالم تماما فهو يؤله المعبود ويقصده بالعبادة وتقوم في نفسه كل مقامات العبودية لغير الله من ذل وخضوع واستسلام ومحبة كما العالم تماما ...

-ولهذا فالجهل لا يغير حقيقة العمل بخلاف الإكراه أو الخطأ مثلا فهما ينفيان إرادة العمل وقصده ،ولهذا لا يثبت وصف العمل ولا إثمه فلا يقال مثلا زان (الوصف)ولا يأثم أو يعاقب (العذاب).

-بخلاف الجاهل فيقال عنه زاني(الوصف الشرعي) لمباشرته الوطء عن تعمد وارداه وقصد وإن كان قد لا يعاقب لجهله أو لعدم ثبوت الأدلة الشرعية فى حقه كما سيأتي ..ولنضرب مثالا للشرك الذي يقع من الجاهل... فالشرك هو أعظم ذنب عصي الله به سبحانه وتعالى فهو أعظم من السب والشتم والتنقص - بل يتضمنه - والاستحلال والجحود وغيرها من أنواع الكفر...

فكما أن التوحيد هو العبادة الدائمة عند الموحدين فالشرك هي العبادة الدائمة عند المشركين...

فالمشرك عرف غير الله بصفات الله فعرف الولي بما يكون لله سبحانه وتعالى ،فعرفه بقدرته وكرامته ،وعلمه بالغيب ، وأنه يغضب ويسخط وأنه القادر على

عقاب من يعصيه وإبرار من يطيعه ويرضيه ،وما أكثر تحذير المشركين للموحدين أن يغضب عليهم الولي إذا تعرضوا له ، وأنه سيفعل بهم وينكل ! فعرفه بما يعرف به الله سبحانه وتعالى ، فصرف صفاته له قبل أن يصرف عبادته إليه ، فنحن عرفنا الله سبحانه وتعالى بأسمائه وصفاته ووحدناه في ذاته وأفعاله وهذا عرف الولي بما نعرف به الله واعتقد ما لله لغيره تحت اسم الكرامات والمعجزات فاعتقد أنه يرزق الفقير ويشفي العليل ويهدي الضرير ويهب البنات والبنين وينزل الغيث وبيده مقاليد الخلائق... ولهذا كله دعوه ورجوه خوفا وطمعا ، وقربوا له ما في أيديهم من القليل لينعم عليهم بالعطاء الجزيل أو يدفع عنهم السوء والبلاء العظيم ، ومن عاين هؤلاء علم أن ما ذكرته قليل من كثير...

-فكل شرك في الألوهية سبقه أضعاف هذا الشرك في الأسماء والصفات الربوبية وهذا كله معلوم بالضرورة العقلية قبل أن يعلم بالدلائل الشرعية... ولهذا لو قيل ما الفرق في قيام حقيقة العبودية لغير الله بين الجاهل والعالم لما كان ثمة فرق وهي منازل في الشرك بها يتفاضلون ، وضلال يتبع بعضهم بعضا في دركاته وهذه حقيقة الرؤساء والمتبوعين والضلال والمضلين كلهم قامت في قلوبهم حقائق العبودية لغير الله ولو نعتهم ليل نهار بنعوت الإسلام فلا والله ليس هذا هو الإسلام وليس هؤلاء بالمسلمين...

-وكل هذا لا يكون مع الإكراه أو الخطأ ، بل شرطه ليكون عذرا أن لا يقوم بقلبه هذا المعنى فلا ينشرح بالكفر صدرا والكفر هنا هو حقيقة الكفر لا اسم الكفر بخلاف الجاهل الذي ملئ الكفر صدره بطنه... والله المستعان

الفرق بين الكفر والشرك

قال الشيخ بن باز –رحمه الله تعالى -

الكفر جحد الحق وستره ، كالذي يجحد وجوب الصلاة أو وجوب الزكاة أو وجوب صوم رمضان أو وجوب الحج مع الاستطاعة ، أو وجوب بر الوالدين ونحو هذا ، وكالذي يجحد تحريم الزنا أو تحريم شرب المسكر ، أو تحريم عقوق الوالدين أو نحو ذلك. أما الشرك فهو صرف بعض العبادة لغير الله ، كمن يستغيث بالأموات أو الغائبين أو الجن أو الأصنام أو النجوم ونحو ذلك ، أو يذبح لهم أو ينذر لهم ، ويطلق على الكافر أنه مشرك وعلى المشرك أنه كافر ، كما قال الله عز وجل: وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ[١] ، وقال سبحانه: إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ[٢] ، وقال جل وعلا في سورة فاطر: ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ * إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ[٣] ، فسمى دعاءهم غير الله شركاً في هذه السورة ، وفي سورة "قد أفلح المؤمنون" سماه كفراً.

وقال سبحانه في سورة التوبة: يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ[٤] ،

فسمى الكفار به كفاراً وسماهم مشركين ، فدل ذلك على أن الكافر يسمى مشركاً ، والمشرك يسمى كافراً ، والآيات والأحاديث في ذلك كثيرة. ومن ذلك قول النبي ﷺ: ((بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة)) أخرجه مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، وقوله ﷺ: ((العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر) أخرجه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة بإسناد صحيح عن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه ، والله ولي التوفيق.أ.هـ

فالأصل أن المعنى واحد ، فكل كافر مشرك ، وكل مشرك كافر ، لكن يختص كل واحد منهما بمعنى غير الذي يختص به الآخر ، وذلك أن الكفر في اللغة هو الجحد ، والستر ، والتغطية ، ومن هنا سمي الفلاحون أو الزُراع كفاراً ؛ لأن الفلاح يستر ويغطي البذرة بالتربة.

فالكافر يستر الإيمان والفطرة التي فطره الله عليها ، ويستر الدين ويجحده ويغطيه ، ويكفر بآيات الله تبارك وتعالى ، فهناك مناسبة بين المعنى اللغوي والمعنى الشرعي.

أما الشرك فإنه كما يدل عليه لفظه: هو جعل ند مع الله ، أي: اتخاذ إله مع الله ، فهذا هو الشرك ، وهذه حقيقته.

فإذا ذُكِرَا معاً فلكل منهما دلالته ، كما في قوله تعالى: ﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴾ [البينة:١] فهاهنا أهل الكتاب المقصود بهم: اليهود والنصارى ، والمشركون المقصود بهم: الأميون من العرب وأشباههم.

وإذا أُفرد ذكر الشرك أو الكفر مطلقاً ، فإنه يعم اليهود والنصارى ومشركي الأمم والعرب ، فكلهم يشملهم هذا التعبير ، فالكفار هم كفار ، وهم مشركون ، فمن شركهم: أنهم قالوا: إن عيسى ابن الله ، وإنه إله ، كما ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، فهم مشركون وهم كفار ، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ

اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ

مَرْيَمَ ﴾ [المائدة:٧٢] وإذا أُطلق الشرك ، فإنه يشمل أولئك أيضاً ، فبهذا يكون المعنى قد اتضح . فالكفر معناه في الأصل الجحود والستر فكل من جحد الرب وأنكر ذاته أو أفعاله أو أسماءه وصفاته أو أنكر الرسالة أو أنكر أصلا من أصول الإيمان فهو كافر كالملحدين وأهل الكتاب. قال تعالى: (وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا). وقال تعالى: (أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا). وإذا أطلق هذا الاصطلاح في الكتاب انصرف إلى أهل الكتاب غالبا.

والكفر أنواع منه تكذيب واستكبار وشك ونفاق وغيره وكل هذه الأنواع تعود إلى معنى التكذيب والإنكار. وأما الشرك فمعناه في الأصل التسوية بين الخالق والمخلوق في شيء من خصائص الله كالألوهية والأسماء والصفات فكل من شرك بين المخلوق والخالق في فعل أو صفة ما تليق إلا بالله وصرف إلى مخلوق نوعا من أنواع العبادة فهو مشرك. قال تعالى: (تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ). قال تعالى: (وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ). وقال تعالى: (وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا). وفي السنة قال النبي ﷺ مفسرا للشرك: (أن تجعل لله ندا وهو خلقك). وإذا أطلق هذا الاصطلاح انصرف لمشركي قريش وغيرهم من غير أهل الكتاب غالبا.

وقد يجتمع الكفر والشرك في شخص أو طائفة من وجه عام أو خاص كحال أهل الكتاب فقد جمعوا بين الكفر بجحودهم برسالة مُحَمَّد والشرك بعبادة عيسى. وكل مشرك كافر وليس كل كافر مشرك فالكفر أعم من الشرك وبينهما نوع من التداخل.وإذا أطلق أحدهما دخل في معناه الآخر. قال تعالى: (وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ). وقال تعالى: (ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ). وإذا اقترنا دل كل واحد منهما على معنى خاص. قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا). فإذا افترقا اجتمعا وإذا اجتمعا افترقا.

ولا فرق بينهما في الأحكام والآثار المترتبة عليهما من البراءة والهجران والمناكحة والولاية وغير ذلك من الأحكام. إلا أن الله عز وجل خص أهل الكتاب اليهود والنصارى بشيء من الأحكام دون غيرهم من الكفار في إباحة طعامهم ونسائهم ورد السلام وغير ذلك لما معهم من أصل الكتاب وإن كان محرفا فهم أخف درجة وأدنى منزلة في الكفر من غيرهم ولذلك خفف الشارع في أحكامهم والتعامل معهم والحاصل أن معنى الكفر في مدلوله الخاص يدل على معنى تكذيب ما يجب الإيمان به بالله ومقتضياته.

والشرك يدل على العبادة والتقرب لغير الله والمشرك في الحقيقة كافر لأنه أنكر شيئا من حق الله وعبادته وصرفها لغيره. والكافر قد يكون مشركا أيضا وقد لا يكون مشركا كالملحد الذي ينكر وجود الرب ولا يعبد شيئا. وبهذا يمكن أن نقول أن الكفر بمعناه العام جنس يشمل كل من خرج عن الإيمان الصحيح والشرك نوع داخل فيه.

قال في تهذيب اللغة: (وروى عن عبد الملك أنه كتب إلى سعيد بن جبير يسأله عن الكفر ، فقال: الكفر على وجوه ، فكفر هو شرك يتخذ مع الله إلها آخر ، وكفر بكتاب الله ورسوله ، وكفر بادعاء ولد لله ، وكفر مدعي الإسلام ، وهو أن يعمل أعمالا بغير ما أنزل الله: يسعى في الأرض فسادا ويقتل نفساً محرمة بغير حقٍّ ، ثم نحو ذلك من الأعمال) قال النووي رحمه الله : "شرح صحيح مسلم"(٧١/٢) . " الشرك والكفر قد يطلقان بمعنى واحد وهو الكفر بالله تعالى ، وقد يفرق بينهما فيخص الشرك بعبادة الأوثان وغيرها من المخلوقات مع اعترافهم بالله تعالى ككفار قريش ، فيكون الكفر أعم من الشرك " أ هـ .

قال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله ردّاً على من قال : إن لفظ المشركين بإطلاقه لا يتناول أهل الكتاب : " والأقرب أن أهل الكتاب داخلون في المشركين والمشركات عند الإطلاق رجالهم ونساؤهم ؛ لأنهم كفار مشركون بلا شك ، ولهذا يمنعون من دخول المسجد الحرام ، لقوله عز وجل : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا) التوبة/٢٨. ولو كان أهل الكتاب لا يدخلون في اسم المشركين عند الإطلاق لم تشملهم هذه الآية ، ولما ذكر سبحانه عقيدة اليهود والنصارى في سورة براءة قال بعد ذلك : (وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لا إِلَهَ إِلا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) التوبة ٣١ ، فوصفهم جميعا بالشرك ؛ لأن اليهود قالوا : عزير ابن الله ، والنصارى قالوا : المسيح ابن الله ؛ ولأنهم جميعاً اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ، وهذا كله من أقبح الشرك والآيات في هذا المعنى كثيرة " انتهى . "/مجموع فتاوى الشيخ ابن باز" (٢٧٤/٤) .

وقال الشيخ رحمه الله – أيضاً - : ومن الشرك أن يعبد غير الله عبادة كاملة ، فإنه يسمى شركا ، ويسمى كفرا ، فمن أعرض عن الله بالكلية وجعل عبادته لغير الله كالأشجار أو الأحجار أو الأصنام أو الجن أو بعض الأموات من الذين يسمونهم بالأولياء ، يعبدهم أو يصلي لهم أو يصوم لهم وينسى الله

بالكلية ، فهذا أعظم كفرا وأشد شركا ، نسأل الله العافية ، وهكذا من ينكر وجود الله ، ويقول ليس هناك إله ، والحياة مادة ، كالشيوعيين والملاحدة المنكرين لوجود الله ، هؤلاء أكفر الناس وأضلهم وأعظمهم شركا وضلالا نسأل الله العافية ، والمقصود أن أهل هذه الاعتقادات وأشباهها كلها تسمى شركا ، وتسمى كفرا بالله عز وجل ، وقد يغلط بعض الناس لجهله فيسمي دعوة الأموات والاستغاثة بهم وسيلةً ، ويظنها جائزة ، وهذا غلط عظيم ؛ لأن هذا العمل من أعظم الشرك بالله ، وإن سماه بعض الجهلة أو المشركين وسيلة ، وهو دين المشركين الذي ذمهم الله عليه وعابهم به ، وأرسل الرسل وأنزل الكتب لإنكاره والتحذير منه " انتهى . "مجموع فتاوى الشيخ ابن باز" (٣٢/٤ ، ٣٣) . واليهود والنصارى كفار ومشركون ، أما كفرهم فلأنهم جحدوا الحق ، وكذبوا به ، وأما شركهم فلأنهم عبدوا غير الله قال الله تعالى (وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ . اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لا إِلَهَ إِلا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) التوبة/٣٠ ، ٣١ . فوصفهم هنا بالشرك ، وفي سورة البينة وصفهم بالكفر ، قال الله تعالى : (لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ)

يقول الإمام ابن حزم الأندلسي رحمه الله في كتابه " مراتب الإجماع " :

(واتفقوا على تسمية اليهود والنصارى كفاراً ، واختلفوا في تسميتهم مشركين ، واتفقوا أن من عداهم من أهل الحرب يسمون مشركين) إهـ.

وقد فصل ابن حزم هذه المسألة في كتابه (الفصل في الملل والاهواء والنحل).

قال أبو مُحَمَّد : واحتجت الطائفة الأولى بقول الله عز وجل: " لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين " قالوا : ففرق الله تعالى بين الكفار والمشركين ، وقالوا لفظة الشرك مأخوذة من الشريك ، فمن لم يجعل الله تعالى شريكاً فليس مشركاً.

قال أبو مُحَمَّد : هذه عمدة حجتهم ما نعلم لهم حجة غير هاتين .

قال أبو مُحَمَّد : أما احتجاجهم بقول الله عز وجل : " لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين " فلو لم يأت في هذا المعنى غير هذا المعنى غير هذه الآية لكانت حجتهم ظاهرة ، لكن الذي أنزل هذه الآية هو القائل: " اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إله واحداً " ، وقال تعالى : " يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله " ، وقال تعالى عنهم أنهم قالوا : أن الله ثالث ثلاثة ، وهذا كله تشريك ظاهر لإخفائه فإذ قد صح الشرك والتشريك في القرآن من اليهود والنصارى فقد صح أنهم مشركون ، وأن الشرك والكفر اسمان لمعنى واحد.

وقد قلنا أن التسمية لله عز وجل لا لنا ، فإذ ذلك كذلك فقد صح أن قوله تعالى: " الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين " ، كقوله تعالى: " إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً " ، ولا خلاف بين أحد من أهل الإسلام في أن المنافقين كفار ، وكقوله تعالى : " قل من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل فإن الله عدو للكافرين " ولا خلاف في أن جبريل وميكائيل من جملة الملائكة وكقوله تعالى : " فيها فاكهة ونخل ورمان " والرمان من الفاكهة.

والقرآن نزل بلغة العرب ، والعرب تعيد الشيء باسمه وإن كانت قد أجملت ذكره تأكيداً لأمره ، فبطل تعلق من تعلق بتفريق الله تعالى بين الكفار والمشركين في اللفظ وبالله تعالى التوفيق.

وأما احتجاجهم : بأن لفظ الشرك مأخوذ من الشريك ، فقد قلنا أن التسمية لله عز وجل لا لأحد دونه ، وله تعالى أن يوقع أي أسم شاء على أي مسمى شاء ، برهان ذلك أن من أشرك بين عبدين له في عمل ما أو بين اثنين في هبة وهبها لهما فإنه لا يطلق عليه اسم مشرك ، ولا يحل أن يقال : أن فلاناً أشرك ، ولا أن عمله شرك ، فصح أنها لفظة منقولة أيضاً عن موضوعها في اللغة . كما أن الكفر لفظة منقولة أيضاً عن موضوعها إلى ما أوقعها الله تعالى عليه . والتعجب من أهل هذه المقالة ، وقولهم : أن النصارى ليسوا مشركين ، وشركهم أظهر وأشهر من أن يجهله أحد لأنهم يقولون كلهم بعبادة الأب ، والابن ، وروح القدس ، وأن المسيح إله حق ، ثم يجعلون البراهمة مشركين وهم لا يقرون إلا بالله وحده ولقد كان يلزم أهل هذه المقالة أن لا يجعلوا كافراً إلا من جحد الله تعالى فقط ، فإن قال قائل : كيف اتخذ اليهود والنصارى أرباباً من دون الله وهم ينكرون هذا ؟.

قلنا وبالله تعالى التوفيق : أن التسمية لله عز وجل ، فما كان اليهود والنصارى يحرمون ما حرم أحبارهم ورهبانهم ويحلون ما أحلوا كانت هذه ربوبية صحيحة ، وعبادة صحيحة قد دانوا بها ، وسمى الله تعالى هذا العمل باتخاذ أرباب من دون الله وعبادة ، وهذا هو الشرك بلا خلاف ، كما سمي كفرهم بأن رسول الله ﷺ نبي ناسخ لما هم عليه كفر بالله عز وجل ، وإن كانوا مصدقين به تعالى ، لكن لما أحبط الله تعالى تصديقهم سقط حكمه جملة.

فإن قالوا : كيف تقولون أن الكفار مصدقون بالله تعالى ، والله تعالى يقول " : لا يصلاها إلا الأشقى الذي كذب وتولى ويقول تعالى : { وأما إن كان من

المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم } قلنا وبالله تعالى نتأيد: إن كل من خرج إلى الكفر بوجه من الوجوه ، فلا بد له من أن يكون مكذباً بشيء مما لا يصح الإسلام إلا به ، أو رد أمراً من أمور الله عز وجل لا يصح الإسلام إلا به ، فهو مكذب بذلك الشيء الذي رده أو كذب به ، ولم يقل الله تعالى : الذي كذب بالله عز وجل ، لكن قال : " كذب وتولى " ، ولا قال تعالى : و أما إن كان من المكذبين بالله ، وإنما قال تعالى : " من المكذبين الضالين " فقط ، فمن كذب بأمر من أمور الله عز وجل لا يصح الإسلام إلا به ، فهو مكذب على الإطلاق كما سماه الله تعالى ، وإن كان مصدقاً لله تعالى وبمن صدق به ..) إهـ الفصل في الملل والأهواء والنحل .

ويرى العلامة مبارك الميلي رحمه الله في كتابه الرائع (الشرك ومظاهره) أن لفط الشرك من الألفاظ المشتركة .. وأن بيان الشرك بالكفر هو تساهل في المعنى ، قرّبه اتحادهما في الحكم . وأورد على هذا قول الله تعالى : (وقاتلوا المشركين كافة .. الآية في سورة التوبة) .. فأكثر الفقهاء يحملونه على الكفار جميعاً .

كما ذكر العلامة الميلي رحمه الله أن أبو هلال العسكري في كتابه (الفروق اللغوية) قد فرق بين الكفر والشرك . فقال العسكري في تعريفه : (الكفر إسم يقع على ضروب من الذنوب ، فمنها : الشرك بالله ، ومنها الجحد للنبوة ، ومنها إستحلال ما حرم الله ، وهو راجع إلى جحد النبوة وغير ذلك مما يطول الكلام فيه وأصله التغطية) اهـ ثم قال : (الفرق بين الكفر والشرك : أن الكفر خصال كثيرة على ما ذكرنا ، وكل خصلة منها تضاد خصلة من الإيمان ، لأن العبد إذا فعل خصلة من الكفر فقد ضيع خصلة من الايمان ، والشرك خصلة واحدة وهو إيجاد ألوهية مع الله أو دون الله ، واشتقاقه ينبئ عن هذا المعنى ، ثم كثُر حتى قيل : لكل كفر شرك على وجه التعظيم له والمبالغة في صفته ، وأصله كفر النعمة ونقيضه الشكر ، ونقيض الكفر بالله الإيمان ، وإنما قيل لمضيع الإيمان كافر لتضييعه حقوق الله تعالى ، وما يجب عليه من شكر نعمه ، فهو بمنزلة الكافر لها ، ونقيض الشرك في الحقيقة الإخلاص ، ثم لما استعمل في كل كفر صار نقيضه الإيمان ، ولا يجوز أن يطلق إسم الكفر إلا لمن كان بمنزلة الجاحد لنعم الله ، وذلك لعظم ما معه من المعصية وهو إسم شرعي كما أن الايمان إسم شرعي) إهـ الفروق اللغوية.

"ملخص المسألة باختصار"

إن مسألة العذر التى نتكلم عنها ونقصدها هى متعلقة بأصول وقواعد لابد من مراعاتها وبيانها حتى تتضح المسألة .

أولاً:أحكام الدنيا تجرى على الظاهر من إسلام وكفر فمن أظهر لنا الإسلام حكمنا بإسلامه وقلنا أنه مسلم .

ومن أظهر لنا الكفر والشرك حكمنا بكفره وقلنا أنه مشرك ،وهذا فى أحكام الدنيا .

ثانياً:أن تسميته غير مرتبطة بإقامة الحجة فهو يسمى مشرك قبل الرسالة وبعد الرسالة وقبل إقامة الحجة عليه .

ثالثاً:لايعنى من تسميته مشركاً بما وقع فيه من كفر وشرك أنه معاقب ،فإن العقوبة لاتكون إلا بعد إقامة الحجة واستيفاء الشروط وانتفاء الموانع ،عند استتابته أمام القاضى أو الحاكم المسلم فلا تكون العقوبة لأحاد الرعية .

رابعاً:هذا المعين الذى وقع فى الشرك إما أن يكون فى زمن الشريعة فيستتاب عند الحاكم فإن تاب ورجع فهو مسلم ويدرأ عنه الحد والعقوبة ومن تاب تاب الله عليه ،وإن أصر على ماهو عليه من كفر وشرك قتل ردة وكفر ظاهرا وباطنا فى الدنيا والآخرة ،هذا فى ظل تحكيم الشريعة .

أما فى ظل غياب الشريعة كواقع بلاد المسلمين الآن فمن ظهر منه الكفر والشرك الظاهر الجلى فيسمى مشركاً وتُجرى عليه أحكام الكفر والشرك ظاهرا وكل من يعلم حاله يعامله معاملة الكفار والمشركين وإن مات من غير توبة فهو كافر فى الدنيا فقط وأمره إلى الله فى الآخرة ،لأنه لم يستتاب ولم تقم عليه الحجة الحدية حتى نكفره ظاهرا وباطنا فى الدنيا والأخرة ،ولكن نعامله بما ظهر منه فى أحكام الدنيا فى ظل غياب الشريعة لأن غيابها لايسقط الأحكام .

خامساً:العقوبة والعذاب لايكونان إلا بعد الإستتابة وإقامة الحجة الحدية وبعد استيفاء الشروط وانتفاء الموانع للعقوبة فى الدنيا ،وفى الآخرة لاتكون العقوبة إلا بعد النذارة والسماع بالرسل وانتفاء العجز المطلق وإقامة الحجة الرسالية لقوله تعالى : { وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا } فالعقوبة لا تكون إلا بعد ارسال الرسل ،وهذا هو الصحيح الراجح إن شاء الله تعالى ،ومقتضى حكمة الله ورحمته سبحانه أما الإسم فهو لازم له بمجرد وقوعه فى الفعل ،ومعلوم

أنه ليس كل كافر معذب كما أنه ليس كل كافر يقتل ، فمن أهل الفترة من يمتحن يوم القيامة ومع ذلك اسم الشرك لازم له ،فالإسم شيئ والعقوبة شيئ آخر ،ومن الخطأ عدم التفريق بينهما ،وهذا الذى ندندن حوله ونفصل فيه من باب الأسماء والأحكام ،وللأسف الشديد كثير ممن تناول مسألة العذرفى زماننا لم يتطرق لمسألة الأسماء والأحكام ولم يتناولها من باب الاسم والعقوبة ولكن تناولها فقط من باب العقوبة والمؤاخذة ،مع أن العقوبة مرتبطة بتحكيم الشريعة والإستتابة وإقامة الحجة ،أما الاسم فلا يشترط له كل ذلك فالمعين إذا وقع فى الكفر والشرك يطلق عليه الاسم فيسمى مشركا بما وقع فيه من شرك كما سبق ،مع مراعاة التفريق بين أحكام الدنيا وأحكام الآخرة .

سادساً:عندما نقول أن مرتكب الشرك لايعذر فقصدنا أنه لايعذر فى الإسم فهذه مسألة وفاقية لااختلاف فيها ،ولكن ربما يعذر فى العقوبة ،وهذا وارد فى الدنيا والأخرة على السواءفربما يكون من أهل الأعذار .

سابعاً:فائدة مسألة الأسماء كما سبق هى لكيفية التعامل مع هذا الواقع فى الشرك والكفر على مقتضى الشريعة وحكم الله وهذا أمر فى غاية الأهمية فصلناه فى مقدمة البحث عند الكلام على أهمية بحث مسألة الأسماء والأحكام ،ولايعنى هذا عدم دعوته إلى التوحيد وتحذيره من الشرك ،فالدعوة هى الأصل فنحن دعاة ولسنا قضاه ،فلابد من الدعوة إلى التوحيدوالتحذير من الشرك ،هذا هو الأصل وهذه دعوة أهل السنة ،فليعلم ذلك.

وبهذا المختصر نكون قد أجملنا المسألة ولخصناها من باب التقريب ،وإليك التفاصيل بأدلتها من الكتاب والسنة وفهم الصحابة وشيوخ الإسلام والأئمة الأعلام على أن مرتكب الشرك يسمى مشركاً ،ومن وقع فى الكفر يسمى كافرا ،فهو يسمى بما ظهر منه ،بقطع النظر عن عقوبته من عدمها ،فالاسم شيئ والعقوبة شيئ آخر كما سبق بيانه وبالله التوفيق

وإلى بحث المسألة على وجه التفصيل ،وبالله التوفيق والسداد،ومنه الهدى والرشاد

أولاً: بيان التوحيد في القرآن والسنة وتكراره ووضوحه حجة بالغة تقطع العذر

بدايةً نقرر أصلاً نتفق عليه ونؤصله حتى نرجع إليه عند الاختلاف ، وبه يتضح الحق من الباطل ، والخطأ من الصواب والهدى من الضلال ، نسأل الله الهداية ، والتوفيق والرشاد ،ونعوذ به سبحانه من الزيغ والهوى وسوء الفهم والعناد.

وللتسهيل والتقريب سنورده على هيئة السؤال والجواب ليسهل حفظه على الطلاب عمدتنا في ذلك ، الدليل الصحيح الصالح للاستدلال من الكتاب والسنة وفهم الأصحاب

س١ لماذا خلق الله الخلق ؟

ج خلق الله الخلق ليعبدوه ويوحدوه وبالخلق والأمر والحكم والتشريع يفردوه.

والدليل على ذلك قوله تعالى((وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) الذاريات٥٦

ومعنى يعبدون أي يوحدون فالعبادة هنا بمعنى التوحيد الخالص لله وحده لاشريك له وهى اسم جامع لكل مايحبه الله

فإذا كانت الردة تحصل بالشرك ،والشرك محبط للعمل وإذا كان المسلم ينقض إسلامه بوقوعه فى النواقض القولية والعملية والإعتقادية ،ويخرج من الإسلام بالكلية تماما مثل الذى يخرج من الصلاة بنواقض الوضوء وتبطل صلاته ،بل الشرك والكفر أشد من نواقض الوضوء وبطلان الصلاة .

فإذا كان الأمر كذلك وهو بهذا الوضوح عند الصحابة والسلف رضى الله عنهم فلماذا وقع الإختلاف عند الخلف فى هذه المسألة مع وضوحها كا الشمس في رابعة النهار

الحقيقة أن هناك عدة أسباب أدت إلى ورود إشكالات وشبهات حصلت لهؤلاء جعلتهم يعتقدون عدم كفر المسلم المتلبس بالشرك الأكبر ومنعهم من إطلاق اسم المشرك عليه مع أن المسألة وفاقيه عند السلف لا اختلاف فيها

وسنذكر أهم الأسباب والشبهات التى وقع فيها القوم وكانت سبباً فى الزيغ والبعد عن الحق ومن هذه الأسباب :

.١-تربية البعض على إتباع الشيخ وتقليده دون معرفة الدليل أو من أين أخذ الشيخ وهذا خطأ فادح يؤدى إلى إتباع الأشخاص دون المنهج لأن الشخص متغير والمنهج ثابت والحجة فى الدليل لا في كلام الشيخ

٢-الاضطراب والتخبط في معني الكفر والتكفير وعدم التفريق بينهما واشترطوا إستيفاء الشروط وإنتفاء الموانع فى الكفر والحق أن الشروط والموانع لا تذكر إلا عند التكفير وإقامة الحجة الحدية عند الاستتابة وهذه لا تكون لآحاد الناس بل هى للإمام والأمير وولى الأمر المسلم وعند عدم القدرة والتمكن من

إقامة الحجة الحدية وفى غياب الشريعة مثل حالنا الآن يسمى المسلم الذى وقع في الشرك والكفر يسمى كافرا مشركا بما صدر منه وتجري عليه الأحكام على الظاهر وإن مات على شركه وكفره يعامل معاملة المشركين فى الدنيا لمن عرف حاله

٣- ظنهم أن لا إله إلا الله مانعة من الكفر والوقوع فى الشرك وأن من قال لا إله إلا الله لا يكفر ولا يخرج من الإسلام

٤ اعتقادهم أن الكفر محصور في القلب ولا يكفر بالعمل أو القول المكفر فمهما وقع في النواقض القولية والعملية فهو مسلم القلب !!

٥- عدم تفريقهم بين الكافر الأصلي وبين الكافر المرتد بعد إسلام في التلفظ بالشهادتين فجعلوهما سواء

٦- عدم فهمهم لكلام العلماء وإطلاقاتهم بألفاظ الشرك والكفر والتكفير فبعض العلماء يقصد بالتكفير القتل والعقوبة عند الاستتابة وكلاهما مشرك وتجري عليه أحكام الشرك عند عدم القدرة والتمكن وهذا كثير في كلام أئمة الدعوة

٧-ولم يفرقوا بين مانع التكفير من أجل عدم البلاغ وبلوغ الحجة الرسالية وبين الجهل مع الإعراض والتولي عن الطاعة فخلطوا بين جهل الإعراض وجهل العجز

٨- لم يفرقوا بين الإسم والعقوبة وقالوا إن كل مشرك معذب فهربوا من إطلاق اسم المشرك على المسلم المتلبس بالكفر والشرك والحق والصواب أنه ليس كل كافر معذب وليس كافر يقتل

٩- جعلوا الجهل مانعا من التكفير بإطلاق ولم يفرقوا بين المعرض والمتمكن من العلم القادر عليه وبين أهل الأعذار مثل الناشئ في البادية وحديث العهد بالإسلام والعاجز وبين المسائل الخفية والمسائل الجلية الظاهرة وبين من يعيش فى بلاد الإسلام بين المسلمين وبين من يعيش في بلاد الكفر الأصلي ولم يفرقوا كذلك بين الشرك والكفر والتوحيد وبين المعاصي وفروع الشريعة وخلطوا بينهم

١٠- عدم تفريقهم بين فهم الحجة وبلوغها ومعنى إقامتها وأنواعها واشترطوا فهم الحجة للتكفير في كل المسائل

١١- الإشكال عندهم في عدم فهم معنى إقامة الحجة وكلام العلماء الذين يقولون ولا يكفر إلا بعد قيام الحجة

١٢- عدم تفريقهم بين مرتكب الشرك في حالة القدرة والتمكن ووجود الشريعة فهذا يستتاب عند الحاكم وبين مرتكب الشرك في حالة الاستضعاف والعجز وغياب الشريعة وعدم القدرة عليه فهذا يعامل بما ظهر منه

١٣- عدم تفريقهم بين أحكام الدنيا التى تجري على الظاهر من إسلام وكفر وبين أحكام الآخرة التى لا يعلم حقيقتها إلا الله عز وجل وقالوا إن مرتكب الشرك الأكبر وإن مات عليه فهو مسلم لأنه لم تقم عليه الحجة الحدية ولم نتمكن منه وهذا فيه هدم للشريعة وإبطال الأحكام التى تجرى على الظاهر وعدم التفريق بين المسلم والكافر

١٤-تناقضهم فى أقسام الناس يوم القيامة فأنه لايوجد إلا مسلم وكافر والمسلم هو الذى مات على الإسلام ومآله إلى الجنة والكافر هو الذى مات على الشرك والكفر ومآله إلى النار

،فالذي دخل فى الإسلام ثم ارتكب الشرك والكفر ومات عليه فى زمن غياب الشريعة وعدم التمكن منه واستتابته وقيام الحجة الحدية عليه فما هو اسمه الذى سماه الله به ؟

وما حكمه فى الدنيا وما مآله فى الآخرة أهو مسلم أم مشرك ؟فى الجنة أم فى لنار ؟

والجنة لاتدخلها إلا نفس مسلمة وهذا مات على الشرك الأكبر الظاهر الجلي

١٥- ظنهم أن غياب الشريعة يعنى سقوط الأسماءونحن نقول هناك فرق بين الأسماء والأحكام ولا يعني عدم القدرة على الأحكام منع إلحاق الأسماء.

وسبب الخطأ في مثل هذه المسائل راجع إلى عدم إتقان مسألة الأسماء والأحكام الدينية والخلط فيهما ، وعدم فهم علاقة الأسماء والأحكام بالحجة ، وهل كلها مرتبطة بالحجة أم هناك تفصيل ؟

١٦- عدم تفريقهم بين جهل العجز ،وجهل الإعراض وظنوا أن كل جهل عذر ومانع معتبر

والصحيح أن كل مانع من موانع التكفير لايتوفر فيه صفة العجز المطلق فليس بمانع ولا يعتد به ،فالجهل الذى يستطيع المكلف دفعه ليس بمانع ولا يعتبر عذراً شرعياً ،بل هو اعراض مع القدرة والتمكن ،مع كونه يعيش بين المسلمين وفى بلاد المسلمين هذا يؤكد كفر الجهل والإعراض ،فالمكان والتمكن حجه فى التوحيد والمسائل الظاهرة وإليك الدليل

المكان والتمكن حجة في المسائل الظاهرة

ومن الأدلة على أن المكان والتمكن حجة في المسائل الظاهرة - ومنها أصل تعظيم الله ومحبته وأصل احترام الرسول وتوقيره وأن الساب لهما يُناقض ذلك - ما يلي:

١- قال ابن تيمية رحمه الله: تعليقا على قوله تعالى {لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه}: (والحجة قامت بوجود الرسول المبلغ وتمكنهم من الاستماع والتدبر لا بنفس الاستماع ففي الكفار من تجنب سماع القرآن واختار غيره)

الفتاوى ١٦/ ١

٢- وقال ابن تيمية رحمه الله أيضا: (حجة الله برسله قامت بالتمكن من العلم فليس من شرط حجة الله علم المدعوين بها ولهذا لم يكن إعراض الكفار عن استماع القرآن وتدبره مانع من قيام حجة الله عليهم) كتاب الرد على المنطقيين ،

٣-وقال ابن تيمية رحمه الله أيضا: (ليس من شرط تبليغ الرسالة أن يصل إلى كل مكلف في العالم بل الشرط أن يتمكن المكلفون من وصول ذلك إليهم ثم إذا فرطوا فلم يسعوا في وصوله إليهم مع قيام فاعله بما يجب عليه كان التفريط منهم لا منه) بتصرف ، الفتاوى ٢٨/ ١٢٥

٤- قال الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب رحمه الله في رسالة له بعدما ذكر من كفره السلف قال: (واذكر كلامه في الإقناع وشرحه - أي منصور البهوتي - في الردة كيف ذكروا أنواعا كثيرة موجودة عندكم ثم قال منصور ؛ "وقد عمت البلوى في هذه الفرق وأفسدوا كثيرا من عقائد أهل التوحيد نسأل الله العفو والعافية" ، هذا لفظه بحروفه ثم ذكر قتل الواحد منهم وحكم ماله ، هل قال واحد من هؤلاء من الصحابة إلى زمن منصور إن هؤلاء يكفر أنواعهم لا أعيانهم) الدرر ١٠/ ٦٩ ، والطوائف التي ذكرها هي أهل الاتحاد و أهل الحلول وغلاة الصوفية والرافضة والقرامطة والباطنية ، فانظر إلى نقل الشيخ مُحَمَّد للإجماع على عدم التفريق بين القول والقائل في الطوائف التي ذُكرت.

٥- قصة المرتدين زمن أبي بكر ، لأنهم أنكروا معلوما ظاهرا ، فلم يفرق الصحابة بينهم وبين أقوالهم.

٦- وقال الشيخ أبا بطين رحمه الله في "الدرر" (٣): (نقول في تكفير المعين ظاهر الآيات والأحاديث وكلام جمهور العلماء تدل على كفر من أشرك بالله فعبد معه غيره ولم تفرق الأدلة بين المعين وغيره ، قال تعالى: {إن الله لا يغفر أن يشرك به} ، وقال تعالى: {فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم} ، وهذا عام في كل واحد من المشركين).

أن العذاب يستحق بسببين

أحدهما: الإعراض عن الحجة وعدم إرادتها والعمل بها وبموجبها

، الثاني العناد لها بعد قيامها وترك إرادة موجبها فالأول كفر إعراض والثاني كفر عناد ،

وأما كفر الجهل مع عدم قيام الحجة وعدم التمكن من معرفتها فهذا الذي نفى الله التعذيب عنه حتى تقوم حجة الرسل ،وقد بينا ذلك فيما سبق

المبحث الثالث

كفر الجهل أو الجهالة

جعل ابن القيم كفر الجهل قائما على نوعين:

أ .عدم قيام الحجة أي لم يسمعها ولم يتمكن منها لكونه في بادية أو مفازة بعيدة أو حديث عهد بكفر أو عاش ونشأ في بلاد كفر منقطع به عن أهل الإسلام ، هذا من لم تقم عليه الحجة هنا. لكنه ليس بمسلم وليس معنى أنها لم تقم عليه الحجة أنه يسمى مسلما جاهلا فليس كذلك كما نقل ابن القيم الإجماع كما سبق أن من لم يوحد الله فليس بمسلم كائنا من كان أصليا أو أدعى القبلة ، فقال: والإسلام هو توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له والإيمان بالله وبرسوله واتباعه فيما جاء به فما لم يأت العبد بهذا فليس بمسلم وإن لم يكن كافرا معاندا فهو كافر جاهل اهـ بحروفه.

ويخطئ كثير من الناس إذا قيل أنه جاهل خالف في باب أصل الدين أنه معذور ، فيظن أنه معذور في باب الأسماء والأحكام وهذا خطأ بل معذور في باب الأحكام لا الأسماء إلا اسم الكفر فهو معذور فيه .أي كفر التكذيب والعناد والعذاب لأنه لم تبلغه الحجة ، لكنه ليس بمسلم بل مشرك خارج عن الملة وان لم يسم كافرا. ونقل أئمة الدعوة الإجماع على ذلك.وسيأتي

قال الشيخ عبد اللطيف في منهاج التأسيس ص ٢٣/ ٢٤ في رده على العراقي الذي يظن أنه إذا قيل لا يعاقب أنه دل على انتفاء الاسم والحقيقة ، فقال إن العراقي يظن أن الشرك والكفر والفسوق لا يتحقق مسماها ولا يكون إثما إلا إذا عوقب صاحبه بالنار فإن منع مانع من العقاب انتفى الاسم والحكم ، فسبحان الله والله أكبر ما أقل حياء هذا الرجل وما غلظ فهمه وما أكثف حجابه ... قال وهب أنه لا يعاقب فما الذي منع تحريمه وقلب مسماه وأحاله أن يكون شركا اهـ.

ب .النوع الثاني من أنواع عذر الجهل: قال ابن القيم عدم التمكن من معرفتها: لكونه صغيرا أو مجنونا أو لم يحضر ترجمان كما سوف يذكر هو في آخر كلامه. ومع ذلك فليس بمسلم وان كان لا يعذب حتى يبلغ أو يصحو من الجنون المطبق (فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه وعند مسلم أو يشركانه). فسمى الطفل والمجنون يهوديا ومشركا مع أنه لم يدرك أصلا لكن لا يعذب حتى تقوم الحجة.

مسألة: فالجهل والإعراض أسماء شرعية لها حدود في الشرع وعدم فهم ذلك يؤدي إلى تعد لحدود لله ، ولذا من قال مثلا ما القول في رجل يذبح لغير الله مثلا وهو في دولة عربية أو دولة شعوبها إسلامية مثلا هل يعذر بالجهل فالسؤال خطأ ، لأن هذا معرض لا جاهل ما دام أنه عائش بين المسلمين فقد تمكن من الهداية ، والصحيح أن يقال معرض لا جاهل. لكن صحة السؤال لو قال ما القول في رجل في بادية بعيدة أو حديث عهد ذبح لغير الله ؟ فهنا يقال هذا جاهل معذور لا يعاقب ولا يكفر حتى تقوم الحجة ، لكنه مشرك ليس بمسلم بل خارج عن الملة هذا في الدنيا.

فلا بد من تحقيق المسألة وبحثها فى مظانها والرسائل والأبحاث التى أفردتها بالتدقيق والتحقيق ،ولابد عند الإختلاف من إرجاع المسألة إلى فهم الصحابة رضى الله عنهم للكتاب والسنة وهاك الأدلة على ذلك ،وأن مرتكب الشرك الأكبر يسمى مشركا بإطلاق سواء قبل الرسالة والحجة أو بعدها .

وقبل ذكر الأدلة وفهم الصحابة لها وأقوال المفسرين نشير إلى أمور مهمة جدا يجب فهمها كما فهمها السلف

وليس من السلف ولامن طلبة العلم من يقلد فى العقيدة ولا يعرف الدليل ولا من أين أخذ شيخه الذى قلده

،وليس سلفيا من يقدم فهم المشايخ والدعاة على فهم ا لصحابة رضى الله عنهم

،وليس سلفيا من يتكلم بغير دليل معتبر من القرآن والسنة وفهم الصحابة ويحتج بأقوال الرجال

،وليس سلفيا من يتعصب للمشايخ مع عدم الدليل ،بل ويرد على الدليل بقول فلان وعلان

،وليس سلفيا من يتربى على إتباع المشايخ وترك المنهج ،والحجة فى الدليل ،والمنهج ثابت وأراء الرجال متغيرة ،

وليس سلفيا من يعتقد اعتقادا يتعبد الله به وليس عليه دليل من القرآن والسنة ولا يُعرف عن الصحابة

،وليس سلفيا من يتقول على الله بغير علم ويزعم أن مسألة العذر بها خلاف فإذا ألزمناه من قال بهذا الخلاف أو ماهو الدليل على الخلاف ،ومن حكاه من الأئمة الأعلام ،حاد عن الجواب وعجز أن يأتي بدليل أو قول صحابي أو تابعي أو إمام من أئمة المسلمين يدل على أن ا لمتلبس بالشرك الأكبر مسلم ؟ ،وكل من ادعى العذر فان أقدم ما يستدل به من الأقوال كلام شيخي الإسلام بن تيمية ،وبن عبد الوهاب رحمهما الله ،مع أن عدم العذر ثابت عن الأئمة من الصحابة وغيرهم وسيأتي تفصيل ذلك إن شاء الله ،ومنشأ هذا الفهم الخاطئ هو ظنهم أن شيخي الإسلام لهما قولان فى المسألة حيث نظروا إلى بعض نصوص الشيخين ففهموا منها العذر بالجهل وهو مبنى على توهم وظن وفهم خاطئ وأن حكاية الخلاف فى مسألة العذر محدث لم يظهر إلا فى عصرنا ،والغريب والعجيب أنه إذا ذكر الخلاف لاينسبه إلى أحد وإنما ينسبه نسبة مطلقة ليس عليها دليل ولا تحرير ،وقد فصلنا ذلك فيما كتبناه فى (العذر ،والتنبيهات ،والبيان والإشهار)وإليك بعضا من الأدلة على وفاقية المسألة

الأدلة على أن مسألة العذر مسألة وفاقية لا إختلاف فيها بين السلف

،وأن كل من تلبس بالشرك الأكبر يسمى مشركا ،وكل من وقع فى الكفر يسمى كافرا:

<u>الدليل الأول</u>:قال الله تعالى (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لايعلمون)التوبة ٦ ،

الشاهد من الدليل ،أن الله سماه مشركا قبل أن يسمع الحجة التى هى القرآن وهو كلام الله ،ثم بين الله تعالى أنه لاعذر له وأنه سماه مشركا مع جهله وعدم علمه والدليل قوله سبحانه (بأنهم قوم لايعلمون)

فثبت اسم المشرك عليه مع الجهل وعدم العلم

،وفى الآية فوائد أخرى وأحكام كثيرة غير هذا منها :

١-جواز إجارة المشرك والكافر الأصلي طمعا فى إسلامه ،بعد إسماعه الهدى والقرآن خلافا للمرتد فإنه يقتل مع القدرة عليه ،فإن تاب قبل القدرة قبلت توبته

٢-أن الحجة الرسالية تقوم على الخلق بمجرد البلوغ والسماع ولا يشترط الفهم فى المسائل الظاهرة والتوحيد ومعرفة الله تعالى

٣-أن القرآن الكريم كلام الله عز وجل غير مخلوق ،خلافا للمعتزلة والإباضية

٤- ثبوت اسم المشرك لكل من تلبس بشرك وإن كان يجهل ولا يعلم فإن الجهل المعتبر يرفع العقوبة ولا يرفع الإسم ،فلا تلازم بين الإسم والعقوبة

الدليل الثانى :قال الله تعالى (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة رسول من الله يتلوا صحفا مطهرة)البينة ١-٢ ،

الشاهد من الدليل أن الله سماهم مشركين قبل أن تأتيهم الحجة والبينة قبل الرسالة ،وقبل إقامة الحجة عليهم ،كما يقول شيخ الإسلام بن تيمية ،والحجة هى الرسول ﷺ ،وتقوم على الخلق بالبلوغ والسماع ،فسماهم الله وحكم عليهم بالكفر والشرك قبل الرسالة وقبل أن تبلغهم الحجة ويأتيهم رسول ، وهو اسم لازم لهم ووصف مطابق لحالهم ،فكل من تلبس بالشرك يسمى مشركا قولا واحدا لا اختلاف فيه

الدليل الثالث :قال تعالى (فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون)الأعراف ٣٠ ،أى ارتكبوا الشرك والكفر جهلا منهم أنه شرك بل يحسبون أن فعلهم هدى وصواب وقربى إلى الله الوهاب ، فمع جهلهم لم يعذرهم الله بارتكابهم الضلال والكفر والشرك ،وإذا كان الكفر لايقع إلا على من يعرف أنه كفر ويأتى الشرك وهو يعلم أنه شرك فلن يكفر أحد أبدا لااليهود ولا النصارى ولا المشركون.فإن اليهود والنصارى عند أنفسهم من أهل الإيمان ولوعلموا أنهم كفار لتركوا دينهم وماهم عليه

الدليل الرابع :قول الله عز وجل (قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا أولائك الذين كفروا بأيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتى ورسلى هزوا)الكهف ١٠٣-١٠٦ ،فكفرهم الله مع جهلهم وعدم قصدهم الكفر وسماهم كفارا مع أنهم يحسبون أنهم على الحق جهلا منهم ،فلم يعذرهم الله مع جهلهم وكفرهم ومع عدم علمهم ،وأحبط أعمالهم ،لأن الشرك محبط للعمل ،ولا تنفع الطاعات مع الشرك .

الدليل الخامس:قال سبحانه (٠ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب ،قل أبالله وآياته ورسله كنتم تستهزؤن لاتعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم)التوبة ٦٦ ،مع أنهم كانوا مجاهدين يقاتلون الروم ولكنهم تكلموا بكلام يقطعون به عناء الطريق ولم يقصدوا الكفر ،ومع اعترافهم أنهم كانوا يلعبون ومع أن الله صدقهم ولم يكذبهم فى أنهم يلعبون ولم يقصدوا الكفر بعد الإيمان وحكم بردتهم بعد الإسلام ، فهؤلاء يجهلون أن عملهم ذلك مكفر ، فلم ينفعهم جهلهم وتأويلهم فالجد والهزل والجهل في الكفر سواء ، وهذا في قوم الأصل فيهم الإيمان ، ومن العجب العجاب أن يقول البعض ممن لم ترسخ قدمه فى العلم أن الاستهزاء بالدين ،وسب الله والرسول كفر وردة خلافا لأعمال الشرك والنواقض القولية والعملية ،فذلك شرك لاعذر فيه ،وهذا شرك يعذر فاعله ،فان قلنا لهم بأى دليل فرقتم وكل ذلك كفر وشرك ولا فرق فى هذه النواقض بين الهازل الجاد ،والجاهل إلا المكره ؟وإذا قلنا لهم من قال بهذا التفريق من أئمة الإسلام وعلماء المسلمين حادوا عن الجواب وفقدوا الصواب ،وذلك بسبب التقليد والتقديس لكلام الرجال ،مع أن كلامهم ليس بدليل

الدليل السادس :قال تعالى مخبرا عن هود عليه السلام إنه قال لقومه (اعبدوا الله مالكم من إله غيره إن أنتم إلا مفترون)هود ٥ ،فجعلهم مفترين قبل أن يحكم عليهم بحكم يخالفونه لكونهم جعلوا مع الله إله آخر فاسم المشرك ثبت قبل الرسالة وقبل إرسال الرسل إلى أقوامهم كما ثبت بعد إقامة الحجة وإرسال الرسل فسماهم الله مشركين ومفترين قبل الخبر وبعد الخبر ،قبل الرسل وبعد الرسل ،كما يقول شيخ الإسلام بن تيمية –رحمه الله –

الدليل السابع :قال الله تعالى مخاطبا موسى عليه السلام وحاكما على فرعون بالطغيان والكفر والظلم والفساد والفسق قبل إرسال موسى عليه السلام إليه وإقامة الحجة عليه فقال سبحانه (اذهب إلى فرعون إنه طغى)وقوله (أن إت القوم الظالمين قوم فرعون)وقوله (إنه كان من المفسدين)

الدليل الثامن :قال سبحانه (ومن يدع مع الله اله أخر لابرهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لايفلح الكافرون)المؤمنون ١١٧ ،فكفر الله سبحانه كل من يدعوا غير الله أو يشرك معه غيره فى العبادة ،وسماه الله كافرا لأن التسمية ليست لنا بل هى لله ورسوله ﷺ ،وكيف يكون الذى يدعوا غير الله ويصرف العبادة التي هى حق لله لغير الله ،كيف يكون من يفعل ذلك مسلما ؟

الدليل التاسع :وقد قال تعالى ٠ويعبدون من دون الله مالا ينفعهم ولا يضرهم وكان الكافر على ربه ظهيراً)الفرقان ٥٥ ،وهذا تكرار يفيد التأكيد والتقرير ،وهذا فى القرآن كثير جدا لمن تدبر كلام ربه سبحانه ،فسماه الله كافرا لدعائه غيره

الدليل العاشر :قال سبحانه (ومن لم يحكم بما أنزل الله فألائك هم الكافرون)المائدة ٤٤-٤٥-٤٧ ،هذا هو اسم كل من لم يحكم بما أنزل الله ،سماه الله كافر ا لأنه بدل حكم الله ،وغير شريعة الله ،وسن القوانين الوضعية المخالفة لدين رب البرية ،وحارب كل من يخالف هذه القوانين الردية ،وقتل وسجن كل من يطالب بتحكيم الشريعة الإلهية بدلا من هذه القوانين الوضعية ،فهذا كفره كفر مغلظ مزيد ،خرج من الإسلام من أكثر من باب وارتكب أكثر من ناقض ،فما بال أقوام يدافعون عن الطواغيت وعن جنودهم وأنصارهم وأعوانهم معرضين عن كتاب ربهم وهو ينطق بينهم وتقرعهم آياته ووضوح كلماته فى كفر هؤلاء الطواغيت ،ويقولون زورا وبهتانا وتلبيسا (كفر دون كفر !!)وهم يعلمون أن هذه لاتقال إلا فى الحاكم أو القاضى الملتزم أصلا بتحكيم شرع الله ،والحكم به بين العباد ،ولم يبدله ،ولم يغيره بقوانين وضعية مخالفة لدين الله ،ثم لايكتفى بهذا الكفر ويضيف عليه كفر آخر من حراسة هذه القوانين وحمايتها والقيام على تنفيذها بين الناس هم يعلمون ذلك جيدا فلماذا الدفاع عن الطواغيت والترقيع لكفرهم وردتهم ؟(ولقد فصلنا ذلك فى مسألة الحكم والتحاكم وأحوال المتحاكمين فى المسألة الثانية من كتابنا {التنبيهات المختصرة }

الدليل الحادى عشر :وذكر الله أن فرعون طغى قبل أن يرسل إليه موسى فقال تعالى: { اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى } [طه:٢٤] ، وقال: { يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ } [طه:٣٩] ، وهذا قبل الرسالة ، ففرعون سماه اله عدوا قبل أن تأتيه الرسالة ، وقال تعالى: { وَإِذْ نادي رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } [الشعراء:١٠] ، فسماهم الله ظالمين قبل أن يأتيهم موسى رسولا

الدليل الثانى عشر :وقد سمى الله تعالى فعل المشركين فاحشة قبل قيام الحجة ولم يعذرهم بجهلهم وتقليدهم لآبائهم حيث كانوا يطوفون بالبيت عراة فردَّ الله عليهم سفههم وجهالتهم تلك وسمى فعلهم فاحشة في قوله تعالى: { وَإِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءنَا وَاللّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء أَتَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ}[، الأعراف:٢٨] وقال تعالى: {وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضالين } [البقرة:١٩٨] فسماهم الله ضالين قبل الهداية ومجيء الرسالة ، هذا كله يدلك على أن اسم المشرك يثبت قبل الرسالة لمن لم يحقق التوحيد.

الدليل الثالث عشر :وقال تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُواْ أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاء أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاء وَلَكِن لاَّ يَعْلَمُونَ } [البقرة:١١-١٣] ، فانظر إلى هؤلاء المنافقين الذين لم يحققوا الإيمان بل يصفون المؤمنين بالسفهاء ويجهلون أنهم هم السفهاء ولم يعذروا بجهلهم ، وكذلك يفسدون في الأرض بل يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون فلم يُعذروا بعدم شعورهم ، وقد أحسن ابن جرير الكلام عند تفسير هذه الآية في الرد على القائلين بأن الكفر لا يكون إلا بالعناد ، ونقله عنه ابن كثير وأقرَّه.

الدليل الرابع عشر :وقد يقول بعضهم هذا في الكفار أو المنافقين الأصليين كما هي عادتهم فيرد عليه بقوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ } [الحجرات:٢] ، ومعلوم أن الأعمال لا تحبط بالجملة إلا بالكفر ، { وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ } [المائدة:٥] ، أو بالشرك ، { لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ } [الزمر:٦٥] ، فظهر بجلاء أن الجاهل قد يقع في الشرك وهو لا يشعر فيشرك بالله ويحبط عمله.

الدليل الخامس عشر :بل إنه قد يظن أنه على سبيل الرشاد لجهله ولا يُعذر بذلك قال تعالى:: { يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ } [المجادلة:١٨] ، وقال تعالى: {إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءمِن دُونِ اللهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ }[الأعراف: ٣٠].

الدليل السادس عشر :يقول تعالى: { ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُواْ مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُواْ إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ } [النحل:١١٩] فقد سمى الله تعالى عملهم بالسوء ، وذكر أنهم عملوه بجهالة ، فلم تتغير صفة العمل رغم الجهالة فالسوء هو السوء عملوه بعلم أو جهالة ، والشرك هو الشرك ، والمشرك الذي قال أو فعل الشرك هو المشرك عالما بشركه كان أو جاهلا ، فيوصف بالمشرك وقد عمل بجهالة كما وصف شركه بالشرك وهو معمول بجهالة

الدليل السابع عشر : يقول جل من قائل: { قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ * وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ * بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ * وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ } [الزمر:٦٤- ٦٦] ، فصرف العبادة أو بعضها لغير الله هو الشرك بعينه ، والأمر بذلك شرك ، ومع ذلك وصف هؤلاء الجاهلون بالمشركين ، ولم يُعذروا بجهلهم ، وهذا من أقوى الأدلة في المسألة حيث ذكر الله حبوط العمل بالشرك الذي أمر به أولئك الجاهلون الذين { مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ } [الأنعام: ٦٧].

الدليل الثامن عشر : ويقول تعالى: { سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاء اللّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم حَتَّى ذَاقُواْ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إَلاَّ تحرصون } [الأنعام: ١٤٨] فهؤلاء سماهم الله تعالى مشركين ولم يكن عندهم من علم وإنما كانوا يتبعون الظن ولم يُعذروا بذلك ، { قُلْ فَلِلّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاء لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ }[الأنعام:١٤٩].

وهذا يبين لنا أن الحجة قد تقام على الشخص ويبقى رغم ذلك على جهله فهل يعذر أم أنه ما دام جاهلا لم تُقم عليه الحجة فلا بد من علمه وعناده ، فإن قالوا لا يُعذر فما الفرق بين الحالتين وسبب العذر لا يزال موجودا ألا وهو الجهل ، وإن قالوا يُعذر فما المترتب على إقامة الحجة عليه والحكم لم يتغير ، وهذا يبين لك أن وصف الشرك أو الكفر يثبت قبل قيام الحجة.إنه لا خلاف في إقامة الحجة على غير المحارب وإنما يخالف أهل العذر في ثبوت وصف الشرك أو الكفر قبل قيام الحجة على صاحبه فيفرقون بين وقوع الشخص في الكفر ووقوع الكفر عليه ، وبين من كفر ومن عمل عملا يدل على الكفر وبين من كفر ومن قامت به صفة مكفّرة ويبالغون في التحذير من التكفير والتذكير بموانعه وضرب الأمثال والاحتمالات مما يجعل كثيرا منهم إلى الإرجاء أقرب نسأل الله الهداية.

الدليل التاسع عشر:ويقول تعالى: { اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ }[التوبة:٣١] ، ألا ترى إلى هؤلاء المقلدين الذين قلدوا أحبارهم فوقعوا في الشرك وهم مقلدون جاهلون لم يعذروا بذلك ، وهذا عدي بن حاتم كان يجهل أن ذلك الانقياد والاستسلام للعلماء في التحليل والتحريم هو نوع من العبادة لهم ، فلما دخل على النبي ﷺ وفي عنقه صليب من فضة ووجده يقرأ هذه الآية: { اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ } قال: إنهم لم يعبدوهم ، فقال ﷺ: بلى إنهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم فتلك عبادتهم إياهم ، فأسلم رضي الله عنه ، روى حديثه أحمد والترمذي وابن جرير ، وجاء عن حذيفة وابن عباس في تفسير الآية أنهم اتبعوهم فيما حللوا وحرموا كما ذكر ابن كثير.

وجاء في الصحيحين عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: (سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤوسا جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا) متفق عليه ، ، فهؤلاء قوم أفتوا بجهل فضلوا وأضلوا مقلديهم الجاهلين فلم يُعذروا بجهلهم ولم يمنعهم جهلهم من أن يوصفوا بالضالين ، وهذا في قوم الأصل فيهم الإسلام حتى لا يقال إن ما مضى في قوم الأصل فيهم الشرك.

واعلموا رعاكم الله أن المقلد جاهل ، فهل يُعذر بذلك وآفة التقليد أصل في الوقوع في الشرك ، وقد قال تعالى: { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ } [المائدة:١٠٤] ، فتأمل قوله: لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئًا فأجهل الناس من يقلد الجهال ، ووقع ذلك للمشركين كثيرا قال تعالى: { وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِه عَالِمِينَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا

عَاكِفُونَ * قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءنَا لَهَا عَابِدِينَ * قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ }[الأنبياء:٥١- ٥٤].

وانظر كيف ذكر أن آباءهم كانوا في ضلال مبين مع أنه لم يُقم الحجة عليهم ، وسواء كان هذا في الشرك أو البدع والمخالفات فالجهل والتقليد ليسا بعذر ، وقد روى مسلم وأهل السنن من حديث أبي هريرة: (أن رسول الله ﷺ قال من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا) .رواه مسلم

فهؤلاء رغم جهلهم حَمَلوا الأوزار لما قلدوا من دعاهم إلى الضلال وهم لا يدرون أنه ضلال ، فلم يُعذروا بذلك ، وقال تعالى: { قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُواْ أَوْلاَدَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ اللّهُ افْتِرَاء عَلَى اللّهِ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ } [النعام:١٤٠] وقال تعالى: { وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ * لِيَحْمِلُواْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلاَ سَاء مَا يَزِرُونَ }[النحل:٢٤- ٢٥] والمتأمل يُدرك أن هذا يخصص عموم قوله تعالى: { وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ } [التوبة:١١٥].

وقال تعالى: { وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ }[القمان:٦] ، فهؤلاء أناس يُضلون عن سبيل الله بغير علم أي على جهل منهم ولم يعذرهم الله تعالى بل أعدَّ لهم عذابا مهينا ، وإن كان يذكر لنزول الآية سبب فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.وهذه الأدلة بعضا مما فى القرآن وغيرها كثير لمن تدبر كلام الله أن من أشرك بالله شركا أكبر أنه لا يُنظر إلى جهله أو إلى علمه ، بل يحكم عليه بالردة والخروج عن الإسلام ، وهذا الذي دل عليه كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ: فالله عز وجل أخبر أن من دعا غيره وصرف شيئًا من العبادة لغيره أنه أشرك بالله شرك أكبر الدليل العشرون :ومن السنة أن الرسول عليه الصلاة والسلام قد حكم على أناس أشركوا بالله الشرك الأكبر ولم ينظر إلى جهلهم أو علمهم ، ومن ذلك ما جاء في صحيح مسلم من حديث حماد عن ثابت عن أنس عندما جاء أعرابي إلى الرسول عليه الصلاة والسلام وقال : أين أبي ؟ فقال : أباك في النار . فعندما أدبر وقد أخذ بنفسه ناداه ، وقال له عليه الصلاة والسلام : إن أبي وأباك في النار . فهنا الرسول عليه الصلاة والسلام لم يستفصل ، وترك الاستفصال في مقام الاحتمال ينزَّل منزلة العموم في المقال ، ومن قال من أهل العلم أن هذا خاص بأناس بأعيانهم فعليه أن يأتي بالدليل الذي يخصص هذا الحكم بهؤلاء الناس فقط ، فالرسول عليه الصلاة والسلام قد حكم على من أشرك بالله عز وجل ومات على شركه حكم عليه بأنه هو في النار خالدا فيها ، فكذلك أيضا نحن نقول أن كل إنسان وقع في الشرك الأكبر ومات عليه فهو خالد في النارفى أحكام الدنيا ،وفى الآخرة إن قامت عليه الحجة الحدية عافانا الله وإياكم من ذلك. الدليل الحادى والعشرون ومن ذلك أيضا ما ثبت في صحيح مسلم عندما أراد الرسول ﷺ أن يستغفر لأمه فنهاه عز وجل لأنها ماتت على الشرك ، كما نهى الله عز وجل إبراهيم أن يستغفر لأبيه.

الدليل الثانى والعشرون: وكذلك أيضا ما ثبت في الصحيح عندما قالت عائشة رضي الله عنها أن ابن جدعان كان يتصدق كذا وكذا ، فقال : لم يقل في يوم: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين. فالرسول عليه الصلاة والسلام حكم على أناس بأعيانهم بأنهم في النار ، وذلك بسبب شركهم ، ولم يستفصل هل هؤلاء علماء ولا جهال ، قامت عليهم الحجة أو لم تقم ، ومن قال بأن هذا خاص بهؤلاء الناس بأعيانهم فعليه أن يأتي بالدليل ، ولا دليل في ذلك فيما أعلم ، ومعلوم أن أهل الجاهلية قد دلت الأدلة من الكتاب والسنة وقد اتفق أهل العلم على ذلك بأنهم مرتدين وأنهم من أهل النار ، أهل الجاهلية الذين سبقوا البعثة .

ووجه الاستدلال بذلك أن هؤلاء كانوا أهل جاهلية وأنهم جهال ، ومع ذلك الله عز وجل قد حكم بكفرهم كما أن الرسول ﷺ قد حكم أيضا بكفرهم ، وأجمع على ذلك أهل العلم ، وأما من أتى من المتأخرين فقال أن الناس الذين سبقوا البعثة أنهم من أهل الفترة فهذا القول قول باطل وهو قول محدث ، وقد نقل الإجماع على خلافه ، وإنما قال بعض المتأخرين كالسبكي أو بعض شيوخ السيوطي والسيوطي ومن أتى بعده هم الذين قالوا بهذا القول ، ولا شك أن هذا القول باطل ، بل ذهبوا إلى أكثر من ذلك وهو أن السيوطي قال : إن الله عز وجل قد أحيى والدي الرسول فآمنوا به . مع أن الرسول ﷺ أخبر أنهم من أهل النار ،كما فى عقيدة الموحدين

فأقول إن أهل الجاهلية قد حكم الله عز وجل بكفرهم وكانوا أهل جاهلية ، وكانوا مؤمنين بالله عز وجل ربا ، إلا أنهم كانوا يشركون بالألوهية ، وذلك لأن الحجة قد قامت عليهم وهم في صلب أبيهم آدم كما قال تعالى : (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا (ولذلك في الحديث الصحيح أن الله عز وجل يقول في الحديث القدسي يقول للمشرك : (أردت منك أهون من ذلك ، أردت منك ألا

تشرك بى شيئا وأنت في صلب أبيك آدم) فالله عز وجل خلق عباده حنفاء أي : مؤمنين به سبحانه وتعالى ، فمن أشرك به الشرك الأكبر فهذا الحجة قائمة عليه وهو في صلب أبيه آدم ،وعندهم بقايا من دين إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام الدليل الثالث والعشرون :ورو‌االإمام أحمد أنه قيل لرسول الله ﷺ وقد قدم عليه وفد بني المنتفق: (يا رسول الله هل لأحد ممن مضى من خير في جاهليتهم فقال رجل من عرض قريش: والله إن أباك المنتفق لفي النار (قالها للسائل) ، فقال الذي سأل رسولَ الله ﷺ: فكأنه وقع حرّ بين جلدي ووجهي ولحمى مما قال لأبي على رؤوس الناس ، فهممت أن أقول وأبوك يا رسول الله ثم إذا الأخرى أجمل فقلت يا رسول الله وأهلك قال: وأهلي لعمر الله ما أتيت عليه من قبر عامري أو قرشي من مشرك فقل أرسلني إليك محمد فأبشرك بما يسوءك تجر على وجهك وبطنك في النار) رواه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند (١٣/٤).قال ابن القيم في الزاد (٥٨٨/٣) بعد أن ساقه بتمامه: هذا حديث كبير جليل تنادي جلالته وفخامته وعظمته على أنه قد خرج من مشكاة النبوة لا يعرف إلا من حديث عبد الرحمن بن المغيرة بن عبد الرحمن المدني رواه عنه إبراهيم بن حمزة الزبيري وهما من كبار علماء المدينة سقتا محتج بهما في الصحيح احتج بهما إمام أهل الحديث محمد بن إسماعيل البخاري ورواه أئمة أهل السنة في كتبهم وتلقوه بالقبول وقابلوه بالتسليم والانقياد ولم يطعن أحد منهم فيه ولا في أحد من رواته ، فممن رواه: الإمام ابن الإمام أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن حنبل فى مسند أبيه وفي كتاب السنة وقال: كتب إلي إبراهيم بن حمزة بن محمد بن حمزة بن مصعب بن الزبير الزبيري: كتبت إليك بهذا الحديث وقد عرضته وسمعته على ما كتبت به إليك فحدث به عني ، ومنهم: الحافظ الجليل أبو بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم النبيل فى كتاب السنة له ، ومنهم: الحافظ أبو أحمد محمد بن أحمد بن إبراهيم بن سليمان العسال في كتاب المعرفة ، ومنهم: حافظ زمانه ومحدث أوانه أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني في كثير من كتبه ، ومنهم: الحافظ أبو محمد عبد الله بن محمد بن حيان أبو الشيخ الأصبهانى في كتاب السنة ، ومنهم: الحافظ بن الحافظ أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مندة حافظ أصبهان ، ومنهم: الحافظ أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه ، ومنهم: حافظ عصره أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن إسحاق الأصبهانى وجماعة من الحفاظ سواهم يطول ذكرهم ، وقال ابن مندة: روى هذا الحديث محمد بن إسحاق الصنعاني وعبد الله بن أحمد بن حنبل وغيرهما وقد رواه بالعراق بمجمع العلماء وأهل الدين جماعة من الأئمة منهم أبو زرعه الرازي وأبو حاتم وأبو عبد الله محمد بن إسماعيل ولم ينكره أحد ولم يتكلم في إسناده بل رووه على سبيل القبول والتسليم ولا ينكر هذا الحديث إلا جاحد أو جاهل أو مخالف للكتاب والسنة وهذا كلام أبي عبد الله بن مندة آهـ.(مختصرا من كلام المجلسى فى الرد السهل على أهل العذر بالجهل)

فانظر إلى هؤلاء الغافلين الذين لم يُنذروا ومع ذلك لم يُعذروا بل أخبر النبي ﷺ أنهم في النار فكيف يُعذر قوم بلغهم القرآن ولم يزالوا جاهلين غافلين متلبِّسين بالشرك

الدليل الرابع والعشرون : ما جرى من النبي ﷺ وأصحابه والعلماء بعدهم فيمن انتسب إلى الإسلام ، كما ذكر أنه ﷺ بعث البراء ومعه الراية إلى رجل تزوج امرأة أبيه ليقتله ويأخذ ماله ،ولم يقل إنه جاهل أو لم تقم عليه الحجة !!

ومثل همه بغزو بني المصطلق لما قيل أنهم منعوا الزكاة .

ومثل قتال الصديق وأصحابه لمانع الزكاة وسبي ذراريهم وغنيمة أموالهم وتسميتهم مرتدين .

ومثل إجماع الصحابة في زمن عمر تكفير قدامة بن مظعون وأصحابه إن لم يتوبوا لما فهموا من قوله تعالى : (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا) حل الخمر لبعض الخواص متأولين فى ذلك .

ومثل إجماع الصحابة في زمن عثمان في تكفير أهل المسجد الذين ذكروا كلمة في نبوة مسيلمة مع أنهم لم يتبعوه ، وإنما اختلف الصحابة في قبول توبتهم .

ومثل تحريق علي رضي الله عنه أصحابه لما غلوا فيه .

ومثل إجماع التابعين مع بقية الصحابة على كفر المختار بن أبي عبيد ومن اتبعه ، مع أنه يدعي أنه يطلب بدم الحسين وأهل البيت .

ومثل إجماع التابعين ومن بعدهم على قتل الجعد بن درهم وهو مشهور بالعلم والدين وهلم جرا ، ومن وقائع لا تعد ولا تحصى .

ولم يقل أحد من الأولين والآخرين لأبي بكر الصديق وغيره كيف تقاتل بنى حنيفة وهم يقولون لا إله إلا الله ويصلون ، ويزكون .

وكذلك لم يستشكل أحد تكفير قدامة وأصحابه لو لم يتوبوا إلى زمن عبيد القداح الذين ملكوا المغرب ومصر والشام وغيرها مع تظاهرهم بالإسلام وصلاة الجمعة والجماعة ونصب القضاة والمفتين لما أظهروا من الأقوال والأفعال ما أظهروا لم يستشكل أحد من أهل العلم والدين قتالهم ولم يتوقفوا فيه وهم في زمن ابن الجوزي ، والموفق ، وصنف ابن الجوزي كتاباً لما أخذت مصر منهم سماه (النصر على مصر) .

ولم يسمع أحد من الأولين والآخرين أن أحدا أنكر شيئا من ذلك أو استشكله لأجل ادعائهم الملة ، أو لأجل قول لا إله إلا الله ، أو لأجل إظهار شيء من أركان الإسلام ، إلا ما سمعناه من هؤلاء الملاعين في هذه الأزمان من إقرارهم أن هذا هو الشرك ، ولكن من فعله أو حسنه أو كان مع أهله أو ذم التوحيد أو حارب أهله لأجله أو أبغضهم لأجله أنه لا يكفر لأنه يقول لا إله إلا الله أو لأنه يؤدي أركان الإسلام الخمسة ، ويستدلون بأن النبي ﷺ سماها الإسلام ، هذا لم يسمع قط إلا من هؤلاء الملحدين الجاهلين الظالمين ، فإن ظفروا بحرف واحد عن أهل العلم أو أحد منهم يستدلون به على قولهم الفاحش الأحمق فليذكروه ،ولكن الأمر كما قال اليمني في قصيدته :

أقاويل لا تعزى إلى عالم فلا * تساوي فلساً إن رجعت إلى نقد

الدليل الخامس والعشرون:

أجمع أهل العلم على أن أهل الفترة كفار مشركون لا يوصفون بإسلام ، ولا يقال عنهم بأنهم ليسوا بكفار ، وليسوا بمشركين ، بل هم كفار مشركون لأنهم قام بهم الكفر والشرك وحالهم يوم القيامة من جهة التعذيب هذا على التفصيل المعروف عندكم في الخلاف في أهل الفترة ؛ والتحقيق فيه أن الله جل وعلا يبعث لهم رسولا في عرصات يوم القيامة فمن أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار ؛ فمن قام به الشرك فهو مشرك ، ومن قام به الكفر فهو كافر(صالح آل الشيخ) والشاهد أن تسمية المشرك مشركا قبل الحجة وبعد الحجة مسألة وفاقية عند الصحابة والسلف ،والقرآن كله من أوله إلى أخره ليس فيه دليل على أن مرتكب الشرك الأكبر يسمى مسلما ،ومن عنده دليل من القرآن أو السنة أو أثر عن الصحابة يدل على أن مرتكب الشرك الأكبر مسلم فليسعدنا به ، ونذكر هنا بقاعدة عامة فى علم التفسير ،وعلم الحديث وهو (أنه إذا كان النص يحتمل معنيين لاينافى أحدهما الأخر فإنه يحمل عليهما وهذه قاعدة قررها أهل العلم وأهل التفسير ،ذكرها شيخ الإسلام بن تيمية فى مقدمة التفسير ،وكررها الشيخ بن عثيمين فى تفسيره لجزء عم سبع مرات ،فى الانفطار ،والمطففين ،والبلد والشمس ،والعلق والبينة ،والقارعة ،وكذلك غيرهما من أهل التفسير والحديث ،فالنص يحمل ويفسر على أكثر من وجه إذا كان النص يحتمله ولا يعارضه نص آخر ،لذلك تجد العالم الربانى يستخرج من الآية الواحدة فوائد كثيرة وهذا فضل الله ،والفهم رزق من الله يرزقه من يشاء ،نقول ذلك ونذكر به حتى لايخرج علينا خارجى أو مرجئ من أهل البدع والزيغ والضلال ويرد هذه الأدلة بجهله ،لذلك أتبعناها بفهم الصحابة والسلف لهذه الآيات وهى والحمد لله متفقة غير متعارضة وهذا الفتح رزق من الله يفتح به على من يشاء من عباده ،شريطة أن لا تتعارض ولا تختلف مع نصوص أخرى .

وإليك فهم الصحابة والمفسرين لهذه الأدلة ،التى تدل دلالة قطعية على أن مرتكب الشرك الأكبر يسمى مشركا بمجرد وقوعه فى الشرك والكفر ،بغض النظر عن عقوبته من عدمها ،فالتسمية شئ والعقوبة شئ آخر ،وكما تقدم فليس كل كافر معاقب ،كما أنه ليس كل كافر يقتل ،ويبقى السؤال مرتكب الشرك الأكبر قبل قيام الحجة عليه ،أو بعد قيامها ،ماهو اسمه الذى سماه الله به ؟هذه هى مسألة البحث وليس البحث فى عقوبته وقتله ،وقدمنا لك من القرآن تسمية الله له بأنه مشرك ولا تتقيد هذه التسمية بالجهل أو بالقصد أو بقيام الحجة ،بل سماه الله مشركا وكافرا مع جهله وعدم علمه وقصده ،وقبل إرسال الرسل إليه ،وهذه المسألة وفاقية لااختلاف فيها كما مر معك

أقوال الصحابة والمفسرين وفهمهم لهذه الأدلة

الأول :قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه (لاعذر لأحد فى ضلاله ركبها حسبها هدى ولا فى هدى ركبه حسبه ضلاله فقد بينت الأمور وثبتت الحجة وانقطع العذر) قاله البربهارى فى كتاب شرح السنة وقول هذا الصحابي الخليفة الراشد الفاروق رضى الله عنه فيه رد على هذه السفاهات والجهالات التى يقول بها بعض أدعياء السلفية من كفر الصحابة رضى الله عنهم مثل معاذ بن جبل وحاطب ،و قدامة رضى الله عنهم ، بل وصل انحرافهم وجهلهم وسوء أدبهم وقلة دينهم فى إثبات الكفر على أمنا الطاهرة المطهرة الصديقة بنت الصديق رضي الله عنها وعن أبيها عائشة زوج وحبيبة رسول الله ﷺ فقيهة الصحابة ،يقول هؤلاء الأدعياء جهلا وزورا أن هؤلاء الصحابة ارتكبوا الكفر الأكبر ولم يقتلهم رسول الله وعذرهم بالجهل فى التو حيد ؟ ولا حول ولا قوة إلا بالله ورتبوا على هذا الضلال أن كل من كفر وأشرك فإنه لا يكفر ولا يسمى مشركاً لأنه معز ور بجهله فى ارتكابه الكفر ووقوعه فى الشرك ؟ولو سلمنا لهم بذلك فبيان الرسول صلى الله عليه وسلم حجة عليهم إذ بين للصحابة أن هذا لايجوز ، ولا رسول بعده ﷺ مع أن حديث معاذ ضعيف فإنه رضى الله عنه لم يذهب إلى الشام فى حياة النبى ﷺ بل ذهب إليها ومات بها فى طاعون عمواس بعد وفات النبى ﷺ وقد ضعفه الدراقطنى فى العلل ثم إن سجود معاذ إن ثبت فهو سجود تحيه لاسجود عباده وهذا كان مشروعاً قبل ذلك وحرم بحادثة معاذ وبيان رسول الله له فلا حجة لمن بعده ولا عذر لمن فعله بعد البيان والبلاغ .

ثم ثالثاً هل يظن بمعاذ رضى الله عنه أن يجهل الشرك وأن سجوده لغير الله مشروع وهو أفقه الصحابة وأعلم الصحابة بنص رسول الله ﷺ ؟أهذا يليق بصحابة رسول الله ﷺ ياأدعياء السلفية ؟ أين الأدب مع الصحابة ياأهل الأثر ؟إن قول عمر رضى الله عنه قاطع لكل عذر شاف لكل مريض إلا الهوى والزيغ فإنه يهوى بصاحبه نسأل الله العافية.

ثم هل يظن بأمنا الطاهرة أن تجهل أن الله يسمع كل شيئ ويعلم كل شيئ وهى شاهدة على قصة المجادلة فى زوجها فقالت تبارك الذى وسع سمعه كل شيئ إنى لا أسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى على بعضه وهى تشتكى زوجها أوس بن الصامت على رسول الله ﷺ وتقول يارسول الله أكل شبابي ونثرت له بطنى حتى إذا كبرت سنى وانقطع ولدى ظاهر منى ، اللهم إنى أشكو إليك ،فما برحت حتى نزل جبريل بهؤلاء الآيات ،فكيف تجهل أمنا أن الله يعلم كل شئ ،وكل الروايات فى صحيح مسلم تثبت أن ،قول نعم هو من قول أمنا عائشة رضى الله عنها وليس من قول رسول الله ﷺ !فصدقت نفسها رضى الله عنها وأرضاها ،فلا حجة لهؤلاء الأدعياء فى هذه الشبهات التى يتبعونها بغير هدى من الله ورسوله ولا بفهم عن صحابة رسول الله ﷺ ،ولكنه الزيغ والضلال والهوى عند هؤلاء الأدعياءحتى وصل بهم الحال إلى القدح فى أنبياء الله وأنهم ارتكبوا الكفر والشرك جهلا منهم فعذرهم الله بجهلهم مثل ابراهيم وموسى وحوارى عيسى عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام .

مع أن الأنبياء معصومون من الوقوع فى الكبائر ،فكيف يجوز عليهم هؤلاء الأدعياء الوقوع فى الكفر والشرك ؟

،ولا نطيل فى رد هذه الشبهات فهى أوهن من بيت العنكبوت ،وقد فصلنا الرد عليها فى غير هذا الموضع ،وغرضنا هنا هو إثبات أن كل من وقع فى الكفر يسمى كافرا ،وكل من وقع فى الشرك يسمى مشركا ،سواء قبل الرسالة أو بعدها ،قبل إقامة الحجة أو بعدها ،وهذه مسألة وفاقية عند الصحابة والسلف لااختلاف فيها البتة ،وليس فيها قولان بل هى قول واحد ،ولا يوجد له معارض صحيح ،كما ستأتي باقى الأدلة

الثانى :ثبت في الصحيح عن ابن عباس رضى الله عنهما في قوم نوح عليه السلام (أنهم صوروا الصور فلما نُسى العلم عُبدت) اه فعُبدت وقت الجهل ،فسُمّوا عابدين لغير الله مع جهلهم ولم يسمهم غير هذا الاسم

الثالث: قال الإمام البخاري –رحمه الله - في صحيحه في كتاب الإيمان في باب المعاصي من أمر الجاهلية قال :ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك لقول النبي ﷺ (إنك امرؤ فيك جاهلية) وقال الله عز وجل (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء)وهذا من فقه البخارى الذى حُرِمهُ الأدعياء

الرابع: قال شيخ المفسرين الإمام ابن جريرالطبرى - رحمه الله - في تفسيره عن قوله تعالى في سورة الأعراف (فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون) قال إن الفريق الذي حق عليهم الضلالة إنما ضلوا عن سبيل الله وجاروا عن قصد المحجة باتخاذهم الشياطين نُصراء من دون الله وظُهراء جهلا منهم بخطأ ما هم عليه من ذلك بل فعلوا ذلك وهم يحسبون و يظنون أنهم على هدى و حق وأن الصواب ما أتوه وركبوه وهذا من أبين الدلالة على خطأ قول من زعم أن الله لا يعذب أحدا على معصية ركبها أو ضلالة اعتقدها إلا أن يأتيها بعد علم منه بصواب وجهها فيركبها عنادا منه لربه ،لأن ذلك لو كان كذلك لم يكن بين فريق الضلالة الذي ضل وهو يحسب أنه هاد ، وفريق الهدى ، فرق ، وقد فرق الله بين أسمائهما وأحكامهما في هذه الآية اه وهذا يدل على أن الجاهل غير معذور ،كما قال ذلك ونقله العلامة مفتى الديار الحجازية أبا بطين عن ابن جرير عند تفسير قولة تعالى (فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون) قال ابن جرير وهذا يدل على أن الجاهل غير معذور اه الدرر ٣٩٢/١٠ ،فلم يفرق بن جرير رحمه الله بين الاسم الذى سماه الله به ولم يعذره بالجهل وراجع أيضا كلام ابن جريرفي الكهف .

الخامس:والحافظ ابن كثير رحمه الله نقل نفس كلام ابن جرير السابق نقله موافقا عليه ومقررا له عند تفسير الآية المذكورة ،وراجع تفسير بن كثير مع الطبرى ،لاتجد فرقا فى ذلك

السادس:قال البغوي رحمه الله عند تفسير آية الأعراف مثل ماقال السلف قال (وفيه دليل على أن الكافر الذي يظن أنه في دينه على الحق جهلا والجاحد والمعاند سواء) أهـ وهؤلاء الأدعياء يقولون لايكفر إلا المعاند والجاحد ،أما الجاهل فلا يكفر ولا يسمى مشركا ؟؟؟؟!!

السابع: وهكذا فسرها الحافظ ابن مندة رحمه الله في كتابه التوحيد ٣١٤/١ و ذكر أثر على بن أبى طالب و سلمان الفارسي رضى الله عنهما لما ذكر للرسول حال النصارى قبل البعثة أنهم كانوا يصومون ويصلون ويشهدون أنك ستبعث(فقال الرسول ﷺ هم من أهل النار)

فهى مسألة وفاقية ،فى القرآن لااختلاف فيها عند الصحابة والسلف الصالح رضى الله عنهم أجمعين ،إن كل من وقع فى الشرك يسمى مشركا سواء قبل ا لرسالة أو بعد الرسالة قبل الخبر أو بعد الخبر .

وبما أن المسألة قد ظهرت بقوة فى عصر شيخ الإسلام بن تيمية والإمام مُحَمَّد بن عبد الوهاب ننقل كلامهما الواضح الصريح الظاهر الذى لايحتمل أكثر من وجه ولا يحتمل التأويل أو التحريف ونتبع ذلك من بعدهما حتى يومنا هذا حتى يتضح لكل طالب علم الحق بدليله أن المسألة وفاقية لاخلاف فيها وإنما قال بالخلاف من لم يستطع أن يحكيه عن أحد من السلف ولا إمام من أئمة المسلمين وكذلك محال على من يحكى الخلاف أن يأتى بأدلة صحيحة من القرآن تعارض ماذكرناه من الأدلة السابقة التى تدل على أن مرتكب الشرك يسمى مشركا ،بل إن أمحل المحال أن يأتى بآية من القرآن يثبت من خلالها أن مرتكب الشرك الأكبر يسمى مسلما وإن مات على شركه الأكبر هذا فهو مسلم موحد تجرى عليه أحكام الإسلام !!!هذا مستحيل فى كتاب الله وإليك كلام شيخ الإسلام ابن تيمية .

أقوال شيخ الإسلام ابن تيمية والعلماء من بعده حتى عصرنا الحاضر ، فى أن مرتكب الشرك الأكبر يسمى مشركا قبل إقامة الحجة وبعدها

<u>أدلة شيوخ الإسلام وكبار العلماء في عدم العذر بالجهل</u>

شيخ الإسلام بن تيمية –رحمه الله-

النقل الأول : في إثبات اسم المشرك قبل الرسالة مجموع الفتاوى - (ج ٢٠ / ص ٣٧فَصْلٌ: وَقَدْ فَرَّقَ اللَّهُ بَيْنَ مَا قَبْلَ الرِّسَالَةِ وَمَا بَعْدَهَا فِي أَسْمَاءَ وَأَحْكَامٍ وَجَمَعَ بَيْنَهُمَا فِي أَسْمَاءَ وَأَحْكَامٍ وَذَلِكَ حُجَّةٌ عَلَى الطَّائِفَتَيْنِ : عَلَى مَنْ قَالَ : إنَّ الْأَفْعَالَ لَيْسَ فِيهَا حَسَنٌ وَقَبِيحٌ . وَمَنْ قَالَ : إنَّهُمْ يَسْتَحِقُّونَ الْعَذَابَ عَلَى الْقَوْلَيْنِ . أَمَّا الْأَوَّلُ فَإِنَّهُ سَمَّاهُمْ ظَالِمِينَ وَطَاغِينَ وَمُفْسِدِينَ ؛ لِقَوْلِهِ : { اذْهَبْ إلَى فِرْعَوْنَ إنَّهُ طَغَى } وَقَوْلِهِ : { وَإِذْ نادي رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } { قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ } وَقَوْلِهِ : { إنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ } فَأَخْبَرَ أَنَّهُ ظَالِمٌ وَطَاغٍ وَمُفْسِدٌ هُوَ وَقَوْمُهُ وَهَذِهِ أَسْمَاءُ ذَمِّ الْأَفْعَالِ ؛ وَالذَّمُّ إنَّمَا . يَكُونُ فِي الْأَفْعَالِ السَّيِّئَةِ الْقَبِيحَةِ فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ الْأَفْعَالَ تَكُونُ قَبِيحَةً مَذْمُومَةً قَبْلَ مَجِيءِ الرَّسُولِ إلَيْهِمْ لَا يَسْتَحِقُّونَ الْعَذَابَ إلَّا بَعْدَ إتْيَانِ الرَّسُولِ إلَيْهِمْ ؛ لِقَوْلِهِ : { وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا } . وَكَذَلِكَ أَخْبَرَ عَنْ هُودَ أَنَّهُ قَالَ لِقَوْمِهِ : { اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إلَهٍ غَيْرُهُ إنْ أَنْتُمْ إلَّا مُفْتَرُونَ } فَجَعَلَهُمْ مُفْتَرِينَ قَبْلَ أَنْ يَحْكُمَ بِحُكْمٍ يُخَالِفُونَهُ ؛ لِكَوْنِهِمْ جَعَلُوا مَعَ اللَّهِ إلَهًا <u>آخَرَ فَاسْمُ الْمُشْرِكِ ثَبَتَ قَبْلَ الرِّسَالَةِ ؛ فَإِنَّهُ يُشْرِكُ بِرَبِّهِ وَيَعْدِلُ بِهِ وَيَجْعَلُ مَعَهُ آلِهَةً أُخْرَى</u> وَيَجْعَلُ لَهُ أَنْدَادًا قَبْلَ الرَّسُولِ وَيُثْبِتُ أَنَّ هَذِهِ الْأَسْمَاءَ مُقَدَّمٌ عَلَيْهَا وَكَذَلِكَ اسْمُ الْجَهْلِ وَالْجَاهِلِيَّةِ يُقَالُ : جَاهِلِيَّةً وَجَاهِلًا قَبْلَ مَجِيءِ الرَّسُولِ وَأَمَّا التَّعْذِيبُ فَلَا . وَالتَّوَلِّي عَنْ الطَّاعَةِ كَقَوْلِهِ : { فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى } { وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى } فَهَذَا لَا يَكُونُ إلَّا بَعْدَ الرَّسُولِ مِثْلَ قَوْلِهِ عَنْ فِرْعَوْنَ . { فَكَذَّبَ وَعَصَى } كَانَ هَذَا بَعْدَ مَجِيءِ الرَّسُولِ إلَيْهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى .

{ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى } { فَكَذَّبَ وَعَصَى } وَقَالَ : { فَعَصَى فِرْعَوْنُ

الرَّسُولَ } انتهى الفصل بتمامه من الفتاوى ٢٠\٣٧-٣٨ .

وكما ترى أن كلام شيخ الإسلام واضح وضوح الشمس فى أن كل من وقع فى الشرك يسمى مشركا سواء قبل الرسالة أو بعد الرسالة ،ويؤكد ذلك فى موضع آخر فيقول رحمه الله –(والجهل بالله فى كل حال كفر قبل الخبر وبعد الخبر)الفتاوى ١٧\ ٣٢٥ أى قبل الرسالة وقبل قيام الحجة وبعد قيام الحجة وقد كرر ذلك رحمه الله كثيرا يجده من تتبع أقواله رحمه الله وقد تعمدنا نقل كلام شيخ الإسلام كاملا من أول الفصل حتى نهايته من الأصل وتركناه يُفصل ويوضح ويثبت إن اسم المشرك ثابت لكل من تلبس بالشرك سواء قبل الرسالة والبلاغ والحجة أو بعده ،بقطع النظر عن العقوبة من عدمها فالعقوبة لاتذكر إلا عند إقامة الحجة الحدية عند الاستتابة أمام القاضى وولى الأمر المسلم ،وحينها تذكر الشروط والموانع ،ولاذكر للشروط والموانع قبل ذلك ولاسيما فى ظل غياب الشريعة ،فإنها كالعدم فالعقوبة شئ ،وتسميته مشركا شئ آخر ،والصواب والراجح أنه لاعذاب إلا بعد إرسال الرسل والبلاغ ،وكلامه –رحمه الله – واضح لايحتاج إلى تعليق فى ثبوت اسم المشرك ،فكل من تلبس بالشرك الأكبر يسمى مشركا هذا هو اسمه الذى سماه الله به ولا يوجد له اسم غيره فى القرآن

والسنة ولاعند الصحابة والسلف الصالح ،ومن قال بخلاف ذلك فعليه الدليل المعتبر من القرآن والسنة ،إن كان سلفيا حقافعليه أن يتبع الدليل ويطرح التأويل وتقليد المشايخ وتتبع أقوالهم بدون سند شرعي من القرآن والسنة وفهم الصحابة .

الإمام ابن القيم

قال–رحمه الله-فى طبقات المكلفين آخر كتاب (طريق الهجرتين)

(طبقة المقلدين و جهال الكفرة وأتباعهم وحميرهم الذين هم معهم تبعا لهم يقولون إنا وجدنا آباءنا على ذلك ولنا بهم أسوة ومع هذا فهم تاركون لأهل الإسلام غير محاربين لهم كنساء المحاربين وخدمهم وأتباعهم الذين لم ينصبوا أنفسهم لما نصبت له أولئك من السعي في إطفاء نور الله وهدم دينه وإخماد كلماته بل هم بمنزلة الدواب ، فالقواعد والأصول فيهم كالتالي :

القاعدة الأولى :

قال ابن القيم: وقد اتفقت الأمة على أن هذه الطبقة كفار وإن كانوا جهالا مقلدين لرؤسائهم وأئمتهم إلا ما يحكى عن بعض أهل البدع أنه لم يحكم لهؤلاء بالنار وجعلهم بمنزلة من لم تبلغه الدعوة وهذا مذهب لم يقل به أحد من أئمة المسلمين لا الصحابة ولا التابعين ولا من بعدهم وإنما يعرف عن بعض أهل الكلام المحدث في الإسلام وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال : ((ما من مولود إلا وهو يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)) فأخبر أن أبويه ينقلانه عن الفطرة إلى اليهودية والنصرانية والمجوسية ولم يعتبر في ذلك غير المربى والمنشأ على ما عليه الأبوان وصح عنه أنه قال ﷺ : ((إن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة)) .

القاعدة الثانية :

أن هذا المقلد ليس بمسلم وهو عاقل مكلف والعاقل المكلف لا يخرج عن الإسلام أو الكفر .

القاعدة الثالثة :

وأما من لم تبلغه الدعوة فليس بمكلف في تلك الحال وهو بمنزلة الأطفال والمجانين وقد تقدم الكلام عليهم .

القاعدة الرابعة:

والإسلام هو توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له والإيمان بالله وبرسوله واتباعه فيما جاء به ، فإن لم يأت العبد بهذا فليس بمسلم وإن لم يكن كافرا معاندا فهو كافر جاهل فغاية هذه الطبقة أنهم كفار جهال غير معاندين وعدم عنادهم لا يخرجهم عن كونهم كفارا فإن الكافر من جحد توحيد الله وكذب رسوله إما عنادا أو جهلا وتقليدا لأهل العناد فهذا وإن كان غايته أنه غير معاند فهو متبع لأهل العناد وقد أخبر الله في القرآن في غير موضع بعذاب المقلدين لأسلافهم من الكفار وأن الأتباع مع متبوعيهم وأنهم يتحاجون في النار وأن الأتباع يقولون كما أخبر الله عنهم { ربنا هؤلاء أضلونا فأتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون} ، وقال تعالى : { وإذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار قال الذين استكبروا إنا كل فيها إن الله قد حكم بين العباد } ، وقال تعالى : { ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا } ، فهذا إخبار من الله وتحذير بأن المتبوعين والتابعين اشتركوا في العذاب ولم يغن عنهم تقليدهم شيئًا .

وأصرح من هذا قوله تعالى : { إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا } ، وصح عن النبي ﷺ أنه قال : ((من دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل أوزار من اتبعه لا ينقص من أوزارهم شيئًا)) ، وهذا يدل على أن كفر من اتبعهم إنما هو من أجل إتباعهم وتقليدهم .

القاعدة الخامسة :

التفصيل في المقلدين وهو تفصيل يزول به الإشكال والتفصيل واقع في الوجود وهو كالتالي :

١-بين مقلد تمكن من العلم ومعرفة الحق فأعرض عنه فالمتمكن المعرض مفرط تارك للواجب عليه لا عذر له عند الله

٢ ومقلد لم يتمكن من ذلك بوجه لعجزه عن السؤال ولم يتمكن من العلم بوجه وهم قسمان أيضا

أحدهما :

مريد للهدى مؤثر له محب له غير قادر عليه ولا على طلبه لعدم من يرشده فهذا حكمه حكم أرباب الفترات ومن لم تبلغه الدعوة يقول " يا رب لو أعلم لك دينا خيرا مما أنا عليه لدنت به وتركت ما أنا عليه ولكن لا أعرف سوى ما أنا عليه ولا أقدر على غيره فهو غاية جهدي ونهاية معرفتي " فهو كمن طلب الدين في الفترة ولم يظفر به فعدل عنه بعد استفراغ الوسع في طلبه عجزا وجهلا .

الثاني :

معرض لا إرادة له ولا يحدث نفسه بغير ما هو عليه وراض بما هو عليه لا يؤثر غيره عليه ولا تطلب نفسه سواه ، ولا فرق عنده بين حال عجزه وقدرته فهو كمن لم يطلب الدين في الفترة بل مات على شركه وإن كان لو طلبه لعجز عنه .

ففرق بين عجز الطالب وعجز المعرض وكلاهما عاجز .

والله يقضي بين عباده يوم القيامة بحكمه وعدله ولا يعذب إلا من قامت عليه حجته بالرسل فهذا مقطوع به في جملة الخلق وأما كون زيد بعينه وعمرو- أي بالنسبة للعاجزين ، وأصحاب الفترة - قامت عليه الحجة أم لا فذلك ما لا يمكن الدخول بين الله وبين عباده .

القاعدة السادسة :

بل الواجب على العبد أن يعتقد أن كل من دان بدين غير دين الإسلام فهو كافر وأن الله سبحانه وتعالى لا يعذب أحدا إلا بعد قيام الحجة عليه بالرسول هذا في الجملة والتعيين موكول إلى علم الله وحكمه هذا في أحكام الثواب والعقاب .

القاعدة السابعة :

وأما في أحكام الدنيا فهي جارية على ظاهر الأمر فأطفال الكفار ومجانينهم كفار في أحكام الدنيا لهم حكم أوليائهم وبهذا التفصيل يزول الإشكال في المسألة .

والتلخيص والتفصيل مبني على أربعة أصول هي :

أحدها :أن الله سبحانه وتعالى لا يعذب أحدا إلا بعد قيام الحجة عليه :

١ - كما قال تعالى : { وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا }.

٢ - قال تعالى : { رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل }.

٣ - وقال تعالى : { كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء }.

٤ - وقال تعالى : { فاعترفوا بذنبهم فسحقا لأصحاب السعير }.

٥ - وقال تعالى : { يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين } .

٦ - وقال تعالى : { وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين } ، والظالم من عرف ما جاء به الرسول أو تمكن من معرفته بوجه وأما من لم يعرف ما جاء به الرسول وعجز عن ذلك فكيف يقال إنه ظالم ؟

وهذا كثير في القرآن يخبر أنه إنما يعذب من جاءه الرسول وقامت عليه الحجة وهو المذنب الذي يعترف بذنبه .

الأصل الثاني :

أن العذاب يستحق بسببين :

أحدهما ؛ الإعراض عن الحجة وعدم إرادتها والعمل بها وبموجبها وهو كفر الإعراض .

الثاني ؛ العناد لها بعد قيامها وترك إرادة موجبها وهو كفر العناد .

وأما كفر الجهل مع عدم قيام الحجة وعدم التمكن من معرفتها فهذا الذي نفى الله التعذيب عنه حتى تقوم حجة الرسل

والأصل الثالث :

أن قيام الحجة يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة والأشخاص فقد تقوم حجة الله على الكفار في زمان دون زمان وفي بقعة وناحية دون أخرى كما أنها تقوم على شخص دون آخر إما لعدم عقله وتمييزه كالصغير والمجنون وإما لعدم فهمه كالذي لا يفهم الخطاب ولم يحضر ترجمان يترجم له فهذا بمنزلة الأصم الذي لا يسمع شيئًا ولا يتمكن من الفهم وهو أحد الأربعة الذين يدلون على الله بالحجة يوم القيامة كما تقدم في حديث الأسود وأبي هريرة وغيرهما .

الأصل الرابع :

أن أفعال الله سبحانه وتعالى تابعة لحكمته التي لا يخل بها وأنها مقصودة لغاياتها المحمودة وعواقبها الحميدة وهذا الأصل هو أساس الكلام في هذه الطبقات إلا من عرف ما في كتب الناس ووقف على أقوال الطوائف في هذا الباب وانتهى إلى غاية مراتبهم ونهاية إقدامهم والله الموفق للسداد الهادي إلى الرشاد . (انتهى مختصرا من كتاب " طريق الهجرتين " لابن القيم رحمه الله (،اختصار الشيخ على الخضير)

مسألة : قد يقول قائل إن هذه القواعد في الكفار الأصليين ، فكيف تنزل على أهل القبلة ؟

والجواب : أن من فعل فِعل الكفار الأصليين أُلحِق بهم ، ومن أراد مزيد بحث في ذلك فليراجع " كشف الشبهات " فإن الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب رحمه الله تكلم عن هذه الشبهة وكشف زيفها ، وراجع أيضا كتاب " الحقائق في التوحيد في : باب من فَعَل فِعْل المشركين الأصليين أو اليهود أو النصارى وغيرهم من ملل الكفر أُلحق بهم قال تعالى : { وأن أقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين } ، وقال تعالى : { ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواءً } ، وقال تعالى : { ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون } ، وقال تعالى : { ومن يتولهم منكم فإنه منهم }.وعن ابن عمر مرفوعا ((من تشبه بقوم فهو منهم)) [رواه أبو داود] ، وعن أبي سعيد مرفوعا ((لتتبعن سنن من كان قبلكم فذكر اليهود والنصارى)) [متفق عليه]. وقال ابن تيمية فيمن جعل الآيات النازلة خاصة لمن نزلت بسببه ولا يشمل النوع أو المثال فقال : (فلا يقول مسلم أن آية الظهار لم يدخل فيها إلا أوس بن الصامت وآية اللعان لم يدخل فيها إلا عاصم بن عدي وأن ذم الكفار لم يدخل فيه إلا كفار قريش ونحو ذلك مما لا يقوله مسلم ولا عاقل) [الفتاوى ١٦ / ١٤٨].وقال أبا بطين : (أما قول من يقول أن الآيات التي نزلت بحكم المشركين الأولين فلا تتناول من فعل فعلهم فهذا كفر عظيم) ، قال : (ويلزم منه أن الحدود المذكورة في القرآن والسنة لأناس كانوا وانقرضوا ! فلا يُحد الزاني اليوم ولا تقطع يد السارق وبطل حكم القرآن) [الدرر ١٠/٤١٨][وقد فصلنا هذه الشبهة فى كتابنا(البيان والإشهار فى كشف زيغ من توقف فى تكفير المشركين والكفار)عند تحقيق كلام شيخى الإسلام بن تيمية وبن عبد الوهاب فى تكفير المعين]

كلام شيخ الإسلام مُحَمَّد بن عبد الوهاب وأولاده وأحفاده من أئمة الدعوة حتى يومنا هذا فى تسمية كل من تلبس بالشرك مشركًا .

شيخ الإسلام مُحَمَّد بن عبد الوهاب له رسائل ونصوص كثيرة لاتحصى تدل على أنه لايعذر بالجهل فى التوحيد وأن من فعل الشرك يسمى مشركا ومن المشركين ، وأحيانا يسميه كافرا إذا قامت عليه الحجة ،أما إذا لم تقم عليه الحجة فيسميه مشركا لأنه يقصد بالكفر القتل أحيانا ،كما فصلنا ذلك فى رسالتنا ،العذر بالجهل بين ضبط السلف واضطراب الخلف)وهذه المسألة الثالثة فى كتابنا التنبيهات المختصرة على المسائل الخلافية المنتشرة وذكرنا النصوص الواضحة لأكثر من ثلاثين إماما من أئمة المسلمين من عصر نافع مولى بن عمر إلى عصرنا الحاضر فى عدم العذر فى الاسم ونقلنا نصوصا كثيرة للإمام مُحَمَّد بن عبد الوهاب وأئمة الدعوة من كتاب تاريخ نجد ،قسم الرسائل والمسائل ففيه ست وعشرون رسالة وست وعشرون مسألة هى من عيون الرسائل والمسائل التى تدل دلالة واضحة على أن كل من تلبس بالشرك يسمى مشركا وكل من وقع فى الكفر يسمى كافرا ،وهذا واضح لكل من صبر على طلب العلم واستكمل قراءة النصوص وكلام السلف فى جميع المواضع بالاستقراء والتتبع ،وراجع كبار العلماء وأهل العلم فى كل ماأشكل عليه من نصوص وأدلة ،أما من تخطف الكلمات من هنا وهناك وبتر النصوص واعتمد على المجمل والمطلق والعام من كلام العلماء فهو لن يصل إلى شئ إن لم يضل ويزيغ ويزداد حيرة وشكا واضطرابا ،ولذلك فنحن قد ذكرنا الأدلة من كلام الله تبارك وتعالى وكلام رسوله ﷺ ،ثم كلام الصحابة والمفسرين له ولم نذكر كلام العلماء كدليل لأن كلام العلماء ليس دليلا شرعيا يستدل به وإنما يستدل له ،وإنما ذكرنا فهم العلماء حتى لايظن من ليس عنده علم إن هذا فهمنا نحن ،وليس فهم السلف ،بل ذكرنا الأدلة بفهم الصحابة والمفسرين من السلف وعلماء أهل السنة .

قال الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب

٣. في رسالة النواقض العشر له رحمه الله ، لم يَعذر فيها بالجهل وذلك لما ذكر نواقض الإسلام العشر نص على استواء حكم الجاد والهازل والخائف حال الوقوع فيها إلا المكره ولم يستثني غير المكره مثل الجاهل أو المتأول أو المخطئ اهـ. راجع فتاوى الأئمة النجدية ١٨٨/٣

٤- ومن النقولات قول الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب(في الدرر السنية ١١٨/٨) لما ذكر المرتدين وفرقهم فمنهم من كذب النبي ﷺ ورجعوا إلى عبادة الأوثان ومنهم من أقر بنبوة مسيلمة ظنا أن النبي ﷺ أشركه في النبوة ومع هذا أجمع العلماء أنهم مرتدون ولو جهلوا ذلك ومن شك في ردتهم فهو كافر .

٥. وقال الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب في الدرر (٩ / ٤٠٥-٤٠٦) قال : لما نقل كلام ابن تيمية في التكفير وهذا يدل أن الشيخ مُحَمَّد قد فهم وهضم مذهب ابن تيمية في هذا وهو يمشى على منواله قال : وكلام ابن تيمية في كل موضع وقفنا عليه من كلامه لا يذكر عدم تكفير المعين إلا ويصله بما يزيل الأشكال أن المراد بالتوقف عن تكفيره[١] قبل أن تبلغه الحجة ، وأما إذا بلغته الحجة حكم عليه بما تقتضيه تلك المسألة من تكفير أو تفسيق أو معصية ، وصرح ابن تيمية رحمه الله ورضي عنه ، أيضا أن كلامه في غير المسائل الظاهرة فقال في الرد على المتكلمين لما ذكر أن بعض أئمتهم توجد منه الردة عن الإسلام كثيرا قال : وهذا إن كان في المقالات الخفية فقد يقال أنه فيها مخطئ ضال لم تقم عليه الحجة التي يكفر تاركها ولكن هذا يصدر عنهم في أمور يعلم الخاصة والعامة [٢]من المسلمين أن رسول الله ﷺ بعث بها وكفر من خالفها مثل عبادة الله وحده لا شريك له ونهيه عن عبادة أحد سواه من الملائكة والنبيين وغيرهم فإن هذا أظهر شعائر الإسلام ومثل إيجابة الصلوات الخمس وتعظيم شأنها ومثل تحريم الفواحش والزنا والخمر والميسر ، ثم تجد كثيرا من رؤوسهم وقعوا فيها فكانوا مرتدين ، ثم ذكر مسألة تكفير المعين بعد بلوغ الحجة وقال لا نعلم عن واحد من العلماء خلافا فيه

وقال الشيخ أبا بطين في الدرر السنية (١٢/ ٧٢ - ٧٣)، وفي مجموعة الرسائل ١/ ٦٥٩ قال (فالمدعي أن مرتكب الكفر متأولا أو مجتهدا أو مخطئًا أو مقلدا أو جاهلا معذور مخالف للكتاب والسنة والإجماع بلا شك مع أنه لا بد أن ينقض أصله فلو طرد أصله كفر بلا ريب كما لو توقف في تكفير من شك في رسالة مُحَمَّد ﷺ ونحو ذلك).

وقال أيضا: (نقول في تكفير المعين ظاهر الآيات والأحاديث وكلام جمهور العلماء يدل على كفر من أشرك بالله فعبد معه غيره ولم تفرق الأدلة بين المعين وغيره قال تعالى: (إن الله لا يغفر أن يشرك به) وقال تعالى (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) وهذا عام في كل واحد من المشركين ، وجميع العلماء في كتب الفقه يذكرون حكم المرتد وأول ما يذكرون من أنواع الكفر والردة الشرك فقالوا: إن من أشرك بالله كفر ولم يستثنوا الجاهل ، ومن زعم لله صاحبه أو ولدا كفر ولم يستثنوا الجاهل ، ومن قذف عائشة كفر ، ومن استهزأ بالله أو رسله أو كتبه كفر إجماعا لقوله تعالى (لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم) ويذكرون أنواعا كثيرة مجمعا على كفر صاحبها ولم يفرقوا بين المعين وغيره ثم يقولون: فمن ارتد عن الإسلام قتل بعد الاستتابة ، فحكموا بردته قبل الحكم باستتابته ، فالاستتابة بعد الحكم بالردة والاستتابة إنما تكون لمعين ويذكرون في هذا الباب حكم من جحد وجوب واحدة من العبادات الخمس أو استحل شيئًا من المحرمات كالخمر والخنزير ونحو ذلك أو شك فيه يكفر إذا كان مثله لا يجهله ولم يقولوا ذلك في الشرك ونحوه مما ذكرنا بعضه بل أطلقوا كفره ولم يقيدوه بالجهل ولا فرقوا بين المعين وغيره وكما ذكرنا أن الاستتابة إنما تكون لمعين ، وهل يجوز لمسلم أن يشك في كفر من قال إن لله صاحبة أو ولدا أو إن جبريل غلط في الرسالة أو ينكر البعث بعد الموت أو ينكر أحدا من الأنبياء؟ وهل يفرق مسلم بين المعين وغيره في ذلك ونحوه وقد قال ﷺ: من بدل دينه فاقتلوه ، وهذا يعم المعين وغيره) (الدررالسنية ١٠/ ٤٠١)

وقال الشيخ عبد الله وإبراهيم أبناء الشيخ عبد اللطيف وسليمان بن سحمان في الدرر السنية (١٠/ ٤٣٢ ، ٤٣٥) قالوا: (وأما الجهمية وعباد القبور فلا يستدل بمثل هذه النصوص (من صلى صلاتنا ونظائرها من النصوص النبوية) على عدم تكفيره إلا من لم يعرف حقيقة الإسلام وما بعث الله به الرسل الكرام ، لأن حقيقة ما جاءوا به ودعوا إليه وجوب عبادة الله وحده لا شريك له ، وإخلاص العمل له وألا يشرك في واجب حقه أحد من خلقه وأن يوصف بما وصف به نفسه من صفات الكمال ونعوت الجلال فمن خالف ما جاءوا به ونفاه وأبطله فهو كافر ضال وإن قال لا اله إلا الله وزعم أنه مسلم لأن ما قام به من الشرك يناقض ما تكلم به من كلمة التوحيد فلا ينفعه التلفظ بقول لا اله إلا الله لأنه تكلم بما لم يعمل به ولم يعتقد ما دل عليه ، وأما قوله: نقول بأن القول كفر ولا نحكم بكفر القائل فإطلاق هذا جهل صرف لأن هذه العبارة لا تنطبق إلا على المعين).

---

١ لاحظ أن النفي لاسم التكفير ، لا ، لاسم الشرك ،

٢ هذا هو ضابط الأمور الظاهرة ،أحيانا تُسمى المعلوم من الدين بالضرورة .

وقد قال الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الراجحي: (من سب الله أو سب الرسول ﷺ أو سب دينه فهو كافر والساب كافر ؛ لأنه لا عذر له في هذا ، والذي يعذر فيه إنما هي الكلمات التي فيها إيهام ؛ فهذا الذي يفرق فيها بين المقالة والقائل فلو تكلم الإنسان بكلمة موهمة أو كلمة يحتمل أن يكون لصاحبها عذر فهذا الذي يقال فيه بالفرق بين المقالة والقائل فيقال: المقالة كفرية والقائل لا يكفر إلا إذا وجدت الشروط وانتفت الموانع وقامت عليه الحجة ؛ أما من سب الله وسب رسوله ﷺ وسب دينه فهذا أمر واضح لا إشكال في كفره. (أسئلة وأجوبة في الإيمان والكفر) وسيأتى مفصلا.

وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة المجموعة الثانية (ج ١ / ص ٤١٨) تكفير المعين ، السؤال الخامس من الفتوى رقم (١٧٦٢٦)

س: ما حكم تكفير المعين؟

ج: من فعل أو قال أو اعتقد ما يقتضي الكفر حكم بكفره ، وعومل معاملة الكفار ، معينا كان أو غير معين ، لعموم الأدلة ، كمن دعا غير الله أو ذبح لغير الله أو تكلم بكلام الكفر ، كمن سب الله أو رسوله أو استهزأ بشيء من الدين ، فإنه يحكم بكفره ويستتاب ، فإن تاب وإلا وجب على ولي أمر المسلمين قتله مرتدا.

وبالله التوفيق ، وصلى الله على نبينا مُحَّد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو عضو عضو الرئيس

بكر أبو زيد ... عبد العزيز آل الشيخ ... صالح الفوزان ... عبد العزيز بن عبد الله بن باز

وبعد انظر أخي الطالب للحق كيف فرق هؤلاء العلماء الكبار بين أحكام المسائل الظاهرة وأحكام المسائل الخفية وهذا من المباحث والفروق التي لا يعيها مرجئة العصر أدعياء السلفية الخائضين في أبواب العقيدة بغير علم ، بدعوى أنهم بلغوا بما قالوا منتهى العرفان بالايمان وحقه ، وأنهم هم الأجدر بتجديد الدين ورد التلبيس عنه ، لكن الحق أنهم حققوا مبتغى إبليس وجودوا مذاهب جهم بن صفوان بين الكثير من الناس عندما أكثروا من ترديد شبهه في كتبهم يروجونها بين الخلق على أن هذا منتهى الحق ، وأن ما قاله علماء السنة وأنصار التجديد الحقيقي ما هو إلا الغلو والتكفير ولذا نراهم يكثرون الكلام على غير هدى في تقريراتهم ويتخبطون خبط العمي في روحاتهم وجياتهم بتلك المسالك ، عاجزين عن ضبط كلام العلماء فضلا عن تجويد أحكام الله تعالى ورسوله ﷺ في ذلك. (ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى).

وقول المرجئة (إن وقوع العبد في الكفر لايلزم منه وقوع الكفر عليه) هذا من تلبيسهم ووضع كلام العلماء فى غير موضعة ،فإن هذه القاعدة متفق عليها ولكن هذا ليس موضوعها كما أسلفت بل موضوعها المسائل الخفية التي لايعلمها كثير من الناس وهي مسائل أهل البدع مثل الارجاء والقدر والصرف والعطف وغيرها من مقالات أهل البدع والتأويل.

قال شيخ الاسلام رحمه الله: (وَهَذَا إذَا كَانَ فِي الْمَقَالَاتِ الْخَفِيَّةِ فَقَدْ يُقَالُ: إنَّهُ فِيهَا مُخْطِئٌ ضَالٌّ لَمْ تَقُمْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ الَّتِي يَكْفُرُ صَاحِبُهَا ؛ لَكِنَّ ذَلِكَ يَقَعُ فِي طَوَائِفَ مِنْهُمْ فِي الأمور الظَّاهِرَةِ الَّتِي تَعْلَمُ الْعَامَّةُ وَالْخَاصَّةُ مِنْ الْمُسْلِمِينَ أَنَّهَا مِنْ دِينِ الْمُسْلِمِينَ ؛ بَلْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى يَعْلَمُونَ: أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُعِثَ بِهَا وَكَفَّرَ مُخَالِفَهَا ؛ مِثْلُ أَمْرِهِ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَنَهْيُهُ عَنْ عِبَادَةِ أَحَدٍ سِوَى اللَّهِ مِنْ الْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالْكَوَاكِبِ وَالْأَصْنَامِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ؛ فَإِنَّ هَذَا أَظْهَرُ شَعَائِرِ الْإِسْلَامِ وَمِثْلُ أَمْرِهِ بِالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ وَإِيجَابِهِ لَهَا وَتَعْظِيمِ شَأْنِهَا وَمِثْلُ مُعَادَاتِهِ لِلْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالْمُشْرِكِينَ وَالصَّابِئِينَ وَالْمَجُوسِ وَمِثْلُ تَحْرِيمِ الْفَوَاحِشِ وَالرِّبَا وَالْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَنَحْوِ ذَلِكَ. ثُمَّ تَجِدُ كَثِيرًا مِنْ رُؤَسَائِهِمْ وَقَعُوا فِي هَذِهِ الْأُمُورِ فَكَانُوا مُرْتَدِّينَ) (الفتاوى ٤/ ٥٤).

والشاهد من كلامه رحمه الله تفريقه بين من وقع منه كفر في المسائل الظاهرة وبين من وقع منه في المسائل الخفية في التكفير. فقد وصف من وقع منه كفر في المسائل الخفية قبل قيام الحجة بأنه مخطأ ضال.

ووصف من وقع منه كفر في المسائل الظاهرة بالردة والخروج من الإسلام.

وقيام الحجة في المسائل الظاهرة يكون ببلوغ القرآن فمن بلغه القرآن قامت عليه الحجة قال ابن القيم رحمه الله (إن الله سبحانه قد أقام الحجة على خلقه بكتابه ورسله فقال ((تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا)) وقال ((وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ)) فكل من بلغه هذا القرآن فقد أنذر به وقامت عليه حجة الله به) (الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ٢/ ٧٣٥).

أما عن استشهادهم بكلام شيخ الاسلام رحمه الله في (الاستقامة) (١/ ١٦٤ - ١٦٥) (فإن التكفير المطلق مثل الوعيد المطلق لا يستلزم تكفير الشخص المعين حتى تقوم عليه الحجة التي تكفر تاركها كما ثبت في الصحاح عن النبي ﷺ في الرجل الذي قال إذا أنا مت فأحرقوني ثم استحقوني ثم ذروني في اليم فوالله لئن قدر الله على ليعذبني عذابا لا يعذبه أحدا من العالمين فقال الله له ما حملك على ما فعلت قال خشيتك فغفر له فهذا الرجل اعتقد أن الله لا يقدر على جمعه إذا فعل ذلك أو شك وأنه لا يبعثه وكل من هذين الاعتقادين كفر يكفر من قامت عليه الحجة لكنه كان يجهل ذلك ولم يبلغه العلم بما يرده عن جهله وكان عنده إيمان بالله وبأمره ونهيه ووعده ووعيده فخاف من عقابه فغفر الله له بخشيته).

أقول: كلامه رحمه الله جاء في سياق الرد على أهل البدع من الجهمية وغيرهم إذ قال شيخ الاسلام قبل العبارة التي استشهد بهاأهل الإرجاء (والصوفية يوجد فيهم المصيب و المخطئ كما يوجد في غيرهم و ليسوا في ذلك بأجل من الصحابة و التابعين و ليس أحد معصوما في كل ما يقوله إلا رسول الله ﷺ نعم وقوع الغلط في مثل هذا يوجب ما نقوله دائما إن المجتهد في مثل هذا من المؤمنين إن استفرغ وسعه في طلب الحق فإن الله يغفر له خطأه وإن حصل منه نوع تقصير فهو ذنب لا يجب ان يبلغ الكفر وإن كان يطلق القول بأن هذا الكلام كفر كما أطلق السلف الكفر على من قال ببعض مقالات الجهمية مثل القول بخلق القرآن أو إنكار الرؤية أو نحو ذلك مما هو دون إنكار علو الله على الخلق وأنه فوق العرش فإن تكفير صاحب هذه المقالة كان عندهم من أظهر الأمور).

فاذا أمعنت النظر في كلامه رحمه الله زالت عنك الشبه وانكشفت عنك الغمة وانفتح لك باب واسع في فهم كلامه رحمه الله فهو في كل مرة ذكر فيها عدم التكفير الا بثبوت الشروط وانتفاء الموانع كان كلامه في مسائل النزاع أو مسائل أهل البدع أو فيمن لم تبلغهم الدعوة ومما يثبت ذلك احتجاجه رحمه الله بحديث الرجل الذي قال: (إذا أنا مت فأحرقوني ...) فعذر هذا الرجل كان بسبب جهله لمفردات بعض صفات الله وهذه من الأمور التي قد تخفى على بعض الناس في زمن من الأزمان لعدم بلوغ الدعوة ومن المعلوم بداهة أن الجهل بمفردات الصفة الذى لايؤدى إلى الجهل بالله ليس كالجهل بالصفة الذى يؤدى إلى الجهل بالله أو كالجهل بوحدانيته أوبصدق أنبيائه فجاهل هذه لا يتوقف عاقل في كفره.

قال رحمه الله في المجموع (٧/ ٥٣٨): "الجهل ببعض أسماء الله وصفاته لا يكون صاحبه كافرًا إذا كان مقرًا بما جاء به رسول الله - ﷺ -، ولم يبلغه ما يوجب العلم بما جهله على وجه يقتضي كفره إذا لم يعلمه".

وفي مثل هذا يقول الإمام الشافعي رحمه الله: " لله أسماء وصفات لا يسع أحد ردها ، ومن خالف بعد ثبوت الحجة عليه فقد كفر ، وأما قبل قيام الحجة فإنه يعذر بالجهل ، لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل ، ولا الروية والفكر ، فنثبت هذه الصفات وننفي عنه التشبيه كما نفاه عن نفسه ، فقال (ليس كمثله شئ) الشورى ١١ (نقله الذهبي في العلو للعلي الغفار).

قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ: (وأما الذي أمر أهله أن يحرقوه ويذروه ، فهذا لم تقم عليه الحجة التي يكفر مخالفها ، وأهل الفترة لا يقاسون بغيرهم. والشيخ قصده أن الأصول قد يجري فيها ذلك ، وليس المراد أن كل من عرضت له شبهة في الأصول يعذر بها) (منهاج التأسيس١٠٤)

قال الشيخ ابو بطين رحمه الله:

وأما الرجل الذي أوصى أهله أن يحرقوه ، وأن الله غفر له ، مع شكه في صفة من صفات الرب سبحان: فإنما غفر له لعدم بلوغ الرسالة له. كذا قال غير واحد من العلماء. ولهذا قال الشيخ تقي الدين رحمه الله: من شك في صفة من صفات الرب ومثله لا يجهلها: كفر ، وإن كان مثله يجهلها: لم يكفر. قال: ولهذا لم يكفر النبي ﷺ الرجل الشاك في قدرة الله ؛ لأنه لا يكون إلا بعد بلوغ الرسالة. وكذا قال ابن عقيل ، وحمله على أنه لم تبلغه الدعوة.

واختيار الشيخ تقي الدين في الصفات: أنه لا يكفر الجاهل ، وأما في الشرك ونحوه: فلا). (الانتصار لحزب الله الموحدين ص ٤٦ - ٤٧).

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن- رحمه الله- ردا على من استدل من اهل عصره بنصوص شيخ الاسلام في عدم تكفير المعين وكذلك قولهم بإطلاق الكفر على القول دون قائله وعلى الفعل دون فاعله قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن ((وغاية ما موه به هذا الجاهل: ان شيخ الاسلام - رحمه الله - ذكر في أهل المقالات الخفية أنها وإن كانت كفرا لاينبغي أن يكفر صاحبها حتى تقام عليه الحجة وهذا كلامه (فنفي الصفات كفر ، والتكذيب بأن الله لا يرى في الآخرة

كفر ، وإنكار أن يكون الله على العرش كفر) فتكفير المعين من هؤلاء بحيث يحكم عليه بأنه مع الكفار لا يجوز الإقدام عليه إلا أن تقوم عليه الحجة التي يتبي بها انهم مخطئون)) (فتاوى الائمة النجدية ٣/ ١٤٣)

فلابد من التفريق بين جهل بالصفة يؤدى إلى الجهل بالموصوف سبحانه وهذا كفر ظاهر ،وبين جهل بمفردات الصفة لايؤدى إلى الجهل بالموصوف سبحانه وتعالى كما فى المقالات الخفية ،كما سبق بيانه .

شبهة واعتراض آخر

إعتراض البعض بأن ثبوت اسم الشرك للمشرك قبل الرسالة مع الجهل أو العلم لا يلزم منه ثبوته بعد الرسالة للمسلمين المقرين اصلا بالرسالة والذين ثبت لهم عقد الإسلام ثم اشركوا بعد ذلك...

أقول إن هذا الإعتراض قد يكون وجيها إذا كان الكلام عن شريعة من الشرائع التي جائت بها الرسل ،فمن المعلوم ان شرائع الأنبياء والرسل عليهم جميعا وعلى نبينا وآله وصحبه الصلاة والسلام مختلفة عن بعضها لقوله سبحانه " لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا" وحينئذ قد يقال " شرع من قبلنا ليس شرعا لنا "أو غير ذلك

أما ما نحن بصدده أقصد الكلام عن (التوحيد والشرك) فهو مما تتفق فيه جميع الرسالات فهو الإسلام العام الذي خاطب به جميع الرسل اقوامهم وهو أصل الدين وهو إخلاص العبادة لله تعالى قال سبحانه : "وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إلا أَنَا فَاعْبُدُونِ " وقال سبحانه " ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت " هذا في إثبات التوحيد ووجوب عبادة الله وحده اما في الشرك فقال سبحانه مخاطبا رسوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم : " وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ "وقال سبحانه "ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون" بل إن المقررات لدينا ومن أصول عقيدتنا وديننا من أن الشرك مما لا يغفره الله وأنه يخلد في النار قد جاء في سياق مخاطبة أهل الكتاب وعلى لسان عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام قال تعالى : "يأيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بمانزلنا مصدقاً لما معكم من قبل أن نطمس وجوهاً فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت وكان أمر الله مفعولاً * إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا" ، وقال سبحانه "وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار"

ولهذا لما ذكر ابن القيم رحمه الله طبقة المقلدين وجهال الكفرة حيث قال : (طبقة المقلدين وجهال الكفرة وأتباعهم وحميرهم الذين هم معهم تبعا لهم يقولون إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على أسوة بهم ومع هذا فهم متاركون لأهل الإسلام غير محاربين لهم كنساء المحاربين وخدمهم وأتباعهم الذين لم ينصبوا أنفسهم لما نصبت له أولئك أنفسهم من السعي في إطفاء نور الله وهدم دينه وإخماد كلماته بل هم بمنزلة الدواب وقد اتفقت الأمة على أن هذه الطبقة كفار وإن كانوا جهالا مقلدين لرؤسائهم..) قرر بعد ذلك رجوع هذا الكفر لحقيقة الإسلام الواحدة والمتفق عليها بين جميع الأمم فقال (والإسلام هو توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له والإيمان بالله وبرسوله واتباعه فيما جاء به فما لم يأت العبد بهذا فليس بمسلم وإن لم يكن كافرا معاندا فهو كافر جاهل ...) فإذا اشرك المسلم وعبد غير الله تقليدا واتباعا لغيره من الآباء أو الرؤساء فنقول مثل ما قال ابن القيم رحمه الله انه لم يأت بحقيقة دين الإسلام القائم على توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له والإيمان بالله وبرسوله واتباعه فيما جاء به فما لم يأت العبد بهذا فليس بمسلم وإن لم يكن كافرا معاندا فهو كافر جاهل ..ولذا فإن الإعتراض على ان بعض الايات أو اقوال بعض العلماء في الكفار الأصليين أو فيمن قبلنا من أهل الكتاب والمشركين ليس بوجيها او محل نظر ..والله أعلم

وبهذا يظهر أن نصوص شيخ الإسلام ابن تيمية في اطلاق اسم الكفر على القول دون القائل أو الفعل دون الفاعل خاصة بأهل البدع والأهواء المتنازع في تكفيرهم وليست في الكفر الأكبر أو المسائل الظاهرة وأن الاحتجاج بنصوص شيخ الاسلام في عدم تكفير المعين في المسائل الظاهرة هو احتجاج فاسد وشبهة قديمة من شبهات أهل الإرجاء.

إجابات الشيخ ابن باز-رحمه الله- حول مسألة العذر بالجهل في شرحه لكتاب كشف الشبهات

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

س: الإختلاف في مسائل العذر بالجهل هل من المسائل الخلافية ؟

ج : مسألة عظيمة ، والأصل فيها أنه لا يعذر من كان بين المسلمين من بلغه القرآن والسنة ، ما يعذر.

الله جل وعلا قال :" وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ " ، من بلغه القرآن والسنة غير معذور ، إنما أوتي من تساهله وعدم مبالاته.

س : لكن هل يقال هذه مسألة خلافية ؟

ج : ليست خلافية إلا في الدقائق التي قد تخفى مثل قصة الذي قال لأهله حرقوني . صـ ٢٦ –٢٧

س : كثير من المنتسبين للسلفية يشترطون في إقامة الحجة أن يكون من العلماء فإذا وقع العامي على كلام كفر يقول ما نكفره ؟

ج : إقامة الدليل كل على حسب حاله.

س: هل يجب على العامي أن يكفر من قام كفره أو قام فيه الكفر ؟

ج: إذا ثبت عليه ما يوجب الكفر كفره ما المانع ؟!

إذا ثبت عنده ما يوجب الكفر كفره مثل ما نكفر أبا جهل وأبا طالب وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ، والدليل على كفرهم أن الرسول ﷺ قاتلهم يوم بدر.

س: يا شيخ العامي يمنع من التكفير ؟

ج : العامي لا يكفِّر إلا بالدليل ، العامي ما عنده علم هذا المشكل ، لكن الذي عنده علم بشيء معين مثل من جحد تحريم الزنا هذا يكفر عند العامة والخاصة ، هذا ما فيه شبهة ، ولو قال واحد : إن الزنا حلال ، كفر عند الجميع هذا ما يحتاج أدلة ، أو قال : إن الشرك جائز يجيز للناس أن يعبدوا غير الله هل أحد يشك في هذا ؟! هذا ما يحتاج أدلة ، لو قال : إن الشرك جائز يجوز للناس أن يعبدوا الأصنام والنجوم والجن كفر.

التوقف يكون في الأشياء المشكلة التي قد تخفى على العامي .صـ ٣٤

س : ما يعرف أن الذبح عبادة والنذر عبادة!

ج : يعلَّم ، الذي لا يعرف يعلَّم ، والجاهل يعلَّم.

س : هل يحكم عليه بالشرك ؟

ج : يحكم عليه بالشرك ، ويعلَّم أما سمعت الله يقول :"أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا"

قال جل وعلا :" ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون." ما وراء هذا تنديدا لهم ،نسأل الله العافية .صـ ٤٢

س : من نشأ ببادية أو بيئة جاهلية ؟

ج : يعلَّم أن هذا شرك أكبر حتى يتوب ، يقال له هذا شرك أكبر عليك بالتوبة إلى الله ، مثل ما كان المشركون يطوفون بالقبور ونصبوا عند الكعبة ثلاثمائة صنم وأرشدهم النبي ﷺ فالذي أجاب وهداه الله فالحمد لله والذي ما أجاب مشرك هذا وأغلبهم جهال ، خرجوا إلى بدر جهال ، وإلى أحد جهال ،تابعوا رؤساءهم.

قال الله جل وعلا :" أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا" مع هذا حكم عليهم بالكفر .صـ ٥٥ - ٥٦

س : يذكر العلماء في أهل البادية أن الأعرابي قد يعذر فما هي المسائل التي قد يعذر فيها صاحب البادية ؟ وهل هذا خاص بزمن النبي ﷺ عند بداية الإسلام ؟.

ج : يعذر الأعرابي وغير الأعرابي بالشيء الذي يمكن جهله مثل بعض أركان الصلاة ، بعض أركان الزكاة ، بعض المفطرات.

أما إذا جحد الصلاة رأسا وقال :لا أصلي ، أو جحد الصيام رأسا وقال لا أصوم رمضان ، ما يعذر لأن هذا الشيء معلوم من الدين بالضرورة كل مسلم يعرف هذا أو جحد شروط الحج أو أن عرفة من واجبات الحج ومن أعمال الحج لأنه قد يخفى عليه ، لكن يقر بالحج أنه فرض مثل هذه قد تخفى على العامي.

س : يذكر يا شيخ –أحسن الله إليك –عن بعضهم أنه ما يعرف الجنابة ، وأنه ما يغتسل منها .

ج : يعلَّم ، العامي قد لا يفهم خصوصا بعض النساء ، يعلَّم ولا يكفر.

س : من وصلته كتب منحرفة ليست فيها عقيدة ولا توحيد هل يعذر بالجهل ؟

ج : إذا كان بين المسلمين ما يعذر بالشرك أما الذي قد يخفى مثل بعض واجبات الحج أو واجبات العمرة أو واجبات الصيام أو الزكاة بعض أحكام البيع ، وبعض أمور الربا ، قد يعذر وتتلبس عليه الأمور.

لكن أصل الدين كونه يقول أن الحج غير مشروع أو الصيام غير واجب أو الزكاة غير واجبة ، هذا لا يخفى على المسلمين ، هذا شيء معلوم من الدين بالضرورة.

س : لو قال لا بد أن تتوفر شروط فيمن أُريد تكفيره بعينه وتنتفي الموانع ؟

ج : مثل هذه الأمور الظاهرة ما يحتاج فيها شيء ، يكفر بمجرد وجودها ، لأن وجودها لا يخفى على المسلمين ، معلوم بالضرورة من الدين بخلاف الذي قد يخفى مثل شرط من شروط الصلاة ، بعض الأموال التي تجب فيها الزكاة ، تجب أو لا تجب ، بعض شؤون الحج ، بعض شؤون الصيام ، بعض شؤون المعاملات ، بعض مسائل الربا . صـ ٩٩ — ١٠٠ .

س : بعض الناس يقول : المعين لا يكفر.

ج : هذا من الجهل ، إذا أتى بمكفر يكفر .صـ ١١٧

س : يا شيخ جملة من المعاصرين ذكروا أن الكافر من قال الكفر أو عمل بالكفر فلا يكفر حتى تقام عليه الحجة ، ودرجوا عباد القبور في هذا ؟

ج : هذا من جهلهم عباد القبور كفار ، واليهود كفار والنصارى كفار ولكن عند القتل يستتابون ، فإن تابوا وإلا قتلوا.

س : يا شيخ مسألة قيام الحجة ؟

ج : بلغهم القرآن ،هذا بلاغ للناس ، القرآن بلغهم وبين المسلمين "وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ " هذا بلاغ للناس " ، " يا أيها الرسول بلغ "

قد بلغ الرسول ، وجاء القرآن وهم بين أيدينا يسمعونه في الإذاعات ويسمعون في غيرها ، ولا يبالون ولا يلتفتون ، وإذا جاء أحد ينذرهم ينهاهم آذوه ، نسأل الله العافية

س : حديث الرجل الذي قال إذا مت حرقوني ؟

ج : هذا جهل بعض السنن من الأمور الخفية من كمال القدرة ، جهلها فعذر حمله على ذلك خوف الله ، وجهل تمام القدرة فقال لأهله ما قال و(فرق بين جهل بالصفة ،وجهل بمفردات الصفة)

س: سجود معاذ للنبي ﷺ ؟

ج : هذا إن صح في صحته نظر ، لكن معاذ لو صح ظن أن هذا إذا جاز لكبار قادة المشركين هناك فالنبي أفضل ، هذا له شبهة في أول الإسلام ، لكن استقر الدين وعرف أن السجود لله ،وإذا كان هذا أشكل على معاذ في أول الأمر لكن بعده ما يشكل على أحد . صـ ١٢٦ — ١٢٧

فحديث سجود معاذ ضعيف لايحتج به –كما قال العلماء - فلم يذهب معاذ إلى الشام فى حياة النبى ﷺ هذه واحدة ،والثانية أن هناك فرق بين سجود العبادة الذى هو شرك أكبر ومحال أن يقع فيه أعلم الأمة معاذ رضى الله عنه ،وفرق بين سجود التحية الذى كان جائزاًفى الأمم السابقة كسجود الملائكة لأدم ،وسجود أهل يوسف وهذا كان تحية فى شرع من قبلنا

من كتاب شرح كشف الشبهات للشيخ العلامة عبد العزيز ابن باز –رحمه الله –طبعة مكتبة الهدي المحمدي –مصر

من هو الذي يعذر بالجهل في العقيدة والأمور الفقهية؟

الأخ: م . ص من جمهورية مصر العربية يقول في سؤاله: من هم الذين يعذرون بالجهل؟ وهل يعذر الإنسان بجهله في الأمور الفقهية؟ أم في أمور العقيدة والتوحيد؟ وما هو واجب العلماء نحو هذا الأمر؟

دعوى الجهل والعذر به فيه تفصيل ، وليس كل واحد يعذر بالجهل ، فالأمور التي جاء بها الإسلام وبينها الرسول للناس وأوضحها كتاب الله وانتشرت بين المسلمين لا تقبل فيها دعوى الجهل ، ولا سيما ما يتعلق بالعقيدة وأصل الدين ، فإن الله عز وجل بعث نبيه ﷺ ليوضح للناس دينهم ويشرحه لهم ، وقد بلغ البلاغ المبين وأوضح للأمة حقيقة دينها ، وشرح لها كل شيء ، وتركها على المحجة البيضاء ليلها كنهارها ، وفي كتاب الله الهدى والنور فإذا ادعى بعض الناس الجهل فيما هو معلوم من الدين بالضرورة ، وقد انتشر بين المسلمين ، كدعوى الجهل بالشرك وعبادة غير الله عز وجل ، أو دعوى أن الصلاة غير واجبة ، أو أن صيام رمضان غير واجب أو أن الزكاة غير واجبة ، أو أن الحج مع الاستطاعة غير واجب ، فهذا وأمثاله لا تقبل فيه دعوى الجهل ممن هو بين المسلمين ؛ لأنها أمور معلومة بين المسلمين. وقد عُلِمت بالضرورة من دين الإسلام وانتشرت بين المسلمين فلا تقبل دعوى الجهل في ذلك ، وهكذا إذا ادعى أحد بأنه يجهل ما يفعله المشركون عند القبور أو عند الأصنام من دعوة الأموات والاستغاثة بهم والذبح لهم والنذر لهم ، أو الذبح للأصنام أو الكواكب أو الأشجار أو الأحجار ، أو طلب الشفاء أو النصر على الأعداء من الأموات أو الأصنام أو الجن أو الملائكة أو الأنبياء .. فكل هذا أمر معلوم من الدين بالضرورة ، وأنه شرك أكبر ، وقد أوضح الله ذلك في كتابه الكريم وأوضحه رسوله ﷺ ، وبقي ثلاث عشرة سنة في مكة وهو ينذر الناس هذا الشرك وهكذا في المدينة عشر سنين ، يوضح لهم وجوب إخلاص العبادة لله وحده ويتلو عليهم كتاب الله مثل قوله تعالى: وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إلا إِيَّاهُ[١] ، وقوله سبحانه: إِيَّاكَ نَعْبُدُ

وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ[٢]، وقوله عز وجل: وَمَا أُمِرُوا إلا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ[٣]، وقوله سبحانه: فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ[٤]، وقوله سبحانه: قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ[٥]، وبقوله سبحانه مخاطبا الرسول ﷺ: إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ[٦]، وبقوله سبحانه وتعالى: وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا[٧]، وبقوله سبحانه وتعالى: وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ[٨]، وهكذا الاستهزاء بالدين والطعن فيه والسخرية به والسب كل هذا من الكفر الأكبر ومما لا يعذر فيه أحد بدعوى الجهل ؛ لأنه معلوم من الدين بالضرورة أن سب الدين أو سب الرسول ﷺ من الكفر الأكبر وهكذا الاستهزاء والسخرية ، قال تعالى: قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ[٩: التوبة].

فالواجب على أهل العلم في أي مكان أن ينشروا هذا بين الناس ، وأن يظهروه حتى لا يبقى للعامة عذر ، وحتى ينتشر بينهم هذا الأمر العظيم ، وحتى يتركوا التعلق بالأموات والاستعانة بهم في أي مكان في مصر أو الشام أو العراق أو في المدينة عند قبر النبي ﷺ أو في مكة أو غير ذلك ، وحتى ينتبه الحجيج وينتبه الناس ويعلموا شرع الله ودينه ، فسكوت العلماء من أسباب هلاك العامة وجهلهم ، فيجب على أهل العلم أينما كانوا أن يبلغوا الناس دين الله ، وأن يعلموهم توحيد الله وأنواع الشرك بالله حتى يدعوا الشرك على بصيرة ، وحتى يعبدوا الله وحده على بصيرة ، وهكذا ما يقع عند قبر البدوي أو الحسين رضي الله عنه ، أو عند قبر الشيخ عبد القادر الجيلاني ، أو عند قبر النبي ﷺ في المدينة ، أو عند غيرهم يجب التنبيه على هذا الأمر وأن يعلم الناس أن العبادة حق لله وحده ليس لأحد فيها حق كما قال الله عز وجل: وَمَا أُمِرُوا إلا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ[١٠]، وقال سبحانه: فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ * أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ[١١]، وقال سبحانه: وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إلا إِيَّاهُ[١٢] يعنى أمر ربك ، فالواجب على أهل العلم في جميع البلاد الإسلامية وفي مناطق الأقليات الإسلامية وفي كل مكان أن يعلموا الناس توحيد الله ، وأن يبصروهم بمعنى عبادة الله وأن يحذروهم من الشرك بالله عز وجل الذي هو أعظم الذنوب ، وقد خلق الله الثقلين ليعبدوه وأمرهم بذلك ، لقوله سبحانه: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إلا لِيَعْبُدُونِ[١٣]، وعبادته هي: طاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وإخلاص العبادة له وتوجيه القلوب إليه ، قال تعالى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ[١٤]

أما المسائل التي قد تخفى مثل بعض مسائل المعاملات وبعض شؤون الصلاة وبعض شؤون الصيام فقد يعذر فيها الجاهل ؟ كما عذر النبي ﷺ الذي أحرم في جبة وتلطخ بالطيب فقال له النبي ﷺ: ((اخلع عنك الجبة واغسل عنك هذا الطيب واصنع في عمرتك ما أنت صانع في حجتك))، ولم يأمره بفدية لجهله ، وهكذا بعض المسائل التي قد تخفى يعلم فيها الجاهل ويبصر فيها ، أما أصول العقيدة وأركان الإسلام والمحرمات الظاهرة فلا يقبل في ذلك دعوى الجهل من أي أحد بين المسلمين فلو قال أحد ، وهو بين المسلمين ، إنني ما أعرف أن الزنا حرام فلا يعذر ، أو قال ما أعرف أن عقوق الوالدين حرام فلا يعذر بل يضرب ويؤدب ، أو قال: ما أعرف أن اللواط حرام فلا يعذر ؛ لأن هذه أمور ظاهرة معروفة بين المسلمين في الإسلام .

لكن لو كان في بعض البلاد البعيدة عن الإسلام أو في مجاهل أفريقيا التي لا يوجد حولها مسلمون قد يقبل منه دعوى الجهل وإذا مات على ذلك يكون أمره إلى الله ، ويكون حكمه حكم أهل الفترة ، والصحيح أنهم يمتحنون يوم القيامة ، فإن أجابوا وأطاعوا دخلوا الجنة وإن عصوا دخلوا النار ، أما الذي بين المسلمين ويقوم بأعمال الكفر بالله ويترك الواجبات المعلومة ، فهذا لا يعذر ؛ لأن الأمر واضح والمسلمون بحمد الله موجودون ، ويصومون ويحجون ويعرفون أن الزنا حرام وأن الخمر حرام وأن العقوق حرام وكل هذا معروف بين المسلمين وفشا بينهم ، فدعوى الجهل في ذلك دعوى باطلة ، والله المستعان

هل هناك عذر بالجهل في أمور التوحيد التي هي صلب الدين؟ وما حكم تكفير المعين لمن يقع في الأمور الشركية بجهل ؟

أمور التوحيد ليس فيها عذر ما دام موجوداً بين المسلمين ، أما من كان بعيداً عن المسلمين وجاهلاً بذلك فهذا أمره إلى الله ، وحكمه حكم أهل الفترات يوم القيامة ، حيث يمتحن ، أما من كان بين المسلمين ويسمع قال الله وقال رسوله ، ولا يبالي ولا يلتفت ، ويعبد القبور ويستغيث بها ، أو يسب الدين فهذا كافر ، يكفر بعينه ، كقولك فلان كافر ، وعلى ولاة الأمور من حكام المسلمين أن يستتيبوه فإن تاب وإلا قتل كافراً ، وهكذا من يستهزئ بالدين ، أو يستحل ما حرم الله ، كأن يقول الزنا حلال أو الخمر حلال ، أو تحكيم القوانين الوضعية حلال ، أو الحكم بغير ما أنزل الله حلال ، أو أنه أفضل من حكم الله ، كل هذه ردة عن الإسلام نعوذ بالله من ذلك ، فالواجب على كل حكومة إسلامية أن تحكم بشرع الله ، وأن تستتيب من وجد منه ناقض من نواقض الإسلام من رعيتها فإن تاب وإلا وجب قتله ، لقول النبي ﷺ: ((من بدل دينه فاقتلوه)) أخرجه البخاري في صحيحه ، وفي الصحيحين عن معاذ بن جبل رضي

الله عنه أنه أمر بعض الولاة بقتل المرتد إذا لم يتب وقال: (إنه قضاء الله ورسوله) والواجب أن يكون ذلك بواسطة ولي الأمر بواسطة المحاكم الشرعية حتى ينفذ حكم الله على علم وبصيرة بواسطة ولاة الأمر أصلح الله حال الجميع إنه سميع قريب.

سماحة الشيخ: أرجو توضيح هذه العبارة من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- قال رحمه الله: (إن القول قد يكون كفراً؛ فيطلق القول بتكفير صاحبه، ويقال: من قال كذا فهو كافر، لكن الشخص المعين لا يحكم بكفره، حتى تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها).

نعم، هذا هو الصواب، فإذا سب الله أو سب الرسول -عليه الصلاة والسلام-، أو استهزأ بالدين كفر، لكن إذا كان في بلاد يجهل هذا، يعلم، أن هذا ما يجوز وأن هذا كفر، إذا كان يظن أنه جاهل به، ليس بين المسلمين بل في بلاد الكفرة، بلاد غريبة عن الإسلام، يظن أنه يخفى عليه الأمر يبين له، فإذا عاد إلى هذا بعدما يبين له أن هذا حرام، وأن هذا لا يجوز يكفر، من سب الله أو سب الرسول -ﷺ-، أو سب الدين، أو سب الإسلام، يكون كفراً أكبر. وهكذا لو سجد لغير الله، سجد للقبور، وما عنده مسلمون يرشدونه في بلاد الكفرة يعلم، حتى يفهم أن هذا منكر، وأنه ما يجوز، كما قال الله -جل وعلا-: وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً [(١٥) سورة الإسراء .[أريد تفسيراً لقاعدة (كُفْر المعيَّن)؟

يمكن أن يقال في هذا: أن المعين يكفر إذا تعاطي أسباب الكفر فإنه يكفر كفراً معيناً، فإذا علم أنه يسب الدين أو يسب الرسول -ﷺ- أو يترك الصلاة عمداً أو جَحْداً لوجوبها فيقال: فلان كافر لما أظهره من الكفر، لكن عند قتله لا بد أن يستتاب لعله يندم لعله يرجع، فإن تاب وإلا قتل على الصحيح الذي عليه جمهور أهل العلم أنه يقتل؛ لقول النبي -ﷺ-: (من بدل دينه فاقتلوه) وقال بعض أهل العلم يسجن ويعذب حتى يموت أو يتوب، والصواب الذي عليه جمهور أهل العلم أنه لا يسجن إلا ريثما يستتاب فقط، فإذا تاب فالحمد لله، وإن لم يتب وجب قتله بعد الاستتابة، وذهب كثيرٌ من أهل العلم إلى أنه يستتاب ثلاثة أيام يضيق عليه ثلاثة أيام؛ لعله ينتبه لعله يرجع، فإن لم يمهل ثلاثة أيام بل استتيب ثم قتل في الحال إن لم يتب فلا بأس في ذلك، لكن يستتاب ثلاثة أيام أولى كما جاء ذلك عن عمر -رضي الله عنه- كونه يستتاب ثلاثة أيام يكون له فيها فسحة لعله يتراجع لعله يندم لعله يتذكر ما فيه سعادته، فالحاصل أن من أتى بأعمال الكفر كُفِّر بعينه يقال: هذا كافر، إلا إذا كان مثله يجهل ذلك كالذين عاشوا في بلادٍ بعيدة عن الإسلام كمجاهل أفريقيا وأمريكا ونحو ذلك هؤلاء لا بد أن يُعلَّموا ويوجهوا ويبصروا حتى إذا عرفوا ذلك ثم استمروا على الكفر كفروا.

وإلا فالذي بين أهل الإسلام ويسمع الآيات ويسمع الأحاديث أو في أمور ظاهرة لا تخفى على أهل الإسلام كالزنا ونحوه فهذا يكفر كفراً معيناً إذا قال: الزنا حلال أو الخمر حلال والربا حلال، فقد كذب الله وكذب رسوله فيكون كافراً، أو قال: الصلاة ما هي بواجبة أو الزكاة ما هي بواجبة أو صوم رمضان ما هو بواجب على المكلفين فهذا مكذب لله ورسوله، شيء معلوم من الدين بالضرورة فيكون كافراً، لكن إذا استتيب قبل أن يقتل فهذا هو المشروع، يستتاب قبل أن يقتل، تجعل له مدة ثلاثة أيام لعله يتراجع لعله يتوب-

وقال الشيخ ابن باز (رحمه الله) الأمور قسمان قسم يعذر فيه بالجهل وقسم لا يعذر فيه بالجهل فإذا كان من أتى ذلك بين المسلمين وأتى الشرك بالله وعبد غير الله فإنه لا يعذر لأنه مقصر لم يسع ولم يتبصر في دينه فيكون غير معذور في عبادته غير الله. فتاوى ابن باز(ج٤/٢٦-٢٧)

الخاتمة

يلزم على القول بالعذر بالجهل في الشرك الأكبر لوازم باطلة، منها...

١) يلزم إعذار جهلة اليهود والنصارى وعوامهم، وهذا خلاف الإجماع.

٢) يلزم إعذار أهل الفترات أو بعضهم لجهلهم، وهذا خلاف الإجماع.

٣) يلزم إعذار جهلة المنافقين وعوامهم، وهذا خلاف إجماع السلف.

٤) يلزم إعذار كل من أنكر ربوبية الله جهلا، وهذا خلاف إجماع السلف.

٥) يلزم إعذار من أنكر علم الله جهلا أو تأويلا ، وهذا خلاف إجماع السلف.

٦) يلزم إعذار من عطل أسماء الله أو صفاته جهلا من الجهمية ، وهذا خلاف إجماع السلف.

٧) يلزم على هذا القول أن الحجة لم تقم على أحد من هذه الأمة لا بالرسول ولا بالقرآن.

قال الشيخ ابن سحمان في توضيح بطلان اللوازم السابقة ، قال في كتابه "كشف الشبهتين": (فإن المنع من التكفير والتأثيم بالخطأ في هذا كله - أي الشرك الأكبر - رد على من كفر معطلة الذات ومعطلة الربوبية ومعطلة الأسماء والصفات ومعطلة إفراده تعالى بالإلهية ، والقائلين بأن الله لا يعلم الكائنات قبل كونها ، كغلاة القدرية ، ومن قال بإسناد الحوادث إلى الكواكب العلوية ، ومن قال بالأصلين النور والظلمة ، فإن من التزم هذا كله ؛ فهو أكفر وأضل من اليهود والنصارى)(١) اهـ

والحمد لله رب العالمين و صلى الله على نبينا مُحَمَّد صلى الله وعلى آله وصحبه أجمعين.

الباب السادس
مسألة كفر تارك الصلاة

إجماع الصحابة على كفر تارك الصلاة

ووجه الاستدلال بهذا الإجماع في مسألتنا: أن تارك أعمال الجوارح بالكلية تارك للصلاة ضمنا ، فإذا ثبت إجماعهم على كفر تارك الصلاة وحدها ، كان كفر تارك العمل الظاهر كله أحق وأولى بالإجماع.

وقد حكى هذا الإجماع جماعة من الصحابة والأئمة الذين لم يُعرفوا بالتساهل في نقل الإجماع ، ومنهم:

١- جابر بن عبدالله رضي الله عنه: وقد سأله مجاهد بن جبر: ما كان يفرق بين الكفر والإيمان عندكم من الأعمال على عهد رسول الله ﷺ؟ قال: الصلاة.

٢- أبو هريرة رضي الله عنه: عن عبدالله بن شقيق عن أبي هريرة قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ لا يرون شيئا من الأعمال تركه كفرا غير الصلاة.

٣- الحسن البصري: قال: بلغني أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يقولون: بين العبد وبين أن يشرك فيكفر أن يدع الصلاة من غير عذر.

٤- عبدالله بن شقيق: قال: لم يكن أصحاب النبي ﷺ يرون شيئا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة.

٥- أيوب السختياني: قال: ترك الصلاة كفر لا يختلف فيه.

٦- إسحاق بن راهويه: قال الإمام مُحَمَّد بن نصر: سمعت إسحاق يقول: قد صح عن رسول الله ﷺ أن تارك الصلاة كافر ، وكذلك كان رأي أهل العلم من لدن النبي ﷺ إلى يومنا هذا أن تارك الصلاة عمدا من غير عذر حتى يذهب وقتها كافر..

وقال ابن رجب: (وكثير من علماء أهل الحديث يرى تكفير تارك الصلاة ، وحكاه إسحاق بن راهويه إجماعا منهم حتى إنه جعل قول من قال: لا يكفر بترك هذه الأركان مع الإقرار بها من أقوال المرجئة ، وكذلك قال سفيان بن عيينة...).

٧- مُحَمَّد بن نصر المروزي: قال: (قد ذكرنا في كتابنا هذا ما دل عليه كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ من تعظيم قدر الصلاة وإيجاب الوعد بالثواب لمن قام بها ، والتغليظ بالوعيد على من ضيعها ، والفرق بينها وبين سائر الأعمال في الفضل ، وعظم القدر. ثم ذكرنا الأخبار المروية عن النبي ﷺ في إكفار تاركها ، وإخراجه إياه من الملة ، وإباحة قتال من امتنع من إقامتها ، ثم جاءنا عن الصحابة مثل ذلك ، ولم يجئنا عن أحد منهم خلاف ذلك)

---

(١)"كتاب المتممة لكلام أئمة الدعوه فى مسألة الجهل فى الشرك الأكبر "الشيخ/على بن خضيرالخضير.

٨- ابن تيمية: قال في بيان أدلة تكفير تارك الصلاة ، بعد ذكر أدلة من الكتاب والسنة ، وبيان أنه القول المنقول عن جمهور السلف: (ولأنّ هذا إجماع الصحابة. قال عمر لما قيل له وقد خرج إلى الصلاة: نعم ولا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة وقصته في الصحيح ، وفي رواية عنه قال: لا إسلام لمن لم يصل رواه النجاد ، وهذا قاله بمحضر من الصحابة).

٩- ابن القيم: وقد ذكر أن من كفر تارك الصلاة استدل بالكتاب والسنة وبإجماع الصحابة ، ثم قال: (وأما إجماع الصحابة ، فقال ابن زنجويه: حدثنا عمر بن الربيع حدثنا يحيى بن أيوب عن يونس عن ابن شهاب قال: حدثني عبيد الله بن عبدالله بن عتبة أن عبدالله بن عباس أخبره أنه جاء عمر بن الخطاب حين طعن في المسجد ، قال: فاحتملته أنا ورهط كانوا معي في المسجد حتى أدخلناه بيته. قال: فأمر عبدالرحمن بن عوف أن يصلي بالناس. قال: فلما دخلنا على عمر بيته غشي عليه من الموت ، فلم يزل في غشيته حتى أسفر ، ثم أفاق فقال: هل صلى الناس ؟ قال: فقلنا: نعم ، فقال: لا إسلام لمن ترك الصلاة ، وفي سياق آخر:لا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة ثم دعا بوضوء فتوضأ وصلى ، وذكر القصة. فقال هذا بمحضر من الصحابة ولم ينكروه عليه. وقد تقدم مثل ذلك عن معاذ بن جبل ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبي هريرة ، ولا يعلم عن صحابي خلافهم) ثم قال ابن القيم في خاتمة الفصل الذي جعله في الحكم بين الفريقين: (ومن العجب أن يقع الشك في كفر من أصر على تركها ودعي إلى فعلها على رؤوس الملأ وهو يرى بارقة السيف على رأسه ، ويُشد للقتل ، وعصبت عيناه ، وقيل له: تصلي وإلا قتلناك ، فيقول: اقتلوني ولا أصلي أبدا. ومن لا يكفر تارك الصلاة يقول: هذا مؤمن مسلم ، يغسّل ويصلى عليه ويدفن في مقابر المسلمين وبعضهم يقول: إنه مؤمن كامل الإيمان إيمانه كإيمانه جبريل وميكائيل! فلا يستحي من هذا قوله ، من إنكاره تكفير من شهد بكفره الكتاب والسنة واتفاق الصحابة. والله الموفق).

١٠- الشيخ حمد بن ناصر بن معمر ، قال: (فهذه الأحاديث كما ترى ، صريحة في كفر تارك الصلاة ، مع ما تقدم من إجماع الصحابة ، كما حكاه إسحاق بن راهويه ، وابن حزم ، وعبد الله بن شقيق ، وهو مذهب جمهور العلماء من التابعين ومن بعدهم).

١١- الشيخ مُحَّد بن إبراهيم ، قال: (فقد وصلني كتابك الذي تستفتي به عن الرجل الذي وعظ في أحد المساجد وقال: من ترك الصلاة تهاونًا وكسلا يقتل. وتسأل عن كلام العلماء في ذلك ؟

فالجواب: الحمد لله. ذهب إمامنا أحمد بن حنبل والشافعي في أحد قوليه وإسحاق بن راهويه ، وعبدالله بن المبارك والنخعي والحكم وأيوب السختياني وأبو داود الطيالسي وغيرهم من كبار الأئمة والتابعين إلى أن تاركها كافر. وحكاه إسحق بن راهويه إجماعًا ، ذكره عنه الشيخ أحمد بن حجر الهيثمي في شرح الأربعين ، وذكره في كتاب (الزواجر عن اقتراف الكبائر) عن جمهور الصحابة. وقال الإمام أبو مُحَّد بن حزم: سائر الصحابة ومن بعدهم من التابعين يكفرون تارك الصلاة مطلقًا ، ويحكمون عليه بالارتداد منهم أبو بكر وعمر وابنه عبدالله وعبدالله بن مسعود وابن عباس ومعاذ وجابر وعبد الرحمن بن عوف وأبو الدرداء وأبو هريرة وغيرهم من الصحابة ولا نعلم لهم مخالفًا من الصحابة ، واحتجوا على كفر تاركها بما رواه مسلم في (صحيحه) عن جابر بن عبدالله ، قال قال رسول الله ﷺ: ((بَيْن الرَّجل وَبَيْن الشِّرْكِ وَالكُفر تَرْكُ الصَّلاةِ)) ، وعن بريدة بن الحصيب قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((الْعَهدُ الَّذِيْ بَيْننا وَبَيْنهُمْ الصَّلاةُ فمَن ترَكها فقدْ كفرَ)) رواه الإمام أحمد وأهل السنن.... وعن معاذ مرفوعًا ((مَن تَرَكَ صَلاَةً مَكتُوْبَةً مُتَعَمِّدًا فَقَدْ بَرِئَت مِنهُ ذِمَّةُ اللهِ)) ، وعن عبدالله بن شقيق العقيلي قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ لا يرون شيئًا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة. رواه الترمذي. فهذه الأحاديث كما ترى صريحة في كفر تارك الصلاة مع ما تقدم من إجماع الصحابة ، كما حكاه إسحق بن راهويه وابن حزم وعبدالله بن شقيق ، وهو مذهب جمهور العلماء والتابعين ومن بعدهم).

١٢- الشيخ عبدالعزيز بن باز ، قال: (... ولهذا ذكر عبدالله بن شقيق العقيلي التابعي الجليل ، عن أصحاب النبي ﷺ: أنهم كانوا لا يرون شيئًا تركه كفر غير الصلاة ، فهذا يدل على أن تركها كفر أكبر بإجماع الصحابة ؛ لأن هناك أشياء يعرفون عنها أنها كفر ، لكنه كفر دون كفر ، مثل البراءة من النسب ، ومثل القتال بين المؤمنين ؛ لقوله ﷺ: ((سِبَابُ المُسْلِمُ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ)) فهذا كفر دون كفر إذا لم يستحله ، ويقول ﷺ: ((إِنَّ كُفْراً بِكُمْ التَّبَرُّؤُ مِنْ آبَائِكُمْ)) ، وقوله عليه الصلاة والسلام: ((اثْنَتَانِ فِي الناسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ النِّيَاحَةُ وَالطَّعْنُ فِي النَّسَبِ)) فهذا كله كفر دون كفر عند أهل العلم ؛ لأنه جاء منكرا غير معرف بـ (أل) ، ودلت الأدلة الأخرى دالة على أن المراد به غير الكفر الأكبر ، بخلاف الصلاة فإن أمرها عظيم ، وهي أعظم شيء بعد الشهادتين ، وعمود الإسلام).

وبعد: (فهذا الإجماع أقوى دليل في هذه المسألة ، وأصرح دليل فيها ؛ إذ لا يعتريه احتمال ولا تأويل. وهو ما يؤكد ما دلت عليه ظواهر النصوص بأن المراد بالكفر فيها الكفر المخرج من الملة. وهو يردُّ على كل من أراد صرف تلك النصوص عن ظواهرها ، بأن المراد كفر دون كفر. بل هذا الإجماع يوجب على كل منصف الرجوع عن كل قول مخالف له ، فإن الأئمة الأربعة وعامة العلماء على أن الإجماع حجة قطعية ، لا يجوز العدول عنها. فمن قال من العلماء بخلاف ما دل عليه هذا الإجماع ، لعل له عذره أو اجتهاده الذي يؤجر عليه ، لكن هذا العذر قد زال عمن اطلع على هذا الإجماع ووقف عليه).

تنبيهان:

الأول: ما ذهب إليه بعض أهل العلم من حمل أحاديث كفر تارك الصلاة على الكفر الأصغر ، قد ردّه شيخ الإسلام من تسعة أوجه ، قال في (شرح العمدة): وأما حمله على كفر دون كفر ، فهذا حمل صحيح ومحمل مستقيم في الجملة في مثل هذا الكلام ، ولهذا جاء عن النبي ﷺ وأصحابه والتابعين في كثير من المواضع مفسراً ، لكن الكفر الوارد في الصلاة هو الكفر الأعظم لوجوه:

أحدها: أن الكفر المطلق هو الكفر الأعظم المخرج عن الملة فينصرف الإطلاق إليه ، وإنما صرف في تلك المواضع إلى غير ذلك لقرائن انضمت إلى الكلام ، ومن تأمل سياق كل حديث وجده معه ، وليس هنا شيء يوجب صرفه عن ظاهره ، بل هنا ما تقرره على الظاهر.

الثاني: أن ذلك الكفر منكر مبهم مثل قوله: ((وقتاله كفر)) ، ((هما بهم كفر)) وقوله: ((كفر بالله)) وشبه ذلك ، وهنا عرف باللام بقوله: ((ليس بين العبد وبين الكفر أو قال الشرك)) والكفر المعرف ينصرف إلى الكفر المعروف وهو المخرج عن الملة.

الثالث: أن في بعض الأحاديث: ((فقد خرج من الملة)) وفي بعضها: ((بينه وبين الإيمان)) وفي بعضها: ((بينه وبين الكفر)) وهذا كله يقتضي أن الصلاة حدٌّ تُدخله إلى الإيمان إن فعله ، وتخرجه عنه إن تركه.

الرابع: أن قوله: (ليس بين العبد وبين الكفر إلا ترك الصلاة) ، وقوله: (كان أصحاب مُحَمَّد ﷺ لا يرون شيئًا من الأعمال تركه كفر إلا الصلاة) لا يجوز أن يراد به إلا الكفر الأعظم ؛ لأن بينه وبين غير ذلك مما يسمى كفرا أشياء كثيرة ، ولا يقال: فقد يخرج من الملة بأشياء غير الصلاة ، لأنا نقول: هذا ذكر في سياق ما كان من الأعمال المفروضة ، وعلى العموم يوجب تركه الكفر ، وما سوى ذلك من الاعتقادات فإنه ليس من الأعمال الظاهرة.

الخامس: أنه خرج هذا الكلام مخرج تخصيص الصلاة وبيان مرتبتها على غيرها في الجملة ، ولو كان ذلك الكفر فسقاً لشاركها في ذلك عامة الفرائض.

السادس: أنه بين أنها آخر الدين ، فإذا ذهب آخره ذهب كله.

السابع: أنه بين أن الصلاة هي العهد الذي بيننا وبين الكفار ، وهم خارجون عن الملة ليسوا داخلين فيها ، واقتضى ذلك أن من ترك هذا العهد فقد كفر ، كما أن من أتى به فقد دخل في الدين ، ولا يكون هذا إلا في الكفر المخرج من الملة.

الثامن: أن قول عمر: (لا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة) أصرح شيء في خروجه عن الملة ، وكذلك قول ابن مسعود وغيره ، مع أنه بيّن أن إخراجها عن الوقت ليس هو الكفر وإنما هو الترك بالكلية ، وهذا لا يكون إلا فيما يخرج من الملة.

التاسع: ما تقدم من حديث معاذ ؛ فإن فسطاطا على غير عمود لا يقوم ، كذلك الدين لا يقوم إلا بالصلاة.

وفي هذه الوجوه يبطل قول من حملها على من تركها جاحدا.

وأيضا قوله: (كانوا لا يرون شيئًا من الأعمال تركه كفر" وقوله: ليس بين العبد وبين الكفر وغير ذلك مما يوجب اختصاص الصلاة بذلك ، وترك الجحود لا فرق فيه بين الصلاة وغيرها ؛ ولأن الجحود نفسه هو الكفر من غير ترك حتى لو فعلها مع ذلك لم ينفعه ، فكيف يعلق الحكم على ما لم يذكر ؟! ولأن المذكور هو الترك ، وهو عام في من تركها جحودا أو تكاسلا ، ولأن هذا عدول عن حقيقة الكلام من غير موجب فلا يلتفت إليه).

التنبيه الثاني: ما يردده بعض المخالفين من قولهم: كيف خفي هذا الإجماع على الأئمة الذين ذهبوا إلى عدم تكفير تارك الصلاة ؟

جوابه أن يقال: إذا ثبت إجماع الصحابة ، فهو حجة على من بعدهم ، وأقوال العلماء يحتج لها ، ولا يحتج بها ، وباب العذر واسع ، فالمخالف ربما لم يبلغه الإجماع ، أو تأوله بنوع تأويل ، والمسألة لها نظائر ، فمن ذلك:

١- أنه قد نقل غير واحد إجماع الصحابة على منع بيع أمهات الأولاد ، وخالف في ذلك من خالف.

قال ابن قدامة: (ولأنه إجماع الصحابة رضي الله عنهم بدليل قول علي كرم الله وجهه: كان رأيي ورأي عمر أن لا تباع أمهات الأولاد ، وقوله: فقضى به عمر حياته وعثمان حياته ، وقول عبيدة: رأي علي ... وعمر في الجماعة أحب إلينا من رأيه وحده. وروى عكرمة عن ابن عباس قال: قال عمر رضي الله عنهم: ما من رجلٍ كان يقر بأنه يطأ جاريته ثم يموت إلا أعتقها ولدها إذا ولدت وإن كان سقطا.

فإن قيل: فكيف تصح دعوى الإجماع مع مخالفة علي وابن عباس وابن الزبير رضي الله عنهم؟ قلنا: قد روي عنهم الرجوع عن المخالفة ، فقد روى عبيدة قال: بعث إليَّ علي ... وإلى شريح أن اقضوا كما كنتم تقضون فإني أبغض الاختلاف. وابن عباس قال: ولد أم ولد بمنزلتها ، وهو الراوي لحديث عتقهن عن النبي ﷺ وعن عمر ، فيدل على موافقته لهم ، ثم قد ثبت الإجماع باتفاقهم قبل المخالفة ، واتفاقهم معصوم عن الخطأ ؛ فإن الأمة لا تجتمع على ضلالة ، ولا يجوز أن يخلو زمن عن قائم لله بحجته ، ولو جاز ذلك في بعض العصر لجاز في جميعه ، ورأي الموافق في زمن الاتفاق خير من رأيه في الخلاف بعده ، فيكون الاتفاق حجة على المخالف له منهم كما هو حجة على غيره.

فإن قيل: فلو كان الاتفاق في بعض العصر إجماعا حرمت مخالفته ، فكيف خالفه هؤلاء الأئمة الذين لا تجوز نسبتهم إلى ارتكاب الحرام؟ قلنا: الإجماع ينقسم إلى مقطوع به ومظنون ، وهذا من المظنون ، فيمكن وقوع المخالفة منهم له مع كونه حجة ، كما وقع منهم مخالفة النصوص الظنية ، ولا تخرج بمخالفتهم عن كونها حجة ، كذا ههنا).

ويقال هنا أيضا: لا يجوز أن يخلو زمن عن قائم لله بحجته ، فأين النقل عن صحابي واحد بما يخالف هذا الإجماع ؟!

٢- ومن ذلك أيضا: إجماع الصحابة على انتقاض عهد الذمي بسب النبي ﷺ ، ثم مخالفة بعض الفقهاء في ذلك ، قال شيخ الإسلام: (والدلالة على انتقاض عهد الذمي بسب الله أو كتابه أو دينه أو رسوله ووجوب قتله وقتل المسلم إذا أتى ذلك الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين والاعتبار).

إلى أن قال: (وأما إجماع الصحابة فلأن ذلك نُقل عنهم في قضايا متعددة ينتشر مثلها ويستفيض ، ولم ينكرها أحد منهم ، فصارت إجماعا. واعلم أنه لا يمكن ادعاء إجماع الصحابة على مسألة فرعية بأبلغ من هذا الطريق).

٣- ومن ذلك: مسألة اشتراط المرأة على الرجل ألا يتزوج عليها ولا يتسرى ، ولا يخرجها من دارها أو بلدها ، فقد حكى فيها ابن القيم إجماع الصحابة على أن الشرط لازم ، مع مخالفة من خالف من الأئمة.

قال رحمه الله: (إذا تزوجها على أن لا يخرجها من دارها أو بلدها ، أو لا يتزوج عليها ، ولا يتسرى عليها فالنكاح صحيح ، والشرط لازم. هذا إجماع الصحابة ، فإنه صح عن عمر ، وسعد ، ومعاوية ، ولا مخالف لهم من الصحابة ، وإليه ذهب عامة التابعين ، وقال به أحمد. وخالف في ذلك الثلاثة ، فأبطلوا الشرط ، ولم يوجبوا الوفاء به).

٤- ومن ذلك: الإجماع القديم على طهارة بول وروث ما يؤكل لحمه ، وقد خالف فيه أبو حنيفة والشافعي. قال شيخ الإسلام: (وكذلك مذهب مالك وأهل المدينة في أعيان النجاسات الظاهرة في العبادات أشبه شيء بالأحاديث الصحيحة ، وسيرة الصحابة ، ثم إنهم لا يقولون بنجاسة البول والروث مما يؤكل لحمه ، وعلى ذلك بضع عشرة حجة ، من النص ، والإجماع القديم ، والاعتبار ، ذكرناها في غير هذا الموضع ، وليس مع المنجّس إلا لفظ يظن عمومه ، وليس بعام ، أو قياس يظن مساواة الفرع فيه للأصل ، وليس كذلك).

وقال: (وبول ما أُكل لحمه وروثه طاهر ، لم يذهب أحدٌ من الصحابة إلى تنجسه ، بل القول بنجاسته قول محدثٌ لا سلف له من الصحابة).

٥ ، ٦ ، ٧- ومن ذلك: الإجماع القديم على حل ذبائح أهل الكتاب ، وحل نسائهم ، وجواز أخذ الجزية منهم ، سواء كانوا أو أحد آبائهم ممن دخلوا في الدين قبل نزول القرآن ، أو بعده ، وخالف في ذلك الشافعي.

قال الإمام مُحَمَّد بن الحسين التميمي الجوهري (ت: ٣٥٠هـ): (وأجمعوا أن ذبيحة الكتابي حلال للمسلم ، وسواء دان بدينه ذلك واحد من آبائه قبل نزول القرآن ، أو بعده ، إلا الشافعي ، فإنه لم يجز من ذبائحهم إلا ذبائح من دان منهم أو أحد من آبائهم قبل نزول القرآن ، وأما من دان منهم أو أحد من آبائهم بعد نزول القرآن ، فإنه لا يبيح للمسلم ذبيحته).

وقال: (وأجمعوا أن الجزية على كل كتابي ، وإن كان إنما دان بدينه بعد نزول الفرقان ، إلا الشافعي فإنه قال: لا جزية إلا أن يكون قد دان ، أو واحدة من آبائه بذلك الدين قبل نزول الفرقان).

وقال أبو بكر الجصاص: (وقد روي عن جماعة من السلف القول في أهل الكتاب من العرب ، لم يفرق أحدٌ منهم فيه بين من دان بذلك قبل نزول القرآن أو بعده ، ولا نعلم أحدا من السلف والخلف اعتبر فيهم ما اعتبره الشافعي في ذلك ، فهو منفرد بهذه المقالة خارج بها عن أقاويل أهل العلم).

وقال شيخ الإسلام: (وهذا مبني على أصل ، وهو أن قوله تعالى: وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ [المائدة:٥] هل المراد به من هو بعد نزول القرآن متدين بدين أهل الكتاب ؟ أو المراد به من كان آباؤه قد دخلوا في دين أهل الكتاب قبل النسخ والتبديل ؟ على قولين للعلماء. فالقول الأول هو قول جمهور المسلمين من السلف والخلف ، وهو مذهب أبي حنيفة ومالك وأحد القولين في مذهب أحمد ، بل هو المنصوص عنه صريحا. والثاني: قول الشافعي وطائفة من أصحاب أحمد).

إلى أن قال: (وأحمد إنما اختلف اجتهاده في بني تغلب ، وهم الذين تنازع فيهم الصحابة. فأما سائر اليهود والنصارى من العرب مثل: تنوخ وبهراء وغيرهما من اليهود ، فلا أعرف عن أحمد في حل ذبائحهم نزاعا ، ولا عن الصحابة ولا عن التابعين وغيرهم من السلف ، وإنما كان النزاع بينهم في بني تغلب خاصة).

ثم قال: (بل الصواب المقطوع به أن كون الرجل كتابيا أو غير كتابي هو حكم مستقل بنفسه ، لا بنسبه. وكل من تدين بدين أهل الكتاب فهو منهم ، سواء كان أبوه أو جده دخل في دينهم ، أو لم يدخل ، وسواء كان دخوله قبل النسخ والتبديل ، أو بعد ذلك. وهذا مذهب جمهور العلماء كأبي حنيفة ومالك والمنصوص الصريح عن أحمد ، وإن كان بين أصحابه في ذلك نزاع معروف. وهذا القول هو الثابت عن الصحابة ، ولا أعلم بين الصحابة في ذلك نزاعا ، وقد ذكر الطحاوي أن هذا إجماع قديم).

٨- ومن ذلك: إجماع الصحابة على أن سجود التلاوة غير واجب ، مع مخالفة الحنفية فيه. قال ابن قدامة: (وجملة ذلك أن سجود التلاوة سنة مؤكدة وليس بواجب عند إمامنا ومالك والأوزاعي والليث والشافعي وهو مذهب عمر وابنه عبد الله ، وأوجبه أبو حنيفة وأصحابه ؛ لقول الله عز وجل: فَمَا لَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لا يَسْجُدُونَ [الانشقاق:٢٠-٢١] ، ولا يذم إلا على ترك واجب ، ولأنه سجود يفعل في الصلاة فكان واجبا كسجود الصلاة.

ولنا ما روى زيد بن ثابت قال: ((قرأت على النبي ﷺ النجم فلم يسجد منا أحد)). متفق عليه. ولأنه إجماع الصحابة ، وروى البخاري والأثرم عن عمر أنه قرأ يوم الجمعة على المنبر بسورة النحل حتى إذا جاء السجدة نزل فسجد وسجد الناس حتى إذا كانت الجمعة القابلة قرأ بها حتى إذا جاءت السجدة قال: يا أيها الناس إنما نمر بالسجود فمن سجد فقد أصاب ومن لم يسجد فلا إثم عليه. ولم يسجد عمر. وفي لفظ: إن الله لم يفرض علينا السجود إلا أن نشاء. وفي رواية الأثرم: فقال: على رسلكم إن الله لم يكتبها علينا إلا أن نشاء. فقرأها ولم يسجد ومنعهم أن يسجدوا ، وهذا بحضرة الجمع الكثير ، فلم ينكره أحد ولا نُقل خلافه. فأما الآية فإنه ذمهم لترك السجود غير معتقدين فضله ولا مشروعيته. وقياسهم ينتقض بسجود السهو فإنه عندهم غير واجب).

٩- ومن ذلك: الإجماع على منع الرجوع في الوقف ، مع مخالفة أبي حنيفة. قال ابن قدامة: (وذهب أبو حنيفة إلى أن الوقف لا يلزم بمجرده وللواقف الرجوع فيه إلا أن يوصي به بعد موته فيلزم أو يحكم بلزومه حاكم. وحكاه بعضهم عن علي وابن مسعود وابن عباس. وخالفه صاحباه فقالا كقول سائر أهل العلم. وهذا القول يخالف السنة الثابتة عن رسول الله ﷺ وإجماع الصحابة رضي الله عنهم ؛ فإن النبي ﷺ قال لعمر في وقفه: ((لا يباع أصلها ولا يبتاع ولا يوهب ولا يورث)) قال الترمذي: العمل على هذا الحديث عند أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم لا نعلم بين أحد من المتقدمين منهم في ذلك اختلافا).ونظائر هذا كثيرة ، تركت ذكرها خشية الإطالة.

الباب السابع
المرجئه و خطرهم على الإسلام

المقدمة

(الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل عليهم الصلاة والسلام ، بقايا من أهل العلم ، يدعون من ضلّ إلى الهدى ، ويصبرون منهم على الأذى ، يحيون بكتاب الله الموتى ، ويبصرون بنور الله تعالى أهل العمى ، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه ، وكم من ضال تائه قد هدوه ، فما أحسن أثرهم على الناس ، وما أقبح أثر الناس عليهم.

ينفون عن كتاب الله تعالى تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين الذين عقدوا ألوية البدعة ، وأطلقوا عنان الفتنة ، فهم مختلفون في الكتاب ، مخالفون للكتاب ، مجمعون على مخالفة الكتاب ، يقولون على الله تعالى ، وفي الله تعالى ، وفي كتاب الله تعالى بغير علم. يتكلّمون بالمتشابه من الكلام ، ويخدعون الجهال بما يشبهون عليهم ، فنعوذ بالله من فتن المضلين.)[1]

أما بعد:

فإن الله جلّ ثناؤه وتقدست أسماؤه إذا أراد أن يكرم عبد بمعرفته ويجمع قلبه على محبته شرح صدره لقبول صفاته العلى وتلقيها من مشكاة الوحي ، فإذا ورد عليه شيء منها قابله بالقبول وتلقاه بالرضا والتسليم وأذعن له بالانقياد فاستنار به قلبه واتسع له صدره وامتلأ به سرورا ومحبة ، فعلم أنه تعريف من تعريفات الله تعالى تعرف به على لسان رسوله ، فأنزل تلك الصفة من قلبه منزلة الغذاء ، أعظم ما كان إليه فاقة ومنزلة الشفاء أشد ما كان إليه حاجة ، وسكن إليها قلبه ، فجال من المعرفة في ميادينها ، وأسام عين بصيرته في رياضها وبساتينها لتيقنه بأن شرف العلم تابع لشرف معلومه ، ولا معلوم أعظم وأجل ممن هذه صفته ، وهو ذو الأسماء الحسنى والصفات العلى ، وأن شرفه أيضا بحسب الحاجة إليه ، وليست حاجة الأرواح قط إلى شيء أعظم منها إلى معرفة باريها وفاطرها ومحبته وذكره والابتهاج به ، وطلب الوسيلة إليه والزلفى عنده ، ولا سبيل إلى هذا إلا بمعرفة أوصافه وأسمائه ، فكلما كان العبد بها أعلم كان بالله أعرف وله أطلب واليه أقرب ، وكلما كان لها أنكر كان بالله أجهل واليه أكره ومنه أبعد ، والله تعالى ينزل العبد من نفسه حيث ينزله العبد من نفسه ، فمن كان لذكر أسمائه وصفاته مبغضا ، وعنها نافرا منفرا ، فالله له أشد بغضا ، وعنه أعظم إعراضا ، وله أكبر مقتا ، حتى تعود القلوب إلى قلبين: قلب ذكر الأسماء والصفات قوته وحياته ونعيمه وقرة عينه ، لو فارقه ذكرها ومحبتها لحظة لاستغاث ، يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ، فلسان حاله يقول:

يراد من القلب نسيانكم ××× وتأبى الطباع على الناقل

ويقول:

وإذا تقاضيت الفؤاد تناسيا ××× ألفيت أحشائي بذاك شحاحا

ويقول:

إذا مرضنا تداوينا بذكركم ××× فنترك الذكر أحيانا فننتكس

ومن المحال أن يذكر القلب من هو محارب لصفاته نافر عن سماعها معرض بكليّته عنها زاعم أن السلامة في ذلك.

كلا والله إن هو إلا الجهالة والخذلان ، والإعراض عن العزيز الرحيم ، فليس القلب الصحيح قط إلى شيء أشوق منه إلى معرفة ربه تعالى وصفاته وأفعاله وأسمائه ، ولا افرح بشيء قط كفرحه بذلك وكفى بالعبد عمى وخذلانا أن يضرب على قلبه سرادق الإعراض عنها والنفرة والتنفير والاشتغال بما لو كان حقا لم ينفع إلا بعد معرفة الله والإيمان به وبصفاته وأسمائه.

والقلب الثاني قلب مضروب بسياط الجهالة ، فهو عن معرفة ربه ومحبته مصدود ، وطريق معرفة أسمائه وصفاته كما أنزلت عليه مسدود ، قد قمش شبها من الكلام الباطل وارتوى من ماء آجن غير طائل تعج منه آيات الصفات وأحاديثها إلى الله عجيجا ، وتضج منه إلى منزلها ضجيجا بما يسومها تحريفا وتعطيلا ويؤول معانيها تغييرا وتبديلا ، وقد أعد لدفعها أنواعا من العدد وهيأ لردها ضروبا من القوانين وإذا دعي إلى تحكيمها أبى واستكبر وقال: تلك أدلة لفظية لا تفيد شيئا من اليقين ، قد أعد التأويل جنة يتترس بها من مواقع سهام السنة والقرآن وجعل إثبات صفات ذي الجلال تجسيما وتشبيها يصد به القلوب عن طريق العلم والإيمان ، مزجي البضاعة من العلم النافع الموروث عن خاتم الرسل والأنبياء ولكنه مليء بالشكوك والشبه ، والجدال والمراء ، خلع عليه كلام الباطل خلعه الجهل والتجهيل ، فهو يتعثر بأذيال التكفير لأهل الحديث ، والتبديع لهم والتضليل ، قد طاف على أبواب الآراء والمذاهب يتكفف أربابها ، فانثنى بأخسر المواهب والمطالب ، عدل عن الأبواب العالية الكفيلة بنهاية المراد وغاية الإحسان ، فابتلى بالوقوف على الأبواب السافلة الملآنة بالخيبة والحرمان ، وقد لبس حلة منسوجة من الجهل والتقليد والشبهة والعناد ، فإذا بذلت له النصيحة ودعي إلى الحق أخذته العزة بالإثم ، فحسبه جهنم ولبئس المهاد. فما أعظم المصيبة بهذا وأمثاله على الإيمان ، وما أشد الجناية به على السنة والقرآن ، وما أحب جهاده بالقلب واليد واللسان إلى الرحمن ، وما أثقل أجر ذلك الجهاد في الميزان ، والجهاد بالحجة واللسان مقدم على الجهاد بالسيف والسنان ولهذا أمر الله في السور المكية حيث لا جهاد باليد إنذارا وتعذيرا ، فقال

"١" مقدمة كتاب الرد على الجهمية للإمام أحمد رحمه الله

تعالى "فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا (٥٢)" الفرقان ٥٢.
وأمر تعالى بجهاد المنافقين والغلظة عليهم كونهم بين أظهر المسلمين في المقام والمسير ، فقال تعالى:{ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٩) } التحريم ٩.

فالجهاد بالعلم والحجة جهاد أنبيائه ورسله وخاصته من عباده المخصوصين بالهداية والتوفيق والاتفاق ، ومن مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق ، وكفى بالعبد عمى وخذلانا أن يرى عساكر الإيمان وجنود السنة والقرآن وقد لبسوا للحرب لأمته ، وأعدوا له عدته ، وأخذوا مصافهم ووقفوا مواقفهم ، وقد حمي الوطيس ودارت رحى الحرب واشتد القتال وتنادت الأقران النزال النزال ، وهو في الملجأ والمغارات ، والمدخل مع الخوالف كمين وإذا ساعد القدر وعزم على الخروج قعد فوق التل مع الناظرين ، ينظر لمن الدائرة ليكون إليهم من المتحيزين ، ثم يأتيهم وهو يقسم بالله جهد أيمانه أني معكم وكنت أتمنى أن تكونوا أنتم الغالبين ، فحقيق بمن لنفسه عنده قدر وقيمة أن لا يبيعها بأبخس الأثمان ، وأن لا يعرضها غدا بين يدي الله ورسوله لمواقف الخزي والهوان ، وأن يثبت قدميه في صفوف أهل العلم والإيمان ، وأن لا يتحيز إلى مقالة سوى ما جاء في السنة والقرآن ، فكأن قد كشف الغطاء وانجلى الغبار وأبان عن وجوه أهل السنة مسفرة ضاحكة مستبشرة ، وعن وجوه أهل البدعة عليها غبرة ترهقها قترة ، يوم تبيض وجوه وتسود وجوه. قال ابن عباس تبيض وجوه أهل السنة وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة والضلالة ، فوالله لمفارقة أهل الأهواء ، والبدع في هذه الدار أسهل من موافقتهم إذا قيل:{ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (٢٢) } الصافات ٢٢.قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وبعده الإمام أحمد: أزواجهم: أشباههم ونظراؤهم ، وقد قال تعالى:{ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ (٧)} التكوير ٧ ، قالوا فيجعل صاحب الحق مع نظيره في درجته ، وصاحب الباطل مع نظيره في درجته ، هنالك والله يعض الظالم على يديه إذا حصلت له حقيقة ما كان في هذه الدار عليه ،"وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (٢٧) يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا (٢٩))الفرقان [١] فليبصر الإنسان طريقه قبل أن يندم ويتحقق ويتثبت مما هو عليه من الدين ولا يغتر بما عليه أكثر الناس اليوم من بدعة الإرجاء التى انتشرت فى عصرنا تماما كما انتشرت وسادت بدعة المعتزلة والجهمية فى عصر الإمام أحمد – رحمه الله –وظن كثير من الناس وبعض العلماء والرؤساء أنهم على الحق وفتن الناس ببعض الدعاة حتى جاءت المحنة وظهرت السنة بفضل الله ثم بثبات أهل الحق وجهاد أهل السنة فى بيانها وإظهار عوار وفساد خلافها من البدع .

فحرى بمن خاف مقام ربه أن يبحث عن النجاة ويتحرى مذهب الصحابة قولا وعملا ويتخذه سلوكا ومنهجا

و من نعم الله على العبد أن يوفقه إلى عمل صالح ويتوفاه عليه .وأفضل الأعمال بعد التوحيد والعمل به الدعوة إليه على منهاج النبوة ،وفهم الصحابة رضى الله عنهم .

فلابد من العودة إلى فهم الصحابة وفقه الصحابة ،بل الأمة الآن فى أشد الحاجة إلى إحياء مذهب الصحابة ،فى هذا الزمان الذى كثرت فيه البدع والانحرافات ،وأصبح الانتماء فى الحقيقة إلى غير الإسلام بل إلى الأحزاب والجماعات ،وأصبح التعصب ليس للدليل المعتبر من القرآن والسنة بفهم الصحابة ،بل التعصب الآن لقول الشيخ والداعية ورأى الجماعة وما عليه أكثر الناس تقليداً من غير هدى و اتباعاً للهوى والضلالة والعمى وهذا منهج أهل الأهواء والبدع فى الاستدلال من إتباع الهوى والحكم بالمتشابه ومعارضة النص بالرأي ،وبدعة التعصب ،وتقديس الأشياخ وتهويل وتعظيم خطر مخالفتهم بما يخرج عن حدود الشرع ،وتحكيم ظواهر النصوص من غير التفات إلى مقاصدها والتحريف فى دلالة النص ،والاحتجاج بالسواد الأعظم والاحتجاج بمقامات الشيوخ والتغالى فيهم لدرجة أنهم يقدمون قول الشيخ وفهمه على قول وفهم الصحابة بل ويجعلونه حاكماً على القرآن والسنة

وأصل هذا الانحراف والتعصب هو ا لتقديس والتقليد ، تقليد المشايخ والدعاة وتقديسهم ،وسبب هذا التعصب ودافعه هو الحب لغير الله والذي يداخل النفس أحيانا على أنه لله ولنصرة دين الله وانتماءا للسلف والسلفية ،وأصله الغلو فى حب الأشياخ والعالم المتبوع وهذا أصل فى فساد المتعبدة فى أهل كل ملة ومذهب .

نسأل الله السلامة والعافية وحسن الخاتمة .

---

[١] **مقدمة القصيدة النونية للإمام ابن القيّم**

وفى ذلك يقول شيخ الإسلام بن تيمية-رحمه الله -

(وإذا علم هذا فكثير من المشهورين بالمشيخة فى هذه الأزمان قد يكون فيهم من الجهل والضلال والمعاصي والذنوب... وإذا كان كذلك فمن طلب أن يحشر مع شيخ لم يعلم عاقبته كان ضالا بل عليه أن يأخذ فيطلب بما يعلم أن يحشره الله مع نبيه والصالحين من عباده.... وعلى هذا فمن أحب شيخا مخالفا للشريعة كان معه فإذا أدخل الشيخ النار كان معه ومعلوم أن الشيوخ المخالفين للكتاب والسنة أهل الضلال والجهالة فمن كان معهم كان مصيره مصير أهل الضلالة والجهالة وأما من كان من أولياء الله المتقين كأبي بكر وعمر وعثمان وعلى وغيرهم فمحبة هؤلاء من أوثق عرى الإيمان وأعظم حسنات المتقين ولو أحب الرجل لما ظهر له من الخير الذى يحبه الله ورسوله أثابه الله تعالى على محبة ما يحبه الله ورسوله وإن لم يعلم حقيقة باطنه فان الأصل هو حب الله وحب ما يحبه الله فمن أحب الله وأحب ما يحبه الله كان من أولياء الله لكن كثيرا من الناس يدعى المحبة من غير تحقيق قال الله تعالى "قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣١)" آل عمران ٣١

قال بعض السلف ادعى قوم على عهد رسول الله أنهم يحبون الله فأنزل الله هذه الآية ، فمحبة الله ورسوله وعباده المتقين تقتضى فعل محبوباته وترك مكروهاته والناس يتفاضلون فى هذا تفاضلا عظيما فمن كان أعظم نصيبا من ذلك كان أعظم درجة عند الله وأما من أحب شخصا لهواه مثل أن يحبه لدنيا يصيبها منه أو لحاجة يقوم له بها أو لمال يتآكله به أو بعصبية فيه ونحو ذلك من الأشياء فهذه ليست محبة لله بل هذه محبة لهوى النفس وهذه المحبة هى التى توقع أصحابها فى الكفر والفسوق والعصيان .... فالحب لغير الله كحب النصارى للمسيح وحب اليهود لموسى وحب الرافضة لعلى وحب الغلاة لشيوخهم وأئمتهم مثل من يوالى شيخا أو إماما وينفر عن نظيره وهما متقاربان أو متساويان فى الرتبة فهذا من جنس أهل الكتاب الذين آمنوا ببعض الرسل وكفروا ببعض وحال الرافضة الذين يوالون بعض الصحابة ويعادون بعضهم وحال أهل العصبية من المنتسبين إلى فقه وزهد الذين يوالون الشيوخ والأئمة دون البعض.... فدين المسلمين مبني على اتباع كتاب الله وسنة نبيه وما اتفقت عليه الأمة فهذه الثلاثة هى أصول معصومة وما تنازعت فيه الأمة ردوه إلى الله والرسول وليس لأحد أن ينصب للأمة شخصا يدعو إلى طريقته ويوالي ويعادي عليها غير النبي ولا ينصب لهم كلاما يوالي عليه و يعادي غير كلام الله ورسوله وما اجتمعت عليه الأمة بل هذا من فعل أهل البدع الذين ينصبون لهم شخصا أو كلاما يفرقون به بين الأمة يوالون به على ذلك الكلام أو تلك النسبة ويعادون ،والخوارج إنما تأولوا آيات من القرآن على ما اعتقدوه وجعلوا من خالف ذلك كافرا لاعتقادهم أنه خالف القرآن فمن ابتدع أقوالا ليس لها أصل فى القرآن وجعل من خالفها كافرا كان قوله شرا من قول الخوارج"[1] ") ومثل ذلك كثير فى من ينتسبون اليوم إلى السنة والسلف والسلفية فكثير منهم يقلدون الدعاة والمشايخ من غير بصيرة وأكثرهم مرجئة فى باب الإيمان وجهمية فى باب الكفر ،وهذا واضح جلي لكل من وقف على أقوال القوم .

فإن كان لامفر لطالب العلم من التقليد ،فعليه أن يقلد الكبار و من يثق فى دينهم ،-وإن كان التقليد لاينبغى لطالب العلم فهو كالميتة لايجوز إلا فى الضرورة –ولكن عليك بكبار العلماء الذين أخذوا العلم كابرا عن كابر وعملوا بعلمهم وشهد لهم العلماء بذلك أمثال أئمة الدعوة فإن لهم سند متصل إلى شيخ الإسلام مُحَمَّد بن عبد الوهاب ــرحمه الله –وليس هذا لغيرهم فى هذا العصر.

الشباب بين العذر والهوى

ويقول بعض الشباب المغرر بهم الملبس عليهم فى دينهم معتذرين بأنهم لم يجدوا حولهم إلا هؤلاء الدعاة وهم فى بداية طريق الهدايه والاستقامة وطلب العلم وليس لهم قدرة علميه على تحرير مذهب أهل السنة وماكان عليه الصحابة رضى الله عنهم ،ولاسيما وأن هؤلاء الدعاة والمشايخ لهم منابر ومرضيٌ عنهم ومسموح لهم بالكلام الذى يرضى الساسة والنظام فلا مشاكل عندهم ولا ملاحظات عليهم ولا خوف منهم ،بل هؤلاء المشايخ والدعاة يحذروننا من قراءة كتب شيخي الإسلام بن تيمية وبن عبد الوهاب ،وأئمة الدعوة وكبار العلماء واللجنة الدائمة بحجة عدم فهمها ،يحذروننا من تلاميذهم وممن تلقى العلم على أيديهم ويقولون لنا هؤلاء مبتدعة وخوارج وتكفير ،يكفرون المجتمع وعموم المسلمين ،ويكفرون تارك الصلاة ،ولا يعذرون عباد القبور بالجهل ،ويقولون بدخول أعمال الجوارح فى الإيمان ،وأن تارك أعمال الجوارح بالكلية مع القدرة والتمكن وعدم العجز كافر وليس بمسلم ،وهؤلاء يكفرون بالمعاصي ،فلا تسمعوا لهم ولا تقرؤا كتبهم فالسلف حذروا من المبتدعة !!

[1] مجموع الفتاوى ٣٢٠/١٨ ، ٢٠/ ١٦٤ وانظر تحريف النصوص من مآخذ أهل الأهواء فى الاستدلال للعلامة المحقق الشيخ بكر أبو زيد –رحمه الله–

وهكذا يحذروننا من علماء نجد والحجاز وكل من قال بقولهم وحقق المسائل وردها إلى أصولها الثلاثة المعصومة الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وفهمهم ،والأمة من بعدهم ،مع أنهم يعلنون للناس أنهم على نفس المنهج وأنهم تلاميذ بن باز ،وبن جبرين ،والفوزان ،وآل الشيخ ،وهكذا لبسوا علينا باسم السلف والسلفية !!

وقد تربينا على ذلك وكبرنا وضاعت سنين عمرنا ونحن نعتقد ونظن أننا على منهج السلف وأننا على حق وغيرنا مبتدعة وخوارج وتكفير كما علمنا هؤلاء الدعاة والمشايخ وقالوا لنا أن الإيمان اعتقاد وقول وعمل يزيد وينقص ،وأن الأعمال كمال فيه ،فالعمل شرط كمال وليس من الإيمان ،بمعنى أنه لو قال لاإله إلا الله بلسانه واعتقد بقلبه ولم يعمل بجوارحه أى عمل ، جنس عمل ، فهو مؤمن من أهل الجنة !!

لذلك قالوا لنا تارك الصلاة مسلم وليس بكافر لأن الصلاة عمل ولا يكفر تارك العمل ،ومن يكفر تارك الصلاة فهو من الخوارج والتكفير ،وأحيانا يقولون لنا أن مسألة تارك الصلاة مسألة خلافية عند الصحابة ،وهكذا يكذبون ويدلسون ،ويلبسون على السذج منا !

ويقولون لنا أن الكفر لايكون إلا بالاعتقاد والجحود والاستحلال ،ويقسمون لنا الكفر إلى قسمين ويقولون الكفر كفران ،كفر اعتقاد ،وكفر عمل ،وكفر الاعتقاد مخرج من الملة ،أما كفر العمل غير مخرج من الملة ،ويقولون لنا أن المسلم لايكفر إلا إذا:

١-اعتقد الكفر بقلبه ، فلو فعل الكفر أو قاله من غير إكراه فلا يكفر حتى يعتقد الكفر بقلبه

٢-وقصد الكفر ،فلو فعل الكفر والشرك الأكبر وسب الدين واستهزأ بشعائره لايكفر

٣-وعلم أنه كفر فلو تزوج زوجة أبيه وهو لايعلم أنها محرمة عليه فلا يكفر ولو ذبح ونذر لغير الله ،وسجد لصنم ،ومزق المصحف وسب القرآن وشتم النبي ، فلا يكفر لأنه لايعلم أن كل ذلك كفر وهو يعيش بين المسلمين

٤-وانشرح صدره بهذا الكفر ،فلو كفر وفعل الكفر ولم ينشرح صدره بالكفر فلا يكفر فلابد من الرضي وانشراح الصدر

٥-ولا يكفر إلا إذا جحد ،فلا كفر إلا بجحود ،فلو ترك التوحيد ،وترك الصلاة ،وامتنع عن أداء الزكاة ،وترك الحكم بشريعة الله فلا يكفر لأنه لايجحد بقلبه ،ولو صلى لكنه يجحد بقلبه فلا يكفر.

هكذا قالوا لنا فى الخطب والدروس والمحاضرات ، فى المساجد والفضائيات([1]).

ونقول لهؤلاء وأمثالهم إن الإنسان لا يرى إلا ما يريد أن يراه ، فإن الله حكم عدل ولا يظلم ربك أحدا ،ولا يضيع أجر من أحسن عملا ، فلو علم الله من قلبك الصدق والبحث عن الحق وتحرى مذهب أهل السنة وما عليه الصحابة وسلف الأمة بإخلاص وتجرد دون تعصب وهوى ،ودون تحزب إلى الجماعة والشيخ ،وجعلت انتماؤك للإسلام وتعصبك للدليل المعتبر من القرآن والسنة بفهم الصحابة ،لو كنت صادقا مخلصا فى طلب الحق ،وأخذت بالأسباب الشرعية وجاهدت ، ستصل إليه حتما ،(وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (٦٩)) العنكبوت ٦٩ هذا قول ربنا الكريم ،فلابد من التجرد والصدق والإخلاص فى طلب الحق ، وليس وجود هؤلاء المرجئة حولك عذرا لك عند الله ،ولاسيما فى هذا الوقت الذى كثرت فيه وسائل الدعوة وتنوعت إلى درجة لم يسبق لها مثيل ،وبوسعك- إن أردت الحق وسعيت إليه صادقا –أن ترفع سماعة الهاتف وتسأل هيئة كبار العلماء واللجنة

---

[1] قال هذه الشروط الخمسة أحد دعاة الفضائيات فى مصر يدعى عبد العظيم بدوى الخلفي على قناة الرحمة يوم الثلاثاء ١٤٣٠/١٢/٢٨ بعد المغرب،وهو إمام وخطيب أزهري ينتمي حزبيا إلى جماعة أنصار السنة ،وهى جماعة مصرح لها من النظام المصري وهم مرجئة فى باب الإيمان ،وجهمية فى باب الكفر كما هو ظاهر من كلام الخلفي ،والخلفي هذا له طامات مع شيخه ،الشيخ المفضال مُحَمَّد إبراهيم شقرة _رحمه الله –فهو الذى استقبله فى الأردن واحتضنه دعويا وأغدق عليه وأكرمه كما يكرم الوالد ولده ،وعندما منَّ الله على الشيخ أبى شقرة وتاب ورجع عن مذهب الإرجاء الخبيث وأعلن ذلك فى مقدمته لكتاب (حقيقة الإيمان عند الشيخ الألباني رحمه الله)وغيره، تبرأ منه عبد العظيم الخلفي وقال للمقربين منه إن الشيخ الوالد انتحل مذهب الخوارج والغلو فى التكفير ! يقول هذا مع شيخه فما بالك بقوله على غيره ؟ وهذه التهم جاهزة عندهم يرمون بها كل من خالفهم وأظهر فساد مذهبهم دون ورع ولا دين ولا خوف من الله ؟والمصيبة الكبرى أنهم يقولون ذلك باسم السلف والسلفية تلبيسا على الشباب ليصرفوهم عن دعوة أهل السنة ،وأحياءاً لمذهب الإرجاء الخبيث فهلا رجع هذا الخلفي إلى مذهب السلف وما كان عليه الصحابة كما رجع شيخه ؟ أم هو الهوى والتعصب والحزبية ؟نسأل الله السلامة والعافية و حسن الخاتمة .

الدائمة ،فإن عجزت فلا أظنك تعجز عن زيارة موقعهم على شبكة المعلومات الدولية ،أو سؤال أحدهم أثناء سفرك للحج والعمرة ،أو قراءة كتبهم وفتاويهم وهى مطبوعة ومتداولة فى كل مكان والحمد لله لمن طلبها ،وبحث عن الحق ولم يؤجر عقله ،فليس لك عذر فى ذلك ،والموفق من وفقه الله .

وها أنا ذا بحول الله وقوته أبين لك حقيقة مذهب الصحابة وما عليه شيوخ الإسلام والأئمة الأعلام وفتاوى كبار العلماء فى المسائل التى لبس بها دعاة المرجئة عليك وعلى كثير من شباب المسلمين باسم السلف والسلفية حتى تكون على بينة من أمرك ،وهم يقصدون بالسلف عندهم مرجئة الفقهاء الذين ذمهم السلف وحذروا من مذهبهم .

وبما أن كلمة السلف والسلفية فى هذا العصر أصبحت مطاطة وحمالة أوجه ويدعيها كل أحد من المرجئة والمبتدعة ،كما ادعاها الأشاعرة والماتريدية من قبل ، لذلك عزمنا على رفع الالتباس وتحرير مذهب الصحابة وتوضيح ماكان عليه الصحابة رضى الله عنهم ،ومخالفة مرجئة العصر أدعياء السلفية لهم فى مسائل الإيمان والكفر حتى لاينخدع طالب العلم بكلام هؤلاء المرجئة الجدد كما خدع البعض بدعوة الأشاعرة أنهم أهل سنة ،والعبرة فى ذلك الدليل وعرض كلام مرجئة العصر على الكتاب والسنة وفهم الصحابة حتى نعرف كذب هؤلاء وأنهم أدعياء وأقوالهم ليس لها حقيقة والواقع يكذبها .

وإذا قلنا السلف فنقصد بهم الصحابة ،. ولماذا الصحابة ؟ولماذا نريد إحياء مذهب الصحابة ؟ ولماذا ندعو إلى الرجوع إلى فهم الصحابة ؟ولماذا نقول لمن قصرت همته وضعفت عزيمته ورضي لنفسه أن يقلد ،إذا أردت التقليد فقلد الصحابة ؟

فلماذا الصحابة ؟

لأنهم رضى الله عنهم ورضوا عنه

لأن رسول الله ﷺ مات وهو راض عنهم

لأنهم أفهم الأمة لكلام الله ورسوله وفيهم نزل القرآن

لأن رسول الله ﷺ أمرنا بإتباعهم (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ)

لأن رسول الله ﷺ زكاهم (أفضل القرون قرني...)

لأن التمسك بما كان عليه الصحابة إتباع وليس تقليد ،وفى الإتباع النجاة

لأنهم الفرقة الناجية والطائفة المنصورة أهل السنة والجماعة (ماأنا عليه اليوم وأصحابي)فالتمسك بما كان عليه رسول الله ﷺ والصحابة دين.

هذه بعض الأسباب التى تجعل المسلم الذى يريد الجنة شديد اللصوق بجيل الصحابة ،شديد التمسك بما كان عليه الصحابة ،فقوم رضى الله عنهم وأدخلهم الجنة ، فمن أراد أن يدخل الجنة مثلهم فليعمل عملهم ،ويقتفى أثرهم امتثالا وانقيادا لكلام الله ورسوله ،فهل عرفت الآن لماذا نقول وننادى بالعودة إلى فهم الصحابة ونطالب بإحياء مذهب الصحابة ؟ والرجوع إلى ماكان عليه الصحابة ؟نسأل الله أن يتوفانا على الإسلام .

وحتى تتضح لك الأمور أذكر لك بعض العلامات التى تعرف بها أهل البدع مثل الخوارج والمرجئة التي تميزوا بها عن أهل السنة والجماعة قديما وحديثا حتى يكون المسلم علي بينة من أمره وتعرف تلبيس دعاة المرجئة الذين يتهمون أهل السنة بالتكفير والغلو مستغلين جهل كثير من الشباب بحقيقة أهل الغلو ومذهب الخوارج ويدعون كذباً وتلبيساً أنهم سلف وسلفية ،وما هم إلا مرجئة وجهمية .

فكيف تعرف المرجئ ؟وما هى العلامات والضوابط التى تحكم بها عليه من كلامه ؟

وكذلك كيف تعرف الخوارج أهل الغلو فى التكفير والتوقف والتبين ؟

فمن سمات الخوارج وأهل الغلو :

١- أنهم يكفرون بالمعصية دون الشرك فمن زنا أوسرق أو قتل فهو عندهم كافر

٢- أن الإيمان عندهم لا يزيد ولا ينقص فهو شيء واحد

٣-الأصل فى الناس الكفر ولا يحكمون بالإسلام إلا لمن يعرفون أنه من جماعتهم وعلى نفس منهجهم وطريقتهم ٤- ومن أجل ذلك يكفرون المجتمع وأفراده بالعموم

٥- لا يصلون فى مساجد المسلمين ولا مع المسلمين ولا خلف المسلمين

٦- يعتزلون الناس ولا يشاركون فى المجتمع من وظائف ومدارس وغيرها ومن شارك فى المجتمع فهو قد كفر وخرج من الإسلام بمجرد أنه تول وظيفة أو أدخل أولاده المدارس أو عمل توكيلاً لأحد المحامين أو دخل المحكمة لعمل تظلم أو عقد بيع أوشراء أوإستخراج جواز سفر أو غير ذلك

٧- لا يصلون خلف بعضهم البعض ولا يأكلون ذبائح بعضهم البعض ولا يلقون السلام بتحية الإسلام

٨- يتوقفون فى المسلم حتى يتبينوا من عقيدته وإن كانت هذه من سمات أهل التوقف والتبين ،وقد رددنا عليهم فى التنبيهات وبينا فساد عقيدتهم ومخالفتهم للصحابة

٩- الوقيعة فى أعراض العلماء ولمزهم واحتقارهم وتنقصهم وتكفيرهم لمجرد مخالفتهم فى بعض المسائل التى هى مورد الاجتهاد والنظر ونقصد هنا العلماء ودعاة أهل السنة أمثال الشيخ بن باز وبن عثيمين والفوزان والطحان وسفر وسلمان والطر يري والألباني منهم ولاشك وإن زل ووافق المرجئة غفر الله له

غلوهم فى مسألة التبرج والسفور وحلق اللحى وغيرها من المعاصي

١٠.غلوهم فى الحاكمية وأعراف البادية والولاء والبراء وعدم تفريقهم بين الأعراف التى لا تخالف الشرع الولاءات الغير مكفره فجعلوها كلها قسماً واحداً كفراً أكبر.

١١- ومن العلامات البارزة لأهل الغلو فى التكفير ، تكفيرهم الدعاة والعلماء بالشبهة والتأويل واللازم وبالمناطات الغير مكفرة مثل الدعاء للحاكم الذى لم يثبت كفره عنده ،فهم ضلوا وانحرفوا من عدم تفريقهم بين تكفير الكافر الأصلى ،وبين تكفير الكافر المرتد وحملوا قاعدة من لم يكفر الكافر عليهما دون تفريق ولم يحققوا المسألة ،ولم يرجعوا لكلام السلف وأئمة الدعوة وشرحهم لهذه القاعدة ،مع أن تكفيرهم للمتأول مخالف لما كان عليه الصحابة والسلف الكرام ،وكلام بن تيمية فى عدم كفر المتأول كثير ومتواتر ،إلا أنهم يكابرون ويتبعون الهوى والشبهات ، وإذا ألزمناهم بالدليل ومن قال من السلف بتكفير المتأول ،حادوا وعجزوا عن الجواب وهكذا أهل البدع دائما ،نسأل الله السلامة والعافية .

هذه بعض سمات أهل الغلو ، وبذلك نفرق بين أهل الغلو وبين أهل السنة والجماعة الذين يقولون:

"يكفر تارك التوحيد وتارك الصلاة وتارك أعمال الجوارح بالكلية مع قدرته وتمكنه من العمل وعدم عجزه (وستأتى فتاويهم تبين ذلك بوضوح) ،وكذلك يكفرون الحاكم المبدل لشرع الله ،الذى نحى شريعة الله واستبدلها بالقوانين الوضعية الجاهلية ،الصاد عن سبيله الله المحارب لأوليائه ، وكذلك يفرقون بين الاسم والعقوبة فى مسألة الأعذار بالجهالة ويسمون كل من وقع فى الشرك مشركا ومن وقع فى الكفر كافرا ،هذا هو اسمه الذى سماه الله به بقطع النظر عن عقوبته من عدمها فهم يفرقون بين الاسم والعقوبة وبين الحجة الرسالية والحجة الحدية التى هى الاستتابة.

ومن يعتقد هذه الأمور ليس من أهل الغلو وإلا لأطلقنا لفظ الخوارج والتكفير والغلو على علماء أهل السنة القائلين بهذه المسائل مثل الصحابة والتابعين وبن تيميه وبن القيم و بن عبد الوهاب وأولاده وأحفاده وأئمة الدعوة النجدية والشيخ ابن باز وبن عثيمين والفوزان وبن جبرين وبكر أبو زيد والطحان وسفر وسلمان وعلى الخضير وصالح آل الشيخ ومُحَمَّد أبو رحيم وعلى الزهراني ، كل هؤلاء يكفرون الكافر ولا يعذرون بالجهل إلا حديث عهد بالإسلام أو أهل البادية ولا يشترطون فهم الحجة إلا في المسائل الخفية فقط ويكفرون تارك الصلاة ويكفرون الحاكم المغير حكم الله المبدل لشريعته الصاد عن سبيله المحارب لأوليائه هل كل هؤلاء تكفير وخوارج وأهل غلو وفئة ضالة ؟ حاشا لله وكلا بل هم أئمة الهدي ومصابيح الدجى وبهذا يتضح لك الحق من الباطل ،والهدى من الضلال ،والسنة من البدعة ،والطاعة من المعصية ،فهذه ثلاثة أشياء ضد ثلاثة أشياء عند أهل السنة ،خلافا لأهل الأهواء والبدع

وكذالك من سمات المرجئة أهل التساهل والتفريط :-

١-إنهم يخرجون الأعمال من مسمى الإيمان .

٢-الإيمان عندهم اعتقاد وقول فقط وبعضهم اعتقاد فقط وبعضهم يكفي فيه القول والتلفظ فقط ،مع أن مرجئة العصر الآن يوافقون أهل السنة فى التعريف لفظا فقط دون المعنى والحقيقة فيقولون الإيمان اعتقاد وقول وعمل يزيد وينقص ،وهذا هو تعريف أهل السنة ،فإن قلت لهم والعمل (أعمال الجوارح) قالوا شرط كمال !!!

٣-كل من قال لاإله إلا الله فهو من أهل الجنة وإن وقع في النواقض وإن نحى الشريعة ونذر وذبح لغير الله وطاف حول القبور ودعاهم من دون الله وإن استهزأ وسب دين الله كل هؤلاء مسلمون لأنهم يقولون لاإله إلا الله ولم يعتقدوا ولم يستحلوا الكفر !

٤-لمزهم لأهل السنة بأنهم خوارج وتكفير ،حتى ينفروا الناس منهم ويحرموا الناس من الاستفادة من علمهم لأن أهل السنة يكفرون تارك الصلاة ولا يقولون بالعذر بالجهل في المسائل الجلية ويكفرون الحاكم المغير لدين الله المبدل لشريعته المحارب لأوليائه

٥- وكذالك المرجئة يقيدون الكفر بقيود الاستحلال والجحود والقصد والاعتقاد والمعرفة والعلم وانشراح الصدر ولا يكفر إلا من أراد وقصد الكفر بقلبه ،-كما مر معك كلام الخلفي —وغيره ممن يروجون لهذا المذهب الإرجائي الخبيث وينشرونه بين شباب الأمة على أنه عقيدة أهل السنة والجماعة وباسم السلف والسلفية ،ومن خالفهم تكفير وخوارج ومبتدعة وأهل غلوا وفئة ضالة !وحسبنا الله ونعم الوكيل.

هذه بعض أقوال وعلامات أهل الإرجاء فكن على حذر منها ومن تلبيساتهم ،ولا تغتر بقولهم أنهم سلف وسلفيه ،فهم أبعد الناس عن منهج الصحابة والسلفية الحقة ،فهم أدعياء السلفية مرجئة العصر ،وقد حذر السلف وكبار العلماء منهم ومن مذهبهم ،فأليك مجمل أقوال السلف فى ذم المرجئة والإرجاء حتى تكون على بينة

المبحث الأول

تحذير السلف وكبار العلماء من المرجئة والإرجاء

من هم المرجئة ؟

المرجئة لغة من الإرجاء: وهو التأخير والإمهال ،

قال تعالى : " قَالُوا أَرْجِهِ وَأَخَاهُ" [١] أي : أمهله ، ومن الرجاء ضد اليأس وهو الأمل ، قال تعالى : " أُوْلَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ " [٢].

والمرجئة اصطلاحًا في الشرع : كانت المرجئة في آخر القرن الأول تطلق على فئتين كما قال الإمام سفيان ابن عيينة -رحمه الله :

قوم أرجئوا أمر علي وعثمان ، فقد مضى أولئك (أي ليسوا من المرجئة المذمومة ومنهم الحسن بن مُحَّد بن الحنفية).

فأما المرجئة اليوم فهم يقولون : الإيمان قول بلا عمل ،أو اعتقاد وقول وعمل والأعمال شرط كمال كما تقول مرجئة العصر أدعياء السلفية ،فهم وافقوا السلف فى اللفظ والتعريف وخالفوهم فى الحقيقة والمعنى ، واستقر المعنى الاصطلاحي للمرجئة عند السلف على المعنى الثاني (إرجاء الفقهاء) وهو القول بأن : الإيمان هو التصديق ، أو التصديق والقول ، أو الإيمان قول بلا عمل ثم أطلق الإرجاء على أصناف أخرى كالجهمية القائلين بأن الإيمان هو المعرفة فقط ، والكرامية القائلين بأن الإيمان هو قول اللسان فقط وغيرهم كما سيأتي في أصناف المرجئة.

نشأة الإرجاء والمرجئة وتاريخها

قيل أن أول من تكلم بالإرجاء ذر بن عبد الله الهمداني ، ثم حماد بن أبي سليمان ، ثم أبو حنيفة وقيل قيس الماجد أو الماص ، وانتشر الإرجاء بعد دخول عمرو بن مرة فيه.

وقال الإمام الطبري -رحمه الله:

---

(١) سورة الشعراء آية ٣٦.

(٢) سورة البقرة : آية ٢١٨.

(الإرجاء معناه ما بيناه قبل من تأخير الشيء ، فمؤخر أمر علي وعثمان - رضي الله عنهما - إلى ربهما ، وتارك ولايتهما والبراءة منها ، مرجئًا أمرهما فهو مرجئ ، ومؤخر العمل والطاعة عن الإيمان ومرجئها عنه فهو مرجئ)"[1] ".

والمرجئة : اسم فاعل من الإرجاء وهو يأتي بمعنى التأخير والإمهال ، وبمعنى إعطاء الرجاء ، وهم على هذا يؤخرون العمل عن الإيمان ويعطون العصاة الرجاء في ثواب الله ؛ لأنهم يقولون لا تضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة ، ولو قالوا لا تزيله المعاصي دون الكفر إلا بالاستحلال لكان قولهم صوابًا ، أي لا تنقص الإيمان عندهم المعاصي لأن الإيمان عندهم واحد والناس فيه سواء ، وبدعة الإرجاء من أشد البدع التي كان لها آثار وخيمة في حياة المسلمين من نهاية القرن الأول إلى اليوم وخصوصا بعد ما أصبحت الدول والحكومات تتبناه وتشجع عليه وتنشره لأنه لايمثل خطرا عليها ولا على مذهبها العلماني التى تنتحله بدلا من دين الله والديمقراطية بدلا من شريعة الله وحكم القانون والدستور بدلا من حكم الله ،وكل ذلك عند المرجئة صغائر ومعاص لايكفر بها صاحبها مالم يستحلها ويعتقدها ويقصدها وينشرح بها صدره !

النشأة والتطور

الأول: إرجاء الشكاك الذين لم يتعين عندهم المخطئ والمعيب من المتنازعين في صِفِّين والجَمَل ، وهذا حدث بعد الفتنة سنة ٣٨ هـ تقريبًا وما بعدها.

وهذا هو الذي تكلم به وكتب فيه كتابًا : الحسن بن مُحَمَّد بن الحنفية ؛ نعم هو أول من تكلم بالإرجاء على هذا النحو ، لكنه بريئ من الإرجاء المذموم ، وإنما هو إرجاء أمر المتنازعين أيام علي ومعاوية - رضي الله عنهما - وقد ندم الحسن وتبرأ من الخوض في هذا الإرجاء والكلام فيه ، لأنه فيما شجر بين الصحابة ، وهو أمر انقضى ومضى والسلف صاروا يكرهون الخوض فيه[2].

وهذا النوع من الإرجاء لا يُعد من البدع إنما هو قول اجتهادي اقتضته ظروف الفتنة قبل أن يستبين وجه الحق ، أما الإرجاء المذموم الذي يتعلق بالإيمان وخروج الأعمال منه فلم يعرج عليه فلا يلحقه بذلك ذم ولا عتاب والله أعلم)[3].

الثاني: مرجئة الفقهاء وهي المعنية بالإرجاء المذموم بالمعنى الاصطلاحي وهي الفرقة المشهورة التي أخرجت العمل من الإيمان ونشأت ما بين عام ٧٣ هـ وعام ٨٣ هـ تقريبًا ، وهذا هو الإرجاء المشهور وهو المعنِي غالبًا عند السلف ويقوم على القول بأن الإيمان هو التصديق أو التصديق والقول قال قتادة : " إنما أُحدث الإرجاء بعد هزيمة ابن الأشعث عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن الأشعث الكندي الذي خرج على الحجاج وقد قام مع ابن الأشعث علماء أجلاء من سادة التابعين على رأسهم سعيد بن جبير أمام التابعين - رحمه الله ورضي عنه - ويغلط غلطًا فاحشًا من لا يفرق بين الخروج على الحكام الظلمة والكفرة وبين مذهب الخوارج ، ويجهل جهلاً قبيحًا بمذهب السلف من يسوي بينهما ويرمي كل من خرج على الحكام الظلمة فضلاً عن أهل الكفر والردة بأنه من الخوارج المارقين ، ويلزم من هذا القول القبيح شديد الفحش أن يكون كل من خرج من السلف ومنهم الحسين بن علي خوارج وكان خروج ابن الأشعث سنة ٨١ هـ حتى ٨٣ هـ ، فقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أنه حدثت بدعة المرجئة في أواخر عصر الصحابة ، وفي عهد عبد الملك بن مروان وعبد الله ابن الزبير ، وعبد الملك توفي سنة ٨٦ هـ ، وابن الزبير قتل سنة ٧٣ هـ ، وقد أنكر الصحابة والتابعون ذلك كعبد الله بن عباس وجابر وابن عمر وغيرهم ، وهذا النوع من الإرجاء هو الذي بدعه السلف وهو القول بأن العمل ليس من الإيمان.

وأول من قال بالإرجاء ونشره وتكلم في الإيمان على هذا النحو المذموم هو ذر بن عبد الله المرهبي المتوفى سنة ٩٩ هـ فهو أول من فتح باب الإرجاء في الأمة ، ثم جاء تلميذة حماد بن أبي سليمان شيخ أبي حنيفة المتوفى سنة ١٢٠ هـ وتوسع فيه وزاد بأكثر مما تكلم فيه شيخه ذر المرهبي ، فكان حماد هو أول من قال بالإرجاء وتوسع فيه وقال بأنه لا يجوز الاستثناء في الإيمان وأنه لا يزيد ولا ينقص ، ثم إن حمادً كثر أتباعه من فقهاء الكوفة على هذا المذهب الخبيث وفتنة الناس به ، ولاسيما عندما دخل فيه من العبَّاد والزُّهاد وأهل العلم والفقه أمثال الإمام أبو حنيفة تلميذ حماد بن أبي سليمان ، وانتشر الإرجاء أكثر وتهافت فيه الناس لما دخل فيه عمرو بن مرة المرادي المتوفى سنة ١١٦ هـ حيث كان عابدًا صالحًا ففتن الناس بهفوته - عفا الله عنا وعنه ،تماماً مثل مافتن الشباب بهفوة وزلة الشيخ الألباني –رحمه الله وغفر له –فقد دخل كثير من الشباب وطلبة العلم فى الإرجاء وقالوا بهذه البدعة الخبيثة تقليدا له ،ومن هؤلاء عبد العظيم الخلفي المصري فقد أخذ هذا المذهب الإرجائي الخبيث عن شيخه أبو شقرة –رحمه الله –ثم عاد إلى مصر خطيبا فى الأوقاف فنشر هذا

---

[1] تهذيب الآثار : ٦٦١/٢ .

[2] كما قال ذلك الدكتور ناصر العقل في سلسلته القيمة : " رسائل ودراسات في الأهواء والافتراق والبدع وموقف السلف منها الحلقة الخامسة القدرية والمرجئة "

[3] كتاب الدكتور ناصر العقل: ص٨١ .

المذهب المنحرف وتبعه بعض الشباب على هذه البدعة ،وندعو الله أن يتوب على الخلفى من هذا المذهب الإرجائي الخبيث كما تاب على شيخه أبو شقرة ،ويتوفاه على السنة ،فالخلفي وأمثاله فتنة للمسلمين ،فاللهم سلم فقد أخرج الإمام اللالكائي عن مغيرة ، قال : لم يزل في الناس بقية حتى دخل عمرو بن مرة في الإرجاء فتهافت الناس فيه" وقد قال عنه أبو حاتم صدوق ثقة كان يرى الإرجاء ووصمه بالإرجاء ابن حبان وابن حجر وغيرهما " [1] فعلى هذا الترتيب يتضح أن الحسن بن مُحَمَّد بن الحنفية بريء من هذا الإرجاء المذموم براءة تامة([2]).

وأن أول من قال بالإرجاء وتكلم في الإيمان ذر بن عبد الله ثم أتى تلميذه حماد بن أبي سليمان وتوسع فيه وفرع وابتدع ، ثم انتشر أتباع حماد في الأمصار وقال ببدعته كثير من فقهاء الكوفة وعبادها أمثال أبو حنيفة المتوفى سنة ١٥٠ هـ وهو أشهرهم لأنه إمام وصاحب مذهب متبوع فتُنسب الإرجاء والمرجئة إليه مع أنه قال بالإرجاء من العباد غيرهم أمثال إبراهيم التيمي المتوفى سنة ٩٢ هـ قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله : " الذين رموا بالإرجاء من الأكابر مثل طلق بن حبيب ، وإبراهيم التيمي ونحوهما كان إرجاؤهم من هذا النوع وكانوا أيضًا لا يستثنون في الإيمان ، وكانوا يقولون هو الإيمان الموجود فينا ونحن نقطع بأنا مصدقون ، ويرون الاستثناء شكًا" ([3])

كلمة لابد منها بعيدا عن التعصب والحزبية

إن المتأمل في ترجمة الأكابر الذين قالوا بالإرجاء - كما يقول شيخ الإسلام - يرى أنهم أصحاب عبادة وزهد وعلم وفقه وكفى بأبي حنيفة مثالاً فهو إمام بلا شك ولا يستطيع مسلم منصف أن ينكر إمامته وعلمه وفضله ، ومع هذا نَقِمَ عليه أهل العلم والسلف مذهبه الإرجائي وردوا عليه وبدَّعوه وضللوه وهجروه واستتابه العلماء أكثر من مرة.

وممن ذكر إرجاء أبي حنيفة : عبد الله بن المبارك ، وحمَّاد بن زيد ، والفزاري ، وعبد الرحمن بن يزيد المقري ، وسفيان الثوري ، وشريك القاضي ، وسفيان بن عيينة ، والأوزاعي ، ويحي بن معين ، والإمام أحمد ، وحماد بن سلمه ، والإمام البخاري وابن حبان وشيخ الإسلام ابن تيمية [4].وقيل إنه رجع آخر حياته وهو حرى به رحمه الله .

والهدف من ذلك هو التنبيه على أنه ليس من شرط الرجل الفاضل أن لا يخطئ ، وليس من شرط العالم والداعية أن لا يخطئ ولا يضل ولا يخالف أهل السنة ، ولا تمنع العبادة ولا كثرتها ولا الزهد ولا الفقه من الوقوع في الزلات والقول بالضلالات والطامات ، نقول ذلك نصحًا للشباب الذين يقدِّسون العلماء والدعاة ويدافعون عنهم وعن أخطائهم ، بل ويتابعونهم على زلاتهم وينسبون هذه الطامات إلى أهل السنة والجماعة باسم السلف والسلفية ، وعندما يبين لهم كبار العلماء الحق وضلال وانحراف من خالفه من هؤلاء الدعاة كبر على نفوسهم تقبُل هذا الحق ويردُّونه ، بل ويتجرؤون على هيئة كبار العلماء واللجنة الدائمة ، لماذا ؟ لأنهم نظروا إلى شيوخهم على أنهم أهل علم وفقه ودين وزهد وعبادة ، فظنوا خطأ أن هذه الأمور مانعة من الوقوع في الزلات والضلالات والانحرافات وكما سترى ضل من هو أكبر من ابن حجر - وهو من هو في علم الحديث ، ولكن لا يمنع أن يخطئ الرجل الفاضل أو العالم ، نقول ذلك لأننا عندما نبين الحق بأدلته الشرعية نجد من يرده ولا يقبل نقدا في شيخه ومن أمثلة ذلك الشيخ الألباني - رحمه الله —و أتباعه من مدرسة الأردن ومدرسة الإسكندرية بقيادة الأخ الداعية ياسر برهامي ومجموعته ، يقول بعض الشباب - المغرر بهم الملبس عليهم : كيف ترمي الشيخ المحدث العلامة الفقيه شيخ الإسلام محدث العصر الزاهد الورع التقي النقي - الإمام الألباني ؟ كيف ترميه بالإرجاء ؟! ، وهل يمكن مع عمله بالحديث وخدمته للسنة أن يقول بالإرجاء؟ هل يعقل هذا؟ هذا لا يعقل ولا يكون وكذلك عن الشيخ ياسر برهامي وأتباعه من مدرسة الإسكندرية يقولون إن الشيخ الداعية نفع الله به وبدعوته الكثير من المسلمين فكيف ترمونه بالإرجاء والتجهم؟

---

(١) أصول الاعتقاد للالكائي : ٢٨٩/٥ تحقيق نشأت المصري.

[2] **وقد بينَّا ذلك في تعليقنا على " فتح المنان " للقنائي .**

[3] **مجموع الفتاوى : ٤٠/١٣ .**

[4] **تحقيق نشأة كمال المصري فقد نقل المحقق المصادر التي ذكرت استتابة العلماء لأبي حنيفة رحمة الله انظر تفصيل ذلك فى أصول اعتقاد أهل السنة للإمام اللالكائ ٢٨٢/٥**

وهكذا يقدس الشباب الدعاة ويؤجّرون لهم عقولهم ، ولا يخرجون عمَّ رسموه لهم من منهج ، ويعتبرون الخروج على هذا المنهج وقراءة كتب السنة وهيئة كبار العلماء واللجنة الدائمة : خروج على الشيخ وعلى منهجه ، وتمرد على مذهبه .

فنقول لهؤلاء الأحبة جميعًا : نشهد الله على حبكم في الله ونسأل الله أن يتقبل منا ومنكم صالح ما قدمتموه للدعوة في سبيل الله ولا يختلف سُني على حب الألباني وكيف لا يحبه وهو قد خدم سنة رسول الله ﷺ ، وذب عنها - نسأل الله أن يرحمه ويغفر له - لكن الحق أحب إلينا من الألباني وبرهامي والحلبي والخلفى وغيرهم من رؤوس الإرجاء في هذا العصر لماذا عندما يخطئ من نحب أو من له فضل علينا في العلم والهداية نستعظم في نفوسنا ويكبر عليها تقبل الخطأ ؟ لماذا نرفع من نحب درجة الألوهية أو النبوة والعصمة ؟ ولا نتصور ولا نقبل ورود الخطأ منه ؟ لماذا نلوي أعناق الأدلة ونؤول الكلام ونصرفه عن ظاهره ونجادل بالباطل لنميع الحق وننصر الضلال ؟ إن أهل السُنة أهل إنصاف وتجرد وهذا من أعظم ما يميزهم من أهل الأهواء والبدع فأين علم الألباني من ابن حجر والنووي والقاضي عياض والبيهقي والجويني والغزالي بل أين علم الألباني من فقه أبي حنيفة ؟

ولماذا نذكر خطأ هؤلاء الأعلام ولا نجرؤ أن نذكر الألباني بسوء ؟

لماذا نقدم قوله على قول السلف في علم الحديث وغيره ؟ ولماذا نتفاعل ونهضم جهد السلف وعلمهم ؟ وما هو حكم الحديث عند السلف قبل الألباني ؟

وهل الألباني وغيره إلا حسنة من حسنات السلف الكرام ؟

أين هؤلاء الشباب برهامي وأحمد فريد ومُحَمَّد إسماعيل وغيرهم من الدعاة الذين ربوا أنفسهم بالقراءة والإطلاع واجتماعهم على الخير مع شباب كلية الطب في جامعة الإسكندرية وكانوا يتعلمون ويُعلمون ؟ أين هؤلاء الشباب من علم الجبال الكبار أمثال ابن باز وابن جبرين والفوزان وبكر أبو زيد وابن إبراهيم ؟

ولا نظن أننا نقلل من شأنهم عندما نقول أنهم تربوا على الكتب والمطالعة ونشروا دعوتهم التي نفع الله بها الكثير ، فهذا يحسب لهم لا عليهم - نسأل الله لنا ولهم الهداية والتوفيق - ولكن كان عليهم تصحيح المسار ومراجعة ما هم عليه على يد كبار العلماء من أئمة الدعوة وهيئة كبار العلماء واللجنة الدائمة ، وفي هذه الأيام كانت الظروف تسمح بذلك فبعد إنهاء دراستهم الجامعية وهذا كان فيما أظن سنة ١٤٠٠ هـ أو قبلها أو بعدها بقليل كان من الممكن إرسال شباب منهم يتلقون العلم على يد هيئة كبار العلماء وأئمة الدعوة ويأتون يعلمون الشباب وأن لم تسمح ظروفهم بذلك ، فما هو المانع من الاتصال بأئمة الدعوة والاستنارة بعلمهم وسؤالهم فيما أشكل عليهم ومشاورتهم في أمور الدعوة والثبات على الطريق حتى يكون لهم سند شرعي متصل إلى العلماء وأهل العلم ، ويكون لهم شيوخ تلقوا العلم على أيديهم بدلاً من أن يعتمدوا على الكتب وفهمهم للأدلة مع حداثة أسنانهم وقلة علمهم وخبرتهم في الحياة ، فهم شباب أحبوا الخير وهداهم الله إلى طريق الحق فكان عليهم ألا يعتمدوا على أنفسهم في هذه السن المبكرة والمرحلة الخطرة وكان نتيجة ذلك بعدهم عن العلماء وأهل العلم وأئمة الدعوة ووقوعهم في الضلال والانحراف وتبني مذهب المرجئة والقول بالإرجاء في الإيمان وتبني مذهب الجهمية في الكفر واشتراط الجحود والاستحلال والاعتقاد القلبي.

وكبرت فتنتهم واستهواهم الشيطان وظنوا في أنفسهم أنهم أصبحوا علماء وعندما خرجت كتب أهل السنة من اللجنة الدائمة وهيئة كبار العلماء وغيرهم تحذر من الإرجاء ومذهب المرجئة نصحهم المخلصون بالرجوع إلى الحق والتوبة من هذا المذهب الخبيث المشين ووأد الفتنة وعدم إحياء هذا المذهب بعد أن اندرس ، فلم يستجيبوا للنصيحة ، وكبر عليهم الرجوع بل جادلوا بالباطل وركبوا موجة التلبيس والتدليس باسم السلف والدعوة السلفية ، بل وطعنوا في هيئة كبار العلماء واللجنة الدائمة وقالوا بلسان الحال والمقال نحن رجال وهم رجال ، وإذا كان لهم سلف فنحن سلفنا أبو حنيفة وابن حجر والألباني ونحن نقول بقول أهل السنة في الإيمان وأنه قول وعمل يزيد وينقص ونقول بالاستثناء (كما قال ذلك الحلبى فى الأردن والخلفى وحزب أنصار السنة فى مصر)، نقول لهم وافقتم أهل السُنة في القول والتعريف وخالفتموه في الحقيقة والمعنى ، ومعلوم أن المعركة بين أهل السنة والمرجئة في أعمال الجوارح ؛ فالمرجئة تقول : الأعمال ليست من الإيمان وإن كانت داخلة فيه وجزء منه فهي كمال في الإيمان ، وأهل السنة يقولون : الأعمال من الإيمان وركن فيه ولا يصح الإيمان إلا بالعمل .

والمرجئة المعاصرة تقول : تارك عمل الجوارح بالكلية مع القدرة والتمكن وعدم العجز مسلم تحت المشيئة مثل أصحاب الكبائر ، فالفرائض والمحارم سواء !!!! ،

وأهل السنة يقولون : تارك عمل الجوارح بالكلية مع القدرة والتمكن وعدم العجز كافر خارجًا عن الإسلام لأنه معرض عن العمل متولٍ عن الطاعة .. وقد سبق إجماعهم .

فمرجئة العصر حقيقة قولهم في الإيمان أنه تصديق وقول لأن العمل عندهم شرط كمال ، إن جاء به العبد فهو كامل الإيمان ، وإن لم يأت به فهو ناقص الإيمان.

وليس معنى ذلك أننا نقدح في نيتهم أو نتهمهم بهدم الإسلام ولكن نظن أنهم أرادوا الحق ونصرة الدين ولكن أخطأوا في ذلك وكم من مريد للحق لم يوفق إليه ، وسبب انحرافهم أنهم تلقوا العلم من الكتب معتمدين على فهمهم مع صغر سنهم وقلة علمهم وبعدهم عن كبار العلماء ، وإهمالهم تعلم التوحيد والعقيدة وأصول الدين إهمالاً ترتب عليه عدم تحقيق مسائل الإيمان والكفر ، والقول بالإرجاء في الإيمان ، وتبني قول جهم في التكفير ، ووضعوا مناهج دراسية لأتباعهم توصل إلى هذا المذهب الخبيث ، ويُحرمون على أتباعهم الاحتكاك أو المخالطة بأهل السنة أو قراءة كتب أهل السنة من أئمة الدعوة وغيرهم ، ومن يَمُنُّ الله عليه منهم بكسر هذا السياج وتحطيم هذه الحواجز ويقرأ ما كتبه أئمة الدعوة وأهل السنة والجماعة إلا ويتبين له الحق ويعرف الحقيقة المرة التي عاشها مع هؤلاء ومدى التلبيس والتضليل والإرهاب الفكري الذي يمارسونه على أتباعهم مع تجرأ هؤلاء الأتباع وتطاولهم على هيئة كبار العلماء واللجنة وأئمة الدعوة ، ولولا أن هؤلاء أصبحت لهم مدرسة يُدرسون فيها هذا المذهب الخبيث سواء في الأردن أو مدرسة الإسكندرية ويحيون فيها ومن خلالها مذهب الإرجاء باسم السلف وينشرون الإرجاء - كما نشره سلفهم حماد بن أبي سليمان - وأضلوا به كثيرًا من الشباب كما أضل حماد تلميذه أبو حنيفة ، لولا هذه اللوثة الإرجائية باسم السلف والدعوة السلفية ما تكلمنا ولا ذكرنا أسماء هؤلاء المرجئة ، ولكن هي النصيحة في الدين ، وسيأتيك هدي السلف في ذلك من ذكر رؤوس المرجئة والتحذير منهم ومن بدعتهم وهجرانهم والتغليظ عليهم مع إنصافهم لهم وأخذ الحق منهم - سبحان الله العظيم - ما أعظم هذا الدين وما أحسنه من عدل وإنصاف وانظر في ذلك إنصاف الإمام الذهبي في " سير إعلام النبلاء " تجد العجب العجاب.

فلا يمنع علم الرجل وحسن عبادته وزهده وفقهه من الوقوع في الزلات والهنات فأين رؤوس المرجئة المعاصرة أمثال الألباني والحلبي ومدرسة الأردن وأمثال برهامي و أحمد فريد ومُحَمَّد إسماعيل ومدرسة الإسكندرية ، وأمثال عبد العظيم الخلفي وأنصار السنة المحمدية ومدرسة القاهرة الذين ما كفاهم نشر مذهب المرجئة في الإيمان فقط ، بل انتحلوا مذهب الجهمية في الكفر وقيدوه بالاستحلال والجحود والاعتقاد القلبي وأطلقوا على طاغوت مصر وفرعونها وجنوده وأنصاره أولي الأمر وأمير المؤمنين الذي يحق السمع والطاعة له ، ومن يكفر الحاكم المبدل لشرع الله المحارب لدين الله ولسنة رسول الله ﷺ من يكفره فهو خارجي وهابي قطبي من أهل الغلو والإرهاب والتطرف وأوقفوا مجلتهم مجلة الشرك لذلك ،وصرح بذلك جمال المراكبى رئيس حزب أنصار السنة والخلفى والزغبى وغيرهم ممن يروجون لهذا الفكر الخبيث

أين كل هؤلاء من العلماء الآتية أسمائهم ؟

<u>، فمن يلوم علينا بذكرنا لأسماء هؤلاء من مرجئة العصر والتحذير منهم ومن مذهبهم الإرجائي الخبيث ، يلوم على السلف الكرام من ذكرهم لأسماء مرجئة عصرهم والتحذير منهم ومن بدعتهم ، فأين نحن وهم من هؤلاء العلماء الفقهاء الزهاد من السلف الذين قالوا بالإرجاء ؟</u>

ومنهم:

إبراهيم التيمي ت سنة ٩٢ هـ كان من الأكابر العباد الزهاد أهل الفقه ، ولكنه كان مرجئ يقول بالإرجاء.

طلق بن حبيب الفزي ت سنة ١٠٠ هـ قال الذهبي : بصري زاهد كبير من العلماء العاملين من التابعين ، وروى اللالكائي عن سعيد بن جبير قوله : " المرجئة يهود القبلة " وعن أيوب قال : رآني سعيد بن جبير وأنا جالس إلى طلق بن حبيب وما أدركت بالبصرة أعبد منه ولا أبر بوالديه منه يعني من طلق ، وكان يرى رأي الإرجاء ، فقال لي سعيد : لا تجالسه - أي لا تجالس طلق فإنه مرجئ ، وقد ذكر ابن عبد البر أن طلقًا كان رأسًا من رؤوس المرجئة وكان مع ذلك عابدًا فاضلاً وكان مالك يُثني عليه لعبادته ولا يرضى مذهبه " فهل في مرجئة عصرنا الذين ذكرت أسمائهم من هو في مثل دين طلق وزهده وورعه[1].

<u>ونحن نقول كما قال سلفنا الكرام لاتجالسواالخلفى ولا الحلبى ولا المراكبى ولا غيرهم من رؤوس مرجئة العصر واحذروهم على دينكم فإنهم فتنة</u>

[1] **فمرجئة الفقهاء كانوا أهل علم وزهد وعبادة ومع ذلك ذكرهم العلماء وذموهم وحذروا منهم ، فكيف بمرجئة زماننا لا علم ولا دين ولا ورع ، بل ثراء فاحش ومتاجرة بالدين والدعوة.**

ذر بن عبد الله المرهبي ت سنة ٩٩ هـ أول من تكلم بالإرجاء في الكوفة وكان إبراهيم النخعي يعيب عليه قوله بالإرجاء ولذلك هجره هو وسعيد بن جبير ، وقال له سعيد : يا ذر مالي أراك كل يوم تجدد دينًا ، وقد شكاه ذر إلى أبي البختري الطائي أنه لم يرد عليه السلام ، فقال سعيد : إن هذا كل يوم يجدد دينًا لا والله لا أكلمه أبدًا.

مُحَمَّد بن حازم الضرير " أبو معاوية " ت سنة ١١٣هـ

قال ابن حيان كان حافظًا متقنًا ولكن كان مرجئًا خبيثًا ، وقال أبو داود ، كان رئيس المرجئة بالكوفة ، فالذين لا يتقبلون هذه الحقيقة هل يرون أن الشيخ الألباني - رحمه الله وغفر الله لنا وله - أحفظ وأعلم من أبي معاوية ؟ مع حفظه وإتقانه ؟ هل يرون في مرجئة العصر أنهم أعلم من هؤلاء الأعلام ؟ أم هي العصبية والزيغ والهوى ؟

عمرو بن مرة المرادي ، ت سنة ١١٦ هـ الكوفي الأعمى ، قال أبو حاتم : ثقة كان يرى الإرجاء ، ولم يزل في الناس بقية حتى دخل عمرو بن مرة في الإرجاء فتهافت الناس فيه ، ونحن لا نقول لم يزل في الناس بقية حتى دخل الألباني في الإرجاء ؛ بل ولله الحمد الناس بخير وفي خير ما دام فيهم أهل السنة والجماعة الذين يبينون الحق ويكشفون الباطل وأهله ولا يضر الدين مرجئة الإسكندرية ولا مرجئة أنصار السنة والخلفي ومدرسة القاهرة ، ولا نخاف على شباب الإسلام فالحق واضح أبلج وهؤلاء في انحسار وانكسار وأتباعهم يتناقصون يومًا بعد يوم والحق يعلو يومًا بعد يوم مع أننا ندعو الله لهم بالهداية والرجوع إلى الحق ، فوالله إن رجوعهم إلى الحق والتبرؤ من مذهب الإرجاء الخبيث والتوبة من الركون إلى الطواغيت أحب إلينا لأن في توبتهم ورجوعهم خير للإسلام وللمسلمين لأن فيهم دعاة وأهل علم وفقه وخطابة أمثال : يعقوب والعفاني والخلفي وبرهامي وأهل وعظ أمثال أحمد فريد ومُحَمَّد إسماعيل ففيهم خير كثير ؛ فلذلك توبة هؤلاء ورجوعهم إلى الحق فيه خير كثير وقوة للإسلام والمسلمين.

حماد بن أبي سليمان ت سنة ١٢٠ هـ وهو سبب ضلال تلميذه الإمام أبي حنيفة.

عبد الكريم بن مالك الحراني ، ت سنة ١٢٧ هـ قال الذهبي كان فقيهًا مرجئًا.

أبو حنيفة النعمان الإمام المشهور ت سنة ١٥٠ هـ حيث أخذ الإرجاء عن شيخه حماد بن أبي سليمان ، وكثير من الأحناف على ذلك قديمًا وحديثًا لذلك مرجئة العصر يهتمون بالفقه وتأصيل مسائله وتفصيل مسائله ولا يهتمون بالتوحيد مثل اهتمامهم بالفقه.

عمر بن ذر المرهبي ت سنة ١٥٦ هـ فقد تابع أباه ذر في قوله بالإرجاء وكان رأسًا في الإرجاء كما قال أبو داود ، وقال العجلي : عمر بن ذر القاص كان ثقة بليغًا يرى الإرجاء ، وقال الفسوي ثقة مرجئ.

عبد العزيز بن أبي رواد ت سنة ١٥٩هـ

قال الإمام أحمد فيه " كان مرجئًا رجلاً صالحًا " وكان عبد العزيز من أعبد الناس وأصلحهم ومع ذلك أوقعه ابنه في الإرجاء ، ولما مات ترك سفيان الصلاة عليه وعارض الجنازة والناس يرونه لم يصلِ ، فقيل لسفيان فقال : والله إني لأرى الصلاة على من هو دونه عندي ؛ ولكن أردت أن أُري الناس أنه مات على بدعة ، قال الذهبي : كان كثيرًا المحاسن لكنه مرجئ ، والعجب عن عبد العزيز كيف يرى الإرجاء وهو من الخائفين الوجلين مع كثرة حجه وتعبده ؟ وأما ابن حبان فبالغ في تنقص عبد العزيز وقال : كيف يكون التقي في نفسه من كان شديد الصلابة في الإرجاء كثير النقض لمن انتحل السنن ؟!

عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد ت سنة ٢٠٦ هـ

قال الإمام مالك : " ذاك الذي أدخل أباه في الإرجاء "

وقال الحسن بن وهب الجمحي : " قدم علينا عبد العزيز بن أبي رواد وهو شاب يومئذ ابن نيف وعشرين سنة ، فمكث فينا أربعين أو خمسين سنة لا يُعرف بشيء من الإرجاء حتى نشأ ابنه عبد المجيد فأدخله في الإرجاء ، فكان أشأم مولود ولد في الإسلام على أبيه " وقال أبو داود ، عبد المجيد كان رأسًا في الإرجاء ، وقال يعقوب بن سفيان : كان مبتدعًا داعية.

وقال الذهبي : " كان من المرجئة ومع هذا فوثقه أحمد ويحيى بن معين ، وقال أحمد : كان فيه غلو في الإرجاء يقول هؤلاء الشكاك يريد قول العلماء : أنا مؤمن إن شاء الله ، فهو صدوق مرجئي ، ولما مات قال عبد الرازق : " الحمد لله الذي أراح أمة مُحَمَّد من عبد المجيد وسبقت الإشارة إلى أنه تسبب في التلبيس على أبيه حتى قال بالإرجاء.

قال الدكتور ناصر العقل بعد أن ساق هذه الأخبار : " فليتعظ بذلك أولئك الذين يشاهدون في أمر البدع والمحدثات والحزبيات والشعارات وترويجها بين أهل السنة وحسبنا الله ونعم الوكيل" فإذا كان هذا كلام السلف فيمن قال بالإرجاء ولبس على الأمة دينها وهم في القرن الأول المفضل ، فماذا نقول

نحن في مرجئة العصر الذين يلبسون على الشباب دينهم ويدعونهم إلى هذه البدعة الخبيثة ، ومن شدة تدليسهم وسوء تلبيسهم ينسبون هذه الأقوال القبيحة إلى السلف والسلفية زيادة في الانحراف والإضلال .

وقد عرفت أن المعركة بين أهل السنة وهؤلاء المرجئة حول أعمال الجوارح و لا يلزم من قال بقول المرجئة أن يكون مرجئًا خالصًا فلمصلحة من يفعل هذا بالشباب ؟ ولمصلحة من يحمل هؤلاء هذا المنهج الخبيث ويدعون إليه الشباب ؟ ومع تبديع السلف للمرجئة وتفسيقهم والتغليظ عليهم في القول - كما مر معك - إلا أنهم لم يكفروا مرجئة الفقهاء ، بل قبل أهل الحديث رواية الثقات من مرجئة الفقهاء وكان موطن الإرجاء الأول الكوفة ثم انتشر بعد ذلك إلى سائر الأقاليم الإسلامية من خلال مذهب الأحناف الفقهي ومن خلال مذهب الأشاعرة والماتريدية - كما سيأتي تفصيل مذهب هؤلاء إن شاء الله تعالى - فإن الأشاعرة والماتريدية والصالحية أتباع أبو عبد الله الصالحي يوافقون مرجئة الفقهاء.

فهذه نبذة مختصرة عن الإرجاء - النشأة والتطور - وأن المرجئة بعد استقرار الفرق أصبحت تعني عند الإطلاق مرجئة الفقهاء وهم الأحناف غالبًا والأشاعرة والماتريدية ، واستقر مرجئة العصر على تعريف الإيمان وموافقة أهل السنة ثم إخراجهم العمل من حقيقة الإيمان ؛ فيقولون الإيمان : اعتقاد وقول وعمل حتى يوافقوا أهل السنة ويهربوا بالتدليس والتلبيس من قول المرجئة الأول ، ثم يقولون والعمل من الإيمان لكنه كمال في الإيمان لا يزول الإيمان بزواله ، بل من ترك العمل بالكلية مع قدرته فهو مسلم ناجٍ من الخلود في النار تحت المشيئة مثل أصحاب الكبائر.

انظر إلى التدليس والتلبيس الذي أغرقوا فيه الشباب وفتنوهم في دينهم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل وحقيقة قولهم هو نفسه قول المرجئة والجهمية.

ثالثًا: ثم بعد ذلك نشأة مرجئة الجهمية في أول القرن الثاني ، وهم غلاة الجهمية الذين قالوا بأن الإيمان هو : المعرفة ، وأول من نقل عنه ذلك الجهم بن صفوان ت سنة ١٢٨ هـ ،

وقيل: إن أول من قال بالإرجاء غيلان الدمشقي ت سنة ١٠٥ هـ والظاهر أن ذلك لا يثبت لأن غيلان قدري وقول القدرية يتنافى ويتعارض مع الإرجاء كما قال الشيخ ناصر العقل .

رابعًا: نشأة مرجئة الكرَّامية في النصف الثاني من القرن الثالث ظهر قول الكرَّامية أتباع مُحَمَّد بن كرَّام أبو عبد الله السجستاني المتوفى سنة ٢٥٥ هـ وقالوا بأن الإيمان هو : قول اللسان فقط ، فأخرجوا التصديق والأعمال من مسمى الإيمان ، وبذلك تعرف أن

أصول المرجئة مجتمعة على إخراج العمل من مسمى الإيمان

١-وأن الإيمان عندهم التصديق أو التصديق و القول.

٢- أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص.

٣- أنه لا يجوز الاستثناء في الإيمان.

وكل أصل من هذه الأصول الثلاثة تفرع عما قبله وقد بدَّع السلف المرجئة القائلين بخروج الأعمال من مسمى الإيمان ولوازمه وكفروا غلاة الجهمية " مرجئة الجهمية " القائلين : الإيمان هو المعرفة فقط ، وضللوا الكرَّامية القائلين : الإيمان قول اللسان فقط وبدَّعُوهم ؛ وعلى هذا يمكن تقسيم المرجئة إلى خمسة أصناف :

المبحث الثاني
أصناف وأقسام المرجئة [1]

---

(1) انظر شرح حديث جبريل : ص ٤٣٠ – ٤٤١ ، فقد ذكر شيخ الإسلام أقوال المرجئة وفصَّل وأطال في الرد عليهم . رحمه الله ورضي عنه .

الصنف الأول: القائلون بتأخير العمل عن الإيمان ، وبأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص ، وأنه لا يجوز الاستثناء في الإيمان ، وهؤلاء هم المرجئة على الإطلاق ، ويدخل فيهم : كثير من أهل الكلام كالأشاعرة والماتريدية ، وأبو حنيفة وكثير من أتباعه ، وبعض الفقهاء ؛ ويسمون مرجئة الفقهاء .

وأصل قولهم في الإيمان أنه : قول باللسان وتصديق بالقلب ، وهو قول الكُلَّابية أتباع أبي مُحَّد عبد الله بن سعيد بن كُلَّاب القطان البصري مؤسس فرقة الكُلَّابية ، ورأس المتكلمين في البصرة ، وكان يقول الإيمان هو : الإقرار بالله وبكتبه وبرسله إذا كان ذلك عن معرفة وتصديق بالقلب ، وهو قول أبي حنيفة كما نقله الإمام الطحاوي في عقيدته - وهو من أئمة الأحناف المتقدمين ، والإيمان هو الإقرار باللسان والتصديق بالجنان وجميع ما صح عن رسول الله ﷺ من الشرع والبيان كله حق.

ونقله عنه شارح الطحاوية ابن أبي العز الحنفي - رحمه الله - فقال : " ذهب كثير من أصحابنا إلى ما ذكره الطحاوي - رحمه الله : أن الإيمان إقرار باللسان وتصديق بالجنان " فمرجئة الفقهاء الإيمان عندهم هو إقرار باللسان وتصديق بالجنان .

والخلاف بين السلف ومرجئة الفقهاء (ومن قال بقولهم من المعاصرين) له آثار واضحة وأحكام مترتبة وليس خلافًا لفظيًا كما يتوهم البعض بل هو خلاف حقيقي لذلك ذمهم السلف وشنعوا عليهم ومنها:

السلف يقولون بزيادة الإيمان ونقصانه وهؤلاء يقولون بعدمها.

إطلاقه — أي لفظ الإيمان - على الفاسق أو عدمه فالسلف لا يطلقونه على الفاسق إلا مقيدًا وهؤلاء بعكسهم.

هل يقع الإيمان تامًا في القلب مع عدم العمل أم لا ؟ عند السلف لا يقع تامًا في القلب مع عدم العمل ؛ بل لا يكون إلا الكفر : سواء كفر إعراض وترك ، أو كفر تولي عن العمل ، وعند هؤلاء يقع.

وعند السلف أعمال القلب من الإيمان ، وعند هؤلاء خشية وتقوى لا تدخل في حقيقته.

وعند السلف الإيمان يتنوع باعتبار المخاطبين به وعند هؤلاء لا يتنوع .

السلف يقولون إنه يستثنى فيه باعتبار ، وهؤلاء يقولون لا يجوز ذلك لأنه شك .

إطلاق نصوص الإيمان على العمل أهو حقيقة أم مجاز ؟ فالسلف يقولون حقيقة ، وهؤلاء عندهم مجاز ولب الخلاف بين السلف وهؤلاء المرجئة (سواء مرجئة الفقهاء أو مرجئة العصر) أن السلف يرون أن تارك العمل بالكلية - جنس العمل - كافراً باطنًا وظاهرًا ، أما هؤلاء فيرونه مؤمنًا ناجيًا في الآخرة ، وقد سبق كلام السلف الصالح - أهل السنة والجماعة -وإجماعهم على كفره.

وهذه هي أصل المعركة بين السلف وبين المرجئة قديمًا وحديثًا ، ومن فهم قول السلف وتمكن منه ظهر له فساد الفرق التي انحرفت عن الحق وكل من قال بقولهم من الفقهاء والعباد ولكن كثير من الشباب وطلبة العلم لايحققون مذهب الصحابة والسلف فى الإيمان والكفر ولايكلفون أنفسهم عناء البحث و تحقيق المسألة وتعلمها على يد كبار العلماء ويكتفون بتقليد بعض الدعاة والمشايخ والوعاظ وهذا سبب الإنحراف

الصنف الثاني المرجئة الغالية :

وهم مرجئة الجهمية والغيلانية أتباع غيلان ، والشمرية وهم أصحاب أبي شمير ويونس السمري ويسمون السمرية ، والنجارية أتباع الحسين بن مُحَّد النجار الرازي من فرق المعتزلة وتسمى الحسينية وهم ثلاث فرق البرغوثية والزعفرانية والمستدركة .

والجهمية هم أول من غلا في الإرجاء ويقولون : الإيمان هو المعرفة بالله وبرسله وفرائضه المجمع عليها والخضوع له بجميع ذلك ، ويدخل في هؤلاء الشيبية أتباع مُحَّد بن شيب ؛ وهؤلاء الإيمان عندهم هو : الإقرار بالله والمعرفة بأنه واحد ، وبشر المريسي وابن الراوندي الملحد أتباع جهم يقولان : إن الإيمان هو التصديق بالقلب وباللسان جميعًا ، والمريسي وابن الراوندي كفَّرهما السلف لإلحادهما وكفرهما.

والكرَّامية أتباع مُحَمَّد بن كرَّام المتوفى سنة ٢٥٥ هـ المجسمة والمشبهة يزعمون أن الإيمان هو : الإقرار والتصديق باللسان دون القلب ، فالإيمان قول اللسان فقط ، وافترقت المرجئة وهم اثنتا عشرة فرقة ذكرها شيخ الإسلام وذكر أقوالهم والرد عليهم مجملاً ومفصلاً وفند شبهاتهم وأوقفهم على سبب الانحراف عندهم[١] .

الصنف الثالث : الذين أرجأوا الحكم في صاحب الكبيرة ، وتارك الفرائض في الآخرة فلا يحكمون له لا بجنة ولا نار ، وهذا الصنف مذموم لأن أصحابه يرون أن العمل والترك لا يضر مع المعرفة والتصديق ، وهذا القول فرع عن قول الجهمية إلا أن الجهمية يحكمون لمن عرف الرب بالجنة مطلقًا مهما عمل أو ترك ، أو هو لازم قولهم ، وهذا هو حقيقة قول مدرسة الأردن ومدرسة الإسكندرية على التحقيق ؛ فإنهم مع قولهم أن الإيمان : اعتقاد وقول وعمل إلا أنهم يقولون تارك العمل بالكلية مع القدرة والتمكن وعدم العجز ، ناجٍ من الخلود في النار ، ويقولون هو تحت المشيئة مثل أصحاب الكبائر مهما عمل من كفر ، وترك من أعمال تركها كفر فهو تحت المشيئة ومآله إلى الجنة لا يخلد في النار ، أو يتوقفون فيه ويرجئون أمره إلى الله في الآخرة ، وهذا هو أصل قول المرجئة والإرجاء خروج العمل من الإيمان ولكن هذا هو الإرجاء في طوره الجديد ، نسأل الله العافية والسلامة

والمرء يعجب : من أين دخلت عليهم الشبهة ؟

أمن دراستهم الأشعرية والماتريدية في الأزهر ،أم تقليدهم للشيخ الألباني - رحمه الله - .

أم من قول ابن حجر في الفتح والطحاوي وابن أبي العز في الطحاوية .

أم من بعدهم عن العلماء وتلقي العلم من الكتب .

أم من عدم تحريرهم مذهب السلف والإطلاع على ذم السلف للمرجئة ومن قال بالإرجاء - كما سبق —

أم الهوى والتعصب وعدم التجرد لقبول قول السلف بالتسليم .

أم من التدقيق في الشبهات بالعقل والمنطق .

وقد مر معك أن عدم الوقوف على ما وقف عليه السلف وإقحام العقل في الأدلة هو سبب الانحراف ، فيجب على المسلم الخائف من الله ومن زيغ القلب أن يقف مثل ما وقف السلف ، ويسعه ما وسعهم وعليه لزوم غرزهم حتى ينجوا مثلهم .

نسأل الله الثبات وحسن الخاتمة ، ونعوذ بالله من الزيغ والضلال والهوى والحور بعد الكور ، فعندما ينظر المسلم إلى هؤلاء العلماء العباد الفقهاء الزهاد وكيف ضلوا ووقعوا في الإرجاء مع علمهم وزهدهم : يخاف على نفسه ويكِل الأمر إلى الله ويعتصم به ويتوكل عليه ويكون شديد الإتباع لما كان عليه رسول الله ﷺ والصحابة الكرام رضى الله عنهم ويكون شديد اللصوق بهم ، ولا يخرج عن قولهم ، ولا يستدل بأقوال من بعدهم ، ولا يبحث فيما سكتوا عنه حتى لا يفتح عليه باب الشبهات ، ويدخل في المجادلات العقلية الاعتزالية ، اللهم يا ولي الإسلام وأهله مسِّكنًا بالإسلام حتى نلقاك ومِنَّ علينا بالفقه في دينك والشهادة في سبيلك ، شهادة ترضى بها عنا. تكون نكاية في أعدائك وعز لأوليائك ، تنصر بها دينك وتنجينا بها من الفتن ، فنحن يا ربنا أفقر العباد إليك وأحوجهم إلى عفوك وغفرانك ، فنحن أهل الفجرات والغدرات والمعاصي والزلات ، وليس لنا إلا أنت يا ربنا يا إلهنا ، فتولى أمرنا ولا تكلنا إلى أنفسنا ولا تحرمنا الشهادة في سبيلك ولا النظر إلى وجهك الكريم يا ذا الجلال والإكرام يا أرحم الراحمين ويا أكرم الأكرمين يا رب العالمين. آمين

الصنف الرابع: وهم الذين يقولون الإيمان قول اللسان فقط ، وهذا لا يعرف لأحد قبل الكرَّامية أتباع مُحَمَّد بن كرَّام المتوفى سنة ٢٥٥ هـ ومن بِدَعِهِم المشهورة قولهم : بأن الله جسم وأنه محل للحوادث ، وقولهم : إن الإيمان هو الإقرار والتصديق باللسان وأنكروا أن تكون معرفة القلب أو عمل الجوارح من

---

[١] انظره في شرح حديث جبريل تحقيق الزهراني : ص٩٦ – ٢١٠ ، فإنه ممتع ولولا خشية الإطالة – وهدفنا الاختصار – لنقلته لك بتمامه ، وللاستزادة في مذاهب المرجئة ، والوقوف على حقيقة مذهبهم وأقوالهم : يرجع إلى الملل والنحل للشهرستاني ١٣٩/١، ومقالات الإسلاميين للأشعري : ١١٧/١ ، ٢١٤ ، رسالة المرجئة للاحم ، والنواقض الاعتقادية للوهيبي : ١ / ١٧٠ والفرق بين الفرق للبغدادي ، والفصل لابن حزم ، وظاهرة الإرجاء ، وفهرس المراجع في آخر المسألة .

الإيمان ، وزعموا أن المنافقين مؤمنون على الحقيقة ، مستحقون للعقاب في الآخرة فنازعوا في اسمه لا في حكمه يقول شيخ الإسلام - رحمه الله : " وهذا القول هو الذي اختصت به الكرامية وابتدعته ولم يسبقها أحد إلى هذا القول وهو آخر ما أحدث من الأقوال في الإيمان "[1] وعلى هذا يمكن إجمال أصناف المرجئة إلى ثلاثة أصناف - بعد هذا التفصيل :

الأول: الذين يقولون : الإيمان مجرد ما في القلب ، ثم من هؤلاء من يدخل فيه أعمال القلوب وهم أكثر فرق المرجئة ؛ لأن الخلاف في عمل الجوارح وليس في أعمال القلوب ، ومنهم من لا يدخلها في الإيمان كجهم ومن اتبعه كالصالحي وغيره.

الثاني: الذين يقولون : الإيمان هو مجرد قول اللسان وهذا قول الكرامية ، مع أن بعض مرجئة العصر يرى قول الكرامية ؛ ويقول أحدهم : إن القول ينفع وإن لم يكن معه عمل ، ويستدل على هذا الزعم الباطل بحديث البطاقة ، ويقول دخل الجنة وليس معه إلا قول اللسان لا إله إلا الله ولم يعمل قط ، وهذا دخلت عليه الشبهات التي دخلت على الجهمية والكرامية من أن الإيمان هو المعرفة أو التصديق أو القول ، مع أن الأدلة الصريحة من القرآن والسنة وإجماع السلف تدل على أن الإيمان قول وعمل - كما مر معك - فكيف يكون الإيمان قول باللسان وصاحبه ناجٍ من الخلود في النار يوم القيامة ؟ وكيف يكون كافرًا في الدنيا مؤمنًا في الآخرة ، وكيف تقول في الأدلة المتواترة على أن الإيمان قول وعمل لا يصح ولا ينفع ولا يجزئ واحد دون الآخر ؟

الثالث: تصديق القلب وقول اللسان وهذا هو المشهور عن أهل الفقه والعبادة من مرجئة الفقهاء ، وهؤلاء غلطوا من وجوه :

أحدها : ظنهم أن الإيمان الذي فرض الله على العباد متماثل في حق العباد

ثانيها : ظنهم أن ما في القلب من الإيمان ليس إلا التصديق فقط دون أعمال القلوب كما تقدم عن جهمية المرجئة.

والوجه الثالث في غلطهم : ظنهم أن الإيمان الذي في القلب يكون تامًا بدون شيء من الأعمال ، ولهذا يجعلون الأعمال ثمرة الإيمان ومقتضاه بمنزلة السبب ، ويجعلونها كمال فيه ، ولا يجعلونها لازمة له ، والتحقيق أن إيمان القلب التام يستلزم العمل الظاهر بحسبه لا محالة ويمتنع أن يقوم بالقلب إيمان تام بدون عمل ظاهر.[2]

المبحث الثالث

موقف السلف من المرجئة:

أنكر السلف مقالات المرجئة إجمالاً وتفصيلاً وردوا عليهم وأغلظوا لهم القول

أما الإجمال فإنهم كرهوا الخوض في مسمَّى الإيمان ومسائله ، والسؤال عنه ، وامتحان الناس به وسؤالهم هل أنت مؤمن ؟ ، وعدوه من التكلف في الدين خلاف ما كان عليه الرسول ﷺ وصحابته الكرام رضى الله عنهم جميعًا.

أما التفصيل : فإنهم بدَّعوا من قال في تعريف الإيمان بأنه التصديق والتصديق والقول وأن الأعمال لا تدخل في مسمَّى الإيمان ، وبدَّعوا من منع الاستثناء في الإيمان ، وبدَّعوا من قال بعدم الزيادة والنقصان أو أحدهما ، وكفَّروا من قال الإيمان هو المعرفة ، وكفَّر بعض السلف الكرَّامية الذين قالوا : الإيمان قول اللسان كما نُقل عن وكيع بن الجراح والإمام أحمد بن حنبل وغيرهم من السلف - رحمهم الله جميعاً ، أما الجهم بن صفوان المعطِّل رأس الجهمية فقد كفَّره السلف لأنه يقول الإيمان هو المعرفة فقط دون الإقرار والعمل بسائر الطاعات .

وقد تكلمنا عن حقيقة الإيمان عند أهل السنة والجماعة وقلنا أنه مركب من أركان ثلاثة لا يصح أحدهم بدون الآخر وهي الاعتقاد والقول والعمل وأن الأعمال من الإيمان وركن فيه ، وهذا مما خالف فيه المرجئة أهل السنة .

---

(١) مجموع الفتاوى : ٥٦/١٣ .

(٢) وقد فصل الرد عليهم شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى : ٢٠٤/٧ وما بعدها.

وكذلك الكفر عند أهل السنة يكون بالاعتقاد وبالقول وبالعمل وبالشك وبالترك ، وهذا أيضًا مما خالفت فيه المرجئة أهل السنة ؛ فخالفوهم في الإيمان والكفر ، فحقيقة الإيمان عند المرجئة هو التصديق بالقلب وزادت بعض فرق المرجئة الإقرار باللسان كشرط لإرجاء أحكام الدنيا ، وليس الإقرار داخلاً في حقيقة الإيمان عند جمهور المرجئة - كما مر معك - ومن المعلوم أن المرجئة أقسام عدة وأنواع مختلفة وطوائف شتى ، وكل طائفة لها قول مختلف عن الأخرى ، وإن كانوا جميعًا يجمعهم خروج العمل من مسمى الإيمان ، نقول ذلك حتى لا يفهم البعض أن المرجئة قسمًا واحدًا ، فالمرجئة فرق عديدة ذكر الأشعري في المقالات والملطي في الرد والتنبيه إنهم اثنتا عشرة فرقة ، منهم مرجئة خالصة ومنهم من يجمع مع الإرجاء بدع أخرى ويجمعهم إخراجهم العمل من مسمى الإيمان ، والمرجئة الخالصة لا وجود لها اليوم كما يقول الدكتور مُحَمَّد الوهيبي في نواقض الإيمان الاعتقادية ، لكن آراءها الأساسية في الإيمان دخلت ضمن آراء الأشاعرة والماتريدية التي تدرس عقيدتهم في الأزهر حتى اليوم ، وتختلف فرق المرجئة في تعريفها للإيمان كما سبق ، وحاصل أقوالها يرجع إلى ثلاثة أقوال :

الأول: أن الإيمان مجرد المعرفة ، وبعضهم يقول المعرفة والتصديق مع دخول عمل القلب ، ومنهم من لا يدخله كجهم بن صفوان.

الثاني: أن الإيمان مجرد قول اللسان فقط وهو ما انفردت به الكرامية دون سائر الفرق وهو الإقرار والتصديق باللسان.

الثالث: أن الإيمان هو تصديق القلب وقول اللسان وهو ما يسمى بإرجاء الفقهاء ، وهؤلاء جميعًا اتفقوا على خروج أعمال الجوارح من مسمى الإيمان مع تفاوت بينهم في التصديق والمعرفة والإقرار

وقد انقسمت المرجئة إلى طوائف في شأن من قال أو فعل ما ورد النص بكفر فاعله:

منهم من قال: كل من نص الشارع على كفره فهو كافر ظاهرًا وباطنًا ، ليس بالعمل المكفر ولكن لأن العمل المكفر أمارة على أنه مكذِّب بقلبه ، وهذا هو قول الأشاعرة والأحناف والفقهاء.

ومنهم من قال: كل من نص الشارع على كفره وهو كافر في الظاهر ويجوز أن يكون مؤمنًا في الباطن ، وهذا قول الجهمية وهو قول في غاية الفساد لأن من أخبر الله بكفره فهو كافر ظاهرًا أو باطنًا.

ومنهم من قال: أن من نص الشارع على كفره لا يحكم عليه بالكفر إلا أن يصرح بالجحد وهو الإنكار الظاهر باللسان أو الاستحلال القلبي ، وهؤلاء كفرهم السلف .كما سبق .وهو قول مرجئة العصر ،فهم جهمية فى باب الكفر يقيدون الكفر الأكبر بالجحود والاستحلال والإعتقاد والقصد القلبى ،وهو ماصرح به الخلفى والمراكبى والعفانى وغيرهم من دعاة الإرجاء فى زماننا .

فقال الأشاعرة ومرجئة الفقهاء هو كافر ظاهرًا وباطنًا ولكن ليس بنفس القول أو الفعل المكفر بل لأنه أمارة على أنه مكذِّب بقلبه ، وهؤلاء هم أصحاب القول الأول.

وقالت الجهمية هو كافر في الظاهر لورود النص بكفره ، ويجوز أن يكون مؤمنًا في الباطن إذا كان تصديقه مازال قائمًا ، وهؤلاء هم أصحاب القول الثاني.

غلاة المرجئة المعاصرة : جاءوا بدين جديد وقول جديد لم يسبقهم إليه أحد ، فقالوا لا يكفر هذا إلا أن يجحد أو يستحل ويصرح بذلك ، ومعلوم أن الجحود والاستحلال عمل قلبي ، فقالوا حتى لو كفر لا نحكم بكفره حتى نعرف قلبه أجحد أو لا ، ونحن لا نعرف ما في قلبه إذًا لا نستطيع أن نكفره مع إثباته الفعل المكفِّر والقول المكفِّر لأننا لا نعلم حقيقة ما في قلبه ، وهذا قول يخالف أهل السنة من كل وجه وليس اختلافًا لفظيًا كما يدعيه البعض ، بل الخلاف معهم حقيقي وتترتب عليه آثار كبيرة لأن الكفر قد يقع بالقول أو العمل أو الفعل أو الاعتقاد أو الشك ، وأحكام الدنيا تجري على الظاهر من إسلام وكفر ، فقد يقع الكفر بقول اللسان المكفر أو بعمل الجوارح أو باعتقاد القلب وشكه ، فيكون الكفر بالقول والعمل والاعتقاد لأن الإيمان مركب من القول وهو قولان : قول القلب وقول اللسان ، والعمل وهو عملان : عمل القلب وعمل الجوارح ، وبهذا يتضح فساد مذهب المرجئة وبطلانه وإسقاطهم واجبات القلب الإيمانية

وهي العلم بما جاء به الرسول ﷺ إجمالاً والتصديق به والانقياد له بالعمل ، وضد العلم الجهل ، وضد التصديق التكذيب وتقع بالقلب واللسان ، فليس التكذيب ضد العلم ولكنه ضد التصديق ، كما قال الإمام ابن القيم في المدارج وطبقات المكلفين ،آخر كتاب طريق الهجرتين

فمن لم يعلم شيئًا عن الرسول ﷺ وما جاء به فهو كافر كفر جهل ، ومن علم ماجاء به الرسول ﷺ ولم يصدقه بقلبه ولا بلسانه فهو كافر كفر تكذيب ،

ومن علم ما جاء به الرسول ﷺ وصدقه بقلبه وكذبه بلسانه فهو كافر كفر جحود ،

ومن علم ما جاء به الرسول ﷺ وكذبه بقلبه وصدقه بلسانه فهو كافر كفر نفاق ،

ومن علم ما جاء به الرسول ﷺ وصدقه بقلبه ولسانه ولم ينقد له بالعمل فهو كافر كفر إعراض ، ومن هنا تعلم انحراف مرجئة العصر ، وإن كانت المرجئة المعاصرة هي امتداد للمرجئة القديمة إلا أن مرجئة العصر أتوا بقول لم يقله أحد غيرهم ، وهو من التلبيس والتدليس بمكان قالوا إن الإيمان اعتقاد وقول وعمل يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، وهذا بلا ريب هو تعريف الإيمان عند أهل السنة -كما سبق - لكن زيفهم وضلالهم وتلبيسهم يظهر عندما تقول لهم ، وما منزلة الأعمال من الإيمان ؟ سيقولون إنها كمال فيه ، جاء بأعمال الجوارح عمل أو لم يعمل فهو مؤمن ، وتخلف أعمال الجوارح بالكلية مع قدرته يُنقِص إيمانه ولا ينقضه لأن الأعمال وإن كانت داخلة في مسمى الإيمان إلا أنها ليست منه ، ولذلك أن تارك عمل الجوارح بالكلية مع القدرة التامة والتمكن وعدم العجز مسلم مؤمن ، وهو تحت المشيئة مثل أصحاب الكبائر ، إن شاء الله غفر له ابتدءًا دون سابقة عذاب ، ودخل الجنة بالتصديق وقول اللسان مع عدم انقياده بالطاعة ووقوعه في كفر الإعراض ، وإن شاء عذبه بقدر أصحاب الكبائر ولكن مآله إلى الجنة مساويًا تمامًا مع من تعب وخاف وانقاد بالعمل في الدنيا فهم سواء لا فرق !! هكذا يقولون انظر إلى هذا القول الفاسد ، هل قال جهم ذلك ؟ هل قالت الكرامية ذلك ؟ هل قال مرجئة الفقهاء ذلك ؟ والعجب كل العجب أنهم ينسبون هذا القول إلى السلف ويجرؤن الناس على المعاصي وترك العمل والوقوع في الكفر والزندقة والاكتفاء بالمعرفة وتصديق القلب فلماذا العمل إذًا والكل سواء نهايتهم في الجنة ؟ ولماذا فرض الله الفرائض وأوجب الواجبات إن كان الناس فيها سواء ، عبثًا ولهوًا كان السلف يعملون عندما فهموا عن الله ورسوله أن تارك العمل معرض عن الله متولٍ عن الطاعة كافر في الدنيا لكنه يوم القيامة مآله إلى الجنة والنعيم المقيم .

ما فائدة الأعمال إذا كان الكل سواء في النهاية لماذا التعب والنصب والخوف من سوء الخاتمة ، وأي خاتمة مهما كانت فهي في الدنيا فقط وإن عُذِّب في النار فترة من الوقت لكن النهاية يتطهر ويدخل الجنة بالإيمان الذي في قلبه هل رأيتم قولاً أخبث من هذا ؟ هل رأيتم هدمًا للدين وتمييعًا للإسلام في صورة السلف والسلفية أوضح من هذا المذهب الخبيث ؟ إذن ما هو الكفر الذي يخلد صاحبه في النار ؟ أهو الجحود والاستحلال القلبي والكفر الاعتقادي ؟ لذلك لا تعجب من ضلال هؤلاء عندما تراهم يدافعون عن الطواغيت وأنصارهم وجنودهم ، ويثبتون لهم الإسلام ، ويعتقدون فيهم أنهم ولاة الأمر الواجب على المسلمين السمع والطاعة لهم ، فهؤلاء الطواغيت لا يكفرون لأنهم يقولون لا إله إلا الله ، ولم يكفروا بقلوبهم ولم يستحلوا ولم يجحدوا الحكم بما أنزل الله ؟ لا تعجب من هؤلاء عندما تراهم يحاربون أهل السنة ويرمونهم بالغلو في التكفير والتشدد والإرهاب والتطرف واستعداء الطواغيت عليهم ؟[1].

لا تتعجب من تنحية شرع الله ومحاربة أولياء الله والصد عن سبيل الله.

لا تعجب من ظهور الشرك والكفر والإلحاد والعلمانية وعبادة القبور والأضرحة وصرف العبادة التي هي حق لله ، لغير الله ، فهؤلاء مسلمون جهلة لا يعرفون الله ، والله يعذرهم ويدخلهم الجنة بجهلهم وإن لم يعملوا بالإسلام فهم في الجنة ؟

لا تعجب من كل هذه المصائب و الابتلاءات و المحن التي تنزل بالمسلمين وبلادهم كل ذلك من آثار لوثة الإرجاء الخبيثة ، الإيمان في القلب ها هنا ، وقد ترتب على هذا الأصل الفاسد آثار مدمرة نتيجة هذا الاعتقاد الخبيث وهو أن الإيمان التصديق وأن محله القلب ، وكذلك ضده ونقيضه وهو الكفر ومحله أيضًا القلب

ترتب على ذلك الفهم والتأثر بهذا القول الوقوع في عدة أخطاء في موضوع الإيمان والكفر غير الذي سبق منها:

١- أن الإيمان شيء واحد غير مركب من شعب لأن التصديق واحد إذا زال بعضه زال كله.

٢- أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص لأن التصديق شيء واحد ولو نقص لصار شكًا وهو كفر.

---

(١) كما فعل : سيد العفاني من رميه لأهل السنة بالتكفيريين مدافعًا عن الطواغيت وجنودهم بأن كفر الحاكم المبدل لدين الله كفرًا أصغرًا ، انظر ضلالاته في كتاب " اتقوا الله في مصر " وانظر تفصيل الرد عليه وعلى يعقوب وأمثالهما في كتابنا " خماسية الجهاد كيف تكون مجاهدًا سنيًا في سبيل الله " فصل " دفاعًا عن أهل الثغور" .

٣-أن الناس فى أصل الإيمان سواء ، الفاجر كالتقي كلهم إيمانهم كإيمان النبي ﷺ وجبريل لأن الإيمان شيء واحد.

٤-أن العمل ليس من الإيمان لأن الإيمان تصديق القلب وإنما العمل ثمرة الإيمان وإن سُمِّي العمل إيمانًا مجازًا.

٥-أن الفاجر الفاسق مؤمن كامل الإيمان مادام مصدقًا وهذا من قبائحهم.

٦-أن أهل الإيمان لا يتفاضلون فيه بل إيمانهم على السواء ، وإنما يتفاضلون في الأعمال والأعمال ليست من الإيمان عندهم ، فيكون المآل إلى الجنة ، الكل سواء.

٧-أنه لا يجوز الاستثناء في الإيمان ، وهو قول : أنا مؤمن إن شاء الله ؛ لأنه شك ، والشك في الإيمان الذي هو التصديق كفر ، بل يقول : أنا مؤمن حقًا وقطعًا.

٨-أن الكفر هو التكذيب لا غير أو ما هو راجع إلى التكذيب كالجحود والاستحلال ، لأن الكفر هو نقيض الإيمان ، والإيمان تصديق القلب فليس الكفر تكذيب القلب ، فاشترطوا للتكفير كفر القلب لأجل الحكم بالكفر ، وإلا لا تكفير إلا بالجحود والاستحلال القلبي ،وهذا هو قول مرجئة العصر أمثال الخلفى والمراكبى والحلبى وهشام البيلى والعفانى وبرهامى والزغبى وهذا ماتتبناه وتنشره وتدعوا إليه الجماعات الحزبية مثل حزب أنصار السنة المحمدية فى مصر ،ومدرسة الإسكندرية ،ومدرسة الأردن ،نسأل الله لهم الهداية جميعا .

ومن أخطائهم المترتبة على هذا الفهم في موضوع التكفير.

٩-الخلط بين قصد الكفر وقصد العمل المكفر ، فالمعتبر عند أهل السنة هو قصد العمل المكفر وليس قصد الكفر لأنه لا يقصد الكفر أحد إلا أن يشاء الله كما قال شيخ الإسلام -

رحمه الله .[١]

١٠- اشتراط شرح الصدر بالكفر لأجل الحكم بالكفر ؛ مع أن انشراح الصدر بالكفر زيادة في الكفر

١١- حصر أسباب الكفر في كفر الاعتقاد وهو كفر القلب أو تقييد الكفر بكفر القلب.

١٢- القول بأنه لا كفر إلا بالجحد والاستحلال وهذا مرجعه إلى تكذيب النصوص وقد أشكل على المرجئة أن هناك أقوالاً وأفعالاً نص الشارع على كفر فاعلها.

هذه بعض الآثار والمفاسد المترتبة على القول بأن الأعمال ليست من الإيمان وأن كانت داخله فيه لفظًا إلا أنها ليست منه على الحقيقة وأن تارك عمل الجوارح بالكلية مع القدرة مسلم وليس بكافر.

وقد ترتب على هذا القول الفاسد الضال الخبيث هذه الانحرافات السابقة

وأعظمها التهوين من شأن العمل عند كثير من الناس والمنتسبين إلى الإسلام لأن مدار النجاة من الخلود في النار على ما في القلب من إيمان مع قول اللسان .

وأعظمها وأشنعها تنحية شرع الله بالكلية ، وسن القوانين الوضعية وإلزام الناس بها والتحاكم إليها ، ومعاقبة كل من لم يتحاكم إليها أو يخالفها ومحاربة ومطاردة كل من يطالب بتحكيم شرع الله واتهامه بالإرهاب والتطرف والغلو ، ونقض عُرى الإيمان والولاء والبراء والحب والبغض وانتشار شرك النسك والولاية للكفار واليهود والنصارى والركون إليهم بالكلية ؛ والواقع خير شاهد على كل ذلك ، والسجون والمعتقلات تحكي لك قصص أهل التوحيد والجهاد المتمسكين بمذهب أهل السنة والجماعة وبما كان عليه رسول الله وصحابته الكرام -

ونسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يعز الإسلام وأهله وأن يجعلنا من أنصار دينه وسنة نبيه وعباده الموحدين المجاهدين.

موقف الخلف أتباع السلف من مرجئة العصر

فتاوى كبار العلماء واللجنة الدائمة في التحذير من مرجئة العصر

و ظاهرة الإرجاء وبعض الكتب الداعية إليه!

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

---

[١] **وقد فصلنا ذلك في : " الوجاء" ، ونبهنا هناك على كلام القرني في الضوابط عند الكلام على القصد والتلازم.**

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على عبده ورسوله نبينا مُحَمَّد ، وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد :

فهذه مجموعة من ((الفتاوى والبيانات)) التي صدرت من اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء يضمها موضوع واحد وهو ((التحذير من ظاهرة الإرجاء وبعض الكتب الداعية إليه)) ، وفيها .أيضاً .تحذير المسلمين من الاغترار والوقوع في شراك المخالفين لما عليه جماعة المسلمين .أهل السنة والجماعة.

.اللهم احفظ علينا ديننا وإيماننا ؛ نقياً من كل شرك وشبهة وبدعة وضلالة ، آمين .

فتوى رقم (٢١٤٣٦) وتاريخ ٨ / ٤ / ١٤٢١هـ .

((في التحذير من مذهب الإرجاء ،وتحقيق النقل عن شيخ الإسلام فيه)) .

الحمد لله وحده والصلاة على من لا نبي بعده ..

وبعد :

فقد اطَّلَعت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء على ما ورد إلى سماحة المفتي العام من عدد من المستفتين المقيدة استفتاءاتهم بالأمانة العامة لهيئة كبار العلماء برقم (٥٤١١) وتاريخ ١٤٢٠/١١/٧هـ . ورقم (١٠٢٦) وتاريخ ١٤٢١/٢/١٧هـ . ورقم (١٠١٦) وتاريخ ١٤٢١/٢/٧هـ . ورقم (١٣٩٥) وتاريخ ١٤٢١/٣/٨هـ . ورقم (١٦٥٠) وتاريخ ١٤٢١/٣/١٧هـ . ورقم (١٨٩٣) وتاريخ ١٤٢١/٣/٢٥هـ . ورقم (٢١٠٦) وتاريخ ١٤٢١/٤/٧هـ .

وقد سأل المستفتون أسئلة كثيرة مضمونها :

(ظهرت في الآونة الأخيرة فكرة الإرجاء بشكل مخيف ، وانبرى لترويجها عدد كثير من الكتَّاب ، يعتمدون على نقولات مبتورة من كلام شيخ الإسلام بن تيمية ، مما سبب ارتباكاً عند كثير من الناس في مسمّى الإيمان ، حيث يحاول هؤلاء الذين ينشرون هذه الفكرة أن يُخْرِجُوا العمل عن مُسمَّى الإيمان ، ويرون نجاة من ترك جميع الأعمال . وذلك مما يُسَهِّل على الناس الوقوع في المنكرات وأمور الشرك وأمور الردة ، إذا علموا أن الإيمان متحقق لهم ولو لم يؤدوا الواجبات ويتجنبوا المحرمات ولو لم يعملوا بشرائع الدين بناء على هذا المذهب .

ولا شك أن هذا المذهب له خطورته على المجتمعات الإسلامية وأمور العقيدة والعبادة

فالرجاء من سماحتكم بيان حقيقة هذا المذهب ، وآثاره السيئة ، وبيان الحق المبني على الكتاب والسَّنة ، وتحقيق النقل عن شيخ الإسلام بن تيمية ، حتى يكون المسلم على بصيرة من دينه . وفقكم الله وسدد خطاكم . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته)) .

* وبعد دراسة اللجنة للإستفتاء أجابت بما يلي :

هذه المقالة المذكورة هي : مقالة المرجئة الذين يُخْرِجُون الأعمال عن مسمى الإيمان ، ويقولون : الإيمان هو التصديق بالقلب ، أو التصديق بالقلب والنطق باللسان فقط ، وأما الأعمال فإنها عندهم شرط كمال فيه فقط ، وليست منه ، فمن صدَّق بقلبه ونطق بلسانه فهو مؤمن كامل الإيمان عندهم ، ولو فعل ما فعل من ترك الواجبات وفعل المحرمات ، ويستحق دخول الجنة ولو لم يعمل خيراً قط ، ولزم على ذلك الضلال لوازم باطلة ، منها : حصر الكفر بكفر التكذيب والإستحلال القلبي .

* ولا شك أن هذا قولٌ باطلٌ وضلالٌ مبينٌ مخالفٌ للكتاب والسنة ، وما عليه أهل السنة والجماعة سلفاً وخلفاً ، وأن هذا يفتح باباً لأهل الشر والفساد ، للانحلال من الدين ، وعدم التقيد بالأوامر والنواهي والخوف والخشية من الله سبحانه ، ويعطل جانب الجهاد في سبيل الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ويسوي بين الصالح والطالح ، والمطيع والعاصي ، والمستقيم على دين الله ، والفاسق المتحلل من أوامر الدين ونواهيه ، مادام أن أعمالهم هذه لا تخلّ بالإيمان كما يقولون .

ولذلك اهتم أئمة الإسلام - قديماً وحديثاً - ببيان بطلان هذا المذهب ، والرد على أصحابه وجعلوا لهذه المسألة باباً خاصاً في كتب العقائد ، بل ألفوا فيها مؤلفات مستقلة ، كما فعل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله - وغيره .

* قال شيخ الإسلام - رحمه الله - في العقيدة الواسطية : (ومن أصول أهل السنة والجماعة : أن الدين والإيمان قول وعمل ، قول القلب واللسان ، وعمل القلب واللسان والجوارح ، وأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية) .

* وقال في كتاب الإيمان : (ومن هذا الباب أقوال السلف وأئمة السنة في تفسير الإيمان ، فتارة يقولون : هو قول وعمل ، وتارة يقولون : هو قول وعمل ونية ، وتارة يقولون : هو قول وعمل ونية واتباع سنة ، وتارة يقولون : قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح ، وكل هذا صحيح) .

* وقال رحمه الله : (والسلف اشتد نكيرهم على المرجئة لمَّا أخرجوا العمل من الإيمان ، ولا ريب أن قولهم بتساوي إيمان الناس من أفحش الخطأ ، بل لا يتساوى الناس في التصديق ولا في الحب ولا في الخشية ولا في العلم ، بل يتفاضلون من وجوه كثيرة) .

* وقال رحمه الله : (وقد عدلت المرجئة في هذا الأصل عن بيان الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، واعتمدوا على رأيهم وعلى ما تأولوه بفهمهم للغة ، وهذا طريق أهل البدع) .

* ومن الأدلة على أن الأعمال داخلة في حقيقة الإيمان وعلى زيادته ونقصانه بها ، قوله تعالى :

((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا)) [الأنفال ٢- ٤

وقوله تعالى : ((قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ)) [المؤمنون ١- ٩] .

وقوله الرسول ﷺ ((الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان)) .

* قال شيخ الإسلام - رحمه الله – في كتاب الإيمان أيضاً : (وأصل الإيمان في القلب وهو قول القلب وعمله ، وهو إقرار بالتصديق والحب والانقياد . وما كان في القلب فلابد أن يظهر موجبه ومقتضاه على الجوارح ، وإذا لم يعمل بموجبه ومقتضاه دلَّ على عدمه أو ضعفه . ولهذا كانت الأعمال الظاهرة من موجب إيمان القلب ومقتضاه ، وهي تصديق لما في القلب ودليل عليه وشاهد له ، وهي شعبة من الإيمان المطلق وبعض ُله)

* وقال أيضاً : (بل كل مَنْ تأمل ما تقوله الخوارج والمرجئة في معنى الإيمان ، علم بالاضطرار أنه مُخالف للرسول ، ويعلم بالاضطرار أن طاعة الله ورسوله من تمام الإيمان ، وأنه لم يكن يجعل كل من أذنب ذنباً كافراً . ويعلم أنه لو قُدِّرَ أن قوماً قالوا للنبي ﷺ : نحن نُؤمن بما جئتنا به بقلوبنا من غير شك ونُقر بألسنتنا بالشهادتين ، إلا أنا لا نُطيعك في شيء مما أمرت به ونهيت عنه ، فلا نصلي ولا نحج ولا نصدق الحديث ولا نؤدي الأمانة ولا نفي بالعهد ولا نصل الرحم ولا نفعل شيئاً من الخير الذي أمرت به . ونشرب الخمر وننكح ذوات المحارم بالزنا الظاهر ، ونقتل مَنْ قدرنا عليه مِنْ أصحابك وأمتك ونأخذ أموالهم ، بل نقتلك أيضاً ونُقاتلك مع أعدائك . هل كان يتوهم عاقل أن النبي ﷺ يقول لهم : أنتم مؤمنون كاملوا الإيمان ، وأنتم أهل شفاعتي يوم القيامة ، ويرجى لكم أن لا يدخل أحد منكم النار . بل كل مسلم يعلم بالاضطرار أنه يقول لهم : أنتم أكفر الناس بما جئت به ، ويضرب رقابهم إن لم يتوبوا من ذلك) انتهى .

* وقال أيضاً : (فلفظ الإيمان إذا أُطلق في القرآن والسنة يُراد به ما يراد بلفظ البر وبلفظ التقوى وبلفظ الدين كما تقدم . فإنَّ النبي ﷺ بيَّن أن الإيمان بضع وسبعون شعبة ، أفضلها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، فكان كل ما يحبه الله يدخل في اسم الإيمان . وكذلك لفظ البر يدخل فيه جميع ذلك إذا أُطلق ، وكذلك لفظ التقوى ، وكذلك الدين أو الإسلام . وكذلك رُوي أنهم سألوا عن الإيمان ، فأنزل الله هذه الآية : ((لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآَتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (١٧٧))) [البقرة ١٧٧] . إلى أن قال : (والمقصود هنا أنه لم يثبت المدح إلا إيمان معه عمل ، لا على إيمان خال عن عمل) .

فهذا كلام شيخ الإسلام في الإيمان ، ومن نقل غير ذلك فهو كاذب عليه .

* وأما ما جاء في الحديث : أن قوماً يدخلون الجنة لم يعملوا خيراً قط ، فليس هو عاماً لكل من ترك العمل وهو يقدر عليه . إنما هو خاص بأولئك لعُذر منعهم من العمل ، أو لغير ذلك من المعاني التي تلائم النصوص المحكمة ، وما أجمع عليه السلف الصالح في هذا الباب .

* هذا واللجنة الدائمة إذ تبيّن ذلك فإنها تنهى وتحذر من الجدال في أصول العقيدة ، لما يترتب على ذلك من المحاذير العظيمة ، وتوصي بالرجوع في ذلك إلى كتب السلف الصالح وأئمة الدين ، المبنية على الكتاب والسنة وأقوال السلف ، وتحذر من الرجوع إلى المخالفة لذلك ، وإلى الكتب الحديثة الصادرة عن أناس متعالمين ، لم يأخذوا العلم عن أهله ومصادره الأصيلة . وقد اقتحموا القول في هذا الأصل العظيم من أصول الاعتقاد ، وتبنوا مذهب المرجئة ونسبوه ظلماً إلى أهل السنة والجماعة ، ولبَّسوا بذلك على الناس ، وعززوه عدواناً بالنقل عن شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - وغيره من أئمة السلف بالنقول المبتورة ، وبمتشابه القول وعدم رده إلى المُحْكم من كلامهم . وإنا ننصحهم أن يتقوا الله في أنفسهم وأن يثوبوا إلى رشدهم ولا يصدعوا الصف بهذا المذهب الضال ، واللجنة - أيضاً - تحذر المسلمين من الاغترار والوقوع في شراك المخالفين لما عليه جماعة المسلمين أهل السنة والجماعة .

وفق الله الجميع للعلم النافع والعمل الصالح ، والفقه في الدين .

وصلى الله على نبينا مُحَمَّد وآله وصحبه أجمعين .

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء .

عضو

عبد الله بن عبد الرحمن الغديان عضوبكر بن عبد الله أبو زيد عضو صالح بن فوزان الفوزان

الرئيس عبد العزيز بن عبد الله بن مُحَمَّد آل الشيخ

<u>الفتوى رقم(٧١٥٠)</u>

الردة تكون بالقول والفعل والإعتقاد والشك .

السؤال : يُقال أن الردة قد تكون فعلية أو قولية ، فالرجاء أن تبينوا لي باختصار واضح أنواع الردة الفعلية والقولية والإعتقادية ؟

الجواب : الردة هي الكفر بعد الإسلام . وتكون بالقول والفعل والإعتقاد والشك ، فمن أشرك بالله أو جحد ربوبيته أو وحدانيته أو صفة من صفاته أو بعض كتبه أو رسله أو سب الله أو رسوله ، أو جحد شيئاً من المحرمات المجمع على تحريمها أو استحله أو جحد وجوب ركن من أركان الإسلام الخمسة أو شك في وجوب ذلك أو في صدق مُحَمَّد ﷺ أو غيره من الأنبياء . أو شك في البعث أو سجد لصنم أو كوكب ونحوه - فقد ارتد عن دين الإسلام . وعليك بقراءة أبواب حكم الردة من كتب الفقه الإسلامي فقد اعتنوا به رحمهم الله .*

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

نائب رئيس اللجنة عبد الرزاق عفيفي /الرئيس عبد العزيز بن عبد الله بن باز

عضو / عبد الله بن قعود/عضو / عبد الله بن غديان

*(ومع أن هذا إجماع عند أهل السنة إلا أن مرجئة العصر يقيدون الكفر الأكبر بالإستحلال والجحود والإعتقاد والقصد والعلم وغير ذلك من ضلالات أهل التجهم والإرجاء أمثال عبد العظيم الخلفى فى شروطه السابقة والمراكبى والبيلى وغيرهم من هذه العصابة الضالة المنحرفة عن طريق الهدى ،ومع أن الحق واضح لالبس فيه إلا أن بعض الشباب مازال مخدوعا وملبساً عليه فى دينه من هؤلاء الأدعياء ،لأنهم يحذرون الشباب من قراءة كتب كبار العلماء ويزرعون فيهم التعصب والهوى وتقديس الأشياخ حتى لايفهم الشباب غير مايريدون لهم أن يفهموه.

فعلى طالب االعلم أن يتجرد لله فى طلب الحق بدليله ويسأل أئمة الدعوة وكبار العلماء ولا يتعصب إلا للدليل ،فإنه دين فانظر أين أنت من فهم الصحابة رضى الله عنهم).

فتوى رقم (٢٠٢١٢) وتاريخ ١٤١٩/٢/٧ هـ

في التحذير من كتاب ((إحكام التقرير في أحكام التكفير))لمراد شكري

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ..

وبعد

فقد اطلعت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء على ما ورد إلى سماحة المفتي العام من المستفتي / إبراهيم الحمداني ، والمحال إلى اللجنة من الأمانة

العامة لهيئة كبار العلماء برقم (٩٤٢) بتاريخ ١٤١٩/٢/١هـ .
وقد سأل المستفتي سؤالاً هذا نصه :
((سماحة مفتي المملكة العربية السعودية الشيخ / عبد العزيز بن باز .. سلمه الله .. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد
يا سماحة الشيخ نحن في هذه البلاد / المملكة العربية السعودية في نعم عظيمة ، ومن أعظمها نعمة التوحيد ، وفي مسألة التكفير نرفض مذهب الخوارج ومذهب المرجئة.
وقد وقع في يدي هذه الأيام كتاب باسم ((إحكام التقرير في أحكام التكفير)) بقلم / مراد شكري الأردني الجنسية . وقد علمت أنه ليس من العلماء ، وليست دراسته في علوم الشريعة ، وقد نشر فيه مذهب غلاة المرجئة الباطل . وهو أنه لا كفر إلا كفر التكذيب فقط . وهو - فيما نعلم - خلاف الصواب وخلاف الدليل الذي عليه أهل السنة والجماعة والذي نشره أئمة الدعوة في هذه البلاد المباركة .وكما قرر أهل العلم : في أن الكفر يكون بالقول وبالفعل وبالاعتقاد وبالشك .وعبد العظيم الخلفي يحصره في الجحود والاستحلال والإعتقاد والقصد والعلم وانشراح الصدر فلا تتعجب يا طالب العلم من صنيع الخلفي وحزبه إذا علمت أنه من مدرسة الأردن وعاد إلى مصر لينشر هذا الفكر الإرجائي الخبيث باسم السلفية وأنصار السنة وقد مر معك تحذير أئمة السلف وكبار العلماء من مذهب المرجئة وعقيدة الإرجاء الذي ينادي بها ويتبناها ويدعوا إليها هذا الخلفي وعصابته أمثال الحلبي والزغبى والمراكبى نسأل الله أن يتوب علينا وعليهم ويردهم إلى الحق والصواب .
نأمل إيضاح الحق حتى لا يغتر أحد بهذا الكتاب ، الذي أصبح ينادي بمضمونه الجماعة المنتسبون للسلفية في الأردن والله يتولاكم ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته)) .
وبعد دراسة اللجنة للإستفتاء أجابت بأنه :
بعد الإطلاع على الكتاب المذكور وُجد أنه متضمن لما ذُكر من تقرير مذهب المرجئة ونشره . من أنه لا كفر إلا كفر الجحود والتكذيب ، وإظهار هذا المذهب المُردي باسم السنة والدليل وأنه قول علماء السلف . وكل هذا جهل بالحق ، وتلبيس وتضليل لعقول الناشئة بأنه قول سلف الأمة والمحققين من علمائها ، وإنما هو مذهب المرجئة الذين يقولون : لا يضر مع الإيمان ذنب . والإيمان عندهم : هو التصديق بالقلب

والكفر : هو التكذيب فقط .وهذا غلو في التفريط ، ويُقابله مذهب الخوارج الباطل الذي هو غلو في الإفراط في التكفير وكلاهما مذهبان باطلان مُرديان من مذاهب الضلال وترتب عليهما من اللوازم الباطلة ما هو معلوم ،وقد هدى الله أهل السنة والجماعة إلى القول الحق والمذهب ، والإعتقاد الوسط بين الإفراط والتفريط : من حرمة عرض المسلم ، وحرمة دينه وأنه لا يجوز تكفيره إلا بحق قام الدليل عليه وأن الكفر يكون بالقول والفعل والترك والإعتقاد والشك . كما قامت على ذلك الدلائل من الكتاب والسنة .

لما تقدم : فإن هذا الكتاب لا يجوز نشره وطبعه ، ولا نسبة ما فيه من الباطل إلى الدليل من الكتاب والسنة ،ولا أنه مذهب أهل السنة والجماعة ، وعلى كاتبه وناشره والمقدم له وهو علي حسن عبد المجيد الحلبي الذي يتولى أكبر هذه الفتنة وسيأتي قريباً تحذير الهيئة وكبار العلماء منه ومن كتاباته الضالة المنحرفة الداعية إلى إحياء مذهب المرجئة الخبيث يجب عليهم إعلان التوبة إلى الله فإن التوبة تغفر الحوبة
وعلى من لم ترسخ قدمه في العلم الشرعي أن لا يخوض في مثل هذه المسائل .
حتى لا يحصل من الضرر وإفساد العقائد أضعاف ما كان يؤمله من النفع والإصلاح .
وبالله التوفيق ..
وصلى الله على نبينا مُحَمَّد وآله وصحبه وسلم ....
اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء
الرئيس / عبد العزيز بن باز /نائب الرئيس / عبد العزيز بن عبد الله بن مُحَمَّد آل شيخ
عضو / عبد الله بن عبد الرحمن الغديان /عضو / بكر بن عبد الله أبو زيد
عضو / صالح بن فوزان الفوزان
بيان وتحذيرمن كتاب ((ضبط الضوابط)) .
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين ..

وبعد .

فقد اطلعت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء على الكتاب الموسوم بـ:

((ضبط الضوابط في الإيمان ونواقضه)) تأليف المدعو / أحمد بن صالح الزهراني .

فوجدته كتاباً يدعو إلى مذهب الإرجاء المذموم ، لأنه لا يعتبر الأعمال الظاهرة داخلة في حقيقة الإيمان .

وهذا خلاف ما عليه أهل السنة والجماعة :

من أن الإيمان قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، وعليه :

فإن هذا الكتاب لا يجوز نشره وترويجه ، ويجب على مؤلفه وناشره التوبة إلى الله عز وجل ، ونحذر المسلمين مما احتواه هذا الكتاب من المذهب الباطل حمايةً لعقيدتهم واستبراءً لدينهم ، كما نحذر من اتباع زلات العلماء فضلاً عن غيرهم من صغار الطلبة أمثال الحلبي والخلفي والمراكبى والزغبى ، مع أن صغار الشباب يعتبرون هؤلاء علماء ودعاة سنة وعذرهم أنهم لم يسمعوا ولم يقرئوا لكبار علماء أهل السنة أمثال الشيخ العلامة بن باز وبن جبرين والفوزان والراجحي والمحمود وصالح آل الشيخ فضلاً عن شيوخهم أمثال بن ابن إبراهيم وابن سحمان وأبا بطين وأبا عبد اللطيف وغيرهم من علماء الدعوة وأولاد وأحفاد شيخ الإسلام مُحَمَّد بن عبد الوهاب ، ولكن ينقطع عذرهم بهذه الكتب والفتاوى فعليهم بحث وتحقيق مسائل الإيمان والكفر وسؤال كبار العلماء فيما أشكل عليهم من شبهات الخوارج والمرجئة وقد فصلنا ذلك في رسالتنا " الوجاء من شبهات الخوارج والأرجاء " ولله الحمد . الذين لم يأخذوا العلم من أصوله المعتمدة ، وفق الله الجميع للعلم النافع والعمل الصالح .

وصلى الله على نبينا مُحَمَّد وآله وصحبه وسلم ....

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

الرئيس / عبد بن عبدالله بن باز

نائب الرئيس / عبد العزيز بن عبد الله بن مُحَمَّد آل شيخ

عضو / عبد الله بن عبد الرحمن الغديان

عضو / بكر بن عبد الله أبو زيد

عضو / صالح بن فوزان الفوزان

بيان من اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

بشأن كتاب بعنوان : (الحكم بغير ما أنزل الله وأصول التكفير)

لكاتبه خالد على العنبري

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه

وبعد :

فقد اطلعت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء على كتاب بعنوان :

(الحكم بغير ما أنزل الله وأصول التكفير) لكاتبه خالد على العنبري

وبعد دراسة الكتاب اتضح أنه يحتوي على إخلال بالأمانة العلمية

فيما نقله عن علماء أهل السنة والجماعة . وتحريف للأدلة عن دلالتها التي تقتضيها اللغة العربية ومقاصد الشريعة .

ومن ذلك ما يلي :

١)) تحريفه لمعاني الأدلة الشرعية ، والتصرف في بعض النصوص المنقولة عن أهل العلم ، حذفاً أو تغييراً على وجه يُفهم منها غير المراد أصلاً .

٢)) تفسير بعض مقالات أهل العلم بما لا يوافق مقاصدهم .

٣)) الكذب على أهل العلم ، وذلك في نسبته للعلامة مُحَمَّد بن إبراهيم آل شيخ - رحمه الله - ما لم يقله .

٤)) دعواه إجماع أهل السنة على عدم كفر من حكم بغير ما أنزل الله في التشريع العام إلا بالإستحلال القلبي كسائر المعاصي التي دون الكفر . وهذا محض إفتراء على أهل السنة ، منشؤه الجهل أو سوء القصد نسأل الله السلامة والعافية .(وهو مايقوله ويدعوا إليه عبد العظيم الخلفى فى شروطه هو والمراكبى والزغبى والبيلى ،هداهم الله)

وبناء على ما تقدم ، فإن اللجنة ترى تحريم طبع الكتاب المذكور ونشره وبيعه ، وتُذكر الكاتب بالتوبة إلى الله تعالى ومراجعة أهل العلم الموثوقين ليتعلم منهم ويبينوا له زلاته ، ونسأل الله للجميع الهداية والتوفيق والثبات على الإسلام والسنة .

وصلى الله على نبينا مُحَّد وآله وصحبه وسلم .

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو/ عبد الله بن عبد الرحمن الغديان عضو/ بكر بن عبد الله أبو زيد

عضو/صالح بن فوزان الفوزان الرئيس/ عبد العزيز بن عبد الله بن مُحَّد آل شيخ

التحذير من كتاب " هزيمة الفكر التكفيري " لخالد العنبري

:الحمد لله والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، نبينا مُحَّد وعلى آله وصحبه ، وبعد

: وضوح عقيدة أهل السنة

فإن عقيدة أهل السنة والجماعة عقيدة واضحة صافية ، لا لبس فيها ولا غموض ، لأنها مأخوذة من هدي كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، قد دونت أصولها ومبانيها في كتب معتمدة توارثها الخلف عن السلف ، وتدارسوها وحرروها وتواصوا بها وحثوا على التمسك بها ، كما قال عليه الصلاة والسلام : ((لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين ، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى)) ، وهذا أمر لا شك فيه ولا جدال حوله .

: ظهور نابتة تنازع عقيدة أهل السنة في الإيمان

إلا أنه ظهرت في الآونة الأخيرة نابتة من المتعالمين جعلت أصول هذه العقيدة مجالاً للنقاش والأخذ والرد ، ومن ذلك قضية الإيمان وإدخال الإرجاء فيه ، والإرجاء كما هو معلوم .. عقيدة ضالة تريد فصل العمل وإخراجه عن حقيقة الإيمان ، بحيث يصبح الإنسان مؤمنًا بدون عمل ، فلا يؤثر تركه في الإيمان انتفاءً ولا انتقاصًا ،

. وعقيدة الإرجاء عقيدة باطلة قد أنكرها العلماء وبينوا بطلانها وآثارها السيئة ومضاعفاتها الباطلة

وآل الأمر بهذه النابتة إلى أن تشنع على من لا يجاريها ويوافقها على عقيدة الإرجاء ويسمونهم بالخوارج والتكفيريين ، وهذا قد يكون لجهلهم بعقيدة أهل السنة والجماعة ، التي هي وسط بين مذهب الخوارج الذين يكفرون بالكبائر التي هي دون الكفر ، وهو مذهب باطل ، وبين مذهب المرجئة الذين يقولون لا يضر مع الإيمان معصية وإن كانت كبيرة.

فأهل السنة والجماعة يقولون : إن مرتكب الكبيرة التي هي دون الكفر لا يكفر كما تقوله الخوارج ، ولا يكون مؤمنًا كامل الإيمان كما تقوله المرجئة ، بل هو عند أهل السنة مؤمن ناقص الإيمان ، وهو تحت المشيئة ، إن شاء الله غفر له ، وإن شاء عذبه بقدر ذنوبه ، كما قال تعالى " إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا (٤٨)" [النساء ٤٨]

: " نقد كتاب " هزيمة الفكر التكفيري

وقد وصل إليَّ كتاب بعنوان " هزيمة الفكر التكفيري " تأليف خالد العنبري ، قال فيه : (فما زال الفكر التكفيري يمضي بقوة في أوساط شباب الأمة منذ أن اختلقته الخوارج الحرورية) .

وأقول : التكفير للمرتدين ليس من تشريع الخوارج ولا غيرهم ، وليس هو فكرًا كما تقول ، وإنما هو حكم شرعي ، حَكَمَ به الله ورسوله على من يستحقه ، بارتكاب ناقض من نواقض الإسلام القولية أو الإعتقادية أو الفعلية ، والتي بينها العلماء في باب أحكام المرتد ، وهي مأخوذة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ، فالله قد حكم بالكفر على أناس بعد إيمانهم ، بارتكابهم ناقضًا من نواقض الإيمان ، قال تعالى { وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ } [سورة التوبة] ، وقال تعالى : { وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ } [التوبة ٧٤]

وقال عليه الصلاة والسلام : ((بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة)) ، وقال ((فمن تركها فقد كفر)) ، وأحبر تعالى أن تعلم السحر كفر ، فقال عن الملكين اللذين يعلمان السحر : { وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ } [البقرة ١٠٢] ، وقال تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً } [النساء ١٣٧]

وفرق بين من كفره الله ورسوله وكفره أهل السنة والجماعة اتباعًا لكتاب الله وسنة رسوله ، وبين من كفرته الخوارج والمعتزلة ومن تبعهم بغير حق ، وهذا

التكفير الذي هو بغير حق هو الذي يسبب القلاقل والبلايا من الاغتيالات والتفجيرات ، أما التكفير الذي يُبنى على حكم شرعي ، فلا يترتب عليه إلا الخير ونصرة الحق على مدار الزمان ، وبلادنا بحمد الله على مذهب أهل السنة والجماعة في قضية التكفير ، وليست على مذهب الخوارج.

. (ثم قال العنبري : (فالواجب في الكفر البواح وهو الكفر المجمع عليه التكفير ، والتوقف عنه إرجاء خطير

أقول : الكفر البواح هو كما بينه النبي ﷺ : ما عليه برهان من الكتاب والسنة والإجماع يأتي به بعد الاستدلال بالكتاب والسنة ، نعم إذا كان الدليل محتملاً فهذا لا يجزم بأحد الاحتمالات من غير مرجح ، أما إذا كان الدليل نصًا فهذا هو البرهان الذي لا يُعدَل عن القول بموجبه ، كما قال النبي ﷺ ((عندكم فيه برهان)).

والعلماء المعتبرون مجمعون على تكفير من كفره الله ورسوله ، ولا يقولون بخلاف ذلك ولا عبرة بمن خالفهم

ثم جاء في الكتاب المذكور في حاشية [ص٢٧] : (التبديل في الحكم في اصطلاح العلماء هو :الحكم بغير ما أنزل الله على أنه من عند الله ، كمن حكم بالقوانين الفرنسية وقال :هي من عند الله أو من شرعهِ تعالى ، ولا يخفى أن الحكام بغير ما أنزل الله اليوم لا يزعمون ذلك ، بل هم يصرحون أن هذه القوانين محض نتاج عقول البشر القاصرة ، والتبديل بهذا المعنى الذي يذهب إليه أهل الغلو كفر بإجماع المسلمين) كذا قال.

ونقول : هذا التبديل الذي ذكرت أنه كفر بإجماع المسلمين ، هو تبديل غير موجود ، وإنما هو افتراضي من عندك ، لا يقول به أحد من الحكام اليوم ولا قبل اليوم ، وإنما هناك استبدال هو اختيار جعل القوانين الوضعية بديلة عن الشريعة الإسلامية ، وإلغاء المحاكم الشرعية ، وهذا كفر أيضًا ، لأنه يزيح تحكيم الشريعة الإسلامية وينحيها نهائيًا ، ويُحل محلها القوانين الوضعية ، فماذا يبقى للإسلام ؟! وما فعل ذلك إلا لأنه يعتنقها ويراها أحسن من الشريعة ، وهذا لم تَذكره ، ولم تبين حكمه ، مع أنه فصل للدين عن الدولة ، فكان الحكم قاصر عندك على التبديل فقط ، حيث ذكرت أنه مجمع على كفر من يراه ، وكان قسيمه وهو الاستبدال ، فيه خلاف حسبما ذكرت ، وهذا إيهام يجب بيانه.

.(ثم قال العنبري في رده على خصمه : (أنه يدعي الإجماع على تكفير جميع من لم يحكم بغير ما أنزل الله بجحود أو غير جحود

وأقول : كفر من حكم بغير ما أنزل الله لا يقتصر على الجحود ، بل يتناول الاستبدال التام ، وكذا من استحل هذا العمل في بعض الأحكام ولو لم يجحد ، أو قال : إن حكم غير الله أحسن من حكم الله ، أو قال : يستوي الأمران ، كما نص على ذلك أهل العلم ، حتى ولو قال : حكم الله أحسن ولكن يجوز الحكم بغيره ، فهذا يكفر مع أنه لم يجحد حكم الله وكفره بالإجماع.

ثم ذكر الكاتب في آخر كتابه هذا : أن هناك فتوى لسماحة الشيخ مُحَمَّد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله ، يُكَفِّر فيها من حكم بغير ما أنزل الله مطلقًا ولا يفصل فيها ، ويستدل بها أصحاب التكفير على أن الشيخ لا يفرق بين من حكم بغير شرع الله مستحلاً ومن ليس كذلك ، وأن الشيخ ابن باز سُئل عنها فقال : مُحَمَّد بن إبراهيم ليس بمعصوم فهو عالم من العلماء .. إلخ ما ذكر.

ولم يذكر العنبري نص فتوى سماحة الشيخ مُحَمَّد بن إبراهيم التي أشار إليها ، وهل قُرئ نصها على الشيخ ابن باز أو لا ؟! ، ولا ذكر المرجع الذي فيه تغليط الشيخ ابن باز لشيخه ، وإنما نقل ذلك عن مجلة الفرقان ، ومجلة الفرقان لم تذكر نص فتوى سماحة الشيخ مُحَمَّد بن إبراهيم ، ولم تذكر في أي كتب الشيخ ابن باز تغليطه لفتوى شيخه ، ولعلها اعتمدت على شريط ، والأشرطة لا تكفي مرجعًا يُعتمد عليه في نقل كلام أهل العلم ، لأنها غير محررة ، وكم من كلام في شريط لو عُرِضَ على قائله لتراجع عنه ، فيجب التثبت فيما ينسب إلى أهل العلم.

هذا بعض ما ظهر لي من الملاحظات على الكتاب المذكور ، وعلى غيره ممن يتكلمون ويكتبون في هذه الأصول العظيمة التي يجب على الجميع الإمساك عن الخوض فيها ، والاستغناء بكتب العقائد الصحيحة الموثوقة التي خلفها لنا أسلافنا من أهل السنة والجماعة ، والتي تدارسها المسلمون جيلاً بعد جيل في مساجدهم ومدارسهم ، وحصل الاتفاق عليها والاجتماع على مضمونها ، ولسنا بحاجة إلى مؤلفات جديدة في هذا.

وختامًا نقول : إننا بريئون من مذهب المرجئة ، ومن مذهب الخوارج والمعتزلة ، فمن كفره الله ورسوله فإننا نكفره ، ولو كرهت المرجئة ، ومن لم يكفره الله . ولا رسوله فإننا لا نكفره ، ولو كرهت الخوارج والمعتزلة ، هذه عقيدتنا التي لا نتنازل عنها ولا نساوم عليها إن شاء الله تعالى ولا نقبل الأفكار الوافدة إلينا

وصلي الله وسلم على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين

- [بقلم ؛ صالح الفوزان / عن مجلة الدعوة عدد ١٧٤٩-٤ربيع الآخر ١٤٢١]

.

القسم الثانى
ونتناول فيه من هم أعداء الدين و المسلمين

الباب الأول

المبحث الأول "أعداء الإسلام هم أعداء الإسلام في كل زمان ومكان"(١)

الحمد لله الذى أطعم عبادة من الجوع ، وآمنهم من الخوف ، والصلاة والسلام على رسوله ، الذى جاهد فى الله حق جهاده ، وصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ، ووضع لأمته منهج حياتها ، وأرشدها الى سبيل نجاتها ... وبعد .

فقبل أن أبدأ حديثى أرجو من الكرام القارئين أن يتدبروا ويتفكروا في هذه الحقيقة التي تقول :

أمريكا = الأمم المتحدة = اليهود !!

إنها ثلاث كلمات مترادفة أو هي ثلاثة أوجه لعملة واحدة!!

وإن أعداء الإسلام هم أعداء الإسلام فى كل زمان ومكان ، فكلما دخل الناس فى دين الله أفواجا تضاعف الحقد فى قلوب الكافرين ، فهم لا يريدون بقاء الإسلام ولا دخول الناس فيه.

فها هي ذي قريش ترى الإسلام يفشو في القبائل ويضيء بنوره الأرجاء ، فتجتمع وتخطط وتتآمر ، ويتفق أهل الكفر على المؤمنين الموحدين ، لأنهم آمنوا بالله فخرجوا بذلك على الشرعية الدولية .. وكان الحصار شديدا على نفوس المؤمنين ، فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله ، وما ضعفوا وما استكانوا .

واستمر الحصار ثلاث سنوات كاملة! حتى أكلوا ورق السمر والشجر والجلود ! وبكاء الأطفال من الجوع يسمع من بعيد! وأنين النساء والعجائز يخترق الأسماع من وراء شعب بنى هاشم في مكة. كل ذلك والمؤمنون. وفيهم رسول الله – ﷺ - صابرون محتسبون . فماذا فعل هؤلاء حتى يمنع عنهم الطعام والشراب ؟ وبأى ذنب يعذبون ويسجنون ؟! إنها لغة الكفر التي تحدث عنها القرآن :{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ}[إبراهيم : ١٣].

- **واليوم يعيد التاريخ نفسه :**

فقد فكر أعداء الإسلام بقيادة الأمم المتحدة في أنسب الوسائل للقضاء على المسلمين ، فوجدوا أن الحصار وسيلة فعالة ومؤثرة ، فاتخذوه سبيلا لإرهاب الدولة المسلمة وهم يسيرون على نفس النهج الذى رسمه كفار قريش .

وإذا نظر المسلم إلى ديار الإسلام في العالم اليوم فإنه يبكى دماً على هذا الظلم الواضح الفاضح ، والذى يمارسه أعداء الإسلام بل أعداء البشرية في إخواننا في مشارق الأرض ومغاربها .

ففى البونسة والهرسك :

فرضت أمريكا ودول أوروبا حظرا وحصارا على المسلمين فقط ، فلا أسلحة ولا طعام! ثم تظاهرت هذه الدول أمام الرأى العام الاسلامى بأنها راعية العدل والسلام !!

---

(١)"كتاب اليهود نشأة و تاريخاً " الشيخ/صفوت الشوادفى.

وفى العراق :

كان الحصار هو وسيلة إذلال وتجويع للشعب العراقي المسلم بشيوخه ونسائه وأطفاله ! وما ذنب الشعوب إذا كانت الحكومات ظالمة أو فاسدة.

وفى ليبيا :

فرض أعداء الإسلام حصارا على الشعب الليبي المسلم لتجويعه وإذلاله بتهمة غير واضحة ولا ثابتة ، فيما يسمونة بحادث لوكيربى .

ويقوم صندوق النقد الدولى التابع للأمم المتحدة بدور خطير في إذلال المسلمين ، وتجويعهم تحت ستار الاصلاح الاقتصادي ، فمع كل قرض يقدمه يفرض ما يشاء من الشروط .

وأخيرا: أعلنت الأمم المتحدة على لسان بطرس غالى بأنها ستمنع المساعدات عن الدول الإسلامية التي ترفض توصيات مؤتمر السكان الدولي الداعية إلى الإجهاض والشذوذ الجنسي !!

وقد رفضت الشعوب الإسلامية هذا التهديد الصريح ، ورفضت معه توصيات المؤتمر الداعية الشذوذ والدعارة والإباحة الجنسية .

إن أصدق كلمة قالها أحد علماء اليمن المعاصرين بأن هذه الأمم المتحدة هي : الأوثان المتحدة !! فإن الناس قديما كانوا يعبدون أوثانا متفرقة من الأحجار والأشجار وغيرها ... ومع التطور اختاروا لهم وثنا مشتركا هو " الأمم المتحدة " التي هي وسيلة من وسائل اليهود للسيطرة على العالم بصفة عامة ، والمسلمين بصفة خاصة ، وان أصدق وصف يصدق علينا هو أننا لا نستحق نصر الله ما دمنا بعيدين عن منهجه ، منحرفين عن صراطه المستقيم .

ويبقى سؤال مهم : ما هو الحل ؟

والحل في قوله تعالى : {إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ} [الرعد : ١١].

وقد ظهرت دلائل الرجوع الى الله ، والفرار اليه واضحة جلية ، ولكن ينبغى على كل مسلم ان يقوم بواجبه فى الدعوة الى الله والنصيحة لإخوانه ، والتحذير من

مكائد الأعداء .

فهل نحن فاعلون ؟ اللهم نعم !

المبحث الثانى "قتلة الأنبياء"١"

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون ... أما بعد ..

فلقد تحدث القرآن الكريم عن بني إسرائيل بصفة خاصة في حوالي (٥٠ سورة) من القرآن ، إضافة الى حديثه عنهم في بقية سورة بوجه عام ، باعتبارهم طائفة من طوائف الكافرين والمشركين .

---

(١)" المصدر السابق"

وفى حديث القرآن عن اليهود يتبين لقارئه: أنهم جنس متميز في الشر والغدر ، آثمة في الضلال والكفر!

وعندما حدثت مذبحة الحرم الإبراهيمي لم تكن مفاجأة للمؤمنين الصادقين ؛ لأنهم يعرفون عن اليهود أكثر مما يعرفه اليهود عن أنفسهم!!

وقديما تعلمنا أن الديك المؤذن لم ينخدع للثعلب الذي برز له يوما في ثياب الواعظين !!

إن تاريخ اليهود مع الإسلام مليء بالغدر والخيانة ، ومذبحة الحرم الإبراهيمي لم تكن الأولى ولن تكون الأخيرة ، ولكننا نحن المسلمين – أصابتنا آفة النسيان ومعها آفة الشجب والإنكار .

فإذا رأينا من اليهود غدرا رفعنا عقيرتنا ، وخرجنا في مظاهرات ، وما هي إلا أيام قلائل حتى نعود إلي سيرتنا الأولى .

بل وفينا سماعون لهم ، ومتشبهون بهم ، ومتعاونون معهم ، وهؤلاء يقولون " الإسلام دين السلام " .

وواقعهم يشهد عليهم بأنهم قد جعلوا " الإسلام دين الاستسلام " مع أن الإسلام لم يهزم قط في معركة دخلها ، وإنما الذي هُزم هم المسلمون !!.

ونحن نقرأ في كتاب الله {لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ} [المائدة : ٨٢]. ونفهم أنا نؤجر بكل ونفهم أنا نؤجر بكل حرف عشر حسنات ، وهذا صحيح ، ولكن ينبغي أن نفهم أيضا أن عداوة اليهود لنا باقية إلى يوم القيامة .

غدر اليهود

ويجب علينا أن نذكر الشعوب المسلمة أن اليهود قد دبروا مؤامرة لقتل رسولنا – ﷺ - !!! فقد أهدوا له شاة مسمومة ! ومات الصحابي الجليل بن البراء – رضى الله عنه - لأنه أكل منها ، وما كاد الرسول يأكل منها حتى قال : "إن هذه الشاة تخبرني أنها مسمومة".

ومرة أخرى تآمر اليهود على رسولنا – ﷺ - فسحروه كما هو معلوم من قصة لبيد بن الأعصم اليهودي الساحر .

وقد حدثنا القرآن عن محاولات اليهود لقتل الأنبياء في مواضع كثيرة بحيث انك لو جمعت الآيات التي تحدثت عن هذه القضية ، لاستبان لك : أن قتل الأنبياء ، والغدر بهم ، كان هدفا يهوديا خالصا ، يسعى اليهود إلى تحقيقه بكل وسيلة .

وأقرأ ذلك – إن شئت – في سورة البقرة – آيات: [٦١ ، ٨٥ ، ٨٧ ، ٩١] وفي سورة آل عمران آيات: [٢١ ، ١١٢ ، ١٨١ ، ١٨٣] وفى سورة النساء آيات: [١٥٥ ، ١٥٧] ، وفى المائدة آية [٧٠] .

وفى مقابل هذا الغدر وتلك الخيانة يصف القرآن اليهود بأنهم –في ميدان القتال – أجبن الناس ، وأضعف الناس ، قلوب خاوية ، وهمم هاوية !! {لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاء جُدُرٍ} [الحشر : ١٤]. وهذا في أحسن الأحوال ، وإلا {فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ} [البقرة ٢٤٦]. ثم تمتلئ قلوبهم رعبا ، وخوفا ، وجزعا ، وفزعا فيقولون: {فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُون} [المائدة : ٢٤].

وإذا كان اليهود يتميزون بهذا القدر العظيم من الجبن والفزع ، والخوف والهلع ، فهل يهزم أمامهم إلا من هو دونهم ؟!!.

ومما ينبغي على كل مسلم أن ينتبه له : أن اليهود هم أصل كل فساد وقع في الأرض ، وهم الذين أوقدوا نيران جميع الحروب التي وقعت في العالم ، فإنهم كما وصفهم الله {كُلَّمَا أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِين}[المائدة ٦٤].

فقد كان اليهود وراء فساد الإلحاد ، وفساد الأخلاق ، وفساد التنصر والتكفير ، وفساد الأفكار ، وفساد القوميات والعصبيات ، وفساد الاقتصاد ، وفساد الأسر والبيوت ، وفساد الصحافة والإعلام .

ولذلك أطلق القرآن وصفة لهم بالسعى في الأرض فسادا ،ولم يخص من الفساد نوعاً معيناً ، ونبه بإطلاقه على أنهم وراء كل فساد .

وفى كتابه القيم بعنوان : " قبل أن يهدم الأقصى " أقام المؤلف الدليل على أن اليهود هم المصدر الأصلي لفساد العالم وخرابه !!! فقال :

"وهذا الفساد والإفساد قد ترك بصماته السوداء على صفحات التاريخ توقيعا عن اليهود ، وشاهدا على حضورهم في كل مجال يمكن الإفساد فيه .

فاليهودي (أبو عفك) واليهودي (كعب بن الأشرف) واليهودي (ابن أبى الحقيق) كانوا من أوائل من ألبوا الأحقاد ، وقلبوا الأمور فى الدولة الإسلامية الناشئة فى المدينة ، فجمعوا بين اليهود من بنى قريظة وغيرهم ، وبين قريش من مكة ، وبين القبائل الأخرى في الجزيرة على محاربة المسلمين .

واليهودي (عبد الله بن سبأ) هو الذى أثار العوام ، وجمع الشراذم وأطلق الشائعات فى فتنة مقتل عثمان بن عفان (رضى الله عنه) ، وما تلا ذلك من النكبات .

واليهودي (مدحت باشا) كان وراء إثارة النعرات القومية ، واستخدام المخططات الماسونية فى دولة الخلافة العثمانية ، مما أدى فى النهاية الى سقوط تلك الخلافة على يد اليهودي الأصل (مصطفى كمال أتاتورك) .

واليهودي (كارل ساركس) هو الذى كان وراء الموجة الإلحادية ، التي أصبحت فيما بعد قوة ودولة ، بل معسكرا دوليا ، بنى نفسه على أنقاص بلاد المسلمين وشعوبهم .

واليهودي (فرويد) كان وراء النزعة الحيوانية التي أصبحت فيما بعد منهجا تتلوث به عقول الناشئة ، فيما يصنف تعسفا على أنه علم وتقدم .

واليهودي (جان بول سارتر) كان وراء نزعة أدب الانحلال فى علاقات الأفراد والجماعات .

واليهودي (جولد تسيهر) كان وراء حركة الاستشراق الى استشرى فسادها وعم ظلمها وإظلامها .

واليهودي (صمويل زويمر) هو الذى خطط لحركات التبشير ، أو بالأحرى : التكفير فى بلاد المسلمين . لا لمجرد إدخال المسلمين فى النصرانية ، بل لإخراجهم من الإسلام .

واليهودي (ثيودر هرتزل) هو الذى وضع البذرة الأولى في محنة العصر المسماة بأزمة الشرق الأوسط ، عندما خطط ورسم معالم (الدولة اليهودية) فى كتابه المسمى بهذا الاسم ، تلك الدولة التي ولدت بعد مماته سفاحا ، فكانت بؤرة للإفساد في الأرض.

وأخيراً ...

فإذا أردنا أن نصدق أن اليهود قد تخلصوا من صفة الغدر والخيانة ، أو صفة الفساد والإلحاد ، فإنه ينبغي علينا التصديق أن بإمكان الجمل أن يلج في رسم الخياط !! وكلاهما مستحيل ، وليس اليه سبيل !!

المبحث الثالث "الأصابع الخفيه"١"

إن السياسة العالمية وكذلك النظام العالمي الجديد يرتكزان على النفاق وسوء الأخلاق ؛ إذ أن السياسة المعاصرة لا يمكن أن تلتقي أو تجتمع مع الأخلاق الفاضلة !! وثمة علامات استفهام كثيرة في أمور شتى قد لا يعرف لها المسلم المعاصر تفسيراً ولا تأويلا !!

وأحداث كثيرة تقع في مجتمعنا وفى العالم من حولنا يكتنفها الغموض الشديد ! ونكسة عظيمة في بلاد الإسلام مقرونة بالإصرار على الباطل ، والإعراض عن الحق !!.

والكثير من الناس على عقيدة باطلة ، وأخلاق سافلة ، والقليل أصحاب قلوب مخلصة قد نور الله بصائرهم ، وأصلح بالهم .

والمتدبر في القرآن الكريم يرى أنه قد أبان –في وضوح وجلاء– أصناف البشر ، وذكر أنهم ليسوا سواء !! فتحدث عن الكافرين والمشركين والمجوس واليهود والنصارى والمسلمين .

وهذه الأصناف – ما عدا المسلمين – بينها عموم وخصوص ، وقد أخبرنا القرآن الكريم عن الصفات والخصائص التي تتميز بها كل طائفة ، وتختص بها دون غيرها .

وحينما يجهل المسلم هذا الجانب من المعرفة القرآنية فإنه لا يستطيع أبدا أن يقف على حقيقة ما يحدث في عالم اليوم ، ولن يجد جوابا صحيحا دقيقا لما يراه أو يسمع به!.

لقد تحدث القرآن عن اليهود كأحد أصناف البشر ، فوصفهم بصفات قبيحة ذميمة تجعلها أقرب ما يكون عالم القردة والخنازير ، وأبعد ما يكون عن الجنس البشرى لولا أنهم ينتسبوا إلى آدم عليه السلام ! ومع ذلك فقد قالوا عن أنفسهم : " نحن أبناء الله وأحباؤه".

وتحدث اليهود عن أنفسهم ففصلوا ما أجمله القرآن عنهم ، ووضعوا خطة محكمة لإذلال العالم بأسره ، واتخاذ الجنس البشرى عبيدا ، وخدما للأقلية اليهودية المشردة ، وارتفعت صيحات التحذير من اليهود في دول كثيرة في أمريكا ، وفى دول أوربا ، وفى بلاد الإسلام.

وشاءت إرادة الله أن تنكشف "بروتوكولات حكماء صهيون" وتطبع في كتاب بعدة لغات مختلفة . وقد عقد اليهود لأجل صياغة هذه النصوص ثلاثة وعشرين مؤتمرا بدأت بمؤتمر في مدينة القدس!!

وقبل أن نسوق هنا نصوصاً من كلام أحبار وحكماء اليهود فإننا نثبت أولا هذه العبارات التي كتبها مترجم الكتاب إلى اللغة العربية الأستاذ مُحَمَّد خليفة التونسى مصدرا بها طبعته الأولى ، يقول المترجم عن خطورة الكتاب :

---

(١)"المصدر السابق "

(هذا الكتاب هو أخطر كتاب ظهر في العالم ، ولا يستطيع أن يقدره حق قدره إلا من يدرس البروتوكولات كلها كلمة كلمة في أناة وتبصر ، ويربط بين أجزاء الخطة التي رسمتها على شرط أن يكون بعيد النظر ، فقيها بتيارات التاريخ وسنن الإجتماع ، وأن يكون ملماً بحوادث التاريخ اليهودي والعالمي بعامة لا سيما الحوادث الحاضرة وأصابع اليهود من ورائها ، ثم يكون خبيراً بمعرفة الاتجاهات التاريخية والطبائع البشرية ، وعندئذ فحسب ستنكشف له مؤامرة يهودية جهنمية تهدف إلى إفساد العالم وانحلاله لإخضاعه كله لمصلحة اليهود ولسيطرتهم دون سائر البشر.

ولو توهمنا أن مجتمعاً من أعتى الأبالسة الأشرار قد انعقد ليتبارى أفراده أو طوائفه منفردين أو متعاونين فى ابتكار أجرم خطة لتدمير العالم واستبعاده ، إذن لما تفتق عقل أشد هؤلاء الأبالسة إجراما وخسة وعنفا عن مؤامرة شر من هذه المؤامرة التى تمخض عنها المؤتمر الأول لحكماء صهيون سنة (١٨٩٧م) ، وفيه درس المؤتمرون خطة إجرامية لتمكين اليهود من السيطرة على العالم ، وهذه البروتوكولات توضح أطرافا من هذه الخطة .

وبعد هذا البيان فإنه من حق القراء علينا أن نسوق لهم – هنا – جملة من نصوص الخطة الماكرة التي جاءت في "بروتوكولات حكماء صهيون" ، وعددها الذي تم اكتشافه أربعة وعشرون ، والله يعلم ما يسرون وما يعلنون !

وقد تحدث حكماء اليهود في البروتوكول الأول عن استبدال سلطة الدين بسلطة الذهب !!

فقالوا : (لقد طغت سلطة الذهب على الحكام المتحررين ، ولقد مضى الزمن الذى كانت فيه الديانة هي الحاكمة .. وإن الاستبدال المالى — والمال كله في أيدينا — سيمد إلى الدولة عُوداً لا مفر لها من التعلق به ؛ لأنها إذا لم تفعل ستغرق في اللجة لا محالة) .

ثم تحدث اليهود في نفس البروتوكول عن دورهم الخطير في إفساد أخلاق الأمم والشعوب .

فقالوا : (ومن المسيحيين أناس قد أضلتهم الخمر ، وانقلب شبانهم مجانين ! بالموسيقى ، والمجون المبكر الذي أغراهم به وكلاؤنا ، ومعلمونا ، وخدمنا في البيوتات الفنية ! وكتبتنا ومن إليهم ونساؤنا في أماكن لهوهم ! وإليهن أضيف من يُسمَّين : " نساء المجتمع " يعنى : "سيدات المجتمع" أو "علية النساء") .

ثم تحدث حكماء اليهود — في نفس البروتوكول الأول — عن العنف والشر.

فقالوا : (يجب أن يكون العنف هو الأساس ... إن هذا الشر هو الوسيلة الوحيدة للوصول إلى هدف الخير . ولذلك يتحتم ألا نتردد لحظة واحدة في أعمال الرشوة والخديعة والخيانة إذا كانت تخدمنا في تحقيق غايتنا.

وقبل أن ننتقل إلى البرتوكول الثانى نَوَد أن نلفت الأنظار بشدة إلى أن الواقع يدل دلالة قاطعة على أن اليهود قد نفذوا فينا — وفى النصارى من قبلنا — نص ما جاء في البروتوكول الأول ؛ فتحقق لهم احتكار الذهب ، والتحكم في اقتصاد العالم والأخطر منه أنهم أفسدوا أخلاقنا وأخلاق النصارى من قبلنا بالخمر والموسيقى والنساء والرشوة والخديعة والخيانة .

ولم يكن نجاحهم في ذلك مستمداً من قوتهم أو ذكائهم ، وإنما كان مستمدا من ضعف إيماننا ، وبعدنا عن الله ، وقد أورثنا ذلك ذلاً ومهانة نتقلب فيهما ، ولا يرتفعان عنا إلا بالتوبة والعودة إلى الله ، فهل نحن فاعلون ؟!

وأما البرتوكول الثانى فأهم ما فيه أمران في غاية الخطر :

الأول : جاء فيه : (إن الطبقات المتعلمة ستختال زهواً أمام أنفسها بعلمها ، وستأخذ جزافاً في مزاولة المعرفة التي حصلتها من العلم الذى قدمه اليها وكلاؤنا رغبة فى تربية عقولهم حسب الاتجاه الذى توخيناه).أهـ.

والواقع يشهد بأن فينا من وقع في الفخ الذي نصبه حكماء صهيون.

وأما الأمر الثانى فقد قال عنه أحبار اليهود :

(إن الصحافة التي في أيدي الحكومة القائمة هي القوة العظيمة التي بها نحصل على توجيه الناس ، فالصحافة تبين المطالب الحيوية للجمهور ، وتعلن شكاوى الشاكين وتولد الضجر أحيانا بين الغوغاء ، وإن تحقيق حرية الكلام قد ولد في الصحافة ، غير أن الحكومات لم تعرف كيف تستعمل هذه القوة بالطريقة الصحيحة ، فسقطت في أيدينا ، ومن خلال الصحافة أحرزنا نفوذا ، وبقينا نحن وراء الستار ، وبفضل الصحافة كدسنا الذهب ، ولو أن ذلك كلفنا أنهارا من الدم ، فقد كلفنا التضحية بكثير من جنسنا ، ولكن كل تضحية من جانبنا تعادل آلافاً من الأمميين (غير اليهود) أمام الله .

أما الأمر الثالث من هذه الوثيقة الخطيرة فهو يبدأ ببيان أن هدف اليهود أن تكون كل دول أوربا محصورة بأغلال لا تكسر!!

والواقع يشهد أن كل أو جل الدول الأوروبية تحت سيطرة اليهود.

ويؤكد حكماء صهيون أنه ينبغى تدبير المكائد والدسائس دائما بين الحكومات والشعوب ، يقول البروتوكول :

(وقد فصلنا القوة المراقبة (الحكومة) عن قوة الجمهورية العمياء (الشعب) ، لأنهما حين انفصلتا صارتا كأعمى فقد عصاه !

ويبين اليهود ان رفع شعار (حقوق البشر) لا وجود له فى الواقع ، وإنما يتبنى اليهود هذا الشعار لإثارة القلاقل والفتن والواقيعة بين المجتمعات البشرية .

ويسوق أبناء صهيون — هنا — مجموعة من الوسائل التي يصلون بها الى السيطرة على العالم شرقه وغربه على السواء :

(نحن على الدوام نتبنى الشيوعية ، ونحتضنها متظاهرين بأننا نساعد العمال طوعاً لمبدأ الأخوة والمصلحة العامة للإنسانية ، وهذا ما تبشر به الماسونية) ؟!

(وسنخلق أزمة اقتصادية عالمية بكل الوسائل الممكنة التي في قبضتنا ، وبمساعدة الذهب الذى هو كله في أيدينا) .
(ونحن الآن – كقوة دولية – فوق المتناول ، لأنه لو هاجمتنا أحدى الحكومات لقامت بنصرنا أخريات ؟؟!!

* **وفى البرتوكول الرابع**

يرتكز على ثلاثة محاور كفيلة بتدمير العقيدة والأخلاق لكل شعوب الأرض !!

أولها : (إن المحفل الماسونى المنتشر في كل أنحاء العالم ليعمل في غفلة كقناع لأغراضنا) ، ونوادى الروتارى داخلة فى هذا النص .

والمحور الثاني : (يتحتم علينا – أي اليهود – أن ننزع فكرة الله ذاتها من عقول المسيحيين ! وأن نضع مكانها عمليات حسابية وضرورية مادية ، ثم لكي نحول عقول المسيحيين عن سياستنا سيكون حتما علينا أن نبقيهم منهمكين في الصناعة والتجارية ، وهكذا ستنصرف كل الأمم إلى مصالحها ، ولن تفطن في هذا الصراع العالمي إلى عدوها المشترك)!!

وأما **الثالث** وهو أيضا في غاية الخطورة : (إن الصراع من أجل التفوق ، والمضاربة في عالم الأعمال ستخلقان مجتمعا أنانياً غليظ القلب منحل الأخلاق ، هذا المجتمع سيصير منحلاً ومبغضاً للدين والسياسة ، وستكون شهوة الذهب رائده الوحيد .

وسيكافح هذا المجتمع من أجل الذهب متخذاً اللذات المادية التي يستطيع أن يمده بها الذهب مذهباً أصيلا .

وأما البروتوكول الخامس

فلا يمكن اختصاره أو تلخيصه لخطورة المؤامرة التي اشتمل عليها كل لفظ من ألفاظه !! لكنه بوجه عام يستمد خطورته من اعتقاد راسخ عند اليهود

بأنهم شعب الله المختار كما يزعمون ، وذلك في قوله : (إننا نقرأ في شريعة الأنبياء أننا مختارون من الله لنحكم الأرض) .

وفى سبيل ذلك الهدف يلجأ اليهود الى أخس الوسائل التي تحقق هذه الغاية ؛ فيعملون جاهدين على إثارة النعرات القبلية والقومية ؛ ويخلصون من ذلك الى نتيجة هامة ، وهى أن أى حكومة منفردة لن تجد لها سندا من جاراتها حين تدعوها العربية اليوم – بخاصة – والإسلامية بعامة.

ويوجب اليهود على أنفسهم ضرورة على أنفسهم ضرورة احتكار مطلق الصناعة والتجارة للتحكم في رأس المال العالمى.

وفى سبيل تحقيق الهدف النهائي لليهود (حكم العالم) ، فإنهم يؤكدون على ضرورة أن يقوم الحكام بسحر عقول العامة بالكلام الأجوف لأن الشعوب قلما تلاحظ ما إذا كان الوعد قابلاً للوفاء فعلاً أم لا ؟ ولضمان الرأي العام والسيطرة عليه يجب أن نحيره كل الحيرة بتغيرات من جميع النواحي لكل أساليب الآراء المتناقضة بحيث يقتنع الرأي العام أنه لا يصلح لإبداء رأيه في المسائل السياسية فيسهل توجيهه وإقناعه والسيطرة عليه !!.

كل ذلك يفعله اليهود سعيا إلى تشكيل حكومة عالمية عليا تحكم العالم بأسره :

{وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} [الأنفال: ٣٠] .

ويسعى **البرتوكول السادس** إلى: تخريب صناعة وزراعة دول العالم ، وذلك من خلال تشجيعه حب الترف المطلق مما يعنى استنزاف مبالغ طائلة في هذا الباب (الترف) بغير فائدة.

وكذلك زيادة الأجور مع رفع أثمان الضرورات الأولية فى نفس الوقت مع الاستفادة من سوء المحصولات الزراعية وضعف الإنتاج المترتب على تدخل اليهود فى شئون الدول.

وكذلك يتحقق تخريب الصناعة والزراعة من خلال قيام اليهود بتشجيع العمال على إدمان المسكرات ، وإثارة الحسد والسخط في نفوسهم ، ومحاربة كل من تظهر عبقريته من غير اليهود في أي مجال من المجالات .

وفى البروتوكول السابع

يسعى اليهود إلى: حث الدول على بناء جيوش ضخمة ، وقوة بوليسية كبيرة العدد . في نفس الوقت يقررون أنه يجب نشر الفتنة والمنازعات والعداوات المتبادلة بين سائر الدول والشعوب.

يقول حكماء صهيون : (ولكي نصل إلى هذه الغايات يجب علينا أن ننطوى على كثير من الدهاء والخبث خلال المفاوضات والاتفاقات ، ولكننا فيما يسمى " اللغة الرسمية" سوف نتظاهر بعكس ذلك ، كى نظهر بمظاهر الأمين المتحمل للمسئولية) .

أقول : هذا الكلام مطبق بنصه وفصه في المفاوضات التي تدور بين اليهود والدول العربية اليوم فلا نامت أعين الجبناء .

ويتحدث اليهود – هنا – بصراحة كاملة أنهم وراء الإرهاب الذي يحدث في أماكن مختلفة من العالم فيقولون : (من أجل أن نظهر استعبادنا لجميع الحكومات غير اليهودية – سوف نبين فوتنا لواحدة منها متوسلين (أي عن طريق) جرائم العنف ؛ وذلك ما يقال له حكم الإرهاب !! وإذا اتفقوا ضدنا فسوف نجيبهم بالمدافع الأمريكية أو الصينية أو اليابانية !! .

وأما البروتوكول الثامن فيقوم على عنصرين في غاية الخطر :

الأول : سعى اليهود بكل الحيل إلى مسخ عقول مجموعة كبيرة في داخل كل دولة بحيث تعمل لصالحهم وتبذل جهدها في خدمة اليهود وتحقيق أغراضهم بوعى وبغير وعى ! وهذه المجموعة تمثل كل فئات المجتمع ففيهم الناشرون الصحفيون والمحامون والأطباء ورجال الإدارة والسياسة ، كما تضم من يتعلمون في المدارس الخاصة جداً ، والتي ينظر إليه بعض أفراد الشعب على أنها مظهر التقدم فيلهثون وراءها ، وهى في الحقيقة مدارس لمسخ عقول أبناء المسلمين لإخراج جيل لا يعرف الله .

ويتمثل في سعى اليهود المستميت إلى شغل المناصب الخطيرة والحساسة في المجتمعات بأقوام ساءت صحائفهم وأخلاقهم كى تقف مخازيهم – كما يقول اليهود – فاصلا بين الأمة وبينهم . والغرض من ذلك أن يدافع هؤلاء عن مصالحنا حتى النفس الأخير.

وفى البرتوكول التاسع :

كشف اليهود القناع عن أسلوب الخداع الذي يسمحون به لعملائهم من الحكام ، وعن التدخل الخطيرة في شئون وسياسات الدول على نحو لم يسبق له مثيل عند غير اليهود فيقولون : (حيث تقف حكومة من الحكومات نفسها موقف المعارضة لنا في الوقت الحاضر فإنما ذلك أمر صوري متخذ بكامل معرفتنا ورضانا ؟! كما أننا محتاجون إلى انفجاراتهم المعادية لليهود ، كي نتمكن من حفظ إخواننا الصغار في نظام ؟!

ويصرح حكماء صهيون بأن اليهود قد أصبح لهم يد طويلة في الشئون الداخلية للحكومات ، فيقولون : (إن لنا يدا في حق الحكم ، وحق الانتخاب ، وسياسة الصحافة ، وتعزيز حرية الأفراد ، فيما لا يزال أعظم خطرا ، وهو التعليم الذى يكون الدعامة الكبرى للحياة الحرة).

ولما كتب اليهود هذه الوثيقة الخطيرة لم يدر بخلدهم أن الله سيكشف سترهم ، ويفضح أمرهم ، فكتبوا وخطوا بأقذر الأقلام أخس الصفات التي لا يمكن أن تجتمع في أي بشر سوى اليهود ، فقالوا : (إن لنا طموحا لا يُحدُّ وشرهاً لا يشبع ونقمة لا ترحم ، وبغضاء لا تحس ، إننا مصدر إرهاب بعيد المدى وإننا نسخر في خدمتنا أناسا من جميع المذاهب والأحزاب) .

فقد وقف الحديث بنا عند بيان ما اشتمل عليه البروتوكول التاسع لليهود من مؤامرة خطيرة على العالم بأسرة ، فهم لا يفرقون في المكر والكيد والحقد بين عربى وعجمى.

وفى البروتوكول العاشر

يؤكد اليهود أن الحكومات والأمم تقنع في السياسة بالجانب المبهرج الزائف من كل شئ ، لأنه ليس لديهم وقت لكى يختاروا بواطن الأمور في حين أن نوابهم الممثلين لهم (أعضاء مجلس الشعب) لا يفكرون إلا في الملذات.

ثم يبين حكماء صهيون أن السياسى إذا خدع شعبه ثم عرف الشعب ذلك فإنه لا يحتقره ولا يضره ، بل يقابل خداعه له بالدهشة والإعجاب . فإذا قيل : هذا السياسي غشاش ، قال الشعب : لكنه بارع ، وإذا قيل : دجال ، قال : لكنه شجاع !

ومن أخطر ما صرح به اليهود – هنا – أنهم قالوا : (سوف ندمر الحياة الأسرية ، بين غير اليهود ، ونفسد أهميتها التربوية ، وسنعوق الرجال ذوى العقول الحصيفة عن الوصول إلى الصدارة ، والدستور – في نظر اليهود – مدرسة للفتن والاختلافات والمشاحنات ، والهيجانات الحزبية العقيمة ، وهو بإيجاز مدرسة كل شئ يضعف نفوذ الحكومة) .

وأما ما يتعلق باختيار ودور رئيس الجمهورية فيبين اليهود ذلك بقولهم : (سندبر انتخاب أمثال هؤلاء الرؤساء ممن تكون صحائفهم السابقة مسودة بفضيحة نيابية ، أو صفقة أخرى سرية مريبة !!

إن رئيسا من هذا النوع سيكون منفذا وافيا لأغراضنا ، لأنه سيخشى التشهير ! وسيبقى خاضعا لسلطان الخوف الذى يمتلك – دائماً – الرجل الذى وصل إلى السلطة) .

وفى نهاية هذا البروتوكول يقرر اليهود حقيقة خطيرة جدا تتعلق بواقعنا المعاصر ، وللأسف الشديد قد نجح اليهود تحقيق هذا الأمر الخطير الذي جاء في قولهم (لابد أن يستمر في كل البلاد اضطراب العلاقات القائمة بين الشعوب والحكومات ، فتستمر العداوات والحروب ، والكراهية ، والموت استشهادا أيضاً ؟ ! هذا مع الجوع والفقر ، وتفشى الأمراض).

وأما البروتوكول الحادي عشر:

فيبين اليهود فيه أن من رحمة الله بهم أن شعبه المختار مشتت !! وهذا التشتت الذي يبدو ضعفا فينا أمام العالم ، قد ثبت أنه كل قوتنا التي وصلت بنا إلى عتبة السلطة العالمية .

وفى البروتوكول الثاني عشر:

يعود اليهود إلى مزيد بيان عن دور الصحافة في تحقيق أغراضهم ، فيقررون أن الأخبار العالمية تتسلمها وكالات أنباء قليلة ولن تنشر من هذه الأخبار إلا ما يوافق اليهود على نشره ، وهذا يفسر لنا سر حكماء صهيون أن كل إنسان يرغب أن يكون ناشرا أو طابعا سيكون مضطرا إلى الحصول على رخصة وشهادة ستسحبان منه إذا وقعت منه مخالفة!

(والمقصود بالمخالفة هنا الخروج على منهج اليهود ، أو الوقوف ضدهم).

ويقول اليهود : (سننشر كتبا رخيصة الثمن كي نعلم العامة ، ونوجه عقولهم في الاتجاهات التي نرغب فيها !! ولن يجد أحد يرغب في مهاجمتنا بقلمه ناشرا ينشر له ، الأدب والصحافة هما أعظم قوتين تعليميتين خطيرتين ، ولهذا السبب ستشترى حكومتنا العدد الأكبر من الدوريات !! وبهذه الوسيلة تظفر بسلطان كبير جدا على العقل
الإنساني !!.

ويقرر اليهود في البروتوكول الثالث عشر

جملة من الحقائق التي تعبر عن نظرتهم إلى الشعوب والمجتمعات البشرية ، وتعكس المنطلقات التي ينطلق منها اليهود في تفكيرهم ومعاملتهم لغيرهم ، وهى حقائق في غاية الخطورة توجب على كل مسلم أن يتدبرها ويعقلها ، من هذه الحقائق :

أولاً: ينظر اليهود إلى الشعوب غير اليهودية على أنها كالطفل ! إذا ألح في طلب شئ معين يكفى أن تقول له مثلا : أنظر إلى هذا العصفور ! فتوجه ذهنه إلى ما تريد ! وينسى ما كان يلح في طلبه ، ويبدأ في السؤال عن العصفور ، ووصف شكله ولونه !! وهذا في نظر اليهود دور خطير ينبغي أن تقوم به الصحافة في كل الدول لتشغل الجماهير بقضايا تافهة عن القضايا المهمة المتعلقة بمصير ومستقبل الأمة !!.

ثانياً: يقول اليهود : (لكى نشغل الناس عن مناقشة المشاكل السياسية فإننا نمدهم بمشكلات جديدة تتعلق بالصناعة والتجارة) .

ثالثاً: إبعاد الشعوب عن التفكير الجاد والهادف بأن تلهيها بأنواع شتى من الملاهي والألعاب ؛ ويتحقق هذا بالإعلان في الصحف ووسائل الإعلام عن مباريات في كل أنواع المشروعات ، كالفن ، والرياضة ، وما إليها ، وهذه المتع الجديدة سوف تلهى ذهب الشعب عن التفكير في المسائل المهمة !!.

رابعاً: لا يوجد – في نظر اليهود – عقل واحد عند غيرهم يستطيع أن يدرك أننا نخفى وراء كلمة (التقدم) التي نرددها ضلالا وزيغاً عن الحق ، لأن التقدم فكرة رائعة تعمل على تغطية الحق حتى لا يعرفه أحد غيرنا نحن شعب الله المختار الذي اصطفاه الله !!

وفى البروتوكول الرابع عشر:

يعلن اليهود ما تخفى صدورهم ، فيقولون : (عندما نكون سادة الأرض لن نبيح قيام أي دين غير ديننا ، ولهذا السبب يجب علينا أن نحطم كل عقائد الإيمان) !!

ويقرر اليهود أنهم سيتخذون الوسائل المناسبة التي تجعل الشعوب تفضل حكومة السلام في جو العبودية على حقوق الحرية التي طالما مجدوها ؛ لأن الحرية كانت سبباً في تعذيبهم واستنزافهم !! .

ويعترف اليهود في نهاية هذا البروتوكول أنهم نشروا في كل الدول الكبرى ذات الزعامة أدباً مريضاً قذراً يغثي النفوس ، ويرون أن المصلحة تقضى بتشجيع نشر هذا الأدب لفترة من الزمن !!.

وأما البرتوكول الخامس عشر فقد جاء فيه:

ضرورة منع المؤامرات ضد اليهود ؛ وذلك بتنفيذ حكم الإعدام بلا رحمة ضد كل من يشهر أسلحة ضد استقرار سلطتنا.

إعداد أفراد أى جماعة سرية مناوئة لليهود ، أمام الجماعات السرية التي تخدم أغراض اليهود فسوف تحل بعد انتهاء مهمتها ، وينفى أعضاؤها إلى جهات نائية من العالم !!.

قرارات حكومتنا نهائية ، ولن يكون لأحد الحق في المعارضة.

سنحاول أن ننشئ ونضاعف خلايا الماسونيين الأحرار في جميع أنحاء العالم ، وهذه الخلايا ستكون الأماكن الرئيسية التي سنحصل منها على ما نريد من أخبار ! (يعنى أوكار للتجسس على الدول) كما أنها ستكون أفضل مراكز الدعاية.

وسوف نركز على كل هذه الخلايا تحت قيادة واحدة معروفة لنا وحدنا ، وهذه القيادة من علمائنا !! وكل الوكلاء في البوليس الدولي السري تقريباً سيكونان أعضاء في هذه الخلايا.

كما يقرر اليهود أن الغاية تبرر الوسيلة ، وأن كل غاية عظيمة ينبغى ألا نتوقف لحظة أمام الوسائل الموصلة إليها ! وألا نلتفت إلى عدد الضحايا الذين تجب التضحية بهم للوصول إلى هذه الغاية !!.

أقول: وهذا ما حدث ومازال يحدث من تقتيل وتشريد للفلسطينيين واللبنانيين وغيرهم في سبيل الغاية المنشودة لليهود ، أضف إلى ذلك التفجيرات والاغتيالات التي تحدث على مستوى العالم ؛ فإنها في معظمها : إما أن اليهود من ورائها ، أو على علم بها قبل وقوعها !!.

ويتحدث اليهود في نهاية هذا البروتوكول عن دورهم الخطير في التأثير على المناصب الحساسة في الدول ؛ فيقولون : (أي إنسان يرغب في الاحتفاظ بمنصبه سيكون عليه كي يضمنه أن يطيعنا طاعة عمياء. وستكون المناصب الخطيرة مقصورة بلا استثناء على من ربيناهم تربية خاصة للإدارة ! وسنلغي حق استئناف الأحكام (كما في المحاكم العسكرية) ، ونقصره على مصلحتنا فسحب!).

وإذا صدر حكم يستلزم إعادة النظر فسنعزل القاضى الذى اصدره فوراً ، ونعاقبه جهراً !!).

وبعد أيها القارئ الكريم:

فإن معرفة حقيقة اليهود تجعلك تفهم في وضوح وجلاء تفسير ما يحدث في عالم اليوم ، كما يكشف لك عن دورهم في تدمير العقيدة والأخلاق ، وإفساد العبادات والمعاملات ، وهذا ما تحاول تحقيقه من خلال تتبع فقرات هذه الوثيقة الخطيرة.

وفى البروتوكول السادس عشر :

يتحدث اليهود عن الجامعات ، فيقررون تغييرها بعدة وسائل منها: الإعداد الخاص برؤساء الجامعات وأساتذتها! وترشيحهم بعناية بالغة ، ومنها: وضع برامج لطلبة الجامعات بحيث يتخرجون منها –كما يريد اليهود لهم –ولا يسمح لهم بحمل الأفكار التي لا تناسب خطة أبناء صهيون !!.

كما يقرر اليهود تدمير التراث ، وتشويه صورة الماضي في نظر الجيل الحاضر ، ويتم ذلك من خلال دراسة الجوانب المظلمة من التاريخ القديم ، وإبراز الصفحات السوداء بهدف طمس العصور الماضية من المذاكرة ، وإخراج جيل يكفر بكل ما هو قديم ولو كان وحياً سماوياً ، ويؤمن بكل ما هو جديد ولو كان إلحاداً أرضياً !!.

ويعترف اليهود في نهاية هذا البروتوكول أنهم الذين وضعوا أخطر نظام لإخضاع عقول البشر ، وهو نظام التربية البرهانية !!. أو التعليم بالنظر ، وخلاصته : (تعليم الناس الحقائق عن طريق البراهين النظرية ، والمناقشات الفكرية ، لا التعليم عن طريق ملاحظة الأمثلة وإجراء التجارب عليها للوصول إلى الحقائق أو القواعد العامة ، والتربية في أكثر مدارسنا برهانية ! تهتم بإثبات الحقيقة بالبرهان النظري عليها ، ومن شأن هذه الطريقة أن تفقد الإنسان ملكة الملاحظة الصادقة ، والاستقلال في إدراك الحقائق ، وفهم الفروق الكبيرة أو الصغيرة بين الأشياء المتشابهة ظاهراً ، وهى على العكس من طريقة التربية بالمشاهدة والملاحظة والتجربة ودراسة الجزئيات ، وهذه الطريقة الأخيرة تعود الإنسان على حسن الملاحظة والاستقلال الفكري والمتميز الصحيح بين الأشياء ، والتربية البرهانية غلابا استدلالية ، والثانية غالبا استقرائية تجريبية ، وضرر التربية البرهانية أكثر من نفعها ، فهي تمسخ العقل ، وتمد له في الغرور والعمى والكسل والتواكل) .

وفى البروتوكول السابع عشر :

يذكر اليهود أن احترام القانون يجعل الناس يشبون باردين قساة عنيدين ، ويجردهم –كذلك - من كل مبادئهم ، ويحملهم على أن ينظروا إلى الحياة نظرة غير إنسانية ، بل قانونية محضة !!

ثم يستطرد اليهود قائلين : (لا محامى يرفض أبدا الدفاع عن أي قضية إنه سيحاول الحصول على البراءة بكل الأثمان بالتمسك بالنقط الاحتمالية الصغيرة في التشريع !!).

كما يقرر اليهود موقفهم من العلماء ورجال الدين ، فيقولون : (قد عنينا عناية عظيمة بالحط من كرامة رجال الدين –غير اليهود –في أعين الناس !! وبذلك نجحنا في الإضرار برسالتهم التي كان يمكن أن تكون عقبة كئودا في طريقنا وإن نفوذ رجال الدين على الناس ليتضاءل يوما فيوما ، واليوم تسود حرية العقيدة في كل مكان [1] ، وسوف نقصر رجال الدين وتعاليمهم على جانب صغير جدا من الحياة !!).

وفى البرتوكول الثامن عشر :

يقارن اليهود بين حكومتهم المرتقبة ، والحكومات الأخرى ، ويضعون علامة تعرف بها الحكومة الضعيفة فيقولون : (إن حراسة الملك جهارا تساوى الاعتراف بضعف قوته !! وإن حاكما سيكون دائما في وسط شعبه !!).

وهذا من علامات قوة الحاكم عند اليهود أن يمشى في الشارع بلا حراسة معلنة ، إشارة إلى قوته وهيبته وتقديس شعبه له .

وفى البروتوكول التاسع عشر :

---

(1) يجتهد اليهود في تشكيك الناس في الديانات عن طريق النقد الحر ، وعلم مقارنة الأديان ، وحرية العقيدة ، والحط من كرامة رجال الأديان ، وهم يحافظون على بقائها – شكلا فقط – حتى تفسد فسادا تاما نهائيا!!.

يذكر اليهود أن الثورة — أى : ثورة الشعوب على الحكومات — ليست أكثر من نباح كلب على فيل !! وليس على الفيل إلا أن يظهر قدرته بمثل واحد متقن حتى تكف الكلاب عن النباح !.

وقد أوحى اليهود — كما يقولون — إلى غيرهم من الشعوب أن القاتل السياسي شهيد !! مما جعل الكثير من الشعوب تتمرد على حكوماتها طمعا في إدراك الشهادة المزعومة بقتل القادة ورجال السياسة ، مما أشاع حالة من الفوضى والاضطراب في كثير من الدول بعد أن استغل اليهود جهل أبنائها الذين أصبحوا بلا إرادة مستقلة ، يفكرون بعقول غيرهم ، وينظرون بغير عيونهم !!.

وفى البروتوكول العشرين :

يتحدث اليهود عن المال ، ودوره الخطير ، وتأثيره على الحكومات والشعوب ، كما يتحدثون عن القواعد والأسس التي سيكون عليها النظام المالى في الحكومة اليهودية المرتقبة ، ويمكن للقارئ الوقوف على هذا الجزء من المخطط اليهودي من خلال النصوص الآتية :

* (حين نصل إلى السلطة فإن حكومتنا الأوتوقراطية — من أجل مصلحتها الذاتية — ستتجنب فرض ضرائب ثقيلة على الجمهور ، وستذكر دائما ذلك الدور الذى ينبغى أن تلعبه ، وأعنى به دور المحامى الأبوى) .

* (إن فرض ضرائب تصاعدية على الأملاك هو خير الوسائل لمواجهة التكاليف الحكومية ، وهكذا تدفع الضرائب دون أن ترهق الناس ، ودون أن يفلسوا) .

وأريد أن يتذكر القارئ أن هذا الكلام قد كتبه اليهود فى سنة

(١٩٠١م) ونحن الآن في سنة (١٩٩٦م) ؟ .

* (وستكون هناك ضرائب دمغة تصاعدية على المبيعات والمشتريات) .

* (ولن يكون الملك في حكومتنا محوطاً بالحاشية التي يرقصون عادة في خدمة الملك من أجل الأُبَّهة ، ولا يهتمون إلا بأمورهم الخاصة مبتعدين جانبا عن العمل لسعادة الدولة) .

* (والحكام الأمميون — غير اليهود — من جراء إهمالهم ، أو بسبب فساد وزرائهم ، أو جهلهم — قد جروا بلادهم إلى الاستدانة من بنوكنا ؟ حتى إنهم لا يستطيعون تأدية هذه الديون) .

وفى نهاية هذا البروتوكول يقرر اليهود حقيقة واقعة فيقول زعيمهم في مؤتمر حكماء صهيون : (وأنتم أنفسكم تعرفون إلى أي مدى من الاختلال المالى قد بلغوا بإهمالهم الذاتى ، فلقد انتهوا إلى إفلاس رغم كل المجهودات الشاقة التي يبذلها رعاياهم التعساء) .

وبعد أيها القارئ الكريم : إن قراءة هذه الحلقات المتتابعة عن أصابع اليهود الخفية التي تعبث بسياسات الحكومات ، واقتصاد الشعوب المسلمة — هذه القراءة توقفك على حقائق مذهلة وخصائص فاسدة قد انفرد بها اليهود ، وتحدث عنها القرآن الكريم في مواضع مختلفة .

ومع هذا فنحن بحاجة ماسة — بعد القراءة والتدبر — إلى أمر أهم وهو المقارنة بين أقوال اليهود والواقع الذى يعيشه العالم اليوم .

إن الحقيقة المؤلمة يعبر عنها واقع الأمة ، فلقد نجح اليهود نجاحا ظاهرا في تنفيذ المؤامرة ، واختراق جسد الأمة الضعيف .

وفى البرتوكول الحادي والعشرين وكذلك الثانى والعشرين:

يتحدث اليهود عن السياسة المالية لتدولتهم المرتقبة وحكومتهم المنتظرة ، وتتلخص هذه السياسة فى أن يحكم اليهود قبضتهم على المال فى جميع أنحاء العالم وأن يكون لهم نفوذ اقتصادى قوى يتمكنون معه من السيطرة على سياسات الحكومات تمهيدا للاستيلاء عليها ، ويؤكد اليهود — كعادتهم — على دور الذهب في هذه العلمية فيقولون :

(في أيدينا تتركز أعظم قوة في الأيام الحاضرة وأعنى بها الذهب ففي خلال يومين نستطيع أن نسحب أي مقدار منه من حجرات كنزنا السَّريَّة !!!).

وفى البروتوكول الثالث والعشرين :

يتحدث اليهود عن العلاقة بين الحاكم والمحكوم في ظل حكومتهم المرتقبة ، وذلك من خلال النصوص الآتية :

* (يجب أن يدرب الناس على الحشمة والحياء كى يعتادوا الطاعة) .

* (إن الطبالة هي الخطر الأكبر على الحكومة ، وستكون هذه البطاقة قد أنجزت عملها حالما تبلغنا طريق السلطة) .

وهذا يعنى أن البطالة تفيد اليهود جدا ، إذا وجدت في الدول غير اليهودية بما تخلقه من مشاكل وقلاقل للحكومات ، ولنفس السبب فإنها — أى : البطالة — تضر اليهود إذا كانت في دولتهم .

* (يجب أن يظهر الملك الذي سيحل الحكومات القائمة التي ظلت تعيش على جمهور قد تمكنا نحن أنفسنا من إفساد أخلاقه خلال نيران الفوضى ، وإن هذا الملك يجب أن يبدأ بإطفاء هذه النيران التي تندلع اندلاعاً مطرداً من كل الجهات ، ولكي يصل الملك إلى هذه النتيجة يجب أن يدمر كل الهيئات التي قد تكون أصل هذه النيران ؟! ولو اقتضاه ذلك إلى أن يسفك دمه ، هو ذاته) .

* (إن ملكنا سيكون مختاراً من عند الله ! ومعينا من أعلى ، كي يدمر كل الأفكار التي تغرى بها الغريزة لا العقل !!).

وفى البروتوكول الأخير ، وهو الرابع والعشرون :

يقرر زعيم اليهود الأسلوب الأمثل الذى تقوى به دولة الملك داود حتى تستمر إلى اليوم الآخر !!

ويبين أنه لكى يصون اليهود دولتهم فإنهن ينبغى عليهم أن يقوموا بتوجيه الجنس البشرى كله وتعليمه ! أو بمعنى أخر امتلاك عقول البشر بحيث لا يبقى لك شئ تفكر به ، ولا يكون من حقك أن تفكر لنفسك ، ولا أن تشارك برأى ، ويصل اليهود إلى ذلك من خلال الاستحواذ الكامل على العقل البشرى والرأى العام عن طريق وسائل الإعلام ، واستغلال وسائل أخرى اقتصادية واجتماعية لتحقيق ذلك الهدف .

كما يقرر اليهود — أيضا — أن شيوخهم لن يأتمنوا على أزمة الحكم إلا الرجال القادرين على أن يحكمونا حكما جازما ولو كان عنيفا!

ثم يختتمون البروتوكولات بحقيقة واقعة قد نجح اليهود في تحقيقها ، وهى بذر العداوة والكراهية والخوف بين الشعب والحكومة في البلاد غير اليهودية .

* يقول حكماء صهيون : (ولكي يكون الملك محبوبا ومعظما من رعاياه يجب أن يخاطبهم جهارا مرات كثيرة ، فمثل هذه الإجراءات ستجعل القوتين في انسجام : أعنى قوة الشعب وقوة الملك اللتين قد فصلنا بينهما في البلاد غير اليهودية بإبقائنا كلا منهما في خوف دائم من الأخرى ! وقد كان لزاما علينا أن نبقى كلتا القوتين في خوف من الأخرى ، لأنهما حين انفصلتا وقعتا تحت نفوذنا !!).

وفى (نهاية البروتوكولات كتبت هذه العبارة) :

(وقعه ممثلو صهيون من الدرجة الثالثة والثلاثين) [١] .

وبعد أيها القارئ الكريم :

لقد انتهينا من عرض القدر الذى تم اكتشافه من بروتوكولات حكماء صهيون ، ولا أظن أن أحدا يفكر الآن فى اكتشاف المزيد منها ، لأنه يراها فى الواقع الذى حوله قبل أن يراها مسطرة فى أوراق .

وذلك لأن اليهود لم يقفوا عند حد الكلام كعادة غيرهم ، بل طبقوا هذه المقررات التي أجمع عليها زعماؤهم بغير تردد أو توقف ، واستخدموا في سبيل ذلك أخس الوسائل وأقذرها دون أن يرقوا في أحدٍ إلا ولا ذمة ! ولقد استخدموا النساء بصور في غاية القبح لتحقيق مآربهم ، حتى إن كثيرا من زعماء الدول الغربية والمشهورين فيها كالعلماء والفنانين والأدباء وقادة الجيوش ، ورؤساء المصالح والشركات لهم زوجات أو خليلات أو مديرات لمنازلهم من اليهوديات ، يطلعن على أسرارهم ، ويوجهن عقولهم ، وجهودهم لمساعدة اليهود ، أو العطف عليهم ، أو كف الأذى عنهم ، كما أن اليهود كانوا يشترون الأراضي من عرب فلسطين بأثمان غالية ، ثم يسلطون نساءهم وخمورهم على هؤلاء العرب حتى يبتزوا منهم الأموال التي دفعوها لهم!!

وعندما سعى اليهود عمليا لإقامة دولة لهم في فلسطين كانت أكبر عقبة أمامهم هي الخلافة الإسلامية التي تحول بينهم وبين ما يشتهون ، فعملوا بكل الوسائل حتى تم لهم القضاء على الخلافة الإسلامية ، وأقاموا مكانها في تركيا كما هو معلوم حكومة علمانية لا دينية بقيادة (مصطفى كمال أتاتورك) صنيعة اليهود ، والذى عمل جاهدا على تغيير الهوية الإسلامية فى تركيا ، وتحقق له ذلك فى فترة قصيرة .

---

(١)وهى أرقى درجات الماسونية اليهودية ، فالموقعون هم أعظم أكابر الماسونية في العلام .

واليوم يجوس اليهود خلال الديار ، ويعيثون في الأرض فسادا ، والأحداث الأخيرة في فلسطين تعكس الخطورة البالغة التي وصل إليها الوضع بين المسلمين واليهود .

فاليهود يسعون جاهدين إلى تدمير المسجد الأقصى بطرق ملتوية غير مباشرة ، يدفعهم إلى ذلك خبث ودهاء لا نظير لهما ، وذلك أن اليهود يعلمون علم اليقين أن قلوب المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ترتبط ارتباطا وثيقا بالمسجد الأقصى لما له من منزلة عظيمة تتعلق بالإسراء والمعراج ، وكذلك فضل الصلاة فيه .

ويريد اليهود أن يقطعوا هذه الصلة الإيمانية بين المسلمين والقدس ، وحيث ترى هذه الصلة أشد الأسلحة فتكا باليهود ، وهذا هو الدافع الحقيقة وراء إنشاء نفق سياحى تحت جدران المسجد الأقصى .

وبقى أن يقال : إن المسلمين قد أعطوا اليهود فرصة ذهبية تمكنهم من السلب والنهب والعتو والظلم والقتل والعدوان .

أقول : إن المسلمين قد فعلوا ذلك لما أعرضوا عن دينهم ، وانحرفوا عن صراط ربهم ، فتداعت عليهم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها ، كما أخبر رسول الله – ﷺ - ، وليس لنا اليوم إلا مخرج واحد : توبة صادقة ، وعود حميد إلى التمسك بالكتاب والسنة بفهم سلف الأمة ، ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم.

المبحث الرابع "كيف يفكر اليهود "؟"١"

إن الواقع المعاصر يفرض على المسلم أن يعرف عدوه معرفة صحيحة ، وأن يرى ببصيرته – قبل بصره – حجم المؤامرة التى يدبرها اليهود لأمته ، معتصما فى كل ذلك بالله ، ومستعينا به ، على ضوء من الكتاب والسنة ، ونور من الله : {وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ} [النور: ٤٠].

إن علماء السياسة يذكرون أن سياسة اليهود تجاه مصر –بصفة خاصة– منذ توقيع اتفاقية السلام تقوم على ثلاثة أمور:

أولاً : تخريب مصر من الداخل !!

ثانيا : عزل مصر عن العالم العربى !!

ثالثا : تقليص دور مصر الاقليمى فى المنطقة كدولة ذات وزن وتأثير .

أما المحور الأول : وهو تخريب مصر من الداخل ، فإن اليهود قد جعلوه جزءاً من عقيدتهم ! وكتبوه فى التوراة المحرفة ليتقربوا الى الله به !!

*تقول التوراة فى سفر أشعياء النبى (١/١٩ : ١٠) :

(.... وحى من جهة مصر ، هو ذا الرب راكب على سحابة سريعة وقادم الى مصر ، فترتجف أوثان مصر من وجهه ، ويذوب قلب مصر داخلها ، وأهيج مصريين على مصريين !! (تأمَّل) فيحارب كل واحد أخاه ، وكل واحد صاحبه ! مدينة مدينة ، ومملكة مملكة ، وتهراق روح مصر داخلها ، وأفنى مشورتها فيسألون الأوثان والعارفين وأصحاب التوابع والعرافين ، وأغلق على المصريين فى يد مولى قاس فيتسلط عليهم ملك عزيز يقول السيد رب الجنود وتكون عمدها مسحوقة وكل العاملين بالأجر مكتئبى النفس)!

وفى سبيل تحقيق هذا الهدف فإن إسرائيل تسعى الى تدمير ركائز القوة فى المجتمع المصرى المسلم ، وهى : الشباب ، والعقول ، والقيادات .

---

(١)"المصدر السابق "

فهى تحاول ضرب الشباب المسلم فى مصر عن طريق توفير جميع وسائل الانحراف الخلقى والدينى والاجتماعى .. إلخ بواسطة عملائها فى الداخل ، كما أنها تحرض الشباب ضد حكومته والحكومة ضد أبنائها ، ويسعى اليهود الى اغتيال العقول المصرية الرائدة ؛ وذلك بالوقوف فى وجهها وعرقلة تفوقها ، بل وقتل أصحابها ، وأما القيادات فإن إسرائيل تنفث سمومها دائما لزعزعة الأمن والاستقرار ، بحيث تشغل القيادة والحكومة المصرية بمواجهة شعبها بدلاً من عدوها .

وأما المحور الثانى : وهو عزل مصر عن المحيط العربى ، فقد نجح اليهود بعد تحقيقه بعد اتفاقية السلام المزعومة نجاحاً كبيراً .

وقد استطاع اليهود لسنوات طويلة ان يزرعوا بذور العداوة بين مصر والدول العربية بصورة لم يسبق لها مثيل .

وبهذا نجح اليهود فى تفكيك الوحدة العربية ووجدت كل دولة من دول المواجهة نفسها تواجه إسرائيل منفردة .

المحور الثالث : وهو ضرب دور مصر الاقليمى فى المنطقة ، وتحويلها الى دول هامشية ليس لها وزن فى منطقة الشرق الأوسط ، وفى سبيل تحقيق هذا الهدف سعت إسرائيل الى إقامة تحالفات مع كل من : طهران ، وانقرة ، وأديس أبابا .

ويصور خبراء السياسة خطة اليهود فى هذا التحالف على النحو التالى :

علاقات ثنائية بين تل أبيب وكل من هذه العواصم .

إقامة تجانس بين مصالح أمريكا ومصالح إسرائيل مع الدول الثلاث إيران ، تركيا ، اثيوبيا .

(لاحظ وجود دولتين مسلمتين بين الدول الثلاث)

إقامة تكتل ثلاثى ضد المنطقة العربية بصفة عامة ، ومصر بصفة خاصة !!

على ان يتم هذا التكتل بصورة منفصلة تشمل : (تل أبيب ، واشنطن ، طهران) ثم (تل ابيب ، واشنطن ، وانقرة) ثم (تل أبيب ، واشنطن ، اديس أبابا)!!

حاول ان تربط بين هذه الخطة والواقع العملى :

تقارب مع ايران ، قضاء على الحكم الاسلامى فى تركيا وإعادة العلمانية ، تلاحم مع أديس أبابا مع توفير البديل فى اريتريا.

وتري إسرائيل ان تجعل هذه الدول الثلاث مساندة لها فى التدخل فى المنطقة العربية : الحبشة فى قرن افريقيا ، وحوض النيل (مصر والسودان) ولقد كنا – وما زلنا – نعتقد ان محاولة الاعتداء على الرئيس مبارك فى اثيوبيا قد خطط لها اليهود لتقريب هذا الهدف!

(إثارة مشاكل سياسية تحقق مواجهة عسكرية بين مصر واثيوبيا والسودان).

وكذلك تسخر إسرائيل تركيا فى المواجهة والتدخل فى العراق وسوريا وايران فى منطقة الخليج ، والواقع يؤكد هذا ويشهد عليه ، وتسعى إسرائيل الى محاصرة الدول العربية وإحكام السيطرة عليها من خلال هذه الدول الثلاث .

ومن نظر الى خريطة المنطقة فهم ذلك بوضوح وجلاء .

وأخطر سلاح يستعمله اليهود للوصول الى أهدافهم هو غسل عقول الطبقة المثقفة فى مصر ، وإيجاد جيل مثقف لا يعرف الإسلام ولا يعمل للإسلام ، ولا يدافع عنه ، ولا يحتكم اليه ...

وساهمت وسائل الإعلام المصرية مساهمة كبيرة وفعالة فى هذا المجال ! وتهيئة العقول لقبول السلام الوهمى مع اليهود ، وهو سلام من طرف واحد ، لأن اليهود لم ولن يجنحوا للسلم ، فسعادتهم فى سفك الدماء ، ونعيمهم فى زعزعة أمن واستقرار غيرهم ، وهذا الحديث يفرض علينا تساؤلاً هاماً :

هل إسرائيل تريد السلام ؟

والجواب : أن إسرائيل ترفع شعار السلام لتخدير مشاعر الأمة ، ولأن ديننا يأمرنا بالاخلاص ، وينهانا عن النفاق ، فحكامنا وأولوالأمر فينا يتحدثون عن السلام من قلوبهم ؛ بينما يتحدث عنه اليهود من لسانهم! أما قلوبهم فتعد العدة لحرب قادمة شاملة مدمرة ! ونحن نام فى أوهام السلام !!

ما زال الحديث موصولا فى هذه الحلقة الأخيرة عن اليهود وما يتعلق بتفكيرهم وخطتهم لضرب الإسلام وإبادة المسلمين لو استطاعوا !

ومن المعلوم الذى لا يخفى أن معرفة العدو وطبيعته شئ مهم قبل المواجهة ، ولقد ذكر المحللون والخبراء أن اليهود تسيطر عليهم فى سلوكهم وتصرفاتهم عناصر ثلاثة :

الأول : هو الكراهية الذاتية !

والثانى : هو الجبن والخوف !

والثالث : هو السلوك العدوانى !

فالعنصر الأول : "الكراهية الذاتية" يعنى ان اليهودي يكره نفسه !! وهذه الكراهية العجيبة تؤثر على سلوكه ، فهو ينشر المخدرات ، ويشجع الإباحية تعبيرا عن هذه الكراهية ! ولقد أثبتت الدراسات أن اليهود هم الذين نشروا الإباحية فى غرب أوروبا وامريكا ، وأن زعماء الصهيونية قادوا حركة المخدرات فى العالم ، وأن قادة إسرائيل يقفون خلف الارهاب الدولى !!

وأما العنصر الثاني : فهو يعنى أن اليهودي فى قناعة نفسه خائف جبان ، وهذا الذى نبه اليه القرآن الكريم : {لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاء جُدُرٍ} [الحشرة :١٤] ، ولهذا فإنه ينبغى ألا يخدعنا حديث اليهود وتظاهرهم بالقوة والقدرة ، فاليهودي يخاف من كل شيء ، حتى من نفسه !!

ومع استقراء التاريخ وتتبعه لا نرى وصفاً لأى يهودى بالشجاعة على مر الدهور ، لقد عاش اليهود دائما فى ذل وهوان وخوف واستعباد ، وليس لهم فى تاريخ البشرية بطولة ثابتة وهذا أيضا قد نبه اليه القرآن الكريم ، إذ قال على لسانهم : {قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىَ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ} [المائدة:٢٢].

بعد أن قال لهم موسى : {يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ} [المائدة:٢١].

وفى حرب الأيام الستة عام (١٩٦٧م) كان قائد الدبابة الاسرائيلى يربط فيها بالسلاسل حتى لا يفر ، ولقد ذكر مراسل إحدى الصحف الألمانية ان قادة اليهود كانوا إذا نزلوا من المركبات المصفحة أصابهم الرعب والخوف حتى بال بعضهم على نفسه أو تبرز !!

وأما العنصر الثالث : "السلوك العدوانى" فهو نتيجة للعنصرين السابقين ، فهو يستر به الجبن والخوف المسيطر على نفسه .

ولذلك فإن اليهود لا يؤمنون الا بالقوة ، فهم يستأسدون فى ظاهر الأمر مع كل دولة ضعيفة ، ويجبنون ويرتعدون أمام الدولة القوية ، وفق نظرية الديوك المتصارعة !!

ففى إحدى الجامعات أجريت تجربة معملية على مجموعات متعددة من الديوك التى تتميز بالشراسة ، ولكن فى مستويات مختلفة من حيث القوة البدنية ، فلوحظ ان الأقوى يتجه الى الأقل قوة ويضربه ويصيبه بعنف .

وهذا المضروب لا يحاول الدفاع عن نفسه ، أو مقاومة من اعتدى عليه لشدة خوفه منه ، وانما يبحث عن ديك آخر أضعف منه فيضربه ويصيبه !! وهكذا الأقوى يضرب الأضعف ، والأضعف يضرب الأكثر ضعفا منه ، وهكذا يفعل اليهود !!

بقيت ثلاث حقائق تحمل فى ثناياها بشارات عظيمة :

الحقيقة الأولى : اليهود لا يقبلون أن يدخل معهم أحد فى دينهم!!

فمن رحمة الله بعباده ، وفضله على الناس جميعا ان يعتقد اليهود اعتقادا باطلاً خلاصته : أن الدين اليهودي – بزعمهم – شرف لا يستحقه ولا يناله غير اليهود! ولذلك فإن دينهم حكرٌ عليهم ، لا يدعون إليه غيرهم ، ولا يرغبون الناس بالدخول فيه ، وليس لهم مكاتب تبشير كالنصارى ، ولذلك فإن أى زيادة فى معدل وفيات اليهود عن معدل مواليدهم تعنى انقراض الجنس اليهودي من على وجه الأرض لو استمر الحال كذلك ، نسأل الله ذلك!!

وهذا يفسر لنا الخوف الشديد والهلع والفزع الذى يصيب اليهود فى جنوب لبنان بصفة خاصة ، وعند قتل يهودى بصفة عامة .

الحقيقة الثانية : فشل مخطط اليهود :

فى سنة (١٨٩٧م) عقد المؤتمر الصهيونى الذى ضم قادة الحركة الصهيونية فى العالم ، وذلك فى مدينة بال بسويسرا ، ووضع المؤتمرون خطة محكمة لقيام دولة إسرائيل الكبرى من النيل الى الفرات ، على ان تقوم هذه الدولة المزعومة بعد مئة سنة من تاريخ المؤتمر ؛ اى فى سنة (١٩٩٧م) ، ونحن الآن فى سنة (١٩٩٩م)، ولم يحدث شيء مما تمناه اليهود ، ولن يحدث بإذن الله .

الحقيقة الثالثة : خوف اليهود من الجهاد الاسلامى ووعد الله للمؤمنين بالنصر والتمكين .

إن كلمة "أمن إسرائيل" التى يرددها اليهود ليل نهار تعنى أن يتخلى العرب والمسلمون عن عقيدة الجهاد ، فإن إسرائيل تعلم علم اليقين أنها لن تنعم بالأمن فى ظل وجود عقيدة الجهاد ، حتى لو تخلى المسلمون عن واجبهم فى القيام بهذه الفريضة ما دامت فى كتبهم وقلوبهم !!

وقد صرحت مادلين أولبرايت وزيرة الخارجية الأمريكية بهذا فى وضوح وجلاء فقالت : " اننى أطالب رئيس السلطة الفلسطينية بالوفاء بتعهداته لنا من تدمير للبنية الاساسية للجهاد الاسلامى " .

وبعد ، فقد وعدنا الله بالنصر فى مثل قوله : {يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} [الصف:٨] ، وقوله : {...وَلَن يَجْعَلَ اللّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً}[النساء:١٤١].

وقوله: {إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ فِي الأَذَلِّينَ * كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ} [المجادلة: ٢٠ ، ٢١].

وقول رسوله الله –ﷺ- فى الحديث الصحيح : "لن تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود ، حتى ان اليهودي ليختبىء وراء الشجر والحجر ، فيقول الحجر والشجر : يا مسلم يا عبد الله ، هذا يهودى فاقتله".

نحن نؤمن بوعد الله ، ونرجو نصر الله ، ونلتزم منهج الله القائل : {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ اللّهِ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ} [آل عمران:١٧٣ - ١٧٤]

فماذا يخطط الأعداء ؟

هناك مؤسسة اسمها " راند " يعمل فيها أكثر من "١٦٠٠" شخص تمثل أكثر من" ٤٥" دولة ، الداعمون لها أكثرهم من الأمريكان و اليهود ، تجمع المعلومات و تقدم التوصيات لمحاربة الإسلام و المسلمين ، و هذه التوصيات مأخوذ بها في السياسة الأمريكية خاصة و السياسة الغربية بشكل عام.

تتمركز دراساتها حول مكافحة الإرهاب " الإسلام و المسلمين " للمحافظة على الأمن الغربي و خاصة الأمريكي

و قد أصدرت هذه المؤسسة عام ١٩٩٩ كتاباً بعنوان " مواجهة الإرهاب الجديد " أي الإسلام. و أصدرت عام ٢٠٠٨ تقريراً هاماً بعنوان " كيف تنتهي الجماعات الإرهابية " أي الإسلامية ، و من توصيات هذا التقرير:

١ – إدخال ٤٣% من الجماعات المتطرفة " الإسلامية " في العمليات السياسية عن طريق الدخول في المجالس النيابية تحت شعار الديمقراطية ، لاحتوائها و إنهائها.

٢ – إنهاء نشاطات ٤٠% من الجماعات المتطرفة على يد الأجهزة الأمنية المحلية في الدول الإسلامية

٣ – القضاء على ما تبقى من الجماعات الجهادية " الذين يرفعون شعار تحكيم الشريعة الإسلامية " عن طريق التدخل العسكري المباشر بكل أنواعه.

و أوصى التقرير بتغير شعارات " الحرب على الإرهاب " إلى شعار " عمليات الطوارئ العالمية " ، و أصدر الرئيس الأمريكي قراراً باستخدام هذا المصطلح الجديد بدلاً من الحرب على الإرهاب.

ومن توصياتهم أيضا دعم وسائل الإعلام المحلية التي تحارب الإسلام في بلاد المسلمين ، و دعم الأحزاب السياسية و المنظمات الطلابية و الشبابية ، و المؤسسات الدينية التي لديها المقومات التالية:

- توفر قاعدة شعبية عريضة
- رفض الجماعات الجهادية

و من توصياتهم إيجاد علماء يفتون: أن العمليات الاستشهادية عمليات انتحارية لن يدخل أصحابها الجنة ، قال التقرير: أن هذه الفتاوى أكثر فعالية بكثير من المنشورات التي ألقاها الجيش الأمريكي في أفغانستان.)اه

لقد كثر في أيامنا هذه المحاربون للإسلام والمسلمين ، وأخطرهم الذين يحاربون الإسلام باسم الدين بفتاوى تخدم أعداء الملة والمشركين ، وذلك لإظهارهم على المسلمين ، لذلك لابد لهم من معاداة أولياء الله المجاهدين ، فتارة يقولون زورا وبهتانا: أنهم خوارج وطوراً يقولون أنهم جهال ، ومرةً يقولون أنهم يقتلون الآمنين ، وأخرى يقولون أنهم تكفيريون.

ولقد كنت قبل خمس سنين جلست مع بعض أدعياء السلفية و رؤوس الإرجاء " علي الحلبي ، ومشهور حسن ، وسليم الهلالي ، و غيرهم " وكان الكلام حول حكم الجهاد في العراق عندما غزاه الأمريكان الملاعين.

اسمعوا يا مسلمون ماذا يقول هؤلاء: الجهاد في العراق جهاد طلب ، ولابد له من إذن ولي الأمر ومن راية شرعية ، والذين يخرجون للجهاد آثمون - والعياذ بالله - هكذا يقولون. هذا النمط من الفتاوى المخالف للفطرة السوية ، وللأوامر الشرعية معلوم بطلانها ، وأنها من الكذب و المين ، ولكن على من؟ على الله رب العالمين. بالله يا مسلمون كيف يصح في العقول أن نقول: أن الذهاب لجهاد العراق جهاد طلب ، والأمريكان هم الذين جاءوا إلى بلاد المسلمين ؟ سبحان الله ! جهاد المسلمين ضد الروس في أفغانستان كان جهاد دفع فماذا يختلف الجهاد في العراق عن الجهاد في أفغانستان ؟ و بناءً على قولهم فإن

الجهاد في فلسطين جهاد طلب ، وكأن المسلمين في فلسطين أو العراق هم الذين ذهبوا مقاتلين فاتحين لأرض العراق وفلسطين ، وعلى قولهم تكون البلاد لليهود والأمريكان ونحن لهم غازون.

خالفوا بذلك كل علماء المسلمين السابقين ، خدمة لأعداء الله الكافرين. و حسبنا الله و نعم الوكيل.

الباب الثانى

"حقيقة العلمانية"١"

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له وليًّا مرشدًا ، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد...

فإن الساحة العالمية تموج في هذه الأيام بالعديد من الاتجاهات والمذاهب الفكرية ، ولكل اتجاه من هذه الاتجاهات رموزه وأقلامه وإعلامه ، ومن وراء ذلك حشود من القوى السياسية والاقتصادية والعسكرية ، ولا يخفى على المتأمل في وقائع هذا المعترك الفكري أنه يوشك أن يسفر عن مواجهة محتومة ينحاز فيها الناس إلى فسطاطين:

فسطاط للإسلام ينحاز إليه دعاة الإسلام وحملة الشريعة ومن بقي على وفائه لدينه من الأمة.
وفسطاط للعلمانية ينحاز إليه دعاة التغريب وعبدة الهوى وخصوم الشريعة من كل ملة.

وإذا كانت المواجهة الوشيكة تتشكل على هذا النحو فقد بات من الضروري أن يستفيض البلاغ بحقائق الإسلام وقواطعه التي تشكل مفترق الطرق بينه وبين هذه العلمانية الغازية التي تحشد اليوم أجنادها وتستجمع فلولها لترمي أمة الإسلام عن قوس واحدة!

لقد تعبدنا الله -عز وجل- باستبانة سبيل المجرمين ، وجعل ذلك هدفًا من أهداف التفصيل القرآني للآيات كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآَيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٥].

فسفور الكفر والشر والإجرام ضروري لوضوح الإيمان والخير والصلاح ، وإنشاء اليقين الإعتقادي بالحق في عالم الضمائر وقوة الاندفاع به في عالم الواقع لا ينشأ فقط من شعور صاحب الحق أنه على الحق ، بل ومن شعوره كذلك بأن الذي يحاربه على الباطل.

من أجل هذا فإن الحديث عن العلمانية وبيان نقضها لأصل الدين ، وخروجها عما أجمع عليه السابقون واللاحقون من المسلمين يعد حلقة في سلسلة استبانة[1] سبيل المجرمين ، ونرجو أن يكون خطوة جادة على طريق استعادة الهوية واستئناف هذه الأمة لمسيرتها الحضارية.

ولما كان الحكم على الشيء فرعًا من تصوره فإننا نبدأ بالتعرف على هذا المذهب: مصطلحًا ، ونشأة ، وتغلغلا ، وآثارًا ، لنوطئ بذلك للحديث عن موقف الإسلام منه ، وما يجب على أمة الإسلام تجاهه.١

فإن أمتنا الإسلامية اليوم تمر بفترة من أسوأ فترات حياتها ، فهي الآن ضعيفة مستذلة ، قد تسلط عليها أشرار الناس من اليهود والنصارى ، وعبدة الأوثان ، وما لذلك من سبب إلا البُعد عن الالتزام بالدين الذي أنزله الله لنا ، هداية ورشادًا ، وإخراجًا لنا من الظلمات إلى النور .

وقد كان هذا البُعد عن الدين في أول أمره مقصورًا على طائفة من المسلمين ، لكنه بدأ الآن ينساح حتى تغلغل في طائفة كبيرة من الأمة ، وقد كان لانتشار العلمانية على المستوى الرسمي والمستوى الفكري والإعلامي الأثر الأكبر ، في ترسيخ هذا البُعد وتثبيته ، والحيلولة دون الرجوع مرة أخرى إلى نبع الهداية ومعدن التقوى .

من هنا كانت هذه الرسالة الموجزة عن (العلمانية وثمارها الخبيثة) في بلاد المسلمين ، لعلها تُؤتي ثمارها في تبصير المسلمين بحقيقة هذه الدعوة ، ومصادرها ، وخطرها على ديننا ، وآثارها المميتة ، حتى نسارع في التحصن منها ، ومقاومتها ، وفضح دُعاتها ، والقضاء عليها - بإذن الله - حتى نعود إلى ديننا ، وتعود لنا العزة كما كانت ، ﴿ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ﴾ .

نسأل الله من فضله التوفيق والإرشاد والسداد[2]

أبو سلمان
عبد الله الغليفى

تمهيد

غفلة - أي غفلة - أن يظن أصحاب الحق والخير والاستقامة والالتزام بشرع الله أنهم متروكون من الباطل وأهله!

([1] ١)موقف الإسلام من العلمانية لصلاح الصاوى

٢ (٢) العلمانية وثمارها الخبيثة لمحمد شاكر

غفلة - أي غفلة - أن يظن المسلمون اليوم أنهم يملكون تجنب المعركة! أو تأجيل المواجهة!

غفلة - أي غفلة - أن تظن الفئة المؤمنة أنه يمكن أن تقوم هناك مصالحة أو مهادنة مع العلمانية الديمقراطية الكافرة!

خير لأهل السنة والجماعة اليوم أن يستعدوا للمعركة المحتومة بالوعي والعدة ، من أن يستسلموا للوهم والخديعة... {وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين}[الأنعام ، الآية: ٥٥].

إن قوة الاندفاع بالحق لا تنشأ فقط من شعور صاحب الحق أنه على الحق ، ولكن كذلك من شعوره بأن الذي يحاده ويحاربه إنما هو على الباطل وأنه يسلك سبيل المجرمين.

إن سفور الكفر والشر والإجرام ضروري لوضوح الإيمان والخير والصلاح ، واستبانة سبيل المجرمين هدف من أهداف التفصيل الرباني للآيات. ذلك أن أي غبش أو شبهة في موقف الكفار والمجرمين وفي أساليبهم المتعددة والمتنوعة ترتد غبشاً وشبهة في موقف المؤمنين. فهما صفحتان متقابلتان.. وطريقان مفترقان.. ولابد من وضوح الألوان والخطوط.

من هنا يجب أن تبدأ كل تجمعات أهل السنة والجماعة اليوم بتحديد وتعريف سبيل المؤمنين والعنوان المميز للمؤمنين والعنوان المميز للمجرمين ، في عالم الواقع لا في عالم النظريات. فيعرف أصحاب الدعوة الإسلامية والحركة الإسلامية من هم المؤمنون ممن حولهم. ومن هم المجرمون. بعد تحديد سبيل المؤمنين ومنهجهم وعلامتهم ، وتحديد سبيل المجرمين ومنهجهم وعلامتهم. بحيث لا يختلط السبيلان ولا يتشابه العنوانان ، ولا تلتبس الملامح والسمات بين المؤمنين والعلمانيين الكافرين المجرمين.

وحيثما واجه الإسلام الشرك والوثنية والإلحاد والديانات المنحرفة من الديانات ذات الأصل السماوي بعد ما بدلتها وأفسدتها التحريفات البشرية... حيثما واجه الإسلام هذه الطوائف والملل كانت سبيل المؤمنين الصالحين واضحة ، وسبيل المشركين الكافرين المجرمين واضحة كذلك... لا يجدي معها التلبيس!

ولكن المشقة الكبرى التي تواجه حركات الإسلام الحقيقية اليوم التي تنتمي إلى أهل السنة والجماعة ليست في شيء من هذا... إنها تتمثل في وجود أقوام وتجمعات من الناس من سلالات المسلمين في أوطان كانت في يوم من الأيام داراً للإسلام ، يسيطر عليها دين الله ، وتحكم بشريعته.. ثم إذا هذه الأقوام وإذا هذه التجمعات تهجر الإسلام حقيقة ، وتعلنه اسماً. وإذا هي تتنكر لمقومات الإسلام وأحكامه. وإن ظنت أنها تدين بالإسلام!

وفي الأرض اليوم أقوام وأحزاب.. علمانية وغيرها.. أسماؤهم أسماء المسلمين ، وهم من سلالات المسلمين ، من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا ، إذا اتبعهم أحد قذفوه في النار ، يعيشون في أوطان كانت في يوم من الأيام داراً للإسلام.

وهذا أشق ما تواجهه تجمعات أهل السنة والجماعة اليوم في هذه الأوطان مع هؤلاء الأقوام!

أشق ما تعانيه الدعوة الإسلامية الحقيقية اليوم هو الغبش والغموض واللبس الذي أحاط بمدلول لا إله إلا الله ومدلول الإسلام في جانب ، ولمدلول الشرك ، وبمدلول الجاهلية في الجانب الآخر.

أشق ما تعانيه تجمعات أهل السنة والجماعة اليوم هو عدم استبانة طريق المسلمين الصالحين ، وطريق العلمانيين المشركين المجرمين ، واختلاط الشارات والعناوين والتباس الأسماء واللافتات والتيه الذي لا تتحدد فيه مفارق الطريق!

ويعرف أعداء أهل السنة والجماعة هذه الثغرة سواء كانوا من الرافضة الباطنية أو كانوا من العلمانيين ، فيعكفون عليها توسيعاً وتمييعاً وتلبيساً وتخليطاً ، حتى يصبح الجهر بكلمة الفصل تهمة يؤخذ عليها بالنواصي والأقدام!.. تهمة تكفير "المسلمين"!!!

ويصبح الحكم في أمر الإسلام والكفر مسألة المرجع فيها لعرف الناس واصطلاحهم وأذواقهم!! لا إلى قول الله ورسوله ﷺ ، ويوصف من يجهر بالحق بالتطرف والتزمت والتعصب والإرهاب!!

هذه هي المشقة الكبرى.. وهذه كذلك هي العقبة الأولى التي لابد أن يجتازها أصحاب الدعوة إلى الله في كل جيل! يجب أن تبدأ الدعوة إلى الله باستبانة سبيل المجرمين.. ويجب ألا تأخذ أصحاب الدعوة إلى الله في كلمة الحق والفصل هوادة ولا مداهنة. وألا تأخذهم فيها خشية ولا خوف ، وألا تقعدهم عنها لومة لائمن ولا صيحة صائح: انظروا! إنهم يكفرون المسلمين! إن الإسلام ليس بهذا التميع الذي يظنه المخدوعون!

الطريق لرفع رايه التوحيد

إن الإسلام بيّن والكفر بيّن... فمن ينتسب إلى العلمانية الكافرة والتي ترفع راية فصل الدين عن الحياة وعن الدولة فحكم الله ورسوله فيه أنه من الكافرين الظالمين الفاسقين المجرمين.

أجل يجب أن يجتاز أهل السنة والجماعة اليوم ، خاصة أصحاب الدعوة إلى الله بهذه العقبة ، وأن تتم في نفوسهم هذه الاستبانة كي تنطلق طاقاتهم كلها في سبيل الله ، لا تصدها شبهة ، ولا يعوقها غبش ، ولا يميعها لبس. فإن طاقاتهم لا تنطلق إلا إذا اعتقدوا في يقين أنهم على الحق... وأن الذين يقفون في طريقهم ويصدونهم ويصدون الناس عن سبيل الله على الباطل. كذلك لن يحتملوا متاعب الطريق إلا إذا استيقنوا أنها قضية إيمان وكفر... إسلام أو علمانية تشرك بالله وإن شيدت المساجد وتشدقت بالعقيدة الإسلامية وأقامت في أحزابها لجاناً للشؤون الدينية لتضليل العوام!!

هذا ما ينبغي أن يعيه الواعون اليوم وغداً ، فلا ينساقوا وراء حركات التمييع الخادعة والمخدوعة التي تتخذ من ذلك وسيلة لتخدير مشاعر المسلمين تجاه المعسكرات التي تضمر لأهل السنة والجماعة الحقد وتبيت لهم الكيد ، الأمر الذي تبذل فيه هذه المعسكرات -ومنها العلمانية- جهدها ، وهي بصدد الضربة الأخيرة الموجهة إلى جذور العقيدة الإسلامية.

إن العلمانية الكافرة.. والمعسكرات التي ورائها ، لا تخشى شيئاً أكثر مما تخشى الوعي في قلوب أهل السنة والجماعة ، مهما ل عددهم أو عدتهم ، فالذين يخدرون هذا الوعي هم أعدى أعداء هذه العقيدة ، وهم أكفر أعداء الإسلام.

لذلك ، فهي غفلة - أي غفلة - أن يظن أصحاب الحق أنهم يملكون تجنب المعركة أو تأجيل المواجهة!

وغفلة - أي غفلة - أن يظن أصحاب الدعوة إلى الله أنهم متروكون من العلمانية ومن وراءها من معسكرات الباطل والكفر

... إنها معركة لا خيار لأهل السنة والجماعة فيها.

... إنها مواجهة لا يملك أصحاب الحق ألا يخوضوها في وجه الباطل.

... إنها منازلة لا تستطيع الحركة الإسلامية الحقيقية أن تتجنبها لأن العلمانية الكافرة لابد ستحاول البطش بهم.

لقد آن لتجمعات أهل السنة والجماعة أن تعد العدة وتجمع الشمل وتنفض غبار الخلافات الجانبية لتتفرغ للمعركة الحقيقية والمواجهة المصيرية مع العلمانية الكافرة ومن وراءها من معسكرات الكفر والضلال.

ولقد آن لتجمعات أهل السنة والجماعة أن تتكتل في مواجهة الرافضة الباطنية ومن يناصرونهم من أعداء الأمة الإسلامية من العلمانيين وغيرهم.

لقد آن لتجمعات أهل السنة والجماعة أن تحسم موقفها من أعدائها وتتوكل على ربها حق التوكل. إنه نعم المولى ونعم النصر(موقف أهل السنة والجماعة من العلمانية "عوائق الانطلاقة الكبرى" مُحَمَّد عبد الهادي المصرى)

وبعد ...

فليس القصد من هذا البحث أن يعرف القارئ ما يحويه لمجرد "المعرفة" التي تحسب في رصيد "الثقافة" ، فهذا أمر لا يستحق عناء الجهد فيه ، إنما القصد أن تتحول هذه المعرفة إلى قوة تدفع المسلم إلى أن يقيم حياته على المنهاج الرباني والشريعة الربانية ، ويجاهد من أجل ذلك الأنظمة العلمانية ولا يرضى بها ولا يرضى عنها.

وعندها سيكون ذلك ميلاداً جديداً للفرد المسلم والأمة المسلمة ، الأمة التي تحمل رسالتها لكل البشرية بالنجاة من الشرك... تلك الرسالة التي عبّر عنها ربعي بن عامر رسول قائد المسلمين إلى رستم قائد الفرس وهذا يسأله: ما الذي جاء بكم ؟ فيجيب للتّو واللحظة ؛ (الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده.(

أسأل الله عز وجل أن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، وأن ينفع به البلاد والعباد[١]

---

[١] (١)لماذا نرفض العلمانية محمد بدرى

المبحث الأول "تعريف العلمانية"

ما هي العلمانية ؟!سؤال قصير ، لكنه في حاجة إلى جواب طويل ، واضح وصريح ، ومن الأهمية بمكان أن يعرف المسلمون جوابًا صحيحًا لهذا السؤال ، وقد كُتِبَتْ - بحمد الله - عدة كتب في هذا المجال ، وما علينا إلا أن نعلم فنعمل ومن أهم هذه الكتب والمراجع التى شرحت وبينت العلمانية وحقيقتها بصورة واضحة وصريحة

١-العلمانية للشيخ سفر الحوالى وهو مرجع مهم جدا

٢-رسالة العلمانية وثمارها الخبيثة ،وكتاب تحطيم الصنم العلمانى ،كلاهما للشيخ مُحَمَّد شاكر الشريف

٣- . موقف أهل السنة والجماعة من العلمانية"عوائق الانطلاقة الكبرى" للشيخ مُحَمَّد عبد الهادي المصرى

٤-لماذا نرفض العلمانية للشيخ مُحَمَّد مُحَمَّد بدرى وهو من أهم الكتب التى بينت كفر العلمانية ومفارقتها للإسلام

٥- العلمانية ذلك الشرك الأكبر للشيخ الفزازى –رحمه الله-

٦- العلمانية النشأة والتطور للشيح حامد العُلى

٧- موقف الإسلام من العلمانية للشيخ صلاح الصاوى

وهناك كتب ومؤلفات ورسائل عديدة بينت حقيقة العلمانية وكفرها ومفارقتها للإسلام وهذه خلاصتها

العلمانية هي: إقامة المجتمع أو الدولة على غير الدين ، أي: أن الدين في المسجد -تصلي فقط- لكن أموالك في البنوك الربوية ، زوجتك لا تتحجب ، النساء يعملن مع الرجال في كل شيء ، الصحافة تكتب ما تشاء ، دور السينما تبث ما تشاء ، التربية والتعليم المناهج فيها علمانية بحتة ، لا دينية بحتة ، الولاء والبراء يفقد تماماً في التعامل الدولي أو الفردي ، ولا توالي الأمة لأنها مؤمنة ، ولا تعادى لأنها كافرة ، إنما الدين مسألة فردية روحية ، تريد المسجد فهو مفتوح ، تريد أن تصوم صم ، لا أحد يرغمك على أن تفطر ، وهذه مرحلة سيعقبها ما هو أشد من ذلك وهو محاربة الإسلام في هذه الأمور.

لفظة علمانية ترجمت على أساس أنها ترجمة لكلمة العلم ، وكأن الدين مقابل العلم ، لأنه في أوروبا وجد الصراع بين الدين والعلم ، لكن في الحقيقة الكلمة في الأصل الأوروبي لا تعني العلم ولا علاقة لها بالعلم ، وإنما تعني كلمتين هما: الدنيوية أو اللادينية ، لكن ترجمت باسم العلم تمويهاً ، فإذا قال أحد: أنا أقيم دولة لا دينية ، فهذه قضية ، لكن: دولة علمانية ، هذه ليس فيها حرج ، فإقامة دولة علمانية ، أو إقامة مجتمع علماني ، ليس فيه حرج ؛ لأن الإسلام دين العلم ، فيموهون علينا.

و تعبير العلمانية تعبير محدث لم يرد له ذكر في المعاجم العربية القديمة ، وقد ورد هذا التعبير لأول مرةٍ في قاموس ثنائي اللغة [فرنسي- عربي] ألفه أحد تراجمة الحملة الفرنسية واسمه لويس بقطر المصري ، وقد طبع جزؤه الأول في مارس ١٨٢٨م ، ثم دخلت الكلمة بعد ذلك إلى اللغة العربية ، وأول معجم في اللغة العربية ورد فيه هذا التعبير هو المعجم الوسيط الصادر عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

فقد جاء في طبعته الأولى الصادرة سنة ١٩٦٠م: (العلماني): نسبة إلى العلم ، بمعنى العالم ، وهو خلاف الديني ، أو (الكهنوتي) ، وبقي الأمر كذلك في الطبعة الثانية الصادرة سنة ١٩٧٩م ، أما في الطبعة الثالثة ، التي صدرت سنة ١٩٨٥م ، فقد وردت الكلمة فيه مكسورة العين ، بعد أن ظلت مفتوحة في الطبعتين الماضيتين.

والعلماني (مفتوحة العين) نسبة إلى العلم (بفتح العين وسكون اللام) بمعنى العالم ، أي الخلق كله.

والعلماني (بكسر العين) نسبة إلى العلم التجريبي ، الذي انتصر على الكنيسة ، بعد صراع مرير ، سالت فيه دماء ، وأزهقت فيه أرواح ؛ لأن الكنيسة كانت بالمرصاد لكل رأي علمي يعارض التفسير الديني للكتاب المقدس.

ولا صلة للعلمانية بالعلم كما سيأتي

نعود إلى جوانب سؤالنا ، ولن نتعب في العثور على الجواب الصحيح ، فقد كفتنا القواميس المؤلفة في البلاد الغربية ، التي نشأت فيها العلمانية مؤنة البحث والتنقيب ، فقد جاء في القاموس الإنجليزي

، أن كلمة (علماني) تعني :

١- دنيوي أو مادي .

٢- ليس بديني أو ليس بروحاني .

٣- ليس بمترهب ، ليس برهباني و الرهبانية عند النصارى نوع من العبادة التي ابتدعوها ، فقوله : (ليس بمترهب) يعني ليس بمتعبد ، وهي تقارب أو تناظر التعريفين الأول والثاني ، والنصارى لا ينظرون إلى الرهبانية على أنها بدعة كما ينظر إليها المسلمون ، بل يعتبرونها دينًا صحيحًا ، وعلى ذلك فقوله : (ليس بمترهب) ، ليس نفيًا للابتداع ، وإنما هو نفي للتعبد والتدين

وجاء أيضًا في نفس القاموس ، بيان معنى كلمة العلمانية ، حيث يقول : العلمانية : هي النظرية التي تقول : إن الأخلاق والتعليم يجب أن لا يكونا مبنيين على أسس دينية .

وفي دائر المعارف البريطانية ، نجدها تذكر عن العلمانية : أنها حركة اجتماعية ، تهدف إلى نقل الناس من العناية بالآخرة إلى العناية بالدار الدنيا فحسب .

ودائرة المعارف البريطانية حينما تحدثت عن العلمانية ، تحدثت عنها ضمن حديثها عن الإلحاد ،

وقد قسمت دائرة المعارف الإلحاد إلى قسمين :

* إلحاد نظري .

* إلحاد عملي ، وجعلت العلمانية ضمن الإلحاد العملي

ما ذكرنا هنا عن دائرة المعارف البريطانية ، والقاموس الإنجليزي ، استفيد من كتاب (نشأة العلمانية) للدكتور مُحَمَّد زين الهادي .

<u>وتعرف العلمانيّة في البلاد التي نشأت فيها (أوربا) :</u>

ب ألاّ يكون الإنسان ملزما بتنظيم أفكاره وأعماله وفق معايير مفروضة على أنها شريعة أو إرادة إلهيّة .

ويطلق على هذا الفكر في اللغة الانجليزية التي هي لغته الأصلية SECULARISM ، وهي تعني) اللأَّدينية) ، غير أنها اشتهرت باسم (العلمانيّة) ، ولعلَّ ذلك كان مقصوداً بغيةَ إلباسها لبوساً يجعلها مقبولة بين المسلمين .

وفي قاموس (أكسفورد) عرفت بما يلي : (العلمانيَّة مفهوم يرى ضرورة أن تقوم الأخلاق والتعليم على أساس غير ديني

وما تقدم ذكره يعني أمرين :

<u>أولهما :</u> أن العلمانية مذهب من المذاهب الكفرية ، التي ترمي إلى عزل الدين عن التأثير في الدنيا ، فهو مذهب يعمل على قيادة الدنيا في جميع النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية والقانونية وغيرها ، بعيدًا عن أوامر الدين ونواهيه .

<u>ثانيهما :</u> أنه لا علاقة للعلمانية بالعلم ، كما يحاول بعض المراوغين أن يلبس على الناس ، بأن المراد بالعلمانية : هو الحرص على العلم التجريبي والاهتمام به ، فقد تبين كذب هذا الزعم وتلبيسه بما ذكر من معاني هذه الكلمة في البيئة التي نشأت فيها .

ولهذا ، لو قيل عن هذه الكلمة (العلمانية) إنها : (اللادينية ، لكان ذلك أدق تعبيرًا وأصدق) ، وكان في الوقت نفسه أبعد عن التلبيس وأوضح

<u>الأركان التي تقوم عليها العلمانية:</u>

<u>العلمانية تقوم على ثلاثة أركان هي :</u>

الركن الأول : قصر الإهتمام الإنساني على الدنيا فقط ، وتأخير منزلة الدين في الحياة ، ليكون من ممارسات الإنسان الشخصيَّة ، فلا يصح أن يتدخل في الحياة العامة ، وأما الدار الآخرة فهي لما كانت أمر وراء الطبيعة ، فينبغي في دين العلمانية أن يكون مفصولا تماما عن التأثير في الحياة المادية ، وقوانينها المحسوسة .

الركن الثاني : فصل العلم والأخلاق والفكر والثقافة عن الالتزام بتعاليم الدين ، أيّ دين كان .

الركن الثالث : إقامة دولة ذات مؤسسات سياسية على أساس غير ديني .

<u>المبحث الثاني</u>

<u>"كيف نشأة و ظهرت العلمانية"</u>

لم تنشأ العلمانية في بلاد الإسلام ، ولم تعرفها أرض المشرق بصفة عامة ، وإنما كانت نشأتها في أوروبا الصليبية في أعقاب صراع طويل بين الكنيسة وبين السلطة الزمنية ؛ حيث سيطرت الكنيسة على كل شيء ، فالعلم والتربية والأخلاق والسياسة والاقتصاد والحكم والأدب والفن مرده إلى سلطان

الكنيسة ، وكل ما خالف تفسيرات الكنيسة ومقولاتها فهو باطل ، وكل من اعتنق شيئًا مخالفًا لما تقول به الكنيسة وجبت محاكمته ، وربما وصل الأمر بهم إلى إعدامه حرقًا ، ولقد بلغ الذي صدرت ضدهم أحكام من الكنيسة ٣٤٠ ألفًا حتى سنة ١٨٠١م ، وأحرق مائتان أحياء ، ولم يكن هذا الأمر محتملاً لا من جمهور الناس ولا من العلماء والمفكرين.

فكان التمرد السياسي على الكنيسة من قبل بعض الملوك كما فعل فريدريك الثاني الذي أقام إمارة علمانية في جنوب إيطاليا وكان جريئًا ثائرًا على القديم في جميع مناهجه وآرائه ، ولهذه نعته معاصروه بأنه أعجوبة العالم.ثم كان التمرد العلمي من قبل كثير من العلماء الذين أعلنوا إيمانهم بحقائق العلم التي تخالف مقررات الكتاب المقدس ، والذين ووجهوا بالحرمان الكنسي ، وبأحكام مختلفة انتهت ببعضهم إلى الإعدام حرقًا.

ثم تتابعت صور التمرد ضد الطغيان الكنسي تتصاعد حينًا وتخبو حينًا آخر حتى انتهى الأمر بأطراف هذا الصراع إلى هذه المثنوية التي تمثلها هذه العبارات الكنسية الشائعة: (أعط ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله).

فكان الغرب النصراني في ظروفه الدينية المتردية هو البيئة الصالحة ، والتربة الخصبة ، التي نبتت فيها شجرة العلمانية وترعرعت ، وقد كانت فرنسا بعد ثورتها المشهورة هي أول دولة تُقيم نظامها على أسس الفكر العلماني ، ولم يكن هذا الذي حدث من ظهور الفكر العلماني والتقيد به - بما يتضمنه من إلحاد ، وإبعاد للدين عن كافة مجالات الحياة ، بالإضافة إلى بغض الدين ومعاداته ، ومعاداة أهله - أقول لم يكن هذا حدثًا غريبًا في بابه ، ذلك لأن الدين عندهم حينئذ لم يكن يمثل وحي الله الخالص الذي أوحاه إلى عبده ورسوله المسيح عيسى ابن مريم - عليه السلام - ، وإنما تدخلت فيه أيدي التحريف والتزييف ، فبدلت وغيرت وأضافت وحذفت ، فكان من نتيجة ذلك أن تعارض الدين المُبدَّل مع مصالح الناس في دنياهم ومعاملاتهم ، في الوقت نفسه الذي تعارض مع حقائق العلم الثابتة ، ولم تكتفِ الكنيسة - الممثلة للدين عندهم - بما عملته أيدي قسيسيها ورهبانها من التحريف والتبديل ، حتى جعلت ذلك دينًا يجب الالتزام والتقيد به ، وحاكمت إليه العلماء المكتشفين ، والمخترعين ، وعاقبتهم على اكتشافاتهم العلمية المناقضة للدين المبدل ، فاتهمت بالزندقة والإلحاد ، فقتلت من قتلت ، وحرَّقت من حرَّقت ، وسجنت من سجنت .

ومن جانب آخر فإن الكنيسة - الممثلة للدين عند النصارى - أقامت تحالفًا غير شريف مع الحكام الظالمين ، وأسبغت عليهم هالاتٍ من التقديس ، والعصمة ، وسوَّغت لهم كل ما يأتون به من جرائم وفظائع في حق شعوبهم ، زاعمة أن هذا هو الدين الذي ينبغي على الجميع الرضوخ له والرضا به .

من هنا بدأ الناس هناك يبحثون عن مهرب لهم من سجن الكنيسة ومن طغيانها ، ولم يكن مخرجهم الذي اختاروه إذ ذاك ، إلا الخروج على ذلك الدين - الذي يحارب العلم ويناصر المجرمين - والتمر عليه ، وإبعاده وطرده ، من كافة جوانب الحياة السياسية ، والاقتصادية ، والعلمية ، والأخلاقية ، وغيرها .

ويا ليتهم إذ خرجوا على هذا الدين المبدل اهتدوا إلى دين الإسلام ، ولكنهم أعلنوها حربًا على الدين عامة وإذا كان هذا الذي حدث في بلاد الغرب النصراني ليس بغريب ، فإنه غير ممكن في الإسلام ، بل ولا متصور الوقوع ، فوحي الله في الإسلام لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فلا هو ممكن التحريف والتبديل ، ولا هو ممكن أن يُزاد فيه أو يُنقص منه ، وهو في الوقت نفسه لا يحابي أحدًا ، سواء كان حاكمًا أو محكومًا ، فالكل أمام شريعته سواء ، وهو أيضًا يحافظ على مصالح الناس الحقيقية ، فليس فيه تشريع واحد يُعارض مصلحة البشرية ، وهو أيضًا يحرص على العلم ويحض عليه ، وليس فيه نص شرعي صحيح يُعارض حقيقة علمية ، فالإسلام حق كله ، خير كله ، عدل كله ، ومن هنا فإن كل الأفكار والمناهج التي ظهرت في الغرب بعد التنكر للدين والنفور منه ، ما كان لها أن تظهر ، بل ما كان لها أن تجد آذانًا تسمع في بلاد المسلمين ، لولا عمليات الغزو الفكري المنظمة ، والتي صادفت في الوقت نفسه قلوبًا من حقائق الإيمان خاوية ، وعقولاً عن التفكير الصحيح عاطلة ، ودينًا في مجال التمدن ضائعة متخلفة .

كيف وصلت العلمانية إلى بلاد المسلمين

دخلت العلمانية ديار المسلمين ، مع الاستعمار الأوربي الذي هيمن على البلاد الإسلاميّة إثر سقوط الدولة العثمانيّة ، وقد تحمّل الدعوة إلى العلمانيّة بعض المثقفين من العرب وغيرهم في بلاد الإسلام ، ودعوا إلى تطبيق نظريّاتها حرفيّا ، كما دعوا إلى تبنّي نظرة العلمانيّة لدين الإسلام ، كما كانت تنظر للدين النصرانيِّ المحرف في أوربا سواء بسواء ، ذلك أن العلمانيّة لاتفرّق بين الأديان في أنه يتحتَّم فصل كلِّ منها عن شئون الحياة العامَّة السياسيَّة والاقتصاديَّة والاجتماعيَّة والتشريعيَّة ..الخ .

وذلك أنَّه ليس في الفكر العلمانيّ تمييز بين الأديان ، فلا يفرق بين دين أصله من إنزال الله تعالى ، وآخر من وضع البشر ، كما لا ترى العلمانيّة أي فرق في الأديان التي أنزلها الله ، فلا فرق لديها بين دين محرف وآخر محفوظ ، بل الأديان كلها سواء ، يجب أن تعامل معاملة واحدة ، على أساس الأركان الثلاثة السابقة .

وقد انتشرت العلمانية في بلادنا الإسلامية ، حتى وصلت الجزيرة العربيّة مهد الإسلام ، ومهبط الوحي ، ودخلت أول ما دخلت مع ابتعاث الطلبة للدراسة في الخارج ، فرجع بعضهم مشبَّعا بالأفكار العلمانية ، فتبنَّتها شخصيَّات بارزة ، وأحزاب وصحف ومؤسسات كثيرة .

ولقد كان للنصارى العرب المقيمين في بلاد المسلمين دورٌ كبيرٌ ، وأثرٌ خطيرٌ ، في نقل الفكر العلماني إلى ديار المسلمين ، والترويج له ، والمساهمة في نشره عن طريق وسائل الإعلام المختلفة ، كما كان أيضًا للبعثات التعليمية التي ذهب بموجبها طلاب مسلمون إلى بلاد الغرب لتلقي أنواع العلوم الحديثة أثرٌ كبيرٌ في نقل الفكر العلماني ومظاهره إلى بلاد المسلمين ، حيث افتتن الطلاب هناك بما رأوا من مظاهر التقدم العلمي وآثاره ، فرجعوا إلى بلادهم محملين بكل ما رأوا من عادات وتقاليد ، ونظم اجتماعية ، وسياسية ، واقتصادية ، عاملين على نشرها والدعوة إليها ، في الوقت نفسه الذي تلقاهم الناس فيه بالقبول الحسن ، توهمًا منهم أن هؤلاء المبعوثين هم حملة العلم النافع ، وأصحاب المعرفة الصحيحة ، ولم تكن تلك العادات والنظم والتقاليد التي تشبع بها هؤلاء المبعوثون وعظموا شأنها عند رجوعهم إلى بلادهم إلا عادات ، وتقاليد ونظم مجتمع رافض لكل ما له علاقة ، أو صلة بالدين .

ومثل هذا السرد الموجز وإن كان يدلنا على كيفية دخول العلمانية إلى بلاد المسلمين ، (فإنه أيضًا ينبهنا إلى أمرين هامين <u>أحدهما :</u> خطورة أصحاب العقائد الأخرى ، من النصارى وغيرهم الذين يعيشون في بلاد المسلمين ، وكيف أنهم يكيدون للإسلام وأهله ؟ مما يوجب علينا الحذر كل الحذر من هؤلاء الناس ، وأن ننزلهم المنزلة التي أنزلهم الله إليها ، فلا نجعل لهم في بلاد المسلمين أدنى نوع من أنواع القيادة والتوجيه ، كما ينبغي أن تكون كل وسائل الإعلام والاتصال بالجماهير موصودة الأبواب في وجوههم ، حتى لا يبثوا سمومهم بين المسلمين .. لكن من يفعل ذلك ! وكثير من الأنظمة تجعل لهم مكانة سامية من أجل نشر هذه السموم .. حسبنا الله ونعم الوكيل .

<u>ثانيهما :</u> خطورة الابتعاث الشديدة على أبناء المسلمين ، فكم من مسلم ذهب إلى هناك ثم رجع بوجه غير الوجه الذي ذهب به ، وقلب غير القلب الذي ذهب به ، وإذا كانت هناك دواعي لذهاب المسلمين للحصول على المعرفة في مجال العلوم التجريبية ، فكيف يمكننا القبول بذهاب بعض المسلمين للحصول على درجة علمية في علوم الشريعة بعامة ، واللغة العربية بخاصة ؟!!فهل اللغة العربية لغتهم أم لغتنا ؟! وهل القرآن الكريم أنزل بلغتهم أم بلغتنا ؟!وهل يُعقل أن المسلم يمكنه الحصول على المعرفة الصحيحة بعلوم الإسلام وشريعته من أناس هم أشدُّ الناس كفرًا وحقدًا على الإسلام وأهله ؟!

<u>المبحث الثالث</u>

<u>"صور العلمانية"</u>

للعلمانية صورتان ، كل صورة منهما أقبح من الأخرى :

<u>**الصورة الأولى**</u> : العلمانية الملحدة : وهي التي تنكر الدين كلية : وتنكر وجود الله الخالق البارئ المصور ، ولا تعترف بشيء من ذلك ، بل وتحارب وتعادي من يدعو إلى مجرد الإيمان بوجود الله ، وهذه العلمانية على فجورها ووقاحتها في التبجح بكفرها ، إلا أن الحكم بكفرها أمر ظاهر ميسور لكافة المسلمين ، فلا ينطلي - بحمد الله - أمرها على المسلمين ، ولا يُقبل عليها من المسلمين إلا رجل يريد أن يفارق دينه ، (وخطر هذه الصورة من العلمانية من حيث التلبيس على عوام المسلمين خطر ضعيف) ، وإن كان لها خطر عظيم من حيث محاربة الدين ، ومعاداة المؤمنين وحربهم وإيذائهم بالتعذيب ، أو السجن أو القتل .

<u>**الصورة الثانية :**</u> العلمانية غير الملحدة (وهي علمانية لا تنكر وجود الله ، وتؤمن به إيمانًا نظريًا : لكنها تنكر تدخل الدين في شؤون الدنيا ، وتنادي بعزل الدين عن الدنيا ، (وهذه الصورة أشد خطرًا من الصورة السابقة) من حيث الإضلال والتلبيس على عوام المسلمين ، فعدم إنكارها لوجود الله ، وعدم ظهور محاربتها للتدين يغطي على أكثر عوام المسلمين حقيقة هذه الدعوة الكفرية ، فلا يتبينون ما فيها من الكفر لقلة علمهم ومعرفتهم الصحيحة بالدين ،

ولذلك تجد أكثر الأنظمة الحاكمة اليوم في بلاد المسلمين أنظمة علمانية ، والكثرة الكاثرة والجمهور الأعظم من المسلمين لا يعرفون حقيقة ذلك بل كثير من الناس لا يظهر لهم محاربة العلمانية (غير الملحدة) للدين ؛ لأن الدين انحصر عندهم في نطاق بعض العبادات ، فإذا لم تمنع العلمانية مثلاً الصلاة في المساجد ، أو لم تمنع الحج إلى بيت الله الحرام ، ظنوا أن العلمانية لا تحارب الدين ، أما من فهم الدين بالفهم الصحيح ، فإنه يعلم علم اليقين محاربة العلمانية للدين ، فهل هناك محاربة أشد وأوضح من إقصاء شريعة الله عن الحكم في شتى المجالات ، لو كانوا يفقهون .

ومثل هذه الأنظمة العلمانية اليوم ، تحارب الدين حقيقة ، وتحارب الدعاة إلى الله ، وهي آمنة مطمئنة أن يصفها أحد بالكفر والمروق من الدين ؛ لأنها لم تظهر بالصورة الأولى ، وما ذلك إلا لجهل كثير من المسلمين ، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يعلمنا وسائر المسلمين ، وأن يفقه الأمة في دينها حتى تعرف حقيقة هذه الأنظمة المعادية للدين .

ولهذا فليس من المستبعد أو الغريب عند المسلم الفاهم لدينه أن يجد في كلمات أو كتابات كثير من العلمانيين المعروفين بعلمانيتهم ذكر الله سبحانه وتعالى ، أو ذكر رسوله - ﷺ - أو ذكر الإسلام ، وإنما تظهر الغرابة وتبدو الدهشة عند أولئك الذين لا يفهمون حقائق الأمور .

<u>**والخلاصة :**</u> أن العلمانية بصورتيها السابقتين كفر بواح لاشك فيها ولا ارتياب ، وأن من آمن بأي صورة منها وقبلها فقد خرج من دين الإسلام والعياذ بالله ، وذلك أن الإسلام دين شامل كامل ، له في كل جانب من جوانب الإنسان الروحية ، والسياسية ، والاقتصادية ، والأخلاقية ، والاجتماعية ، منهج واضح وكامل ، ولا يقبل ولا يُجيز أن يشاركه فيه منهج آخر ، قال الله تعالى مبينًا وجوب الدخول في كل مناهج الإسلام وتشريعاته : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ﴾ . وقال تعالى مبينًا كفر من أخذ بعضًا من مناهج الإسلام ، ورفض البعض الآخر ، ﴿ أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون ﴾ .

والأدلة الشرعية كثيرة جدًا في بيان كفر وضلال من رفض شيئًا محققًا معلومًا أنه من دين الإسلام ، ولو كان هذا الشيء يسيرًا جدًا ، فكيف بمن رفض الأخذ بكل الأحكام الشرعية المتعلقة بسياسة الدنيا - مثل العلمانيين - من فعل ذلك فلاشك في كفره .

والعلمانيون قد ارتكبوا ناقضًا من نواقض الإسلام ، يوم أن اعتقدوا أن هدي غير النبي - ﷺ - أكمل من هديه ، وأن حكم غيره أفضل من حكمه .

* قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله - : (ويدخل في القسم الرابع - أي من نواقض الإسلام - من اعتقد أن الأنظمة القوانين التي يسنها الناس أفضل من شريعة الإسلام ، أو أن نظام الإسلام لا يصلح تطبيقه في القرن العشرين ، أو أنه كان سببًا في تخلف المسلمين ، أو أنه يُحصر في علاقة المرء بربه ، دون أن يتدخل في شؤون الحياة الأخرى) .

<u>**العلمانية قد لاتنصب العداء للدين علانية ، بل تكيد له كيدًا خفيًا :**</u>

العلمانيّة ليست بالضرورة معادية للدين ، بل إنَّها أحيانا تفضل توظيف الدين والإستفادة منه ، ولكن مع ضرورة حصره في ناحية من نواحي الحياة ، ولهذا قد لاتجد العلمانيّ يطعن في الدين ، بل قد يمدحه ويمجده ، بل قد يقول إنه يجب المحافظة على الدين .

ولكنك إذا سألته هل أنزل الله تعالى دين الإسلام ليكون هادياً لنا في كل أمور حياتنا ، فلا يجوز لنا أن نرفض شيئاً منه ، فإن جوابه لايخرج عن ثلاثة احتمالات :

الأول : أن يفر من الجواب إذا خشي على نفسه من التصريح بمنهجه العلمانيّ خوفا من ردة فعل الناس ، كما يفعل السياسيّون عند خوفهم من خسارة الأصوات الانتخابية .

الثاني : أن يقول بوضوح وصراحة أن الدين يجب أن نعزله عن السياسة والثقافة والفكر ، وعن حياتنا الإجتماعيّة ، كما أنه لايصح أن نجعل الدين هو الحكم على كل شيء في الحياة بالصواب أو الخطأ ، وهنا قد يقول العلمانيّ أن الدين له أن يحكم في أمور الروح ونحوها من الأمور الغيبيّة ، فكأنَّه ينزل الدين منزلة الكهانة .

وقد يحاول هذا الصنف من العلمانيين أن يكون لطيفا في عبارته : فيقول : إن الدين علاقة بين الإنسان وربه ، ولايعدو أن يكون مسألة شخصية .

وقد يحاول بعضهم أن يتحذلق قليلا فيقول : نحن لانريد أن نفسد الدين بإدخاله في السياسة أو الخلافات الحزبيّة والثقافيّة والفكريّة ، ويقول في صورة الناصح الأمين : دعوا الدين في المسجد فهناك حيث يُحترم ويُوقَّر ، ولاتلطّخوه بالدنيا الدنيئة ، فالدين للآخرة .

وهذا القول حقيقته هدم لدين الإسلام وشتم قبيح له ، وطعن خبيث فيه ، لأنه في حقيقته رمي للدين بأنه قاصر لايصلح لتسيير حياة البشر ، وما مَثَل هذا

القول الماكر الآكمثل من يشير على ملك من الملوك ، بأن لايُقحم نفسه في التصرف في أمور مملكته بشيء .
ويقول له في كيد خفي : إن تدخلك يفسد هيبتك وجلالك ، فدع أُمور المملكة لهؤلاء المتصارعين على الدنيا ، وارتفع أنت في عرشك عن نزاعاتهم فهي لاتليق بك ، فكأنه في حقيقة الأمر يقول للملك : تنح وتنازل عن سلطانك وأمرك ونهيك وملكك ، وكن كالصورة الجامدة التي لاحراك فيها ، والتمثال الأصم الأبكم ، وإنما يقول ذلك لكي يُفسَح السبيل فيتسنَّى لغير الملك أن يستحوذ على قوّة السلطان الحقيقيّة ، قوة الأمر والنهي والحكم والفصل في شئون المُلك والسلطان ، ثم يصير أمر الملك إمّا إلى أن يكون اسما بلا حقيقة ، أو يسلب منه الملك سلبا تامّا ، فلا يبقى معه منه اسم ولارسم ، فيهوى إلى مرتبة العبيد والسوقة ، بعد الملك والعز والسلطان .
ومثل هذا الكيد الخبيث يريده هذا الصنف من العلمانيّين بالدين ، عندما يزعمون أنهم عليه مشفقون ، فيطالبون بتنحيته عن مجالات الحياة ، وهذا الأسلوب خطير جدا ، لأنهم يلبسون به الحق بالباطل ، ولهذا يستعمله العلمانيّون كثيرا لإضلال الناس والتلبيس عليهم .

الاحتمال الثالث : أن يقول العلمانيّ : إن الدين كله حق ، والاحتكام إليه واجب ، ولكن أين الذين يطبقونه كما أنزل ، ثم يأخذ بعد ذلك بالطعن في حملة الدين واتهامهم بأنهم يستغلون الدين لمآربهم الشخصية ، ويسميهم (متأسلمون) أو (أهل الإسلام السياسي) أو) المتاجرون بالدين) ..الخ وهو يقصد الطعن في الدين نفسه ، ولكن بطريقة ملتوية خبيثة ، لأنه يريد أن يقول : لانستطيع تطبيق دين الإسلام والعمل به في كل شئون الحياة ، لأنه لايوثق بأحد يمكنه تطبيقه أبداً ، فإذاً النتيجة واحدة ، وهي أنه لايمكن للناس بحال من الأحوال تحكيم الشريعة الإسلامية في شئون حياتهم !!!

وكأن هذا الصنف من العلمانيين يحاول القول عن دين الإسلام ، إنه دين فاشل غير واقعي ولاعملي ولايمكن تطبيقه أبداً ، فيجب أن ننحي الكلام على تطبيقه جانباً ، إذ لافائدة من تطبيقه في الحياة ، غير أنهم يعدلون عن التصريح بهذا القول الكافر ، إلى عبارات أخرى بطرق ملتوية خبيثة ، وقد تنطلي على السذج من الناس .
وبهذا يتبين أن العلماني قد لايكون ذلك الشخص الذي يطعن في الدين جهاراً نهاراً ،أو يسب القرآن والسنة والأحكام الشرعية ، أويستهزأ بالشريعة الإسلامية ،وإن كان فيهم من قد تصل به الوقاحة إلى هذا الحد ، يقلّون أو يكثرون بحسب قوة الإسلام في المجتمع .

بل العلمانيّ هو كل من يعتقد أنه غير ملزم بإتباع جميع ما جاء عن الرسول صلَّى الله عليه وسلم ، هو كل من يجعل نفسه مخيراً أن يرفض بعض أحكام دين الإسلام ، وهو كل من يعتقد أن الدين ليس شاملا لكل الحياة ، وأن الإنسان يمكنه أن يختار من أحكام الدين ما يشاء ويدع ما يشاء ، متبعاً في ذلك عقله ، ومتخذاً إلهه هواه .
ثمَّ إنَّ هذا البعض من دين الإسلام والذي يرفضه الشخص العلمانيّ ، قد يعتقد أنه لايصلح للحياة المعاصرة ، لزعمه أن العقل يقضي بذلك ، فقد يقول لك على سبيل المثال إن المرأة غير ملزمة بالحجاب الشرعي لأنه لايصلح لهذا الزمان ، أو يزعم أن المرأة لها أن تكون قائدة ورئيسة لكل الأمّة ، لأنّ حديث (ما أفلح قوم ولوا أمرهم إمرأة) لم يعد صالحا للعمل به في هذا العصر .
أو أن الحدود الشرعيّة لاتصلح للتطبيق في هذا الزمان لأنها وحشية لاتليق بالإنسان المتحضّر ، أو لأنّها تحط من كرامة الإنسان ، أو لأنّها تناقض ميثاق حقوق الإنسان العالمي الذي يجّرم قطع السارق أو جلد الزاني ، والقوانين الوضعيّة تصلح لأنها تناسب مستجدات العصر الحديث .

أو يقول إن النظام الاقتصاديّ لايمكن أن يقوم على تحريم الربا لأن ذلك أمر غير واقعي ، أويقول إن تعبير الملحد عن إلحاده والإباحيّ عن أباحيّته بنشر فكره في المجتمع ، هو من قبيل توفير الحريّة ، ولايجوز كبت الحريّات ، وإذا قلت له إن الإسلام يحرّم نشر الإلحاد والإباحيّة ، قال لك : إن العصر قد تغيّر ، والزمان قد تحوّل ، ونحن في عصر الحريّة والعولمة ، وغير ذلك من الهذيان والتخبيط الذي يقصد به محاربة الدين بأساليب ملتوية .
والعلمانيُّ في كل ما سبق وأمثاله مما يرد به العلمانيُّون بعض أحكام الشريعة ، يزعم أنه ينطلق من عقله أو من اتباع زعماء حزبه الذين يقلدون مفكِّري الغرب الملحدين ، وأولئك قوم كفار نصبوا عقولهم آلهة يعبدونها من دون الله ، وذلك عندما اتخذوها أربابا تُشرّع لهم .

ذلك أنَّ العقل هو الحاكم عند العلمانيين على أحكام الشريعة الإسلامية ، وعلى هدى القرآن والسنة ، وليست الشريعة الإسلامية عندهم هي التي توجّه وترشد وتهدي العقل الإنسانيّ ، بل وظيفة العقل عند العلمانيين هي الإعتراض على أحكام الله تعالى كلّما جاءت معارضة لعقولهم الضالّة التائهة ،

وعمل العقل عندهم هو استبدال شريعة القرآن ، بأحكام أوأفكار أوقوانين أو مبادىء توافق عقولهم .
فهم إذن يعبدون عقولهم وأهواءهم.
كما قال تعالى (أرأيت من اتخذ إلهه هواه ، أفأنت تكون عليه وكيلاً ، أم تَحسب أنّ أكثرَهُم يسمعُون أو يعقلُون إن هُم إلاّ كالأنعام بل هُم أضلُّ سبيلاً) الفرقان ٤٣ ، ٤٤
وقال سبحانه (ومَن أَضلُّ ممَّن اتَّبعَ هواهُ بغيرِ هدى مِنَ الله) القصص ٥ .
وقال سبحانه (وأنِ احكُم بينهَم بما أنزلَ اللهُ ولاتتَّبِع أهواءَهم واحذرهُم أن يفتِنوكَ عن بعضِ ما أنزَلَ اللهُ إليك) المائدة ٤٩ . إلى آخر الآيات التي تذم اتباع الهوى ، وتحذر من معارضة الدين المنزل والشريعة المطهرة بالأهواء ، ذلك أن الإنسان لايستغني عن هداية الله تعالى له ، كما قال الله تعالى في الحديث القدسيّ (يا عبادي كلُّكُم ضالٌ إلاَّ من هديتُه ، فاستهدوني أهدكم) ، ومن ظنَّ أنه يستغني عن اتباع هدى الله تعالى بعقله ، فيرد أحكام الله تعالى اتباعا لهواه ، فهو كافر بالله تعالى ، كما قال سبحانه (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) المائدة ٤٤.

<u>"مذهبهم عدم إظهار العداء السافر للإسلام"</u>

إن من عادة المنافقين والزنادقة من المنتسبين لهذا الدين عدم الإنكار الصريح والواضح وعدم إظهار العداء السافر للإسلام وهم بهذا الأسلوب وتحت هذه العباءة يستطيعون - أو هكذا يظنون- تحقيق أهدافهم الخبيثة وتقديم خدماتهم لأصدقائهم من اليهود والنصارى الذين يتآمرون للقضاء على الأمة الإسلامية.

وهم يسعون لذلك بسلاح التلبيس والتمويه للالتفاف حول المسلمين لحين المعركة الفاصلة حين يفاجئوا المسلمين على حين غرة. هم حريصون غاية الحرص في عدم إيقاظ الوعي الإسلامي قبل الموعد المرتقب.

وقد يكون هناك مسلمون طيبون لا تدرك عقولهم مثل هذه الأمور الملتوية والحيل المعقدة ، فإلى هؤلاء وأمثالهم نهديهم الخبر التالي:
لقد نشرت الصحيفة اليهودية "يدعوت أحرنوت" في ١٩٧٨/٠٣/١٨ م مقالاً حللت فيه الهجوم اليهودي على جنوب لبنان وانتقدت إجراء التلفزيون اليهودي مقابلات مع العميل النصراني الخائن سعد حداد وإبراز معالم البهجة التي عمت القرى المارونية النصرانية إزاء احتلال الجيش اليهودي لجزء كبير من جنوب لبنان ، وفيما يلي قطوف من هذا التحليل لعل فيها عبرة لهؤلاء المخدوعين والنيام:
قالت الصحيفة اليهودية: "إن على وسائل إعلامنا ألا تنسى حقيقة هامة هي جزء من استراتيجية إسرائيل في حربها مع العرب ، هي أننا قد نجحنا بجهودنا وجهود (أصدقائنا) في إبعاد الإسلام عن معركتنا مع العرب ، طوال ثلاثين عاماً ، ويجب أن يبقى الإسلام بعيداً عن المعركة إلى الأبد ، ولهذا يجب أن لا نغفل لحظة واحدة عن تنفيذ خطتنا في منع استيقاظ الروح الإسلامية بأي شكل ، وبأي أسلوب ولو اقتضى الأمر الاستعانة (بأصدقائنا) لاستعمال العنف والبطش لإخماد أية بادرة ليقظة الروح الإسلامية في المنطقة المحيطة بنا".

واختتمت الصحيفة تحليلها قائلة:
"ولكن تلفزيوننا الإسرائيلي وقع في خطأ أرعن ، كاد ينسف كل خططنا ، فقد تسبب هذا التصرف في إيقاظ الروح الإسلامية ولو على نطاق ضيق ، ونخشى أن تستغل الجماعات الإسلامية هذه الفرصة لتحريك المشاعر ضدنا ، وإذا نجحت في ذلك ، وإذا فشلنا - في المقابل- في إقناع (أصدقائنا) بتوجيه ضربة قاضية إليها في الوقت المناسب ، فإن على إسرائيل أن تواجه حين ذلك عدواً حقيقياً (لا وهمياً) ، وهو عدو حرصنا أن يبقى بعيداً عن المعركة.
وستجد إسرائيل نفسها في وضع حرج إذا نجح المتعصبون ، أولئك الذين يعتقدون أن أحدهم يدخل الجنة إذا قتل يهودياً ، أو إذا قتله يهودي".
لهذا ومن أجل ذلك يرفع هؤلاء الزنادقة من العلمانيين وأشباههم شعارات يحاولون بها خداع أكبر عدد ممكن من المسلمين وتهدئة نفوس القلة التي قد ساورتها الشكوك تجاه نوايا هؤلاء الذين يرفعون شعارات العلمانية ويتشدقون بالحرية والديمقراطية بينما يسعون بواقعهم العملي لاقتلاع الإسلام من جذوره ولكن رويداً رويدا حتى لا يستيقظ النائمون.

<u>المبحث الرابع</u>

"نتائج العلمانية في العالم العربي والإسلامي"

العلمانية خبث لا يخرج إلا نكداً : قول الله تعالى: {والذي خبث لا يخرج إلا نكداً} [الأعراف: ٥٨]. ولأن العلمانية شجرة خبيثة فقد أثمرت بيننا اليوم - ممن يقولون إنهم مسلمون- من يستنكر وجود صلة بين العقيدة والأخلاق ، وبخاصة أخلاق المعاملات.

وأثمرت بيننا اليوم حاصلين على الشهادات العليا من جامعاتنا وجامعات العالم يتساءلون في استنكار ما للإسلام وسلوكنا الشخصي ؟ وما للإسلام والعري على الشواطئ ؟ وما للإسلام وزي المرأة في الطريق ؟ وما للإسلام وتصريف الطاقة الجنسية بأس سبيل ؟ ما للإسلام وتناول كأس من الخمر لإصلاح المزاج ؟ ما للإسلام وتعامل الناس بالربا في البنوك ؟ ما للإسلام وهذا الذي يفعله "المتحضرون!!" ؟ الذين يلهثون خلف راياتهم الخبيثة ويرددون بأن "الدين لله والوطن للجميع".. ولا عجب في ذلكن فهم طلائع مدرسة "دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله"..!!

... فأي فرق بين هذا وبين سؤال أهل مدين: {أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا} [ص: ٥].

وهم يتساءلون كذلك ، بل ينكرون بشدة وعنف أن يتدخل الدين في الاقتصاد ، وأن تتصل المعاملات بالاعتقاد ، أو حتى بالأخلاق من غير اعتقاد.. فما للدين والمعاملات الربوبية ؟ وما للدين والمهارة في الغش والسرقة ؟ وما للدين وتجارة الخمور والمخدرات ما لم يقع تحت طائلة القانون الوضعي ؟ وما للدين والسياسة والحكم ؟ لا .. بل إنهم يتبجحون بأن الأخلاق إذا دخلت في الاقتصاد تفسده!! ولا غرابة في ذلك ، فهم قد رضعوا وشبوا على شعارات "فصل الدين عن الدولة" ، و "لا دين في السياسة ولا سياسة في الدين"!!

فلا يذهبن بنا الترفع كثيراً على أهل مدين في تلك الجاهلية الأولى ، ونحن اليوم في جاهلية أشد جهالة ، ولكنها تدعي العلم والاستنارة والمعرفة والحضارة وتتهم الذين يربطون بين العقيدة في الله والسلوك الشخصي في الحياة والمعاملات المادية في السوق والسياسة والحكم... تتهمهم بالرجعية والتعصب والجمود!! وبعد أن استهلكت هذه الألفاظ أضافت الجاهلية العلمانية اليوم وصفهم بالتطرف!! ثم ألصقت بهم أخيراً صفة الإرهاب!!

أليس هذا بعينه ما يردده أدعياء الإسلام من العلمانيين أو غيرهم ؟

وقد كان لتسرب العلمانية إلى المجتمع الإسلامي أسوأ الأثر على المسلمين في دينهم ودنياهم .

وهاهي بعض الثمار الخبيثة للعلمانية :

١- رفض الحكم بما أنزل الله سبحانه وتعالى ، وإقصاء الشريعة عن كافة مجالات الحياة ، والاستعاضة عن الوحي الإلهي المُنزَّل على سيد البشر مُحَمَّد بن عبد الله - ﷺ - ، بالقوانين الوضعية التي اقتبسوها عن الكفار المحاربين لله ورسوله ، واعتبار الدعوة إلى العودة إلى الحكم بما أنزل الله وهجر القوانين الوضعية ، اعتبار ذلك تخلفًا ورجعية وردة عن التقدم والحضارة ، وسببًا في السخرية من أصحاب هذه الدعوة واحتقارهم ، وإبعادهم عن تولي الوظائف التي تستلزم الاحتكاك بالشعب والشباب ، حتى لا يؤثروا فيهم .

٢- تحريف التاريخ الإسلامي وتزييفه ، وتصوير العصور الذهبية لحركة الفتوح الإسلامية ، على أنها عصور همجية تسودها الفوضى ، والمطامع الشخصية .

٣- إفساد التعليم وجعله خادمًا لنشر الفكر العلماني وذلك عن طريق :

أ - بث الأفكار العلمانية في ثنايا المواد الدراسية بالنسبة للتلاميذ ، والطلاب في مختلف مراحل التعليم .

ب - تقليص الفترة الزمنية المتاحة للمادة الدينية إلى أقصى حد ممكن .

جـ - منع تدريس نصوص معينة لأنها واضحة صريحة في كشف باطلهم .

د - تحريف النصوص الشرعية عن طريق تقديم شروح مقتضبة ومبتورة لها ، بحيث تبدو وكأنها تؤيد الفكر العلماني ، أو على الأقل أنها لا تعارضه .

هـ - إبعاد الأساتذة المتمسكين بدينهم عن التدريس ، ومنعهم من الاختلاط بالطلاب ، وذلك عن طريق تحويلهم إلى وظائف إدارية أو عن طريق إحالتهم إلى المعاش .

و - جعل مادة الدين مادة هامشية ، حيث يكون موضعها في آخر اليوم الدراسي ، وهي في الوقت نفسه لا تؤثر في تقديرات الطلاب .

٤- إذابة الفوارق بين حملة الرسالة الصحيحة ، وهم المسلمون ، وبين أهل التحريف والتبديل والإلحاد ، وصهر الجميع في إطار واحد ، وجعلهم جميعًا بمنزلة واحدة من حيث الظاهر ، وإن كان في الحقيقة يتم تفضيل أهل الكفر والإلحاد والفسوق والعصيان على أهل التوحيد والطاعة والإيمان .

فالمسلم والنصراني واليهودي والشيوعي والمجوسي والبرهمي كل هؤلاء وغيرهم ، في ظل هذا الفكر بمنزلة واحدة يتساوون أمام القانون ، لا فضل لأحد على الآخر إلا بمقدار الاستجابة لهذا الفكر العلماني .

وفي ظل هذا الفكر يكون زواج النصراني أو اليهودي أو البوذي أو الشيوعي بالمسلمة أمرًا لا غبار عليه ، ولا حرج فيه ، كذلك لا حرج عندهم أن يكون اليهودي أو النصراني أو غير ذلك من النحل الكافرة حاكمًا على بلاد المسلمين .

وهم يحاولون ترويج ذلك في بلاد المسلمين تحت ما سموه بـ (الوحدة الوطنية) .

بل جعلوا (الوحدة الوطنية) هي الأصل والعصام ، وكل ما خالفوها من كتاب الله أو سنة رسوله - ﷺ - طرحوه ورفضوه ، وقالوا : (هذا يعرض الوحدة الوطنية للخطر !!) .

٥- نشر الإباحية والفوضى الأخلاقية ، وتهديم بنيان الأسرة باعتبارها النواة الأولى في البنية الاجتماعية ، وتشجيع ذلك والحض عليه : وذلك عن طريق :

أ - القوانين التي تبيح الرذيلة ولا تعاقب عليها ، وتعتبر ممارسة الزنا والشذوذ من باب الحرية الشخصية التي يجب أن تكون مكفولة ومصونة .

ب - وسائل الإعلام المختلفة من صحف ومجلات وإذاعة وتلفاز التي لا تكل ولا تمل من محاربة الفضيلة ، ونشر الرذيلة بالتلميح مرة ، وبالتصريح مرة أخرى ليلاً ونهارًا .

جـ - محاربة الحجاب وفرض السفور والاختلاط في المدارس والجامعات والمصالح والهيئات .

٦- محاربة الدعوة الإسلامية عن طريق :

أ - تضييق الخناق على نشر الكتاب الإسلامي ، مع إفساح المجال للكتب الضالة المنحرفة التي تشكك في العقيدة الإسلامية ، والشريعة الإسلامية .

ب - إفساح المجال في وسائل الإعلام المختلفة للعلمانيين المنحرفين لمخاطبة أكبر عدد من الناس لنشر الفكر الضال المنحرف ، ولتحريف معاني النصوص الشرعية ، مع إغلاق وسائل الإعلام في وجه علماء المسلمين الذين يُبصِّرون الناس بحقيقة الدين .

٧- مطاردة الدعاة إلى الله ، ومحاربتهم ، وإلصاق التهم الباطلة بهم ، ونعتهم بالأوصاف الذميمة ، وتصويرهم على أنهم جماعة متخلفة فكريًا ، ومتحجرة عقليًا ، وأنهم رجعيون ، يُحارون كل مخترعات العلم الحديث النافع ، وأنهم متطرفون متعصبون لا يفقهون حقيقة الأمور ، بل يتمسكون بالقشور ويَدعون الأصول .

٨- التخلص من المسلمين الذين لا يهادنون العلمانية ، وذلك عن طريق النفي أو السجن أو القتل .

٩- إنكار فريضة الجهاد في سبيل الله ، ومهاجمتها واعتبارها نوعًا من أنواع الهمجية وقطع الطريق .

وذلك أن الجهاد في سبيل الله معناه القتال لتكون كلمة الله هي العليا ، وحتى لا يكون في الأرض سلطان له القوة والغلبة والحكم إلا سلطان الإسلام ، والقوم - أي العلمانيين - قد عزلوا الدين عن التدخل في شؤون الدنيا ، وجعلوا الدين - في أحسن أقوالهم - علاقة خاصة بين الإنسان وما يعبد ، بحيث لا يكون لهذه العبادة تأثير في أقواله وأفعاله وسلوكه خارج مكان العبادة .

فكيف يكون عندهم إذن جهاد في سبيل إعلاء كلمة الدين ؟!!

والقتال المشروع عند العلمانيين وأذنابهم إنما هو القتال للدفاع عن المال أو الأرض ، أما الدفاع عن الدين والعمل على نشره والقتال في سبيله ، فهذا عندهم عمل من أعمال العدوان والهمجية التي تأباها الإنسانية المتمدنة !!

١٠- الدعوة إلى القومية أو الوطنية ، وهي دعوة تعمل على تجميع الناس تحت جامع وهمي من الجنس أو اللغة أو المكان أو المصالح ، على ألا يكون الدين عاملاً من عوامل التجميع ، بل الدين من منظار هذه الدعوة يُعد عاملاً من أكبر عوامل التفرق والشقاق ، حتى قال قائل منهم : (والتجربة الإنسانية عبر القرون الدامية ، دلَّت على أن الدين - وهو سبيل الناس لتأمين ما بعد الحياة - ذهب بأمن الحياة ذاتها) .

هذه هي بعض الثمار الخبيثة التي أنتجتها العلمانية في بلاد المسلمين ، وإلا فثمارها الخبيثة أكثر من ذلك بكثير .

والمسلم يستطيع أن يلمس أو يدرك كل هذه الثمار أو جُلها في غالب بلاد المسلمين ، وهو في الوقت ذاته يستطيع أن يُدرك إلى أي مدى تغلغلت العلمانية في بلدٍ ما اعتمادًا على ما يجده من هذه الثمار الخبيثة فيها .

والمسلم أينما تلفت يمينًا أو يسارًا في أي بلد من بلاد المسلمين يستطيع أن يدرك بسهولة ويسر ثمرة أو عدة ثمار من هذه الثمار الخبيثة ، بينما لا يستطيع أن يجد بالسهولة نفسها بلدًا خاليًا من جميع هذه الثمار الخبيثة .

المبحث الخامس

"وسائل العلمانية في تحريف الدين في نفوس المسلمين وتزييفه"

للعلمانية وسائل متعددة في تحريف الدين في نفوس المسلمين منها :

١- إغراء بعض ذوي النفوس الضعيفة والإيمان المزعزع بمغريات الدنيا من المال والمناصب ، أو النساء لكي يرددوا دعاوى العلمانية على مسامع الناس ، لكنه قبل ذلك يُقام لهؤلاء الأشخاص دعاية مكثفة في وسائل الإعلام التي يسيطر عليها العلمانيون لكي يظهروهم في ثوب العلماء والمفكرين وأصحاب الخبرات الواسعة ، حتى يكون كلامهم مقبولاً لدى قطاع كبير من الناس ، وبذلك يتمكنون من التلبيس على كثير من الناس .

٢- القيام بتربية بعض الناس في محاضن العلمانية في البلاد الغربية ، وإعطائهم ألقابًا علمية مثل درجة (الدكتوراه) أو درجة (الأستاذية) ، ثم رجوعهم بعد ذلك ليكونوا أساتذة في الجامعات ، ليمارسوا تحريف الدين وتزييفه في نفوس الطبقة المثقفة على أوسع نطاق ، وإذا علمنا أن الطبقة المثقفة من خريجي الجامعات والمعاهد العلمية ، هم في الغالبية الذين بيدهم أزِمَّة الأمور في بلادهم ، علمنا مدى الفساد الذي يحدث من جراء وجود هؤلاء العلمانيين في المعاهد العلمية والجامعات .

٣- تجزئ الدين والإكثار من الكلام والحديث والكتابة عن بعض القضايا الفرعية ، وإشغال الناس بذلك ، والدخول في معارك وهمية حول هذه القضايا مع العلماء وطلاب العلم والدعاة لإشغالهم وصرفهم عن القيام بدورهم في التوجيه ، والتصدي لما هو أهم وأخطر من ذلك بكثير .

٤- تصوير العلماء وطلاب العلم والدعاة إلى الله - في كثير من وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية - على أنهم طبقة منحرفة خلقيًا ، وأنهم طلاب دنيا من مال ومناصب ونساء حتى لا يستمع الناس إليهم ، ولا يثقوا في كلامهم ، وبذلك تخلو الساحة للعلمانيين في بث دعواهم .

٥- الحديث بكثرة عن المسائل الخلافية ، واختلاف العلماء وتضخيم ذلك الأمر ، حتى يخيل للناس أن الدين كله اختلافات وأنه لا اتفاق على شيء حتى بين العلماء بالدين ، مما يوقع في النفس أن الدين لا شيء فيه يقيني مجزوم به ، وإلا لما وقع هذا الخلاف ، والعلمانيون كثيرًا ما يركزون على هذا الجانب ، ويضخمونه لإحداث ذلك الأثر في نفوس المسلمين ، مما يعني انصراف الناس عن الدين .

٦- إنشاء المدارس والجامعات والمراكز الثقافية الأجنبية ، والتي تكون خاضعة - في حقيقة الأمر - لإشراف الدول العلمانية التي أنشأت هذه المؤسسات في ديار المسلمين ، حيث تعمل جاهدة على توهين صلة المسلم بدينه إلى أقصى حدٍّ ممكن ، في نفس الوقت الذي تقوم فيه بنشر الفكر العلماني على أوسع نطاق ، وخاصة في الدراسات الاجتماعية ، والفلسفية ، والنفسية .

٧- الاتكاء على بعض القواعد الشرعية والمنضبطة بقواعد وضوابط الشريعة ، الاتكاء عليها بقوة في غير محلها وبغير مراعاة هذه الضوابط ، ومن خلال هذا الاتكاء الضال والمنحرف يحاولون تروج كل قضايا الفكر العلماني أو جُلها .

فمن ذلك مثلاً قاعدة (المصالح المرسلة) يفهمونها على غير حقيقتها ويطبقونها في غير موضعها ، ويجعلونها حجة في رفض كل ما لا يحبون من شرائع الإسلام ، وإثبات كل ما يرغبون من الأمور التي تقوي العلمانية وترسخ دعائمها في بلاد المسلمين .

وكذلك قاعدة (ارتكاب أخف الضررين واحتمال أدنى المفسدتين) وقاعدة (الضرورات تبيح المحظورات) ، (ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح) ، (وصلاحية الإسلام لكل زمان) ، (واختلاف الفتوى باختلاف الأحوال) ، يتخذون من هذه القواعد وأشباهها تُكأة في تذويب الإسلام في النحل والملل الأخرى ، وتمييعه في نفوس المسلمين .

كما يتخذون هذه القواعد أيضًا منطلقًا لنقل كل النظم الاقتصادية ، والسياسية السائدة في عالم الكفار إلى بلاد المسلمين ، من غير أن يتفطن أكثر الناس إلى حقيقة هذه الأمور .

وفي تصوري أن هذا المسلك من أخطر المسالك وأشدها ضررًا لما فيه من شبهة وتلبيس على الناس أن هذه الأمور إنما هي مرتكزة على قواعد شرعية معترف بها ، وكشف هذا المسلك على وجه التفصيل ومناقشة كثير من هذه الأمور على وجه البسط والتوضيح في حاجة إلى كتابة مستقلة لكشف كل هذه الأمور وتوضيحها وإزالة ما فيها من لبس أو غموض .

ونحن نحب أن نؤكد هنا أن اعتمادهم على هذه القواعد أو غيرها ليس لإيمانهم بها ، وليس لإيمانهم بعموم وشمول وكمال الدين الذي انبثقت منه هذه القواعد ، وإنما هي عندهم أداة يتوصلون بها إلى تحقيق غاياتهم الضالة المنحرفة .

أهمية البرامج الدينية في أجهزة الإعلام الشيطانية

لا يزال المنافقون والزنادقة على مدار التاريخ الإسلام يدعون الإيمان ، بل ويزعمون للناس أنهم مجددون وأنهم يصلحون في الأرض ولا يفسدون.

كذلك يدعي الإيمان بعض قيادات العلمانية الديمقراطية في العصر الحديث ، بل منهم من يتقلب بين عقائد الكفر المتعددة فهذا شيوعي سابق أصبح ليبرالياً متعصباً ، ولا غرابة في ذلك حيث أن ملة الكفر واحدة. ولكن الغرابة أنه يلقب نفسه بلقب (الحاج) ، ويقيمون في أحزابهم لجاناً للشؤون الدينية!! {يخادعون الله والذين آمنوا وما يخادعون إلا أنفسهم وما يشعرون} [البقرة: ٩].

ومنهم من ادعى الإيمان ودعا إلى زمالة بين الأديان إلى تأليف كتب دينية مشتركة يلتقي عليها المسلمون والنصارى واليهود.

لذلك لا غرابة في إصرار الأنظمة العلمانية الديمقراطية الكافرة على أن يجعلوا للدين برامج تسمى برامج دينية أو "روحية". ضمن أجهزة الإعلام الشيطانية ، وهم الذين يجعلون أحكاماً إسلامية للأحوال الشخصية ضمن قوانين الحكم الجاهلية ، وهم الذين يجعلون في كل صحفهم ومجلاتهم العلمانية الجاهلية صفحة يسمونها صفحة الفكر الديني!!

وهم الذين يقولون إن مكان الدين هو المسجد فقط ويظهرون لعامة المسلمين أنهم يحجون لبيت الله في العمرة مرة ويتعمدون إبراز هذه الصور في أجهزة إعلامهم. بينما هم يقصدون بيوت أعداء الله شرقاً وغرباً كل حين يتلقفون منهم المناهج ويتلقون التشريعات والأوامر والنواهي والحلال والحرام!!

ويمتدح أحد هؤلاء العلمانيين بغباء شديد أحد أئمتهم السابقين ويترحم عليه ويذكر أن أهم فضائله أنه لم يكن يطبق شرع الله!!

يقول عبد الستار الطويلة في جريدة الوفد القاهرية وهي إحدى معاقل العلمانية بتاريخ ١٩٩١/٠٨/٢٢ م بالحرف الواحد:

" أيام (المرحوم!!) جمال عبد الناصر منذ السنوات الأولى للثورة كان الحكم - بصرف النظر أنه كان ديكتاتوريا- حريصاً على عدم الخلط بين الدين والحكم.. أنه كان أقرب إلى العلمانية.. منه إلى أي شيء.. كان يقتصر نظام عبد الناصر على إنشاء محطة للقرآن الكريم... الاستمرار في بناء المساجد.. والكنائس.. تيسير الحج.. الخ.. أي تقديم كافة التسهيلات (للمتدينين) كي يؤدوا (شعائرهم) الدينية على أكمل وجه.. لكن كان الحكم بعيداً عن أي ترويج لفكرة ضرورة الحكم بالدين.. ولم تكن نظم الشريعة سواء الشريعة الإسلامية أو (الشريعة المسيحية!) مطبقة إلا فيما يتعلق بالأحوال الشخصية من زواج أو طلاق.".. والكلام لا يحتاج إلى تعليق كما هو واضح!

العلمانيون يعبدون أحبارهم المشرعين

إننا نتوجه بهذا السؤال إلى هؤلاء العلمانيين.. إلى كل من يدعي الإسلام من هؤلاء.. فنقول:

إذا أخرجنا - على سبيل التحكم- جزءاً من النشاط الإنساني في الحياة - إما السياسة وإما غيرها- عن دائرة الإسلام.. فمن أين نتلقى منهج وقيم وموازين وتشريعات هذا الجزء ؟.

وأيا ما كان الجواب.. فإن نتيجته ومؤداه واحد لا ريب فيه: التلقي عن غير الله.. والطاعة والإتباع لغير الله.

والنتيجة... هي الشرك بالله... وهل هناك صورة من صور الاعتراف بالشرك أصرح من هذه ؟ أعني شرك الطاعة والإتباع!!

إنه شرك في عبادة الله ، وإن كان الذين يمارسونه قد يجهلون معنى عبادة الله وحده ، وما ذلك بغريب على الجاهلين. فإن عدي بن حاتم - رضي الله عنه- في الجاهلية لم يكن يتصور أن ذلك عبادة ، فإنه لما دخل على رسول الله ﷺ ، تلا ﷺ قوله تعالى: {اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله} ، فقال عدي (وكان نصرانيا) يا رسول الله: لسنا نعبدهم. قال: "أليس يحلون لكم ما حرم الله فتحلونه ويحرمون ما أحل الله فتحرمونه ؟ قال: بلى. قال النبي ﷺ: فتلك عبادتهم .[٦]

قال ابن تيمية رحمه الله تعليقاً على ذلك: " قد جعله الله ورسوله شركاً وإن لم يكونوا يصلون لهم ويسجدون لهم".[٧]

إن العلمانية التي ولدت وترعرعت في أحضان الجاهلية لهي كفر بواح لا خفاء فيه ولا مداورة ولا التباس. ولكن الخفاء والمداورة والالتباس إنما يحدث عمداً من دعاة العلمانية أنفسهم ، لأنهم يعلمون أنه لا حياة ولا امتداد لجاهليتهم وسلطانهم في بلاد المسلمين إلا من خلال هذا التخفي وهذه المداورة. ولا بقاء لهم إلا بالتلبيس على جماهير المسلمين وذلك من خلال راياتهم الزائفة التي تخفي حقيقة أمرهم وباطن دعوتهم عن المسلمين وتلبس على العامة أمر دينهم وعقيدتهم خاصة إذا ساندهم من نصبوه مفتياً للديار العلمانية في محاولة تجميل مكشوفة لم تزد وجوههم إلا قبحاً. بل هم يدعون عامة المسلمين ويحفزونهم ضد إخوانهم المسلمين الصادقين الواعين لحقيقة هذا الصراع وخلفياته والمنبهين إلى خطره الداهم على الدين وأهله.

حصون أهل السنة مهددة من الداخل

إن المعارك والجبهات التي تفتحها الفرق الضالة والمنتسبة لهذا الدين ضد أهل السنة والجماعة ، وأخطرها دائماً جبهة الرافضة الباطنية ، والتي تغذيها وتدعمها القوى والمعسكرات الجاهلية العالمية لتدمير أهل السنة والجماعة باعتبارهم الخطر الحقيقي والفعال ضد كل هذه القوى ، أقول إن هذه المعارك وهذه الجبهات يجب ألا ينسى معها أهل السنة والجماعة أن حصونهم لا زالت مهددة من داخلها ، وأن القوى العلمانية المتكتلة ضدهم من الداخل والتي تصارعهم في معارك خافية - غالباً- وسافرة - أحياناً- هي التي تمثل الآن جوهر الصراع القائم بين الإسلام والجاهلية في العصر الحديث. وإن أخطر مراحل هذا الصراع هي مرحلة تعرية هذه القوى العلمانية القبيحة وفضحها أمام جميع المسلمين ليستبين لكل مسلم سبيل هؤلاء المجرمين الذين يحاولون خداعهم والقضاء عليهم

المبحث السادس

"حكمها وموقف الإسلام منها"

العلمانية والإيمان نقيضان ، فإن الإيمان يقتضي الانقياد والإذعان لما جاء من عند الله ، والعلمانية تقتضي التمرد على الوحي ، والكفر بمرجعيته في علاقة الدين بالحياة ، وإطلاق العنان للأهواء البشرية بلا حدود.

الإيمان يقتضي تعظيم شعائر الله وتقديس كتابه والتعبد بطاعته ، والعلمانية تقتضي - كما سبق - نزع القداسة عن جميع المقررات الدينية ، والتعامل معها باعتبارها مواريث بشرية بحتة تخضع لما تخضع له سائر المفاهيم البشرية من النقد والتعديل أو الإلغاء بالكلية في ضوء ما تقتضيه المصلحة البشرية البحتة.

والعلمانية بهذا النحو لا تجتمع مع أصل دين الإسلام ، بل إن شئت الدقة لا تجتمع مع أصل دين سماوي بوجه من الوجوه ، فهي شرك في التوحيد ونقض للإيمان المجمل ، وهي ثورة على النبوة ، وهدم لأصل الدين وحقيقة الإسلام.

العلمانية شرك في التوحيد:

العلمانية ثورة على النبوة:

العلمانية نقض لعقد الإيمان المجمل: فلا يثبت عقد الإيمان بمجرد التصديق الخبري ، بل لابد من التكلم بالإيمان على وجه الإنشاء المتضمن للالتزام والانقياد ؛ ولهذا لما جاء نفر من اليهود إلى النبي × وقالوا: (نشهد أنك لرسول) لم يكونوا مسلمين بذلك ؛ لأنهم قالوا ذلك على سبيل الإخبار عما في أنفسهم فحسب ، أي نعلم ونجزم أنك رسول الله ، قال: "فلم لا تتبعوني ؟" ، قالوا: نخاف يهود!

يقول ابن القيم رحمه الله: "ونحن نقول: الإيمان هو التصديق ، ولكن ليس التصديق مجرد اعتقاد صدق المخبر دون الانقياد له ، ولو كان مجرد اعتقاد التصديق إيمانًا لكان إبليس وفرعون وقومه وقوم صالح واليهود الذين عرفوا أن محمدًا رسول الله كما يعرفون أبناءهم مؤمنين مصدقين ، فالتصديق إنما يتم بأمرين: أحدهما: اعتقاد الصدق ، والثاني: محبة القلب وانقياده" [الصلاة لابن القيم: ١٩ - ٢٠].

ولا يخفى أن العلمانية بردّها لشريعة الله ، وامتناعها عن قبول ما أنزل الله قد أسقطت ركن الانقياد من حقيقة الإيمان ، فتكون نقضًا للإيمان المجمل الذي لا تثبت صفة الإسلام إلا باستيفائه ، ولا يبقى معها من الإيمان - إن بقيت على ادعائه - إلا التصديق الخبري المحض كالذي كان مع أحبار اليهود الذين شهدوا لرسول الله × بالرسالة لما أجابهم عن أسئلتهم بما يعلمون من كتبهم فقال لهم × : "فما يمنعكم من اتباعي ؟" قالوا: نخاف قومنا يهود!

أو الذي كان مع هرقل الذي أعلن تعظيمه للنبي × ولكن امتنع عن اتباعه خشيةً على ملكه.

أو الذي كان مع أبي طالب الذي أعلن بأن دين مُحَمَّد من خير أديان البرية ، والذي ظل عمره كله يحوط رسول الله × ويمنعه ، ولكن امتنع عن اتباعه خشية الملامة ومسبة العرب له بأن إسته تعلو رأسه!!

وإننا لو أثبتنا إيمانًا أو صححنا توحيدًا لمن كان حظه من الشرائع السماوية مجرد اعتقاد صدقها وأنها منزلة من عند الله لحكمنا بإيمان أغلب من في الأرض!!

العلمانية استحلال للحكم بغير ما أنزل الله:

إن العلمانية بما تقوم عليه من تبني الكفر بمرجعية الشريعة في علاقة الدين بالحياة ، وامتناعها عن الالتزام بشرائع الإسلام ، واتهامها لمن ينازعها في ذلك بالرجعية والتطرف والإرهاب..

العلمانية منازعة في أصل دين الإسلام:

فالإسلام كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "يتضمن الاستسلام لله وحده ، فمن استسلم له ولغيره كان مشركًا ، ومن لم يستسلم له كان مستكبرًا عن عبادته ، والمشرك به والمستكبر عن عبادته كافر ، والاستسلام له وحده يتضمن عبادته وحده وطاعته وحده ، وهذا دين الإسلام الذي لا يقبل الله غيره ، وذلك إنما يكون بأن يطاع في كل وقت بما أمر به في ذلك الوقت" [مجموع فتاوى ابن تيمية: ٣/ ٩١].

ولا شك أن العلمانية بما تتضمنه من رفض الاستسلام لله وحده ، وإعلان الكفر بمرجعية وحيه في علاقة الدين بالدولة ، ورفض الدخول ابتداء تحت دائرة التكليف فإنها بهذا تكون منازعة لدين الإسلام في أصله ، ومناقضة له في أساسه ولبه.

العلمانية طاغوت تعبد الله عباده باجتنابه والكفر به:

لقد جعل الله الكفر بالطاغوت قسيم الإيمان بالله ، وتعبد أولياءه بالكفر بالطاغوت واجتنابه في مواضع شتى من القرآن الكريم.

فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وبين أن ادعاء الإيمان لا يصح مع إرادة التحاكم إلى الطاغوت ، فقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠].

وتمدح الذين اجتنوا الطاغوت ، وجعل لهم البشرى في كتابه الكريم فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ [الزمر: ١٧].

والطاغوت: هو ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع ، يقول العلامة ابن القيم رحمه الله: "الطاغوت كل ما تجاوز به العبد حدَّه من معبود أو متبوع أو مطاع ، فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله ، أو يعبدونه من دون الله ، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله ، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله" [أعلام الموقعين: ١/ ٥٢].

والعلمانية بما تعنيه من رفض الدخول في إطار التكليف ، وخلع ربقة العبودية فيما يتعلق بأمور الدولة وسائر أمور الحياة العامة ، وتعبيد أتباعها للأهواء المجردة ، وعقد الولاء والبراء على ذلك ، لاشك أنها من أظهر أنواع الطواغيت التي أمرنا بالكفر بها واجتنابها.

العلمانية حكم الجاهلية وعبودية للهوى:

لقد جعل الله طريقين للحكم لا ثالث لهما: حكم الله أو حكم الجاهلية ، قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

وجاهلية الحكم لا تختص بزمان بعينه ، ولكنها وضع تنظيمي يأبى التحاكم إلى ما أنزل الله ، وهذا الوضع قد وجد بالأمس ، ويوجد اليوم ، وسيوجد غدًا ، وحيثما وجد فهو حكم الجاهلية وإن توارى خلف لافتات من ادعاء التقدمية والاستنارة والتحضر.

وقال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللهِ﴾ [القصص: ٥٠].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ١٨].

فلا مقابل لشريعة الله وما جاء به رسول الله × إلا أهواء الذين لا يعلمون ، ولا توجد منطقة وسطى بينهما ، ومتى خرج العبد من شريعة الله فقد دخل في عبادة الهوى من دون الله.

قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً * أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾ [الفرقان: ٤٣ ، ٤٤].

قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللهِ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣].

والإنسان في هذه الحياة على مفترق طريقين لا ثالث لهما ، فإما أن يختار العبودية لله ، وإما أن يرفض هذه العبودية فيقع لا محالة في عبودية لغير الله ، والعلمانية بما تقوم عليه من رفض الشريعة ، تعبيد البشر إلى غير ما أنزل الله ، فهي ترجع بهم إلى الجاهلية وتدخلهم في عبادة الهوى من دون الله.

المبحث السابع

"واجب المسلمين"

في ظل هذه الأوضاع بالغة السوء التي يعيشها المسلمون ، فإن على المسلمين واجبًا كبيرًا وعظيمًا ألا وهو العمل على تغيير هذا الواقع الأليم الذي يكاد يُحرِّف الأمة كلها بعيدًا عن الإسلام .

والمسلمون جميعهم اليوم مطالبون ببذل كل الجهد : من الوقت والمال والنفس والولد لتحقيق ذلك ، وإن كان العلماء وطلاب العلم والدعاة إلى الله وأصحاب القوة والشوكة عليهم من الوجوب ما ليس على غيرهم ، لأنهم في الحقيقة هم القادة وغيرهم من الناس تبع لهم .

ولا خروج للمسلمين من هذا الواقع الأليم إلا بالعلم والعمل ، فالعلم الذي لا يتبعه عمل لا يغير من الواقع شيئًا ، والعمل على غير علم وبصيرة يُفسد أكثر مما يُصلح .

ولا أقصد بالعلم العلم ببعض القضايا الفقهية الفرعية ولا ببعض الآداب ومحاسن العادات ، كما يحرص كثير من الناس على مثل هذه الأمور ، ويضعونها في مرتبة أكبر من مرتبتها في ميزان الإسلام ، ولكني أقصد بالعلم ، العلم الذي يورث إيمانًا صحيحًا صادقًا في القلب ، مؤثرًا حب الله ورسوله ودينه على كل ما سوى ذلك ، وباعثًا على العمل لدين الله والتمكين له في الأرض وإن كلفه ذلك ما كلفه من بذل النفس والنفيس ، ولن يتأتى ذلك إلا بالعلم الصحيح بحقيقة دين الإسلام ، واليقين الكامل التام الشامل بحقيقة التوحيد أساس البنيان في دين الإسلام ، ثم لابد مع ذلك من العلم بالمخاطر التي تتهدد الأمة الإسلامية ، والأعداء الذين يتربصون بها والدعوات الباطلة والهدامة التي يُروَّج لها ، وما يتبع ذلك من تحقيق البراءة من أعداء الدين ، وتحقيق الولاية للمؤمنين الصادقين .

وإذا كان من الواجب على المسلمين طلب العلم والدأب في تحصيله وسؤال أهل الذكر ، ليكون المرء على بصيرة كاملة ووعي صحيح ، فإن من الواجب على أصحاب القلم - من الكُتَّاب والناشرين - العمل على الإكثار من نشر الكتاب الإسلامي الذي يربط المسلمين بالإسلام كله ، والذي يُعطي كل شرعة من شرائع الإسلام وكل حكم من أحكامه قدره ومنزلته في ميزان الإسلام ، بحيث لا يزيد به عن قدره ولا ينزل به عن مرتبته ، ولا يضخم جانبًا على حساب جوانب أخرى متعددة ، وفي هذا الصدد فإن الكُتَّاب والناشرين مدعُوُّون بقوة إلى الالتزام بذلك ، وخاصة في تلك الظروف العصيبة الحرجة التي تمر بها الأمة الإسلامية ، فلا يليق بهم ولا ينبغي لهم أن يُجَاروا رغبات العوام وغيرهم في الإكثار والتركيز على جانب معين من جوانب الدين مع إهمال جوانب أخرى هي في ميزان الإسلام أجلّ قدرًا وأخطر شأنًا .

ونحن في هذا الصدد لا نريد أن نقع فيما وقع فيه غيرنا فندعو إلى إهمال الجانب الأقل في ميزان الإسلام لحساب الجانب الأكبر ، ولكننا ندعو إلى التوازن بحيث تكون الكتابات في الجوانب المختلفة متوازنة مع مرتبتها وثقلها في ميزان الإسلام ، فلا يُقبل أن تكون المكتبة الإسلامية مملوءة بالكتابات المختلفة المتنوعة عن الجن ، والسحر ، والشعوذة ، والورع ، والزهد ، والأذكار ، وفضائل الأعمال ، وفروع الفروع الفقهية ، وأشباه ذلك ، ونؤكد أنه لا يحق لأحد أن يظن مجرد الظن أننا نقلل من أي شيء - وإن كان صغيرًا - تناوله حكم الإسلام ، حتى ولو كان ما يتعلق بأدب قضاء الحاجة ، وما ندعو إليه فقط هو إعطاء كل جانب ما يستحقه في ميزان الإسلام ، وهذا الذي أكدناه وذكرناه إنما هو طريقة العلماء المنبثقة عن الفهم الصحيح للنصوص الشرعية .

بينما نجد المكتبة تكاد تكون خاوية من الكتاب الميسر الصالح للتناول لتناول العام في مجالات بالغة الأهمية .

مثل : أحكام الفقه السياسي في الإسلام : أو بالتعبير القديم (الأحكام السلطانية) .

ومثل : مناقشة النحل الكثيرة التي بدأت تنتشر في عالم المسلمين (كالعلمانية ، والديمقراطية ، والقومية ، والاشتراكية ، والأحزاب ذات العقائد الكفرية كحزب البعث ، والأحزاب القومية ، وغير ذلك) .

ومثل : الكتابات التي تتحدث عن الجهاد ، لا أقصد الجهاد بمعنى فرضيته ودوامه إلى قيام الساعة ، ولكن أقصد إلى جانب ذلك الكلام عن جهاد المرتدين اليوم في عالم الحكام ، وأصحاب السلطان الذين تبنوا المذاهب الاشتراكية ، والعلمانية ، والقومية ، والديمقراطية ، وغير ذلك ودعوا إليها وألزموا الناس بها .

ومثل : الحديث عن كيفية العمل لإعادة الخلافة الضائعة ، إلى غير ذلك من المواضيع ذات الأهمية البالغة في حياة المسلمين ، وإذا نظر الإنسان إلى ما كُتب في هذه المواضيع ، وما كُتب في المواضيع الأخرى لهاله التباين الشديد في هذا الأمر ، وإذا نظر أيضًا إلى كمية المباع من ذاك ومن هذا لهاله الأمر أكثر وأكثر .

قد يقول الكتاب والناشرون : إن الناس لديهم عزوف عن قراءة هذه المواضيع ، لكن منذ متى كان لصاحب الرسالة التي يريد لها الذيوع والانتشار أن يطاوع الأهواء والرغبات ، وإذا كان حقًّا ما يُقال عن هذا العزوف ، فأنتم مشتركون بنصيب وافر في ذلك ؛ لأنكم طاوعتموهم على ذلك ، ولم تبصروهم بأهمية التوازن وعدم تضخيم جانب وإهمال جوانب أخرى ؛ لأن هذا الأمر سيؤدي بالناس في النهاية إلى حصر الإسلام وتضييق نطاقه في إطار عبادة من العبادات أو أدب من الآداب أو عادة من العادات ، بل قد انحصر الإسلام فعلاً عند كثير من الناس في أداء الصلاة ، وصيام رمضان ، وبعضهم انحصر الإسلام عنده في مجموعة من الأذكار ، وبعضهم انحصر الإسلام عنده في حسن الخلق ، وبعضهم انحصر الإسلام عنده في هيئة أو زي أو لباس ، وبعضهم انحصر الإسلام عنده في العلم ببعض فروع الفقه ، أو العلم ببعض قضايا مصطلح الحديث ، وهكذا .

فإذا خاطبت الكثير منهم عن عموم الإسلام وشموله وحدثتهم عن بعض القضايا الهامة والملحة والمنبثقة من توحيد الله والإيمان باليوم الآخر مثل الحديث عن الحكم بما أنزل الله ، والالتزام بشرعه ووجوب السعي لإقامة دولة الإسلام وإعادة الخلافة ، وبيان بطلان المذاهب الكفرية كالعلمانية ، والديمقراطية ، وغير ذلك ، ظنوك تتحدث عن دين غير دين الإسلام ، وقالوا : هذا اشتغال بالسياسة ، ولا يجوز إدخال الدين في السياسة .

ومثل هؤلاء لو تأكد عليهم الكلام في مثل هذه القضايا في خطب الجمعة ، وفي دروس وحلقات العلم في المساجد ، وفي الكتابات الميسرة التي يمكنهم قراءتها وفهمها بيسر ، لم يصدر عنهم مثل هذا الكلام الضال المنحرف .

ونحن يجب علينا كتابًا وناشرين ألا نشارك في تزييف الدين وتجزئته عن طريق عرضه عرضًا ناقصًا مقصورًا على جانب من جوانبه استجابة لرغبة القراء ، ولحركة البيع والشراء ، فنكون بذلك محققين لهدف كبير من أهداف العلمانية في تضييق نطاق الدين وعزله عن الحياة .

وقد يقول الكتاب والناشرون : نحن لا نكتب في هذه الأمور لأنها مسائل كبيرة والخطأ فيها ليس بالهين ، وهي تحتاج إلى علم كثير هو ليس في وسعنا ، وأنا معهم في هذا القول في أن كثيرين ممن يكتب هذه الأيام لا يصلح للكتابة في هذه الأمور .. إما لعدم فقههم لهذه الأمور ، وإما لأن فقههم لها قاصر ومبتور ، وإذا كان ذلك صحيحًا - وهو صحيح - في حق كثيرين ، فأين العلماء الكبار ، وأين الشيوخ الأجلاء ، وإذا لم يكن هذا هو دورهم ومهمتهم ، فما هو دورهم إذن في العمل على تغيير هذا الواقع الأليم ؟!

دور المعلمين والمدرسين في القيام بواجبهم تجاه دينهم

وفي إطار الحديث عن العلم ونشره فإن فئة المعلمين من المدرسين والأساتذة من أدنى مراحل التعليم إلى أعلاها عليهم واجب من أهم الواجبات العامة في حقهم وآكدها وهذا الواجب يتمثل في :

العمل على أسلمة المناهج بحيث تصب كل المناهج العلمية في إطار خدمة الإسلام ، وبحيث لا يكون الهدف العلمي البحت ، هو الهدف الوحيد من تدريس هذا العلم ، ونظرًا لأن ديننا من عند الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وأن المكتشفات العلمية هي من خلق الله فلا تعارض إذن ولا تناقض بين العلم والدين ، وبالتالي فإن كثيرًا من الحقائق العلمية يمكن استخدامها كأدلة في مجال الإيمان ، وكثير من القوانين العلمية يمكن استخدامها كردود أو إبطال لنظريات إلحادية من وجهة نظر العلم التجريبي الذي يؤمن به الملحدون ولا يعولون على غيره ، وعلى ذلك فإن المناهج العلمية الموضوعة للتلاميذ والطلاب لابد أن يراعى فيها ذلك ، ولابد من توضيح ذلك الأمر بأوضح بيان ، ولا يكفي فيه الإشارة والتلميح ، وهذا الأمر واجب أكيد في حق أولئك الذين يضعون هذه المناهج ويقررون تدريسها . ٢-تنقية المواد العلمية من الكفريات والضلالات المدسوسة بها ، فقد يحدث أن يضع هذه المواد ومناهجها أناس غرباء على الدين ، فالواجب على المدرس المسلم ألا يقوم بتدريس المادة العلمية كما هي ، بل لا يحق له ذلك ، وينبغي عليه كشف هذه الضلالات للطلاب وتحذيرهم منها ، وبيان الصواب فيها ، فلا يكتفي المعلم بدوره كمعلم للمادة فقط ، بل يربط هذه العلوم بالإسلام وينقيها مما فيها من الشوائب

ويكون في الوقت نفسه داعية وواعظًا ومرشدًا إلى جانب كونه معلمًا ومثقفًا . ٣- أن ينتهز المعلم الفرصة كلما سنحت له لتوضيح مفهوم من مفاهيم الإسلام ، أو لتثبيت عقيدة من العقائد أو لبيان قضية من قضايا المسلمين أو لتعليم أدب من آداب الإسلام ، وهكذا .

وكل هذه الأمور يستتبع بالضرورة تحقيقها أن يرتفع المعلمون بمستواهم العلمي والشرعي في كثير من الأمور حتى يكونوا أكفاء لهذه المهمة النبيلة التي شرفهم الله بحملها .

وفي ختام هذا البحث نأتي إلى العمل بعد العلم ، ولست أقصد بالعمل ذلك العمل الذي يعود نفعه وخيره على شخص العامل وحده ، فهذا مطلوب ، ولكن أين العمل الذي يعود نفعه وخيره على الأمة الإسلامية بالإضافة إلى شخص العامل إنه مما يجب علينا أن نعتقد الحق ونعمل به في خاصة أنفسنا ، ومن نعول ، ثم لا نكتفي بذلك حتى ندعو الناس غيرنا ونبصرهم بحقيقة هذا الدين ، وبتكالب الأعداء علينا من داخلنا وخارجنا ، وبحجم المأساة التي تعيشها الأمة الإسلامية ، ولا يصدنا عن القيام بهذا الدور ما نلقى من عنت ومشقة ومن صدود من جانب الناس ، ومن تضييق وحرب من جانب الحكام أذناب العلمانية وعملائها .

هذا موقف العلمانية من الإسلام وهذا موقفنا منها

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء ، والمرسلين ، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين

أما بعد :

فإن الصراع بين الحق والباطل حقيقة أزلية معروفة عبر التاريخ ، وهو سنة يعرفها كل متدبر وتالٍ لآيات الذكر الحكيم ، ويجدها في المواجهة بين الأنبياء وأعدائهم من الكافرين برسالتهم ، ويتكرر بصور مماثلة عبر العصور بين الدعاة والمصلحين ومناوئيهم حينما يقفون بكل تبجح أمام الحق وأهله ، رافضين جملة وتفصيلاً ما يدعو الدعاة إليه من حق وما يطالبون به من تحكيم لشريعة الله ، فالعلمانية بخيلها ورجلها تقف بكل صلف ضد أي توجه إسلامي يقوم في أي بلد مسلم مثيرة الشبهات ضده والإساءات المتوالية لكل منتمٍ له ، بدعاوى أن أولئك رجعيون ومتطرفون وإرهابيون ؛ لهدم هذه الاتجاهات أمام الشعوب ، وتخويفها منها بالكذب والتزوير .

لقد وصف الله المنافقين أوصافاً دقيقة ، تنبئ عن حقيقة ما يضمرونه من سوء في الوقت الذي يتظاهرون فيه بالإسلام ، وكأنه وصف لجوقة العلمانيين في عالمنا الإسلامي اليوم ، يقول (جل وعلا) : [وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١) أَلا إِنَّهُمْ هُمُ المُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ][البقرة : ١١ ، ١٢] .

إنهم لا يقفون عند حد الكذب والخداع ، بل يضيفون إليهما السفه والادعاء .. ، والذين يفسدون أشنع الفساد ويقولون : إنهم مصلحون ، كثيرون جدّاً في كل زمان ، يقولونها لأن الموازين مختلة في أيديهم ، فيتعذر على أولئك أن يشعروا بفساد أعمالهم ؛ لأن ميزان الخير والشر والصلاح والفساد في نفوسهم يتأرجح مع الأهواء الذاتية ، ولا يستند إلى أسس شرعية .

إن ظهور الإسلام هو بداية غيظ ورعب لأعداء هذا الدين وخصوم المنتمين له في كل حين ، فهو يؤذيهم ويخيفهم ؛ لأنه من القوة والمتانة بحيث يخشاه كل مبطل ، ويرهبه كل باغٍ ، ويكرهه كل مفسد .. لما فيه من حق أبلج ومنهج قويم ، فهو مضاد للباطل والبغي والفساد ؛ ومن ثم : لا يطيقه المبطلون والبغاة والمفسدون ، لذلك يرصدون لأهله ، ليفتنوهم عنه .

علمانيو تركيا نموذجاً : وصورة هذا العداء السافر لم تتبين بشكل واضح جلي كما تتضح اليوم في الحرب الشعواء التي يشنها العلمانيون على أهل الإسلام ودعاته في كثير من ديار الإسلام ، وبشكل أخص فيما يقوم به تلاميذ الرجل الصنم (أتاتورك) من دعاة الطورانية الملحدة سواء من الأحزاب العلمانية التركية أو عن طريق الجيش التركي الذي يعتبر نفسه حامي الدستور العلماني هناك ، وهذا الولاء الذي يدينون به له والذي جعل (أتاتورك) يحكمهم به من قبره لم يأت من فراغ ، فهو نتيجة بناء أسسه المذكور المشبوه بانتمائه للدونمة ذوي الأصول والاتجاهات اليهودية ، ومواقفه من الإسلام تؤكد ذلك ، والعساكر الممسكون بأزِمّة الأمور اليوم هم خريجو المؤسسة العسكرية التابعة للجيش الذي تحول إلى مفرخ للقادة والضباط المؤمنين بالمبادئ الطورانية ، وجل ضباط الجيش التركي هم من ذلك الصنف ؛ فلا عجب أن نراهم حماة لتلك المبادئ العلمانية المتطرفة التي لا تطيق للإسلام صوتاً ، فضلاً عن أن

يحكم أو يعمل في الهواء الطلق ، ولذلك : كان لهذا الجيش موقفه الصارم من التدخل المباشر في تعديل أي مسار ضد أي تجاوز للمبادئ العلمانية منذ عام ١٩٦٠م ، حينما تدخل لإيقاف حكومة (عدنان مندريس) الذي أعلن في برنامج حزبه الذي نال به الأغلبية وترأس الحكومة آنذاك منادياً بفتح مدارس تحفيظ القرآن ، وإعادة الأذان بالعربية ! .. فما كان من قادة الجيش ذوي الاتجاهات نفسها إلا أن أسقطوا الحكومة ، وأعدموا رئيسها وبعض وزرائه ؛ بدعوى الخروج عن (المبادئ الكمالية) ! ثم حصل التدخل عام ١٩٧٠م مرة أخرى ، ثم في عام ١٩٨١م .. فموقفهم من الإسلام موقف حياة أو موت كما ذكروا ، ولولا الخوف من العواقب الوخيمة للانقلاب العسكري الآن لأوقفوا (أربكان) الذي استطاع بكل دبلوماسية أن يقف في وجوههم وأن يفتح العيون أمام الجميع على تدخلاتهم التسلطية في أعمال الحكومة المنتخبة عن طريق ما يسمى بـ(مجلس الأمن القومي التركي) بشكل لا يمكن أن يحدث في أي بلد متحضر .

والأخذ والرد الحاصل من التدخل العسكري ضد حكومة (أربكان) ومحاولة إسقاطها بالتعاون مع الأحزاب العلمانية الهزيلة يكشف إلى أي مدى وصل العداء القائم بين الإسلام والعلمانية ، ويكشف أيضاً هلعهم من أي مظاهر إسلامية مهما كانت محدوديتها ، وهذا الخوف من عودة الإسلام مرجعه إلى الخوف على أنفسهم ؛ لكثرة ما طغوا وبغوا في البلاد ، فكم أذلوا الناس واستباحوا كرامتهم ؟ ، وكم أساؤوا إلى دينهم وعقيدتهم بدعوى الحفاظ على المبادئ الأتاتوركية ؟ ، ولا ندري لحساب من يجري هذا الإرهاب العلماني على الأمة والرفض المطلق للعودة لما تدين به الأمة وتعتز ؟ ولماذا الصمت المريب من المجتمع الدولي على خروقات الديمقراطية ! التي يهمهم أمرها ؟ .

إن العلمانية ليست كما يشاع مجرد فصل الدين عن الدولة ، بل هي في نهاية الأمر وحقيقته : فصل الدين عن الحياة ، ليتصرف الحاكمون بأمرهم على إشاعة الباطل وتدجين الأمة على قبول الهوان والتبعية للأعداء بتقنين الباطل وحكم الطاغوت .

ومن العجب أن يتحدث نفر من المنسوبين للإسلام بكل سذاجة وبورع بارد حينما يدعوننا ألا نتحدث عن خطر العلمانية ، وألا نفضح العلمانيين ، وألا نتهمهم بالخروج والضلال المبين .

كيف لا نتهمهم بكل ذلك وأهدافهم أصبحت مكشوفة للجميع ؟ وكيف لا نفضحهم وأفكارهم الرافضة للدين بانت لكل ذي عينين ؟ وكيف لا نحذر الناس من شرورهم وتلك هي مواقفهم واضحة من الإسلام وعلمائه ودعاته والمنتسبين إليه ؟ أين الحرية الشخصية التي تضمنتها دساتيرهم إياها ذرّاً للرماد في العيون؟ أين حقوق الشعوب في تعلم ما تدين به ؟ بل أين مظاهر الإسلام حتى الشكلية منها ؟ ! لقد أكد كثير من علماء الإسلام أن حقيقة العلمانية هي رفض للدين أن يكون حاكماً ، بتنحية الإسلام عن الحياة في كل الأمور ؛ والآن تقاتل العلمانية لمنع تحكيم الإسلام وعودته من جديد حتى بالوسائل الديمقراطية التي يتشدقون بها ليل نهار .

فما هو موقف علماء المسلمين منها ؟ .

يقول سماحة الشيخ (عبد العزيز بن عبد الله بن باز) أحد العلماء الأعلام في هذا العصر في إحدى فتاويه : (...

وقد أجمع العلماء على أن من زعم أن حكم غير الله أحسن من حكم الله ، أو أن هدي غير رسول الله -ﷺ- أحسن من هدي الرسول ، فهو كافر ، كما أجمعوا على أن من زعم أنه يجوز لأحد من الناس الخروج عن شريعة مُحَمَّد ، أو تحكيم غيرها ، فهو كافر ضال

ويضيف سماحته في فتوى أخرى

فالذين يتحاكمون إلى شريعة غير شريعة الله ، ويرون أن ذلك جائز لهم ، أو أن ذلك أولى من التحاكم إلى شريعة الله ، لا شك أنهم يخرجون بذلك عن دائرة الإسلام ، ويكونون بذلك كفاراً ظالمين فاسقين) مجموع فتاوى سماحته ، ج١ ، ص ٢٧٤ ، ص ٢٧٥ ، وانظر له أيضاً : العقيدة الصحيحة ، ونواقض الإسلام

هذه هي العلمانية أيها الناس وهذا هو حكمها ، فهي تلك التصورات القاصرة والمشبوهة عن الإسلام ، وأحكامه ، وأصوله ، وهذا ما يدين به رموز العلمانية في كل بلد مهما تظاهروا زوراً بخلاف ذلك .

فاعرفوا العلمانية حق المعرفة واكفروا بها ؛ لمصادمتها لدينكم ، ولمعارضتها لأصول عقيدتكم ، والواقع أكبر دليل على ذلك .. فإلى متى نتجاهل ذلك ، ونؤول الحقائق ؟ ، ثم حتى متى يتمسك بعض السذج بذلك الورع البارد الذي ينم عن مدى الجهل بالإسلام نفسه ؟ ! .

إننا نذكر الجميع بأن تلك هي مواقف العلمانية والعلمانيين من الإسلام ، وذلك هو حكم الإسلام فيهم : [فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً][النساء

لابد إذن من العمل بهذا الدين ولهذا الدين ، ولابد من جمع الناس على ما يحبه الله ورسوله من الاعتقادات ، والأقوال ، والأفعال ، ولابد من تحمل التبعات في سبيل ذلك ، ولابد أيضًا من الجهاد في سبيل الله ، وإعلان الحرب على كل محارب لله ورسوله حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله . ولا أحسب أني بذلك قد تحدثت عن واجب المسلمين كما ينبغي ، ولكن يكفي أن تكون تذكرة لنا جميعًا ، لعل الله ينفعنا بها .. اللهم آمين

الخاتمة

وختاماً نقول ، لقد أدى الغبش في هذه القضية إلى التفاف البعض حول الأحزاب العلمانية التي تجاهر بعلمانيتها لمجرد أنها تعد الناس بشيء من الرغد وتلوح لهم بحلول لمشكلة الغذاء والكساء والمسكن ، ولو رسخت حقائق الإسلام والولاء والبراء في النفوس ما التف حول هذه الأحزاب من الأمة رجل واحد ، وكيف يرضى بموالاتها رجل يؤمن بالله واليوم الآخر وهو يتلو آناء الليل والنهار قول الله تعالى: {لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم} [المجادلة: ٢٢].

وأية محادة لله ورسوله أكبر من أن تستعلن العلمانية بردها لشرائع الإسلام وتدعو بلا مواربة لإقصاء شرع الله عن الحياة بفصل الدين عن الدولة.

وأية محادة لله ورسوله أكبر من منزاعة الله تعالى في حق التشريع بالتحليل والتحريم.

أما آن لأهل السنة والجماعة أن ينتبهوا لهذه الأخطار الماحقة من الداخل والخارج والتي تهددهم في دنياهم وآخرتهم ؟

أما آن لهم أن يتكتلوا دفاعاً عن أنفسهم وعن وجودهم ودفاعاً عن عقيدتهم ؟.

أما آن لهم أن ينظموا صفوفهم ويعدوا لأعدائهم ما استطاعوا من عدة يرهبون بها عدو الله وعدوهم ؟

أما آن لهم -أو لكثير منهم- أن يتخلوا عن معاركهم الوهمية وخلافاتهم الجانبية والشكلية ليتفرغوا ويركزوا جهودهم المشتركة المادية والمعنوية لمواجهة هذه التحديات التاريخية والمعارك الفاصلة الحقيقية التي اقتربت ؟

وليعلم الجميع أن تعرية الأنظمة العلمانية وكشف عمالتها وتآمرها على الشعوب الإسلامية.. خطوة على الطريق الصحيح.

وأن فضح الزنادقة والمنافقين ممن أسبغ عليهم أعداء الإسلام ألقاب الزعامة والعبقرية في السياسة والأدب والفن... خطوة على الطريق الصحيح.

وأن شيوع العلم بأن تحكيم الشريعة الإسلامية يرتبط بأصل دين الإسلام وأن تحكيم القوانين الوضعية ردة صريحة عن الإسلام... خطوة على الطريق الصحيح.

وإن إحياء فريضة الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. خطوة على الطريق الصحيح.

وأن تعلم العلوم الشرعية وتعليمها والعمل بها.. خطوة على الطريق الصحيح.

أما آن لنا جميعاً أن تخشع قلوبنا للحق... أما آن لنا هذا ؟

{ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق }[الحديد: ١٦].

بقيت لنا كلمة في الختام ، نتوجه بها إلى أمة الإسلام في مشارق العالم الإسلامي ومغاربه.

إن العلمانية نبات نكِد خرج من تربة خبيثة ، ورد فعل خاطئ لدين محرَّف ، وأوضاع خاطئة وظروف غير طبيعية ، إنه لم يكن حتمًا على مجتمع ابتلى بدين محرف أن يخرج على كل دين ، بل الافتراض الصحيح أن يبحث عن الدين الصحيح.

وأولى من ذلك بالصحة أن ينأى المجتمع الذي هُدي إلى الدين الصحيح وعُوفي من بلاء الأديان المحرفة عن التردي في مثل هذا المستنقع الذي تردى إليه هؤلاء البائسون! وأن يظل على وفائه لدينه واستمساكه بشريعته!

إن العلمانية -كما سبق القول- ثورة على الشرائع السماوية ، وخلع لربقة العبودية ، واختراق صليبي للعقل السليم ، وامتداد سرطاني في جسد الأمة ، وأتباعها هم صنائع المستعمر وطلائعه على بلاد الإسلام! وهي لا تقل خطرًا عن القواعد العسكرية التي انتهكت بها سيادة أمة الإسلام على أرض الإسلام ، ولا عن النهب الاقتصادي الذي بددت به ثروات الأمة ، وتضخمت به الحسابات السرية في البنوك السويسرية لحساب حفنة من السراق الذين يلتهمون زاد الأمة مع الوحش ، ويقتسمون مالها مع المغير ، ويغتنمون ضلالها مع الحوادث!

<u>فإلى أمة الإسلام في المشارق والمغارب!</u>

الطريق لرفع رايه التوحيد

إن تحكيم الشريعة هو معقد التفرقة بين الإيمان والزندقة ، وإن العلمانية نقيض الإيمان ، فلا يضلنك دعاتها المارقون ، ولا يستخفنك الذين لا يوقنون!

وإلى شباب الصحوة الإسلامية في مختلف المواقع.

لقد يئس خصوم الإسلام من تجفيف منابعه ، وقد رضوا بالتحريش فيما بين أبنائه ودعاته ، فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم ، واستنفروا كل طاقاتكم لاستفاضة البلاغ بحقائق الإسلام والتصدي لأباطيل خصومه في إطار من الحكمة والبصيرة ، واحذروا أن تخرجكم استفزازات الخصوم إلى أعمال ارتجالية لا تصلح بها الدنيا ولا يقام بها الدين ، ولا يفيد منها في نهاية المطاف إلا هؤلاء الخصوم!

وإلى كل من استخفته هذه الدعوة الضالة وتورط في الانحياز لمعسكرها أو الترويج لأباطيلها:

بادروا إلى التوبة إلى الله والإنابة إليه ، فإن الله يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ، جدِّدوا إيمانكم بالله ربًّا ، وبالإسلام دينًا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيًّا ورسولاً.

فإن الإيمان بالله ربًّا يقتضي الإقرار بتفرده بالأمر والهداية كما يقتضي تفرده بالخلق والإبداع ، مع ما يعينه ذلك من تحكيم وحيه ، والتزام الطاعة لأمره ونهيه.

والإيمان بالإسلام دينًا يقتضي الإيمان به عقيدة وشريعة ، وأن شريعته هي الحاكمة على كل أفعال العباد حكامًا ومحكومين ، أفرادًا وجماعات.

والإيمان بمحمد × نبيًّا ورسولا يقتضي الانقياد لشرعه كما يقتضي التصديق بخبره ، وقد أقسم الله على نفي إيمان من لم يتحاكم إلى هدى نبيه × ويسلم له تسليمًا.

ومن قبل ذلك ومن بعده نتوجه إلى الله -جل وعلا- أن يبرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل طاعته ، ويذل فيه أهل معصيته ، ويؤمر فيه بالمعروف ، وينهى فيه عن المنكر ، وأن يقيض لها من يقود مسيرتها إلى الحق ، إنه ولي ذلك والقادر عليه...آمين.

فطوبى للغرباء

لست ممن يؤمنون أن الإسلام يمكن أن يقوم له سلطان في الأرض بألف كتاب يُكتب عنه ، ولا بالخطب والمواعظ... وإنما لا بد مع الكتب والخطب والمواعظ من مسلمين صادقين يمثلون الإسلام في واقع حيّ متحرك... واقع تراه العيون ، وتلمسه الأيدي ، وتلحظ آثاره العقول.

ثم إن هؤلاء المسلمين الصادقين لا بد لهم من العمل وبذل الجهد من المال والنفس والولد حتى يستطيعوا إخراج الأمة المسلمة من التبعية إلى الريادة ومن الاستضعاف إلى التمكين ، ومن الفرقة والضعف إلى الائتلاف والقوة.

فإن قال قائل من المسلمين: ليس بيدي شيء لمواجهة الأنظمة العلمانية ؟

قلنا: بل بيدك قوة عظيمة سمّاها الرسول ﷺ "جهاداً" ، وهي قوة الرفض بالقلب... قال عليه الصلاة والسلام: (ما من نبّي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب ، يأخذون بسنته ، ويقتدون بأمره. ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف ، يقولون ما لا يفعلون ، ويفعلون ما لا يؤمرون. فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك الإيمان حبة خردل] (رواه مسلم] ، فجهاد الأنظمة العلمانية يبدأ من الرفض والكره بالقلب ، والكره بالقلب ليس معناه أن يعتقد الإنسان في قرارة قلبه أن هذا منكر لا يرضى الله ، ثم يكون سلوكه مع هذا المنكر بعد ذلك هو نفس سلوك الراضي به المقبل عليه.

بل لا بد من اعتزال باطل العلمانية وعدم مظاهرة القائمين عليه بالعمل... وهذا يعني البراءة من كل منهج وتشريع يخالف شريعة الله ، ومعاداة القائمين عليه ، وعدم الاعتراف بشرعية أنظمتهم.

وإذا كانت الأنظمة العلمانية تستطيل علينا بانهزامنا أمامها ، فلنجاهدها بتماسكنا ، وإذا كانت الأنظمة العلمانية تحتاج في بقائها لمناصرتنا وموالاتنا ، فلنسعى في إسقاطها بمنع النصرة والموالاة عنها ...وليكن موقفنا منها هو المعاداة والمقاطعة.

وليعلم المسلم أن المسؤولية عن الإسلام هي مسؤولية كل من شهد أن لا إله إلا الله مُحَمَّد رسول الله ، على اختلاف في الدرجات ، باختلاف القدرات والمواقع والظروف ، وليعلم أن الإسلام بحاجة لجهده وإن قل... فلا يستسلم ولا يستكين ولا ينعزل داخل كيانه الفردي.

الطريق لرفع رايه التوحيد

قال عز وجل} :وكأين من نبي قاتل معه ربّيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله ، وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين} [آل عمران: ١٤٦.[
وليوقن كل مسلم أن الباطل إذا لم تذيبه ، فإنه يذيبك.
والإنسان لا يستطيع أن يعيش طويلاً بعقيدة وتصور وقيم تخالف واقعه ، وهو لا بد أن يسعى لتغيير الواقع المخالف لعقيدته وتصوره وقيمه ، وإلا فإن استقرار الواقع المخالف لتصوراته وقيمه ، يهدد هذه القيم وتلك التصورات بالتغيير... وأكبر شاهد على ما نقول هو واقع المجتمعات عن التصور الإسلامي الصحيح... بعد واقعها عن النظام الإسلامي للحياة ونُحّيت شريعة الله عن الحكم.

ثم إن هذه التنحية لشريعة الله وفصل الدين عن الحياة... أخذ بدوره يبعدها عن الصور الإسلامي من جديد... وهكذا ظلت المجتمعات الإسلامية تدور في هذه الحلقة المفرغة حتى أصبحت غريبة غربة كاملة عن الإسلام... وظهرت فيها آلهة تمشي على الأرض... زعماء وكبراء وقادة... يزعمون لأنفسهم حق التشريع المطلق للشعوب... يحلّون ما يشاءون ، ويحرّمون ما يشاءون ، ويعطلون من أحكام الله ما يشاءون!
وبعد أن كانت قضية تفرد الله عز وجل بحق التشريع المطلق بديهية في عقل وحس كل مسلم ، رأينا من علماء الضلال ، وخطباء الفتنة من يُلَبّس على المسلمين هذه البديهية ، ويطرح للبحث إمكانية إشراك الله عز وجل في التشريع والحكم مع القادة والحكام و... إلى آخر هذه الدواب الحقيرة
وصدق رسول الله ﷺ: (بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ ، فطوبى للغرباء) [رواه مسلم] ، ولقد بدأ الإسلام بدعوة التوحيد الخالص في وجه الشرك... ولقد عاد الإسلام يواجه الشرك في صوره الجديدة ...بدعوة التوحيد الخالص من جديد.
فمن يا ترى أولئك الغرباء السعداء بدعاء رسول الله ﷺ لهم بالحسنى ؟ إنهم الذين يحملون راية التوحيد الخالص في وجه الشرك من جديد... ليبدؤوا الجولة الثانية كما بدأ أصحاب رسول الله الجولة الأولى.
إنهم الذين يحملون رسالة هذا الدين لكل البشرية بالنجاة من الشرك ...ليخرجوا من شاء الله من عبادة العباد إلى عبادة الله الواحد.
وهذا هو القرآن حاضر... وريح الجنة تفوح من بعيد... لا... بل من قريب.

قريب جداً وهانحن جميعا نرى الفجر قد لاح وانفلق نوره ليملأ الدنيا رحمة وعدلا كما ملئت ظلماً وشركاً
ونسأل الله أن يوفقنا إلى طاعته ويجهل عملنا فى رضاه وأن يستعملنا ولا يستبدلنا

ونسأله سبحانه أن يجعلنا من أنصار دينه وسنة نبيه وعباده الموحدين . آمين .
وصلى الله على نبينا مُحَّد وعلى آله وصحبه وسلم

القسم الثالث

الجهاد طريق النصر و العزه"١"

(١)القسم الثلث تلخيص من "كتاب خُماسية الجهاد كيف تكون مجاهداً سُنياً في سبيل الله
الإرشاد إلى طريق الجهاد" تأليف فضيلة الشيخ أبو سلمان عبد الله بن مُحَّد الغليفي رحمه الله وغفر له
غليفة - مكة المكرمة

قال الله عز وجل
"
"فلْ يقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (٧٤) وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا (٧٥) الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا" (٧٦) النساء.

قال رسول الله —ﷺ—
"أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله تعالى "
(متفق عليه وأخرجه أصحاب الصحاح والسنن والمسانيد والمعاجم)

"إن الجهاد ماض إلى يوم القيامة ، فالدعوة والجهاد متلازمان لاينفك أحدهما عن الآخر ، فقوام الدين قرآن يهدي وسيف يقوم "شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله).

"أخي فامض لا تلتفت للوراء طريقك قد خضبته الدماء
ولا تلتفت هاهنا أو هناك ولاتتطلع لغير السماء "
(الأستاذ الشيخ سيد قطب -رحمه الله)—

مقدمة

الطريق لرفع رايه التوحيد

بسم الله الواحد القهار القوي العزيز الجبار هازم الأحزاب ومهلك الكفار ومعز المجاهدين ومذل المنافقين الفجار ومؤيد بنصره وبتوفيقه الموحدين الأبرار ، وصلي الله وسلم وبارك على النبي المصطفى المختار الذي أرسله سبحانه بين يدي الساعة ليعبد الله وحده وأيده بالهدى والفرقان والسيف والسنان – صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ورضي عنهم وألحقنا بهم على درب الشهادة والتوحيد والجهاد نصرة لدين الرحمن ....

الحمد لله حمدا حمدا والشكر له سبحانه شكرا شكرا ، اللهم لك الحمد كله ولك الشكر كله وإليك يرجع الأمر كله .

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن مُحَمَّدا عبده ورسوله ..أما بعد ...

فإن أصدق الحديث كلام الله وخير الهدي هدي مُحَمَّد –صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم –وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار ...

اللهم ارفع راية التوحيد وأقم علم الجهاد واقمع أهل الزيغ والضلال والفساد ، اللهم اجعلنا من أنصار دينك وسنة نبيك –صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم –وعبادك الموحدين ، اللهم إنا نسألك حسن الخاتمة ، نسألك يا ربنا أن تجعلنا من الدعاة إلى توحيدك المتحققين به قولا وعملا ظاهرا وباطنا ، اللهم اجعلنا ممن يدل العباد عليك ويربط القلوب بك وحدك

اللهم ارزقنا حسن الخاتمة وشهادة في سبيلك ترضى بها عنا ، شهادة تمحو بها الخطايا والذنوب تكون نصرة للمجاهدين ونكاية في الكافرين أعداء الدين اللهم لا تحرمنا من فضلك العظيم يا رب العالمين .

إن الحديث عن الجهاد حديث عظيم جليل يثير النفوس شوقا إلى أرض العزة أرض الجنة وليس لمثلي التحدث عن هذه الشعيرة العظيمة التي هي ذروة سنام الإسلام لأنه لا يحسنها إلا من مارسها عملياً وحمى الحمى وحرس الثغور ورابط عليها وجالد الكفار وصابر الليل والنهار ، هؤلاء أهل الجهاد وأهل الرباط والثغور وهم أحق الناس بالحديث عن الجهاد ولا يقبل إلا منهم ولا يفتي في شئونه وأحواله وأحكامه إلا هم.

أما القاعدون مثلنا فلا يجوز أن نتكلم بجهل عن واقع لا نعرفه ولا عن مناط لم نعايشه ، والكلام النظري شيء والفقه في الكتب شيء ، أما تحقيق ذلك على أرض الواقع فشيء آخر لذلك فإن ابن المبارك –رحمه الله –عندما تكلم عن الجهاد وهو أول من صنف فيه استقلالا تجد الكلام فيه روح حية تسري في النفوس وتدخل إلى القلب مباشرة ، فهذه الكلمات الحية التي تدخل إلى القلب بدون استئذان ما جاءت إلا من قلب شغوف بالجهاد والقتال في سبيل الله ومارسه قولا وعملا فهذا العالم العامل العبد المجاهد التقي النقي الخفي الورع الزاهد عندما تسمع اسمه يذكرك بالجهاد وهؤلاء والله هم الأحياء والصحابة من قبله –رضي الله عنهم أجمعين وجمعنا بهم في عليين –فتحوا البلاد وقلوب العباد بالدعوة والجهاد نصرة لدين الله وانقياداً لأمر الله فطوبى لهم وهنيئا لمن سار على دربهم .

أولاً فضل الجهاد والمجاهدين في سبيل الله

وقبل أن نتكلم عن الجهاد لا بد وأن نذكرتعريفه وفضله ومنزلته في الإسلام حتى يعرف المجاهد قيمة العمل الذي يقوم به ويقدم عليه حتي تتوق نفسه وتتشوق إلي منازل الشهداء وما أعد الله لهم فى الجنان وما بُشروا به فى الحياة الدنيا نسأل الله من فضله العظيم ونسأله سبحانه أن يرزقنا شهادة فى سبيله يرضى بها عنا

تعريف الجهاد:

لغة: الجهاد مصدر جاهد جهادا ومجاهدة ، وجاهد فاعل من جهد إذا بالغ في قتل عدوه وغيره ، ويقال: جهده المرض ، وأجهده إذا بلغ به المشقة ، وجهدت الفرس ، وأجهدته إذا استخرجت جهده ، والجهد بالفتح المشقة ، والضم الطاقة ، وقيل: يقال بالضم وبالفتح في كل واحد منهما فمادة (ج هـ د) حيث وجدت ففيه معنى المبالغة. المطلع على أبواب المقنع للبعلي ص ٢٠٩.

وشرعاً: بذل الجهد في قتال الكفار خاصة بخلاف المسلمين من البغاة وقطاع الطريق وغيرهم.

قال الحافظ: " الجهاد شرعا بذل الجهد في قتال الكفار ويطلق أيضا على مجاهدة النفس والشيطان والفساق ، فأما مجاهدة النفس فعلى تعلم أمور الدين ثم على العمل بها ثم تعليمها ، وأما مجاهدة الشيطان فعلى ما يأتي به من الشبهات وما يزينه من الشهوات ، وأما مجاهدة الكفار فتقع باليد والمال واللسان والقلب ، وأما مجاهدة الفساق فباليد ثم اللسان ثم القلب (. فتح الباري (٦ / ٣) .

وجنسه فرض عين كما قال ابن القيم وغيره إما بالقلب وإما باللسان وإما بالمال وإما باليد فعلى كل مسلم أن يجاهد بنوع من هذه الأنواع زاد المعاد لابن القيم (٣ / ١ - ١٠

فالجهاد هو استفراغ الوسع والطاقة في محاربة ومدافعة العدو ،وهذا العدو قد يكون ظاهراً كمحاربة الكفار ، وقد يكون باطناً كمحاربة النفس والشيطان.

وكل هؤلاء في نظر الإسلام أعداء تجب مجاهدتهم ومحاربتهم ويشملهم قوله سبحانه وتعالى {وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ}الحج ٧٨

وأشمل تعريف للجهاد هو تعريف شيخ الإسلام **ابن تيمية** حيث قال: "والجهاد هو بذل الوسع - وهو القدرة في حصول محبوب الحق ، ودفع ما يكرهه الحق وذلك لأن الجهاد حقيقته الاجتهاد في حصول ما يحبه الله ، ومن الإيمان والعمل الصالح ومن دفع ما يبغضه الله من الكفر والفسوق والعصيان".

فهذا التعريف شامل لكل أنواع الجهاد ، فيشمل جهاد الإنسان لنفسه وجبرها على طاعة الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه وجهاد الشيطان الذي هو ألد أعداء المسلم ، وجهاد الكفار في سبيل نشر الدين الإسلامي وإعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى.

فالجهاد بمعناه العام: هو بذل الوسع والطاقة في مجاهدة الأعداء كالنفس والشيطان ، والكفار ، والمنافقين وهو فرض عين على كل فرد من أفراد الأمة ، ولا ينوب في جهاد النفس والشيطان أحد عن أحد.

والجهاد بمعناه الخاص: هو قتال الكفار لإعلاء كلمة الله ونشر دينه وما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في تعريف الجهاد فهو تعريف شامل لكل أنواع الجهاد فيشمل جهاد الإنسان لنفسه ، وجبرها على طاعة الله ، وجهاد الشيطان الذي هو ألد أعداء المسلمين ، وجهاد الكفار في سبيل نشر الدين الإسلامي.

فالجهاد بمعناه الخاص وهو جهاد الكفار فرض كفاية ، إذا قامت به طائفة من المسلمين قياماً كافياً سقط الإثم عن الباقين وإلا أثموا جميعاً.

ولا يكون الجهاد بمعناه الخاص فرض عين إلا في ثلاثة مواضع لايشترط إذن والدين ولاإمام ولا سيد ولاصاحب دين بل يتعين على كل مطيق للجهاد مستطيع له من رجل وامرأة حر وعبد :

أ- إذا هجم الأعداء على بلاد المسلمين ، ونزلوا بها ، تعين على كل فرد من أفراد المسلمين جهادهم ، ودفع ضررهم.

ب- إذا التقى الزحفان ، وتقابل الصفان ، تعين على كل فرد من المسلمين الثبات أمام الأعداء ، ويحرم عليه الفرار من أمامهم.

ج-إذا عين إمام المسلمين قوما للجهاد ، واستنفرهم لذلك ، وجب عليهم أن يطيعوه وينفروا إلا من له عذر قاطع.

وبهذا التعريف يتضح أن الجهاد في سبيل الله ، ولإعلاء كلمته ، ونشر دينه ، يعد من أفضل الأعمال بعد فروض الأعيان ، لأن المجاهد يضحي بأغلى ما يملك ، وهي نفسه العزيزة المحبوبة إليه ، ويجود بها وهذا أقصى غاية الجهود ، كل ذلك لتكون كلمة الله هي العليا مع نيل ما أعده الله للمجاهدين ، في الدنيا من النصر والغنيمة ، وفي الآخرة بالجنة التي هي من أهم وأعظم جزاء يعده الله سبحانه وتعالى لعباده المجاهدين في سبيله.
"

ولا يرتاب مسلم فى أن الجهاد فى سبيل الله أحد شعائر الدين الكبرى ,وأنه إحدى هذه العبادات التى حفظت للأمة كيانها ومجدها والتي أزالت العوائق المادية والمعنوية من طواغيت ونظم أرضية أزالتها من طريق الدعوة حتى أخذ الناس حريتهم فى الدينونة لله رب العالمين على منهج هذا النبى الخاتم مُحَمَّد صلى الله علية وسلم فدخلوا فى دين الله أفواجا وتظهر أهمية هذه الشعيرة من خلال ذلك الحشد الكبير من نصوص الكتاب والسنة فى باب تشريع الجهاد وفضلة وأهدافه وغاياته الأمر الذى جعله فى منزلة عالية فى هذا الدين فى سنام الدين بل فى ذروة سنامه

ولا يخفى على مسلم أن من مظاهر قوة سلف هذه الأمة هو قيام علم الجهاد بل وفى قرون عديدة فى خَلف الأمة .

كما لا يخفى أيضاً على كل مسلم واع أن من أسباب هزيمة الأمة وضياعها اليوم غياب راية الجهاد وأن أعداء هذا الدين الخارجين من اليهود والنصارى والذين أشركوا وكذلك أعداءها في الداخل من منافقين ومرتدين وعلمانيين قد مكروا مكرهم في طمس هذه الراية وقتلها في نفوس الأمة لأنهم يدركون أن

الطريق لرفع رايه التوحيد

الجهاد هو الطريق لأن تتسنم الأمة مكانها ألائق بها على هدى من منهج ربها ونحن ندرك أن طريق الخلاص من هذا المئذق التاريخي الذى دخلته الأمة هو عودة الجهاد والتربية الجهادية وأن طريق عودتها من هذا الضياع الذى نعيشه هو العودة إلى ربها وإقامة شعائر دينها وعلى ذروة سنامه الجهاد فى سبيل الله "ا.هـ" أهداف الجهاد وغايته ص٥-٦

فمنزلة الجهاد فى الإسلام عظيمة جليلة ذكرها الله وقررها فى القرآن ترغيباً للمجاهدين وتميزاً لهم عن القاعدين فقال سبحانه "لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (٩٥) دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٩٦)"النساء

وقال تعالى " فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (٧٤) " النساء

وقال عز وجل {أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٩) الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠) يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ (٢١) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (٢٢) "التوبة

وقال سبحانه "إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١) التوبة

وقال تعالى "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (١٥) "الحجرات
وقال تعالى واصفاً الجهاد بالتجارة الرابحة التى لا خسارة فيها فى الدنيا والآخرة "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (١٣)"الصف

والآيات فى فضل الجهاد والمجاهدين كثيرة جداً وأن فضائل الجهاد فى السنة الصحيحة لا تنحصر ودواوين السنة مليئة بها ومن ذلك:

أن الجهاد أفضل الأعمال على الإطلاق بعد الإيمان والصلاة المكتوبة

ودليل ذلك ما رواه البخاري ومسلم عن بن مسعود رضي الله عنه قال "سألت رسول الله صلى الله علية وسلم أي الأعمال أفضل ؟قال الصلاة على وقتها قلت ثم أي ؟ قال بر الوالدين قلت :ثم أي ؟قال الجهاد فى سبيل الله "

وثبت فى الصحيحين أيضاً من حديث أبى هريرة رضي الله عنة قال

"سئل رسول الله صلى الله علية وسلم أي الأعمال أفضل ؟قال إيمان بالله ورسوله قيل :ثم ماذا

قال الجهاد فى سبيل الله قيل ثم ماذا ؟قال حج مبرور "

وفى الصحيحين عن أبى ذر رضي الله عنة قال سألت رسول الله ﷺ أى الأعمال أفضل ؟ قال إيمان بالله وجهاد فى سبيله "فالجهاد أفضل من الحج وأفضل من الأذان وأفضل من سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام بل إن الجهاد أفضل الأعمال على الإطلاق

بل الجهاد فى سبيل الله أحب الأعمال إلى الله وأن المجاهد أفضل الناس

قال اللهِ تعالى." لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (٩٥) دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٩٦)"النساء

وعن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال :أتى رجل رسول الله صلى الله علية وسلم فقال أي الناس أفضل ؟ قال " :مؤمن يجاهد بنفسه وماله فى سبيل الله قال :ثم من ؟ قال " :رجل معتزل فى شعب من الشعاب يعبد ربه ويدع الناس من شره "رواه البخاري ومسلم

فالجهاد أفضل من العزلة والتفرغ للعبادة فعن أبى هريرة رضي الله عنه قال "مر رجل من أصحاب رسول الله صلى الله علية وسلم بشعب فيه عيينة من ماء عذبه فقال لو اعتزلت الناس فأقمت فى هذا الشعب ؟ ولن أفعل حتى أستأذن رسول الله صلى الله علية وسلم فذكر ذلك لرسول الله صلى الله علية وسلم فقال "لا تفعل فإن مقام أحدكم فى سبيل الله أفضل من صلاته فى بيته سبعين عاماً ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة ؟ أغزوا فى سبيل الله من قاتل فى سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة "حديث صحيح رواه الترمذي والبيهقى والحاكم

يقول الإمام ابن النحاس بعد أن ساق هذا الحديث" ياهذا يا ليت شعري من يقوم مقام هذا الصحابي فى عزلته وعبادته وطيب مطعمه .ومع هذا فقد قال له النبي صلى الله علية وسلم لا تفعل ,وأرشده إلى الجهاد ,فكيف لواحد منا أن يتركه مع أعمال لا يوثق بها مع قلتها وخطايا لا ينجي معها لكثرتها وجوارح لا تزال مطلقةً فيما منعت منه ونفوس جامحة إلا عما نهيت عنه ومآكل حكم حلها عند رازقها وخواطر علم أصلها عند خالقها ونيات لا يتحقق إخلاصها وتبعات لا يرجى بغير العناية خلاصها ,ثم أنظر في خواتم الأعمال مجال الخطر وعظائم الأوحال ,فالسعيد من وفقه الله للجهاد ويسره عليه والشقي من جبن فغبن وظهر الخسران عليه ,اللهم يسر علينا الجهاد ويسرنا له واجعلنا بفضلك ممن رام أمراً فناله وقرنت بالتوفيق أحواله وأفعاله "انك قريب مجيب " المشارع ١٥٣

وقد استجاب الله دعاء بن النحاس فمات شهيداً في دمياط فهنيئاً له

.ومما يدل علي أن الجهاد أفضل من العبادة والتفرغ لها وأن هذا كان ديدن السلف ما ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء عن عبد الله بن مُحَمَّد قاضي نصيبين قال حدثني مُحَمَّد بن إبراهيم بن أبي سكينه :قال أملي علي عبد الله بن المبارك هذه الأبيات بطر سوس وأرسلها معي إلى مكة إلي الفضيل بن عياض في سنة سبع وسبعين ومائه وهي :

ياعابد الحرمين لو أبصرتنا	لعلمت أنك في العبادة تلعب
من كان يخضب خده بدموعه	فنحورنا بدمائنا تتخضب
أو كان يتعب خيله في باطل	فخيولنا يوم الصبيحة تتعب
ريح العبير لكم ونحن عبيرنا	رهج السنابك والغبار الأطيب
ولقد أتانا من مقال نبينا	قولٌ صحيح صادق لا يكذب
لايستوي وغبار خيل الله في	أنف امرئ ودخان نار تلهب
هذا كتاب الله ينطق بيننا	ليس الشهيد بميت لا يكذب

قال :فلقيت الفضيل بكتابه فلما قرأه ذرفت عيناه ثم قال صدق أبو عبد الرحمن ونصحني .

ومن فضائله أن أحداً لا يستطيع عملاً يعدل الجهاد فى سبيل الله

ودليله ماوراه البخاري ومسلم عن أبى هريرة رضي الله عنة قال

قيل يارسول الله مايعدل الجهاد فى سبيل الله ؟قال لا تستطيعونه .فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثاً كل ذلك يقول لا تستطيعونه "ثم قال مثل المجاهد فى سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفطر من صلاة ولا صيام حتى يرجع المجاهد فى سبيل الله "

وفى رواية للبخاري أن رجلاً قال يارسول الله دلني على عمل يعدل الجهاد قال لا أجده ثم قال هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر وتصوم ولا تفطر فقال ومن يستطيع ذلك .

قال ابن النحاس رحمة الله –فإذا كان ألو الهمم العلية والنفوس الأبية والشهامة الدينية المضاعفة أجورهم بالصحبة النبوية الفائزون بالسبق إلى كل كمال ,الحائزون من رتب الاجتهاد كل مقام عال لا يستطيعون عملاً يعدل الجهاد فكيف تقر أعين أمثالنا من غير اجتهاد وكيف تسكن إلى الأعمال اليسيرة بالهمم الدنية الحقيرة مع ما يشوبها من الرياء وعدم الإخلاص والدسائس التى لا يكاد يرجى معها خلاص ,اللهم ايقذنا من هذه الغفلة ووفقنا للجهاد فى سبيلك قبل حلول النقلة فأنت المرجو لكل خير ولا حول ولا قوة إلا بالله "المشارع ١٤٩

ومنها أن رهبانية هذه الأمة وسياحتها الجهاد فى سبيل الله .

قال الله تعالى "التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (١١٢) " التوبة

روى مسلم وغيره عن أبي مسعود الأنصاري قال ، قال رسول الله ﷺ "الدال على الخير كفاعله وأن لكل أمه رهبانيه وأن رهبانية هذه الأمة الجهاد فى سبيل الله عز وجل اللهم بارك لأمتي فى بكورها "

وعن أبي أمامة رضى الله عنه أن رجلا استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السياحة فقال "إن سياحة أمتي الجهاد فى سبيل الله عز وجل " حديث صحيح رواه أبو داود والحاكم فى المستدرك ووافقه الذهبي

قال الإمام ابن النحاس –رحمة الله وعفا عنه –لما كانت السياحة هي السير فى الأرض على سبيل الفرار من الأغيار ,والنظر إلى الآثار بعين الاعتبار سمى الجهاد فى سبيل الله سياحة لأنه فرار من الوجود والسير إلى المعبود على قدم الإيمان والتصديق بالموعود ,ونظر للنفس بعين الإنصاف فى تسليمها للمشترى خروجاً من عالم الخلاف وشتان بين سائر بنفسه ينزهها وبين من هو مجتهد عليها ليتلفها ,هذا هو السائح يقيناً والبائع نفسه بالربح الأعظم فوزاً مبينا "المشارع ١٦٨

ومنها أن ذروة سنام الإسلام الجهاد فى سبيل الله تعالى .

وإنما شبه الجهاد بذروة السنام لأن من تسور ذروة السنام فقد حكم على جميع أجزاء البعير كذلك من رزقه الله الجهاد فقد أناله جميع مافى الإسلام من أجزاء الفضل ,لأن نوم المجاهد أجر وسفره أجر ونفقته أجر ,ونصبه أجر ,وخوفه أجر ,وظمأه أجر ,وجوعه أجر ,وحركاتة كلها أجر بل وبول فرسه وعرقه وعلفه كل ذلك فيه أجر كما سيأتي إن شاء الله فى فضل المجاهد فى سبيل الله وقد مر أن الجهاد أفضل من الحج قال أدم بن على سمعت ابن عمر رضي الله عنهما يقول لسفرة فى سبيل الله أفضل من خمسين حجة "رواة أبن المبارك وهو صحيح

يقصد بها التطوع لأن حجة الإسلام إنما تكون أفضل من جهاد الكفاية وأما إذا صار الجهاد فرض عين فهو مقدم على حجة الإسلام قطعاً لوجوب فعله على الفور دون إذن الوالدين والدائن لأنه فرض عين على الجميع .

ومنها أن الجهاد باباً من أبواب الجنة والجنة تحت ظلال السيوف

فقد روى مسلم فى صحيحه عن أبى بكر بن موسى الأشعري قال سمعت أبى وهو بحضرة العدو يقول "قال رسول الله ﷺ "إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف فقام رجل رث الهيئة وقال يا أبا موسى أنت سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا ؟ قال نعم فرجع إلى أصحابه فقال :أقرأ عليكم السلام ثم كسر جفن سيفه فألقاها ثم مشى بسيفه إلى العدو فضرب به حتى قتل "كتاب الإمارة

وهذا فيه رد على منكري العمليات الاستشهادية والانغماس كما ينكرها دعاة الإنبطاح والتخاذل والتراجعات وسيأتي تفصيل هذه المسألة إن شاء الله ،وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله علية وسلم "جاهدوا فى سبيل الله فإن الجهاد فى سبيل الله باب من أبواب الجنة ينجى الله تعالى به من الهم والغم "حديث صحيح رواة عبد الرزاق وأحمد بإسناد جيد والطبرى والحاكم ووافقه الذهبي

ومنها أن الجهاد أقصر الطرق إلى الجنة

روى مسلم فى صحيحه عن أنس رضي لله عنه قال أنطلق رسول الله ﷺ وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر وجاء المشركون ,فقال رسول الله ﷺ لايقدمن أحد منكم إلى شيء حتى أكون أنا دونه)أي قدامه "فدنا المشركون فقال رسول الله صلى الله علية وسلم "قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض " قال عمير بن الحمام يارسول الله عرضها السماوات والأرض ؟ قال نعم قال بخ بخ ,فقال رسول الله ﷺ مايحملك على قولك بخ بخ ؟ قال لا والله يارسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها قال فإنك من أهلها فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن ثم قال إن أنا حييت حتى أكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة فرمى بما كان معه من تمرات ثم قاتلهم حتى قتل رضي الله عنه "وفى رواية قال يارسول الله ما بيننا وبين الجنة إلا أن نقاتل هؤلاء فقال نعم فقاتل حتى قتل

نعم ياعبد الله إن الجهاد فى سبيل الله أقصر الطرق إلى الجنة وإن كانت الجنة لها أبواب كثيرة وطرق عديدة لكن أقصر الطرق إلى الجنة الجهاد والاستشهاد فى سبيل الله فهل اشتقت إلى الجنة وتاقت نفسك إليها ؟ والتمتع بنعيمها والتلذذ بالنظر إلى وجه الرحمن ومجاورة النبي العدنان والصحب الكرام هل إشتقت إليها كما أشتاق إليها سيف الله المسلول على الكفار والمرتدين والمشركين خالد بن الوليد "ماليلة تهدى إلى فيها عروس أنا لها محب أو أبشر فيها بغلام أحب إلى من ليلة شديدة البرد كثيرة الجليد فى سرية أصبح فيها العدو فعليكم بالجهاد ثم قال رضي الله عنه لقد منعني كثير من القرآن

الجهاد فى سبيل الله عز وجل "[1]وما يفيد القرآن فى عقول لا تفهم عن الله وما يفيد القرآن فى أناس ما فهموا لا إله إلا الله ولم يعملوا به فهو عليهم عمى ,ولكن من تعلم القرآن وعمل به فحتماً سيجاهد لأن قوام الدين قرآن يهدى وسيف يقوم وأهل القرآن حقاً هم أهل الثغور ,وليس هذا تقليلاً من شأن حفظة القرآن ولكن هي دعوة لفهمه والعمل به والانقياد له "فيا أيها الموحد قطع علائق الدنيا من قلبك وأقبل على ربك وجاهد كل من كفر وتجبر وحارب الإسلام والمسلمين وقل لنفسك كما قال عبد الله بن رواحه رضي الله عنه أي نفسي إلى أي شيء تتوقين إلى فلانة فهي طالق ,وإلى فلان وفلان غلمان له فهم أحرار , وإلى حائط له فهو لله ورسوله ثم أنشد

أقسمت يانفسى لتنزلنه لتنزلنه أو لتكرهنه
إن أجلب الناس وشدوا الرنه مالي أراكي تكرهين الجنة
قد طال ماكنت مطمئنة هل أنت إلافى نطفة فى شنه
يانفس إن لا تقتلى تموتي هذا حمام الموت قد صليت
وما تمنيت فقد أعطيت إن تفعلي فعلهما هديت
وإن تأخرت فقد شقيت

يريد صاحبيه زيد وجعفراً ثم نزل .فأتاه ابن عم له بعرق لحم فقال شد بهذا صلبك فإنك قد لقيت يومك هذا فأخذه من يده فانتهش منه نهشه ثم سمع الحطمة فى ناحية الناس فقال أنت فى الدنيا فالقاه من يده ثم نزل إلى القتال فطعن فستقبل الدم بيده فدلك به وجهه ثم قاتل حتى قتل صريعا بين الصفين رحمه الله ورضي عنه وعن صحابة رسول الله ﷺ المجاهدين الأبطال الأتقياء الأبرار وهكذا يكون الأبطال الشجعان المؤمنون يرجون ماعند الله ولا يهابون المنون وإنها لفتنة وكفا ببارقة السيوف فتنة نسأل الله الثبات وحسن الخاتمة

ومنها أن السير إلى الجهاد خير من الدنيا وما فيها ولو مات أثناء سيره دخل الجنة.

جاء فى الصحيحين عن أنس ابن مالك رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لغزوة فى سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها ولقاب قوس أحدكم من الجنة أو موضع فيد –يعنى صوته خير من الدنيا وما فيها ولوأن امرأة من أهل الجنة اطلعت على أهل الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأته ريحا ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها "قال النووي فى شرحه لمسلم ومعنى الحديث أن فضل الغدوة والروحة فى سبيل الله وثوابها خير من على الدنيا كلها لو ملكها إنسان وتصور تنعمه بها كلها لأنه زائل ونعيم الآخرة باق وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ لروحة فى سبيل الله أو غدوة خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب ولقاب قوس فى الجنة خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب" رواه البخاري فهنيئاً لك أيها السائر إلى الله فى طريق الجهاد

بل من اغبرت قدماه فى سبيل الله مجاهداً له أجر

قال رسول الله صلى الله علية وسلم من أغبرت قدماه فى سبيل الله حرمه الله على النار "رواه البخاري وقد مر معك قول الإمام المجاهد العالم عبد الله بن المبارك لعابد الحرمين الفضيل فى ذلك وعن عبد الله بن مسعود قال :كنا يوم بدر كل ثلاثة على بعير قال :وكان أبو لبابة وعلى ابن أبى طالب زميلي رسول الله ﷺ قال فكان إذا كان عقبةرسول الله ﷺ(نوبته لينزل ويركب غيره) قال :يارسول الله نحن نمشى عنك فيقول "ما أنتما بأقوى منى وما أنا بأغنى عن الأجر منكما "حديث صحيح المستدرك

وفى هذا الحديث النص على الأجر فى المشي فى سبيل الله واستحباب ألا يتميز الأمير عن رعيته بشئ من الراحة بل يشاركهم فى ماهم فيه من النصب والوصب "وبيان ما تقتدي المروءة من عدم تخصيص الإنسان بشئ دون رفقته وإن خصصوه واستحباب إثار الرفقة أفضلهم بما فيه الراحة وبيان ماوهب الله نبينا مُحَمَّد ﷺ من التواضع مع كونه أفضل الخلق أجمعين وفيه أن الأمير قدوة فى الرحمة والعمل والنصح والبذل والعطاء ومن تميز عن جنوده فقد تجاوز وخالف الهُدى وهلك وسيأتى تفصيل ذلك عند الحديث عن كيف نجاهد وصفات القائد الناجح بعون الله وتوفيقه

ومنها فضل الجرح فى سبيل الله تعالى

---

(١)رجالهما رجال الصحيح إنظر الجاهد لإبن المبارك ومجمع الزوائد للهيثمى والإصابه لأبن حجر عن المشارع لابن النحاس ص٢٠٣

جاء فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال "لايكلم أحد فى سبيل الله والله أعلم بمن يكلم فى سبيله إلا جاء يوم القيامة وجرحه يثغب اللون لون دم والريح ريح مسك فستبشر أيها المجاهد يامن حبست فى سبيل الله فأبشر يامن أصبت فى سبيل الله أبشر بهذه البشرة الطيبة من رسول الله ﷺ

هذه هى بعض فضائل الجهاد فى سبيل الله فهل تعلق قلبك بالجهاد ونصرة دين الله هل اشتاقت نفسك لما أعده الله للمجاهدين فتعال مع أخي الحبيب لنتعرف على بعض من فضائل المجاهدين

من فضائل المجاهد فى سبيل الله

قال الله تعالى "لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (٩٥) دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٩٦) " النساء

قال تعالى " فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (٧٤) " النساء

وقال سبحانه "الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠) يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ(٢١)خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (٢٢) التوبة

وقال عز وجل "إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١) "التوبة

ومنها أن المجاهد أفضل الناس

لما رواه أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال "أتى رجل رسول الله ﷺ فقال :أي الناس أفضل ؟ قال "مؤمن يجاهد بنفسه وماله فى سبيل الله قال ثم من "قال رجل معتزل فى شعب من الشعاب يعبد ربه ويدع الناس من شره "البخاري ومسلم

ومنها أن المجاهد خير الناس وأكرمهم على الله تعالى

خرج بن المبارك والترمذى وحسنه النسائي وابن حبان فى صحيحه عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ خرج عليهم وهم جلوس فى مجلس لهم فقال "ألا أخبركم بخير الناس منزلاً ؟ قالوا بلى يارسول الله قال رجل أخذرأس فرسه فى سبيل الله حتى يموت أو يقتل" ورواه الحاكم فى المستدرك بإسناد صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي

ومنها أن نوم المجاهد أفضل من قيام غيره الليل وأن الطاعم فى سبيل الله كالصائم فى غيره سرمداً فهذا أجرعظيم للمجاهد فى سبيل الله لا يدانيه ولا يقترب منه أحد فى الأجر

فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول "إن مثل المجاهد فى سبيل الله –والله أعلم بمن يجاهد فى سبيله –كمثل القائم الصائم الخاشع الراكع الساجد "رواه ابن المبارك والنسائي وهو فى الصحيحين

وعن نعمان ابن بشير رضى الله عنهما قال ,قال رسول الله ﷺ مثل المجاهد فى سبيل الله كمثل الصائم نهاره القائم ليله لله حتى يرجع متى يرجع " رواه أحمدوالبزار والطبراني ورجاله رجال الصحيح

ومنها أن الله يرفع المجاهد فى الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض

وهذا الفضل العظيم للمجاهد فى سبيل الله وهو مصداق قوله سبحانه "لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (٩٥)" النساء

وفى صحيح البخاري عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال "من أمن بالله ورسوله وأقام الصلاة وأت الزكاة وصام رمضان كان حقاً على الله أن يدخله الجنة ,هاجر فى سبيل الله أوجلس فى أرضه التى ولد فيها "قالوا يارسول الله أفلا ننبئ الناس بذلك ؟قال "إن فى الجنة مائة درجه أعدها الله للمجاهدين فى سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض فإذا سألتم الله فسألوه الفردوس فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة ومنه تفجر أنهار الجنة وفوقه عرش الرحمن . "وفى صحيح مسلم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال "من رضى بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسله نبياً ورسولا وجبت له الجنة فعجب لها أبو سعيد فقال :أعدها على يارسول الله فأعادها عليه ثم قال "وأخرى يرفع الله بها لعبد مائة درجةما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض "قال وماهى يارسول الله قال الجهاد في سبيل الله"هذه الدرجات لك أيها المجاهد أما أجرك وثوابك فى الدنيا فأنظر إلى ماأعده الله لك

<u>-فإنك أيها المجاهد فى ضمان الله وكفالته وعونه وهدايته</u>

من حين تخرج من بيتك حتى تعود إليه أو تقتل فيدخلك الجنة عن أبى هريرة رضى الله عنه قال :قال رسول الله ﷺ تكفل الله لمن جاهد فى سبيله لا يخرجه من بيته إلا الجهاد فى سبيله وتصديق بكلماته أن يدخله الجنة أويرده على مسكنه بما نال من أجر وغنيمة "البخاري وأنظر ياعبد الله إلى عون الله للمجاهد وبركته له فى كل شيئ قال ابن النحاس –رحمه الله "ومن عون الله تعالى للغازى ما ذكره البخاري فى صحيحه فى باب بركة الغازى فى ماله حياً وميتاً .عن عبد الله ابن الزبير ,قال :لما وقف الزبير يوم الجمل دعاني فقمت إلى جنبه فقال يابنى لا يقتل اليوم إلا ظالم أومظلوم وإني لا أراني إلا سأقتل اليوم مظلوماً وإن من أكبر همي لدَيني أفترى دَينُنا يبقى من مالنا شيئ ؟ وقال :يابنى بع مالنا وأقضى ديني فإن فضل من مالنا شيئ بعد قضاء الدين فثلثه لولدك قال فجعل يوصيني لدَينه ويقول :يابني إن عجزت عن شيئ منه فاستعن عليه مولاي قال فوالله ما دريت ما أراد حتي قلت ياأبتي من مولاك ؟ قال :الله فو الله ما وقعت في كربه من دينه إلا :قلت يامولي الزبير أقضي عنه دينه فيقضيه ,فقتل الزبير ولم يدع ديناراً ولا درهماً إلا أرضين منهما الغابة وأحد عشر داراً بالمدينة ودارين بالبصرة ودار بالكوفة وداراً بمصر قال :وإنما كان دينه الذي عليه أن الرجل كان يأتيه بالمال فيستودعه إياه فيقول الزبير لا ولكنه سلف فإني أخشي عليه الضيعة ,وما ولي إمارة قط ,ولا جباية خراج ولا شيئاً إلا أن يكون فى غزوة مع النبي صلي الله عليه وسلم أو مع أبي بكر وعمر وعثمان ,قال عبد الله ابن الزبير فحسبت ماعليه من الدين فوجدته ألف ألف ومأتين ألف]مليونيين وماتين ألف [وكان الزبير اشتري الغابة بسبعين ومائة ألف فباعها عبد الله بألف ألف وستمائة ألف (2.600000)وهذا من البركة والكفالة ثم قام فقال من كان له علي الزبير حق فليوفنا بالغابة فذكر القصة ....

وكان للزبير أربع نسوة ورفع الثلث فأصاب كل أمراءة ألف ألف ومأتيا ألف فجميع ماله خمسون ألف ألف ومئتا ألف)خمسين مليون (والله أعلم

<u>ومنها أن الله يستجيب دعائهم بخوارق العادات لكرامتهم عليه ودخولهم في ضمانه</u>

ففي سنن ابن ماجه وصحيح ابن حبان عن ابن عمر رضي الله عنهما ,عن النبي صلي الله عليه وسلم قال "الغازى في سبيل الله والحاج والمعتمر وفد الله دعاهم فأجابوه وسألوه فأعطاهم "ومنها ما رواه البخاري في سرية الخبط عندما ألقى لهم البحر عنبراً أكلوا منه شهراً وكانوا

ثلثمائة رجل وأميرهم أبي عبيدة عامر بن جراح وهو حوت عظيم أكلوا منه حتي سمنوا وقد كانوا يأكلون الخبط وورق الشجر من الجوع

وأخرج البيهقي في دلائل النبوة بإسناد صحيح أن رجلاً من اليمن كان في بعض الطريق نفق حماره يعني مات ,فتؤضأ وصلي ركعتين ثم قال اللهم إني جئت من الدثينه "يعني بلده وهي بين الجند وعدن "مجاهداً في سبيلك ابتغاء مرضاتك وأنى أشهد بأنك تحي الموتى وتبعث من في القبور ولا تجعل لأحد علي اليوم منة أطلب إليك أن تبعث لي حماري .قال فقام الحمار ينفض أذنيه

. "وخرج ابن أبي الدنيا في كتاب مجابي الدعوة بإسناده من عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم قال :خرج قوم غزاه ومعهم مُحَمَّد بن المنكدر وكانت صائفة فبينما هم يسيرون في الساقة قال رجل من القوم أشتهي جبن رطب فقال مُحَمَّد بن المنكدر استطعموا الله يطعمكم فإنه القادر فدعا القوم فلم يسيروا إلا قليلاً حتى وجدوا مكتلاً مخيطاً فإذا هو جبن رطب فقال بعض القوم لو كان عسلاً فقال مُحَمَّد إن الذي أطعمكم جبناً هاهنا قادر علي أن يطعمكم عسلاً فاستطعموه فدعا القوم فساروا قليلاً فوجدوا قاقزة عسل "مشربه أو قدح "علي الطريق فنزلوا فأكلوا الجبن والعسل فركبوا . "

وروى السلطان نور الدين محمود المعروف بالشهيد في كتاب الإجتهاد في فضل الجهاد بإسناده عن أبي يعقوب المصيص قال :غزونا بلاد الروم فقال لنا الدليل ههنا واد من عسل فعدلنا إليه وأنزلنا رجلاً يغرف لنا بالأسطال فخرج علينا الروم فتشاغلنا بهم ونسينا الرجل ففبنا عن الموضع فلما كان بعد سنة عزونا فجئنا إلي ذلك الوادي فإذا الرجل حي فقلنا له إيش خبرك ؟ قال كنت أعطش فاشرب العسل وأجوع فأكل العسل فرأيناه كأنه البلور إذا طعم شيئاً رأيناه فى جوفه من صفاء جلده "المشارع١٨٨-١٨٩

وهذا ليس بغريب على أهل الثغور والجهاد وهذه الآثار ترد على من أنكر كرامات الأولياء وخوارق العادات على منهاج النبوة وقد ذكر ابن تيمية رحمه الله طرفاً منها واللالكائى فى اعتقاد أهل السنة وهذا يؤكد ماذكره الشيخ عبدالله عزام –رحمه الله –عن المجاهدين الأفغان فى كتابه آيات الرحمن "وذكر كرامات الصحابة فى أرض الجهاد وقد قال الله تعالى فى أخر سورة العنكبوت "وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (٦٩) "العنكبوت

وقال سفيان بن عيينة إذا رأيت الناس قد اختلفوا فعليك بالمجاهدين وأهل الثغور فإن الله قال لنهدينهم "فالويل لمن أذى المجاهدين ولمزهم وتنقصهم وشهر بهم وحاربهم روى عن رسول الله ﷺ "اتقوا أذى المجاهدين فإن الله يغضب للمجاهدين كما يغضب للأنبياء والرسل ويستجيب لهم كما يستجيب للأنبياء والرسل ولا طلعت شمس ولا غربت على أحد أكرم على الله من مجاهد "رواه ابن عساكر مسنداً من حديث على رضى الله عنه .

هذا فضل المجاهد فى سبيل الله الذى ثبت على الجهاد حتى الممات لا كالذين جاهدوا يوماً مافى أرض الجهاد ثم آل بهم الحال إلى العمل كا جواسيس وقاموا بعمل العسكر وجند الطاغوت "بعد أن وقعوا فى الأسر وقاموا بتسليم أنفسهم وسلاحهم إلى المرتدين وقد رأينا من هؤلاء العجب ومنهم من كان مجاهداً فى البوسنة وأفغانستان ثم كان عوناً للطواغيت باسم المصلحة ومناط الأسر والاعتقال وهذا المحروم المخزول لم يفكر لماذا اختار الله إخوانه شهداء وسلم هو نفسه للطاغوت لم يفكر هذا المرزول لماذا هؤلاء صبروا في أرض الجهاد وهو أسر لم يحتمل الاعتقال وظروف الأسر فإنها من أجل الدنيا وأصبح هذا المجاهد خلاً وفياً للمرتدين يجالسهم ويمازحهم بعد أن كان يقاتلهم وسبحان الله العظيم نسأل الله حسن الخاتمة فالعبرة بالخواتيم فيجب علي الإنسان أن لا يغتر بما هو عليه من طاعة فلا يدري بما يختم له نسأل الله السلامة والعافية والثبات

فإذا كان هذا حال المجاهد وهذا فضله ومنزلته عند الله فما هو حال الشهيد ومنزلة الشهداء عند الله تعالي أيها الحبيب لنعرف فضل الشهيد في سبيل الله وما أعده الله للشهداء من النعيم المقيم والأجر الجزيل والخير الوفير فإن الشهادة رتبة عظيمة ومنزلة جسيمة لا يلقاها إلا ذو حظ عظيم ولا ينالها إلا من سبق له القدر بالفوز المقيم وهي الرتبة الثالثة من مقام النبوة كما قال تعالي " وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا (٦٩) "النساء

وسمي الشهيد شهيداً لأنه مشهود له بالجنة ولأن أرواحهم شهدت وأحضرت دار السلام ,ولأنهم أحياء عند ربهم ,يرزقون ولأن الشهيد شاهد أي هو الحاضر في الجنة فأن الله وملائكته يشهدون لهم بالجنة ولأنه يشهد عند خروج روحه ما أعد له من الثواب والكرامة كما سيأتي إن شاء الله تعالي ,نسأل الله من فضله العظيم وهو سبحانه الكريم الرب الرحيم نسأله سبحانه بأسمائه الحسنى وصفاته العلي أن يرزقنا الشهادة في سبيله ,شهادة يرضي بها عنا .آمين

فضل الشهداء[1]

تعريف الشهيد

الشهيد :-هو الذى قاتل فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا وقتل بأيدى الكفار أو بسببهم فى المعركة بين الصفين ، وهوعند العلماء والأئمة الاعلام:

فالشهيد عند الحنفية:"من قتله المشركون ، أو وجد في المعركة وبه أثر ، أو قتله المسلمون ظلماً ولم يجب بقتله دية"(٢).

وهو عند المالكية:"من قتل في سبيل الله في جهاد الكفار لإعلاء كلمة الله تعالى"(٣).

وهو عند الشافعية:"من مات في قتال الكفار بسببه أي القتال"(١).

---

[1] (١) أنظر مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق من ص٦٩٤إلى ص٧٩٦ فقد ذكر أبن النحاس رحمه الله من فضل الشهيد الشيئ الكثير وهذا مختصر له

(٢) العناية شرح الهداية ١٤١/٢

(٣) حاشية العدوي ١٠٣/١

وهو عند الحنابلة:"من مات بسبب القتال مع الكفار وقت قيام القتال"[٢] .

من المناسب هنا ذكر ما قاله النووي في المجموع ٢٢٥/٥:

"واعلم أن الشهداء ثلاثة أقسام:

أحدها: شهيد في حكم الدنيا ، وهو ترك الغسل والصلاة [أي ترك تغسيله والصلاة عليه] ، وفي حكم الآخرة بمعنى أن له ثواباً خاصاً ، وهم أحياء عند ربهم يرزقون ، وهذا هو الذي مات بسبب من أسباب قتال الكفار قبل انقضاء الحرب وسبق تفصيله .

والثاني: شهيد في الآخرة دون الدنيا ، وهو المبطون والمطعون والغريق وأشباههم .

والثالث: شهيد في الدنيا دون الآخرة ، وهو المقتول في حرب الكفار ، وقد غل من الغنيمة ، أو قُتِل مدبراً ، أو قاتل رياءً ، ونحوه فله حكم الشهداء في الدنيا دون الآخرة .

والدليل للقسم الثاني أن عمر وعثمان وعلياً ﷺ غُسِلوا وصُلِّي عليهم بالاتفاق ، واتفقوا على أنهم شهداء والله أعلم" المجموع ٢٢٥/٥

أما فضل الشهداء

فإنهم أحياء عند ربهم يرزقون :

قال الله تعالى "وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ (١٥٤)" البقرة وقال سبحانه" وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) "آل عمران

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال .قال رسول الله ﷺ (الشهداء على بارق نهر بباب الجنة فى قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشياً "حديث صحيح رواه الإمام أحمد وابن أبى شيبه والطبري والحاكم والهيثمى على شرط مسلم

وحياة الشهداء محققه وأنهم أحياء فى الجنة يرزقون من ثمارها وأن أرواحهم فى جوف طير خضر وأنها فى قناديل معلقة بالعرش كما سيأتي إن شاء الله —وأن أرواحهم عند الله على رتب ودرجات فى المكان كما أنهم على رتب ودرجات فى المكانة فمنهم أيضاً من يطير مع الملائكة ويسرح فى الجنة كجعفر الطيار رضى الله عنه ومنهم من على أسرة فى الجنة كما عبد الله ابن رواحة وصاحبيه وأنما تفاوتت منازل أرواحهم لتفاوت رتب إخلاصهم وسماحة أنفسهم والأرض لا تأكل أجساد الشهداء كما قصة عمرو بن الجموح وعبد الله ابن حرام

ومن فضائل الشهيد أنه ليس أحد يدخل الجنة ويحب أن يخرج منها ولو أعطى مافى الدنيا جميعا إلا الشهيد فإنه يتمنى أن يرده الله إلى الدنيا ليقتل فى سبيل الله كما قتل أولاً لما يرى من عظيم كرامة الشهداء على الله تعالى

ثبت فى الصحيحين وغيرهما عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال "ماأحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وأن له ماعلى الأرض من شيئ إلاالشهيد "

وثبت فى الصحيحين أيضاً من حديث أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال "والذى نفس مُحَمَّد بيده لودت أنى أغزو فى سبيل الله فأقتل ثم أغزو فاقتل ثم أغزو فأقتل "فيتمنى الشهيد أن يرد إلى الدنيا لما يرى من

فضل الشهادة ومنزلة الشهيد

---

(١) تحفة المحتاج ١٦٤/٣

(٢) كشاف القناع ١٠٠/٢

ومنها أن الشهادة في سبيل الله تكفر جميع ما علي العبد من الذنوب التي بينه وبين الله تعالي

عن أبي قتادة رضي الله عنه أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قام فيهم فذكر الجهاد في سبيل الله والإيمان بالله أفضل الأعمال فقام رجل فقال يا رسول الله أرأيت إن قتلت في سبيل الله تكفر عن خطاياى ؟ فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم نعم إن قتلت في سبيل الله وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر إلا الدَين "رواه مسلم وغيره والمراد بالدين كل من كان من حقوق الآدميين كالغصب وأخذ المال بالباطل وقتل العمد وجراحه وغير ذلك من التبعات وكذلك الغيبة والنميمة والسخرية وما أشبه ذلك فإن هذه الحقوق كلها لابد من إستيفائها لمستحقها واللفظ عام وهكذا يكون الموحد المجاهد بعيداً عن المعاصي والذنوب مراقباً لربه في كل وقت ,وقد جاء الدين مقيداً بالمال في أحاديث أخري وهنا مطلق فيشمل جميع حقوق العباد فقد روى مسلم في صحيحه عن عبد الله ابن عمرو ابن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال "يغفر للشهيد كل شئ إلا الدين "وفي رواية القتل في سبيل الله يكفر كل شئ إلا الدين "الدَين الذي يحبس صاحبه

قال القرطبي في تفسيره الدين الذي يحبس صاحبه عن الجنة والله أعلم هو الذي قد ترك له وفاء ولم يوص به أوقدر علي الأداء فلم يؤدي أو أدانه في سفه وسرف ومات ولم يوفه وأما من أدان في حق واجب كفاقة وعسر ومات ولم يترك وفاءً فإن الله لا يحبسه عن الجنة إن شاء الله شهيداً كان أو غيره لأن علي السلطان فرضاً أن يؤدي عنه دينه , إما من جملة الصدقات أو من سهم الغارمين أو من الفيئ الراجع علي المسلمين قال صلي الله عليه وسلم "من ترك دينا أو ضياعاً فعلي الله ورسوله ومن ترك مالاً فلو رثته "رواه البخاري في تفسير سورة الأحزاب

الدَيْن لا يمنع الشهيد من دخول الجنة

وذكر هذا أيضاً فى التذكرة ثم قال فإن لم يؤد عنه السلطان فإن الله يقضى عنه ويرضى خصمه ثم ذكر الدليل على ذلك ومن جملته قوله ﷺ "من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه ومن أخذها يريد أتلفها أتلفه الله "رواه البخاري

قال ابن النحاس رحمه الله –ومما يؤيد ما ذكره القرطبي قصة عبد الله والد جابر فإنه خرج فى عزوة أحد وعليه دين فاستشهد فرأى النبى ﷺ ولده جابر بعد أيام وهو مهتم لما على أبيه من الدين فأخبره أن الله تعالى كلم أباه كفاحاً ليس بينه وبين الله ترجمان فلو كان أبوه محبوساً عن الجنة بسبب دينه لما حصلت له هذه الدرجة العظيمة –فى تخصيص الله تعالى له بالتكلم كفاحاً وكذلك الزبير بن العوام رضى الله عنه استشهد وعليه ألفا ألف ومأتا ألف –كما تقد والله أعلم

ومنها أن الملائكة تظل الشهيد بأجنحتها

عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال جيء بأبى إلى النبى ﷺ قد مُثل به فوضع بين يديه فذهبت أكشف عن وجهه فنهاني القوم فسمع صوت صائحة فقيل ابنة عمرو أو أخت عمرو فقال لم تبكين –أو فلا تبكى –مازالت الملائكة تظله بأجنحتها "رواه البخاري ومسلم ،ومثله حنظلة الغسيل

ومنها أن الشهادة الخالصة فى سبيل الله توجب دخول الجنة قطعاً

قال تعالى " إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١) " التوبة

وقال سبحانه "وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ (٤) سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ (٥) وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ (٦) "سورة مُحَمَّد

وعن أنس رضى الله عنه أن أم الربيع بنت البراء وهى أم حارثة بن سراقة أتت النبى ﷺ فقالت يارسول الله ألا تحدثني عن حارثة وكان قتل يوم بدر أصابه سهم غرب فإن كان فى الجنة صبرت وإن كان غير ذلك أجتهدت عليه البكاء فقال "ياأم حارثه إنها جنان فى الجنة وإن إبنك أصاب الفردوس الأعلى وفى لفظ أخر أهبلت ؟ أجنة واحدة هى إنها جنان كثيرة وإنه فى الفردوس الأعلى "رواه البخاري .

ومنها أن الشهداء حين يقتلون فى سبيل الله يجعل الله أرواحهم فى أجواف طير خضر فى الجنة

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال "قال رسول الله ﷺ "لما أصيب أخوانكم جعل الله أرواحهم فى جوف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتؤوى إلى قناديل من ذهب معلقة فى ظل العرش فلما وجدوا أطيب مآكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا من يبلغ أخواننا عنا أنا أحياء فى الجنة نرزق لئلا يزهدوا فى الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب فقال الله تعالى أنا أبلغهم عنكم فأنزل الله عز وجل "وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) النساء"رواه أبو داود والحاكم ومسلم فى صحيحة بمعناه

من حديث عبد الله بن مسعود فقال "أرواحهم فى جوف طير خضر لها قناديل معلقه بالعرش تسرح فى الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل ."

ومنها أن الشهداء لا يفتنون فى قبورهم ولا يصعقون عند نشورهم

وقد ثبت أن المرابط فى سبيل الله لا يفتن فى قبره فالشهيد أولى وأحرى لأنه أفضل منه وما نال المرابط ماناله من الفضل إلا بتعرضه للشهادة وتوقعه لها فكيف لا يعطى ذلك الفضل من نالها وسيأتي إن شاء الله تعالى أن الشهيد يجار من عذاب القبر وأن الفتنه فى القبر بسؤال الملكين إنما هى لاختبار ماعند المرء من حقيقة الإيمان والتصديق ولا شك بأن من وقف للقتال ورأى السيوف تلمع وتقطع والأسنة تبرق وتخرق والسهام ترشق وتمرق والرؤوس تندر والدماء تثغب والأعضاء تتطاير والناس بين قتيل وجريح مطروح فثبت على ذلك ولم يولى الدبر ولم ينهزم وجاد بنفسه لله تعالى إيماناً به وتصديق بوعده ووعيده كما وصف الله المؤمنين فى قوله تعالى " وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا (٢٢) "الأحزاب ,فيكفيه هذا امتحانا لإيمانه واختبارا له وفتنة إذ لو كان عنده شك أو ارتياب لولى الدبر وذهل عما هو واجب عليه من الثبات وداخله الشك والارتياب فيكفى الشهيد هذا الامتحان من سؤال الفتان فى القبر ,فهى والله فتنة رهيبة عند التقاء الصفوف نسأل الله الثبات وحسن الخاتمة وقد كان أمراء الجهاد يقدمون من يشكون فيه بالتجسس والعمالة كانوا يقدمونه للعمليات فى مقدمة الصفوف فإن أقبل على العملية ولم يتردد ظهر صدقه وبانت براءته وحسن سيرته ومن جبن وتردد وتعلل ظهرت حقيقته نسأل الله السلامة والعافية

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه سأل جبريل عن هذه الآية "وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ (٦٨) "الزمر ، من الذين لم يشأ الله أن يصعقهم قال :هم شهداء الله "رواه الحاكم بسند صحيح والذهبي

ومنها أن الشهيد يشفع لسبعين من أهل بيته

ومنها أن الشهيد يأمن من الفزع الأكبر يوم القيامة وقد تقدم

ومنها أن الشهيد يغفر له بأول قطرة من دمه ذنوبه كلها .

ومنها أن الشهيد يرى مقعده من الجنة قبل خروج روحه

وهذه فضائل عظيمه للشهيد لفضله ومنزلته عند ربه كما جاء فى الحديث الصحيح بروايات مختلفة أن للشهيد عند الله ست خصال وفى رواية سبع خصال وفى رواية تسع خصال وكلها صحيحة عن المقداد بن معدي كرب قال سمعت رسول الله ﷺ يقول "إن للشهيد عند الله تسع خصال يغفر له فى أول دفعة من دمه ويرى مقعده من الجنة ويحلى حلة الإيمان ويجار من عذاب القبر ويزوج من حور العين ويأمن يوم الفزع الأكبر ويوضع على رأسه تاج الكرامة الياقوتة خير من الدنيا وما فيها ويزوج أثنين وسبعين زوجه من حور العين ويشفع فى سبعين إنسان من أقاربه "كذا روى بلفظه تسع وتكرير ذكر الحور العين ويحتمل أن المراد من ينزل له منهن عند خروج روحه ومن يزوج بهن يوم القيامة فى الجنة كما سيأتي إن شاء الله ، والله أعلم ورواه الإمام أحمد والطبراني بإسناد حسن من حديث عبادة بن الصامت رضى الله عنه ورواه عبد الرزاق وابن ماجه والترمذي والبيهقى فى الكبرى والسيوطي فى الصغير والطبراني فى الكبير والهيثمى والحاكم فى المستدر كلهم عن المقداد بن معدي كرب

ومنها أن دم الشهيد لا يجف حتى يرى الحور العين

ومنها أن الشهيد فى سبيل الله أفضل ممن أنتصر ورجع سالماً

ومنها أن الشهيد لا يجد من ألم القتل فى سبيل الله الا كما يجد من ألم القرصة

فهذا الفضل العظيم والجزاء الكبير أن ينجو الشهيد من سكرات الموت التى يعانيها غيره من البشر حتى الأنبياء كما قال رسول الله ﷺ "إن للموت لسكرات اللهم هون علينا سكرات الموت" فالشهيد لا يشعر بسكرات الموت إلا كما يشعر أحدنا بمس القرصة الله أكبر لا يشعر بسكرات الموت وينجو من عذاب القبر ولا يصعق و يفسح له فى قبره كل ذلك للشهيد فى سبيل الله فهل من مشمر ؟

فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال :قال رسول الله ﷺ لا يجد الشهيد من مس القتل إلا كما يجد أحدكم من مس القرصة حديث صحيح رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان والبيهقى والطبراني

ومنها أن الملائكة يدخلون على الشهداء من كل باب يسلمون عليهم

ومنها أن الشهيد فى سبيل الله يرضى الله عنه رضاً لا سخط بعده

<u>ومنها أن الشهيد فى سبيل الله لا يفضله النبيون الا بدرجة النبوة</u>

هذه بعض فضائل الشهيد فهل اشتاقت نفسك ياعبد الله إلى الجهاد والشهادة فى سبيل الله ؟ هل تريد ماعند الله من النعيم ،هل تعرف ماهو النعيم الحقيقي فى الجنة هو التلذذ بالنظر إلى وجه الرحمن سبحانه ﷻ فى الجنة اللهم إنا نسألك من فضلك العظيم شهادةً فى سبيلك ترضى بها عنا فيا أيها الموحد هذه بعض فضائل الجهاد والمجاهدين والشهداء فهل تعلم لماذا الطواغيت يحاربون الجهاد ويطاردون المجاهدين هل تعلم لماذا يحذرون من الجهاد ، لأن الجهاد فيه عز الإسلام والمسلمين لأن الجهاد فيه قهر لأعداء الدين ،لأن الجهاد فيه إزالة عروش الطواغيت والمرتدين لأن الجهاد فيه الذلة والصغار لليهود والنصارى والمشركين لأن الجهاد يطهر النفوس والبلاد وقلوب العباد من الإرجاس والأنجاس ويربطها بالله وحده لا شريك له لكل هذه الأمور وغيرها يكرهون الجهاد ويحاربونه ويحذرون منه الشباب ويرمون المجاهدين بأبشع الألقاب المنفرة مثل البغاة والخوارج والفئة الضالة والمفسدون فى الأرض لينفروا الناس منهم

<u>فضل التحريض على الجهاد فى سبيل الله</u>

فلا بد أيها الموحد فى ظل هذه الهجمة الشرسة أن تحرض الناس على الجهاد فهل تعرف فضل التحريض على الجهاد والاستشهاد ؟

اسمع لقول الله تعالى " فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا (٨٤) "النساء ،

وقال تعالى لنبيه ﷺ " يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (٦٥) "الأنفال فالله يأمر والنبي يحرض وهؤلاء دعاة الإنبطاح وفقه التراجعات يخذلون ويثبطون يقولون لا جهاد الآن ولا إعداد فالزمن زمن سلام وسلم وأمان وديننا دين عدل ومساواة وسماحة فاتركوا الجهاد وعيشوا فى سلام لأننا فى زمن استضعاف وعدم منعة وإذا دخل الكفار ديار الإسلام واحتلوها بالحديد والنار وقتلوا الشيوخ وسبوا النساء واغتصبوا عفتهن قالوا لادخل لنا بما يحدث للمسلمين بجوارنا فبيننا وبين الكافر المحتل عهود ومواثيق من الولاية والتأييد والنصرة له بكل مانستطيع!! فلا غرابة أيها الموحد السني المجاهد أن تجد الطائرات تقلع من مطارات الدول الإسلامية لتضرب المسلمين فى العراق وأفغانستان وفلسطين ولاغرابة أيها المجاهد أن تسمع أصواتاً مستأجرة تثبط المجاهدين وتحارب المحرضين على القتال وتزج بهم فى سجون الطواغيت جريمتهم وتهمتهم أنهم يريدون الجهاد ضد الكافر الأصلى ضدا الأمريكان وغيرهم من اليهود وأهل الصليب مع أن المرتدين أشد كفراً وخطراً على الإسلام والمسلمين من الكافر الأصلى وقتال المرتد أولى من قتال الكافر الأصلى لخطورته على الإسلام فهم يعلمون جيداً أن فى الجهاد نهايتهم وزوال ملكهم لذلك يحاربونه ويحاربون كل شيئ يُذكر به ويرصدون كل طريق يوصل إليه ولكن هيهات أن يكون لهم ذلك فإن نور الله قد سطع ورايات الجهاد قد ارتفعت فى كل مكان والله متم نوره ولو كره الكافرون فكن لك أيها المجاهد فى رسول الله ﷺ قدوة حسنة فى التحريض على الجهاد فقد خرج ﷺ يوم بدر فحرضهم على القتال ثم قال والذى نفسي بيده لا يقاتلهم اليوم رجل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة فقال عمير بن الحمام أخو بنى سلمة وفى يده تمرات يأكلها بخ بخ فما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء فقذف التمر من يده وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل وهو يقول

ركضنا إلى الله بغير زاد إلا التقى وعمل المعاد
الصبر فى الله على الجهاد وكل زاد عرضه النفاد
غير التقى والبر والرشاد"وقصة عمير فى صحيح مسلم بغير هذا السياق "

وأنظر تحريض العلماء واستجابة النساء العابدات النساء يستجبن لتحريض العلماء على الجهاد ويجهزن أولادهن للغزو والجهاد والدفاع عن حرمات المسلمين وبلاد الإسلام انظر إلى هذه المرأة العابدة أم إبراهيم الهاشمية وقارن موقف هذه المرأة الصالحة واستجابتها لله ورسوله وقارن حالها بحال مخنث العزم المرزول المخذول مُحَمَّد يعقوب[1] ورفاقه من المخذلين المحذرين من الجهاد وطريق الاستشهاد وتحذيرهم الشباب من الجهاد ونصرة دين الله بحجة أن الطريق مسدود ولا داعي لنصرة المسلمين على المحتل الغاصب من الأمريكان واليهود وأهل الصليب

---

(١)أنظر رسالتنا دفاعنا عن أهل الثغور ماضر القائد خطاب أن يتجاهله المرتزقه الرد على الحسود الحقود مُحَمَّد حسين يعقوب ضمن الرسالة الثانيه من التنبيهات المختصرة

الطريق لرفع رايه التوحيد

انظر إلي هؤلاء أصحاب الهزيمة النفسية وهم يثبطون المسلمين ويخذلونهم بقولهم إن الجهاد ليس فرض عين وأهل العراق وفلسطين وأفغانستان والشيشان فيهم كفاية ولا داعي للمخاطرة والحماس الأجوف .هي هي نفس الكلمات والشبهات التي يرددها الطواغيت محذرين ومحاربين للجهاد والمجاهدين فيأيها الإرجاس الأنجاس ويدعاه الإنبطاح وفقه التراجعات يا مرضي القلوب ألم يكن احتلال البلاد وسجن المسلمات وقتل الشيوخ وأسر الشباب وتخريب البيوت وتشر يد الأطفال ألم يكن كل ذلك سبباً لفرض الجهاد علي التعيين فمتى يكون الجهاد فرض عين ؟

يا مشايخ الفضائيات يا تجار الدين وأعمدة السلاطين متى يكون الجهاد فرض ؟ اللهم إن هؤلاء باعوا دينك بدنيا رخيصة ومتاع زائل وصدوا عن سبيلك وعن نصرة المسلمين في العراق و أفغانستان والشيشان وحذروا الشباب من طريق الجهاد وكانوا أبواقا للطواغيت وعوناً لهم علي تنفيذ مخططاتهم في محاربة الإسلام والمسلمين وأهل التوحيد ، اللهم إلم تقدر هدايتهم فافضحهم علي رؤوس الأشهاد وعمى أحوال المجاهدين عنهم وأجعل كيدهم في نحورهم وقر أعيننا بنصرة الإسلام والمسلمين وأرزقنا شهادة في سبيلك ترضي بها عنا ، شهادة تغفر بها الذنوب وتستر بها العيوب تكون نصرة لأوليائك ونكاية في أعدائك ، اللهم إجعلنا من أنصار دينك ، وسنة نبيك ، وعبادك الموحدين ولا تحرمنا أجر الشهادة يا كريم .

أم إبراهيم تخطب الحورالعين لولدها إبراهيم

كانت أم إبراهيم الهاشمية من عابدات البصرة فأغار العدو علي ثغر من ثغور المسلمين فانتدب الناس للجهاد ، فقام عبد الواحد بن زيد البصري في الناس خطيباً فحضهم [1] علي الجهاد وكانت أم إبراهيم هذه حاضرة في مجلسه وتمادي عبد الواحد في كلامه ثم وصف الحور العين وذكر ما قيل فيهن وأنشد في صفة حوراء

غادة ذات دلال ومرح يجد الناعت فيها ما اقترح
خلقت من كل شئ حسن طيب فالليت فيها مطرح
زانها الله بوجهٍ جمعت فيه أوصاف غريبات الملح
وبعين كحلها من غنجها ونجد مسكها فيه رشح
ناعم تجري علي صفحته نضرة الملك ولألاء الفرح
أتري خاطبها يسمعها إذا تدبر الكأس طوراً والقدح
في رياض مونق نرجسه كلما هب له الريح نفح
وهي تدعوه بود صادق ملئ القلب به حتي طفح
يا حبيبا لست أهوي غيره بالخوا تيم يتم المفتتح
لا تكونن كمن جد إلي منتهي حاجته ثم جمح
لا فما يخطب مثلي من سها إنما يخطب مثلي من ألح

قال فهاج الناس بعضهم في بعض واضطرب المجلس فوثبت أم إبراهيم من وسط الناس وقالت لعبد الواحد يأبي عبيد الست تعرف ولدي إبراهيم ورؤساء أهل البصرة يخطبونه علي بناتهم وأنا أضن به عليهم فقد والله أعجبتني هذه الجارية وأنا أرضها عرساً لولدي فكرر ما ذكرت من حسنها وجمالها فأخذ عبد الواحد في وصف حوراء ثم أنشد

تولد نور النور من نور وجهها فمازج طيب الطيب من خالص العتر
فلو وطئت بالنعل منها علي الحصى لا اعشبت الأقطار من غير ما قطر
ولو شئت عقد الخصر منها عقده كغصن من الريحان ذى ورق خضر
ولو تغلت من البحر شهد رضي بها لطاب لأهل البر شرب من البحر
يكاد اختلاس اللحظ يخرج خدها بجارح وهم القلب من خارج السر

---

[1] عندماأغار الكفار على بلاد المسلمين قام أهل الإخلاص والصدق وحض الناس على الجهاد وأنه فرض عين على كل قادر فأين المخذول المرزول مُحَّد يعقوب ورفاقه من هؤلاء

فاضطرب الناس أكثر فوثبت أم إبراهيم وقالت لعبد الواحد يأبا عبيد قد والله أعجبتني هذه الجارية وأنا أرضها عرساً لولدي فهل لك أن تزوجه منها وتأخذ مني مهرها عشرة ألاف دينار ويخرج معك في هذه الغزوة ، فلعل الله يرزقه الشهادة فيكون شفيعاً لي ولأبيه في القيامة ؟ فقال لها عبد الواحد لئن فعلت لتفوزن أنت وولدك وأبو ولدك فوزاً عظيماً ثم نادت ولدها :يا إبراهيم فوثب من وسط الناس وقال :لبيك يا أماه قالت أى بني أرضيت بهذه الجارية زوجة ببذل مهجتك في سبيله وترك العود في الذنوب ؟ فقال الفتي إي والله يا أماه رضيت أي رضي فقالت اللهم إني أشهدك أني زوجت ولدي هذا من هذه الجارية ببذل مهجته في سبيلك وترك العود في الذنوب فتقبله مني يا أرحم الراحمين قال ثم انصرفت فجاءت بعشرة ألاف دينار وقالت يا أبا عبيد 'هذا مهر الجارية تجهزبه وجهز الغزاة في سبيل الله وانصرفت فابتاعت ، أي إشترت لولدها فرساً جيداً واستجادت له سلاحاً فلما خرج عبد الواحد خرج إبراهيم يعدو والقراء حوله يقرءون "إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ "التوبة ، قال فلما أرادت فراق ولدها دفعت إليه كفناً وحنوطاً وقالت له أي بني إذا أردت لقاء العدو فتكفن بهذا الكفن وتحنط بهذا الحنوط وإياك أن يراك الله مقصراً في سبيله ثم ضمته إلي صدرها وقبلته بين عينيه وقالت يا بني لا جمع الله بين وبينك إلا بين يده في عرصات القيامة ، قال عبد الواحد فلما بلغنا بلاد العدو ونودي في النفير وبرز الناس القتال وبرز إبراهيم في المقدمة فقتل من العدو خلقاً كثيراً ثم اجتمعوا عليه فقتل قال عبد الواحد :فلما أردنا الرجوع إلي البصرة قلت لأصحابي لا تخبروا أم إبراهيم بخبر ولدها حتى ألقاها بحسن العزاء لئلا تجزع فيذهب أجرها ، قال فلما وصلنا البصرة خرج الناس يتلقوننا وخرجت أم إبراهيم فيمن خرج قال عبد الواحد فلما بصرت لي قالت يا أبا عبيد هل قبلت مني هديتي فأهنأ أم ردت علي فأعزي ؟ فقلت لها :قد قبلت والله هديتك إن إبراهيم حى مع الأحياء يرزق قال فخرت ساجدة لله شكراً وقالت الحمد لله الذي لم يخيب ظني وتقبل نسكي مني وانصرفت فلما كان من الغد أتت إلي مسجد عبد الواحد فنادته السلام عليك يأبا عبيد بشراك فقال لا زلت مبشرةً بالخير فقالت له رأيت البارحة ولدي إبراهيم في روضة حسناء وعليه قبة خضراء وهو علي سرير من اللؤلؤ وعلي رأسه تاج وإكليل وهو يقول لي :يا أماه أبشرى فقد قبل المهر وزفت العروس [1] "

اللهم إنا نسألك من فضلك العظيم الإخلاص له علامات والصدق له علامات فأين هذا الصدق والإخلاص والبذل والعطاء من متاجرة دعاة الإنبطاح بالدين وامتلاكهم السيارات والعقارات والقصور والله لقد أخبرنا أكثر من أخ أنه عندما يسمع يعقوب يصاب بالغثيان والرغبة فى القيء من الكذب والنفاق والتملق فإن عدم الصدق له علامات وعدم الإخلاص له علامات والتعالم له علامات وهؤلاء ياليتهم جاهدوا فى سبيل الله وياليتهم أنفقوا فى سبيل الله وخرجوا من أموالهم وقصورهم لله تعالى ، بل ياليتهم حرضوا على الجهاد بل ياليتهم سكتوا عن المجاهدين ، بل ياليت المجاهدون سلموا منهم ومن مكرهم ولكن الأمر أكبر من ذلك فهم حذروا الشباب من طريق الجهاد ولمزوا المجاهدين وسبوهم وعابوهم تزلفاً للطواغيت وحسبنا الله ونعم الوكيل وكنا نتمنى أن يسلك هؤلاء مسلك الأتقياء الأنقياء الأخفياء دعاة التوحيد فهم والله قد وقفوا مع المجاهدين وناصروهم ودعوا إلى التوحيد ولم يخشوا فى الله لومة لائم فهم الرجال [2] حقاً ولا يسع المسلم المنصف إلا أن يحترمهم ويجلهم وإن أختلف معهم ، لأنهم أصحاب دين وعقيدة ومبدأ أهل المروءة والشهامة نحسبهم كذلك ولا نزكيهم على الله ولقد سمعنا بهم وبمواقفهم البطولية التى إن دلت فأنها تدل على الدين والتربية العقدية ونصرة الإسلام والمسلمين ، فنسأل الله أن يثبتنا وإياهم وجميع المخلصين على الحق حتى نلقاه ، فانظر إلى حال أم إبراهيم كيف أثرت فيها موعظة عبد الواحد وقادتها إلى العمل والانقياد وانظر إلى دعوة يعقوب ومن هم على شاكلته تجد الغثائيه وعدم التأثير فالفرق بينهما واضح وهو من خرج من القلب دخل القلب ومن خرج من اللسان لم يتجاوز الأذان وصدق من قال من لم ينفعك لحظه ، لم ينفعك وعظه

فاللهم أرزقنا الصدق والإخلاص ونصرة دينك وعبادك المجاهدين

أيها المجاهد احذر قطاع الطرق الذين يصدون عن سبيل الله ويقطعون الطريق على المجاهدين بنشر الشائعات عنهم وتلفيق التهم لهم ليصرفوا الناس عنهم وعن دعوتهم ،وهذا الإفك المبين والشر المستطير والفتنة الظلماء وقع فيها بعض أهل الخير جهلا منهم بالدين وضوابط الشرع الحكيم وموقف المسلم الصادق فى مثل هذه الفتن من التثبت والتحرى فإن الأصل إذا ثبت بيقين لايزول بالشك ولا بالظن ،والأصل فى المسلم السلامة وحسن الظن وهذا لايزول إلا ببرهان واضح وبينة قاطعة ودليل قطعى ثابت فمهما تواترت الشائعات وتناقلت فهى لاتعدوا مجرد خبر يحتمل الصدق ويحتمل الكذب ،والعبرة بثبوته بيقين يزول به الأصل ،وإلا فهى حرب على الجهاد وأنصار المجاهدين ينشرها أعداء الدين ويتلقاها بعض السذج من المسلمين يتلقونها بألسنتهم

---

[1] (١)مشارع الأشواق ابن النحاس ٢١٥-٢١٨

[2] (١)ومن هؤلاء الشيخ محمد عبد المقصود والشيخ سيد العربى والشيخ محمد حبسه والشيخ فوزى السعيد والشيخ نشات وغيرهم كثير

،ويحسبونه هينا وهو عند الله عظيم ،شكا من هذا الإفك النبى الكريم مرة فى عرضة باتهام زوجته المصون ،ومرة فى أمانته وعدله عندما رماه أهل الغلو بعدم العدل فى القسمة ولم يسلم من هذه التهم الصحابة والعلماء فاتهم الإمام أحمد وابن تيمية وابن عبد الوهاب حتى أئمة الجهاد فى زماننا لم يسلموا من هذه التهم وهذا الظلم البين ،وهذا متوقع فعلى أهل الحق الصبر على عقبات الطريق فهذه ضريبة التمسك بالحق والدعوة إليه ،والموعد القيامة والله المستعان.

التعرض للشهادة وطلبها بصدق

أخي المسلم بعد هذا التحريض هل اشتاقت نفسك للشهادة ؟إن كنت تحبها وتعشقها فهل تعرضت لها ؟ هل طلبتها بصدق ؟ أم تعرضت لها بالقول فقط ؟ لا يكفى هذا بل لا بد التعرض لها بصدق وإخلاص فى طلبها والأخذ بالأسباب الموصلة لها من الإعداد الإيماني والإعداد البدني العملي كما سيأتي إن شاء الله فهل سألت الله الشهادة بصدق ؟قال رسول الله ﷺ "من سأل الله تعالى الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه "رواه مسلم عن سهل بن حنيف وقدكان النبى ﷺ يطلبها ويتمناها لنفسه الشريفة فما لنا لا نتمنها لأنفسنا ولا نرضى بسواها ومالنا لا نحبها ولا نستعد لها ولنا فى رسول الله أسوة حسنه ففي الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ "تضمن الله لمن خرج فى سبيله لا يخرجه إلا الجهاد فى سبيلي وإيمان بى وتصديق برسلي فهو على ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى مسكنه الذى خرج منه نائلاً منال من أجر أو غنيمة ، والذى نفس مُحَمَّد بيده ما كلم يكلم فى سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته يوم كلم لونه لون دم وريحه ريح مسك والذى نفس مُحَمَّد بيده لولا أن أشق على المسلمين ماقعدت خلاف سريه تغزو فى سبيل الله ولكن لا أجد سعة فأحملهم ولا يجدون سعة ويشق عليهم أن يختلفوا عنى والذى نفس مُحَمَّد بيده لوددت أنى أغزو فى سبيل الله فأقتل ثم أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل "وكان الفاروق عمر رضى الله عنه يقول "اللهم إني أسألك شهادة فى سبيلك ووفاة ببلد رسولك ﷺ "رواه البخاري

أيها المسلم هل بكيت يوماً لتخلفك عن الجهاد ونصرة دين الله ؟ هل بكيت خوفاً من أن لا تقبل في صفوف المجاهدين ؟ أنظر إلي الصحابة رضي الله عنهم بل إلي صغار الصحابة عمير ابن أبي وقاص كما رواه ابن الأثير في أسد الغابة عن سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه قال "رأيت أخي عمير ابن أبي وقاص قبل أن يعرضنا رسول الله صلي الله عليه وسلم للخروج إلي بدر يتوارى —أي يختفي ولا يظهر لرسول الله صلي الله عليه وسلم وهو يتفقد الجند حتي لا يرده قلت مالك يا أخي فقال :إني أخاف أن يراني رسول الله صلي الله عليه وسلم فيستصغرني فيردني وأنا أحب لقاء الله —الله أكبر يحب لقاء الله والجهاد في سبيل الله وهو صغير ابن ستة عشر سنة واليوم ذكور يظهرون في الفضائيات وينتسبون إلي الدعوة والدعاة ويملكون الأموال والقصور ويتهربون من الجهاد في سبيل الله —بل ويحذرون الشباب منه —قال فعرض علي رسول الله صلي الله عليه وسلم فاستصغره فقال إرجع فبكي عمير فأجازه رسول الله صلي الله عليه وسلم يبكي شوقاً للقاء الله ما هؤلاء الناس ؟ وما هي حقيقتهم ؟ أهم بشر مثلنا ؟ كيف نبتت فيهم هذه المحبة للقاء الله والجهاد في سبيله ونصرة دينه وهم صبيان لم يبلغوا الحلم؟ إنه الإيمان الصادق والحب الجارف لهذا الدين فورد أنه قال لما أجيز فلان صبي مثله قال هو أكبر منك قال أنا أصرعه ، فتصارعا وصرعه فأجازهما النبي صلي الله عليه وسلم الصدق ياأهل الفضائيات الإخلاص يا أصحاب الدعوات —قال سعد فكنت اعقد له حمائل سيفه الذي يعلق فيها السيف من صغره فقتل يوم بدر وهو ابن ستة عشر سنة قتله عمرو بن ود وما أدراك ما عمر بن ود الذى قتله علي ابن أبي طالب رضي الله عنه يوم الخندق هذا هو الشوق الحقيقي للشهادة والتعرض الصادق لها والفوز بها ذرية بعضها من بعض روى ابن المبارك فى الجهاد والذهبي فى السير عنه بإسناد رجاله ثقات أن رجلاً من قوم صلة بن أشيم العدوى السيد القدوة العابد المجاهد الزاهد قال لصلة رضي الله عنه يا أبا الصهباء إني رأيت أني أعطيت شهده وأنت أعطيت شهدتين —والشهد العسل في شمعها —فقال له صلة خيراً رأيت تستشهد وأستشهد أنا وابني ،قال :فلما كانت الحرب والقتال قال صلة لابنه يا بني ارجع إلي أمك ،فقال :يا أبت أتريد الخير لنفسك وتأمرني بالرجعة وأنت-والله —كنت خيراً لأمي مني ،قال أما إذا قلت هذا فتقدم ،فتقدم فقاتل حتي أصيب فرمى صلة عن جسده وكان رجلاً رامياً حتي تفرقوا عنه وأقبل يمشي حتي قام عليه فدعا له ثم قاتل حتي قتل —ولما جاء الخبر إلي معاذة العدوية السيدة العالمة العابدة الثقة زوجة السيد القدوة صلة بن أشيم لما جاءها نعي زوجها وابنها قتلا جميعاً قدمه بين يديه قال لابنه —تقدم فأحتسبك فقتل ثم قتل الأب جاءها النساء فقالت —إن كنتن جئتن لتهنئنا بما أكرمنا الله به فذاك وإلا فارجعن "انظر أيها الموحد المجاهد إلي هذا البيت الطاهر المجاهد ولا ينقضي عجبك أتعجب من الأب الذي حرص علي الجهاد وتعرض للشهادة في مظانها بصدق أم تعجب من الأب الذي يقدم ولده وفلذة كبده للقتل في سبيل الله فيقتل بين يديه أم تعجب من الزوجة التي فجعت في زوجها وابنها صابرة محتسبة فرحة مسرورة بكرم الله لها ، إنها حقاً ذرية بعضها من بعض والأمثلة كثيرة جداً في حياة الصحابة والتابعين ولقد تكررت هذه المواقف كثيراً فى حياتهم مثل الخنساء ومثل أولاد عفراء معاذ ومعوذ رضى الله عن الجميع ، فهل تعرضنا للشهادة بصدق أم أن النفس جامحة إلى العصيان طامعة فى الدنيا وملذاتها الفانية ؟ نسأل الله الستر والعافية والموفق من وفقه الله لطاعته وزجر نفسه ونهاها عن غيها وقال

لها يانفس ألم اشهد مشهد كذا وكذا فقالت لي عيالك وأهلك فأطعتكى ورجعت أما والله لأعرضنك اليوم على الله أخذك أو تركك يا نفس فى كل مرة تقولين فلانة وفلان أولادك وضياعك ومالك فلانة طالق عبيدي أحرار أموالى فى سبيل الله اللهم أرمل المرأة وأيتم الولد وأكرمنا بالشهادة فى سبيلك.

أبو قدامة والغلام

ولنختم بحكاية أبي قدامة الشامي كما ختم بها ابن النحاس قال أبو قدامة[1] كنت أميراً على الجيش فى بعض الغزوات فدخلت بعض البلدان فدعوت الناس إلى الجهاد ورغبتهم [2] فى الثواب وذكرت فضل الشهادة ثم تفرق الناس وصرت إلى منزلي فإذا بامرأة من أحسن الناس تنادى يا أبا قدامة فقلت هذه مكيدة من الشيطان فلم أجبها فعادت فنادتني فلم أجيبها –وهكذا يكون أهل العلم والدعوة والجهاد من البعد عن الشبهات ومواطن الريبة ومن أهمها البعد عن النساء وجمع الأموال وأبواب السلاطين فمن تعرض لواحدة من الثلاثة فلا يلومن إلا نفسه فهى والله ثلاث مهلكات –فقالت هكذا يفعل أرباب الصلاح بأهل الإرادة فوقفت لها فجاءت ودفعت إلى رقعة وحزمة مشدودة ثم انصرفت وهى تبكى فنظرت فى الورقة وإذا فيها مكتوب :دعوة الناس إلى الجهاد وتحريضهم على الثواب وأنا امرأة ولا قدرة لي على الجهاد الذى هو فرض كفاية وقد قطعت أحسن مافى وهما ضفيرتاى وقد أتيت بهما لتجعلهما قيداً لفرسك لعلى الله يرى ذلك فيغفر لي فكلما كانت ليلة القتال أخرجت الضفيرتان فقيدت بهما فرسي فلما طلع الفجر ووقع القتال فإذا أنا بغلام حسن الوجه صبور على الشدائد فتقدمت إليه وقلت يابنى أنت راجل ولا آمن أن تجول الخيل فتطؤك بأرجلها فارجع إلى موضعك قال فلتفت إلى وقال كيف أرجع وقد قال الله تعالى "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ (١٥) " الأنفال قال فأعطيته قوساً كان معي فقال لي ياأبا قدامة أقرضني ثلاثة أسهم فقلت ما هذا وقت قرض ،فقال بالله عليك أقرضني قال فأعطيته سهماً فوضعه فى قوسه فقتل به رومياً فقلت أنا شريكك فى الثواب فقال نعم فأعطيته سهماً أخر فقتل به رومياً أخر ثم ناولته الثالث فرمى به وقال السلام عليك سلام مودع فجاءه سهم بين عينيه فخر صريعاً فوقفت عليه وقلت ياولدى لا تنسانى فإنك عاهدتني فقال نعم ثم قال ياأبا قدامة لي إليك حاجة إذا دخلت المدينة فأت والدتي وسلم عليها عنى وناولها هذا الخرج فقلت من والدتك ؟ قال التى قطعت شعرها وقالت أجعله قيداً لفرسك قال فانشغلت بالبكاء فقضى نحبه رحمه الله فدفنه فلما أنقضى القتال وعدت إلى قبره رأيته على وجه الأرض قد قذفته الأرض فحفرت له حفرة أخرى فدفنته فيها فقال أصحابنا دعه فهو غلام ولعله خرج من غير أذن والدته قال فوقفت فى حيره فأذن مؤذن العشاء فقمت فصليت وجعلت أتضرع إلى الله وأبكى وأقول يارب ماأدرى ماأصنع به قال فسمعت صوتاً ياأبا قدامة دع ولى الله واذهب قال فتركته فنزلت طيور فأكلته وأتت السباع فابتلعت العظام فلما أتيت المدينة ذهبت إلى بيت والدته فطرقت الباب فخرجت طفلة صغيرة فلما رأت الخرج رجعت ونادت ياأماه جاء أبو قدامة بخرج أخي وما أرى أخي معه وحسرتاه فى العام الأول أصبنا بأبي وفى الثاني بأخي وفى هذا بأخي الأخر قال فكدت أتلف من البكاء فخرجت تلك المرأة وهى تقول : أمهنينا جِئت أم معزى إن كان ولدى قد مات فعزنى وإن كان قد أستشهد فهنني فقلت لا والله بل أستشهد فقالت وما علامة ذلك ؟قلت قتل قالت قبلته الأرض أم لا ؟ قلت لا والله قالت الحمد لله ثم فتحت صندوقاً وأخرجت مسحاً "وهوكساء من شعر "أسوداً وغلا من حديد فقالت إنه كان إذا جن الليل يلبس هذا المسح ويغل يده بهذا الغل ويقول إلهي أحشرني من حواصل الطير وبطون السباع فمالي عين تراك وقد استجاب الله منه ذلك ."

أخي الحبيب بعد أن عرفت فضل الجهاد والمجاهدين فى سبيل الله وعلمت فضل المجاهد عند الله وما أعده الله له وعلمت منزلة الشهيد فى الجنة ومكانته وعلمت أن التحريض على الجهاد بصدق يأتى بالمعجزات وأن الدعوة إلى الجهاد والتحريض عليه من أسباب عز الأمة وقوتها وبعد أن رأيت أحوال الصادقين المخلصين الذين تعرضوا للشهادة فى سبيل الله واشتاقت نفوسهم للجهاد والاستشهاد وأعدو أنفسهم لذلك اليوم إعداداً صادقاً عملياً "وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً" التوبة"وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ "إعداداً عملياً لا يفترون عنه حتى ينالوا ماتمنوا بعد أن اشتاقت نفسك للجهاد وتطلعت إلى الشهادة فى سبيل الله تعالى مع أخي المجاهد لنضبط هذه المشاعر الجميلة على منهاج النبوة حتى تكون مجاهداً سنياً فى سبيل الله وحتى لا تمشى فى طريق لا تعلم حقيقته ولا تحيط به علما من جميع النواحي وحتى لا يكون حماساً أجوفاً سرعان ما ينتهي به الحال إلى سجون الطواغيت ومعتقلات المرتدين أو تقتل على غير منهاج النبوة أو ترتد على عقبيك ويحتويك الطواغيت ويستميلونك فتصبح عميلاً لهم وجنداً من جنودهم وحتى لا تكون مرجئياً خبيثاً ولا خارجياً

---

(١)ذكرها ابن النحاس فى المشارع ص٦٩٠ والذى قبلها من المشارع بإختصار وتصرف

هؤلاء هم العلماءحقاً والدعاة إلى الله صدقاً الذين يحرضون الناس على الجهاد ويرغبونهم فى حب الإستشهاد لا الأدعياءالكذبه

ضالاً ولا صوفياً مبتدعاً مخرفاً وحتى تسير فى الطريق إلى الله على بصيرة ونور وحتى تعلم حقيقة ماأنت عليه علمياً وحركياً حتى تكون مجاهداً سنيا فى سبيل الله عندك بصيرة ويقين فى أعداء الله.

المبحث الأول

لماذا نجاهد ؟!

إن للجهاد أسباب كثيرة وحكما جليلة لأن الذي شرعه وأمر به هو العليم الخبير فما دام أن الآمر به هو الحكيم فالحكمة والمصلحة ثابتة فيه قطعا ، فإن مقتضى العبودية أن ينفذ العبد أمر سيده ، عرف حكمته أو لم يعرف وإن كان معرفة الحكم والأسباب تقوي العزائم وتشحذ الهمم وتيسر أمر التكاليف على المكلفين .كما قال تعالى "كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُم) .. البقرة ...فنقاتل ونجاهد في سبيل الله لأسباب كثيرة منها :

١-أن الله فرضه علينا :فقال سبحانه وتعالى "كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٢١٦)) "البقرة

وقال سبحانه " انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٤١) التوبة .

وقال تعالى –مخاطبا المؤمنين –يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (١٢٣)) " التوبة

ولماذا فرض الله علينا القتال والجهاد ؟

فرض الله علينا القتال والجهاد لحكم كثيرة وأهداف جليلة وغايات نبيلة منها :

١ - تعبيد الناس لله وحده لا شريك له

فشرع الجهاد لإفراد الله بالعبودية وتطهير الأرض من الشرك والكفر والفساد وإزالة عروش الطواغيت التي تعبد من دون الله ،

شرع الجهاد لتحكيم شرع الله وإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام كما قال الصحابي الجليل ربعي بن عامر –رضي الله عنه -،

فما شرع الجهاد إلا للقضاء على الكفر والشرك ونشر التوحيد والسلام ، لأن الإسلام هو دين السلام دين الأمن والأمان دين العدل والسماحة ، وفي هذا رد على أهل الزيغ والضلال الذين يقولون أن الإسلام لم ينشر بالسيف ، ويقولون بالتقارب بين الأديان بين التوحيد والشرك ، بين الإسلام والكفر والزندقة والإلحاد .

وهؤلاء الجهلة الضلال يصرحون بذلك في ندواتهم مع أهل الصليب ويستحون من إظهار عظمة هذا الدين الذي نشر العدل والنور في كل مكان ، نعم إن الإسلام انتشر بالسيف والسنان كما انتشر بالحجة والبيان فقوام الدين قرآن يهدي وسيف يقوم .

فهناك بلاد فتحت بالدعوة والقرآن والسلم والأمان .

وهناك بلاد فتحت بالسيف والسنان عنوة بالحرب .

وهناك بلاد فتحت وانتشر الإسلام فيها عن طريق التجار المسلمين وسلوكهم ودعوتهم إلى الإسلام في كثير من البلدان وهذا ما يعرفه من له أدنى علم بالإسلام.

فلم ينتشر الإسلام بالسيف وحده ، ولا بالقرآن وحده ، بل بالدعوة والجهاد ، فإن الدعوة والجهاد متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر فقوام الدين قرآن يهدي وسيف يقوم كما سبق آنفا من كلام شيخ الإسلام –رحمه الله -.

الطريق لرفع رايه التوحيد

ونقول للذين يرددون هذه الشبهات من أهل الكفر والإلحاد ونقول أيضا للذين لا يعرفون دينهم ولا يحسنون الرد على أهل الغرب :لو فرضنا جدلا أن الإسلام انتشر بالسيف والقوة –مع أن ذلك لم يحدث بل ضرب المسلمون أروع الأمثلة في الرحمة والعدل ونشر الأمن والأمان والقضاء على الظلم والجور وتخليص العباد من عبودية البشر والقهر والذل –نقول لماذا تعيبون على الإسلام أنه انتشر بالسيف وأنتم تحاربون أنفسكم من أجل التوسع على حساب جيرانكم ؟ !تتقاتلون من أجل نشر أفكاركم المنحرفة الظالمة ، تتقاتلون من أجل أن تتوسعوا على حساب جيرانكم وبسط نفوذكم ونشر معتقداتكم بالقوة ، تتقاتلون من أجل الاستيلاء على خيرات وثروات البلاد المجاورة لكم ....

لماذا تحلون ذلك لأنفسكم وتحرمونه على غيركم ؟ !أين أنتم يا دعاة السلام والسماحة والمساواة من الظلم والإبادة الجماعية لشعب الهنود الحمر الذي أبادته أمريكا المتحضرة واستولت على أرضه بالقوة والدماء ؟ !أليس في ذلك وحشية وهمجية ؟ !أين كنتم عندما استولت بريطانيا على أكثر من نصف الكرة الأرضية وكونت امبراطوريتها على حساب الشعوب الفقيرة من القتل والتعذيب والسخرة وتشريد الأطفال وقتل الشيوخ واستعباد الشباب واسترقاق النساء ؟ !أين أنتم عندما احتلت فرنسا الجزائر وإيطاليا ليبيا وإسبانيا الأندلس واليهود فلسطين والروس أفغانستان والشيشان وأمريكا العراق وما حرب فيتنام منكم ببعيد ؟

إذا كانت الأمم القوية تتوسع على حساب الأمم الضعيفة وإبادتها أو قهرها ودخولها في عقيدتها والغرب هكذا ؟ !ظلم وقهر واستعباد فلماذا تهاجمون الإسلام وهو دين العدل والرحمة والسلام والأمان ؟ !

وشتان بين من يجاهد ويفتح البلاد ليخلصها من الذل والظلم والقهر وينشر فيها العزة والعدل والرحمة والتوحيد وبين من يحتل البلاد ليقهر أهلها ويسومهم سوء العذاب والقهر وينشر فيها الخوف والفاحشة والرذيلة والكفر والشرك والإلحاد .

فشرع الجهاد وفرض القتال لتعبيد الناس لرب الناس .

قال تعالى "وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ (١٩٣) البقرة

وقال سبحانه "وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣٩) الأنفال

وقال جل ذكره "وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٤٤)) " البقرة ،

وقال تعالى "فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥) "التوبة

وقال تعالى قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ (٢٩) " التوبة

وقال تعالى وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (٢٥١) البقرة

وقال تعالى" الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠)" الحج

وقد أمر الله المجاهدين بضرب رقاب الكافرين وقتال المشركين أعداء الدين فقال رب العالمين فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ) "محمد

وقال الله تعالى لنبيه –ﷺ –ولأمته من بعده يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٧٣)) " " التوبة

وكرر ذلك فقال سبحانه يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٩) " التحريم

وقال سبحانه وتعالى –مبينا أن الجهاد في سبيل الله من أعظم القربات –يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣٥)) " المائدة.

ويقول الله سبحانه حاثاً المؤمنين على النفرة والجهاد في سبيله " انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٤١) "ومن يتأمل في الآيات التي بعد هذه الآية يجدها قوارع تفضح المنافقين والأدعياء الكذبة المتاجرين بدين الله القاعدون المتساقطون تدبر ذلك في الآيات من ٤١-٥٩من التوبة

ويقول الله تبارك وتعالى للمؤمنين " وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ "الحج أي لا تخافوا في الله لومة لائم واستفرغو الطاقة والوسع في الجهاد الذي اختاركم وهداكم إليه وتعبدكم به وأثابكم عليه المغفرة والجنة

وقال الله تعالى لنبيه صلى الله علية وسلم محرضاً المؤمنين على الجهاد والقتال "فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا (٨٤) النساء

وقال تعالى "فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (٧٤) النساء

وقال تعالى "فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ (١٢) التوبة

والآيات في الأمر بالجهاد والحث عليه والدعوة إلى قتال الكافرين كثيرة جداً

وكذلك الأدلة من السنة النبوية كثيرة جداً منها

ماثبت في الصحيحين والسنن والمسانيد والمعاجم عن أبى هريرة رضي الله عنة قال,قال رسول الله صلى الله علية وسلم "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقول لا إله إلا الله ,فإذا قالوها عصموا منى دمائهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله تعالى "وهو حديث متواتر مشهور .

وقولة ﷺ للجيش المجاهد "سيروا بسم الله قاتلوا من كفر بالله .

وقوله ﷺ كما في البخاري "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن مُحَّداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دمائهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله ."

ويقول ﷺ "بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله تعالى وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذل والصغار على من خالف أمري ومن تشبه بقوم فهو منهم "رواة الإمام أحمد في المسند وهو صحيح

وقال ﷺ "جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم "حديث صحيح رواة أبو داود والنسائي والإمام احمد .

هذه الأدلة من القرآن والسنة على مشروعية فريضة الجهاد وقتال كل من كفر بالله وسيأتي فهم الصحابة وترجمتهم لهذا الفهم عملياً في حياة الرسول ﷺ ومن بعد موته فداه نفسي صلوات ربى وسلامه عليه ، وهو ماعليه أئمة الإسلام الأعلام والواقع خير شاهد على ذلك

فصل :فهم الصحابة ومن بعدهم لحقيقة الجهاد[1]

إن حقيقة الجهاد استفراغ الوسع والطاقة وتحمل المشقة والصبر عليها في الدعوة إلي الله تعالي حسب ما يقتضيه حال المدعو من الحجة والبيان وبذل الأموال ، أو المحاربة بالسيف والسنان وبكل ما يمكن أن يجاهد به في كل مكان وزمان ، وكل ذلك مبينَ في الكتاب والسنة أحسن بيان وقال عز وجل "وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ "الحج ٧٨ أبهم الله في هذه الآية ما يجاهد به ليعمم كل آلات الجهاد .

وقال تعالي " فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا (٥٢) الفرقان " أي بالقرآن " وقال عز من قال " انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٤١)التوبة"

وأما السنة

فقد قال رسول الله صلي الله عليه وسلم "جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم "ومن هنا نعرف إن الجهاد في مدلول الشرع أعم من أن يكون قتالاً كما فهمه البعض مما جعل المستشرقين ينالون من الإسلام بسبب هذا الفهم بل القتال بعض أنواع الجهاد ولا يستعمل إلا عند الضرورة والاضطرار إليه كالكي للعلاج وأكبر شاهد علي ذلك وصية صلي الله عليه وسلم لأمير الجيش أو السرية ، وهي :وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلي ثلاثة خصال) أو خلال (فآيتهن ما أجابوك فاقبل منهم ، وكف عنهم ، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم "الحديث رواه مسلم

---

(١)من التمهيد المانع والمقدمة المفيدة النافعة للمحققى كتاب" مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق " اخترنا هذه المقتطفات وهى بحق رياحين فواحة لايشم شذاها إلا من حلق فى سماء الجهاد جزاهما الله خيراً

ونلاحظ من هذه الوصية النبوية أن دعوة الكفار إلي الله بالحجة والبيان مقدمة دائماً علي الدعوة بالسيف والسنان ، ومن هنا صار القتال حسناً في نظر العقلاء عكس ما يصوره أعداء الإسلام من الهمجية والوحشية ولم يدروا أنه علاج للفرد والمجتمع ، ويعالج الفرد بأن يخرجه من مرض الكفر إلي عافية الإسلام ،والكفر أكبر مرض مدمر للإنسانية والإسلام هو الشفاء التام .

ويعالج المجتمع من حيث قطع مادة الفساد ، والظلم في المجتمع وترك الكافر علي كفره تكثير للكفار وتقوية لهم ، وهم أصل فساد الأرض ومنشأ الظلم وسبب ارتفاع الطمأنينة من عمار الأرض ولا يتمكن المجتمع الإسلامي من إقامة شعائر الله في الأرض إلا بإزالتهم وكسر شوكتهم .

ومثل الكافر في المجتمع الإنساني كمثل عضوا من أعضاء الإنسان مصاب بمرض معدي قاتل فتاك فإن أمكن علاج هذا العضو بدهان مرهم أو كيه نار فلا يتجاوز إلي غيره وإن خيف تعدي المرض إلي سائر أعضائه فلا بد من إزالة ذلك العضو المصاب بالمرض حفاظاً علي سائر الأعضاء مع أن في إزالته ألما شديداً للمريض فهذا الفعل حسن ، بل واجب متعين عند جميع العقلاء ولا أحد من البشر يقول :هذا تشدد في العلاج أو قساوة في المعاملة ، أو عدم الرحمة من الطبيب وهكذا مكانة القتال في الإسلام ومن ذمه ، فيلزمه أن يذم ذلك العلاج فالجهاد حسن لمعني في غيره إذ فيه قمع أعداء الله ونصر أوليائه وإعلاء كلمة الإسلام وحمل الكافر علي ترك كفره الذي هو أقبح الأشياء ثم القتال شرع لدفع شر الكفرة عن أهل الإسلام إذ هم أعداء دين الله فإن أمكن الدفع بدون القتال لا يتسارع إلي القتل ، وإلا فحينئذ تقدم علي القتال .

هذا هو الجهاد في الإسلام ، وهكذا فهمه المسلمون الأولون وقاموا به حق القيام ولم يكونوا يتنازعون فيما بينهم هل الجهاد دفاعي أو هجوم ؟

فالجهاد ليس هجوماً ولا دفاعاً ولا يجوز وصف الجهاد بالهجوم ولا بالدفاع لأنهما كلمتان مستوردتان من قبل أعداء الإسلام ومفهومهما يخالف مفهوم الجهاد .

فإن الهجوم في اللغة :الدخول علي غيره بغتة علي غفلة منه ويعنون بالهجوم اعتداء دولة علي أخري بغير حق كما فعلت روسيا قديما في تشيكوسلوفاكيا ، وحديثاً في أفغانستان والشيشان والإسلام ليس كذلك ، بل هذا يحرمه الإسلام ، وكيف يفرضه علي المسلمين ، هذا معني الهجوم عند المستشرقين وأذنابهم .

وأما الدفاع :فيعنون به اقتصاد دولة بمدافعة من يعتدي عليها وكل من لا يدخل في دولتها اعتداء ، ويحترم حدودها فهو صديقها الحميم ولا شأن لها فيما وراء ذلك كفر أو أسلم ، وهذا أيضاً لا يتفق مع عالمية الإسلام ، لأن الإسلام دين له حق نشر راياته في جميع أنحاء العالم إذ هي أرض الله ، إما بالسلم وهذا الذي يسعي إليه سعياً حثيثاً قبل كل شيئ ، وإما بالإستسلام بأن يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون وينقادوا لحكمة ، ويتركهم وعقيدتهم ما داموا قد اختاروها واقتنعوا بها ولا يكره أحد علي اعتناق عقيدته كما قال تعالي "لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ "البقرة ٢٥٦ فالحق واضح بين .

ومما ينبغي أن ينتبه له –أن الدعوة إلي كلمة لا إله إلا الله لاتعني مجرد الذكر باللسان ولو كان الأمر كذلك لما امتنعت قريش من قبولها ، وإنما تعني العمل بمقتضاها والعمل بحقوقها ولوازمها والإتيان بشروطها وأركانها وتجنب الوقوع في ما ينافها ، وإن العمل بمقتضاها يستلزم تغيير الحكم السابق بكاملة ، وإبطال الأنظمة التي عاشت عليها الدولة منذ أمد بعيد إذ الدعوة إلي هذه الكلمة دعوة إلي الحكم بما أنزل الله ، وهذا عين ما فهمته قريش من دعوة رسول الله صلي الله عليه وسلم حينما أرادت أن تثبته أو تقتله أو تخرجه من بلده ومعلوم لدي الجميع أن رسول الله صلي الله عليه وسلم لم يرسل عليها سيفاً ولا رفع عليها حجراً في ذلك الحين

والسؤال هنا :هل هو بدأها بهذه العداوة أم هي بدأته ؟ والجواب واضح

أما الدفاع بالمفهوم الشرعي يعني أننا لا ننتظرهم حتي يدخلوا بلادنا فندافع ، وإنما ندعوهم إلي الإسلام أولاً فإن لم يقبلوا فإلي الإستسلام ، فإن لم يقبلوا قاتلناهم فهذا فيه تفصيل ، إن كان مرادهم بالجهاد والقتال ، وهو بعض أنواع الجهاد كما قدمنا ، وليس القتال هو كل الجهاد ، من إطلاق العام وإرادة الخاص فنحن معهم ، القتال دفاعي ، ولا ينازع فيه إلا المكابر لأنهم إذا امتنعوا من قبول الإسلام ، أو الإستسلام فهم مقاتلون إما بالفعل بأن يرفعوا السلاح علينا ويبدأوننا بالقتال ، وإما بالقوة أي في الحكم بأن يكونوا علي تأهب للقتال ، ونحن في كلتا الحالتين مدافعون ويكون الصواب في التعبير "

القتال دفاعي "وهذا حق والواقع يشهد له ، ولا يقال :الجهاد دفاعي البتة"[1] " فإن الجهاد ما فرض إلا لتعبيد الناس لرب العالمين والقضاء علي الكفر والشرك في الأرض ونشر الإسلام والتوحيد والإيمان وتحكيم شريعة الرحمن والأدلة علي هذا كثيرة جداً .

قال الله تعالي "وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ (١٩٣) "البقرة

وقال عز وجل "وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣٩) "الأنفال

ويقول الرسول صلي الله عليه وسلم "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله "صحيح مسلم

ويقول عليه الصلاة والسلام "أمرت أن أقاتل الناس حتي يشهدوا أن لا إله إلا الله ..الحديث "

ويقول صلي الله عليه وسلم "بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتي يعبد الله وحده ..الحديث . "

فهم الصحابة والسلف لهذه الأدلة

كان هذا السبب العظيم والهدف الجليل للجهاد وهو تعبيد الناس لرب الناس والقضاء علي الكفر حاضراً في حس الصحابة رضي الله عنهم أثناء معاركهم مع أعداء الله

"ففي صحيح البخاري عن جبير بن حية .قال :ندبنا عمر وإستعمل علينا النعمان بن مقرن حتي إذا كنا بأرض العدو خرج علينا عامل كسرى في أربعين ألفاً فقام ترجمان فقال ليكلمني رجل منكم .فقال المغيرة سل عما شئت .قال ما أنتم .قال نحن أناس من العرب كنا في شقاء شديد وبلاء شديد نمص الجلد والنوى من الجوع ونلبس الوبر والشعر ونعبد الشجر والحجر فبينما نحن كذلك إذ بعث رب السموات ورب الأرضيين تعالي ذكره وجلت عظمته إلينا نبياً من أنفسنا نعرف أباه وأمه فأمرنا نبينا رسول ربنا صلي الله عليه وسلم أن نقاتلكم حتي تعبدوا الله وحده أو تؤدوا الجزية وأخبرنا نبينا صلي الله عليه وسلم عن رسالة ربنا أنه من قتل منا صار إلي الجنة في نعيم لم يرى مثله قط ومن بقي منا ملك رقابكم "صحيح البخاري ، الفتح . **6/190**

الشاهد فهم الصحابة رضي الله عنهم ومعرفتهم بالسبب الذي من أجله يقاتلون ووضوح الهدف الذي من أجله يجاهدون وهو تعبيد الناس لرب الناس والقضاء علي الشرك وذكر ابن كثير قصة ربعي بن عامر رضي الله عنه لما بعثه سعد بن أبي وقاص إلي رستم ومنها "فدخل عليه وقد زينوا مجلسه بالنمارق المذهبة والزرابي الحرير وأظهر اليواقيت واللآلئ الثمينة والزينة العظيمة وعليه تاجه وغير ذلك من الأمتعة الثمينة وقد جلس علي سرير من ذهب ودخل ربعي بثياب صفيقة وسيف وترس وفرس قصير ولم يزل راكبها حتي داس بها علي طرف البساط ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد وأقبل وعليه سلاحه ودرعه وبيضته علي رأسه فقالوا له ضع سلاحك قال إني لم آتكم وإنما جئتكم حين دعوتموني فإن تركتموني هكذا وإلا رجعت "الله أكبر عزة وشرف

عزة المسلم المجاهد وشرفه سلاحه وهذا فيه من الفوائد الغالية للمجاهدين ما تجعلهم أهل العزة والكرامة فلا تراجع ولا استسلام إلا لله وحده واليقين بما عند الله

وفيها عدم طرق أبواب الملوك والسلاطين والجلوس معهم علي موائد المفاوضات والتنازلات والتراجعات وفيه الأخذ بالحيطة والحذر والقتال حتي الموت ولا يستأسر المجاهد —كما سيأتي —وفيه تعظيم حرمات الله وشعائر الله والخوف من الله وحده واليقين بما عنده سبحانه وفيه عدم النظر إلي متاع الدنيا ومقارنة ما عند الله في الآخرة وما أعده الله سبحانه للمجاهدين والشهداء وفيه أن الأقوى يملك الضعيف ويملي عليه شروطه عند التفاوض {فقال لهم رستم ائذنوا له فأقبل يتوكأ علي رمحه فوق النمارق فخرق عامتها فقالوا له ما جاء بكم ؟

فقال الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلي عبادة الله ومن ضيق الدنيا إلي سعتها ومن جور الأديان إلي عدل الإسلام فأرسلنا بدينه إلي خلقه لندعوهم إليه فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه ومن أبي قاتلناه أبداً حتي نقضي إلي موعد الله قالوا وما موعد الله ؟ قال الجنة لمن مات علي قتال من أبي والظفر لمن بقي "البداية والنهاية ٣٩/٧

---

(١)مشارع الأشواق إلي مصارع العشاق مثير الغرام إلي دار الإسلام في الجهاد وفضائله ص٢٥
بتصرف من التمهيد تحقيق ودراسه إدريس محمد علي و محمد خالد إسطمبولي حفظهما الله ونفع بهما

شبهة:

وفهم الصحابة لهذا السبب وقيامهم من أجله قياماً عملياً للجهاد والقتال لهو خير دليل علي رد شبهة أهل التخاذل والتراجعات ودعاة الإنبطاح الذين يريدون إبطال الجهاد وإنحصار الإسلام في بقعة صغيرة من الأرض وحجب نوره عن البشرية وهؤلاء يريدون هدم الدين وإذلال المسلمين بدعوتهم إلي مقولة فاسدة مفادها أن الجهاد ما شرع إلا لرد العدوان ويستدلون بقوله تعالي في سورة البقرة "وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (١٩٠)

—مع أن الله تعالي قال بعدها في نفس السورة "وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ "ويستدلون أيضاً بقوله تعالي "في سورة الأنفال "وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦١) "الأنفال

مع أن تعالي قال في سورة مُحَمَّد صلي الله عليه وسلم " فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ (٣٥) مُحَمَّد فما دام بالمسلمين قوة وكانوا أعلي من عدوهم فلا سلم ولا هدنة ولا صلح بل القتال حتي لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله وذلك لأن آخر ما نزل من الجهاد هو قوله تعالي "فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥) "التوبة قال ابن كثير "أمر تعالي بقتال الكفار حتي لا تكون فتنة أي شرك قاله ابن عباس وأبو العالية ومجاهد والحسن وقتادة والربيع ومقاتل بن حيان والسدي وزيد بن أسلم أن الفتنة الشرك ويكون الدين لله أي يكون دين الله هو الظاهر علي سائر الأديان "٣٢٩/١ التفسير وقال ابن جرير الطبري " فقاتلوهم حتي لا يكون شرك ولا يعبد إلا الله وحده لا شريك له فيرتفع البلاء عن عباد الله من الأرض وهو الفتنة ويكون الدين كله لله وحتى تكون الطاعة والعبادة كلها لله خالصة دون غيره "تفسير الطبري ٥٣٧/١٣ .

وقد روى البخاري في صحيحه أن آخر سورة نزلت من القرآن سورة براءة فالأمر بقتال المشركين أمر عام مطلق لا مقيد له ولا مخصص له ولا ناسخ له وأكبر دليل علي ذلك وهو واضح بين صريح لا يحتمل التأويل ولا التحريف كما يظنه أهل الزيغ هو فعل النبي صلي الله عليه وسلم والخلفاء من بعده في قتال المشركين وأهل الكتاب ولا يمنع من هذا الجهاد إلا العجز لأن القدرة مناط التكليف فإن عجز المسلمون عن القتال فعليهم بالإعداد له فإن الإعداد لا يسقط بحال كالصلاة تماما أما آية الأنفال المحتج بها على المسالمة والجنوح للسلم فهى فى حال كون المسالمة فى مصلحة المسلمين ويحتاجون إليها وفيها دليل على استحباب وجواز الصلح المؤقت المحدد بمدة بين الكفار والمسلمين لأن الأصل فى العلاقة بين المسلمين والكافرين هو القتال وأن الاستثناء منه هو السلم فى صورة هدنه أو صلح مؤقت غير دائم ولا يلجأ إلى هذا الاستثناء إلا فى حالات خاصة يراها المسلمون أهل الثغور من العجز وعدم الكفاية وغير ذلك أما صلح دائم وسلم دائم فهذا فيه إبطال للجهاد وإعلاء للكفار وهو يتعارض مع قول الله تعالى "فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ (٣٥)"مُحَمَّد فالآية محمولة على جواز المسالمة بشرط حاجة المسلمين لذلك أما أية سورة مُحَمَّد ﷺ فهى تختص بحال أخر وهو كون المسالمة ليست فى مصلحة المسلمين وذلك عندما تكون بهم القوة التى يقهرون بها عدوهم فإنه لا توجد المسالمة حينئذ لهذه الآية ولأن فى هذا عدول عن الأصل المطلوب وهو إظهار الدين وعلو الإسلام على ما عداه لقوله تعالى "وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ (١٩٣)البقرة

وقوله تعالى "هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٩)الصف" هذا هو الأصل المقصود إظهار الإسلام ليقاتل المشركين فإما أن يسلموا ويعودوا إلى العبودية لله رب العالمين ،وإما أن يظلوا على دينهم مؤدين الجزية تحت حكم الإسلام يجرى عليهم الذلة والصغار جزاء تمردهم على العبودية لله الواحد القهار قال تعالى "حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون "وقال تعالى " إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ (٢٠)

<u>قال ابن كثير رحمه الله فى تفسير</u> أية الأنفال " وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦١)

" قال :قال ابن عباس ومجاهد وزيد بن أسلم وعطاء الخرسانى وعكرمة والحسن وقتادة إن هذه الأية منسوخة بأية السيف فى براءة "قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ" وفيه نظر أيضاً لأن أية براءة فيها الأمربقتالهم إذا أمكن ذلك فأما إن كان العدو كثيفاً فإنه يجوز مهادنتهم كما دلت عليه هذه الآية الكريمة ، وكما فعل النبى ﷺ يوم الحديبية فلا منافاة ولا نسخ ولا تخصيص والله أعلم "تفسير ابن كثير١١٤/١١٣/٧ط أولاد الشيخ

<u>وقال الحافظ بن حجر</u> فى نفس الآية "وإن جنحوا للسلم "قال "هذه الآيه دالة على مشروعية المصالحة مع المشركين ..ثم قال ..ومعنى الشرط فى الآية أن الأمر بالصلح مقيد بما إذا كان الأحظ للإسلام المصالحة ، أما إذا كان الإسلام ظاهراً على الكفر ولم تظهر المصلحة فى المصالحة فلا "فالأية دالة على

مشروعية المسالمة عند الحاجة كشغل المسلمين عن حربهم أو عند ضعف المسلمين عن قتال المشركين جازت المصالحة كما وقع فى الحديبية "وهناك فرق بين الجواز والوجوب ودليل ذلك فعل النبى ﷺ بقتاله الروم فى مؤتة وتبوك مع قلة العدد والعدة وكذلك فعل الصحابة من بعده وأهل الثغور إلى يومنا هذا فالجهاد ماضٍ إلى قيام الساعة انظر صحيح البخاري مع الفتح ٣٠٩/٣٠٨/٦ط الحديث وبقول الشافعي رحمة الله "دل كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم أن فرض الجهاد إنما هو على أن يقوم به من فيه كفاية للقيام به حتى يجتمع أمران .أحدهما أن يكون بإذاء العدو المخوف على المسلمين من يمنعه والأخر :أن يجاهد من المسلمين من فى جهاده كفاية حتى يسلم أهل الأوثان أو يعطى أهل الكتاب الجزية "الأم١٦٧/٤

ويقول مُحَّد بن الحسن "فرضية القتال المقصود منها إعزاز الدين وقهر المشركين "السير الكبير للشيبانى ١٨٨/١

ويقول ابن عبد البر المالكي "يقاتل جميع أهل الكفر من أهل الكتاب وغيرهم من القبط والترك والحبشة والفزارية والصقالبة والبربر والمجوس وسائر الكفار من العرب والعجم يقاتلون حتى يسلموا أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون "الكافي فى فقه أهل المدينة

ويقول ابن القيم رحمه الله والمقصود من الجهاد إنما هو أن تكون كلمه الله هى العليا ويكون الدين كله لله ..فإن من كون الدين كله لله إزلال الكفر وأهله وصغاره وضرب الجزية على رؤوس أهله والرق على رقابهم فهذه من دين الله ولا يناقض هذا إلا ترك الكفار على عزهم وإقامة دينهم كما يحبون بحيث تكون لهم الشوكة والكلمة "أحكام أهل الذمة

وقد أجاد الأستاذ الشيخ سيد قطب رحمه الله فى الكلام على فريضة الجهاد وأسبابه إجادة قلما تجد لها مثيل بكلام عليه نور أنظره فى الظلال ١٤٥١/١٤٤٨,١٤٣٥/١٤٣٣/٣ ومشارع الأشواق إلى مصارع العشاق من التمهيد ص٢٤ ،٢٣فإنه مهم جداً

٢-والسبب الثاني من أسباب الجهاد والقتال فى سبيل الله غير تقيد الناس لرب الناس وإعلاء كلمة الله ونشر الإسلام والتوحيد والإيمان هو هدم بنيان النظم المناقضة لمبادئ الإسلام وإقامة دوله تحكم بشريعة الرحمن

٣-**رد اعتداء المعتدين على المسلمين** قال تعالى "وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (١٩٠) "البقرة وقال تعالى " أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣) التوبة "

٤ - ومن أسباب الجهاد حماية الدولة الإسلامية من شر الكفار

ومن الأدلة على ذلك أن النبى ﷺ كان يأمر بقتل واغتيال كل من يكيد للإسلام ويمكر بالمسلمين ومن ذلك أمره ﷺ بقتل خالد بن سفيان بن نبيح عندما جمع له ليغزوه فأرسل له رسول الله ﷺ عبد الله بن أنيس فقتله .

ومن ذلك أمر رسول الله ﷺ بقتل كعب بن أشرف اليهودي وسلام بن أبى الحقيق اليهودي فإنهما كانا مصدر خطر على الدولة الإسلامية

ومن ذلك حض النبى ﷺ على الرباط وحراسة المسلمين والرباط هو المرابطة فى الثغور على حدود الدولة الإسلامية وفى مقابلة الأعداء ولكن مما ينبغي أن يتنبه له أن الدولة الإسلامية ليست حوزة من الأرض لها حدود معينه يحافظ عليها فقط بل كلما أمتد الإسلام إلى أرض وأزال عنها أنظمة الشرك صارت داخلة فى الدولة الإسلامية التى لا تحدها الحدود الجغرافية ولا الأعراف ولا العادات الدولية فأرض الله هى التى يقام عليها شريعة الله ويعبد فيها وحدة سبحانه لا شريك له

٥- ومن أسباب الجهاد أيضا قتل الكافرين وإباحتهم ومحقهم

قال الله تعالى فى ذلك "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٧٣) "التوبه وكررها فى سورة التحريم ٩ والتكرار هذا من الله ليس عبثاً —حاشا لله —ولكن فيه تذكير بالأمر وحض عليه ومعلوم أن سورة التحريم مدنية وكذلك سورة التوبة بل أخر ما نزل من القرآن وهذا فيه فائدة عظيمة لمن تدبرها

وقال تعالى فى سورة النساء "فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا (٨٤) "النساء "

وقال تعالى "واقتلوهم حيث ثقفتموهم "ثم قال بعدها "وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣٩)الأنفال"قاتلوهم حتى لا يبقى شرك فى الأرض ولا يبقى إلا مسلم مسالم إما معاهد أو ذمي أو صلح وأمان إلى أجل معلوم محدد

وقال سبحانه وتعالى " فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ "سورة مُحَّد ٤ سورة القتال

وقال سبحانه " قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ (١٤)" التوبة

وقال جل شأنه فى سورة الأنفال "فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ (١٢)

وقال سبحانه "وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ (٧) "الأنفال فقطع دابر الكافرين وزوالهم من على الأرض هو مراد الله وهو أمر محبوب إلى الله لذلك قال لرسوله ﷺ" مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ "الأنفال

لا نريد أسرى ولا نريد الجلوس على مائدة المفاوضات بل نريد قطع الرقاب نريد إظهار الغلظة والشدة لأن الموطن موطن جهاد ومناط شدة وغلظه وحرب ودماء فالأمر يتطلب ذلك ،خلاف مواطن الدعوة فهو مناط رفق ولين والذى لا يفرق بين المناطين ويستدل بآيات الرحمة والإحسان والحكمة واللين فى كل موطن فقد جهل مقاصد الشريعة وضل عن مراد الله ورسوله انظر إلى قول الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه عندما استشاره رسول الله ﷺ فى أسارى بدر "أرى أن تمكنني من فلان –قريب لعمر -فأضرب عنقه وتمكن علياً من عقيل فيضرب عنقه وتمكن حمزة من فلان أخيه فيضرب عنقه حتى يعلم الله أنه ليست فى قلوبنا هوادة للمشركين وهؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم "انظر صحيح مسلم والمسند

فالسلاح السلاح والجهاد الجهاد والقتل القتل حتى يعلم الكفار والمشركين المرتدين أنه ليس فى قلوبنا إلا العداوة لهم مادموا يحاربون دين الله ويصدون عن سبيل الله

القتل القتل حتى يعلم الكفار أن ديننا لا نبيعه على موائد العار والذل والانبطاح ديننا لا نبيعه بعرض من الدنيا أى كان هذا العرض وإن كان الملك والرياسة فكل ذلك زائل لا محالة

ديننا لا نبيعه لأنه ليس للبيع وليس فى محل مساومة ولكن نبيع أنفسنا لله على الدعوة والجهاد حتى يعبد الله وحده وحتى تطهر الأرض من الشرك والمشركين مهما كلفنا ذلك من ثمن فهو رخيص فى جنب الله فهل فهم دعاة الإنبطاح وفقه المراجعات ذلك ؟

بل أنظر إلى قول عبد الله بن رواحه وهو أشد من قول عمر رضى الله عنهم أجمعين قال "يارسول الله انظر واديا كثير الحطب فأدخلهم فيه ثم أحزم عليهم ناراً "فقتل الكافرين والمشركين والمرتدين وإبادتهم من أسباب الجهاد

وجهاد الكفار بكل مايستطيع المسلم كما قال النبى ﷺ "جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم "صحيح على شرط مسلم رواه أبو داوود والنسائى

وهذا ما قام به الصحابة بعد رسول الله ﷺ ففتحوا البلاد ودخل الناس فى دين الله أفواجاً وانتشرت وسطعت شمس الإسلام فى كل مكان بفضل الجهاد فى سبيل الله فلقد فهم الصحابة رضى الله عنهم مراد الله ومراد رسوله ﷺ أن الدعوة والجهاد متلازمان لا ينفك أحدهما عن الأخر وفهموا رضى الله عنهم أن قوام الدين قرأن يهدى وسيف يقوم "فقاموا به خير قيام ومن أراد النجاة والفوز والفلاح فعليه بذروة سنام الإسلام فهو طريق العزة إلى الجنان ورضا الرحمن ، نسأل الله حسن الخاتمة .

الخلاصة

وإذا أردنا أن نجمل الخلاصة فى أسباب الجهاد ولماذا نجاهد فنقول نجاهد

١-لأن الله أمرنا بذلك وفرضه علينا وكتبه علينا

٢-لتكون كلمة الله هى العليا وإعزاز الدين وقهر المشركين ،

٣-نجاهد لتعبيد الناس لله وحده وإخراجهم من العبودية للعباد

٤-نجاهد لإزالة الطواغيت كلها من الأرض وإخلاء العالم من الفساد

٥-نجاهد لتحرير الإنسان فى الأرض من العبودية للعباد ونجاهد حتى تكون شريعة الله هى الحاكمة وأن يكون مرد الأمور إلى الله وفق ما قرره سبحانه من شريعة مبينه

ونجاهد لقيام مملكة الله فى الأرض وإزالة مملكة البشر وانتزاع السلطان من أيدي مغتصبه من العباد ورده إلى الله وحده وسيادة الشريعة الالهية وحدها وإلغاء القوانين البشرية .

كل أولئك لايتم بمجرد التبليغ والبيان لأن المتسلطين على رقاب العباد المغتصبين لسلطان الله فى الأرض لا يسلمون فى سلطانهم بمجرد التبليغ والبيان وإلا فما كان أيسر عمل الرسل صلوات الله وسلامه عليهم ، وتاريخ هذا الدين على ممر الأجيال"[1] "

---

(١)أنظر كلام الأستاذ الشيخ سيد قطب رحمة الله بتمامه فى" أهداف الجهاد وغايته" الدكتور على بن نفيع

٦-ونجاهد لرد اعتداء المعتدين على المسلمين وأرض المسلمين وأعراض المسلمين ونجاهد لحماية الدولة الإسلامية من شر الكفار والمرتدين

٧-نجاهد لقتل الكافرين وإبادة المرتدين ومحقهم وتطهير الأرض منهم ومن رجسهم هذه بعض أسباب الجهاد التى من أجلها نجاهد ونقاتل فعلى كل مسلم يريد الجهاد فى سبيل الله أن يخلص النية لله سبحانه وحده ويعرف معرفة جيدة لماذا يجاهد ,وستأتي مسائل فى أخر الرسالة تفصل وتوضح بعض مسائل الجهاد المتفرعة من هذا الأصل والله المستعان

المبحث الثاني

من نجاهد ؟

بعد أن أخلصنا النية لله تعالي ووقفنا علي أسباب الجهاد التي شرع من أجلها وعلمناً جيداً لماذا نجاهد علماً لا يزول بشبهات الضالين المرجفين من العلمانيين والمرتدين و المخذلين من دعاة الإنبطاح وفقه التراجعات أدعياء السلفية ومرجئة العصر وغيرهم من المنحرفين عن طريق العزة الذي وضحه رب العالمين وبينه رسوله صلي الله عليه وسلم البيان المبين وسار عليه الصحابة الكرام المجاهدين ومن تبعهم علي درب الجهاد من سلفنا الصالح رضي الله عنهم أجمعين وهو ماضٍ مع كل بر وفاجر إلي يوم الدين .فبعد أن حددنا الهدف وعرفنا السبب لا بد وأن نعرف العدو الذي سنقاتله لا بد أن نعرف جيداً من نجاهد فتحديد العدو مهم جداً ويبين لنا الله عز وجل العدو الذي نجاهده ونقاتله وهم الكفار والمشركين والمرتدين وكل عدو للدين محارباً لله ولرسوله وللمؤمنين ، يقول رب العالمين " قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ (٢٩) " التوبة ويقول النبي صلي الله عليه وسلم "اغزوا في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله "بهذا البيان الواضح الذي لا لبس فيه ولا تأويل ، يبين لنا الله ورسوله البيان المبين بقتال الكفار فالمبيح للقتال والجهاد الكفر والمحاربة إذا كان ذلك كذالك فهل كل كافر يقتل فهل كل كافر يقاتل ؟؟ ليس كل كافر يقاتل بل هناك كفار لا يقاتلون فعلينا إذاً أن نحدد الكافر وأنواعهم وأنصافهم حتى يستطيع المجاهد أو الذي يريد الجهاد أن يحدد العدو المقصود فنقول باختصار شديد.

أنواع الكفار والأعداء —

أولاً :نقرر أصلا من أصول الإسلام التي بني عليها باتفاق أهل القبلة أن كل إنسان أو بعبارة أدق كل مخلوق من الجن والإنس لا يؤمن بالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً فهو كافر وإن مات على ذلك فهو خالد مخلد فى نار جهنم ,هذا أصل فاليهودي والنصراني والمجوسي والبوذي والشيوعي وغيرهم كل هؤلاء كفار يجب جهادهم حتى يدخلون فى دين الله ويدينون دين الحق الذى هو الإسلام ومن لم يكفر هذا الكافر الأصلى أو شك فى كفره أو قال ماعلى به أو قال هو صاحب دين سماوي وله رسول فلا أكفره والله يحكم بيننا يوم القيامة ولا ندرى من منا على الحق من يقول ذلك ولم يكفر الكافر الأصلى أو شك فى كفره فهو كافر مرتد عن الإسلام مكذب بالقرآن والسنة مخالف لأهل الإسلام متبع لأهل الكفر والأوثان والكافر إما أن يكون أصلى مثل اليهود والنصارى والمشركين وسائر ملل الكفر وإما أن يكون مرتد بعد إسلام وهذا يقتل متى قدر عليه .والكافر الأصلى إما أن يكون محارب فيقتل على كل حال متى قدر عليه وإما أن يكون معاهد أو مستأمن بعقد ذمة أو صلح أو أمان فإذاً ليس كل كافر يحارب وليس كل كافر يقتل فأهل الكتاب من اليهود والنصارى والمجوس على قول عمر رضى الله عنه فى أهل البحرين لهم ثلاث حالات إما الدخول فى الإسلام وإما دفع الجزية وإما الحرب هذا فى الجهاد الذى هو فرض كفاية فى بلادهم وأرضهم جهاد الطلب مع قوة المسلمين وتمكنهم وعزتهم وقدرتهم والمشركون عبدة الأوثان من العرب وغيرهم الذين ليس لهم كتاب سماوي فلهم حالتان إما الدخول فى الإسلام وإما الحرب وليس لهم دفع الجزية على الصحيح الثابت المعمول به فى عهد الرسول ﷺ والخلفاء من بعده أما فى حالة دخول الكفار أراضى المسلمين واحتلالهم بلاد المسلمين وأسرهم الشباب وسبيهم النساء فهنا يكون الجهاد فرض عين على كل مسلم ومسلمة لفك أسرى المسلمين وإخراجهم من بلاد المسلمين فصار الأعداء عندنا على هذا التقسيم

كافر أهل كتاب مثل اليهود والنصارى ومن كان مثلهم

كافر مشرك ليس من أهل الكتاب كمشركي العرب وغيرهم ممن ليس لهم كتاب

منافق معلوم النفاق وهو الذى يظهر الإسلام ويبطن الكفر والعداوة للمسلمين

مرتد عن الإسلام وهو الذى يكفر بعد إسلامه

العلياني دار الصفوة وهو فصل من رسالته القيمه " أهمية الجهاد" ومنها أختصرنا وأستفدنا فجزاهم الله خير

وهناك صنف خامس هم الطائفة الممتنعة عن تطبيق الشرائع وإن كانت هذه تلحق بأهل الردة على تفصيل ذكرته فى غير هذا الموضع

والصنف الأخير من أهل القتال هم البغاة قتال أهل البغي وهؤلاء ينتسبون إلى أهل القبلة مثل الخوارج وهو القتال على المفاهيم والأفكار سواء كانت صحيجه أم باطلة

والقتال من أجل الملك والسياسة والدنيا من باب الجور والظلم ،ولا يدخل فى ذلك القتال والفتنة التى كانت بين المسلمين فى عهد الخليفة الراشد على ابن أبى طالب والصحابي الجليل كاتب رسول الله ﷺ معاوية ابن أبى سفيان رضى الله عنهما وعن صحابة رسول الله ﷺ فهذا ليس قتال على الدنيا ولا السياسة والملك كما زعم أهل الإستشراق والذين فى قلوبهم مرض من الجهل والحقد والعداوة للإسلام والمسلمين ولكنه قتال فتنة سببه نصرة دين الله وإحقاق الحق وإيصاله إلى أصحابه وما وقع إلا بشبه وتأويل واجتهاد وكلاهما معذور مأجور إن شاء الله تعالى وقتال الكفار بأنواعهم الخارجين عن ملة الإسلام يختلف اختلافا كلياً عن قتال أهل البغي من المسلمين أهل القبلة وليسوا سواء فقتال الكفارغير قتال المسلمين

–الفرق بين قتال الكفار والمرتدين وقتال أهل البغي من المسلمين

١-يبدءون بالقتال والبيات

٢-وتحرق البيوت والزروع والثمار والنخيل إن رأى الإمام مصلحة فى ذلك

٣-يقتل جريحهم

٤-يتبع الفار منهم

٥-تسبي نساؤهم

٦-وتستحل أموالهم وفروج نسائهم

أما قتال أهل البغي فهم مسلمون من أهل القبلة

١ - فلا يُبدؤن بقتال

٢-ولا يمُنعون من الصلاة في المساجد

٣-لا تحرق البيوت ولا تخرب الزروع ولا تتلف الثمار

٤-لا يقتل جريحهم ولا يجهز عليه بل يداوي ويعالج

٥-لا يتبع الفار فهم فإذا القي السلاح وفر من الميدان فهو آمن

٦-لا تسبى النساء ولا يؤسر الرجال ولا تستحل الأموال فأموالهم وأعراضهم محترمة مصونة بحرمة الإسلام

هذا هو الفرق بين قتال أهل البغي وقتال أهل الكفر والردة وهذا الذى كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته من بعده فى القتال وكلا النوعين وقع فى عهدهم وكانت هذه سيرتهم لا يوجد اختلاف بينهم وهى ثابتة متواترة فى القرآن والسنة

فقد قاتل النبى ﷺ الكفار والمشركين والمرتدين فى اليمامة واليمن

وقاتل خليفته الصديق رضى الله عنه أهل الردة وسيرته فيهم واحدة معلومة

وقاتل عمر الفاروق رضى الله عنه المشركين والكفار والمجوس وفتح البلاد

وقاتل ذو النورين عثمان شهيد البررة قتيل الفجرة رضى الله عنه الكفار وفتح البلاد وحصلت فى أواخر عهده فتنة السبئية أتباع عبد الله بن سبأ اليهودي المتظاهر بالإسلام حقداً ونفاقاً وكيداً لأهله –عليه من الله ما يستحق

ثم جاء قتال الفتنة وهو قتال أهل البغي وكانت سيرتهم معلومة فى الجميع دون خلاف .

فالذين نقاتلهم ونجاهدهم هم أهل الكفر والردة والنفاق والشرك وهذا الذي أمر الله به رسوله صلي الله عليه وسلم حيث قال سبحانه لنبيه "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٩) "

وقتال المرتد أولي من قتال الكافر الأصلي وقتال الكافر القريب أول من قتال الكافر البعيد فلا بد من فقه الأولويات وترتيب الأعمال ولا بد من تأمين الجبهة الداخلية ، وسيأتي إن شاء الله تعالي في كيف نجاهد –فالعدو لابد وأن يكون معلوم الراية واضح المناط غير متلبس بشبهة وتحديد العدو مهم جداً وكما قلنا ليس كل عدو يقاتل ولكن نحارب المحارب لكفره وعداوته وصده عن سبيل الله –كما تقدم –فربما يكون عدو وبيننا وبينه عهد وصلح وهدنة كما فعله النبي صلي الله عليه وسلم مع كفار قريش في صلح الحديبية والعهد الذي كان بينه وبينهم صلي الله عليه وسلم شريطة ألا تكون الهدنة مفتوحة مطلقة فلا بد أن تكون معلومة محددة فالصلح الدائم بين الكفار والمسلمين لا يجوز وهو باطل لا يصح لأن فيه إبطال لشعيرة الجهاد وإقرار الكفار علي كفرهم وإنحصار الإسلام وتقوقعه في بقعة معينة وهذا خلاف أهداف الجهاد وغايته التي شُرع من أجلها فلا بد أن يكون الصلح محدود فلا صلح دائم بيننا وبين اليهود والنصارى والمشركين ولا معاهدات سلام دائم هذا كله باطل لا يصح ولا يُقبل في دين الله فالصلح الجائز والعهد الجائز والهدنة الجائزة هي التي تحدد بمدة معينة معلومة ريثما يستعد المسلمون وعلي حسب ما يراه الأمير والقائد والخليفة أصلح للمسلمين كما فعله النبي صلي الله عليه وسلم وخلاف ذلك فهو باطل شرعاً لا يصح بحال وإن أقدم عليه القائد والأمير والسلطان فهو باطل لا يجب العمل به بل يجب نقده والعمل علي خلافه فلا عهد ولا صلح ولا أمان ولا هدنة دائمة بين الكفار والمشركين ما داموا لم يدخلوا في الإسلام ولا عهده ولا ذمته بدفع الجزية .فالذي يريد الجهاد عليه أن يعرف العدو الذي يقاتله ومن أي الأنواع هو أهو كافر أصلي مثل اليهود والنصارى والمجوس والمشركين المحاربين أم هو كافر مرتد خرج من الإسلام من أكثر من باب بارتكابه أكثر من ناقض مثل الحكام المرتدين وأعوانهم المبدلين لدين الله المشرعين من دون الله الحاكمين بغير شريعة الله المحاربين لأولياء الله ، الصادين عن سبيل الله ومثل الفرق الضالة كالبعث والنصيرية والعلمانية والقديانية والبهائية والقرامطة والإسماعيلية والباطنية والشيعة الغلاة من الإمامية وحزب الله ومثل الطوائف الممتنعة من تطبيق الشريعة وأداء الفرائض فالمجاهد لا يلتبس عليه هذه المناطات فهي مناطات كفرية متحققة منضبطة فلا شبهة ولا تأويل فلا يغرنك أيها المجاهد تلفظ البعض من هؤلاء بالشهادتين والإنتساب إلي الإسلام فهؤلاء مرتدون كفرهم أشد وأغلظ من كفر اليهود والنصارى فلقد قاتلهم خليفة رسول الله صلي الله عليه وسلم ومع إجماع الصحابة علي ذلك هل النطق بالشهادتين مانع من الكفر والقتل ؟

ولا تلتفت لدعاة الإنبطاح وفقه التراجعات مرجئة العصر من أن لا إله إلا الله عاصمة من القتل ويستدلون بحديث أسامة وغيره دون فقه ولا علم ، بل جهل قبيح بمسائل الإيمان والكفر فلا يفرقون بين من قال لا إله إلا الله من الكفار الأصلين والمشركين وعليه يحمل حديث أسامة وغيره في ثبوت الإسلام الحكمي للكافر الأصلي في الدنيا وبين من قال لا إله إلا الله من أهل كفر الردة ولا سيما إذا كان لم يخرج من الإسلام بالإمتناع عن قولها ، فليست لا إله إلا الله مانعة من الكفر والردة ولا عاصمة دم المرتد وماله وقد فصلنا هذه المسأله في التنبيهات المختصرة المسألة الثانية بمزيد من البسط لكن المقصود هنا هو أن يحدد المجاهد العدو الذي يقاتله بدقه وعلم وبصيرة ويقين لا يتطرق إليه الشك والريب حتي لا ينتكس في الميدان أو يصل إليه فلا بد من تحديد العدو بدقة ثم بعد ذلك لا بد من تحديد الراية التي يقاتل تحتها وألا تكون راية عمية جاهلية أو حزبية بعثية قومية صوفية شركية ديمقراطيه شيعية ، بل لابد أن تكون راية سنية حنيفية جلية واضحة لا لبس فيها ولا غموض حتي لا يحصل الافتراق" [1] " فوحدة العقيدة والمنهج هي سبب الوحدة والتآلف في الميدان والاختلاف في العقيدة والمنهج لا يمكن أبداً أن يأتي بالنصر "ولا تنازعوا فتفشلوا "

فلا بد من تحديد الراية التي نقاتل تحتها في سبيل الله نصرة لدين الله إبتغاء ما عند الله ترجوا ثواب الله ، فأنت تقدم نفسك أيها المجاهد وهي أغلي ما تملك فلا تقدمها علي شيئ إلا وأنت تعلمه جيداً تمام العلم وتعتقده اعتقاداً صحيحاً لا يتطرق إليه شك علي بصيرة من أمرك ونور من ربك فعليك أخي المجاهد بعد أن علمت لماذا نجاهد وعلمت من تجاهد وحددت العدو بدقه وبحثت ودققت في مسائل الإيمان والكفر وحققتها تحقيقاً علمياً من أصولها وعلمت الإجمال والتفصيل ومن أين دخلت الشبهات علي أهل الزيغ والضلال ورددت عليها بأسلوب علمي سني مبني علي الدليل المعتبر وهو أية محكمة وحديث صحيح ثابت وفهم صحابة رسول الله صلي الله عليه وسلم فقد قطعت شوطاً كبيراً في طريق الدعوة والجهاد في سبيل الله فهيا بنا إلي المَعلم الثالث من معالم طريق الجهاد وهو متى نجاهد

---

[1] (١)وقد أغتر بعض الشباب بل بعض الدعاة براية حماس والجهاد فى فلسطين ولم يعلموا حقيقة الأمر وبعد أن سافر بعض الشباب وأمدوهم بالمال والسلاح قامت حماس وفتح بتسليم الأخوة إلى الطواغيت بموجب ما بينهم من عهود، بل قتلت حماس أخوة التوحيد والجهاد واعتقلتهم

المبحث الثالث

" متى نجاهد"

هذا سؤال مهم جداً وهو قريب من السؤال الأول لماذا نجاهد

، فعلي المجاهد أن يعلم متى يجاهد وأي من نوعى الجهاد سيقوم به وهذا يتطلب منا معرفة

مراحل تشريع الجهاد

يقول شيخ الإسلام ابن تيميه ٢٨/ ٤٢٩

"إن الله بعث محمداً صلي الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليظهره علي الدين كله وشرع له الجهاد إباحة له أولاً ، ثم أباحه له ثانياً لما هاجر إلي المدينة ، وصار له أنصار ينصرون الله ورسوله "ويقول أيضاً –رحمه الله –مبيناً مراتب الجهاد .٢٨/٣٤٧/٣٤٦

"ولأن الله لما بعث نبيه ، وأمره بدعوة الخلق إلي دينه ، لم يأذن له في قتل أحد علي ذلك ولا قتاله ، حتى هاجر إلي المدينة ، فأذن له وللمسلمين بقوله تعالي " أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠) الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (٤١) " الحج ثم إنه بعد ذلك أوجب عليهم القتال بقوله تعالي " كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٢١٦) " البقرة وأكد الإيجاب وعظم أمر الجهاد في عامة السور المدنية وذم التاركين له ، ووصفهم بالنفاق ومرض القلوب فقال تعالي " قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٢٤) " التوبة

ومما سبق يتبين لنا أن للجهاد ثلاثة مراحل

"<u>المرحلة الأولي الجهاد المكي وهو بياني عام –يدوي فردي</u>

وهذا الجهاد كان فرضاً علي رسول الله صلي الله عليه وسلم منذ أن بعثه الله وأمره بالإنذار وكان هذا أشق أنواع الجهاد علي رسول الله صلي الله عليه وسلم وكم أُوذي في سبيله من جهة قومه حتي اضطر إلي السفر إلي الطائف لعله يجد من يقوم معه في هذا الأمر ولكنه صلوات ربي وسلامه عليه رجع كما ذهب لحكمة بالغة ، وهي كمال رفعته ومنزلته بين العالمين ، كما قال الإمام ابن قيم الجوزية –رحمه الله " –لما كان الجهاد ذروة سنام الإسلام وقبته ، ومنازل أهله أعلي المنازل في الجنة كما لهم الرفعة في الدنيا فهم الأعلون في الدنيا والآخرة كان رسول الله صلي الله عليه وسلم في الذروة العليا منه ، فاستولى علي أنواعه كلها ، فجاهد في الله حق جهاده بالقلب والجنان ، والدعوة والبيان والسيف والسنان وكانت ساعاته موقوفة علي الجهاد بقلبه ولسانه ويده ، ولهذا كان أرفع العالمين ذكراً وأعظمهم عند الله قدراً ، وأمره الله بالجهاد في حين بعثه وقال " وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا (٥١) فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا (٥٢) " الفرقان

فهذه سورة مكية أمر فيها بجهاد الكفار بالحجة والبيان وتبليغ القرآن "زاد المعاد [١]

---

(١)انظر مقدمة المشارع من ص٢٥ إلي ص٢٩

فكانت للنبي صلي الله عليه وسلم قبل فرض الجهاد منازل مع المشركين فأول ذلك أنه كان يوحي إليه ولا يؤمر في غير نفسه بشيء ثم أمر بالتبليغ فقيل له "قم فأنذر "فأشفق من ذلك فنزل " يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٦٧) " المائدة . فلما بلغ كذبوه واستهزؤا به وهكذا يفعل أهل الباطل بأهل الحق فكل من سار علي طريق الأنبياء ودعا إلي ما دعت إليه الأنبياء سيصيبه مثل ما أصاب الأنبياء ولا بد ، لأنه ليس أكرم علي الله من الأنبياء وإذا رأيت الرجل يعتلي المنابر ويتصدر المجالس وقد رضي عنه الطاغوت ولم يؤذى من الباطل فأعلم أن في دينه دخن وأنه ليس علي الجادة فإذا رضي الباطل عن الحق فليفتش الحق في نفسه ومنهجه فبعد هذا التكذيب والإيذاء أمر بالصبر وقيل له " فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (٩٤) إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ (٩٥) " الحجر ثم أمر باعتزالهم فنزل " وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا (المزمل ١٠ "وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٦٨) " الأنعام

.ثم أذن لمن آمن معه في الهجرة دونه فنزل " وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (١٠٠) " النساء

ثم أمر رسوله بالهجرة ونزل " وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا (٨٠) " الإسراء فهاجر رسول الله صلي الله عليه وسلم

وقبل أن ننتقل إلي المرحلة المدنية نود أن ننبه علي أمر مهم ألا وهو أن هذه المرحلة المكية كما هو معلوم كانت مرحلة دعوة وهجرة وصبر ، دعوة سرية تارة ، ودعوة علنية تارة أخري فهي دعوية بيانية عامة أما علي مستوى الأفراد فكانت دعوية بالبيان وباليد جهاد بالبيان وجهاد باليد كما حصل من عبد الله بن مسعود وأبي ذر الغفاري وعمر الفاروق رضي الله عنهم جميعاً وهذه حالات فردية حدثت في العهد المكي علي مسمع ومرأى من النبي صلي الله عليه وسلم وهذا فيه رد علي دعاة الإنبطاح أهل التخذيل والتثبيط والإرجاف الذين يقولون نحن الآن في مرحلة كف الأيدي ونحن الآن في واقع مطابق للعهد المكي والمرحلة المكية ويتجاهلون هذه الوقائع ويهاجمونها وإن وقعت من أفراد وليس من العموم ويتناسون أن آخر أمر الجهاد وهو آية السيف والأمر بالقتال في سورة التوبة فلا يمنع أبداً في حالة الإستضعاف أن يقوم فرد أو أفراد بالصدع بالحق والجهر به ومنازلة الكفار بعمليات فردية كما قام بها الفاروق رضي الله عنه في مكة وقام بها سعد بن أبي وقاص ففي السنة الرابعة من النبوة كان أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم يجتمعون في الشعاب فيصلون فيها سراً فرآهم نفر من كفار قريش فسبوهم وقاتلوهم فضرب سعد بن أبي وقاص رجلاً فسال دمه فكان أول دم أريق في الإسلام وقد ذكر القصة ابن هشام وشيخ الإسلام مُحَمَّد بن عبد الوهاب في مختصر السيرة ونقل عنهما المباركفوري في الرحيق المختوم ص ٧٢ دار الأرقم

وسيأتي تفصيل ذلك عند الحديث علي كيفية القتال والعمليات والاستشهادية

ثم بعد هذه المرحلة المكية جاءت الهجرة ثم المرحلة المدنية وهي علي ثلاث مراتب

الأولي أن الله تعالي أذن لهم في قتال من قاتلهم فنزل " وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (١٩٠) "البقرة ثم أذن لهم في الابتداء فنزل " أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) " الحج .

المرتبة الثانية أن الله فرض الجهاد علي رسوله صلي الله عليه وسلم ، وفرض الهجرة علي المتخلفين بمكة من المسلمين فأنزل الله عز وجل في فرض الجهاد (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٢١٦)) البقرة

ثم قال(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (١٢٣) التوبة

وقال (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٤٤) البقرة

المرتبة الثالثة ثم ألزم الجهاد إلزاما لا مخرج منه فقال (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١)

التوبة ،والمراد بهذا أنه لما فرض الجهاد صار قبوله والطاعة له فيه من الإيمان وكان فرضه بشرط أن من قتل أو قتل فى سبيل الله فله الجنة ، فمن قبله على هذا كان باذلا نفسه وذلك فى سورة المبايعة ، فكانوا بائعين و الله ﷻ مشترى من هذا الوجه ، كل باع بثمن إلى أجل يكلف إن يسلم فتبين بذلك فرض الجهاد ولزومه والله أعلم[1] .

قال ابن النحاس –رحمه الله –

نفاسة السلعة تعرف بثلاثة أشياء

بعظم المشترى ، لأن العظيم القدر لا يباشر فى العادة مشترى الأشياء الخسيسة بنفيسة ولا ينسب إليه شرائها ،

وتعرف بجلالة الدلال لأن الدلال الكبير لا يسمسر على الأشياء الحقيرة ،

وتعرف بعظم الثمن لأن الشيء الحقير لا يدفع فيه الثمن الخطير ، فانظر إلى نفوس الشهداء والمجاهدين كيف اشتراها سبحانه بنفسه الشريفة وجعل السمسار عليها أشرف خلقه أجمعين وجعل ثمنها الجنة فى جوار رب العالمين وناهيك بهذا شرفاً لم ينله غيرهم ، وفضلاً لم يصل إليه سواهم .

نكته :المؤمنون عبيد الله تعالى ، والعبد لا يملك شيئاً يبيعه لسيده فمتى أعتقه صح بيعه ،وفى شرائه سبحانه من عباده المؤمنين إشارة إلى أنه مااشترى إلا ممن سبق قضاؤه بعتقهم فكل من وفقه إلى تسليم نفسه إليه بشهادة أو جهاد أو حراسة فى موقع خوف بشرط الإخلاص فى جميع ذلك ،علمنا أن البيع صدر منه أزلاً وأن الله قد عتقه بفضله من النار ويؤيد ذلك قوله ﷺ "من قاتل فى سبيل الله وجبت له الجنة "وقوله "حرمت النار على عين سهرت فى سبيل الله "وأشباه ذلك

لطيفة: لما أخبر سبحانه بأنه اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم فكأنهم قالوا ربنا ما الثمن فى هذا البيع ؟ قال الله تعالى "بأن لهم الجنة فكأنهم قالوا :ربنا فكيف نسلم هذه السلعة التى وقع عليها البيع قال :يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ "فإذا فعلتم ذلك فقد سلمتم السلعة ووفيتم بما لزمكم فى الصفقة وجبت لكم الجنة ، فكأنهم قالوا ربنا مضت سنة فضلك بأن تشهد ملائكتك بما تنعم به على عبيدك وقلت فى كتابك الكريم "وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ "وأمرت بكتابة الوثائق بين المتبايعين فمن أشهدت فى هذا البيع ؟ قال تعالى "وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ "فأنتم ياعبادى تثقون بوثيقة واحدة ، فهذه ثلاث وثائق وتثقون بشاهدين فقد أشهد على من أنزلتها عليهم وهم ثلاث أمم كل أمة لا تحصى ، فكأنهم قالوا :ربنا أنت تمحو ماتشاء وتثبت ولا تسأل عما تفعل فربما تمحو هذا فنرجع من الثمن خائبين فقال سبحانه "وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ "أي لا أحد أوفى بعهده منى :اللهم إني على ذلك من الشاهدين وبه من المؤمنين .ثم لما كان من البيع مايعقبه الندم إذا تبين صاحبه الخسران أو نقصاً فى الثمن ، وفى مايعقبه الفرح والسرور لما يظهر فيهم من الربح والغبطة وحسن الوفاء قال سبحانه "فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ "وأكد ذلك بقوله" وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ "التوبة

ولهذا لما مر الأعرابي على النبى ﷺ وهو يقرأ "إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ "فقال :كلام من هذا ؟ قال "كلام الله " قال :بيع والله مربح لانقيله ولا نستقيله ، فخرج إلى الغزو فاستشهد"[2] "

وقد تكلم صاحب الظلال –رحمه الله –كلاماً ماتعاً حول هذه الآيات وكذلك الإمام ابن القيم -رحمه الله –وهذا فيه أكبر دليل على الصدق وإخلاص النية فى الجهاد فالله سبحانه يتخذ الشهداء ويختارهم "وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ "والمحروم من حرمه الله فكم من مجاهد خرج للجهاد ثم رجع بعد مدة وانتهى به المقام فى سجون الطواغيت وصار شاويشاً ومرشداً وعميلاً يساعد الطاغوت وجنوده فى عملهم وهو كان يوم من الأيام فى أرض الجهاد قائداً ومعلماً ومدرباً فى حين أن من كان معه إما رزقه الله الشهادة مقبل غير مدبر وإما مرابطاً فى سبيل الله على ثغور الأمة ، فالعاقل هو الذى ينظر فى نفسه ويبكى عليها ويسألها بصدق وتجرد لماذا اختار الله فلاناً شهيداً وكان معي فى الميدان ؟ ولماذا رجعت أنا أو سلمت نفسي للطواغيت أو عرضت نفسي للأسر ببعدي عن أرض الجهاد وفلان مازال مرابطاً فى سبيل الله معرضاً نفسه للشهادة فى سبيل الله محارباً أعداء الله لماذا تخاذلت وصرت جندياً من جند الطاغوت أتقرب إليهم وأداوم الجلوس معهم وأقوم عمل عساكرهم من الحراسة والمراقبة لماذا صار حالي هكذا وأنا الذى كنت يوماً من الأيام أترصد هؤلاء لأقتلهم وأدعو الله أن

---

(١)انتهى كلام الإمام أبو عبد الله الحليمي في شعب الإمام نقله البيهقي في شعبه
انظر المشارع ٨٤٠ حتى ص٨٤٣ لابن النحاس

(١)انظر المشارع ٨٤٠ إلى ٨٤٣

يمنحني رقابهم ؟ ما الذى حدث وأين الخلل ؟ عدم الصدق والإخلاص أولاً ،حب الدنيا والرياسة والظهور ثانياً عدم تحقيق مسائل العقيدة والجهاد والتثبت من الطريق والمنهج ثالثاً[1] وهذا الذى نحذر منه الشباب السير فى الطريق على غير هدى ونور وعلم وبصيرة ، السير فى طريق غير واضح المعالم غير محدد الأهداف بعجل واندفاع فلا بد من تحقيق مسائل الإيمان والكفر ومعرفة خماسية الجهاد جيداً حتى لا تدخل الشبهات أثناء الطريق وتكون النهاية إما الاعتقال والأسر وإما الانتكاس عن الهداية بالكلية أو الرجوع إلى المرجئة والجهمية أدعياء السلفية أهل التخذيل والتثبيط والتراجعات الفكرية دعاة الإنبطاح والأفكار المخزية الرديه التى تجعل من عدو الأمس صديقاً وجليساً يؤنس به .كل ذلك كما سبق من العوائق التى تعترى المجاهد فى طريقه إلى الله والجهل بمراحل الجهاد المدني الثلاثة

١-الجهاد بالحجة والبيان وتبليغ القرآن

٢-الجهاد بالقتال إذناً لا وجوبا لقوله تعالى "أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ "الحج

٣-القتال وجوباً وذلك لقوله تعالى "كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ "البقرة

يقول صاحب الظلال –رحمه الله تعالى –فى المعالم:

لخص الإمام ابن القيم سياق الجهاد في الإسلام في "زاد المعاد "في الفصل الذي عقده باسم " :فصل في ترتيب هديه مع الكفار والمنافقين من حين بعث إلى حين لقي الله عزَّ وجلَّ) : "أول ما أوحى به تبارك وتعالى ، أن يقرأ باسم ربه الذي خلق ، وذلك أولى نبوته ، فأمره أن يقرأ في نفسه "فأنذر " فنبأه بقوله " :اقرأ "وأرسله بـ " :يا أيها المدثر " ، ثم أمره أن ينذر عشيرته الأقربين ، ثم أنذر قومه ، ثم أنذر من حولهم من العرب ، ثم أنذر العرب قاطبة ، ثم أنذر العالمين .فأقام بضع عشرة سنة بعد نبوته ينذر بالدعوة بغير قتال ولا جزية ، ويؤمر بالكف والصبر والصفح .ثم أذن له في الهجرة وأذن له في القتال .ثم أمره أن يقاتل من قاتله ، ويكف عمن اعتزله ولم يقاتله ، ثم أمره بقتال المشركين حتى يكون الدين كله لله ..ثم كان الكفار معه بعد الأمر بالجهاد ثلاثة أقسام :أهل صلح وهدنة ، وأهل حرب ، وأهل ذمة ..فأمر بأن يتم لأهل العهد والصلح عهدهم ، وأن يوفى لهم به ما استقاموا على العهد ، فإن خاف منهم خيانة نبذ إليهم عهدهم ولم يقاتلهم حتى يعلمهم بنقض العهد ، وأمر أن يقاتل من نقض عهده ..ولما نزلت سورة براءة نزلت ببيان حكم هذه الأقسام كلها : فأمر أن يقاتل عدوه من أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية ، أو يدخلوا في الإسلام ، وأمره فيها بجهاد الكفار والمنافقين والغلظة عليهم فجاهد الكفار بالسيف والسنان .والمنافقين بالحجة واللسان ، وأمره فيها بالبراءة من عهود الكفار ونبذ عهودهم إليهم ..وجعل أهل العهد في ذلك ثلاثة أقسام :قسماً أمره بقتالهم ، وهم الذين نقضوا عهده ، ولم يستقيموا له ، فحاربهم وظهر عليهم .وقسماً لهم عهد مؤقت لم ينقضوه ولم يظاهروا عليه ، فأمره أن يتم لهم عهدهم إلى مدتهم .وقسماً لم يكن لهم عهد ولم يحاربوه ، أو كان لهم عهد مطلق ، فأمر أن يؤجلهم أربعة أشهر ، فإذا انسلخت قاتلهم ..فقتل الناقض لعهده ، وأجل من لا عهد له أو له عهد مطلق ، أربعة أشهر ، وأمره أن يتم للموفي بعهده عهده إلى مدته ، فأسلم هؤلاء كلهم ولم يقيموا على كفرهم إلى مدتهم .وضرب على أهل الذمة الجزية ..فاستقر أمر الكفار معه بعد نزول براءة على ثلاثة أقسام :محاربين له ، وأهل عهد ، وأهل ذمة ..ثم آلت حال أهل العهد والصلح إلى الإسلام فصاروا معه قسمين :محاربين ، وأهل ذمة .والمحاربون له خائفون منه ، فصار أهل الأرض معه ثلاثة أقسام :مسلم مؤمن به ، ومسالم له آمن ، وخائف محارب ..وأما سيرته في المنافقين فإنه أمر أن يقبل منهم علانيتهم ، ويكل سرائرهم إلى الله ، وأن يجاهدهم بالعلم والحجة ، وأمر أن يعرض عنهم ، ويغلظ عليهم ، وأن يبلغ بالقول البليغ إلى نفوسهم ، ونهى أن يصلى عليهم ، وأن يقوم على قبورهم ، وأخبر أنه إن استغفر لهم فلن يغفر الله لهم ..فهذه سيرته في أعدائه من الكفار والمنافقين .

ومن هذا التلخيص الجيد لمراحل الجهاد في الإسلام تتجلى سمات أصيلة وعميقة في المنهج الحركي لهذا الدين ، جديرة بالوقوف أمامها طويلاً ، ولكننا لا نملك هنا إلا أن نشير إليها إشارات مجملة.

السمة الأولى :هي الواقعية الجدية في منهج هذا الدين ..فهو حركة تواجه واقعاً بشرياً ..وتواجهه بوسائل مكافئة لوجوده الواقعي ..إنها تواجه جاهلية اعتقادية تصورية ، تقوم عليها أنظمة واقعية عملية ، تسندها سلطات ذات قوة مادية ..ومن ثم تواجه الحركة الإسلامية هذا الواقع كله بما يكافئه ..

---

(١)وهذا لا يعني بالضرورة أن كل من وقع في الأسر مقصر أو انتكس وارتد بل يوجد بين الأسرى أسود ضارية ولكن لحكمة يعلمها الله وقعوا في الأسر

تواجهه بالدعوة والبيان لتصحيح المعتقدات والتصورات ، وتواجهه بالقوة والجهاد لإزالة الأنظمة والسلطات القائمة عليها ، تلك التي تحول بين جمهرة الناس وبين التصحيح بالبيان للمعتقدات والتصورات ، وتخضعهم بالقهر والتضليل وتعبِّدهم لغير ربهم الجليل ..إنها حركة لا تكتفي بالبيان في وجه السلطان المادي ، كما إنها لا تستخدم القهر المادي لضمائر الأفراد ..وهذه كتلك سواء في منهج هذا الدين وهو يتحرك لإخراج الناس من العبودية للعباد إلى العبودية لله وحده كما سيجيء .

والسمة الثانية: في منهج هذا الدين :هي الواقعية الحركية ..فهو حركة ذات مراحل ، كل مرحلة لها وسائل مكافئة لمقتضياتها وحاجاتها الواقعية ، وكل مرحلة تسلم إلى المرحلة التي تليها ..فهو لا يقابل الواقع بنظريات مجردة .كما أنه لا يقابل مراحل هذا الواقع بوسائل متجمدة ..والذين يسوقون النصوص القرآنية للاستشهاد بها على منهج هذا الدين في الجهاد ، ولا يراعون هذه السمة فيه ، ولا يدركون طبيعة المراحل التي مر بها هذا المنهج ، وعلاقة النصوص المختلفة بكل مرحلة منها ..الذين يصنعون هذا يخلطون خلطاً شديداً ويلبسون منهج هذا الدين لبساً مضللاً ، ويحملون النصوص ما لا تحتمله من المبادئ والقواعد النهائية .ذلك أنهم يعتبرون كل نص منها كما لو كان نصاً نهائياً ، يمثل القواعد النهائية في هذا الدين ، ويقولون -وهم مهزومون روحياً وعقلياً تحت ضغط الواقع اليائس لذراري المسلمين الذين لم يبق لهم من الإسلام إلا العنوان : -أن الإسلام لا يجاهد إلا للدفاع !ويحسبون أنهم يسدون إلى هذا الدين جميلاً بتخليه عن منهجه وهو إزالة الطواغيت كلها من الأرض جميعاً ، وتعبيد الناس لله وحده ، وإخراجهم من العبودية للعباد إلى العبودية لرب العباد !لا بقهرهم على اعتناق عقيدته ، ولكن بالتخلية بينهم وبين هذه العقيدة ..بعد تحطيم الأنظمة السياسية الحاكمة ، أو قهرها حتى تدفع الجزية وتعلن استسلامها والتخلية بين جماهيرها وهذه العقيدة ، تعتنقها أو لا تعتنقها بكامل حريتها .

والسمة الثالثة :هي أن هذه الحركة الدائبة ، والوسائل المتجددة ، لا تخرج هذا الدين عن قواعده المحددة ، ولا عن أهدافه المرسومة .فهو -منذ اليوم الأول -سواء وهو يخاطب العشيرة الأقربين ، أو يخاطب قريشاً ، أو يخاطب العرب أجمعين ، أو يخاطب العالمين ، إنما يخاطبهم بقاعدة واحدة ، ويطلب منهم الانتهاء إلى هدف واحد هو إخلاص العبودية لله ، والخروج من العبودية للعباد .لا مساومة في هذه القاعدة ولا لين ..ثم يمضي إلى تحقيق هذا الهدف الواحد في خطة مرسومة ، ذات مراحل محددة ، لكل مرحلة وسائلها المتجددة .على نحو ما أسلفنا في الفقرة السابقة .

والسمة الرابعة :هي ذلك الضبط التشريعي للعلاقات بين المجتمع المسلم وسائر المجتمعات الأخرى -على النحو الملحوظ في ذلك التلخيص الجيد الذي نقلناه عن "زاد المعاد - "وقيام ذلك الضبط على أساس أن الإسلام لله هو الأصل العالمي الذي على البشرية كلها أن تفيء إليه ، أو أن تسالمه بجملتها فلا تقف لدعوته بأي حائل من نظام سياسي ، أو قوة مادية ، وأن تخلي بينه وبين كل فرد ، يختاره أو لا يختاره بمطلق إرادته ، ولكن لا يقاومه ولا يحاربه ! فإن فعل ذلك أحد كان على الإسلام أن يقاتله حتى يقتله أو حتى يعلن استسلامه !

والمهزومون روحياً وعقلياً ممن يكتبون عن "الجهاد في الإسلام "ليدفعوا عن الإسلام هذا "الاتهام "يخلطون بين منهج هذا الدين في النص على استنكار الإكراه على العقيدة ، وبين منهجه في تحطيم القوى السياسية المادية التي تحول بين الناس وبينه ، والتي تعبِّد الناس للناس ، وتمنعهم من العبودية لله ..وهما أمران لا علاقة بينهما ولا مجال للالتباس فيهما ..ومن أجل هذا التخليط ، وقبل ذلك من أجل تلك الهزيمة - !يحاولون أن يحصروا الجهاد في الإسلام فيما يسمونه اليوم " :الحرب الدفاعية .. "والجهاد في الإسلام أمر آخر لا علاقة له بحروب الناس اليوم ، ولا بواعثها ، ولا تكييفها كذلك .. إن بواعث الجهاد في الإسلام ينبغي تلمسها في طبيعة "الإسلام "ذاته ودوره في هذه الأرض ، وأهدافه العليا التي قررها الله ، وذكر الله أنه أرسل من أجلها هذا الرسول بهذه الرسالة ، وجعله خاتم النبيين وجعلها خاتمة الرسالات .

إن هذا الدين إعلان عام لتحرير "الإنسان "في "الأرض "من العبودية للعباد -ومن العبودية لهواه أيضاً وهي من العبودية للعباد -وذلك بإعلان ألوهية الله وحده -سبحانه -وربوبيته للعالمين ! ..إن إعلان ربوبية الله وحده للعالمين معناها :الثورة الشاملة على حاكمية البشر في كل صورها وأشكالها وأنظمتها وأوضاعها ، والتمرد الكامل على كل وضع في أرجاء الأرض ، الحكم فيه للبشر بصورة من الصور ..أو بتعبير آخر مرادف :الألوهية فيه للبشر في صورة من الصور ..ذلك أن الحكم الذي مردّ الأمر فيه إلى البشر ، ومصدر السلطات فيه هم البشر ، هو تأليه للبشر ، يجعل بعضهم لبعض أرباباً من دون الله .إن هذا الإعلان معناه انتزاع سلطان الله المغتصب ورده إلى الله ، وطرد المغتصبين له ، الذين يحكمون الناس بشرائع من عند أنفسهم ، فيقومون منهم مقام الأرباب ويقوم الناس منهم مكان العبيد ..إن معناه تحطيم مملكة البشر لإقامة مملكة الله في الأرض ، أو بالتعبير القرآني الكريم :

{وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ }] الزخرف ٨٤.

{إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ }] يوسف ٤٠.

{قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ }] آل عمران ٦٤

ومملكة الله في الأرض لا تقوم بأن يتولى الحاكمية في الأرض رجال بأعيانهم -هم رجال الدين -كما كان الأمر في سلطان الكنيسة ، ولا رجال ينطقون باسم الآلهة ، كما كان الحال فيما يعرف باسم "الثيوقراطية "أو الحكم الإلهي المقدس - !!ولكنها تقوم بأن تكون شريعة الله هي الحاكمة ، وأن يكون مرد الأمر إلى الله وفق ما قرره من شريعة مبينة .

وقيام مملكة الله في الأرض ، وإزالة مملكة البشر ، وانتزاع السلطان من أيدي مغتصبيه من العباد ورده إلى الله وحده ..وسيادة الشريعة الإلهية وحدها وإلغاء القوانين البشرية ..كل أولئك لا يتم بمجرد التبليغ والبيان ، لأن المتسلطين على رقاب العباد ، والمغتصبين لسلطان الله في الأرض ، لا يسلمون في سلطانهم بمجرد التبليغ والبيان ، وإلا فما كان أيسر عمل الرسل في إقرار دين الله في الأرض !وهذا عكس ما عرفه تاريخ الرسل -صلوات الله وسلامه عليهم -وتاريخ هذا الدين على ممر الأجيال !

إن هذا الإعلان العام لتحرير "الإنسان "في "الأرض "من كل سلطان غير سلطان الله ، بإعلان إلوهية الله وحده وربوبيته للعالمين ، لم يكن إعلاناً نظرياً فلسفياً سلبياً ..إنما كان إعلاناً حركياً واقعياً إيجابياً ..إعلاناً يراد له التحقيق العملي في صورة نظام يحكم البشر بشريعة الله ، ويخرجهم بالفعل من العبودية للعباد إلى العبودية لله وحده بلا شريك ..ومن ثم لم يكن بد من أن يتخذ شكل "الحركة "إلى جانب شكل "البيان .. "ذلك ليواجه "الواقع " البشري بكل جوانبه بوسائل مكافئة لكل جوانبه .

والواقع الإنساني ، أمس واليوم وغداً ، يواجه هذا الدين -بوصفه إعلاناً عاماً لتحرير "الإنسان "في "الأرض "من كل سلطان غير سلطان الله - بعقبات اعتقادية تصورية ، وعقبات مادية واقعية ..وعقبات سياسية واجتماعية واقتصادية وعنصرية وطبقية ، إلى جانب عقبات العقائد المنحرفة والتصورات الباطلة ..وتختلط هذه بتلك وتتفاعل معها بصورة معقدة شديدة التعقيد .

وإذا كان "البيان "يواجه العقائد والتصورات ، فإن "الحركة "تواجه العقبات المادية الأخرى -وفي مقدمتها السلطان السياسي القائم على العوامل الاعتقادية التصورية والعنصرية والطبقية والاجتماعية والاقتصادية المعقدة المتشابكة .. -وهما معاً -البيان والحركة -يواجهان "الواقع البشري "بجملته ، بوسائل مكافئة لكل مكوناته ..وهما معاً لا بد منهما لانطلاق حركة التحرير للإنسان في الأرض " ..الإنسان "كله في "الأرض "كلها ..وهذه نقطة هامة لا بد من تقريرها مرة أخرى !

إن هذا الدين ليس إعلاناً لتحرير الإنسان العربي !وليس رسالة خاصة بالعرب .. !إن موضوعه هو "الإنسان .. "نوع "الإنسان .. "ومجاله هو " الأرض .. "كل "الأرض . "إن الله -سبحانه -ليس رباً للعرب وحدهم ولا حتى لمن يعتنقون العقيدة الإسلامية وحدهم ..إن الله هو "رب العالمين .. "وهذا الدين يريد أن يرد "العالمين "إلى ربهم ، وأن ينتزعهم من العبودية لغيره .والعبودية الكبرى -في نظر الإسلام -هي خضوع البشر لأحكام يشرعها لهم ناس من البشر ..وهذه هي "العبادة "التي يقرر أنها لا تكون إلا لله ، وأن من يتوجه بها لغير الله يخرج من دين الله مهما ادعى أنه في هذا الدين .ولقد نص رسول الله -ﷺ -على أن "الاتِّباع "في الشريعة والحكم هو "العبادة "التي صار بها اليهود والنصارى "مشركين "مخالفين لما أمروا به من "عبادة "الله وحده ..

أخرج الترمذي -بإسناده -عن عدي بن حاتم -رضي الله عنه -أنه لما بلغته دعوة رسول الله -ﷺ -فر إلى الشام ، وكان قد تنصر في الجاهلية ، فأسرت أخته وجماعة من قومه ، ثم منَّ رسول الله - -ﷺ -على أخته فأعطاها ، فرجعت إلى أخيها فرغَّبته في الإسلام ، وفي القدوم على رسول الله -ﷺ - فتحدث الناس بقدومه ، فدخل على رسول الله -ﷺ -وفي عنقه -أي "عدي "صليب من فضة وكان النبي -ﷺ -يقرأ هذه الآية } ..اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ .. () {قال :فقلت :إنهم لم يعبدوهم ، فقال " :بلى !إنهم حرَّموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام ، فاتبعوهم ، فذلك عبادتهم إياهم . "

وتفسير رسول الله -ﷺ- لقول الله سبحانه ، نص قاطع على أن الاتّباع في الشريعة والحكم هو العبادة التي تخرج من الدين ، وأنها هي اتخاذ بعض الناس أرباباً لبعض ..الأمر الذي جاء هذا الدين ليلغيه ، ويعلن تحرير "الإنسان" في "الأرض" من العبودية لغير الله ..

ومن ثم لم يكن بد للإسلام أن ينطلق في "الأرض" لإزالة "الواقع" المخالف لذلك الإعلان العام ..بالبيان وبالحركة مجتمعين ..وأن يوجه الضربات للقوى السياسية التي تعبّد الناس لغير الله - ..أي تحكمهم بغير شريعة الله وسلطانه -والتي تحول بينهم وبين الاستماع إلى "البيان" واعتناق "العقيدة" بحرية لا يتعرض لها السلطان .ثم لكي يقيم نظاماً اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً يسمح لحركة التحرر بالانطلاق الفعلي -بعد إزالة القوة المسيطرة -سواء كانت سياسية بحتة ، أو متلبسة بالعنصرية ، أو الطبقية داخل العنصر الواحد !

إنه لم يكن من قصد الإسلام قط أن يكره الناس على اعتناق عقيدته ..ولكن الإسلام ليس مجرد "عقيدة" . إن الإسلام كما قلنا إعلان عام لتحرير الإنسان من العبودية للعباد .فهو يهدف ابتداء إلى إزالة الأنظمة والحكومات التي تقوم على أساس حاكمية البشر للبشر وعبودية الإنسان للإنسان ..ثم يطلق الأفراد بعد ذلك أحراراً -بالفعل -في اختيار العقيدة التي يريدونها بمحض اختيارهم -بعد رفع الضغط السياسي عنهم ، وبعد البيان المنير لأرواحهم وعقولهم -ولكن هذه التجربة ليس معناها أن يجعلوا إلاههم هواهم ، أو أن يختاروا بأنفسهم أن يكونوا عبيداً للعباد !وأن يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله .. !إن النظام الذي يحكم البشر في الأرض يجب أن تكون قاعدته العبودية لله وحده ، وذلك بتلقي الشرائع منه وحده .ثم ليعتنق كل فرد -في ظل هذا النظام العام -ما يعتنقه من عقيدة !وبهذا يكون "الدين" كله لله .أي تكون الدينونة والخضوع والاتباع والعبودية كلها لله ..إن مدلول "الدين" أشمل من مدلول "العقيدة" . إن الدين هو المنهج والنظام الذي يحكم الحياة ، وهو في الإسلام يعتمد على العقيدة ، ولكنه في عمومه أشمل من العقيدة ..وفي الإسلام يمكن أن تخضع جماعات متنوعة لمنهجه العام الذي يقوم على أساس العبودية لله وحده ولو لم يعتنق بعض هذه الجماعات عقيدة الإسلام .

والذي يدرك طبيعة هذا الدين -على النحو المتقدم -يدرك معها حتمية الانطلاق الحركي للإسلام في صورة الجهاد بالسيف -إلى جانب الجهاد بالبيان -ويدرك أن ذلك لم يكن حركة دفاعية -بالمعنى الضيق الذي يفهم اليوم من اصطلاح "الحرب الدفاعية" كما يريد المهزومون -أمام ضغط الواقع الحاضر وأمام هجوم المستشرقين الماكر -أن يصوروا حركة الجهاد في الإسلام -إنما كان حركة اندفاع وانطلاق لتحرير "الإنسان" في "الأرض" .. بوسائل مكافئة لكل جوانب الواقع البشري ، وفي مراحل محددة لكل مرحلة منها وسائلها المتجددة .

وإذا لم يكن بد أن نسمي حركة الإسلام الجهادية حركة دفاعية ، فلا بد أن نغير مفهوم كلمة "دفاع" ، ونعتبره "دفاعاً عن الإنسان" ذاته ، ضد جميع العوامل التي تقيد حريته وتعوق تحرره ..هذه العوامل التي تتمثل في المعتقدات والتصورات ، كما تتمثل في الأنظمة السياسية ، القائمة على الحواجز الاقتصادية والطبقية والعنصرية ، التي كانت سائدة في الأرض كلها يوم جاء الإسلام ، والتي ما تزال أشكال منها سائدة في الجاهلية الحاضرة في هذا الزمان !

وبهذا التوسع في مفهوم كلمة "الدفاع" نستطيع أن نواجه حقيقة بواعث الانطلاق الإسلامي في "الأرض" بالجهاد ، ونواجه طبيعة الإسلام ذاتها ، وهي أنه إعلان عام لتحرير الإنسان من العبودية للعباد ، وتقرير ألوهية الله وحده وربوبيته للعالمين ، وتحطيم مملكة الهوى البشري في الأرض ، وإقامة مملكة الشريعة الإلهية في عالم الإنسان ..

أما محاولة إيجاد مبررات دفاعية للجهاد الإسلامي بالمعنى الضيق للمفهوم العصري للحرب الدفاعية ، ومحاولة البحث عن أسانيد لإثبات أن وقائع الجهاد الإسلامي كانت لمجرد صد العدوان من القوى المجاورة على "الوطن الإسلامي" - وهو في عرف بعضهم جزيرة العرب -فهي محاولة تنم عن قلة إدراك لطبيعة هذا الدين ، ولطبيعة الدور الذي جاء ليقوم به في الأرض .كما أنها تشي بالهزيمة أمام ضغط الواقع الحاضر ، وأمام الهجوم الاستشراقي الماكر على الجهاد الإسلامي !

ترى لو كان أبو بكر وعمر وعثمان -رضي الله عنهم -قد أمنوا عدوان الروم والفرس على الجزيرة أكانوا يقعدون إذن عن دفع المد الإسلامي إلى أطراف الأرض ؟ وكيف كانوا يدفعون هذا المد ، وأمام الدعوة تلك العقبات المادية من أنظمة الدولة السياسية ، وأنظمة المجتمع العنصرية والطبقية ، والاقتصادية الناشئة من الاعتبارات العنصرية والطبقية ، والتي تحميها القوة المادية للدولة كذلك ؟ !

إنها سذاجة أن يتصور الإنسان دعوة تعلن تحرير "الإنسان .. "نوع الإنسان ..في "الأرض .. "كل الأرض ..ثم تقف أمام هذه العقبات تجاهدها باللسان والبيان .. !إنها تجاهد باللسان والبيان حينما يخلى بينها وبين الأفراد ، تخاطبهم بحرية ، وهم مطلقو السراح من جميع تلك المؤثرات ..فهنا "لا إكراه في الدين .. "أما حين توجد تلك العقبات والمؤثرات المادية ، فلا بد من إزالتها أولاً بالقوة ، للتمكن من مخاطبة قلب الإنسان وعقله ، وهو طليق من هذه الأغلال !

إن الجهاد ضرورة للدعوة ، إذا كانت أهدافها هي إعلان تحرير الإنسان إعلاناً جاداً يواجه الواقع الفعلي بوسائل مكافئة له في كل جوانبه ، ولا يكفي بالبيان الفلسفي النظري !سواء كان الوطن الإسلامي -وبالتعبير الإسلامي الصحيح :دار الإسلام -آمناً أم مهدداً من جيرانه .فالإسلام حين يسعى إلى السلم ، لا يقصد تلك السلم الرخيصة ، وهي مجرد أن يؤمن الرقعة الخاصة التي يعتنق أهلها العقيدة الإسلامية .إنما هو يريد السلم التي يكون فيها الدين كله لله .أي تكون عبودية الناس كلهم فيها لله ، والتي لا يتخذ فيها الناس بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله .والعبرة بنهاية المراحل التي وصلت إليها الحركة الجهادية في الإسلام -بأمر من الله -لا بأوائل أيام الدعوة ولا بأواسطها ..ولقد انتهت هذه المراحل كما يقول الإمام ابن القيم " :فاستقر أمر الكفار معه -بعد نزول براءة - على ثلاثة أقسام :محاربين له ، وأهل عهد ، وأهل ذمة ..ثم آلت حال أهل العهد والصلح إلى الإسلام ..فصاروا معه قسمين :محاربين ، وأهل ذمة . والمحاربون له خائفون منه ..فصار أهل الأرض معه ثلاثة أقسام :مسلم مؤمن به ، ومسالم له آمن)وهم أهل الذمة كما يفهم من الجملة السابقة (وخائف محارب .. "

وهذه هي المواقف المنطقية مع طبيعة هذا الدين وأهدافه ، لا كما يفهم المهزومون أمام الواقع الحاضر ، وأمام هجوم المستشرقين الماكر !

ولقد كف الله المسلمين عن القتال في مكة ، وفي أول العهد بالهجرة إلى المدينة ..وقيل للمسلمين :{كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ .. () } ثم أذن لهم فيه ، فقيل لهم{ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ، الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ، الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ..} ثم فرض عليهم القتال بعد ذلك لمن قاتلهم دون من لم يقاتلهم فقيل لهم } :وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ .. () {ثم فرض عليهم قتال المشركين كافة ، فقيل لهم } :وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً .. () {وقيل لهم } :قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ . () {فكان القتال -كما يقول الإمام ابن القيم " -محرماً ، ثم مأذوناً به ، ثم مأموراً به لمن بدأهم بالقتال ، ثم مأموراً به لجميع المشركين .. "

إن جدِّية النصوص القرآنية الواردة في الجهاد ، وجدية الأحاديث النبوية التي تحض عليه ، وجدية الوقائع الجهادية في صدر الإسلام ، وعلى مدى طويل من تاريخه ..إن هذه الجدية الواضحة تمنع أن يجول في النفس ذلك التفسير الذي يحاوله المهزومون أمام ضغط الواقع الحاضر وأمام الهجوم الاستشراقي الماكر على الجهاد الإسلامي !

ومن ذا الذي يسمع قول الله سبحانه في هذا الشأن وقول رسوله -ﷺ -ويتابع وقائع الجهاد الإسلامي ، ثم يظنه شأناً عارضاً مقيداً بملابسات تذهب وتجيء ، ويقف عند حدود الدفاع لتأمين الحدود ؟ !

لقد بين الله للمؤمنين في أول ما نزل من الآيات التي أذن لهم فيها بالقتال أن الشأن الدائم الأصيل في طبيعة هذه الحياة الدنيا أن يدفع الناس بعضهم ببعض ، لدفع الفساد عن الأرض :

}أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ، الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ <u>وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً</u>] .. {الحج [40-39 :

وإذن فهو الشأن الدائم لا الحالة العارضة .الشأن الدائم أن لا يتعايش الحق والباطل في هذه الأرض .وأنه متى قام الإسلام بإعلانه العام لإقامة ربوبية الله للعالمين ، وتحرير الإنسان من العبودية للعباد ، رماه المغتصبون لسلطان الله في الأرض ولم يسالموه قط ، وانطلق هو كذلك يدمر عليهم ليخرج الناس من سلطانهم ويدفع عن "الإنسان "في "الأرض "ذلك السلطان الغاصب ..حال دائمة لا يقف معها الانطلاق الجهادي التحريري حتى يكون الدين كله لله .

إن الكف عن القتال في مكة لم يكن إلا مجرد مرحلة في خطة طويلة .كذلك كان الأمر أول العهد بالهجرة .والذي بعث الجماعة المسلمة في المدينة بعد الفترة الأولى للانطلاق لم يكن مجرد تأمين المدينة ..هذا هدف أولي لا بد منه ، ولكنه ليس الهدف الأخير ..إنه هدف يضمن وسيلة الانطلاق ، ويؤمن قاعدة الانطلاق ..الانطلاق لتحرير "الإنسان " ، ولإزالة العقبات التي تمنع "الإنسان "ذاته من الانطلاق !

وكف أيدي المسلمين في مكة عن الجهاد بالسيف مفهوم .

لأنه كان مكفولاً للدعوة في مكة حرية البلاغ ..كان صاحبها -ﷺ -يملك بحماية سيوف بني هاشم ، أن يصدع بالدعوة ، ويخاطب بها الآذان والعقول والقلوب ، ويواجه بها الأفراد ..لم تكن هناك سلطة سياسية منظمة تمنعه من إبلاغ الدعوة ، أو تمنع الأفراد من سماعه !فلا ضرورة -في هذه المرحلة - لاستخدام القوة ، وذلك إلى أسباب أخرى لعلها كانت قائمة في هذه المرحلة .وقد لخصتها في ظلال القرآن عند تفسير قوله تعالى } :أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ] { ..الآية 77من سورة النساء

ولا بأس في إثبات بعض هذا التلخيص هنا :

"ربما كان ذلك لأن الفترة المكية كانت فترة تربية وإعداد ، في بيئة معينة ، لقوم معينين ، وسط ظروف معينة .ومن أهداف التربية والإعداد في مثل هذه البيئة بالذات ، تربية نفس الفرد العربي على الصبر على ما لا يصبر عليه عادة من الضيم على شخصه أو على من يلوذون به ، ليخلص من شخصه ، ويتجرد من ذاته ، ولا تعود ذاته ولا من يلوذون به محور الحياة في نظره ودافع الحركة في حياته .وتربيته كذلك على ضبط أعصابه ، فلا يندفع لأول مؤثر - كما هي طبيعته -ولا يهتاج لأول مهيج ، فيتم الاعتدال في طبيعته وحركته .وتربيته على أن يتبع مجتمعاً منظماً له قيادة يرجع إليها في كل أمر من أمور حياته ، ولا يتصرف إلا وفق ما تأمره به -مهما يكن مخالفاً لمألوفه وعادته -وقد كان هذا هو حجر الأساس في إعداد شخصية العربي ، لإنشاء "المجتمع المسلم " الخاضع لقيادة موجهة ، المترقي المتحضر ، غير الهمجي أو القبلي !

"وربما كان ذلك أيضاً .لأن الدعوة السلمية كانت أشد أثراً وأنفذ ، في مثل بيئة قريش .ذات العنجهية والشرف .والتي قد يدفعها القتال معها -في مثل هذه المرحلة -إلى زيادة العناد ، وإلى نشأة ثارات دموية جديدة كثارات العرب المعروفة التي أثارت حرب داحس والغبراء ، وحرب البسوس ، أعواماً طويلة ، تفانت فيها قبائل برمتها .وتكون هذه الثارات الجديدة مرتبطة في أذهانهم وذكرياتهم بالإسلام ، فلا تهدأ بعد ذلك أبداً ، ويتحول الإسلام من دعوة ودين إلى ثارات وذحول تنسى معها وجهته الأساسية ، وهو في مبدئه ، فلا تذكر أبداً !

"وربما كان ذلك أيضاً ، اجتناباً لإنشاء معركة ومقتلة في داخل كل بيت .

فلم تكن هناك سلطة نظامية عامة ، هي التي تعذب المؤمنين وتفتنهم ، إنما كان ذلك موكولاً إلى أولياء كل فرد يعذبونه ويفتنونه "ويؤدبونه " ! ومعنى الإذن بالقتال -في مثل هذه البيئة -أن تقع معركة ومقتلة في كل بيت ..ثم يقال :هذا هو الإسلام !ولقد قيلت حتى والإسلام يأمر بالكف عن القتال ! فقد كانت دعاية قريش في الموسم .في أواسط العرب القادمين للحج والتجارة :إن محمَّداً يفرق بين الوالد وولده ، فوق تفريقه لقومه وعشيرته !فكيف لو كان كذلك يأمر الولد بقتل الوالد ، والمولى بقتل الولي ..في كل بيت وفي كل محلة ؟

"وربما كان ذلك أيضاً لما يعلمه الله من أن كثيرين من المعاندين الذين يفتنون أوائل المسلمين عن دينهم ، ويعذبونهم ويؤذونهم ، هم بأنفسهم سيكونون جند الإسلام المخلص ، بل من قادته ..ألم يكن عمر بن الخطاب من بين هؤلاء ؟!

"وربما كان ذلك أيضاً ، لأن النخوة العربية ، في بيئة قبلية ، من عادتها أن تثور للمظلوم الذي يحتمل الأذى ، ولا يتراجع !وبخاصة إذا كان واقعاً على كرام الناس فيهم ..وقد وقعت ظواهر كثيرة تثبت صحة هذه النظرة -في هذه البيئة -فابن الدغنة لم يرض أن يترك أبا بكر -وهو رجل كريم -يهاجر ويخرج من مكة ، ورأى في ذلك عاراً على العرب !وعرض عليه جواره وحمايته ..وآخر هذه الظواهر نقض صحيفة الحصار لبني هاشم في شعب أبي طالب ، بعد ما طال عليهم الجوع واشتدت المحنة ..بينما في بيئة أخرى من بيئات "الحضارة "القديمة التي مردت على الذل ، قد يكون السكوت على الأذى مدعاة للهزء والسخرية والاحتقار من البيئة ، وتعظيم المؤذي الظالم المعتدي !

"وربما كان ذلك ، أيضاً ، لقلة عدد المسلمين حينذاك .وانحصارهم في مكة ، حيث لم تبلغ الدعوة إلى بقية الجزيرة أو بلغت أخبارها متناثرة ، حيث كانت القبائل تقف على الحياد من معركة داخلية بين قريش وبعض أبنائها ، حتى ترى ماذا يكون مصير الموقف .ففي مثل هذه الحالة قد تنتهي المعركة

المحدودة ، إلى قتل المجموعة المسلمة القليلة -حتى ولو قتلوا هم أضعاف من سيقتل منهم -ويبقى الشرك ، وتنمحي الجماعة المسلمة ، ولم يقم في الأرض للإسلام نظام ، ولا وجد له كيان واقعي .وهو دين جاء ليكون منهاج حياة ، وليكون نظاماً واقعياً عملياً للحياة ... "إلخ ... "

فأما في المدينة -في أول العهد بالهجرة -فقد كانت المعاهدة التي عقدها رسول الله -ﷺ -مع اليهود من أهلها ومن بقي على الشرك من العرب فيها وفيما حولها ، ملابسة تقتضيها طبيعة المرحلة كذلك ..

أولاً :لأن هناك مجالاً للتبليغ والبيان ، لا تقف له سلطة سياسية تمنعه وتحول بين الناس وبينه ، فقد اعترف الجميع بالدولة المسلمة الجديدة ، وبقيادة رسول الله -ﷺ -في تصريف شؤونها السياسية .فنصت المعاهدة على ألا يعقد أحد منهم صلحاً ولا يثير حرباً ، ولا ينشئ علاقة خارجية إلا بإذن رسول الله -ﷺ -وكان واضحاً أن السلطة الحقيقة في المدينة في يد القيادة المسلمة .فالمجال أمام الدعوة مفتوح ، والتخلية بين الناس وحرية الاعتقاد قائمة .

ثانياً :إن الرسول -ﷺ -كان يريد التفرغ في ، هذه المرحلة -لقريش ، التي تقوم معارضتها لهذا الدين حجر عثرة في وجه القبائل الأخرى الواقعة في حالة انتظار لما ينتهي إليه الأمر بين قريش وبعض بنيها !لذلك بادر رسول الله -ﷺ -بإرسال "السرايا "وكان أول لواء عقده لحمزة بن عبد المطلب في شهر رمضان على رأس سبعة أشهر من الهجرة .

ثم توالت هذه السرايا ، على رأس تسعة أشهر .ثم على رأس ثلاثة عشر شهراً .ثم على رأس ستة عشر شهراً .ثم كانت سرية عبد الله بن جحش في رجب على رأس سبعة عشر شهراً ، وهي أول غزاة وقع فيها قتل وقتال ، وكان ذلك في الشهر الحَرام ، والتي نزلت فيها آيات البقرة } :يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا] { ..البقرة . [217 :

ثم كانت غزوة بدر الكبرى في رمضان من هذه السنة ..وهي التي نزلت فيها سورة الأنفال .

ورؤية الموقف من خلال ملابسات الواقع ، لا تدع مجالاً للقول بأن "الدفاع "بمفهومه الضيق كان هو قاعدة الحركة الإسلامية ، كما يقول المهزومون أمام الواقع الحاضر ، وأمام الهجوم الاستشراقي الماكر !

إن الذين يلجأون إلى تلمس أسباب دفاعية بحتة لحركة المد الإسلامي ، إنما يؤخذون بحركة الهجوم الاستشراقية ، في وقت لم يعد للمسلمين شوكة ، بل لم يعد للمسلمين إسلام - !إلا من عصم الله ممن يصرون على تحقيق إعلان الإسلام العام بتحرير "الإنسان "في "الأرض "من كل سلطان إلا من سلطان الله ، ليكون الدين كله لله -فيبحثون عن مبررات أدبية للجهاد في الإسلام !

والمد الإسلامي ليس في حاجة إلى مبررات أدبية له أكثر من المبررات التي حملتها النصوص القرآنية

{فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً ، وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً ، الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً }] .. النساء - 74 : 76]

}قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ، وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ، وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ] {الأنفال [40 - 38 :

}قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ، وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ، اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ، يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ] ... {التوبة . [32 - 29 :

إنها مبررات تقرير ألوهية الله في الأرض ، وتحقيق منهجه في حياة الناس ، ومطاردة الشياطين ومناهج الشياطين ، وتحطيم سلطان البشر الذي يتعبد الناس ، والناس عبيد لله وحده ، لا يجوز أن يحكمهم أحد من عباده بسلطان من عند نفسه وبشريعة من هواه ورأيه !وهذا يكفي ..مع تقرير مبدأ " :لا إكراه في الدين .. "أي لا إكراه على اعتناق العقيدة ، بعد الخروج من سلطان العبيد ، والإقرار بمبدأ أن السلطان كله لله ، أو أن الدين كله لله ، بهذا الاعتبار .

إنها مبررات التحرير العام للإنسان في الأرض .بإخراج الناس من العبودية للعباد إلى العبودية لله وحده بلا شريك ..وهذه وحدها تكفي ..لقد كانت هذه المبررات ماثلة في نفوس الغزاة من المسلمين ، فلم يسأل أحد منهم عما أخرجه للجهاد فيقول :خرجنا ندافع عن وطننا المهدد !أو خرجنا نصد عدوان الفرس أو الروم علينا نحن المسلمين !أو خرجنا نوسع رقعتنا ونستكثر من الغنيمة !

لقد كانوا يقولون كما قال ربعي بن عامر .وحذيفة بن محصن والمغيرة بن شعبة جميعاً لرستم قائد جيش الفرس في القادسية ، وهو يسألهم واحداً بعد واحد في ثلاثة أيام متوالية ، قبل المعركة :ما الذي جاء بكم ؟ فيكون الجواب " :الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده .ومن ضيق الدنيا إلى سعتها .ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ..فأرسل رسوله بدينه إلى خلقه ، فمن قبله منا قبلنا منه ورجعنا عنه ، وتركناه وأرضه .ومن أبى قاتلناه حتى نفضي إلى الجنة أو الظفر . "

إن هناك مبرراً ذاتياً في طبيعة هذا الدين ذاته ، وفي إعلانه العام ، وفي منهجه الواقعي لمقابلة الواقع البشري بوسائل مكافئة لكل جوانبه ، في مراحل محددة ، بوسائل متجددة ..وهذا المبرر الذاتي قائم ابتداء -ولو لم يوجد خطر الاعتداء على الأرض الإسلامية وعلى المسلمين فيها -إنه مبرر في طبيعة المنهج وواقعيته ، وطبيعة المعوقات الفعلية في المجتمعات البشرية ..لا من مجرد ملابسات دفاعية محدودة ، وموقوتة !

وإنه ليكفي لأن يخرج المسلم مجاهداً بنفسه وماله " ..في سبيل الله .. "في سبيل هذه القيم التي لا يناله هو من ورائها مغنم ذاتي ، ولا يخرجه لها مغنم ذاتي ..

إن المسلم قبل أن ينطلق للجهاد في المعركة يكون قد خاض معركة الجهاد الأكبر في نفسه مع الشيطان ..مع هواه وشهواته ..مع مطامعه ورغباته .. مع مصالحه ومصالح عشيرته وقومه ..مع كل شارة غير شارة الإسلام ..ومع كل دافع إلا العبودية لله ، وتحقيق سلطانه في الأرض وطرد سلطان الطواغيت المغتصبين لسلطان الله ..

والذين يبحثون عن مبررات للجهاد الإسلامي في حماية "الوطن الإسلامي "يغضون من شأن "المنهج "ويعتبرونه أقل من "الموطن "وهذه ليست نظرة الإسلام إلى هذه الاعتبارات .إنها نظرة مستحدثة غريبة على الحس الإسلامي ، فالعقيدة والمنهج الذي تتمثل فيه والمجتمع الذي يسود فيه هذا المنهج هي الاعتبارات الوحيدة في الحس الإسلامي .أما الأرض -بذاتها -فلا اعتبار لها ولا وزن !وكل قيمة للأرض في التصور الإسلامي إنما هي مستمدة من سيادة منهج الله وسلطانه فيها ، وبهذا تكون محضن العقيدة وحقل المنهج و "دار الإسلام "ونقطة الانطلاق لتحرير "الإنسان . "

وحقيقة إن حماية "دار الإسلام "حماية للعقيدة والمنهج والمجتمع الذي يسود فيه المنهج .ولكنها ليست الهدف النهائي ، وليست حمايتها هي الغاية الأخيرة لحركة الجهاد الإسلامي ، إنما حمايتها هي الوسيلة لقيام مملكة الله فيها ، ثم لاتخاذها قاعدة انطلاق إلى الأرض كلها وإلى النوع الإنساني بجملته .فالنوع الإنساني هو موضوع هذا الدين والأرض هي مجاله الكبير !

وكما أسلفنا فإن الانطلاق بالمذهب الإلهي تقوم في وجهه عقبات مادية من سلطة الدولة ، ونظام المجتمع ، وأوضاع البيئة ..وهذه كلها هي التي ينطلق الإسلام ليحطمها بالقوة ، كي يخلو له وجه الأفراد من الناس ، يخاطب ضمائرهم وأفكارهم ، بعد أن يحررها من الأغلال المادية ، ويترك لها بعد ذلك حرية الاختيار .

يجب ألا تخدعنا أو تفزعنا حملات المستشرقين على مبدأ "الجهاد "وألا يثقل على عاتقنا ضغط الواقع وثقله في ميزان القوى العالمية ، فنروح نبحث للجهاد الإسلامي عن مبررات أدبية خارجة عن طبيعة هذا الدين ، في ملابسات دفاعية وقتية ، كان الجهاد سينطلق في طريقه سواء وجدت أم لم توجد !

ويجب ونحن نستعرض الواقع التاريخي ألا نغفل عن الاعتبارات الذاتية في طبيعة هذا الدين وإعلانه العام ومنهجه الواقعي ، وألا نخلط بينها وبين المقتضيات الدفاعية الوقتية ..

حقاً إنه لم يكن بد لهذا الدين أن يدافع المهاجمين له ، لأن مجرد وجوده في صورة إعلان عام لربوبية الله للعالمين ، وتحرير الإنسان من العبودية لغير الله ، وتمثل هذا الوجود في تجمع تنظيمي حركي تحت قيادة جديدة غير قيادات الجاهلية ، وميلاد مجتمع مستقل متميز لا يعترف لأحد من البشر بالحاكمية ، لأن الحاكمية فيه لله وحده ..إن مجرد وجود هذا الدين في هذه الصورة لا بد أن يدفع المجتمعات الجاهلية من حوله -القائمة على قاعدة العبودية للعباد -أن تحاول سحقه ، دفاعاً عن وجودها ذاته ، ولا بد أن يتحرك المجتمع الجديد للدفاع عن نفسه ..

هذه ملابسة لا بد منها ، تولد مع ميلاد الإسلام ذاته ، وهذه معركة مفروضة على الإسلام فرضاً ، ولا خيار له في خوضها ، وهذا صراع طبيعي بين وجودين لا يمكن التعايش بينهما طويلاً . ..

هذا كله حق ..ووفق هذه النظرة يكون لا بد للإسلام أن يدافع عن وجوده ، ولا بد أن يخوض معركة دفاعية مفروضة عليه فرضاً ..

ولكن هناك حقيقة أخرى أشد أصالة من هذه الحقيقة ..إن من طبيعة الوجود الإسلامي ذاته أن يتحرك إلى الأمام ابتداء .لإنقاذ "الإنسان "في " الأرض "من العبودية لغير الله ، ولا يمكن أن يقف عند حدود جغرافية ، ولا أن ينزوي داخل حدود عنصرية ، تاركاً "الإنسان .."نوع الإنسان ..في "الأرض .. "كل الأرض ..للشر والفساد والعبودية لغير الله .

إن المعسكرات المعادية للإسلام قد يجيء عليها زمان تؤثر فيه ألا تهاجم الإسلام ، إذا تركها الإسلام تزاول عبودية البشر للبشر داخل حدودها الإقليمية ، ورضى أن يدعها وشأنها ولم يمد إليها دعوته وإعلانه التحريري العام !ولكن الإسلام لا يهادنها ، إلا أن تعلن استسلامها لسلطانه في صورة أداء الجزية ، ضماناً لفتح أبوابها لدعوته بلا عوائق مادية من السلطات القائمة فيها .

هذه طبيعة هذا الدين ، وهذه وظيفته ، بحكم أنه إعلان عام لربوبية الله للعالمين ، وتحرير الإنسان من كل عبودية لغير الله في الناس أجمعين !

وفرق بين تصور الإسلام على هذه الطبيعة ، وتصوره قابعاً داخل حدود إقليمية أو عنصرية ، لا يحركه إلا خوف الاعتداء !إنه في هذه الصورة الأخيرة يفقد مبرراته الذاتية في الانطلاق !

إن مبررات الانطلاق الإسلامي تبرز بوضوح وعمق عند تذكر أن هذا الدين هو منهج الله للحياة البشرية ، وليس منهج إنسان ، ولا مذهب شيعة من الناس ، ولا نظام جنس من الأجناس .. !ونحن لا نبحث عن مبررات خارجية إلا حين تفتر في حسنا هذه الحقيقة الهائلة ..حين ننسى أن القضية هي قضية ألوهية الله وعبودية العباد ..إنه لا يمكن أن يستحضر إنسان ما هذه الحقيقة الهائلة ثم يبحث عن مبرر آخر للجهاد الإسلامي !

والمسافة قد لا تبدو كبيرة عند مفرق الطريق ، بين تصور أن الإسلام كان مضطراً لخوض معركة لا اختيار له فيها ، بحكم وجوده الذاتي ووجود المجتمعات الجاهلية الأخرى التي لا بد أن تهاجمه ، وتصور أنه هو بذاته لا بد أن يتحرك ابتداء ، فيدخل في هذه المعركة ..

المسافة عند مفرق الطريق قد لا تبدو كبيرة ، فهو في كلتا الحالتين سيدخل المعركة حتماً ، ولكنها في نهاية الطريق تبدو هائلة شاسعة ، تغير المشاعر والمفهومات الإسلامية تغييراً كبيراً ..خطيراً .

إن هناك مسافة هائلة بين اعتبار الإسلام منهجاً إلهياً ، جاء ليقرر ألوهية الله في الأرض ، وعبودية البشر جميعاً لإله واحد ، ويصب هذا التقرير في قالب واقعي ، هو المجتمع الإنساني الذي يتحرر فيه الناس من العبودية للعباد ، بالعبودية لرب العباد ، فلا تحكمهم إلا شريعة الله ، التي يتمثل فيها سلطان الله ، أو بتعبير آخر تتمثل فيها ألوهيته ..فمن حقه إذن أن يزيل العقبات كلها من طريقه ، ليخاطب وجدان الأفراد وعقولهم دون حواجز ولا موانع مصطنعة من نظام الدولة السياسي ، أو أوضاع الناس الاجتماعية ..إن هناك مسافة هائلة بين اعتبار الإسلام على هذا النحو ، واعتباره نظاماً محلياً في وطن بعينه فمن حقه فقط أن يدفع الهجوم عليه في داخل حدوده الإقليمية !

هذا تصور ..وذاك تصور ..ولو أن الإسلام في كلتا الحالتين سيجاهد ..ولكن التصور الكلي لبواعث هذا الجهاد وأهدافه ونتائجه ، يختلف اختلافاً بعيداً ، يدخل في صميم الاعتقاد كما يدخل في صميم الخطة والاتجاه .

الطريق لرفع رايه التوحيد

إن من حق الإسلام أن يتحرك ابتداء .فالإسلام ليس نحلة قوم ، ولا نظام وطن ، ولكنه منهج إله ، ونظام عالم ..ومن حقه أن يتحرك ليحطم الحواجز من الأنظمة والأوضاع التي تغل من حرية "الإنسان "في الاختيار .وحسبه أنه لا يهاجم الأفراد ليكرههم على اعتناق عقيدته ، إنما يهاجم الأنظمة والأوضاع ليحرر الأفراد من التأثيرات الفاسدة ، المفسدة للفطرة ، المقيدة لحرية الاختيار .

من حق الإسلام أن يُخرج "الناس "من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ..ليحقق إعلانه العام بربوبية الله للعالمين ، وتحرير الناس أجمعين .. وعبادة الله وحده لا تتحقق -في التصور الإسلامي وفي الواقع العملي -إلا في ظل النظام الإسلامي ، فهو وحده النظام الذي يشرع الله فيه للعباد كلهم ، حاكمهم ومحكومهم ، أسودهم وأبيضهم ، قاصيهم ودانيهم ، فقيرهم وغنيهم ، تشريعاً واحداً يخضع له الجميع على السواء ..أما في سائر الأنظمة ، فيعبد الناس العباد ، لأنهم يتلقون التشريع لحياتهم من العباد .وهو من خصائص الألوهية ، فأيما بشر ادعى لنفسه سلطان التشريع للناس من عند نفسه ، فقد ادّعى الألوهية اختصاصاً وعملاً ، سواء ادَّعاها قولاً أم لم يعلن هذا الادعاء .وأيما بشر آخر اعترف لذلك البشر بذلك الحق فقد اعترف له بحق الألوهية ، سواء سماها باسمها أم لم يسمها !

والإسلام ليس مجرد عقيدة ، حتى يقنع بإبلاغ عقيدته للناس بوسيلة البيان .إنما هو منهج يتمثل في تجمع تنظيمي حركي يزحف لتحرير كل الناس ، والتجمعات الأخرى لا تمكِّنه من تنظيم حياة رعاياها وفق منهجه هو ، ومن ثم يتحتم على الإسلام أن يزيل هذه الأنظمة بوصفها معوقات للتحرير العام ، وهذا -كما قلنا من قبل -معنى أن يكون الدين كله لله ، فلا تكون هناك دينونة ولا طاعة لعبد من العباد لذاته .كما هو الشأن في سائر الأنظمة التي تقم على عبودية العباد للعباد !

إن الباحثين الإسلاميين المعاصرين المهزومين تحت ضغط الواقع الحاضر وتحت الهجوم الاستشراقي الماكر ، يتحرجون من تقرير تلك الحقيقة ، لأن المستشرقين صوروا الإسلام حركة قهر بالسيف للإكراه على العقيدة .والمستشرقون الخبثاء يعرفون جيداً أن هذه ليست هي الحقيقة ، ولكنهم يشوهون بواعث الجهاد الإسلامي بهذه الطريقة ..ومن ثم يقوم المنافحون -المهزومون -عن سمعة الإسلام ، بنفي هذا الاتهام ، فيلجأون إلى تلمس المبررات الدفاعية ! ويغفلون عن طبيعة الإسلام ووظيفته ، وحقه في "تحرير الإنسان "ابتداء .

وقد غشى على أفكار الباحثين العصريين -المهزومين -ذلك التصور الغربي لطبيعة "الدين .. "وإنه مجرد "عقيدة "في الضمير ، لا شأن لها بالأنظمة الواقعية للحياة .ومن ثم يكون الجهاد للدين ، جهاداً لفرض العقيدة على الضمير !

ولكن الأمر ليس كذلك في الإسلام ، فالإسلام منهج الله للحياة البشرية ، وهو منهج يقوم على إفراد الله وحده بالألوهية -متمثلة في الحاكمية -وينظم الحياة الواقعية بكل تفصيلاتها اليومية !فالجهاد له جهاد لتقرير المنهج وإقامة النظام .أما العقيدة فأمر موكول إلى حرية الاقتناع ، في ظل النظام العام ، بعد رفع جميع المؤثرات ..ومن ثم يختلف الأمر من أساسه ، وتصبح له صورة جديدة كاملة .

وحيثما وجد التجمع الإسلامي ، الذي يتمثل فيه المنهج الإلهي ، فإن الله يمنحه حق الحركة والانطلاق لتسلم السلطان وتقرير النظام ، مع ترك مسألة العقيدة الوجدانية لحرية الوجدان ، فإذا كف الله أيدي الجماعة المسلمة فترة عن الجهاد ، فهذه مسألة خطة لا مسألة مبدأ ، مسألة مقتضيات الحركة لا مسألة عقيدة ..وعلى هذا الأساس الواضح يمكن أن نفهم النصوص القرآنية المتعددة ، في المراحل التاريخية المتجددة ، ولا نخلط بين دلالتها المرحلية ، والدلالة العامة لخط الحركة الإسلامية الثابت الطويل (معالم فى الطريق فصل الجهاد فى سبيل الله.

وإذا علمت مراحل الجهاد وما استقر عليه الحال من قتال الكفار والمنافقين فبقى أن تعلم أن

تقسيم الجهاد إلى أصغر وأكبر بدعة منكرة وخطأ فاحش

وأخطر ما أصيب به الجهاد فى تاريخه من النكسة تقسيمه إلى جهاد أكبر وأصغر وقديماً عرف أعداء الإسلام خطورة الإسلام عليهم ،وأنه لا بقاء لهم مع ولا بقاء لعروشهم الطاغوتية الكافرة الظالمة مادام الجهاد باقيا ،وعرفوا أن المسلمين الموحدين إذا أعلنوا الجهاد بصوت واحد .باطلهم ولا تدول لهم دولة ،وخرجوا بسم الله وعلى بركة الله ، لم تقم أمامهم قائمة لأنهم طالبوا إحدى الحسنيين والله ناصرهم وممدهم ، عرفوا ذلك كله من صفحات سلف هذه الأمة

الطريق لرفع رايه التوحيد

حينما فتحوا نصف كرة العالم فى أقل من نصف قرن ومن هنا بدؤا يفكرون لحل هذه المشكلة العويصة الرهيبة وجدوا واجتهدوا ووجدوا حلولاً كثيرة وأحكمها وأنجحها وأوفاها بالغرض هى صرف المسلمين عن الجهاد بطريقة سليمة وفعلاً حلت مشكلتهم ، وجلسوا على موائدهم يأكلون ويشربون آمنين مطمئنين واستراحوا من الجهاد استولوا على البلاد واستعبدوا العباد وهذه الطريقة التى صرفت المسلمين عن الجهاد وأقعدتهم أزلاء لمدة طويلة حتى يومنا هذا هى الجهاد الأصغر مجاهدة الكفار والجهاد الأكبر مجاهدة النفس والشيطان وهؤلاء الأعداء أذكياء يعرفون أن النفس :تقسيم الجهاد إلى أصغر وأكبر فقالوا والشيطان لا يتخلص منهما الإنسان مادام حي يرزق وأعطوه وظيفة تشغله عن الجهاد مدة بقائه فى هذه الحياة ، ووضعوا له في ذلك حديثاً مكذوباً على رسول الله ﷺ لما يعلمون عظمة رسول الله ﷺ فى قلوب المسلمين وهو حديث "رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر" ودسوه فى كتب المسلمين ، معناه رجعنا من الجهاد الأصغر وهو جهاد الكفار والمشركين إلى الجهاد الأكبر وهو جهاد النفس والهوى والشيطان وحب الدنيا وقد سمعت شيخاً من أدعياء السلفية وهو رئيس فرع من فروع أنصار السنة فى مدينة كبيرة يقول ذلك ويلمز المجاهدين ويعيب عليهم وعلى من يدافعون عنهم ويقول ، يقولون جهاد ويتمنون الجهاد وهم يتخلفون عن صلاة الفجر عليهم بجهاد أنفسهم أولاً فإن تغلبوا عليها وقهروها كان الجهاد أسهل فالجهاد الحقيقي هو جهاد النفس إذا كان مجاهدة النفس والشيطان جهاداً أكبراً فماذا أصنع بالجهاد الأصغر ؟ :والشيطان وهو أكبر جهاد ولما سمع أخونا المسكين المغبون فى دينه هذا قال فأخذ سبحته الطويلة ودخل صومعته ، يعبد ربه بمجاهدة هواه وشيطانه ولربما بعضهم الذى لم يزل الخير فيه ينوى فى نفسه الجاهد الأصغر ، عندما ينتهي وأما –رحمه الله -وهذا الحديث المنكر الموضوع ليس له وجود في الكتب الحديثية إطلاقاً قال شيخ الإسلام ابن تيمية .من الجهاد الأكبر ، فأني له ذلك رجعنا من الجهاد الأصغر إلي الجهاد الأكبر ، فلا أصل له ولم يروه أحد من أهل المعرفة بأقوال النبي :الحديث الذي يرويه بعضهم ، أنه قال في غزوة تبوك إلي أثار هذه الأحاديث الموضوعة –رحمك الله –صلي الله عليه وسلم وأفعاله وجهاد الكفار من أعظم الأعمال ، بل هو أفضل ما تطوع به الإنسان[1] فانظر التي استغلها المبطلون أهل الإرجاء أعداء الدين في الصد عن سبيل الله والجهاد في سبيله نصرة لدين الله كما فعلوا قبل ذلك من إقامة الحدود بين دولة الإسلام وقسموها دويلات صغيرة وحددوها بحدود وجعلوا بين كل دولتين منطقة حدودية متنازع عليها حتي عندما يريدون تفريق الأمة وإهلاكها أثاروا هذه الخلافات الحدودية وتنازعوا عليها فاقتتلوا فيما بينهم والكفار ينظرون ويحرشون وبالسلاح كلا الطرفين يمدون فهم في جميع الأحوال مستفيدون فقد نصبوا علي هذه البلاد من يدين بالولاء والطاعة لهم وإن كان هذا علي حساب شعبه وجيرانه المسلمين المهم يرضي أسياده ماداموا يحافظون له علي كرسي الملك ويهلك بعد ذلك الجميع لذلك رأينا الحكام يمدون أمريكا وقوات التحالف المحتل يمدونهم بالسلاح والغذاء ورأينا الوجبات الساخنة تخرج في طائرات خاصة من مصر للقوات الكافرة التي تغزوا العراق ورأينا الطائرات الحربية تقلع من القواعد الحربية في السعودية وقطر والكويت لتضرب إخواننا المسلمين في العراق وأفغانستان لتقتل أطفال المسلمين وشيوخ المسلمين وتهدم بيوت المسلمين وكل ذلك بأيدي الحكام المرتدين الجاثمين علي صدور المسلمين فأي دين وأي مروءة وشهامة تبيح لك أيها الحاكم السماح للكافر المحتل أن ينطلق من أرضك ليضرب أخوة لك في العقيدة والدين وأي شيئ يبقي بعد أن تسمح وتساهم وتشارك العلج الكافر في اغتصاب نساء المسلمين وقتل شباب وأطفال المسلمين ألا تخشي أن يأتي الدور عليك أنت ويفعل بك كما فعلت بإخوانك وهل تظن أن المحتل سيحترمك بعد أن سمحت له بقتل إخوانك هل تظن أن المحتل الكافر يثق بك بعد أن رآك تخون دينك وأمتك وتفرط في رجولتك وشهامتك من أجل متاع زائل ؟ هل تظن أن الكافر المحتل يلتفت إليك بعد أن رأي منك أنك لا تحترم المبادئ وتحركك مصالحك الشخصية وإن كانت في هلاك شعبك وأهلك ؟ هل تظن ذلك سيشفع لك عند أمريكا ؟ عجيب أمر هؤلاء الحكام الخونة الذين باعوا دينهم وكرامتهم وفقدوا رجولتهم من أجل الرياسة والملك ولم يكتفوا بكل ذلك بل حاربوا كل من يدعوا إلي الجهاد باسم الإرهاب والتطرف ، وللأسف الشديد استطاعوا أن يستميلوا بعض من ينتموا إلي الدعوة من المسلمين ويحتوونهم ويستعملونهم في تنفيذ مخططات أعداء الدين من محاربة الجهاد والمجاهدين باسم الخوارج والإرهاب والتطرف والفئة الضالة التي تريد أن تصل إلي الرياسة وتستولي علي الحكم بقوة السلاح وينشروا هذه الفكرة بين عموم المسلمين وخرجت الفتاوى والبيانات وانتشرت المحاضرات والدروس علي الفضائيات تحذر من الجهاد وطريق المجاهدين بالتلميح تارة وبالتصريح تارة ، حتى إمتلأت السجون والمعتقلات بالشباب المسلم الذي يريد أن ينصر إخوانه المسلمين في العراق وأفغانستان وفلسطين ونجح الطواغيت فى استمالة بعض المشايخ واستعمالهم في نشر فكرة أن الجهاد الآن فرض كفاية فى العراق وهذه مسؤولية العراق وأهل العراق وأفغانستان وفلسطين والشيشان ونشروا بين الشباب أن الطرق غير أمنة والقتال قتال فتنة تحت رايات عمية جاهلية ولا بد من أذن ولى الأمر والحاكم وأن بيننا وبين أمريكا والغرب اتفاقيات سلام دائم ودفاع مشترك وعهود ومواثيق دولية لا بد من أن نحترمها وإن كان المعتدى عليه هو أخوة لنا فى الدين والعقيدة وإن كانت المعتدى عليها المنتهك عرضها هى أخت لنا فى الدين وإن كان القتلى من الأطفال

---

[1] (١)الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان وانظر مقدمة المشارع للمحقق من ص٢٩ إلى ص٣٤
انظر التمهيد من ص٢٠ إلى ٥٤ فإنه مهمومفيد جداً وقداستفدت منه كثيراً

والشيوخ والشباب هم أهل لنا ومن جلدتنا وإن كان كل ذلك لا نرضى أن نخالف أمر أسيادنا من الأمريكان وأهل الصليب وإن أحتلو الأرض وهتكوا العرض وخربوا الديار واستولوا على خيرات البلاد واستعبدوا العباد وحسبنا الله ونعم الوكيل فى الدعاة والمشايخ الذين باعوا دينهم بعرض من الدنيا قليل ورضوا بالصفقة القذرة مع الطواغيت {امتلاء الكروش وتثبيت العروش}حسبنا الله ونعم الوكيل فى الذين يتكلمون عن الجهاد ويلمزون المجاهدين بغير علم ولا بصيرة بأحوالهم وواقعهم وحقيقة جهادهم وهم يعلمون جيداً حال الطواغيت وحقيقتهم حسبنا الله ونعم الوكيل فى الذين يعلمون أن الجهاد الآن فرض عين على كل قادر عاقل حر وعبد رجل وامرأة بكل ما يستطيع بالمال والسلاح وتحريض بالكلمة والبيان والموعظة فرض بالقلب واليد واللسان فإن لم يكن الآن والحال هكذا متى يكون الجهاد فرض عين

فمتى نجاهد ؟

نجاهد ويكون الجهاد فرض عين علي كل مسلم مطيق بعينه

-إذا احتل الكفار بلاد المسلمين وقصدوها وإن لم يدخلوها

-ويكون فرض عين لفكاك أسارى المسلمين

-ويكون فرض عين إذا أمر به ولي الأمر المسلم

-ويكون فرض عين عند الاستنفار والتقاء الصفوف

أما فرض الكفاية

فهو جهاد الكفار في بلادهم باتفاق العلماء وقال ابن المسيب أنه فرض عين ومعني فرض الكفاية أنه إذا قام به من فيه كفاية سقط الحرج والإثم عن الباقين فإن تركه الجميع أثموا ، وهل يعمهم الإثم ؟ وجهان أصحهما :يأثم كل من لا عذر له ، الثاني :يأثمون أجمعين لأن العجز المطلق مسقط للفرد ولا تكليف مع العجز وجهاد الكفار في بلادهم الذي هو فرض كفاية يجب في كل سنة مرة علي الأقل ، والزيادة أفضل بلا خلاف ولا يجوز إخلاء سنة من غزو إلا لضرورة كضعف المسلمين وكثرة العدو وخوف الإستئصال لو إبتدءوهم أو لقلة الزاد وعلف الدواب ونحو ذلك فإن لم تكن ضرورة ولا عذر لم يجز تأخير الغزو سنة ، نص عليه الشافعي " الأم "وقال الإمام الجويني :المختار عندي مسلك الأصوليين فإنهم قالوا الجهاد دعوة قهرية فنجب إقامته بحسب الإمكان حتى لا يبقي إلا مسلم أو مسالم ، ولا يختص بمرة في السنة ولا يعطل إذا أمكنت الزيادة ، وما ذكره الفقهاء ، حملوه علي العادة الغالبة وهي أن الأموال والعدد لا تتأتي لتجهيز الجيوش وإعداد الجنود في السنة أكثر من مرة "روضة الطالبين ١٠ /٢٠٨-٢٠٩

وقال ابن قدامة صاحب المغنى من الحنابلة :

أقل ما يفعل الجهاد فى كل عام مرة فيجب فى كل عام إلا من عذر ، وإن دعت الحاجة إلى القتال فى كل عام أكثر من مرة وجب لأنه فر ض كفاية فوجب منه مادعت الحاجة إليه ...المغنى ٣٤٨/٨ملخصاً

وقال القرطبي فى تفسيره .

"فرض على الإمام إغزاء طائفة إلى العدو كل سنة مرة يخرج معهم بنفسه أو يخرج من يثق به يدعوهم إلى الإسلام ويزعهم(أى يكفهم ويمنعهم) ويكف أذاهم ويظهر دين الله حتى يدخلوا فى الإسلام أو يعطوا الجزية "ولا يجب الجهاد على صبى ومجنون وامرأة ومن به مرض يمنع من القتال ويجب على أعور وذي صداع ووجع ضرس وحمى خفيفة ونحوها وذي عرج يسير وهذا مذهب أحمد أيضاً وما أظن فيه خلافاً هذا كله فى الجهاد الذى هو فرض كفاية ، فإن دخل الكفار بلدة لنا أو أطلوا عليها ونزلوا بابها قاصدين ولم يدخلوها ، وهم مثل أهلها أو أقل من مثليهم .صار الجهاد فرض عين فيخرج العبد بغير أذن السيد والمرأة بغير أذن الزوج إن كان فيها قوة دفاع على أصح الوجهين فيها ، وكذلك يخرج الولد بغير أذن الوالدين والمدين بغير أذن صاحب الدين وهذا جميعه مذهب مالك أيضاً وأبى حنيفة وأحمد بن حنبل والشافعي فإذا دهمهم العدو ولم يتمكنوا من الاجتماع والتأهب للقتال فمن وقف عليه كافر أو كفار وعلم أنه يقتل إن استسلم فعليه أن يتحرك ويدفع عن نفسه بما أمكنه ولا فرق فى ذلك بين الحر والعبد والمرأة والأعمى والأعرج والمريض وإن كان يجوز أن يقتلوه أو يأسروه وان أمتنع عن الإستسلام قتل جاز أن يستسلم وقتالهم وعدم الإستسلام أفضل لفعل عاصم بن الدثنه –رضى الله عنه –فالمجاهد الأفضل له أن لا يستأثر فيقاتل حتى ينال إحدى الحسنيين النصر أو الشهادة وهذا الذى خرج من أجله فكيف يسلم نفسه لعدوه ولو علمت المرأة أنها لو استسلمت

لامتدت الأيدي إليها لزمها الدفع وإن كانت تقتل لأن من أكره على الزنا لا تحل له المطاوعة لدفع القتل ، وهذا هو الصحيح أن المرأة تقاتل وتدفع عن نفسها حتى تقتل ولا تمكن العدو منها ويجوز لها قتل نفسها وكذلك الأسير إذا خاف الأسر وفشوا الأسرار التى فيها هلاك الجماعة المسلمة واستئصالها إن ظفر بها العدو .ومن كان فى مكان فنزل العدو منه دون مسافة القصر تعين فرض القتال عليه كتعينه على أهل البلدة التى نزل بها العدو ،قال الماوردى "لأنه قتال دفاع وليس قتال غزو فيصير فرضه على كل مطيق "وكذا الحال فى أهل رفح وسيناء بالنسبة لفلسطين وسوريا والأردن والسعودية بالنسبة للعراق وباكستان بالنسبة لأفغانستان وأهل القوقاز بالنسبة للشيشان .ومن كان على مسافة القصر يجب عليهم المسير إلى البلد الذى نزل به العدو إن لم يكن فى أهل ذلك البلد ومن يليهم كفاية فإذا خرج إليهم من تحصل به الكفاية سقط الحرج عن الباقين وفاتهم الأجر العظيم والثواب الجزيل بترك الجهاد والصحيح لا يسقط عنهم الحرج وتجب عليهم المساعدة والمسارعة وتجب على الأقربين فالأقربين بلا ضبط حتى يبلغ الخبر بأن الكفار قد دفعوا وأخرجوا من بلاد المسلمين .وقال البغوي فى شرح السنة إذا دخل الكفار دار الإسلام فالجهاد فرض عين على من قرب وفرض كفاية فى حق من بعد ولا يجوز تمكين الكفار من الاستيلاء على ديار الإسلام مع إمكان الدفع حتى لو كانت هذه الديار صحراء ليس فيها سكان وهو الصحيح لأنها من ديار الإسلام وأراضى المسلمين وحصن الإسلام وخط دفاعي ، فكيف نترك العدو ينزل بها ؟ فوجب الدفع عيناً علي كل مطيق قادر حتى يظهر دين الله وتحمي البيضة وتحفظ الحوزة ويخزي العدو ولا خلاف في ذلك [1] بفعل النبي صلي الله عليه وسلم في أحد والأحزاب وتبوك مع بعدها عن المدينة لأنها من دار الإسلام وحدوده وكذلك فعله معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه مع الروم .

-فإذا هاجم الكفار بلاد المسلمين يصير الجهاد فرض عين علي كل مطيق

-والقتال يصير فرض عين لمن حضر صف القتال في الميدان

-والجهاد فرض عين لفكاك أساري المسلمين والنفير لاستنقاذهم

-وكذلك يصير فرض عين إذا أمر به الإمام واستنفر الناس للجهاد

فأما دخول الكفار بلاد المسلمين وإحتلالهم أراض المسلمين فهذا لا خلاف فيه أن جهادهم فرض عين علي كل مطيق والحال اليوم كما تري وتسمع من إحتلال الكفار للعراق وفلسطين والشيشان وأفغانستان فجهاد هؤلاء الأمريكان وأعوانهم فرض عين علي كل قادر وإن كان قتال الحكام المرتدين الذين يمنعون المسلمين من قتال أسيادهم الأمريكان إن كان قتال المرتدين أولي من قتال الكافر الأصلي لأنه ما دخل الكفار ولا اليهود وأهل الصليب بلاد المسلمين إلا بمساعدة الحكام الخونة المرتدين وإن لم يكن الجهاد فرض عين لإخراج الكفار من بلاد المسلمين فمتى يكون وما هو فرض العين إذاً ؟ وكذلك لاخلاف فى تعين الجهاد عند حضور القتال فى الصف لأنه فرار من الزحف فيتعين الجهاد على من حضر القتال وكذلك لا خلاف فى تعين الجهاد إذا أمر به الأمير فكاك أسرى المسلمين وحكمه [2]

قال الله تعالى "وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ " النساء ٧٥

قال القرطبي فى تفسيره :

أوجب الله تعالى الجهاد لإعلاء كلمته وإظهار دينه وإستنقاذ المسلمين الضعفاء من عباده وإن كان فى ذلك تلف النفوس ، وتخليص الأسارى واجب على جماعة المسلمين إما بالقتال وإما بالأموال وذلك أوجب لكونها دون النفوس إذ هى أهون منها قال مالك :واجب على الناس أن يفدوا الأسارى بجميع أموالهم ، وهذا لا خلاف فيه لقوله ﷺ "فكوا العاني "أى الأسير رواه البخاري فى صحيحه باب الجهاد .

قال القرطبي أيضاً:فى قوله تعالى "وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ "الأنفال72يريد أن طلب هؤلاء المؤمنين الذين لم يهاجروا من أرض العدو عونكم بنفير أو مال لاستنقاذهم فأعينوهم فذلك فرض عليكم فلا تخذلوهم "

قال ابن العربي فى أحكام القرآن :

---

(١)انظر المشارع لأبن النحاس من ص٩٨إلى ص١٠٣

(١)[2] أنظر المشارع لأبن النحاس ٨٢٨إلى ٨٣٩

إلا أن يكونوا مستضعفين فإن الولاية معهم قائمة والنصر لهم واجب حتى لا تبقى منا عين تطرف حتى نخرج إلى استنقاذهم أو نبذل جميع أموالنا فى استخراجهم حتى لا يبقى لأحدنا درهم كذا قال مالك وجميع العلماء "فإنا لله وإنا إليه راجعون "على ما حل بالخلق من تركهم إخوانهم فى أسر العدو وبأيديهم خزائن الأموال وفضول الأحوال والقدرة والقوة والجلد "٨٨٧/٢"

يقول ابن العربي هذا من أكثر من ألف سنة فكيف الحال اليوم وأسارى المسلمين فى كل مكان يسمونهم الكفار سوء العذاب على مرئي ومسمع من العالم الإسلامي كله وما حدث فى جوانتناموا وأبى غريب ليس ببعيد ولم تحرك فى حكام العرب المسلمين هذه الأحداث شيئاً لسبب بسيط وهو أنهم كلهم بوش وكلهم شارون وبلادهم كلها معتقل للمسلمين تفوق فى قسوتها وشدتها ما حدث للمسلمين فى معتقل جوانتناموا فى كوبا وما حدث للأسرى فى سجن أبو غريب فكيف ينكرون على أمريكا وهم يفعلون بالمسلمين فى المعتقلات والسجون أشد مما تفعله أمريكا والغرب ؟ بل بعض بلاد الغرب الأسير فيها أفضل حالاً من الأسير فى بلاد المسلمين وأسأل عن أحوال المعتقلين فى أبى زعبل والمرج والوادي فى مصر والجفر وسواقة فى الأردن وسجون المعتقلات فى سوريا وغيرها بل وصل الحال سوءً أن يهدد اليهود المسلمين بتسليمهم للسلطات المصرية لما يعرفه اليهود من بطش وتعذيب حتى الموت للأسرى والمعتقلين وإذا قورنت السجون والمعتقلات فى إسرائيل بالسجون والمعتقلات فى بلاد العرب والمسلمين فإن الأسير فى المعتقلات الإسرائيلية فى نزهه بالنسبة للمعتقلات المصرية وهؤلاء يهود لكن الطواغيت العرب أشد منهم قسوة وأكثر بطشا وتنكيلاً بالموحدين واسأل أهالي سيناء يخبروك الخبر اليقين عن الفرق والمعاملة من اليهود أثناء الاحتلال وبين معاملة المسلمين وما قاموا به من قتل الشباب واعتقال الرجال وسبى النساء وتعذيب الأطفال فى السجون المصرية[1] بل أصبحت بعض البلاد العربية مسلخاً ومجزرا تنفذ أوامر أمريكا والغرب فى الحرب على الإسلام وترسل أمريكا الأسرى والمعتقلين إلى البلاد الإسلامية وأجهزة القمع فيها للتعذيب واستخراج المعلومات بالقوة حتى الموت وهذا واقع ومعلوم فإن مايعانيه المسلمون من حكوماتهم المرتدة أشد بكثير من الكافر الأصلى ولذلك نعلم أن الكافر المرتد أشد كفرا من الكافر الأصلى لذلك فهو أولى بالقتال والقتل من الكافر الأصلى لكفره وجرمه وردته قال تعالى "قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً " التوبة ومع كلام بن العربي هذا إلا أننا نجد السلف الصالح لم يغمض لهم جفن ولا نامت لهم عين ولا هدئ لهم بال إلا بعد أن استخلصوا أساري المسلمين من أيدي الكافرين وهاك بعضاً من صورهم المشرقة وأحوالهم المشرفة.

قال أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضى الله عنه لأن أستنقذ رجلا من المسلمين من ايدى المشركين أحب إلى من جزيرة العرب "فكيف بحكام العرب اليوم يجوعون شعوبهم وهم يملكون الثروات الطائلة ويعيشون لهواً وفساداً

وكتب عمر بن عبد العزيز كتاباً إلى الأسرى من المسلمين بالقسطنطينية أما بعد فإنكم تعدون أنفسكم الأسرى ومعاذ الله بل أنتم الحبساء فى سبيل الله ، واعلموا أنى لست أقسم شياً بين رعيتي إلا خصصت أهلكم بأكثر ذلك وأطيبه ،وإني قد بعثت فلان ابن فلان بخمسة دنانير ولولا أنى خشيت أن يحبسها عنكم طاغية الروم لزتكم وقد بعثت إليكم فلاناً ابن فلان يفادى صغيركم وكبيركم وذكركم وأنساكم وحركم ومملوككم بما يسأل به فابشروا ثم اثبتوا والسلام .

هكذا والله يكون التكافل فى الجماعة المسلمة وهكذا يكون هم الإسلام فعار وشنار ثم عار وشنار على ما يأكل ملئ بطنه وينام قرير العين بين أهله وأولاده وأخوة له فى الإسلام أساري فى سجون الكفار والصليبين وعند الحكام المرتدين ولم يفعل لهم شياً ولم يسع فى تخليصهم أو يكفلهم فى أولادهم وأهليهم إما خوفاً على نفسه من الطواغيت أو بخلاً بما لديه على إخوانه المسلمين ومنعاً لحقهم عليه وتأمل هذه المسألة التى ساقها النووي فى الروضة

قال –رحمه الله -لو أسروا مسلما أو مسلمين فهل هو كدخول العدو دار الإسلام ؟ وجهان أحداهما لا .لأن إزعاج الجند لواحد بعيد ، وأصحها نعم . لأن حرمة المسلم أعظم من حرمة الدار وهذا ما قام به السلف عملياً

غزو الكفار من أجل أسيرة مسلمة

---

[1] (١) أنظر (جرح الكرامه وتفجيرات سيناء) وما حدث لأهلى سيناء من ويلات على يد الحكومة المصريه لم يحدث عشره من اليهود أيام الإحتلال

<u>حكي القاضي</u> أبو بكر ابن العربي أن بعض الملوك عاهد كفاراً على أن لا يحبسوا أسيراً فدخل رجل من المسلمين جهة بلادهم فمر على بيت[1] مغلق فنادته امرأة :إني أسيرة فأبلغ صاحبك خبري فلما أجتمع به وتجاذبا ذيل الحديث انتهى الخبر إلى هذه المرأة فما أكمل حديثه حتى قام الأمير على قدميه وخرج غازيا من فوره ومشى إلى الثغر حتى أخرج الأسيرة واستولى على الموضع

<u>وحكي القرطبي</u> فى تاريخه عن المنصور بن أبي عامر ولم يكن فى الملوك القائمين بالأندلس مثله غزا نيفاً وخمسين غزوة وأجتمع له الروم فى أمم لا تحصى فثبت لهم فعرضوا عليه الصلح فأبى فألحوا عليه فقال لا أفعل إلا أن تعطوني ابنة ملككم فقالوا هذا عار ما سمع بمثله فاجتمعوا فى عدد عظيم وكان فى عشرين ألف فارس فأنكسر المسلمون أولاً وثبت هو ثم رجع المسلمون وقاتلوهم فكانت الدائرة على الكفار والعاقبة للمسلمين وقتل وأسر فسأله فى الصلح فأبى إلا أن يعطوه ابنة ملكهم وأموالاً اقترحها فأعطوه ذلك مع تحف كثيرة ،وكانت البنت فى نهاية الجمال فلما شيعها ،أشراف قومها سألوها أن تحسن الوساطة لقومها عنده فقالت إن الجاه لا يطلب بأفخاذ النساء إنما يطلب برماح الرجال ، ولما وصل المنصور إلى مدينته تلقته امرأة فقالت أنت والناس يفرحون وأنا باكية حزينة قال .ولم ؟ قالت ولدى أسير فى بلاد الروم فسير العساكر لوقته راجعاً إلى البلاد حتى أحضروا ولدها .

فرحم الله تلك الأمم الخالية وتلك الهمم العالية وأثابهم على أعزاز دين الإسلام رضوانه التام فى دار السلام ،

<u>وقد ذكر غير واحد</u> عن المنصور هذا أنه كان إذا جاء من الغزو ونفض الغبار عن ثيابه وأدرعه وجمعه عنده فجمع منه شيئ كثير فلما حضرته الوفاة أمر أن يدفن فى ذلك الغبار فيا لله ماأطيب هذا الحنوط وما أشرف هذا التراب .

<u>وامعتصماه</u>

وذكر الإمام العارف عبد الغفار بن نوح القومي فى كتابه المسمى بالوحيد فى سلك أهل التوحيد فقال :بلغ المعتصم أن علجاً من علوج الفرنج لطم امرأة أسيرة فى عموريه فقالت وامعتصماه فقال لها العلج :لا يجئ المعتصم إلا على فرس أبلق "وهو السواد فى البياض "فسير المعتصم إلى سائر الجهات فى طلب الخيل البلق وبذل فيها الأموال الجزيلة والخلع النفيسة حتى كمل له ثمانية عشرة ألف فرس أبلق وقيل ثمانون ألف ، صار إليها بقوة العزم وصدق النية والغيرة على دين الله ، ففتحها الله على يده ولم تكن فتحت قبل ذلك وسبى وقتل وحرقها بالنار وأحرق جمعاً كبيراً وأحضر العلج والمرأة بين يديه وهو راكب على فرس أبلق وقال له قد جئتك على فرس أبلق .

فهكذا فليكن إعزاز الدين ومثل هذا ينبغي أن تكون أئمة المسلمين اللهم أبرم لهذه الأئمة أمر رشد يعز فيه أوليائك ويذل فيه أعداك ويؤمر فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر اللهم أقم علم التوحيد والجهاد وأخذل أهل الكفر والفساد ؛ آمين .

معاوية ولطمة القرشي

حكى القرطبي فى تاريخه –قال :أسر رجل فى زمن معاوية رضي الله عنه وأدخل القسطنطينية فتكلم بين يدي ملكهم بكلام فلطمه أحد البطارقة فقال الأسير وكان قرشياً :بيننا وبينك الله يامعاوية وليت أمورنا فضيعتها فبلغ معاوية كلامه فسير وافتداه فلما أتاه سأله عن اسم البطريق فأخبره فأفكر طويلاً ثم نفذ خلف قائد من قواد صور ذو خبرة ومعرفة ،وقال :أريد منك أن تتحيل فى إحضار فلان البطريق من القسطنطينية فقال أريد أن أنشئ مركباً بمجاديف مخفيه تلحق ولا يلحق بها ، فقال له أفعل ما بدا لك ومكنه من كل ما يحتاج إليه فلما كملت أوسقها من كل طرفة وتحفة وأعطاه أموالاً جزيلة وقال :اذهب إلى القسطنطينية فكأنك تاجر فبع واشتر وأهد لوزير الملك وبطارقته وخاصته خلا ذلك البطريق فلا تقربه ولا تهاده ، فإذا أعتبك على ذلك فقل له ما عرفتك ولكن سأضاعف لك فى عودتي فإنه لم يبق معي ما يصلح لمثلك ففعل ذلك ثم رجع إلى معاوية وأخبره بما صنع ، فجهزه ثانياً وأعطاه أضعاف ذلك وقال : هذا –أيضاً-للملك وسائر خواصه وكذلك البطريق ، فإذا عزمت على الحضور إلينا فقل لذلك البطريق إني أحب أن أصادقك ويكون بيني وبينك معرفه فسلني حاجة أحضرها لك على حسب ما تقترحه ويكون عوض عما قصرت فى حقك ، فقال :أريد بساط من حرير يحوى جميع الألوان وصور سائر الأطيار والأشجار والأزهار والوحوش طوله كذا وعرضه كذا .

---

(١)مع أنهم كفار إلا أنهم كان عندهم مروئة وشهامة إفتقدها الحكام الطواغيت المرتدين فهؤلاء الكفار أكثر إنسانية من الحكام المرتدين الذين يغيبون الموحدين فى سجون ومعتقلات غيرأدمية وغير صحية

فلما رجع وأخبر معاوية رضى الله عنه جمع له سائر الصناع فكمل فى أبدع صورة يدهش الناظرين وجهز معه كل ما يحتاج إليه وقال له :إذا وصلت على فم البحر فأنشر البساط على ظهر المركب فسيحمله الشره على أن ينزل إليك فإذا صار عندك فاشغله بالحديث وأعرض عليه البساط وقدم له غير ذلك من التحف ومر أصحاب المركب أن يقذفوا بالمجاديف المخفية فإذا صرت فى البحر فارفع الشراع وأوثقه ومن معه كتافاً وائتني به .

وكان للعلج ستارة على فم البحر فلما بلغه وصول المركب أشرف لينظر إليها فلما رأى البساط كاد عقله يذهب فخرج مسرعاً للقائه فنزل مسلما فأعرضه عليه مع غيره ، وأصحابه يقذفون ولا علم له فما شعر إلا برفع الشراع-يعنى القلع –فقال ماهذا ؟ فقبض عليه وأوثقه بالحديد وسائر أصحابه وأتى به إلى معاوية رضى الله عنه فأحضر القرشي وقال :هذا خصمك ؟ قال نعم قال :قم فالطمه كما لطمك ولا تزد ففعل ذلك .ثم قال لصاحب المركب خذه وأذهب به إلى الموضع الذى أخذته منه ، وأعطاه ذلك البساط وغيره وقال له :قل لملكك تركت ملك المسلمين يقتص ممن هو على بساطك ومن خواصك وبطارقتك فلما أوصله إلى القسطنطينية وجدوهم قد اتخذوا على فم البحر سلسلة فرموه هناك وأعطوه البساط فهاب ملك الروم معاوية رضى الله عنه وعظمه وهاداه "مشارع الأشواق٨٢٨-٨٣٦.

وكيف لا يعظمه ويهابه وهو يرى هذه الأخلاق النبيلة والهمة العالية والحرص على الحق ونشر العدل حتى مع الكافر قوم بهذه الأخلاق لا بد وأن يهابهم العالم أجمع أما اليوم أنظر على حكام المسلمين وما يفعلونه بشعوبهم من الذل والقهر والبطش حتى امتلأت سجونهم بأهل التوحيد .حتى فقد المسلم كرامته وعزته فى بلاد الكفر لأن المواطن أهين فى بلده ففي غيرها أهون ولو أحترم الحكام شعوبهم وعاملوهم بكرامة وإنسانية لهابهم الأعداء واحترموهم والواقع خير شاهد

أبشر أيها الأسير

بشرى لك أيها الأسير يزفها إليك رسول الله ﷺ الذى ذاق مرارة الحصار فى الشعب ثلاث سنوات حتى أكل أصحابه أوراق الشجر –رضى الله عنهم جميعاً –أبشر يا من أسرت فى سبيل الله ومن أجل دين الله وإعلاء كلمته فإن الله الكريم لن يجمع عليك خوفين ولا قيدين فهو الرب الرحيم قال رسول الله ﷺ "عجب ربنا من قوم يقادون إلى الجنة فى السلاسل "رواة أبو داود "عجب الله من قوم يدخلون الجنة فى السلاسل "رواه البخاري عن أبى هريرة .

فلن يجمع الله عليك قيدين ونسأل الله أن ينجيك من قيد جهنم أبشر أيها الأسير فلست على الطريق وحدك فقد قيد العظماء وأسر العلماء ومات فى القيد الشهداء أبشر فقد سبقك على طريق الحق طريق الدعوة إلى التوحيد والجهاد سبقك عبد الله بن حذافة السهمي ومن قبله خبيب بن عدى أبشر فقد سبقك الأئمة الأعلام أبو حنيفة ومالك وأحمد ومات فى الأسر والحبس بن جبير وابن تيمية وسيد قطب وخلق كثير لا يعلمهم إلا الله الذى هو أعلم بهم سبحانه المهم أن تكون على الحق متثبتاً منه واثقاً من صحة الطريق التى أنت عليه متحرياً ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام رضى الله عنهم

اللهم فك أسرنا وأسر المأسورين فى سبيلك فى كل مكان فوق كل أرض وتحت كل سماء ، اللهم فك أسرنا وأسرهم واجبر كسرنا وكسرهم واحفظ علينا ديننا اللهم أحفظنا فى أنفسنا وأهلينا وأولادنا .اللهم إجعلنا من أنصار دينك وسنة نبيك وعبادك الموحدين .آمين

فخلاصة متى نقاتل

نقاتل ونجاهد الكفار في ديارهم الجهاد الذي هو فرض كفاية لنشر دين الله وتوحيد الله حتى يدخل الناس في دين الله أو يدفعوا الجزية وهم صاغرون

نقاتل ونجاهد الكافر المحتل المغتصب للأرض المنتهك للعرض نقاتل هذا الكافر حتى نخرجه من بلاد المسلمين وتطهر البلاد وتحفظ حقوق العباد وهذا القتال فرض عين علي كل مسلم ومسلمة حر وعبد مطيق للقتال .

نقاتل كل من وقف فى سبيل الدعوة وصد عن سبيل الله وحارب الدعاة وسالم الطغاة

.نقاتل لفكاك أساري المسلمين من أيدي الكافرين

نقاتل عندما نستعد مادياً ومعنوياً وإيمانياً وحركياً وبدنياً وروحياً وعند العجز وعدم القدرة علي القتال ومواجهة العدو وقلة المنعة والشوكة عند هذه الحالة يكون الإعداد ولا يسقط إلا بالعجز

والإعداد الإيماني والروحي مهم جداً للمجاهد وهو الوقود الذي يتزود به وهو واقع عملي في حياة المجاهد المخلص ، لا يتخلي عنه ولا يتخلف يوماً من الأيام فالذي لا يعرف عدوه ولا يحقق مسائل الإيمان والكفر ولا يتثبت من عقيدته فليس مجاهداً ؟

وليس مجاهداً من لا يقيم الليل ويجتهد في العبادة

وليس من أخلاق المجاهد الجهل بمسائل الجهاد

وليس من أخلاق المجاهد النوم بالليل واللهو بالنهار

وليس من أخلاق المجاهد الاهتمام بالدنيا والحرص عليها والإكثار منها

وليس من أخلاق المجاهد الطرف في المأكل والمشرب والملبس والمنكح

وليس من أخلاق المجاهد التعلق بمتاع الدنيا من زوجة وولد ومال حتى يصير هؤلاء عوائق في طريق الانطلاقة الكبري إلي الميدان

وليس مجاهداً من لا يشارك إخوانه في العمل ولا ينفق غير الكلام فالمجاهد ليس مترفاً ولا يكون عالة كلٌ علي إخوانه عبئ ثقيل علي المجاهدين يريد من يجهز له الطعام وينظف له الملابس وينظم له المكان هذا ليس مجاهداً ولو صدق لأتقن من الأمور ما يؤهله إلي تحمل مسئولية نفسه وإخوانه وتعلم كل شيئ عن البرنامج اليومي للمجاهد

وليس مجاهداً من يتمني الجهاد ويحسن الكلام عن الاستشهاد ثم هو غارق في التجارة لاهث وراء المال يفكر في البيت الفسيح والزوجة الحسناء والمركز المرموق والوجاهة الإجتماعية وعندما يسأل لماذا لم تجاهد وتنصر المسلمين في بلاد الإسلام تعلل بالوظيفة والأولاد والزوجة وعدم وجود عائل لهم " وكفي بالمرء اثماً أن يضيع من يعول " والديون التي أرهقته وأثقلت كاهله من أجل بناء البيت وتأسيسه بأفخر الأثاث وقسط السيارة ومصروفات الأولاد في المدارس الأجنبية ويفهم كلام النبي صلي الله عليه وسلم علي غير وجهه الصحيح "يغفر للشهيد كل شيئ إلا الدين "وفي الحقيقة ليست هذه عوائق حقيقية في طريق الجهاد ، ولكن هي حجج باطلة واهية للقاعدين المتخلفين عن الجهاد ونصرة دين الله "وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ "

فكيف يجاهد من لا يعرف أحكام الجهاد ومناطاته ؟

وكيف يجاهد من لا يتعبد ويقيم الليل

وكيف يجاهد من أثقلته الديون والترف وحب الدنيا والانشغال بها والحرص عليها

وكيف يجاهد من يبخل بالقليل في سبيل الله وهو يملك المال الكثير

وكيف يجاهد من لا يفكر يوماً في ممارسة الرياضة ولا حتي رياضة الجري مع قدرته علي تعلم السباحة والرماية وركوب الخيل والألعاب القتالية العنيفة كالوشوا "الكنغو فو "وممارسة تمارين الإحماء "السويدي "

كيف يجاهد من لا يحسن إعداد الطعام وتنظيف الأواني وغسل الثياب ونصب الخيام وشد الحبال وتسلق الجبال ومساعدة الآخرين .

كيف يجاهد من هذا حاله وهذا واقعه المرير الذي يمارسه يومياً

كيف يجاهد من يأنف عن مساعدة إخوانه والمسارعة في خدمهم تقرباً إلي الله ونصرة لدين الله .

كيف يجاهد من يريد أن يكون له خادم يقوم علي خدمته في الميدان من كان هذا حاله فهو كسول وهمان يحلم بالجنان والحلم من الشيطان.

كيف يجاهد من صدره غير سليم لإخوانه مليء بالحقد والحسد والكراهية وسوء الإخلاق وسلامة الصدر مطلب عند أهل السنة.

فكيف يجاهد من هو كثير الشجار علي أتفه الأشياء وإن كانت لعاعة من الدنيا حقيرة دنيئة من دنئآت الدنيا الفانية من مأكل ومشرب وملبس فالمجاهد الحق تجد همته عالية ونفسه معلقة بأعالي الأمور فهو في واد وأهل الدنيا والكلام والأمنيات الكاذبة الفانية في واد آخر تجد ليله صلاة وقيام ودعاء وتسبيح واستغفار وقرآن وبكاء وخشوع ونهاره مقسم بين طلب الرزق لنفسه وأولاده ومن يعول وبين التدريب والإعداد وطلب العلم وتحقيق مسائله مهتم بآخرته مغتم لمصائب المسلمين لم ينسهم في الدعاء وفي ماله قسم معلوم للجهاد هذا هو المجاهد الصادق مع الله في طلبه الشهادة في سبيل الله واقع عملي منهج تربوي لا يفتر ساعة ولا يختل في الأزمات وأوقات الشدة فمن أراد الجهاد فليسأل نفسه هل هو حريص علي الدنيا متمسك بها شغوف بتحصيلها يخاصم إخوانه من أجل عرض من أعراضها فهو نفعي مصلحي ذاتي أينما كانت مصلحته الدنيوية فثم هو ، جهول كسول في طلب العلم والفقه وتحصيل القوتين العلمية والعملية .

إن كان كذلك لا يهتم إلا بفرجه وبطنه فهو ليس من أهل الجهاد الذي قال الله فيهم

"فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ."
اللهم إجعلنا منهم يا رب العلمين وارزقنا الصدق والإخلاص وحسن الخاتمة ....

المبحث الرابع
أين نجاهد

فبعد أن علم المجاهد الأسباب التى يجاهد من أجلها والتي دفع حياته ثمناً للحفاظ على الدين ، وبعد أن علم عدوه الذى يجاهده بعد أن حدده بدقه وعلم ويقين لا شبهة ولا شك عنده فى ذلك وبعد أن عرف متى يجاهد ومتى يكون الجهاد فرض عين على كل مسلم ومسلمة ، ومتى يكون فرض كفاية وعلى من يجب فعليه أيضاً أن يعرف أين يقاتل هذا العدو الكافر الغاصب فتحديد أرض الجهاد مهم جداً حتى لا يقع المجاهد فى التخبط والاضطراب وكما أسلفنا من ضرورة تحديد الأرض كذلك لا بد من تحديد الراية التى سيقاتل تحتها فى هذه الأرض التى سينطلق إليها مجاهداً وقد مر معنا تقسيم العدو من كافر أصلى مشرك ،وكافر مرتد وطائفة ممتنعة عن التزام الدين وتطبيق الشرائع ومن المعلوم أن الكافر المرتد أشد كفراً وأكثر خطراً على الإسلام والمسلمين من الكافر الأصلى وقتال الكافر المرتد أولى من قتال الكافر لأصلى وهذا الذى فعله النبى ﷺ فى أخر حياته –صلوات ربي وتسليماته عليه –وهو الذى فهمه خليفة رسول الله ﷺ الصديق –رضى الله عنه فى قتاله المرتدين وهذا الذى قرره شيخ الإسلام ابن تيمية وأئمة الإسلام أهل السنة والجماعة قديماً وحديثاً لا خلاف فى ذلك فاليوم أين يجاهد المسلم والواقع اليوم كما نرى حكومات مرتدة وجماعات جاثمة على صدر الأمة تتحكم فى المسلمين بما يوافق هواها ويرضى أسيادها من أهل الكفر والصليب والإلحاد فهؤلاء الطواغيت الذين يحكمون البلاد الإسلامية وينتسبون إلى الإسلام إسماً لا حقيقة هؤلاء الصبية نحو شريعة الله وأبطلوا حكم الله وسنوا القوانين الوضعية المخالفة لدين رب البرية وجعلوها قانونا عاما وألزموا الناس بالتحاكم إليها[1] وعاقبوا كل من يخالف قوانينهم ، وطاردوا وحاربوا كل من يطالب بتحكيم الشريعة ووصفوهم بأوصاف منفرة مثل الخوارج والإرهاب والتطرف وأهل الغلو فى التكفير ، وتمكن هؤلاء الطواغيت من مقدرات البلاد واستولوا عليها بالسلب والنهب ، فامتلكت الطغمة الحاكمة خيرات البلاد .ومعلوم أن البلاد الإسلامية من أغنى بلاد العالم وأكثرها ثروات بشرية وطبيعية –وحرس هؤلاء الطواغيت عروشهم بجيوش جرارة أعدوها لذلك ولم يعدوها لمحاربة الكفار أعداء الإسلام المحتلين للأرض كما يزعم إعلامهم المزيف _ولكن أعدوا الجيوش لحماية القوانين الوضعية وحماية عرش الطاغوت والمحافظة على سلامته وسلامة العصابة التى تحكم معه من الحاشية الفاسدة التى تزين له الباطل فاشتركوا جميعا فى الصد عن سبيل الله ومحاربة دين الله ومطاردة أولياء الله من الموحدين أهل القرآن أهل الدعوة والجهاد وسخروا لذلك كل ما فى أيديهم من سلطات وأعدوا جيوشا جرارة لها ميزانيات ضخمة من مقدرات الشعوب وأقواتها لمحاربة الإسلام والمسلمين المطالبين بتحكيم شريعة رب العالمين وما الأعداد الخفيرة التى لا حصر لها من الجيش والداخلية من الرجال والنساء إلا خط دفاع عن عروش الطواغيت وحماية القانون والدستور فهذه الحكومات المرتدة هى أشد كفرا وأشد خطرا على الإسلام والمسلمين من أهل الإلحاد وأهل الصليب فلذلك هم أولى بالقتال فالواقع الآن حكومات مرتدة مبدلة لدين الله وحاكمة بغير شريعة الله وكافر أصلى من أهل الصليب وعبدة الأوثان واليهود والأمريكان محتل لبلاد الإسلام فلسطين والعراق وأفغانستان والشيشان فأين يقاتل المجاهد الآن وبأيهما يبدأ وأين تتحقق المصلحة ؟

مسألة: وإذا تقرر أن الكافر المرتد أشد كفراً وخطراً من الكافر الأصلى فلماذا لا نقاتل هذه الحكومات المرتدة ونطهر البلاد ونخلص العباد منها ومن شرورها ورجسها ثم نتجه إلى قتال الكافر الأصلى ؟

هذه المسألة من المسائل الهامة الجديرة بالبحث والتفصيل والتدقيق إذ هى الأصل لكل هذه الأمور وبوضوحها وفهمها تحل جميع الإشكالات وتزول كثير من الشبهات وهذه المسألة هى سبب المعارك الدائرة بين قادة الحركات الإسلامية الجهادية وبين شباب الصحوة الدعوية مع أن الدين دعوة وجهاد وعقيدة وشريعة ومنهاج حياة

---

(١)وقد فصلنا القول في مسالة الحكم والتحاكم وأحوال المتحاكمين في "التنبيهات المختصرة علي المسائل الخلافية المنتشرة " المسألة الثانية

فالفريق الأول: يرى أن جهاد المرتدين فى الداخل أولى من قتال الكافر الأصلى فى الخارج لذلك يقومون بهذه العمليات الإستشهادية داخل البلاد الإسلامية ضد الحكومات المرتدة الكافرة ويستدلون بفعل النبى ﷺ وأبى بكر الصديق فى قتال المرتدين ، ويستدلون بفعل بعض الصحابة فى زمن الإستضعاف فى مكة مثل عبد الله بن مسعود وثمامة وأبى ذر وعمر بن الخطاب رضى الله عنهم ويقولون هذه عمليات جهادية صداميه مع الكفار ومواجهات دامية فى مكة مع عدم القدرة والمذلة ووجود الإستضعاف وعدم التمكين ولم ينكر النبى ﷺ على هؤلاء الأفراد الذين قاموا بهذه المواجهات ، زد على هذا ، أن ذلك كان فى أول الأمر فى بداية تشريع الجهاد فما بالك بعد ذلك وحتى اليوم وقد كمل الدين وانتهى تشريع الجهاد ومراحله التى استقر عليها بقتال الكفار والإغلاظ عليهم –كما سبق بيان ذلك

والفريق الثاني انقسم إلى قسمين تجاه الفريق الأول

قسم ينكر هذه العمليات فى البلاد الإسلامية ضد الحكومات المرتدة ويرى هذا القسم أن هذه العمليات غير مجدية لعدم القدرة والعجز مع أنه يرى كفر هذه الحكومات وردة هؤلاء الطواغيت وأعوانهم وجنودهم وقتالهم أولى لكن هذه العمليات عشوائية غير منظمة وغير فعالة ولا تحدث نكاية كبيرة فى الكافر المرتد وللحراسة المشددة وتكثيف الرقابة الأمنية على هؤلاء الحكام وأعوانهم زد على ذلك قلة الخبرة وقلة الإمكانيات لهؤلاء المجاهدين وضعف الحس الأمني والحركي وعدم الكتمان والسرية والتحرك بأمان مع إختراق الطاغوت لهذه الخلايا –التى يغلب عليها أحياناً العاطفة المجردة والانفعال والحماس لما يحدث للمسلمين من مصائب ونجاح الطواغيت فى أحيان كثيرة بالقبض على هذه العناصر الغير مدربة غالباً وإلقائها فى السجون والمعتقلات بل واعتقال كل من يعرفها أو يتعامل معها وبتوسيع دائرة الاشتباه وبتطبيق قانون الطوارئ والإرهاب يستطيعون ضرب هذه الخلايا وتفكيكها والزج بها فى السجون والمعتقلات مع أنهم لا يحتاجون إلى قانون لعمل ذلك ، فهم القانون وهم الدستور ويفعلون دائماً كل شيئ .والواقع خير شاهد من كلامهم .فهذه المواجهات تجرئ الطواغيت على المسلمين وتكون سبباً فى استئصال الفئة المؤمنة ، والوقوف على الأصول التى تنطلق منها ويبدأ التضييق والحصار ، والواقع أظهر لنا على مر السنين الماضية فشل هذه المواجهات واستغلال الأمن لها إعلامياً لصالحه وتبريراً لأفعاله الإجرامية والتجارب السابقة فى الجزائر وسوريا وليبيا وتونس ومصر خير شاهد وفيها كثير من العبر والدروس المستفادة وعلينا أن نستفيد من الأخطاء ونبدأ من حيث انتهى الآخرون .أما العمليات الفردية التى كانت فى العصر المكي فهى من أفراد وهناك فرق بين الحرب النظامية وحرب الأفراد والعصبات والشوارع وهى لا تمثل إلا صرخة للصدع بالحق والجهر به أخذا بالعزيمة مع وجود العدو الأكثر الذى أخذ بالرخصة فى زمن الإستضعاف ولا نقول أن تقف الصحوة الإسلامية والحركات العاملة للإسلام مكتوفة الأيدي تجاه الطواغيت الذين يصدون عن سبيل الله ويحاربون أولياء الله ولكن علينا أولاً أن نجتهد فى الدعوة إلى التوحيد وتعليم الناس دين ربهم وسنة نبيهم وحقيقة أصل دعوة الرسل من معرفة التوحيد والعمل به والتحذير من الشرك ، وتكفير المشركين والبراءة منهم وقتالهم مع القدرة ، علينا أن نجتهد فى ربط قلوب العباد بالله حتى يتعرفوا على هذا الإله العظيم عن قرب ، هذا هو الأصل الدعوة إلى الله وقد فتح الله فى هذا الزمان سبلاً كثيرة ووسائل لا حصر لها وأبواباً واسعة للدعوة إلى الله فعلينا أن نجتهد فى استغلال هذه المنابر الدعوية لنشر دين الله ودعوة الرسل بالحكمة والموعظة الحسنة ،هذا هو الأصل.

فإن حاربنا الطواغيت ومنعونا من تبليغ دين ربنا وضيقوا علينا فى كل سبيل لمنع وصول دعوة التوحيد للناس فلا مانع فى هذه الحالة من القيام بعمليات فردية مدروسة ومنظمة بعناصر مدربة تدريباً جيداً لفك هذا الحصار وحماية دعوة التوحيد وحين إذ يظهر الوجه القبيح للطواغيت أمام الناس وبيان صدهم عن الدعوة إلى الله فعند القتال والمواجهات لا يقال هؤلاء خوارج وإرهابيون بل يقال هم دعاة إلى الله وإلى دين الإسلام وهؤلاء منعوهم وهذه آخر الحلول –كما يقال –آخر العلاج الكي –تكون بقدر الحاجة والهدف منها فك الحصار عن الدعوة ليتمكن دعاة التوحيد من تبليغ دين ربهم –فإن تحقق الهدف بغيرها –فالحمد لله وكفى الله المؤمنين القتال وإن لم يتحقق بكل السبل الأخرى فلا مانع من القيام بهذه العمليات لتحقيق هذا الهدف فقط شريطة أن تكون شديدة النكاية فى الطاغوت وأعوانه معلنة الهدف حتى يعلم الناس ما هى الأسباب التى أدت إلى هذه العمليات فليست إرهاباً ولا تطرفاً ولا خروجاً ولكن دفاعاً عن الدعوة إلى الله ولو أنصف الطواغيت لتركوا الدعاة إلى الله يدعون إلى التوحيد وهى عقيدة المسلم –التى يدعيها هؤلاء الحكام –كما تركوا دعاة الشيوعية والاشتراكية والعلمانية والبهائية والماسونية والقومية يدعون إلى أفكارهم وعقائدهم الفاسدة التى تفسد البلاد وتضل العباد وتنشر الشر والانحلال وتعود على الوطن بالخراب والدمار لو أنصف هؤلاء لتركوا دعاة التوحيد يدعون إلى الإسلام دعوة سلمية لو أنصف هؤلاء لعملوا بأقوالهم وشعارهم

المزيف بقولهم إننا لا نحارب الأفكار والاعتقادات ، والديمقراطية تكفل حرية العقيدة والدين لأصحابها فهذه حرية شخصية لا نتدخل فيها "فهم يعتبرون الدين فكر ، فلماذا يحاربونه ويضيقون على دعاته ؟ مع أن الدين ليس فكراً ولم يكن يوماً من الأيام فكراً بل هو دين من عند الله جاءت به رسل الله فلا يصح أن يسمى الدين فكر ؟ فالأفكار من عند البشر ومن نتاج عقول البشر ؟ فكيف يقال إن الدين فكر ؟ لذلك نرى المفكر الإسلامي الكبير ، العلامة الأصول النحرير رائد الفكر الإسلامي –نرى هذه الألقاب الكبيرة الجوفاء على أناس هم أجهل الناس بالإسلام وعقيدة الإسلام وشريعة الإسلام .وما أطلقوا هذه الألقاب على هذه الشخصيات الممسوخة إلا ليقدموا لشباب الأمة صورة مشوهة لعلماء الإسلام وقدوة فاسدة للدعاة إلى الله ، وانسلاخ من شعائر الإسلام ومظاهره وذوبان للفوارق بين المسلم والكافر حتى يصعب التمييز بين المسلم والنصراني واليهودي والمشرك والكافر الأصلي مع أنه ينبغي على المسلم أن يتميز بشعائر الإسلام ومظاهر الإسلام من لبس القميص القصير والسواك وغطاء الرأس والمصحف والطيب واللحية وإحفاء الشارب –لابد للمسلم فى هذا الزمان أن يتمسك بهذه المظاهر الطيبة وهذه الشعائر الظاهرة[1] حتى لا يختلط بأهل الكفر والفسق والفجور ويصعب تمييزه وحتى لا يذوب وتذوب هويته فى هذه الحياة المادية بحجة الواقع والعادة والموضة ومتطلبات العصر ، مع أن هذه وإن كانت عادات بالنية الصالحة وعقدها للتشبيه برسول الله صلى الله علية وسلم والصالحين تصير هذه العادة عبادة فكيف إذا كانت هذه سنن منها الواجب والمندوب والمستحب .وإن كانت هذه الأمور من باب التشبيه والتقليد فأيهما أولى للمسلم أن يتشبه بالنبي ﷺ فى هيئته وملبسه ومأكله ومشربه وكلامه أم يتشبه بالفنانين والفنانات والممثلين والممثلات واللاعبين واللاعبات من أهل الكفر والفسوق والفجور ؟ أيهما أولى للمسلم وأيهما أفضل له فى دينه ودنياه .

الشاهد أن حرية الفكر المزعومة من هؤلاء مع بطلانها فهى محرمة وممنوعة على دعاة الإسلام حتى وإن كانت دعوة سلمية .فإذا بذلنا الجهد واستفرغنا الوسع فى نشر دين الله بالحكمة والموعظة الحسنة والدعوة السلمية وقام الطواغيت بمصادرة الدعوة ومنع الدعاة من تبليغ دين ربهم للناس وصدوا عن سبيل الله وجب هنا القيام بعمليات فردية مدروسة ومنظمة لإجبار الطواغيت على فتح مجالات للدعوة فهنا يكون القتال لمن صد عن سبيل الله وحارب الدعوة إلى الله وضيق على أهل الإسلام كما حدث في العهد المكي ولا نقول لمن قام بهذه العمليات أنه خارجي أو تكفيري أو إرهابي أو أنه قتل نفسه أو أنه مفسد فى الأرض -كما يقول دعاة الإنبطاح أهل التخذيل والتثبيط من مرجئة العصر وغيرهم.بل ندعوا له ونسأل الله أن يتقبله شهيدا فى سبيل نشر دين الله . وسياتى الكلام بالتفصيل عن حكم العمليات الاستشهادية –إن شاء الله تعالى.

—

هذا كان رأى القسم الأول من الفريق الثاني الذى ينكر هذه العمليات فى البلاد الإسلامية لما يترتب على ذلك من مفاسد لا حصر لها والأولى بهذه العمليات الكافر المحتل لبلاد الإسلام فى فلسطين والعراق وأفغانستان والشيشان وفى ذلك توحيد جبهة القتال وتوحيد توجه المسلمين ووقوفهم مع المجاهدين وفية قطع الطريق على المنافقين والمرجفين المتربصين بالمجاهدين وفيه تحرير المناط ووضوح الراية ولا تجوز هذه العمليات في بلاد الإسلام إلا بهذه الضوابط السابقة والأسباب التى ذكرناها ، فهى ضرورة وليست أصلا ، وإن كنا نقدم دائماً رأى المجاهدين أهل الثغور لدرايتهم الكاملة بالواقع ورؤيتهم الشاملة للأمور ،مع التسليم أنهم بشر يعتريهم ما يعتر البشر لكن لا يجرؤ على لمزهم وعيبهم والنيل من أعراضهم ووصفهم بأوصاف الله يعلم أنها لا تنطبق إلا على أعدائهم وخصومهم ، لكن لا يمنع من بيان الحق وتقديم النصح لهم وهم أولى بذلك من غيرهم[2] مع دعائنا لهم بالتوفيق والسداد والنصر والتأييد ومع حبنا لهم والسعي فى نصرتهم وإعانتهم بكل ما نستطيع ولا نبخل بشيء نستطيعه فى سبيل إظهار دين الله ونصرة الجهاد والمجاهدين ، ونسأل الله أن يجعلنا من أنصار دينه وسنة نبيه وعبادة الموحدين .

---

(١)وهذا للمسلم العادي المعروف لدى الطواغيت بالتزامه فعليه أن يلتزم بالهدى الظاهر وشعائر الإسلام الظاهرة ، أما المسلم المجاهد المتحرك الذي يعمل لدين الله وغير معروف أمنياً فيجوز في حقه التخفي وعدم إظهار تدينه وتمسكه بالهدى الظاهر لأن ذلك فضلاً على أنه يعوق تحركاته ففي سقوطه ضرر على الجماعة المسلمة عامة وهذا حسب الواقع والمناط **أما إن كان غير مشتغل بالجهاد وغير متحرك وكثير التنقل وهو ملتزم بدينه فقط وبالدعوة فقط بعيداً على الجهاد فهذا عليه إظهار الهدي الظاهر والتمسك بشعائره الظاهرة لأن ذلك لاحرج فيه الأن وهومن تكثير سواد المسلمين وهذا ليس علية حرج الأن ولا يهتم الطاغوت إلا بالجهاد**

(١)راجع رسالتنا " دفاعاً عن أهل الثغور" وجرح الكرامة وتفجيرات سيناء"

أما القسم الثاني:- الذي يرى عدم جواز هذه العمليات ضد الطواغيت فى البلاد الإسلامية فهم يقولون .أن هذه العمليات تضر بالدعوة وشيء أولى من لا شيئ ثم إن هذه العمليات ضد المسلمين وحكام المسلمين في بلاد المسلمين فنحن لا نرى كفر الحاكم المبدل لدين الله الذى يحكم بغير شريعة الله لذلك فهو حاكم مسلم وإن بدل دين الله وحكم القوانين الوضعية المخالفة لدين الله فهو جاهل معذور وربما يكون مجتهد مأجور وأكثر أحواله أنه ظالم وليس بكافر فهو حاكم مسلم لا يجوز الخروج عليه بأى حال من الأحوال لدرء المفاسد ثم إن الدار دار إسلام ويكفى أن الشريعة تطبق فى الأحوال الشخصية وهذا كاف ولا يلزم من الإسلام تطبيق كل أحكام الشريعة والدعوة منتشرة فى كل مكان والدعاة يتكلمون عن الصلاة والصيام والحج ومكارم الأخلاق والرقائق وأصول التربية وهذا كاف فى نشر الخير بين المسلمين ولا داعي للدعوة إلى التوحيد والتحذير من الشرك لأن الناس كلهم مسلمون ولا يوجد مشرك فى الأرض وما يحدث عند البدوي والدسوقي والحسين وعبد القادر وأبو جرير من صرف العبادة التى هى حق لله لغير الله مثل الذبح والنذر والدعاء والإستغاثة والطواف كل هذه الأمور ليست شركاً بل هى كبائر ومعاصي تكفرها لا إله إلا الله ثم إن هؤلاء جهلة بالتوحيد وإن قلنا إن هذه الأعمال شرك لكن هؤلاء الناس لا يقصدون الشرك وقلوبهم طاهرة عامرة بحب الله وحب رسول الله ﷺ ويكفى فى تكفير كل ذلك قولهم لا إله إلا الله مُحَمَّد رسول الله ما دامت قلوبهم لا تعتقد الكفر فأهم شيئ القلب لأن الإيمان فى القلب وليس بالعمل [1] وإن قلنا بكفر الحاكم المبدل لدين الله فلا نرى الخروج عليه للمفاسد الكثيرة من تأخير الدعوة والتضييق على الدعاة والذين يقومون بهذه العمليات هم من الخوارج أهل الغلو فى التكفير ، فنرى الصبر على الظلم ودعوة الناس إلى الصلاة والرقائق أو ما يسمح به لنا الحاكم ولى الأمر وما يحدده لنا من موضوعات للحديث عنها فعندنا لاءات أربع نكررها ونرددها على مسامع الناس فى كل مناسبة وكل خطبة حتى يفهم الناس منهجنا لا لتكفير الحكام ، لا للخروج على ولي الأمر ، لا لتكفير تارك الصلاة لا للعمليات ضد الكفار فى بلاد المسلمين فالذي يسمح به الآن من الدعوة إلى الصلاة والرقائق فيه خير كثير وهذا متاح الآن لكن فى ظل هذه العمليات تمنع الدعوة ويضيق على الدعاة ولا تكاد تسمع موعظة وليس الدين كله توحيد ولكن نتكلم فيما يسمح به الحاكم وعندما يسمح الحاكم بالكلام فى الإيمان والكفر والتوحيد والشرك سنتكلم ونعلم الناس فهذا خير يجب المحافظة عليه.

كيف أقام النبى ﷺ دولة الإسلام فى المدينة

عند الكلام على المواجهات والصدامات وحكم العمليات لابد وأن نعرف كيف أقام النبى ﷺ دولة الإسلام وما هى الخطوات التى خطاها صلى الله عليه وسلم لقيام الدولة الإسلامية إذ فعل النبى ﷺ هو الحاكم فى هذه الأمور وسيرته ﷺ هى الضابطة لكل هذه التصرفات .

وقد مر معنا فى مراحل تشريع الجهاد أن المرحلة المكية كان الأصل فيها الدعوة إلى التوحيد وتربية أفراد الجماعة المسلمة تربية عقدية صحيحة بما في ذلك الأخذ بعزائم الأمور كل ذلك لبناء القاعدة الصلبة لتكوين قاعدة دولة الإسلام _فكانت الدعوة إلى التوحيد وترسيخ العقيدة هى الأصل ولم تكن ثم مواجهات ولا صدامات إلا فى حالات نادرة اقتضتها متطلبات المرحلة قام بها أفراد من الجماعة المسلمة لحماية الدعوة والذب عنها عندما تعرضت الدعوة إلى الإستئصال وأرادت القوى الكافرة القضاء عليها أو تقويضها ووقفت حجر عثرة فى طريق انتشارها _فكانت هذه المواجهات الفردية ولا يمكن للدعوة أن تقف عاجزة حيال الضربات القوية من الطواغيت الذين يريدون القضاء عليها ، وفى نفس الوقت وفى هذه المرحلة لا يمكن المواجهة والصدام الجماعي الذي يأخذ شكل الحرب النظامية .لقلة العدد وضعف الإيمان وقلة الإمكانيات فى هذه المرحلة المتقدمة لهذه الدعوة الوليدة التى هى فى مرحلة البناء والتكوين فكان لابد من هذه الصدامات والعمليات الفردية من الحين للآخر لصد هجمات العدو وحماية الدعوة وأفرادها من خطر الإبادة ولا يعتبر ذلك إلغاء للأصل الذى هو الدعوة والتربية العقدية والسير فى طريق البناء مع المحافظة بقدر الإمكان على المكاسب التى حققتها الدعوة والبعد عن المواجهة الجماعية

ودليل ذلك كثير فى العهد المكي الذى هو عصر الإستضعاف .

ألم يقل النبى ﷺ لكفار قريش فى مكة فى زمن الإستضعاف وعدم القدرة والتمكين .لقد جئتكم بالذبح "أليس هذه مواجهة صريحة وإعلان عن الصدام وحقيقة الصراع فى هذه المرحلة .

---

(٢)انظر الرد على هؤلاء المرجئة وبيان مذهبهم الخبيث في رسالتنا " حقيقة الإيمان ومنزلة الأعمال "والرد على شبهة "كفر دون كفر"

الطريق لرفع رايه التوحيد

-ألم يقم حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه بعملية فردية وصدام دموي مع أبى جهل فى ناديهم ووسط جماعتهم معلنا بذلك المواجهة العلنية وانضمامه للعصبة المؤمنة .

-ألم يقم الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعملية فردية وقتال استمر طويلاً مع كفار قريش ومواجهة غير متكافئة وحده مع الطواغيت يضربهم ويضربونه حتى سقط على الأرض .

- ألم يقم عبد الله بن مسعود بمثل ما قام به عمر بن الخطاب رضى الله عنهما

ألم يقم أبى ذر بمثل ما قام به عبد الله بن مسعود وعمر بن الخطاب رضى الله عنهم

ألم يفعل ذلك ثمامة بن أثال وزيد الخير -رضى الله عنهما .

الم يضرب سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه الكفار بسيفه زمن الإستضعاف وهم تحت الحصار فى الشعب

كل هذه عمليات فردية ومواجهات صدامية مع الطاغوت فى مرحلة الإستضعاف وعدم القدرة والتمكين وكف الأيدي عن القتال فى المرحلة المكية كل هذه الأدلة تؤيد ما قلناه وتبين بوضوح أن المرحلة المكية وإن كانت مرحلة الدعوة والبناء وكف الأيدي وهذا هو الأصل العام ، لكن لا يمنع من القيام بعمليات فردية لحماية هذه الدعوة على وفق ما يقرره الأمير وأهل الشورى وما تقتضيه المصلحة التى يقدرها أهل الحل والعقد فى هذه المرحلة .من حماية دعوة التوحيد وتبليغ دين الله الذى جاءت به رسل الله و هذه المصلحة الكبرى وكل المفاسد تجاه هذه المصلحة قليلة وغير معتبرة ولا موازنة بين هذه المصلحة وغيرها من المفاسد أما الذين يقولون إن هذه المواجهات أضرت بالدعوة والدعاة وضيقت عليهم فنقول لهم أى دعوة تقصدون دعوة الرسل إلى التوحيد والعقيدة والتحذير من الشرك وتكفير المشركين والبراءة منهم ، أم دعوة إلى الرقائق وفضائل الأعمال ومكارم الأخلاق ؟ التوحيد أولاً والعقيدة أولاً أما البدء بخلاف ذلك فهى دعوة غثائية لا تربى الناس ولا تؤثر فيهم ، لذلك رضى عنها الطاغوت وفرح بها لأنها لا تهدد عرشه ولا تمثل أى خطر على معبوداته الباطلة من دون الله والدليل على ذلك قيام المحاكم الوضعية التى تحكم بغير شريعة الله ، وانتشار الأضرحة والقبور التى تعبد من دون الله ويصرف لها العبادات التى هى لله وحده ، بل وتحرس هذه الأوثان من قبل عبدة الطاغوت والشيطان وانتشرت الفواحش والمنكرات وقُننت بيوت الدعارة وصروح الربا والحانات والبارات بتصاريح وقوانين فعن أى دعوة يتكلمون وعن أى دين يتحدثون ؟ فلا بد من فقه الأولويات وترتيب الأعمال ؟ وأي خير ترجون من دعوة ميتة رضى عنها الطاغوت تكتفي بدعوة الناس إلى مظاهر جوفاء مع عكوفهم على الشرك والكفر والمعاصي والبدع وهل رضى عنكم الطاغوت وفتح لكم باباً ضيقاً تدعون فيه إلى الموضوعات التى يحددها لكم هو وأجهزته القمعية لتلبسوا على الناس دينهم وتوهموهم أن البلاد بخير والدعاة على المنابر بلا مضايقات وهذا خير كثير يجب أن نحافظ عليه ، والمواجهات والمصادمات تقضى علية ؟ هذا تلبيس وتدليس وبعد عن منهج الأنبياء فى الدعوة إلى الله ، أما لو كانت الدعوة قائمة على أصولها ، والدعاة يفقهون حقيقة دعوة الرسل ويدعون الناس من على منابرهم الدعوية إلى التوحيد الخالص من تحقيق العبودية لله رب العالمين وصرف العبادة التى هى حق لله وحدة سبحانه والتحذير من الشرك والبراءة منه ومن أهله وتكفيرهم وتحذير الناس من الذهاب إلى المحاكم الوضعية الكفرية ، ومن الذهاب إلى الأضرحة والقبور وصرف العبادات لها من ذبح وطواف ونذر ودعاء واستغاثة ورجاء ، لو قام الدعاة بتحقيق مسائل الإيمان والكفر والتوحيد والشرك على مذهب أهل السنة والجماعة متحرين ما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام لو كانت الدعوة تسير وفق منهج الله ، لكان لكم حق الإنكار على هذه المواجهات وهذه العمليات التى تعرقل حقاً هذه الدعوة المباركة —دعوة الرسل —دعوة التوحيد .

فالمصلحة الكبرى فى نشر دعوة التوحيد وما عداها ، مفسدة كبرى لذلك لن يرضى الطواغيت عن هذه الدعوة الحية وسيحاربون دعاتها لأن فى انتشار دعوة التوحيد زوال عروش الطواغيت لذلك يقوم الطواغيت بمحاربة دعوة التوحيد بكل الأشكال والسبل وهذا هو طريق الأنبياء الابتلاءات والمحن فكل من سار على طريق الأنبياء ودعا إلى ما دعت إلية الأنبياء سيصيبه مثل ما أصاب الأنبياء ولا بد ، لأنه ليس أكرم على الله من الأنبياء ، وإذا رأيت الرجل يعتلى المنابر ويتصدر المجالس ولم يصبه من الطاغوت شيئ فاعلم أن فى دينه دخن ليس على الجادة وتنكب طريق الأنبياء لذلك رضى عنه الطاغوت ورضي عن دعوته [1] وإذا رضى الباطل عن الحق فليفتش الحق فى نفسه هذا أصل .أما لو كانت دعوة التوحيد قائمة بالطرق الدعوية السلمية فلا داعي أبداً لمثل هذه المواجهات التى تعود على الدعوة بالمفاسد وهذا حق لا مرية فيه ولا يختلف عليه اثنان لأن الدعوة هى الأصل

---

(١)انظر حقيقة هذه الصفقة القذرة في رسالتنا " البيان والإشهار في كشف زيغ من توقففي تكفير المشركين والكفار

الطريق لرفع رايه التوحيد

والسؤال إلى الحكام المرتدين الذين ينتسبون إلى الإسلام زوراً وبهتاناً لماذا تحاربون الإسلام والدعوة إلى التوحيد ؟

فإن قالوا نحن لا نحارب الإسلام ولكن نحارب الإرهاب والتطرف الذى يقتل ويفجر نحارب الإسلام المتشدد الأصولي المتطرف

قلنا لهم كذبتم بل تحاربون الإسلام والدعوة إلى التوحيد لأن دعاة التوحيد والإسلام الصحيح لم يبدءوكم بالقتال بل أنتم الذين حاربتموهم وضيقتم عليهم سبل الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة

فإن قلتم هؤلاء يحملون الفكر الوهابي المتطرف الذى يكفر عباد القبور ويحرم زيارة الأضرحة وصرف النذور والذبائح لها ودعاؤها والإستغاثة بها

قلنا لهم كذبتم فإن الدين ليس فكر بل هو دين سماوي من عند الله والوهابية ليست مذهباً ولا طريقاً معوجاً وإذا كنتم تحاربون الأفكار ودعاة التوحيد بحجة أنهم يحملون فكراً متشدداً يكفر اليهود والنصارى وعبدة القبور والحكام المبدلين لشرع الله فلماذا لا تحاربون النصارى وتخربون كنائسهم وتعتقلونهم وتعذبونهم كما تعذبون المسلمين لأن النصارى يحملون فكراً تكفيرياً ويدعون فيه المسلمين إلى ترك الكفر الذى هم عليه والدخول فى الإيمان والقول بالتثليث ، لماذا لا تخربون كنائسهم وهم يقيمون فيها الندوات والمحاضرات والدروس اليومية والأسبوعية التى ينشرون من خلالها هذا الفكر التكفيري المتشدد ؟

أم أنكم توالون أسيادكم فى البيت الأبيض ؟أسد علىَ وفى الحروب نعامة !!

بل لماذا تسمحون للنصارى بإصدار صحف خاصة بهم تنشر الكفر والتثليث وتعمل بكل وسيلة على تنصير المسلمين ، لماذا تسمحون لهم بالدعوة إلى دينهم وعقيدتهم فى صحفهم الخاصة وتحرمون ذلك على المسلمين وتحاربون كل من يطالب بذلك وتمنعون إصدار الصحف الإسلامية التى تدعوا إلى التوحيد والإسلام بالطرق الدعوية السليمة ؟ لماذا تصادرون الصحف والمجلات الإسلامية بحجة أن القانون يمنع إصدار الصحف والمجلات على أساس ديني خشية الفتنة الطائفية ؟ وبعد كل ذلك تدعون الإسلام وتقولوا بأنكم مسلمون ؟ فحالكم يكذب شعاراتكم وواقعكم يقول لكم أنتم بلد الشعارات الزائفة التى تخدرون بها شعوبكم الجائعة المقهورة الذليلة.

المناقشة والرد

أما الذين يقولون بقول المرجئة فلا كلام معهم هنا ويكفى ما بيناه من حالهم وفساد منهجهم الخبيث فى التنبيهات لكن نقول لهم ماذا فعلتم من سنوات طوال ؟ وما هى ثمرة دعوتكم الآن ؟ إن اختلاف العقيدة يستحيل معه اجتماع وتوحيد الكلمة وكيف يتفق أصحاب العقائد المختلفة والمناهج المتباينة ؟ أما وحدة العقيدة فهى سبب لوحدة الصف وتوحيد الكلمة فلا تجد أصحاب العقيدة الصحيحة ، مختلفين ولا متفرقين فإن التفرق ناتج عن الاختلاف العقدي فكيف نتوقع من أصحاب العقيدة الفاسدة من المرجئة والصوفية والخوارج والأشاعرة جهاداً على منهاج النبوة لا يمكن ذلك أبداً لأن التوحيد أولاً والعقيدة أولاً وبعدها كل شيئ فالمخرج لهذه الجماعات والحركات الإسلامية العاملة للإسلام والحل للتمكين هو السير على الطريق الذى سار عليه رسول الله ﷺ فى الدعوة والتربية ، وننظر بدقة كيف ربى رسول الله ﷺ الصحابة على التوحيد الخالص لله رب العالمين ، كيف حذرهم من الشرك وبينه لهم أوضح بيان من تكفير المشركين والبراءة منهم والإعداد لقتالهم عند القدرة ، ننظر بدقة متناهية إلى الخطوات العملية التى اتخذها رسول الله ﷺ لإقامة الدولة الإسلامية ، وكيف صبر ﷺ ثلاثة عشر سنة يرسخ مفهوم لا إله إلا الله فى نفوس الصحابة ويعدهم إيمانياً لتحمل المسئولية فى إقامة الدولة الإسلامية ونشر التوحيد فعلى هذه الحركات والجماعات الإسلامية أن تحقق مسائل الإيمان والكفر والتوحيد والشرك تحقيقاً علمياً راسخاً وتنشر التوحيد الخالص وتظهر أصل دعوة الرسل بقوة وهذا هو سبب توحيدها واتفاقها واجتماعها على عدو واحد ظاهر كفره لا اختلاف فيه حينئذ تتكاتف الجهود وتوحد الصفوف وتجتمع الكلمة على رجل واحد على مصدر تلقى واحد فتجتمع وحدة التلقي ووحدة المنهج ونقاء المنبع بعيداً عن الإفراط والتفريط والغلو والإرجاء وإلا فسيكون التمزق والتشرذم والاختلاف والافتراق كما هو الحاصل الآن عشوائية فى كل شيئ وتخبط واضطراب واختلاف فى تحديد العدو هل هو مسلم أم مرتد ، وهل نقاتل اليهود أم الحكام المرتدين وهل نذهب لفلسطين مع حماس أم مع فتح أم تحت أى راية نقاتل اليهود ، أم تحل المشاكل على موائد المفاوضات ، ومثل هذه العشوائيات كثير ....

يا أيها المسلمون إن دولة إسرائيل اليهودية ما قامت إلا على الأشلاء والدماء وما احتلت فلسطين إلا بالقوة ، ولن ترد فلسطين إلا بالجهاد والقتال فلا سبيل إلى استرداد الأرض المحتلة وخروج الغاصب المحتل منها إلا بالسلاح ، السلاح وحده فقط هو الذى يحرر الأرض وما حماس وفتح إلا وجهان لعملة واحدة تركوا الجهاد وركنوا إلى المفاوضات مع الطواغيت ومع وضوح ذلك الأمر إلا أن بعض الإخوة السذج لم يعلم هذه الحقيقة إلا بعد ما شاهد ذلك بنفسه

فقد كان يظن أن فى فلسطين جهاداً حقيقياً فتحمل الرجل المشاق والصعاب للوصول إلى فلسطين ليجاهد مع أهلها من حماس وفتح وغيرهما من الفصائل ليحرر المسجد الأقصى الأسير ووفقه الله إلى الوصول إلى هناك وعندما وصل هناك ظن أنه فى أفغانستان والشيشان أو العراق فوقع فى أيدي هذه الفصائل التى سلمته للموساد وبعضهم سلمته حماس إلى أمن الدولة فى بلده وقالوا له إن بيننا وبين هذه الحكومات اتفاقيات ومفاوضات ولا نريد نقض هذه المعاهدات وعندما نعلن الجهاد فعندنا كفاية أما الآن فلا جهاد وما تراه على الفضائيات إنما هو ستار لاتفاقيات سرية على موائد عربية برعاية أمريكية غربية!! لذلك نقول أيها الإخوة لابد من فقه الخماسية جيداً وتعلم أحكام الجهاد .حتى يكون كل مسلم على بينة من أمره ويعرف الواقع من حوله ويحدد طريقه جيداً حتى لا يصدم بحقائق ربما تكون سبباً فى ردته وانتكاسته ، اللهم سلم سلم ،

حكم العمليات الإستشهادية [1]

تعريف العمليات الجهادية الإستشهادية الفدائية

" أعْمَالٌ يَقومُ بها المُجَاهِدُ طَلَباً للشَّهَادَةِ ، يَقصِدُ بِهَا تَحقِيقَ مَصْلَحَةٍ أو دَفْعَ مَفسَدَةٍ ، تُعرِّضُهُ للقَتْلِ ظنَّاً أو يَقِيناً ، بيَدِهِ أو بيَدِ غَيرِهِ " .

ولهَا صُوَرٌ متعددةٌ مِنها [٢] :

اقتِحَامُ المجاهِدُ بسلاحِهِ صفَّ العَدوّ أو ثُكنَتَهُ أو مناطِقَ تجمُّعِهِ ، قاصِداً قتلَ أكبرَ عددٍ منهم والاستمرارُ في ذلك حتى الموت .

أن يملأَ المجاهِدُ حقيبتَهُ أو سيارتَهُ بالموادِّ المتفجّرةِ أو يَربطَ نفسَهَ بحِزامٍ ناسِفٍ ، ثم ينطلقَ بعد ذلك ليقتحِمَ ثُكَناتِ العدوّ أو أماكنَ تجمُّعِهِ ، فيُفَجِّرَ ما يَحمِلُهُ معَهَ مُحدِثاً بذلك نِكَايةً بالغةً في صُفُوفِهِم ومنهم مَن يرى عدمَ تسمِيتِها بـ(العَمليَّاتِ الاستِشهَاديَّة) :

١- لأنَّ (العَملِيَّاتِ) لَفظةٌ محدَثةٌ مِنْ حيثُ اللُّغَةُ ولا أصْلَ لها في مَعَاجِمِ اللُّغَةِ .

٢- ولأنَّ تسميتُها بـ(الاستِشهَاديَّة) إيذانٌ بمَشْروعِيَّتِها ، واعتِبارُ فاعِلِهَا شهيداً ، كما أنَّ تسمِيَتَها بـ(الانتِحَارِيَّةِ) إيذانٌ بمنعِهَا ، فيَحسُنُ تَسمِيَتُها بـ(الأعْمَالِ الفِدَائيَّةِ) [٣] .

وأُجيبُ : بأنَّه وإنْ كانتْ لفظةُ (العَمليَّاتِ) مُحدَثةٌ إلا أنَّها تقارِبُ لفظةَ (الأعمَالَ) في الدَّلالَةِ على المعنى ، فهي مشتقةٌ من العَمَلِ -كما تَقَدَّمَ - .

وأما تَسمِيَتُها بـ(الاستِشهَادِيَّةِ): فليسَ فيه إيذانٌ بمشروعِيَّتِهَا ، لأنَّ لَفظةَ (الاستِشهَادِ) تدلُّ على طَلَبِ الشَّهادةِ وسؤالِهَا -كما تقدَّم -وهذه الأعمالُ التي يقومُ بها المجاهِدُ يَقصِدُ بها الشهادةَ ويَطلبُهَا ، وتَسمِيَةُ صَاحِبِها بالشَّهِيدِ إنما هو باعتِبَارِ الحُكمِ الدُّنيَوِيّ عليهِ ، فهو يُعامَلُ مُعامَلَةَ الشَّهِيدِ في الدُّنيا ، وإن لم يَكنْ كذلك عِندَ اللهِ [٤] .

ثمَّ إنَّ في تَسمِيَتِهَا بـ(الفِدَائيَّةِ) تَسمِيَةٌ بلَفظَةٍ مُحدَثَةٍ [٥] ، فعَجَباً لِمَن فَرَّ مِنهُا وفيها وَقَعَ .

ويُسمِّيها آخرونَ (العَمَليَّاتِ الانتِحَارِيَّةِ) إشارةً إلى تحريمِهَا .

وهذِهِ التَّسْمِيَةُ لا تَصِحُّ ، لأنَّ فيها تسويَةً بينَ الانتِحَارِ المُحرَّمِ شَرعاً ، وبينَ العَمَليَّاتِ التي يُقصَدُ بها مُجَاهَدةُ العَدوِّ وطلبُ الشَّهادَةِ ، ولا عِبْرَةَ بقِياسِهَا على الانتِحَارِ لأنَّه مَعَ الفَارِقِ [٦] ، فالمُنتَحِرَ لم يُقدِم على الانتِحَارِ إلا بِسَبَبِ الجَزَعِ وعَدَمِ الصَّبرِ وضَعْفِ الإيمانِ أو انتِفَائِه ، خِلافَاً للمُجاهِدِ الذي ما أقدَمَ عليها إلا

---

١ (١)وقد ذكر ابن النحاس –رحمه الله – الأدلة مفصله علي جواز الإنغماس وفضله
انظر في المشارع من صفحة ٥٢٢ إلي صفحة ٥٦٠فلامزي عليه هنا

(٢) العمليات الاستشهادية في الميزان الفقهي (٣٥ – ٣٦) ، هل انتحرت حواء أم استشهدت ؟ (٥) .

(٣) انظر : الأعمال الفدائية صورها وأحكامها الفقهية (٥ – ٨٧ – ٩٣) .

(٤) العمليات الاستشهادية صورها وأحكامها ، هاني الجبير (١٤) .

(٥) انظر : المعجم الوسيط (٢ / ٦٧٨) .

(٦) فتوى الشيخ حمود بن عقلاء الشعيبي – رحمه الله – .

قلت : إضافة مع كونه قياساً مع الفارق ، فإن العلة ليست هي مباشرة القتل ، وإلا لكان المعترض لطريق القطار – مثلا – غيرَ منتحر ، وإنما هي التخلص من الحياة سخطاً واعتراضاً على قدر الله .

لقصْدِ النِّكايةِ في العَدوِّ ، والنُّصْرةِ للدِّينِ ، والإعلاءِ لكلمةِ ربِّ العالمين ، مع قُوَّةِ إيمانٍ ويَقينٍ وحُسْنِ ظنٍّ بالله عزَّ وجلَّ [١] ، كما أنَّه مَعَ إقدَامِهِ عليها لا يَقصِدُ مُجردَ قتْلِ نفسِهِ ، لأنَّه لو أرادَ ذلك لاكتَفَى بقَتْلِهَا فَقَط دُونَ أن يُلحِقَ الضَّررَ بغيرِهَا ، بلْ حمَلَهُ على ذلك طلَبُ الشَّهادِةِ والرَّغبةُ فيها وقصْدُ النِّكايةِ بالعدوِّ [٢]

قال الشيخ سليمان العلوان - ثبته الله وفك أسره - : " والتسوية بين الانتحار المحرم شرعاً بالكتاب والسنة والإجماع ، وبين العمليات الاستشهادية ؛ تسوية جائرة وقسمة ضيزى ومعاذ الله أن يستوي

رجل قتل نفسه في سبيل الشيطان ، وآخر قدّم نفسه ودمه في طاعة الرحمن ، فو الله ما استويا ولن يتساويا ، فالمنتحر يقتل نفسه من أجل نفسه وهواه ؛ نتيجة للجزع وعدم الصبر وقلة الإيمان بالقضاء والقدر ونحو ذلك ، وذاك الفدائي يقتل نفسه أو يتسبب في قتلها بحثاً عن التمكين للدين وقمعاً للأعداء وإضعافاً لشوكتهم وزعزعة لسلطانهم وكسراً لباطلهم " . الجلسات اليومية للشيخ - حفظه الله - (٤ / ١)

وقال الدكتور أحمد عبد الكريم نجيب - حفظه الله - : " - : " و أما من قاس العمليّة الاستشهاديّة على الانتحار ، و ألحقها به في الحكم ، بدعوى أنّ من يفجر نفسه بين عناصر العدو يشبه المنتحر من جهة مباشرته قتل نفسه بيده أو بما يحمله من متفجّرات ، لا بيد عدوّه أو سلاحه ، فقد أبعَد النجعةَ و أفسدَ القياسَ ، لأنّه لم يعِ مراد الأصوليين من تعريف للقياس بقولهم : هو إلحاق فَرعٍ بأصلٍ في الحُكم لعلّةٍ جامعة بينهما ، و بالتالي لم يُفرّق بين العلّة و الصفة ، فظنّ أنّ كلا الأمرين انتحار ، لأنّ فيه مباشرة للقتل ، و غاب عليه أنّ العلّة التي دَفَعت المنتحر إلى إزهاق روحه ،

هي التخلّص من الحياة اعتراضاً على القَدَر ، و سخطاً على ما لحقه من قضاء الله و قَدَره ، و هذا خلاف ما تقدّم بيانه من دوافع المجاهد لبذل روحه في سبيل الله .

وإذا سلّمنا جَدَلاً أو تنزُّلاً بأنّ العلّة في الانتحار هي مباشرة المنتحر قتل نفسه ، فما ظنّكم بمن يعترض سبيل سيارة أو قطار كما هو الشائع عند المنتحرين في الغرب اليوم ، ألا يُعدُّ منتحراً رغم أنّه لم يحمل أداة القتل بيده ، و لم يباشر قتل نفسه بِسُمٍّ تَحَسَّاهُ ، أو حَدِيدَةٍ تَوَجَّأَ بِهَا فِي بَطْنِهِ ، و ما تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ ؟ " ..بل من التجنّي و مجاوزة الحق ؛ أن نحكم بالانتحار على من يريد الشهادة و يبذل نفسه في سبيل الله ، تحكّماً في نيّته ، وتحكماً على ما في قلبه بغير علم ، مع علمنا أنه لو أراد الانتحار لسلك إليه طرقاً أخرى و ما أكثرها و أيسرها " . الفتاوى الندية في العمليات الاستشهادية (٤٦) . ، ففرقٌ واضِحٌ وبونٌ شاسِعٌ بينهما ، فتأمَّلْهُ ! .

ويُمكِنُ تَلخِيصُ الفُروقِ بينِ المُنتَحِرِ والقَائِمِ بالعَمَلِيَّةِ الاستِشهَادِيَّةِ فيما يَلي [٣] :

١- أنَّ المُنتَحِرَ يَقتُلُ نفْسَهَ قاصِداً قَتْلَهَا ، وصَاحِبُ العَمَلِيَّةِ الاستِشْهَادِيَّةِ في الحَقِيقَةِ هو لا يُرِيدُ قَتْلَ نَفْسِهِ ، ولكِنْ يُرِيدُ النِّكَايَةَ في الأعْدَاءِ بما لا يُمَكِّنُهُ مِنْ ذلك إلا بِقَتْلِ نفْسِهِ ، ويَدُلُّ عَليهِ : أنَّه لو أرادَ قَتْلَ نفْسِهِ ؛ لفَعَلَ ذلك وهُو في مَكَانِهِ ولم يَحْتَجْ إلى أنْ يَقْتَحِمَ المَخَاطِرَ للوصُولِ إلى الأعْدَاءِ ، فهو عِنْدَما يُفَجِّرُ لا يَقْصِدُ بذلك قَتْلَ نفْسِهِ أصْلاً وإنما يُرِيدُ قَتْلَ عَدُوِّهِ ، فتذْهبُ نفْسُهُ هُنا تَبَعاً لا قَصْداً ، ويَجُوزُ تَبَعَاً مَا لا يَجُوزُ استِقْلالاً .

٢- أنَّ المُنتَحِرَ يَقتُلُ نفْسَهَ استِعجَالاً للمَوْتِ وجَزَعَاً على قَدَرِ اللهِ ، أمَّا صَاحِبُ العَمَلِيَّةِ الاستِشهَادِيَّةِ فيُقدِمُ عليها إعْلاءً لكَلِمَةِ اللهِ ، ونُصْرَةً للمُستَضْعَفِينَ ، ودِفَاعاً عَنْ أعْرَاضِ المُسلِمِينَ ودِمَائِهِم ودِيَارِهِم .

٣- أنَّ المُنْتَحِرَ يَقْتُلُ نفْسَهَ دون مَصْلَحَةً شَرْعِيَّةً ، أمَّا صَاحِبُ العَمَلِيَّةِ الاستِشهَادِيَّةِ ، فيَقتُلُ نفسَهَ مِنْ أجْلِ مَصْلَحَةٍ شَرْعِيَّةٍ وهيَ النِّكَايَةُ في صُفُوفِ الأعْدَاءِ وقَذفُ الرُّعبِ في قُلوبِهِم وحثُّ المسلمينَ وتَشجِيعُهُم وتجرِئَتُهُم على عَدوِّهِم .

نشأة الأعمال الفدائية وتطورها

الحروب وأنواع المقاتلة لم تزل واقعة في الخليقة منذ برأها الله . فالحرب أمر طبيعي في البشر لا تخلو عنه أمة ولا جيل .[١]

([١]) انظر : هل انتحرت حواء أم استشهدت ؟ (٤) .

([٢]) انظر : العمليات الاستشهادية ، هاني الجبير (١٤) .

([٣]) انظر : عون الحكيم الخبير ، أبو المنذر الحربي (٤٨٤) .

ومن المعلوم أن معنى الفدائية والتضحية في الحروب قديم ، إذ هما من مقتضيات الصراع والمقاومة ، فالمقاتل فرداً كان أو جماعة يدرك أنه لا بد من وجود نوع من التضحية وإقحام النفس في المهالك حتى يتحقق له النصر على عدوه .

وبإزاء هذا المعنى العام للتضحية في الحروب ، برز معنى خاص يتمثل في أعمال خاصة تزداد فيها درجة مخاطرة المقاتل بنفسه ، بحيث يغلب على الظن هلاكه عادة بسبب هذه الأعمال ، لتحقيق أهداف معينة . وهذا المعنى من الفدائية هو المراد في بحثنا هذا .

وكانت هذه الأعمال - في نشأتها - تتمثل في صور من القتال الفدائي المحفوف بالمخاطر ، كاقتحام صفوف العدو ، أو الدخول إلى مواقع ه الخطرة المهمة ، أو خطف أو اغتيال بعض قادة العدو ، ونحو هذه الأعمال التي يجمعها تعريض النفس للأسباب المفضية للقتل في الغالب .

ومع تطور وسائل الحرب في العصور المتأخرة ظهر نمط جديد من الأعمال الفدائية ، يتمثل في مباشرة المقاتل التضحية بنفسه ، بغية تحقيق النكاية بالعدو .

وهذا النوع من الأعمال لم يكن ليظهر لولا اكتشاف المواد المتفجرة وتقدم تقنيتها في هذا العصر ، والتي من شأنها توسيع دائرة التأثير والتدمير لتحقيق النكاية بالعدو .[٢]

ومما أسهم في انتشار الأعمال الفدائية في العصور المتأخرة ، تبني الشعوب المضطهدة لهذه الأعمال كشكل من أشكال الحروب غير النظامية في الصراعات الأهلية أو الحروب ضد الاستعمار .[٣]

ومن هذه الحروب ما يلي:

الحرب الأهلية الأمريكية (١٨٦١- ١٨٦٥م):[٤]

اندلعت هذه الحرب بين الحكومة الاتحادية للولايات المتحدة وإحدى عشرة ولاية في الجنوب . وفرقت الحرب بين الشمال والجنوب الانفصالي بسبب الرق وحقوق الولايات .

وشهدت هذه الحرب العديد من الأعمال الفدائية ضمن حرب العصابات التي كان يقوم بها الجنوبيون الانفصاليون الذين كانوا يعانون من القهر وهضم الحقوق ، إلا أن الشماليين تمكنوا من الانتصار عليهم في هذه الحرب .

حرب البوير (١٨٩٩- ١٩٠٢م):[٥]

يطلق مسمى حرب البوير على حربين خاضتهما القوات البريطانية في جنوب أفريقيا . الأولى ضد الترنسفال ، والثانية ضد الترنسفالر والولاية البرتغالية الحرة ، وهي واحدة من أولى الحروب المناهضة للاستعمار البريطاني .

والبوير مصطلح يطلق على المستوطنين الهولنديين الذين كانوا يعرفون باسم البويرز ، أي المزارعين

وعلى الرغم من الأعمال الفدائية والتضحية التي قام بها البوير إلا أنهم في أواخر الحرب استسلموا ، وعادت دولهم إلى مستعمرات بريطانيا .

الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩- ١٩٤٥م):[١]

---

(١) مقدمة ابن خلدون ٢٧١/١

(٢) الإرهاب والعمليات الاستشهادية: سلمان العودة . مقال بمجلة الدعوة في عددها الصادر في ١٢ /١٤٢٣/٢هـ

(٣) الحرب الفدائية في فلسطين على ضوء تجارب الشعوب في قتال العصابات ص:١٨

(٤) ينظر: موجز تاريخ الولايات المتحدة ص:٢٥٣، تاريخ أوربا الحديث والمعاصر ص:٢٣٤، التاريخ الأوربي الحديث والمعاصر ص:٤٤١، تاريخ الأمريكتين والتكوين السياسي للولايات المتحدةالامريكية ص:١٣٩

(٥) ينظر: تاريخ جنوب أفريقيا ص:١٨٥، تاريخ أوربا في العصر الحديث ص:٤٠٥

شهدت الحرب العالمية الثانية واحداً من أبرز التطورات النوعية للأعمال الفدائية ، وهو الأسلوب الانتحاري بتفجير الطائرات ، حينما حوّل الطيارون اليابانيون طائراتهم وأنفسهم إلى قنابل بشرية وانقضوا بها على الأسطول الأمريكي الذي كان يجثم في ميناء (بيرل هاربر)[٢] مما أدى إلى إعلان الولايات المتحدة الحرب على اليابان ، وإلقاء القنبلتين النوويتين على (هيروشيما) و (ناجازاكي) .

والذي يبدو مما ذكره أكثر المؤرخون عن هذه الحرب أن هذا الأسلوب الجديد لم يكن مخططاً له سلفاً في الهجوم الياباني ، بل كان سبب ظهوره هو إصابة طائرتين من طائرات المقاتلات اليابانية أثناء الهجوم ، فلجأ قائدا الطائرتين إلى هذا الأسلوب وقاما بالانقضاض على حظائر الطائرات الأمريكية الرابضة على الأرض ، والاصطدام بها بطريقة انتحارية ، ليسجلا بذلك أول عمل انتحاري ينفذ بهذا الأسلوب ، بينما عادت بقية المقاتلات اليابانية إلى مواقعها حسب الخطة .[٣]

كيف انتقلت الأعمال الفدائية إلى البلاد الإسلامية ؟

من المهم تاريخياً - ونحن نتحدث عن نشأة وتطور الأعمال الفدائية - أن نتعرف على كيفية انتقال هذه الأعمال بصورتها المعاصرة المتطورة إلى البلاد الإسلامية ، وتحولها إلى أسلوب جديد من أساليب الجهاد في سبيل الله في هذا العصر ، ولا سيما في الأراضي المحتلة .

أولاً) بدأ ظهور الأعمال الفدائية في فلسطين بعد الاحتلال اليهودي للأراضي الفلسطينية في القرن الهجري المنصرم ، وذلك ضمن أعمال المقاومة الشعبية ضد الاحتلال .

جاء في الموسوعة الفلسطينية:"كان عام ١٩٥٥م في تاريخ قضية فلسطين هاماً ... شهد قطاع غزة في العام نفسه حدثين هامين: الغارة الإسرائيلية على القطاع يوم ١٩٥٥/٢/٢٨م ، والانتفاضة الشعبية يوم ١٩٥٥/٣/١م ... في قطاع غزة باعتباره كان خاضعاً للإدارة المصرية لم تستطع الحكومة المصرية أن تتراجع عن الالتزامات التي قطعتها على نفسها ... وتدل المعلومات المتوفرة على أن قرار القيادة المصرية ببدء العمل الفدائي المنطلق من غزة قد اتخذ في شهر نيسان ١٩٥٥م ، كان تبني القيادة المصرية للعمل الفدائي تبنياً لعمل موجود قائم"[٤].

وتقول الموسوعة:"جاء العمل الفدائي من غزة في عامي ١٩٥٥م و١٩٥٦م ظاهرة جديدة في الصراع العربي .الإسرائيلي ، وضعت (إسرائيل) لأول مرة في موقف حرج لم تستطع أن تخرج منه إلا بالعدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦م"[٥].

أما من حيث تطور الأعمال الفدائية في فلسطين فقد"تمثلت الأعمال الأولى بعد النكبة في عبور المواطنين الفلسطينيين الذين طردوا من أرضهم ومنازلهم ، خطوط الهدنة في اتجاه الأرض المحتلة لاسترجاع ماشية أو مال مخبأ في زاوية من منزل ، أو قتل من احتل البيت والأرض ، أو لاحتلال مخفر وتجريد عناصره من السلاح .

---

(١) ينظر: تاريخ أوربة المعاصر ص:٣٠٩ وما بعدها، تاريخ أوربا في العصر الحديث ص: ٦٨٨ وما بعدها، الحرب العالمية الثانية لرمضان لاوند ص:٢٠٦ وما بعدها، الحرب العالمية الثانية لسهيل سماحة وأنطوان محمود ص:٢٧٤ وما بعدها، ٢١٩٤يوماً من أيام الحرب العالمية الثانية ١٩٩/١

(٢) (بيرل هاربر): ميناء عسكري أمريكي يقع في جزر هاواي الواقعة في المحيط الهادي . الحرب العالمية الثانية لسهيل سماحة وأنطوان مسعود ص:٢٧٤

(٣) الموسوعة السياسية والعسكرية ١٤٧٠/٤

(٤) الموسوعة الفلسطينية ٣٩٣/٣

(٥) المصدر السابق ٣٩٤/٣

استمر العمل الفدائي بشكل أكثر تطوراً ، فأصبح الفدائيون يُكلَّفون بجلب معلومات معينة عن العدو ونشاطاته وتحركاته ، وبدأت هذه الأعمال ، بمرور الزمن ، تنتظم شيئاً فشيئاً ، حاملة طابع الإغارة والكمين والدورية في عمق العدو إلى أن بلغت مرحلة متقدمة أزعجت إسرائيل وأقضت مضجعها .

انقسم نشاط الفدائيين إلى عمليات خاطفة كانت تقوم بها مجموعات صغيرة يومياً ، وعمليات أكبر اتساعاً نفذتها عدة مجموعات مقاتلة .

وقد تركزت الضربات في العمليات الفدائية على الأهداف التي تؤثر على العدو من النواحي المعنوية والاقتصادية والعسكرية .. مهاجمة القوافل والدوريات العسكرية ، والمستعمرات ، والسكك الحديدية ، وغير ذلك من الأهداف .

وقد اعترف العدو بوقوع ١٨٠ عملية هجوم عليه خلال ٣ أشهر فقط ، وكانت خسائر الصهيونيين نتيجة العمل الفدائي في العامين ١٩٥٥ و ١٩٥٦ أكبر بكثير من خسائرهم في العدوان الثلاثي .

لم تكن أهداف العمل الفدائي تمتد آنذاك إلى أبعد من بث الرعب في نفوس الإسرائيليين من ناحية ، ومن إيقاظ الجرأة واستعادة الثقة بالنفس لدى الشعب الفلسطيني بخاصة والعرب بعامة من ناحية أخرى .

وقد توقف العمل الفدائي بعد عدوان ١٩٥٦ واحتلال قطاع غزة ، وكان لا بد من الانتظار تسع سنوات طويلة أخرى حتى يستأنف العمل الفدائي من جديد ، عبر ولادة المنظمات الفدائية على جبهات أخرى"[١].

ثانياً) انتقلت الأعمال الفدائية إلى لبنان في الثمانينيات الميلادية ، وذلك عام ١٩٨٢م .

ومن أوائل الأعمال الفدائية المشهورة عملية تفجير مقر القيادة العسكرية الإسرائيلية في صور في ١٩٨٢/١١/١١م . ثم انتقلت هذه الأعمال إلى بيروت ضد القوات الأمريكية والفرنسية ، حيث كان تفجير السفارة الأمريكية في بيروت ١٩٨٣/٤/١٨م بواسطة سيارة محملة بالمواد المتفجرة . ثم وقع حادثا تفجير في وقت واحد في ١٩٨٣/١٠/٢٣م ، أحدهما في مبنى قوات المارينز الأمريكية ، والآخر في مبنى القوات الفرنسية ، ووقع الحادثان عن طريق سيارتين محملتين بالمتفجرات .[٢]

وتوالت الأعمال الفدائية بعد ذلك ضد الأهداف الأمريكية والإسرائيلية في لبنان .[٣]

ثالثاً) خلال العقدين الماضيين ، أسهمت انتفاضتا الشعب الفلسطيني في إبراز الأعمال الفدائية ، حيث اندلعت الانتفاضة الأولى (انتفاضة الحجارة) في الثامن من ديسمبر عام ١٩٨٧م ، ثم كانت الانتفاضة الثانية (انتفاضة الأقصى) في الثامن والعشرين من سبتمبر ٢٠٠٠م ، كما هو معروف ومشاهد .

وقد لوحظ تبني حركات المقاومة الفلسطينية الأعمال الفدائية ضد المحتل ، لأنها أفضل بكثير من المواجهة المباشرة مع عدو مدجج بالأسلحة المتطورة . وأخذت حركات المقاومة على عاتقها تطوير الأعمال الفدائية ، والتغلب على كل العقبات والإجراءات التي اتخذها اليهود لمنع هذه الأعمال .

وشهد عام ١٩٩٣م تطوراً هاماً في العمل العسكري لحركة المقاومة الإسلامية (حماس) ، بحيث أصبح القساميون الاستشهاديون القادرون على الوصول إلى كل مكان في فلسطين المحتلة -على الرغم من الطوق الأمني والحصار العسكري الذي فرض على الضفة الغربية وقطاع غزة- هم الأشباح المرعبة التي تطارد مسؤولي الأمن والمخابرات وقادة المؤسسة العسكرية الصهيونية قبل المستوطنين أنفسهم .[٤]وفي انتفاضة الأقصى الأخيرة برزت حماس بوصفها

---

(١) المصدر السابق ٣/ ٣٩٤. ٣٩٥ (باختصار)

(٢) دراسة تحليلية في العمليات الاستشهادية في جنوب لبنان ص:٣٩.٢٥

ومن العجيب أن إسرائيل هي التي فتحت باب الأعمال الاستشهادية لحركات المقاومة باستخدامها أسلوب السيارات المفخخة في عمليات القتال والاغتيال، فتحول هذا السلاح ضد المصالح الإسرائيلية بواسطة الفدائيين اللبنانيين، والجزاء من جنس العمل . ينظر نفس المرجع ص:١٥

(٣) دراسة تحليلية في العمليات الاستشهادية في جنوب لبنان ص:٤٣وما بعدها

(٤) موعد مع الشاباك ص:٩١

الفصيل الأقوى على صعيد الأعمال الفدائية التي وُسِمت بها هذه المرحلة ، ولا تزال حتى الآن تسجل أعنف هذه الأعمال وأكثرها قوة مقارنة بالفصائل الأخرى ، كما هو مشاهد.

رابعاً) أما فيما يتعلق بالجهاد الأفغاني: فقد وقعت الحرب الأفغانية الروسية بسبب الغزو السوفييتي لأفغانستان عام ١٩٧٩م .(١)

وشهدت هذه الحرب عدداً من الأعمال الفدائية ، والتي وقعت ضمن حرب العصابات التي كانت تقوم بها المقاومة الأفغانية ومن معها من المجاهدين العرب والمسلمين .(٢)

وقد حققت المقاومة مكاسب كبيرة من الأعمال الفدائية ، لدرجة أن مجموعة من المجاهدين لا تتجاوز السبعة هاجمت رتلاً من سبعين دبابة روسية ، وألحقت به الخسائر الفادحة .(٣)

ويذكر أحد المشاركين في هذه الأعمال في مذكراته وصفاً للأعمال الأولى من هذه الأعمال التي تتسم بالمغامرة والمخاطرة الشديدة ، وذلك أن المجاهدين ينقسمون إلى مجموعات فدائية تدخل في وقت واحد إلى الموقع المستهدف ، عن طريق التسلل عبر التحصينات الشديدة وحقول الألغام ، وبعد الوصول إلى الهدف تقوم هذه المجموعات بمباغتة العدو بالهجوم في الوقت ذاته ، يسقط من هذه المجموعات من يسقط من المهاجمين ، ويعود من يسلم منهم بعد انتهاء المهمة.(٤)

خامساً) أما بالنسبة للجهاد في الشيشان:

فقد بدأ الاجتياح الروسي الأول للشيشان في ديسمبر ١٩٩٤م ، وبعد سقوط العاصمة (جروزني) وتحيز المجاهدين إلى الوديان والمناطق الجبلية لجأ المجاهدون إلى شن الغارات الخاطفة والأعمال الفدائية وأعمال الكر والفر التي تستهدف القوات الروسية وقوافل الجيش ، علاوة على أعمال الاقتحام والإغارة على المواقع الروسية ، مما كان له الأثر الكبير في هزيمة الروس وتوقيعهم الاتفاقية في أغسطس ١٩٩٦م وخروجهم من البلاد . ثم كان الاجتياح الثاني في سبتمبر عام ١٩٩٩م تطورت أعمال المقاومة ، وبرز من خلالها نوع جديد من الأعمال الفدائية التي يفجر فيها المجاهد نفسه للنكاية بالعدو .(٥)

وكانت (حواء برايف) أول امرأة تقوم بعمل فدائي من هذا النوع من الأعمال .(٦)

وقد توالت الأعمال الفدائية بعد ذلك بعد هذه الحادثة ، حتى أصبحت السلاح الأبرز بين أعمال المقاومة .

وكان من أبرز هذه الأعمال تفجير الغواصة النووية (كورسك) التي تعد درة الاسطول الروسي ، والتي غرقت في بحر (بارنتس) في ٢٠٠٠/٨/١٢م ، وعلى متنها ١١٧ بحاراً لم ينج منهم أحد .(٧)

فقد أكدت مصادر المجاهدين الشيشان أن مجلس الشورى الاعلى للمجاهدين الذي يضم القادة الميدانيين المجاهدين ويرأسه الرئيس مسخادوف صرح أن غرق الغواصة الروسية (كورسك) نتج عن عملية استشهادية بواسطة غواص داغستاني كان على اتصال مع قادة المجاهدين الشيشان ، واستطاع الوصول إلى غرفة التحكم وتفجير الغواصة .(٨)

---

(١) أفغانستان نشأتها وكفاحها /٢١٧

(٢) عبر وبصائر للجهاد في العصر الحاضر ص:١١٩ وما بعدها، ذكريات عربي أفغاني ص:٩١، ١٧٤، صفحات من سجل الأنصار العرب في أفغانستان

(٣) أفغانستان مقبرة الغزاة ص:١٣١

(٤) ذكريات عربي أفغاني ص:٦٨

(٥) تاريخ الشيشان من ٦٤٠–٢٠٠٠م . الموسوعة الحربية: مقاتل من الصحراء www.moqatel.com

(٦) هل انتحرت حواء أم استشهدت؟ ص:٢ ، و موقع (صوت القوقاز www.qoqaz.com)

(٧) صحيفة الشرق الأوسط في عددها الصادر في ٢٠٠٠/٨/١٧م

(٨) موقع وكالة أنباء مركز القفقاس www.kavkaz.org، و موقع (صوت القوقاز www.qoqaz.com)

وقد اضطربت أقوال المسؤولين الروس حول الحادث ، حيث ذكرت لجنة التحقيق الرسمية الروسية أن انفجاراً غامضاً داخل الغواصة النووية أدى الى غرقها .[١]

أما البحرية الروسية فقد نفت هذا الأمر وزعمت أن الغواصة غرقت بسبب اصطدامها بغواصة أخرى ، بينما أكدت المخابرات الأميركية أن الغواصة غرقت بسبب انفجار هائل داخلها ولم يكن نتيجة لتصادم ، كما أكدت وزارة الدفاع البريطانية أن الغواصة غرقت اثر تعرضها لانفجار شديد القوة .[٢]

وعلى الرغم من كل هذه الشواهد فقد أصرت الحكومة الروسية على نفي الاعتراف بالعملية ، فأكدت رسمياً أن سبب الحادث كان بسبب اصطدام الغواصة بغواصة أخرى .[٣]

وفي دراسة أجراها د.عاطف معتمد عبد الحميد (خبير في الشؤون الروسية) على أعمال المقاومة الشيشانية خلال الفترة من يناير ٢٠٠٢م إلى يوليو ٢٠٠٣م ، اتضح أن أعمال المقاومة الشيشانية تسير بشكل منتظم بمتوسط ١.٥ عملية شهرياً (وشهدت بعض الشهور خمس عمليات متتابعة) ، وبخسائر في صفوف الروس متوسطها ٣١ قتيلا شهريًّا .

وقد لوحظ على هذه الأعمال ما يلي: [٤]

١- احتلت الاعمال الفدائية المرتبة الأولى في أعمال المقاومة في النصف المنصرم من عام ٢٠٠٣م ، وهو أسلوب جديد لم يكن شائعاً من قبل ، ودخل إلى ساحة المقاومة بقوة منذ عملية مسرح موسكو في أكتوبر ٢٠٠٢م .

٢- استهدفت هذه الأعمال ضحايا من المدنيين ، سواء في روسيا أو في الشيشان . ويرجع هذا الأمر إلى سببين . أحدهما: صعوبة حركة المقاومة بين العسكريين الروس . والآخر: تعمد الحركة ضرب المدنيين الشيشانيين المتعاونين مع موسكو في الإرشاد عن أنصار المقاومة واجتياح بيوتهم ، أما استهداف المدنيين في روسيا فيبدو أن هدفه الرئيسي إبلاغ رسالة مفادها أن للمقاومة يدًا طولى تستطيع أن تتعدى بها الحدود الإقليمية لنفوذها .

٣- لوحظ غياب قادة المقاومة الشيشانية عن الإعلام الغربي ، والروسي بالطبع ، كما أنهم لا تتاح لهم الفرصة للتعبير عن وجهة نظرهم ، فضلا عن عزوفهم عن إصدار البيانات أو إرسال الشرائط المسجلة على غرار حركات المقاومة في البلاد الأخرى .

واقع الأعمال الفدائية المعاصر

إن من أهم الأمور التي يترتب عليها بيان الحكم الشرعي لهذه الأعمال ؛ معرفة واقعها وظروفها ، إذ الحكم على الشئ فرع عن تصوره .
وهذه القاعدة من القواعد الهامة في معرفة الأحكام الفقهية ، ولاسيما في فقه الجهاد ، الذي تتنوع حالاته وتتجدد وقائعه أكثر من بقية مسائل الفقه .

ولهذا ، من الخطأ إعطاء هذه الأعمال بشتى صورها حكماً واحداً على وجه الإطلاق والعموم دون النظر في حال العدو ووضع الحرب وحال الشخص وملابسات العملية .[٥]

والذي ينظر في واقع أمة الإسلام في هذا العصر يرى بجلاء تداعي أمم الكفر عليها ، واحتلالها أجزاء من أراضيها ومقدساتها ، وقتلها أبناءها ، حتى أضحى الدم المسلم - الذي هو أعظم عند الله من الكعبة - أرخص الدماء ، فبلادهم مباحة ، ودماؤهم مستباحة ، مع ضعفٍ في قدراتهم ، وتفرقٍ بين دويلاتهم .

أما الجيوش العربية فقد خاضت عدة معارك مع اليهود في القرن المنصرم ، وكان لتدخل الغرب الكافر ومسلسل الخيانات من بعض المنتسبين إلى الإسلام دور كبير في إلحاق الهزائم بها ، واستمرار الاحتلال اليهودي ، وتجدد العدوان السافر على دماء المسلمين وأراضيهم في دول أخرى .

---

(١) صحيفة الشرق الأوسط في عددها الصادر في ٢٠٠٠/٨/٢١م

(٢) صحيفة الشرق الأوسط في عددها الصادر في ٢٠٠٠/٨/١٧م

(٣) صحيفة الشرق الأوسط في عددها الصادر في ٢٠٠٠/١١/٩

(٤) المصدر السابق

(٥) هل انتحرت حواء أم استشهدت؟ ص:٣

وطال الأمد بالحكومات الإسلامية حتى أمات معظمها روح الجهاد ، بل وصمه بعضها بالإرهاب والعنف متأثراً بما يردده أهل الكفر ، وفي المقابل زجّت بعض هذه الحكومات بجيوش المسلمين في حروب إقليمية أو نزاعات طائفية ، فكانت معارك طاحنة قتل فيها المسلم بيد أخيه لا يدري القاتل فيم قَتَل ، ولا المقتول فيم قُتِل ، والله المستعان .

وفي خضم هذه الأجواء الكالحة ، شعر بعض أهل الإسلام بخطورة الموقف ، وضرورة التصدي لهذا العدوان والدفاع عن حوزة الدين ، والقيام بجهاد الدفع ، وذلك بالوقوف في وجه المعتدي ، وعدم الرضوخ لابتزاز المغتصب .

وكانت المعركة على كافة الأصعدة معركة غير متكافئة ، فالشعوب لا تملك من الأسلحة ما يمكنها من المواجهة المباشرة أمام العدو المغتصب ، فلم يكن أمام حركات المقاومة الشعبية إلا أن تنتهج حرب العصابات ، ولو بلغ الأمر التضحية ببعض أبنائها للنكاية بأعدائها ، عن طريق الأعمال الفدائية .

أسباب تبني حركات المقاومة الإسلامية المعاصرة(١) الأعمال الفدائية:

من خلال ما تقدم عرضه في بيان واقع الأمة الإسلامية وأعدائها ، يمكن أن نستنتج عدة أسباب ودوافع كانت وراء تبني حركات المقاومة الإسلامية هذه الأعمال الفدائية ، ومن أبرز هذه الأسباب ما يلي:(٢)

ماجُبِل عليه المسلمون من الفدائية والتضحية وحبِّ الاستشهاد ، ورخص الحياة عليهم إذا كانت ذليلة ، فالموت العزيز في سبيل الله خير عندهم من الحياة الذليلة .

ما يتعرض له المسلمون في عدد من بلادهم من سطوة أعدائهم وجرأتهم عليهم ، واستباحة حرماتهم .

محدودية إمكاناتهم العسكرية والعلمية والتقنية ، في مقابل تفوق أعدائهم ، وامتلاكهم الأسلحة المتطورة التي تفوق ما لدى المسلمين .

أن الحرية حق طبيعي فطري للإنسان ، وليس من المقبول حتى في القوانين الدولية اغتصاب الأوطان والاعتداء على الحرمات ، فكان لا بد من مقاومة العدو المحتل بالإمكانات المتاحة ، ومنها الأعمال الفدائية .

كون هذه الأعمال أضمن نجاحاً ، وأقوى أثراً ، وأقل إخفاقاً من أعمال المقاومة الأخرى المكشوفة ، لأن القائم بها متخفٍ ولا يُظهر أي نوع من السلاح .

ضيق الخيارات الأخرى للمقاومة ، فإن من عوامل قوة الإنسان أن تعدم الخيارات لديه أو تقل ، وبهذا تطيب له الحياة لأنه لا شئ لديه يخسره ، وهذا يمنحه طاقة جديدة .

لماذا يلجأ المجاهد إلى العمل الفدائي الإستشهادى ؟

من المسائل التي لابد من معرفتها ، الإجابة عن هذا التساؤل الهام ، لأن كثيراً ممن هم بعيدون عن ساحة القتال يتساءلون عن سبب قيام المجاهد بتعريض نفسه للتلف أو قتل نفسه كما في بعض الصور . أليس هناك أعمال أخرى يحصل بها المقصود دون المخاطرة بالنفس ؟

ثم أليس بمقدور المجاهد أن يقوم بهذا العمل ويغادر المكان حتى يحافظ على روحه ويجمع بين مصلحة النكاية بالعدو ومصلحة المحافظة على نفسه وقوته ؟ .

إن معرفة الإجابة عن مثل هذه التساؤلات أمر هام جداً في الحكم على هذه الأعمال ، وتقدير المصلحة المترتبة عليها ، إذ إن فقه الجهاد فقه مصلحي في كثير من مسائله وتطبيقاته .

---

(١) يجدر التنبيه إلى أن المراد بحركات المقاومة الإسلامية المعاصرة كل الحركات التي تقاوم الاحتلال في البلاد الإسلامية دون تخصيص أي واحدة منها .

(٢) تنظر هذه الأسباب في: الإرهاب والعمليات الاستشهادية: سلمان العودة . مجلة الدعوة في عددها الصادر في ١٤٢٣/٢/١٢هـ، العمليات الاستشهادية في الميزان الفقهي ص:٢٣–٢٥، المقاومة الوطنية اللبنانية ١٩٨٢م – ١٩٨٥م : العمليات الاستشهادية صور ووثائق ص:٩٧

ولإيضاح هذا الأمر ، وبما أن الأراضي الأفغانية والعراقية والشيشانية والفلسطينية المحتلة تعد اليوم المنطقة الأولى في وقوع الأعمال الفدائية ؛ فإننا سنتخذها كمثال واقعي ، ونحاول دراسة ظروف ودوافع الأعمال الفدائية الجهادية التي تقوم بها حركات المقاومة الإسلامية ، عبر نمطين رئيسيين من هذه الأعمال .

أحدهما: أعمال التضحية المباشرة بالنفس للنكاية بالعدو .

والآخر: أعمال الاقتحام والتعرض للقتل .

١) أما بالنسبة للنمط الأول ، وهو التضحية المباشرة بالنفس ، فإن المجاهد يلجأ إلى الدخول بسيارته المفخخة أو بحزام ناسف إلى قلب مواقع قوات العدو ونقاط تجمعها بانقضاض سريع يقع فيه التفجير فوراً ، للاعتبارات التالية:[١]

أ-إنزال أكبر الخسائر بقوات العدو ، وهي خسائر لا يمكن الحصول عليها دون هذا الشرط الاقتحامي الاستشهادي .

ضمان نجاح العمل وعدم فشله ، فالعمل الاستشهادي الاقتحامي بالمتفجرات لا يخطئ هدفه في الغالب . أما استخدام أسلوب العبوة ومغادرة المكان فغالباً ما يعرض العملية للفشل أو يؤدي إلى حصول على نتائج أقل بكثير ، لأن العدو وأفراد جمهوره أصبحوا شديدي اليقظة من كثرة تجاربهم السابقة مع هذه الحالات ، مما جعل هذا الشكل القتالي في أغلب حالاته لا كلها ، معرضاً للاكتشاف قبل الأوان ، أو معرضاً لأن تأتي نتائجه قليلة حين تكون مدة التوقيت قصيرة جداً .

شح الأسلحة والمتفجرات ، ومن ثم ضرورة الاقتصاد بها مع تأمين أفضل النتائج .

أن هذا النمط من الأعمال يصيب هدفه بأقل ما يمكن من الخسائر البشرية من جانب المجاهدين .

أنه يحمل طابعاً هاماً في تحطيم معنويات قوات العدو وجبهته ويدب فيهما الرعب من المجاهدين .

تفوق العدو بالأسلحة والتجهيزات ، وفرضه ما يمتلكه من وسائل التحوط والإجهاض المسبق لهذه الأعمال .

ومن ذلك: إقامة الحواجز والإجراءات الأمنية المشددة ، والتي من شأنها عدم إعطاء الفرصة للمجاهد باستخدام أسلوب وضع العبوة والهرب من المكان .

هذا فيما يتعلق بدوافع وحيثيات النمط الأول .

٢) وأما بالنسبة للنمط الآخر ، والذي يتمثل في الاقتحام والتعرض للقتل بسبب الاشتباك من خلال القنابل اليدوية ، والأسلحة الخفيفة السريعة ، فإنه يتم تنفيذه للاعتبارات التالية:[٢]

تفوق قوات العدو العسكرية بعددها ، وقوة نيرانها .

قدرتها العالية على جلب التعزيزات والمدد والتطويق ، فضلاً عن قدرتها على المطاردة بالطائرات المروحية والآليات .

إغلاق قوات العدو مناطق واسعة تمنع من عودة المقاتلين إلى نقاط آمنة ، وهذا ما يفرض أن يتخذ شكل القتال ضمن هذه الظروف نمط القتال الاقتحامي الذي يكسب من عنصر المفاجأة الأولى ، والضرب السريع

بعض أهداف الأعمال الفدائية:

تحريض المجاهدين على القتال:

من الأمور المقصودة التي عني بها الشارع الحكيم تحريض المؤمنين على القتال ، وحثهم على الإقدام على الشهادة ، كما قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ)٦٥الأنفال

---

(١) قراءة في فقه الشهادة ص:٣٣، موعد مع الشاباك ص:٩١ وما بعدها

(٢) قراءة في فقه الشهادة ص:٣٥

ومن المعلوم أن المجاهد وهو يتقحم مواطن الموت ، وفي رهبة المواجهة ، يحتاج إلى شئ من التحريض والتعبئة المعنوية التي تشحذ همته ، وتقوي عزيمته على الإقدام .

وقد كان النبي يعتني بهذا الجانب الهام ، ويحرض أصحابه على القتال كما أمره الله سبحانه وتعالى ، ومن الشواهد على هذا الأمر في السيرة النبوية ما يلي:

١- ما رواه مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك أن رسول الله قال يوم بدر:"قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض ، قال عمير بن الحمام الأنصاري: يا رسول الله جنة عرضها السموات والأرض ؟ قال: نعم . قال: بخ بخ . فقال رسول الله: ما يحملك على قولك بخ بخ ؟ قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاءة أن أكون من أهلها . قال: فإنك من أهلها . فأخرج تمرات من قَرَنه فجعل يأكل منهن ، ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة . قال: فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل"[(١)].

٢- وروى مسلم أيضاً عن حذيفة بن اليمان قال: لقد رأيتنا مع رسول الله ليلة الأحزاب وأخذتنا ريحٌ شديدةٌ ، و قَرٌّ[(٢)] ، فقال رسول الله: ألا رجل يأتيني بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة ، فسكتنا فلم يجبه منا أحد . ثم قال: ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة ، فسكتنا فلم يجبه منا أحد . ثم قال: ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة ، فسكتنا فلم يجبه منا أحد . فقال: قم يا حذيفة فأتنا بخبر القوم . فلم أجد بداً إذ دعاني باسمي أن أقوم . قال: اذهب فأتني بخبر القوم ، ولا تَذْعَرْهم علي[(٣)]. فلما وليت من عنده جعلت كأنما أمشي في حمّام[(٤)] ، حتى أتيتهم فرأيت أبا سفيان يَصْلِي[(٥)]ظهره بالنار ، فوضعت سهماً في كبد القوس فأردت أن أرميه ، فذكرت قول رسول الله ولا تَذْعَرْهم علي . ولو رميته لأصبته فرجعت وأنا أمشي في مثل الحمام ، فلما أتيته فأخبرته بخبر القوم وفرغت قُرِرْت[(٦)] ، فألبسني رسول الله من فضل عباءة كانت عليه يصلي فيها ، فلم أزل نائماً حتى أصبحت فلما أصبحت قال: قم يا نومان"[(٧)].

ففي هاتين الحادثتين إشارة إلى تحريضه لأصحابه على القتال والإقدام ، بترغيبهم في الجنة ، أو وعدهم بمعيته يوم القيامة .

وإذا تقرر مما سبق أهمية التحريض والتحفيز المعنوي للمجاهدين ، فإن من آثار الأعمال الفدائية إحياء روح الجهاد الخامدة في النفوس ، وتحريض المؤمنين وتشجيعهم على قتال أعداء الدين ، وبعث حب الجهاد والاستشهاد في الأمة ، الأمر الذي يخشاه الأعداء ويحرصون كل الحرص على عدم ظهوره في الأمة من جديد .[(٨)]

وهذا الأمر يفسر اهتمام الحركات الجهادية بتبني هذه الأعمال ، وبث وصايا منفذيها ، تحريضاً لغيرهم من المجاهدين ، وإحياءً للفدائية والتضحية في الأمة .

ولَعلَّ مِن الأسبَابِ التي دَعَتْ المُسلِمين إلى اللُّجُوءِ إليها [(١)] :

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإمارة برقم (٣٥٢٠)

(٢) القُرّ: بضم القاف وهو البرد . شرح صحيح مسلم للنووي ١٤٥/١٢

(٣) لا تَذْعَرْهم علي: أي لا تفزعهم ولا تحركهم علي . شرح صحيح مسلم للنووي ١٤٥/١٢

(٤) في حمّام: من الحميم وهو الماء الحار، يعني أنه لم يجد البرد الذي يجده الناس ولا من تلك الريح الشديدة شيئا . شرح صحيح مسلم للنووي ١٤٦/١٢

(٥) يَصْلِي ظهره: أي يدفئه ويدنيه من النار . شرح صحيح مسلم للنووي ١٤٦/١٢

(٦) قُرِرْت: بضم القاف وكسر الراء أي بردت . شرح صحيح مسلم للنووي ١٤٥/١٢

(٧) رواه مسلم في كتاب الجهاد والسير برقم (١٧٨٨)

(٨) العمليات الاستشهادية في الميزان الفقهي ص:٢٤– ٢٥

١- قِلَّةُ البَدَائِلِ والوَسَائِلِ ، وضِيقُ الخِيَارَاتِ المُتَاحَةِ في أيديهم .
٢- عَدَمُ تَمكُّنِهِم مِن الصُّمُودِ والوقُوفِ في وُجُوهِ الأعدَاءِ .
٣- إيثَارُهُم مِيتَةَ العِزَّةِ والكَرَامَةِ في سَبِيلِ اللهِ بالإقْدَامِ عليها ، عَلَى العَيْشِ في ذُلٍّ وهَوَانٍ .

أثرُ العَمليَّاتُ الاستِشهَاديَّة وفَاعِلِيَّتُها

مِن المُقَدِّمَاتِ المُهِمَّةِ لِتَقرِيرِ الحُكمِ الشَّرعِيِّ مَعرِفَةُ صُورَتِهِ وأثَرِهِ ومَا يَتَرتَّبُ عليهِ [٢] ، فأقُولُ :

لا يَخفَى أنَّ أثرَ هَذِهِ العَمَليَّاتِ على أعدَاءِ اللهِ عَظِيمٌ مَادِّيَّاً ومَعنَويَّاً ، فلا يَكادُ يُوجَدُ نوعٌ مِن العَمليَّاتِ هوَ أعظمُ رُعباً في قُلُوبِهِم مِن هَذا النَّوْعِ ، وكَفَى مِثَالاً عَلَى جَدواها وبَالِغِ أثَرِهَا في العَصْرِ الحَدِيثِ ، أنَّهَا أرغَمَتْ أُنُوفَ القَادَةِ الرُّوسِ عَلَى إنهَاءِ حَربِهِم الأولى عَلَى الشِّيشَانِ .. وأتَتْ بِهِم صَاغِرِينَ إلى التَّفَاوضِ مَعَ المجاهدين " [٣] .

ومِنْ آثارِ وفَاعِلِيَّةِ العَمَلِيَّاتِ الاستِشهَادِيَّةِ ما يلي :

١- أنَّهَا الأضمَنُ والأكثَرُ نَجَاحَاً مِنْ بينِ العَمَلِيَّاتِ الأخرى ، فالقَائِمُ بِهَا يَظهَرُ بِمظَهَرِ رَاكِبٍ عَادِيٍّ ، فإذا سَنَحَتْ لَهُ الفُرصَةُ قَامَ بِهَا ، ولا مَجَالَ للعَدوِّ حِينَهَا لمُوَاجَهَتِهِ ، فالأمْرُ لا يَزِيدُ عَلَى ضَغطَةِ مِفتَاحٍ يُفَجِّرُ بِهَا المُجَاهِدُ عَدوَّهُ [٤] .

٢- أنَّهَا الأكثَرُ إثخَاناً ونِكَايَةً في أعدَاءِ اللهِ مَادِّياً ومَعنوِيَّاً ، أمَّا مَادِّيَّاً فخَسَائرُ العَدوِّ غَالِبَاً مَا تَكونُ مُرتَفِعَةً ، فهيَ مَا بينَ عَشَراتِ القَتْلَى ومِئَاتِ الجَرحَى ، مَعَ مَا يصحَبُ ذَلِكَ مِن إلغَاءٍ وإرجَاءٍ لِكَثِيرٍ مِن خُطَطِهِم وبَرَامِجِهِم وبَعثَرَةٍ لأورَاقِهِم [٥] ، إضَافةً إلى أنَّ أثرَ هَذِهِ العَمَلِيَّاتِ يَتَعدَّى إلى استِنزَافِ اقتِصَادِ العَدوِّ ، وأمَّا مَعنَويَّاً فَفِيها كَسْرٌ لِشَوكَتِهِ وإضعَافٌ لقَلبِهِ وقوَّتِهِ وإحبَاطٌ شَدِيدٌ لهُم وإرهَابٌ لهم حتى صارَ العدوُّ يخافُ من كلِّ شيء ، كما ألجأت كَثِيراً مِن الأعداءِ إلى الانسِحَابِ ، إضَافَةً إلى كونِهَا سَبَباً في رَحِيلِ الكُفَّارِ مِن بِلادِ المسلمين ، وسَبَباً في تَقلِيلِ الهجرةِ إليها كَمَا هوَ الحَالُ في الأرضِ المُقَدَّسَةِ .

٣- قِلَّةُ تَكلُفَتِهَا وخَسَائرِهَا ، فتَكلُفَتُهَا غَالِباً ما تكونُ أقلَّ بِكَثِيرٍ مِن عَمَلِيَّاتِ الهُجُومِ الأخرى ، فلا تَكَادُ تَزِيدُ تَكلُفَتُهَا عَن قِيمَةِ وَقودِ النَّاقِلاتِ المُخصَّصَةِ لنَقْلِ خمسِينَ مُجَاهِداً لتنفِيذِ عَمَلِيَّةِ هُجُومٍ ، أمَّا خَسَارَتُهَا البَشَرِيَّةُ فهِيَ نَفْسٌ وَاحِدَةٌ غَالِباً ، خِلافَاً لغيرِهَا منْ عَمَلِيَّاتِ الهُجُومِ الأخرى [٦] .

٤- أنَّهَا وسِيلَةٌ حَثٍّ وتَحرِيضٍ للمُؤمِنِينَ عَلَى الجِهَادِ والاستِشهَادِ ، وهوَ أمْرٌ مَطلُوبٌ شَرعَاً .

قال الشيخ الشهيد - فيما نحسبه - يوسف العييري - رحمه الله - : " أما أثرها على العدو فإننا ومن خلال واقع نلمسه ونعايشه ، فقد رأينا أن أثرها على العدو عظيم ، بل لا يوجد نوع

من العمليات أعظم في قلوبهم رعباً من هذا النوع ، وبأسبابها تجنبوا مخالطة السكان واستضعافهم وسلبهم وانتهاك أعراضهم خشية هذه العمليات ، بل إن نشاط قواتهم اقتصر على اكتشاف

مثل هذا النوع من العمليات قبل وقوعه ، فاشتغلوا بذلك عن غيره ولله الحمد .. وهذه العمليات أكثر الأساليب نكاية بالعدو ، وأقلها تكلفة وخسائر ، وغيرها من العمليات الهجومية

خاصة ، يحشد لها الطاقات والإمكانيات ثم ينفذ الهجوم ، وربما تحدث خسائر للمهاجم بسبب تحصن المدافع ، أما العمليات الاستشهادية فخسائرها البشرية واحد من المجاهدين ، وتكلفتها

---

(١) الدلائل الجلية على مشروعية العمليات الاستشهادية ، أحمد نجيب (٧) .
(٢) انظر : الأعمال الفدائية (١١٤) .
(٣) الدلائل الجلية على مشروعية العمليات الاستشهادية ، أحمد عبد الكريم نجيب (٢١) .
(٤) انظر : العمليات الاستشهادية في الميزان الفقهي (٣٧) .
(٥) انظر : هل انتحرت حواء أم استشهدت ؟ (٤ – ٥) .
(٦) انظر : هل انتحرت حواء أم استشهدت ؟ (٦) .

لا تكاد تذكر بالنسبة للهجوم المباشر ، وغالباً لا تزيد تكلفتها عن قيمة وقود الناقلات المخصصة لنقل خمسين مجاهداً لتنفيذ الهجوم ، فمن الناحية المعنوية تأثيرها واضح على العدو ففيها

كسر لقلوبهم وإرعاباً لهم وتدميراً لمعنوياتهم ، ومن الناحية المادية خسائر العدو فيها غالباً ما يكون مرتفعاً ، أما للمجاهدين فمن الناحية المادية فتكلفتها أقل من الهجوم المباشر ، ومن ناحية

الخسائر البشرية فشهيد واحد بإذن الله .. ومن الناحية المعنوية إحباط شديد ورعب عظيم في قلوب ضباط وجنود القوات الروسية ، ناهيك عما حدث لهم من خلط لكثير من الخطط

والبرامج المزمع تنفيذها " . هل انتحرت حواء أم استشهدت ؟ (٤ - ٥) .

صور بعض العمليات الجهادية

<u>**صور ة الاقتحام المظنون فيه الهلاك**</u>: تتمثل هذه الصورة في قيام المجاهد باقتحام صفوف العدو ، أو الدخول إلى مواقعه ، والمفاداة بنفسه لتحقيق نكاية بعدو أو مصلحة للمسلمين .

والذي يميز هذه الصورة عن غيرها من أعمال الجهاد هو وجود قدر زائد من المخاطرة ، بحيث يغلب على الظن أن المجاهد سيُقتل بسببها ، نظراً لعدم تكافؤ القوى في الظاهر ، لكن هذا ليس على سبيل القطع ، إذ احتمال نجاته قائم بنسبة ما .

وقد جاء في التاريخ الإسلامي عدد من الوقائع التي تندرج ضمن هذه الصورة .

ومن ذلك ما رواه ابن جرير الطبري في تاريخه في سياق معركة اليرموك ، قال:"ولما طال القتال قال عكرمة بن أبي جهل[(١)] يومئذ: قاتلتُ رسول الله في كل موطن وأفر منكم اليوم – أي من الروم - ثم نادى من يبايع على الموت ، فبايعه الحارث بن هشام[(٢)] وضرار بن الأزور[(٣)] في أربعمائة من وجوه المسلمين وفرسانهم ، فقاتلوا قدام فسطاط خالد حتى أُثبِتوا جميعاً جراحاً وقتلوا ، إلا من برأ ومنهم ضرار بن الأزور ، قال: وأتي خالد بعدما أصبحوا بعكرمة جريحاً فوضع رأسه على فخذه ، وبعمرو بن عكرمة فوضع رأسه على ساقه ، وجعل يمسح عن وجوههما ويقطر في حلوقهما الماء ويقول: كلا زعم ابن الحنتمة أنا لا نُسْتَشْهَد .[(٤)]

---

(١) عكرمة بن أبي جهل (صحابي): أبو عثمان عكرمة بن أبي جهل عمرو بن هشام بن المغيرة القرشي المخزومي، الشريف الرئيس الشهيد، تحولت إليه رئاسة بني مخزوم بعد مقتل أبيه، ولما دخل رسول الله مكة هرب منها عكرمة وصفوان بن أمية فبعث النبي يؤمنهما وصفح عنهما فأقبلا إليه، ثم إنه أسلم وحسن إسلامه بالمرة، شهد يوم اليرموك فقاتل قتالاً شديداً ثم استشهد فوجدوا به بضعاً وسبعين طعنة ورمية وضربة، وقيل: قتل يوم أجنادين . ينظر: الطبقات الكبرى ٤٤٤/٥، سير أعلام النبلاء ٣٢٣/١، الإصابة في تمييز الصحابة ٥٣٨/٤

(٢) الحارث بن هشام (صحابي): أبو عبد الرحمن الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو المخزومي القرشي، أخو أبي جهل بن هشام، أسلم يوم فتح مكة وكان من المؤلفة قلوبهم ثم حسن إسلامه وانتقل إلى الشام وسكنها غازياً ومرابطاً، ت: ١٨هـ في طاعون عَمواس . ينظر: الثقات ٧٢/٣، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٣٠١/١، الإصابة في تمييز الصحابة ٦٠٥/١

(٣) ضرار بن الأزور (صحابي): أبو الأزور ويقال أبو بلال، واسم الأزور مالك بن أوس بن جذيمة الأسدي، سكن الكوفة، كان فارساً شجاعاً، اختلف في وفاته فذكر الواقدي أنه قاتل يوم اليمامة قتالاً شديداًحتى قطعت ساقاه جميعاً فجعل يحبو على ركبتيه ويقاتل وتطؤه الخيل حتى غلبه الموت، وقيل: إنه قتل يوم أجنادين في خلافة أبي بكر، وقيل: توفي في خلافة عمر بالكوفة . ينظر: الطبقات الكبرى ٣٩/٦، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٧٤٦/٢، الإصابة في تمييز الصحابة ٤٨١/٣

(٤) تاريخ ابن جرير ٣٣٨/٢، تاريخ دمشق ٣٩١/٢٤

وفي تاريخ مدينة دمشق عن واثلة بن الأسقع[1] قال: لما نزل خالد بن الوليد الصُفَّرَ[2] ، قال واثلة بن الأسقع: ركبت فرسي ثم أقبلت أسير حتى انتهيت إلى باب الجابية[3] ، قال: فنزلت عن فرسي فمَعَكْتُه[4] ثم شددت عليه سرجه ، ثم اعتمدت على رمحي ، فسمعت صرير فتح باب الجابية ، وإذا أنا بأناس قد خرجوا خَرَّائين[5] ، فقلت: قبيح مني أن أحمل على رجل على مثل هذه الحالة فلم يكن إلا يسيراً ، حتى خرجت خيل عظيمة فأمهلتها حتى إذا كانت فيما بيني وبين دير ابن أبي أوفى حملت عليهم من خلفهم ، ثم كبرت فظنوا أنهم قد أحيط بمدينتهم ، فانصرفوا راجعين ، قال: وشددت على عظيمهم فدعسته[6] بالرمح فوقع ، وضربت بيدي إلى بِرْذَونه[7] فأخذت بلجامه ثم ركبته ، فنظروا إلي ، فلما رأوني وحدي ، أقبلوا علي ؟ فالتفت فإذا برجل قد نَدَرَ[8] بين أيديهم فرميت بالعنان على قَرَبوس[9] السرج ، ثم عطفت عليه ، فدعسته بالرمح فقتلته ، ثم عدت إلى البرذون ، فأتبعوني فالتفت ، فإذا برجل قد ندر بين أيديهم ، فألقيت العنان على قربوس السرج ، ثم عطفت عليه فدعسته بالرمح فقتلته حتى واليت بين ثلاثة فلما رأوا ما أصنع انطلقوا راجعين. وأقبلت أسير حتى أتيت الصُّفَّر ، فأتيت منزلي فربطت البرذون ونزعت عنه سرجه ، ثم أتيت خالد بن الوليد فذكرت له ما صنعت وعنده عظيم الروم ، قد كان خرج إليه يلتمس الأمان لأهل المدينة ، فقال له خالد: هل علمت أن الله قد قتل فلاناً -يعني خليفته - قال بالرومية: متانوس - يعني: معاذ الله - فأقبل واثلة بالبرذون ، فلما نظر إليه عظيم الروم عرفه ، قال أتبيعني السرج ؟ قال: نعم ، قال: لك عشرة آلاف . فقال خالد بن الوليد: بِعْه ، قال واثلة لخالد: بعه أنت أيها الأمير ، فباعه ، قال: وسَلَّم إِلَيَّ سَلَبَه ولم يأخذ منه شيئاً.[10]

وروى الحافظ المزي بإسناده قال : غزا بُسْر بن أرطاة[11] الروم ، فجعلت ساقته[1] لا تزال يصاب منها طرف ، فجعل يلتمس أن يصيب الذين يلتمسون عورة ساقته فيكمن لهم الكمين فيصاب الكمين ، فجعلت بعوثه تلك لا تصيب ولا تظفر ، فلما رأى ذاك تخلف في مائة من جيشه ، ثم جعل يتأخر حتى خلف

---

(١) واثلة بن الأسقع (صحابي): واثلة بن الأسقع بن كعب بن عامر، وقيل: واثلة بن الأسقع بن عبد العزى الليثي، من أصحاب الصُّفَّة، أسلم سنة تسع وشهد غزوة تبوك، وكان من فقراء المسلمين، طال عمره،ت:٨٣هـ وهو ابن مائة وخمس سنين . ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ١٥٦٣/٤، سير أعلام النبلاء٣٨٣/٣، الإصابة في تمييز الصحابة ٥٩١/٦

(٢) الصُّفَّر: بضم الصاد وفتح الفاء المشددة موضع بين دمشق والجولان . معجم البلدان ٤١٣/٣

(٣) الجابية: حي بدمشق . لسان العرب ١٣١/١٤ مادة (جَبَى)

(٤) المعك: الدلك، معكه في التراب يمعكه معكاً دلكه . لسان العرب ٤٩٠/١٠ مادة (مَعَكَ)

(٥) خرّائين: من الخِراءة وهي التخلي والقعود للحاجة، والمراد أنهم خرجوا لقضاء حوائجهم . لسان العرب ٦٤/١ مادة (خَرَأ)

(٦) الدعس بالرمح: الطعن . لسان العرب ٨٣/٦ مادة (دَعَس)

(٧) البِرْذَون: يطلق على غير العربي من الخيل والبغال من الفصيلة الخيلية، عظيم الخلقة، غليظ الأعضاء، قوي الأرجل، عظيم الحوافر . المعجم الوسيط مادة (بَرْذَنَ) ص: ٤٨

(٨) نَدَرَ: شذ . مختار الصحاح مادة (ندر) ٢٧٢/١

(٩) القَرَبوس: حِنو السرج أي رجله . لسان العرب مادة (قَرْبَس) ١٧٢/٦

(١٠) رواه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ٣٤٥/٦٢

(١١) بُسْر بن أرطاة (مختلف في صحبته): أبو عبد الرحمن بسر بن أرطاة بن عمير بن عويمر القرشي العامري، الأمير نزيل دمشق، اختلف في صحبته فذهب الواقدي وأحمد وابن معين أنه لم يسمع من النبي ، وذهب أهل الشام إلى أنه سمع منه، شهد فتح مصر وكان من شيعة معاوية، ووجهه معاوية إلى اليمن والحجاز، وولي له البحر، وقد اختلف في وفاته فقيل: إنه مات أيام معاوية، وقيل: بقي إلى

وحده ، فبينا هو يسير في بعض أودية الروم إذا ثلاثين برذوناً والكنيسة إلى جانبهم فيها فرسان تلك البراذين الذين كانوا يعقبونه في ساقته ، فنزل عن فرسه فربطه مع تلك البراذين ، ثم مضى حتى أتى الكنيسة فدخلها ثم أغلق عليه وعليهم بابها ، فجعلت الروم تعجب من إغلاقه وهو وحده ، فما استقلوا إلى رماحهم حتى صرع منهم ثلاثة . وفقده أصحابه فلاموا أنفسهم وقالوا: إنكم لأهل أن تجعلوا مثلاً الناس أن أميركم خرج معكم فضيعتموه حتى هلك ولم يهلك منكم أحد ، فبينا هم يسيرون في ذلك الوادي حتى أتوا مرابط تلك البراذين فإذا فرسه مربوط معها فعرفوه ، وسمعوا الجلبة في الكنيسة فأتوها فإذا بابها مغلق ، فقلعوا طائفة من سقفها فنزلوا عليهم وهو ممسك طائفة من أمعائه بيده اليسرى والسيف بيده اليمنى ، فلما تمكن أصحابه في الكنيسة سقط بسر مغشياً عليه ، فأقبلوا على من كان بقي فأسروا أو قتلوا ، فأقبلت عليهم الأسارى فقالوا: نَنْشُدكم الله من هذا الرجل الذي دخل علينا ؟ قالوا: بسر بن أبي أرطاة . فقالوا: ما ولدت النساء مثله . فعمدوا إلى معاه فردوه في جوفه ولم ينخرق منه شيء ، ثم عصبوه بعمائمهم وحملوه على شقه الذي ليست به جراح حتى أتوا العسكر فخاطوه فسلم وعوفي .[٢]

ونقل القرطبي أن المسلمين لما لقوا الفرس نفرت خيل المسلمين من الفيلة فعمد رجل منهم فصنع فيلاً من طين وأنس به فرسه حتى ألفه ، فلما أصبح لم ينفر فرسه من الفيل فحمل على الفيل الذي كان يقدمها ، فقيل له: إنه قاتلك . فقال: لا ضير أن أقتل ويفتح للمسلمين .[٣]

ومن ذلك حادثة حصار القسطنطينية ، والتي وقعت بمحضر الصحابي الجليل أبي أيوب الأنصاري ، والمذكورة عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٩٥ ﴾[٤].

ونظراً لأهمية معرفة المراد بهذه الآية للحكم على هذه الصورة من الأعمال ، فسأفرد الكلام عنها وعن قصة أبي أيوب ، من خلال ما ذكره أهل التفسير والفقهاء ، وذلك فيما يلي .

تحقيق القول في المراد بقوله تعالى (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة):

روى الترمذي وأبو داود والحاكم وغيرهم عن أسلم التُجيبي[٥]قال: كنا بمدينة الروم فأخرجوا إلينا صفاً عظيماً من الروم فخرج إليهم من المسلمين مثلهم أو أكثر ، وعلى أهل مصر عقبة بن عامر ، وعلى الجماعة فضالة بن عبيد ، فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم ، فصاح الناس وقالوا: سبحان الله يلقي بيديه إلى التهلكة . فقام أبو أيوب الأنصاري فقال: يا أيها الناس إنكم تتأولون هذه الآية هذا التأويل ، وإنما أنزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار لما أعز الله الإسلام وكثر ناصروه فقال بعضنا لبعض سراً دون رسول الله: إن أموالنا قد ضاعت وإن الله قد أعز الإسلام وكثر ناصروه فلو أقمنا في أموالنا

خلافة عبد الملك بن مروان، وقيل: مات في خلافة الوليد سنة ٨٦هـ . ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ١ /١٥٧، سير أعلام النبلاء ٣/٤٠٩، الإصابة في تمييز الصحابة ١/٢٨٩

(١) الساقة: جمع سائق، وهم الذين يَسُوقون جيش الغُزاة ويكونون مِنْ ورائه يحفظونه . لسان العرب مادة (سوق) ١٠/١٦٧

(٢) تهذيب الكمال ٤/٦٢-٦٣

(٣) تفسير القرطبي ٢ / ٣٦٤

(٤) [البقرة: ١٩٥]

(٥) أسلم التُجِيبي: أبو عمران أسلم بن يزيد التجيبي المصري، مولى عمير بن تميم التجيبي، وثقه النسائي، وقال العجلي: مصري تابعي ثقة، وذكره ابن حبان في الثقات وأخرج له هو والحاكم في صحيحيهما، وقال أبو سعيد بن يونس: كان وجيهاً بمصر في أيامه وكانت الأمراء يسألونه في حوائجهم . ينظر: الثقات ٤ /٤٦، تهذيب الكمال ٢/٥٢٨، تهذيب التهذيب ١/٢٣٢

فأصلحنا ما ضاع منها . فأنزل الله على نبيه يَرُدُّ علينا ما قلنا: ﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٩٥ [١] ، فكانت التهلكة الإقامة على الأموال وإصلاحها وتركنا الغزو . فما زال أبو أيوب شاخصاً في سبيل الله حتى دفن بأرض الروم .[٢]

تفسير التهلكة في الآية:

قال الطبري:"اختلف أهل التأويل في تأويل هذه الآية ، فقال بعضهم: عنى بذلك وأنفقوا في سبيل الله ، وسبيل الله طريقه الذي أمر أن يسلك فيه إلى عدوه من المشركين لجهادهم وحربهم ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ، يقول ولا تتركوا النفقة في سبيل الله فإن الله يعوضكم منها أجرا ويرزقكم عاجلا

وقال آخرون ممن وجهوا تأويل ذلك إلى أنه معنية به النفقة ، معنى ذلك وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة فتخرجوا في سبيل الله بغير نفقة ولا قوة ...

وقال آخرون: بل معناه أنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم فيما أصبتم من الآثام إلى التهلكة فتيأسوا من رحمة الله ، ولكن ارجوا رحمته واعملوا الخيرات ...

وقال آخرون: بل معنى ذلك وأنفقوا في سبيل الله ولا تتركوا الجهاد في سبيله"[٣].

ثم قال الطبري بعد سياقه الخلاف في الآية:"فإذا كانت هذه المعاني كلها يحتملها قوله: ﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٩٥ ﴾ ولم يكن الله عز وجل خص منها شيئا دون شئ ، فالصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله نهى عن الإلقاء بأيدينا لما فيه هلاكنا والاستسلام للهلكة وهي العذاب بترك ما لزمنا من فرائضه ، فغير جائز لأحد منا الدخول في شئ يكره الله منا مما نستوجب بدخولنا فيه عذابه . غير أن الأمر وإن كان كذلك فإن الأغلب من تأويل الآية: وأنفقوا أيها المؤمنون في سبيل الله ولا تتركوا النفقة فيها فتهلكوا باستحقاقكم بترككم ذلك عذابي"[٤].

وقال ابن العربي:"في تفسير التهلكة: فيه ستة أقوال: الأول: لا تتركوا النفقة . الثاني: لا تخرجوا بغير زاد ، يشهد له قوله تعالى: ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٧﴾[٥]. الثالث: لا تتركوا الجهاد . الرابع: لا تدخلوا على العساكر التي لا طاقة لكم بها . الخامس: لا تيأسوا من المغفرة ؛ قاله البراء بن عازب . قال الطبري: هو عام في جميعها لا تناقض فيه . وقد أصاب إلا في اقتحام العساكر ؛ فإن العلماء اختلفوا في ذلك ."[٦].

وهذا التعقب الذي تعقب به ابن العربي الإمام الطبري فيه نظر من وجهين:

١- أن الإمام الطبري لم يذكر في تفسيره القول بالاقتحام عند سياقه الأقوال في الآية ، كما تقدم كلامه .

٢- أن القول بعدم دخول الاقتحام في عموم التهلكة رده عدد من أهل العلم ، وقالوا بدخوله في الآية ، لكنهم حملوه على الاقتحام المنهي عنه ، وهو ما كان اقتحاماً محضاً دون تحقيق نكاية بالعدو . والقول بدخول الاقتحام المنهي عنه في عموم الآية أولى ما دام المعنى صحيحاً ولا ينافي الآية .

---

(١) [البقرة: ١٩٥]

(٢) روه أبو داود في كتاب الجهاد برقم (٢٥١٢)، والترمذي في كتاب تفسير القرآن برقم (٢٩٧٢) وقال: حديث حسن صحيح غريب، والحاكم (٢/٢٧٥)

(٣) تفسير الطبري ٢ /٢٠٠-٢٠٥

(٤) تفسير الطبري ٢ /٢٠٥

(٥) [البقرة: ١٩٧]

(٦) أحكام القرآن لابن العربي ١/١٦٥

قال الجصاص في بيان التهلكة:"هو أن يقتحم الحرب من غير نكاية في العدو . وهو الذي تأوله القوم الذي أنكر عليهم أبو أيوب وأخبر فيه بالسبب . وليس يمتنع أن يكون جميع هذه المعاني مرادة بالآية لاحتمال اللفظ لها وجواز اجتماعها من غير تضاد ولا تناف"[(١)].

وقال الشوكاني في تفسيره (والحق أن الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، فكل ما صدق عليه أنه تهلكة في الدين أو الدنيا فهو داخل في هذا ، وبه قال ابن جرير الطبري ، ومن جملة ما يدخل تحت الآية أن يقتحم الرجل في الحرب فيحمل على الجيش مع عدم قدرته على التخلص ، وعدم تأثيره لأثر ينفع المجاهدين"[(٢)].

القول الراجح: -والله أعلم- أن الآية عامة كما اختاره الطبري[(٣)] والجصاص[(٤)] والشوكاني[(٥)] ، ويكون المراد بالتهلكة في هذه الصورة أن يحمل على العدو دون أن يكون في إقدامه نكاية بالعدو ، لأنه بهذا يهلك نفسه من غير مصلحة معتبرة ، أما إذا كان في إقدامه نكاية بالعدو فإنه لا يدخل في عموم الآية ، كما دل عليه كلام أبي أيوب الأنصاري المتقدم .

ويؤيد هذا الترجيح أن مجرد اقتحام صفوف العدو دون نكاية لا يجوز على الصحيح كما هو مذهب الجمهور خلافاً لبعض المالكية كما سيأتي بيانه قريباً ، وما دام أنه محرم فهو من التهلكة ، لأنه يكون حينئذ إهلاك للنفس بغير وجه شرعي .

المسألة الثانية:

الحكم الشرعي للاقتحام المظنون فيه الهلاك

اختلف العلماء في حكم اقتحام المجاهد فيما يغلب على الظن هلاكه به على ثلاثة أقوال:

القول الأول: ذهب جمهور أهل العلم إلى جواز اقتحام المجاهد صف الكفار وحده ، إذا كان في فعله نكاية بالعدو . ١- قال السرخسي[(٦)]:"لو حمل الواحد على جمع عظيم من المشركين ، فإن كان يعلم أنه يصيب بعضهم أو ينكي فيهم نكاية فلا بأس بذلك ، وإن كان يعلم أنه لا ينكي فيهم فلا ينبغي له أن يفعل ذلك لقوله تعالى: ﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٩٥) وقوله سبحانه(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (٢٩) "[(٧)].

---

(١) أحكام القرآن للجصاص ١/٣٦٠

(٢) فتح القدير ١/٢٩٧

(٣) تفسير الطبري ٢ / ٢٠٥

(٤) أحكام القرآن للجصاص ١/٣٦٠

(٥) فتح القدير ١ / ١٩٣

(٦) السرخسي: أبو بكر مُحَمَّد بن سهل السرخسي، أحد فقهاء الأحناف المجتهدين، من أشهر كتبه المبسوط في الفقه الحنفي أملاه وهو في السجن في الجب، وكان سبب سجنه كلمة نصح بها الخاقان*، وله مصنفات أخرى منها: شرح السير الكبير لمحمد بن الحسن، والأصول في الفقه، ت:٤٨٣هـ . ينظر: سير أعلام النبلاء ١٤٧/١٩، شذرات الذهب ٣٦٧/٣، الأعلام ٣١٥/٥

*** الخاقان: اسم لكل ملك من ملوك الترك . لسان العرب مادة (خقن) ١٤٢/١٣**

(٧) المبسوط ١٠/ ٧٦، والآية الأولى في سورة [النساء: ٢٩]، والثانية في سورة [البقرة: ١٩٥]

٢-وفي شرح السير الكبير:"ولو أن مسلماً حمل على ألف رجل وحده فإن كان يطمع أن يظفر بهم أو ينكأ فيهم فلا بأس بذلك . لأنه يقصد بفعله النيل من العدو . وقد فعل ذلك بين يدي رسول الله غير واحد من الأصحاب يوم أحد ولم ينكر ذلك عليهم رسول الله ، وبشر بعضهم بالشهادة حين استأذنه في ذلك"[١].

٣-وفي شرح الخِرَشي على خليل:" يجوز للرجل أن يقدم على ما زاد على اثنين من المشركين ليقاتلهم وهو مراده بالكثير أي جمع كثير ، وإن علم ذهاب نفسه بشرط أن يمحض نيته لله ، وأن يعلم من نفسه الكفاية وأن يكون في ذلك نكاية لهم . وأما إن فعل ذلك لأجل أن يظهر شجاعة من نفسه فإنه لا يجوز له فعل ذلك ؛ لأنه لم يقاتل حينئذ لتكون كلمة الله هي العليا"[٢].

٤-وقال الشافعي:"لا أرى ضيقاً على الرجل أن يحمل على الجماعة حاسراً ، أو يبادر الرجل ، وإن كان الأغلب أنه مقتول ؛ لأنه قد بودر بين يدي رسول الله "[٣].

٥-وقال النووي -تعليقاً على قصة عمير بن الحُمام -:"فيه جواز الانغماس في الكفار والتعرض للشهادة ، وهو جائز لا كراهة فيه عند جماهير العلماء"[٤].

٦-وقال ابن تيمية:"إذا فعل ما أمره الله به فأفضى ذلك إلى قتل نفسه فهذا محسن في ذلك ، كالذي يحمل على الصف وحده حملاً فيه منفعة للمسلمين وقد اعتقد أنّه يقتل ، فهذا حَسَنٌ ، وفي مثله أنزل الله : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ (٢٠٧) ﴾[٥] ، ومثلما كان بعض الصحابة ينغمس في العدو"[٦].

وإذا كان فقهاء المذاهب الأربعة قد نصوا على جواز الاقتحام في هذه الصورة كما تقدم ، فإن هناك نصوصاً تحكي الإجماع على ذلك .

١-فقد نقل ابن حجر في فتح الباري عن المُهَلَّب[٧]أن العلماء أجمعوا على جواز تقحم المهالك في الجهاد .[٨]

٢-وقال الغزالي[٩]في الإحياء:"لا خلاف في أن المسلم الواحد له أن يهجم على صف الكفار فيقاتل وإن علم أنه سيقتل ... ولكن لو علم أنه لا نكاية لهجومه على الكفار ، كالأعمى يطرح نفسه على الصف أو العاجز ، فذلك حرام ، وداخل تحت عموم آية التهلكة ، وإنما جاز له الإقدام إذا علم أنه لا يَقْتُل حتى

---

(١) شرح السير الكبير ١٥١٢/٤

(٢) شرح الخرشي على خليل ٣ /١٢٠. ١٢١

(٣) الأم ١٧٨/٤

(٤) شرح مسلم للنووي ٤٦/١٣

(٥) [البقرة: ٢٠٧]

(٦) مجموع الفتاوى ٢٧٩/٢٥

(٧) المهلب بن أحمد بن أبي صفرة الأسدي الأندلسي: صنف شرح صحيح البخاري، وكان أحد الأئمة الفصحاء الموصوفين بالذكاء، ولي قضاء المَرِيَّة*، توفي في شوال سنة ٤٣٥هـ . ينظر: سير أعلام النبلاء ٥٧٩/١٧، الديباج المذهب ٣٤٨/١،كشف الظنون ٥٤٥/١

*** المَرِيَّة: مدينة كبيرة في الأندلس . معجم البلدان ١١٩/٥**

(٨) فتح الباري ٣١٦/١٢

(٩) الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، حجة الإسلام، فيلسوف متصوف من فقهاء الشافعية، له مؤلفات كثيرة منها: إحياء علوم الدين، المستصفى من علم الأصول، الوجيز، والبسيط، وهما في الفقه، ت:٥٠٥هـ
ينظر: طبقات الشافعية ٢٩٣/٢، شذرات الذهب ١٠/٤، الأعلام ٢٢/٧

يُقْتَل ، أو علم أنه يكسر قلوب الكفار بمشاهدتهم جرأته ، واعتقادهم في سائر المسلمين قلة المبالاة ، وحبهم للشهادة في سبيل الله ، فتكسر بذلك شوكتهم"[١] .

ومن أدلة القول الأول المجيز للاقتحام، ما يلي:

الدليل الأول: قول الله سبحانه وتعالى: ﴿﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ (٢٠٧) ﴾ [٢] .

جاء في سبب نزول الآية: عن سعيد بن المسيب قال: أقبل صهيب مهاجراً نحو النبي ، فاتبعه نفر من قريش ، فنزل عن راحلته وانتثل ما في كنانته ، ثم قال: يا معشر قريش قد علمتم أني من أرماكم رجلاً ، وايم الله لا تصلون إلي حتى أرمي بكل سهم في كنانتي ، ثم أضرب بسيفي ما بقي في يدي فيه شئ ثم افعلوا ما شئتم ، وإن شئتم دللتكم على مالي وقنيتي بمكة وخليتم سبيلي . قالوا: نعم . فلما قدم على النبي قال: ربح البيع ، ربح البيع ، ونزلت: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ (٢٠٧ [٣]"[٤]

وروى ابن أبي شيبة[٥] بإسناده أن كتيبة من كتائب الكفار جاءت من قبل المشرق ، فلقيهم رجل من الأنصار ، فحمل عليهم ، فخرق الصف حتى خرج ، ثم كر راجعاً ، فصنع مثل ذلك مرتين أو ثلاثاً ، فإذا سعد بن هشام يذكر ذلك لأبي هريرة ، فتلا هذه الآية ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ (٢٠٧)﴾[٦] .[٧]

وجه الاستدلال: دلت الآية وما ورد في سبب نزولها على أن تعريض النفس للقتل من الجهاد بالنفس الذي يحبه الله ويرضاه .

---

(١) إحياء علوم الدين ٢٦/٧

(٢) [البقرة: ٢٠٧]

(٣) [البقرة: ٢٠٧]

(٤) أخرجه الحاكم ٤٥٠/٣ وقال:"صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه"، ورواه ابن حبان ٥٥٧/١٥ وصححه، والطبراني في الكبير ٣١/٨، وأبو نعيم في الحلية ١٥١/١، وصححه الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة ٧٩/٨

قال الطبري **في تفسيره ٣٢٢/٢:"وأما ما روي من نزول الآية في أمر صهيب فإن ذلك غير مستنكر، إذكان غير مدفوع جواز نزول آية من عند الله على رسوله بسبب من الأسباب والمعني بها كل من شمله ظاهرها . فالصواب من القول في ذلك أن يقال إن الله عز ذكره وصف شارياً نفسه ابتغاء مرضاته،** فكل من باع نفسه في طاعته حتى قتل فيها أو استقتل وإن لم يقتل فمعني بقوله **ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله، في جهاد عدو المسلمين كان ذلك منه أو في أمر بمعروف أو نهي عن منكر" .**

وقال ابن كثير **في تفسيره ٢٤٨/١:" وأما الأكثرون فحملوا ذلك على أنها نزلت في** كل مجاهد **في سبيل الله".**

(٥) ابن أبي شيبة: أبو بكر عبد الله بن القاضي أبي شيبة إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي مولاهم الكوفي، الإمام العلم سيد الحفاظ وصاحب الكتب الكبار المسند والمصنف والتفسير، ت:٢٣٥هـ . ينظر: تهذيب الكمال ٣٤/١٦، سير أعلام النبلاء ١٢٢/١١، طبقات الحفاظ ٤٣٢/٢

(٦) [البقرة: ٢٠٧]

(٧) رواه ابن أبي شيبة في المصنف ٣٢٢/٥ قال: حدثنا محمد بن أبي عدي عن بن عون عن محمد به .

قال ابن تيمية:"فقوله (يشري نفسه) أي يبيع نفسه لله تعالى ابتغاء مرضاته ، وذلك يكون بأن يبذل نفسه فيما يحبه الله ويرضاه ، وإن قُتِل أو غلب على ظنه أن يقتل "[(١)].

الدليل الثاني: ما رواه البخاري عن أبي هريرة قال: بعث رسول الله عشرة رهط سرية عيناً وأَمَّر عليهم عاصم بن ثابت الأنصاري[(٢)] ، فانطلقوا حتى إذا كانوا بالهَدْأَة - وهو موضع بين عُسْفان ومكة - ذكروا لحي من هذيل يقال لهم: بنو لَحْيان ، فنفروا لهم قريباً من مائتي رجل كلهم رام ، فاقتصوا آثارهم حتى وجدوا مأكلهم تمرا تزودوه من المدينة ، فقالوا: هذا تمر يثرب ، فاقتصوا آثارهم فلما رآهم عاصم وأصحابه لجئوا إلى فَدْفَد[(٣)] وأحاط بهم القوم ، فقالوا لهم: انزلوا وأعطونا بأيديكم ولكم العهد والميثاق ولا نقتل منكم أحداً . قال عاصم بن ثابت أمير السرية: أما أنا فوالله لا أنزل اليوم في ذمة كافر ، اللهم أخبر عنا نبيك ، فرموهم بالنبل فقتلوا عاصماً في سبعة . فنزل إليهم ثلاثة رهط بالعهد والميثاق منهم خبيب الأنصاري وابن دَثِنَة[(٤)] ورجل آخر ، فلما استمكنوا منهم أطلقوا أوتار قِسِيِّهم فأوثقوهم . فقال الرجل الثالث: هذا أول الغدر ، والله لا أصحبكم ، إن لي في هؤلاء لأسوة يريد القتلى ، فجرَّرُوه وعالجوه على أن يصحبهم فأبى فقتلوه فانطلقوا بخبيب وابن دثنة حتى باعوهما بمكة ... الحديث .[(٥)]

وجه الاستدلال: قال ابن تيمية:"فهؤلاء عشرة أنفس قاتلوا أولئك المائة أو المائتين ، ولم يستأسروا لهم حتى قتلوا منهم سبعة ، ثم لما استأسروا الثلاثة امتنع الواحد من اتباعهم فقتلوه ، وهؤلاء من فضلاء المؤمنين وخيارهم "[(٦)].

الدليل الثالث: ما رواه مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك أن رسول الله أُفرد يوم أحد في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش ، فلما رهِقوه قال: من يردهم عنا وله الجنة أو هو رفيقي في الجنة ؟ ، فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل ثم رهِقوه أيضاً ، فقال: من يردهم عنا وله الجنة أو هو رفيقي في الجنة ؟ ، فتقدم رجل من الأنصار ، فقاتل حتى قتل ، فلم يزل كذلك حتى قتل السبعة ، فقال رسول الله لصاحبه: ما أنصفْنا أصحابَنا .[(٧)]

وجه الاستدلال: دل الحديث على أن قيام الرجل الواحد من الصحابة لرد الجماعة من المشركين يعد من قبيل الاقتحام المظنون فيه الهلاك ، بدليل أن الأنصاريين السبعة قضوا نحبهم الواحد بعد الآخر ، وكان فعلهم هذا بأمره ، مع تنويهه بفضله والثواب المترتب عليه. ولهذا استدل البيهقي في سننه الكبرى بهذا الحديث وما جاء في معناه على هذا المعنى فقال:"باب من تبرع بالتعرض للقتل رجاء إحدى الحسنيين "[(٨)].

---

(١) قاعدة في الانغماس في العدو وهل يباح؟ / ٣٢

(٢) عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح الأنصاري (صحابي): جد عاصم بن عمر بن الخطاب لأمه، من السابقين الأولين من الأنصار، شهد بدراً، وبعثه رسول الله في أواخر السنة الثالثة على سرية في قصة طويلة وفيها أنه حين قتله بنو لحيان حي من هذيل أرسلت قريش ليأخذوا شيئاً من جسده، فبعث الله عليه مثل الظلة من الدُّبُر –ذكور النحل– فحمته منهم ولذلك كان يقال له: حَمِي الدُّبُر . ينظر: الطبقات الكبرى ٣ /٤٦٢، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٧٧٩/٢، الإصابة في تمييز الصحابة ٥٦٩/٣

(٣) الفَدْفَدْ: الموضع الذي فيه غِلظٌ وارتفاع . لسان العرب مادة (فدفد)٣٣٠/٣

(٤) زيد بن دَثِنة (صحابي): زيد بن دثنة ويقال ابن الدَّثِنة بن معاوية بن عبيد الأنصاري البياضي، شهد بدراً وأحداً، وأُسِر يوم الرجيع مع خبيب بن عدي فبيع بمكة من صفوان بن أمية فقتله وذلك في سنة ثلاث من الهجرة .

ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٥٥٣/٢، سير أعلام النبلاء ٢٤٦/١، الإصابة في تمييز الصحابة ٦٠٤/٢

(٥) رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير برقم (٣٠٤٥)

(٦) قاعدة في الانغماس في العدو وهل يباح؟ ص: ٥٢

(٧) رواه مسلم في كتاب الجهاد والسير برقم (١٧٨٩)

(٨) السنن الكبرى ٤٣/٩–٤٤

الدليل الرابع: عن ابن مسعود عن النبي قال:"عَجِب ربنا من رجلين: رجل ثار عن وطأته ولحافه من بين أهله وحبه إلى صلاته فيقول الله عز وجل: انظروا إلى عبدي ثار عن فراشه ووطأته من بين حبه وأهله إلى صلاته رغبة فيما عندي وشفقة مما عندي ، ورجل غزا في سبيل الله فانهزم أصحابه وعلم ما عليه في الانهزام وماله في الرجوع ، فرجع حتى يهريق دمه فيقول الله: انظروا إلى عبدي رجع رجاء فيما عندي وشفقة مما عندي حتى يهريق دمه"(١).

وجه الاستدلال: قال ابن تيمية:"هذا يدل على أن مثل هذا الفعل محبوب لله مرضي لا يكتفى فيه بمجرد الإباحة والجواز ... بل الحديث يدل على أن ما فعله هذا يحبه الله ويرضاه ، ومعلوم أن مثل هذا الفعل يقتل فيه الرجل كثيراً أو غالباً"(٢).

وقال ابن النحَّاس(٣)في مشارع الأشواق:"ولو لم يكن في الباب إلا هذا الحديث الصحيح لكفانا في الاستدلال على فضل الانغماس"(٤).

الدليل الخامس: حادثة البراء بن مالك في حرب المرتدين من أهل اليمامة كما رواها البيهقي وغيره عن مُحَّد بن سيرين(٥): أن المسلمين انتهوا إلى حائط قد أغلق بابه فيه رجال من المشركين ، فجلس البراء بن مالك على ترس فقال: ارفعوني برماحكم فألقوني إليهم ، فرفعوه برماحهم فألقوه من وراء الحائط ، فأدركوه قد قتل منهم عشرة .(٦)

وجه الاستدلال: في فعل البراء دليل على جواز حمل الواحد على جماعة من الأعداء ، وأنه لا يكون ملقياً نفسه في التهلكة ، لأنه يسعى في إعزاز الدين ، ويتعرض للشهادة .(٧)

ثم إن هذه الحادثة وقعت بمحضر من الصحابة ، ولم ينقل أن أحداً منهم أنكر على البراء فعله ، فيكون إقرار الصحابة لهذا الفعل دليل على جواز مثله .

القول الثاني: ذهب بعض المالكية إلى جواز اقتحام المجاهد صف الكفار وحده ، طلباً للشهادة ، ولو لم يكن في فعله نكاية بالعدو .(٨)

وقد نقل ابن العربي والقرطبي هذا القول عن بعض فقهاء المالكية ، فقالا:"إذا طلب الشهادة وخلصت النية فليحمل ؛ لأن مقصده واحد منهم"(٩).

ومن أدلة هذا القول:)

---

(١) رواه أحمد في مسنده ٤١٦/١، ورواه أبو داود (٢٥٣٦)، والحاكم وصححه ٢ /١١٢، وقال الهيثمي في المجمع ٢٥٥/٢: رواه أحمد وأبو يعلى، والطبراني وإسناده حسن . اهـ

(٢) قاعدة في الانغماس في العدو وهل يباح؟ ص:٥٥

(٣) ابن النحّاس: أبو زكريا أحمد إبراهيم بن مُحَّد الدمشقي ثم الدمياطي المعروف بابن النحاس، فرضي فاضل مجاهد، من فقهاء الشافعية، من مؤلفاته: مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق في الجهاد، المغنم في الورد الأعظم . لازم المرابطة والجهاد بثغر دمياط وقتل شهيداً في معركة مع الفرنج عام٨١٤هـ . ينظر: شذرات الذهب ١٠٥/٧، كشف الظنون ١٦٨٦/٢، الأعلام ٨٧/١

(٤) مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق ٥٣٢/١

(٥) مُحَّد بن سيرين: أبو بكر مولى أنس بن مالك، الإمام الرباني، كان فقيهاً إماماً غزير العلم ثقة ثبتاً علامة في التعبير رأساً في الورع، ت:١١٠هـ . ينظر: تهذيب الكمال ٣٤٤/٢٥، تذكرة الحفاظ ٧٧/١، سير أعلام النبلاء ٦٠٦/٤

(٦) السنن الكبرى للبيهقي ٤٤/٩، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ١٥٤/١–١٥٥، البداية والنهاية ٥ /٣٠، الإصابة في تمييز الصحابة ٢٨٠/١–٢٨١

(٧) شرح السير الكبير ١٦٣/١

(٨) الذخيرة ٣ /٤١٠

(٩) أحكام القرآن لابن العربي ١٦٦/١، تفسير القرطبي ٣٦٣/٢

الدليل الأول: قول الله سبحانه و تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ (٢٠٧) ﴾[١].

وجه الاستدلال: أنه إذا طلب الشهادة وخلصت نيته فهو داخل في عموم الآية ، والتغرير بالنفوس جائز في الجهاد إذا قصد به الشهادة .[٢]

ويجاب عليه: بأن التغرير في النفوس إنما جاز لما فيه من مصلحة إعزاز الدين بالنكاية في المشركين ، فإذا لم تحصل النكاية صار التغرير مفسدة محضة ليس في طيّها مصلحة لما فيه من فوات النفوس ، مع شفاء صدور الكفار ، وإرغام أهل الإسلام .[٣]

الدليل الثاني: عموم حادثة أبي أيوب في القسطنطينية المتقدمة آنفاً .

وجه الاستدلال: ظاهر كلام أبي أيوب أن مجرد تقحم صفوف العدو ليس من قبيل التهلكة المنهي عنها ، ولم يذكر فيه اشتراط النكاية .

وقد أجاب عن هذا الاستدلال ابن حجر الهيتمي[٤] في معرض رده على من استدل بكلام أبي أيوب على عدم اعتبار النكاية ، قال:"ولا شاهد في هذا لأن أبا أيوب لم يقل يحل إلقاء الإنسان نفسه في القتل من غير إظهار نكاية وهذا هو المدعى ... بل الظاهر من أحوالهم رضي الله عنهم أنهم ما أقدموا ذلك الإقدام الأعظم إلا لإيقاع نكاية في عدوهم ، هذا قصدهم"[٥].

القول الثالث: عدم جواز اقتحام المجاهد صف الكفار وحده مطلقاً ، ولو كان في فعله نكاية بالعدو ، وهذا هو القول مقابل الأظهر عند المالكية.[٦]

ومن أدلة هذا القول: عموم قوله تعالى ﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٩٥) ﴾[٧]

ويجاب عنه بما تقدم من تحقيق معنى الآية ، وأن الاقتحام إذا كان فيه نكاية بالعدو فإنه ليس من التهلكة المنهي عنها في الآية .

الترجيح وشروط جواز هذه الصورة:

بالمقارنة بين الأدلة ، والنظر إلى المناقشات أرى أن الراجح -والله أعلم - هو ما ذهب إليه جمهور الفقهاء من جواز الاقتحام المظنون فيه الهلاك ، بالشروط التالية:

الشرط الأول: الإخلاص لله تعالى:

بحيث يقصد المجاهد بعمله نصرة دين الله ، وإعلاء كلمته ، ولا يكون قصده إظهار شجاعة ولا طمعاً في غنيمة .[٨]

والأصل في هذا قول الله تعالى ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ (٥) ﴾[٩].

---

(١) [البقرة: ٢٠٧]

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ١٦٦/١

(٣) قواعد الأحكام ١/ ١١١. ١١٢

(٤) ابن حجر الهيتمي: أحمد بن مُحَمَّد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، فقيه شافعي باحث مصري، تلقى العلم في مصر ومات بمكة، له تصانيف كثيرة منها: تحفة المحتاج لشرح المنهاج في فقه الشافعية، الفتاوى الهيتمية وغيرها، ت:٩٧٤هـ . ينظر: كشف الظنون ٥٧/١، الأعلام ٢٣٤/١

(٥) الزواجر عن اقتراف الكبائر ٢٧٠/٢

(٦) حاشية الدسوقي على الشرح الكبير ١٨٣/٢

(٧) [البقرة: ١٩٥]

(٨) حاشية الصاوي على الشرح الصغير ٢٨٣/٢

(٩) [البينة: ٥]

والمجاهد في سبيل الله إنما يقاتل الكفار على الدين ليدخلوا من الكفر إلى الإسلام لا على الغلبة ، فينبغي للمجاهد أن يعقد نيته أن يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا ابتغاء ثواب الله ، فإذا عقد نيته على هذا فلا يضره إن شاء الله الخطرات التي تقع في القلب ولا تملك .(١)

الشرط الثاني: قصد النكاية بالعدو:

و النكاية بالعدو قد تكون مباشرة ، وقد تكون غير مباشرة .

فالنكاية المباشرة تتمثل في إنزال الضرر المباشر بالعدو ، كقتل أفراده ، أوتدمير منشآته ، ونحو ذلك .

وأما النكاية غير المباشرة فيراد بها الأعمال التي يترتب عليها النكاية بالعدو لا بذاتها بل بالنظر إلى ما يترتب عليها من آثار لاحقة ، كأن يكون في العمل تجرئة المسلمين على الاقتحام ، أو كسر معنويات الكفار ، لما في ذلك من المصلحة الشرعية المعتبرة في الجهاد .

جاء في شرح السير الكبير:"ولو أن مسلماً حمل على ألف رجل وحده فإن كان يطمع أن يظفر بهم أو ينكأ فيهم فلا بأس بذلك ... وإن كان لم يطمع في نكاية فإنه يكره له هذا الصنيع . لأنه يتلف نفسه من غير منفعة للمسلمين ، ولا نكاية فيه للمشركين"(٢).

وقال القرطبي:"وقال ابن خُوَيْز مَنْداد(٣): فأما أن يحمل الرجل على مائة أو على جملة العسكر أو جماعة اللصوص والمحاربين والخوارج فلذلك حالتان: إن علم وغلب على ظنه أن سيقتل من حمل عليه وينجو فحسن ، وكذلك لو علم وغلب على ظنه أن يقتل ولكن سينكى نكاية أو سيبلى أو يؤثر أثراً ينتفع به المسلمون فجائز أيضاً"(٤).

وفي حاشية الصاوي:"الجواز المذكور [أي جواز إقدام الرجل المسلم على كثير من الكفار] بشرطين: أحدهما: قصد نصر دين الله بأن لا يكون قصده إظهار شجاعة ولا طمعا في غنيمة ، ثانيهما: أن يعلم أو يغلب على ظنه نكايته لهم ، وإلا لم يجز ، وإن مات يكون عاصياً وإن كان شهيداً ظاهراً"(٥).

وقال العز بن عبد السلام:"التولي يوم الزحف مفسدة كبيرة ، لكنه واجب إن علم أنه يُقتل في غير نكاية في الكفار ، لأن التغرير في النفوس إنما جاز لما فيه من مصلحة إعزاز الدين بالنكاية في المشركين ، فإذا لم تحصل النكاية ، وجب الانهزام لما في الثبوت من فوات النفوس مع شفاء صدور الكفار ، وإرغام أهل الإسلام ، وقد صار الثبوت هنا مفسدة محضة ليس في طيّها مصلحة"(٦).

وقال ابن حجر:"وأما مسألة حمل الواحد على العدد الكثير من العدو فصرح الجمهور بأنه إن كان لفرط شجاعته ، وظنه أنه يرهب العدو الكثير بذلك ، أو يجرّئ المسلمين عليهم ، أو نحو ذلك من المقاصد الصحيحة فهو حسن ، ومتى كان مجرد تهور فممنوع ، ولاسيما إن ترتب على ذلك وَهَن في المسلمين"(٧).

---

(١) التاج والإكليل لمختصر خليل ٤ / ٥٣٦ –٥٣٧

(٢) شرح السير الكبير ١٥١٢/٤

(٣) ابن خُوَيْز مَنْداد: مُحَّد بن علي بن إسحاق بن خويز منداد، ويقال: خوازمنداد، الفقيه المالكي البصري، صنف كتباً كثيرة منها: كتابه الكبير في الخلاف وكتابه في أصول الفقه، وكتابه في أحكام القرآن وعنده شواذ عن مالك واختيارات وتأويلات لم يعرج عليها فقهاء المذهب، وكان في أواخر المائة الرابعة .

ينظر: الديباج المذهب ٢٦٨/١، لسان الميزان ٢٩١/٥

(٤) تفسير القرطبي ٣٦٤/٢

(٥) حاشية الصاوي على الشرح الصغير ٢٨٣/٢

(٦) قواعد الأحكام ١/ ١١١. ١١٢

(٧) فتح الباري ١٨٥/٨

الشرط الثالث: أن لا يترتب على هذا العمل مفسدة أكبر من مصلحته:

من المعلوم أن أعمال الجهاد مبنية على تحقيق المصالح للمسلمين ، ولا شك أن مراعاة المصلحة العامة للمسلمين عند القيام بهذه الأعمال آكد من مصلحة حصول الشهادة للمجاهد .

ومن المعقول الصحيح أنه ليس من مصلحة الجيش المسلم أن يتدافع الناس إلى مثل هذه الأعمال من تلقاء أنفسهم - ولا سيما قبل المصافة والالتحام - ، إذ قد يكون في إقدامهم على هذه الأعمال ضرر على قوة الجيش أو معنويات أفراده ، أو إخلال بالخطة التي رسمها أمير الجيش لقتال العدو .

ومن الأمثلة العملية على ذلك ما جاء في شرح السير الكبير:"ولو أن سرية دخلت أرض العدو ، فكانوا بالقرب من عسكر عظيم من العدو لا يعلمون بهم ، فأراد رجل من المسلمين أن يحمل عليهم كرهت له ذلك لأن في فعله هذا دلالة على المسلمين ، وليس بالمسلمين قوة على أن ينتصفوا منهم بعلمهم ، ولا رخصة في الدلالة على المسلمين ليقتلوا أو يؤسروا .

ولو كان علموا مكان المسلمين ولم يعرضوا لهم فلا بأس للمسلم أن يحمل عليهم ، إذا كان فعله ينكأ فيهم"[(١)] .

ومن الأمثلة أيضاً على مراعاة المصالح والمفاسد: ما ذكره بعض أهل العلم في المبارزة من نهي قائد الجيش أن يبارز بنفسه .

قال ابن جماعة:"لا يجوز لزعيم الجيش أن يبارز بنفسه"[(٢)] .

والعلة من هذا النهي – والله تعالى أعلم - دفع الضرر العام الذي يلحق الجيش بانهزام الأمير أو قتله ، كما عبر بعضهم عن هذا المعنى بقوله:"أن لا يدخل بقتله ضرر علينا بهزيمة تحصل لنا لكونه كبيرنا"[(٣)] .

الشرط الرابع: اشتراط الإذن العام من الأمير للقيام بهذه الأعمال:

تقدم الكلام على اشتراط إذن الإمام العام للخروج إلى الجهاد ، وقد اختلف أهل العلم في اشتراط الإذن الخاص لبعض الأعمال القتالية الأخرى ، كالمبارزة [(٤)] .

فهل يكفي الإذن العام لاقتحام صفوف الكفار ، أم أنه لا بد من إذن خاص ؟ .

نص ابن قدامة في المغني على عدم اشتراط إذن الإمام لاقتحام صفوف العدو ، وعدم صحة قياس الاقتحام على المبارزة المختلف فيها لوجود الفرق بين الصورتين ، فقال:"ينبغي أن يستأذن الأمير في المبارزة إذا أمكن ... فإن قيل: فقد أبحتم له أن ينغمس في الكفار وهو سبب لقتله . قلنا: إذا كان مبارزاً تعلقت قلوب الجيش به ، وارتقبوا ظفره ، فإن ظفر جبر قلوبهم وسرهم وكسر قلوب الكفار ، وإن قتل كان بالعكس ، والمنغمس يطلب الشهادة ، لا يترقب منه ظفر ولا

---

(١) شرح السير الكبير ١٦٠٧/٤

(٢) تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام ص:٨١

(٣) أسنى المطالب ١٩٢/٤، تحفة المحتاج ٢٤٥/٩

(٤) اختلف العلماء في اشتراط إذن الإمام للمبارزة على أقوال:

الأول) أنه شرط . وهو مذهب الثوري والأوزاعي وأحمد وإسحاق وأحد قولي المالكية . التاج والإكليل ٥٥٧/٤، منح الجليل ١٦٧/٣، المغني ١٧٦/٩-١٧٧، الفروع ٢٠٨/٦

الثاني) أنه ليس بشرط، لكن يكره . وهو مذهب الشافعية وبعض المالكية . نهاية المحتاج ٦٦/٨، أسنى المطالب ١٩٢/٤، منح الجليل ١٦٧/٣

الثالث) تجوز المبارزة بلا إذن ما لم ينه الإمام . وهو مذهب الحنفية . شرح السير الكبير ١٧٣/١

مقاومة . فافترقا ... بل المختلف فيها أن يبرز رجل بين الصفين قبل التحام الحرب ، يدعو إلى المبارزة ، فهذا هو الذي يعتبر له إذن الإمام ، لأن عين الطائفتين تمتد إليهما ، وقلوب الفريقين تتعلق بهما ، وأيهما غلب سر أصحابه ، وكسر قلوب أعدائه ، بخلاف غيره"[(١)]

وهذا الكلام من ابن قدامة لا ينبغي أن يفهم منه عدم اشتراط الإذن مطلقاً في جميع الأحوال ، فقد ذكر ابن قدامة في أصل هذه المسألة أنه "إذا غزا الأمير بالناس ، لم يجز لأحد أن يتعلف ، ولا يحتطب ، ولا يبارز علجاً ، ولا يخرج من العسكر ، ولا يحدث حدثاً إلا بإذنه ، يعني لا يخرج من العسكر لتعلف ، وهو تحصيل العلف للدواب ، ولا لاحتطاب ، ولا غيره إلا بإذن الأمير ... لأن الأمير أعرف بحال الناس ، وحال العدو ، ومكامنهم ، ومواضعهم ، وقربهم وبعدهم"[(٢)].

فالذي يظهر من هذا الكلام ، وبتأمل ما ذكره ابن قدامة آنفاً من التعليل في مسألة الاقتحام: أن نفيه اشتراط إذن الأمير إنما هو في حالة المصافة والالتحام ، وقيام الحرب بين الطرفين ، بحيث لا يحتاج إلى إذن لأن هذه القرائن تكون كالدلالة في الإذن ، أما قبل المصافة والالتحام فإنه لا يجوز أن يحدث أحد حدثاً دون إذن الأمير ، سواء كان ذلك عملاً عسكرياً أو ما دونه من الأعمال كالاعتلاف أو الاحتطاب ونحوه مما ذكره ابن قدامة .

والعلة في هذا أن الأمير أعرف بحال الناس ، وله نظر في ترتيب الجيش ، وتقدير القتال ، والهجوم على العدو .

ويرى د. مُحَّد خير هيكل في كتابه (الجهاد والقتال في السياسة الشرعية): أنه لا بد من وجود جهة تكون هي المرجع في تقدير هذه المخاطرة نفعاً وضرراً ، فإن كان هناك أمير للجماعة المقاتلة فهو الذي يعود إليه التقدير ، ويجب أن يوقف عند رأيه في هذا الأمر . أما إذا لم يكن هناك أمير ، أو تعذر استئذان الأمير ورأى المُخاطِر أن هناك نفعاً محققاً من وراء مخاطرته فلا بأس أن يغامر ، ما لم يصدر نهيٌ سابقٌ عن المغامرة بأية حال .[(٣)]

قلت: ومما يدل على أنه يجب الوقوف عند نهي الأمير عن مثل هذه الأعمال ما رواه مسلم أيضاً عن حذيفة بن اليمان قال: لقد رأيتنا مع رسول الله ليلة الأحزاب وأخذتنا ريحٌ شديدةٌ ، وقرٌ ، فقال رسول الله: ألا رجل يأتيني بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة ، فسكتنا فلم يجبه منا أحد . ثم قال: ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة ، فسكتنا فلم يجبه منا أحد . ثم قال: ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة ، فسكتنا فلم يجبه منا أحد . فقال: قم يا حذيفة فأتنا بخبر القوم . فلم أجد بداً إذ دعاني باسمي أن أقوم . قال: اذهب فأتني بخبر القوم ، ولا تذعرهم علي . فلما وليت من عنده جعلت كأنما أمشي في حمام ، حتى أتيتهم فرأيت أبا سفيان يصلي ظهره بالنار ، فوضعت سهماً في كبد القوس فأردت أن أرميه ، فذكرت قول رسول الله ولا تذعرهم علي . ولو رميته لأصبته فرجعت وأنا أمشي في مثل الحمام ، فلما أتيته فأخبرته بخبر القوم وفرغت قررت فألبسني رسول الله من فضل عباءة كانت عليه يصلي فيها ، فلم أزل نائماً حتى أصبحت فلما أصبحت قال: قم يا نومان"[(٤)].

فقد هم حذيفة أن ينتهز الفرصة التي قل أن تسنَح لمثله ويقتل أبا سفيان زعيم الكفار حينئذ ، لكنه ترك ذلك بسبب نهي النبي عن مثل هذه الأعمال .

وبالنظر في النقول المتقدمة ، يظهر لي أن صورة اقتحام صفوف العدو لا تخلو من حالتين:

الأولى) أن تكون في غير حال المصافة والالتحام: فلا يجوز الإقدام عليها قبل استئذان الأمير ، إلا مع عدم وجود الأمير أو تعذر استئذانه .

---

(١) المغني ٩/١٧٦-١٧٧

(٢) المصدر السابق ٩/١٧٦

(٣) الجهاد والقتال في السياسة الشرعية ١/٢٤٢

(٤) تقدم تخريجه ص: – ٤١٣ – من هذا البحث .

الثانية) أن تكون في حال المصافة والالتحام: فيجوز الإقدام عليها دون إذن الأمير اعتباراً بوجود دلالة الإذن ، ما لم يصدر من الأمير نهي سابق عنها . والله أعلم .

هذا ، وخلاصة ما سبق ذكره في شروط جواز الاقتحام المظنون فيه الهلاك أن يشترط لجواز القيام به ما يلي:

الإخلاص لله تعالى .

وجود النكاية بالعدو ، سواء كانت النكاية مباشرة ، أو غير مباشرة .

أن لا يترتب على هذا العمل مفسدة أكبر من مصلحته .

إذا كان العمل في غير حال المصافة والالتحام فيشترط للقيام به إذن الأمير ، وأما إن كان في حال المصافة والالتحام فلا يشترط له إذن ما لم يصدر من الأمير نهي سابق .

المبحث الخامس

كيف نجاهد

ها قد وصلنا إلى آخر المطاف إلى المحطة الأخيرة ، فبعد أن عرفنا أسباب الجهاد ولماذا نجاهد وحددنا العدو وعرفنا من نجاهد وعرفنا متى نجاهد والوقت الذى نحدده تبعاً للمناط الذي يتنزل عليه فرض العين وفرض الكفاية وحددنا الراية التى نجاهد تحتها وحددنا وجهتنا إلى الأرض التى نجاهد فيها وعرفنا أين نجاهد بقى أن نعرف كيف نجاهد ولكن قبل الحديث عن كيفية الجهاد وقبل إزهاق الروح ومواجهة العدو هنا مسألة ترد كثيراً على أذهان المجاهدين وهى :

إذا كان الله فرض علينا القتال والجهاد وبذل النفس والمال والولد وكل غال فى سبيل ذلك ، فما هى أهداف الجهاد والحكمة من مشروعيته والغاية منه ، والفوائد المترتبة على ممارسته ،؟

وقد تكلمنا فى المقدمة عن أهداف الجهاد والحكمة من مشروعيته[1] ونجملها باختصار

ونقول أن من أهداف الجهاد بعد تعبيد الناس لرب الناس

١ __رد اعتداء المعتدين على المسلمين

٢ __إزالة الفتنة عن الناس حتى يستمعوا إلى دلائل التوحيد من غير عائق

٣ __حماية الدولة الإسلامية من شر الكفار

٤ __قتل الكافرين وإبادتهم ومحقهم وإزالة الكفر من على الأرض

٥- إرهاب الكفار وإخزاؤهم وإذلالهم وإيهان كيدهم وإغاظتهم

٦ __إظهار عزة الإسلام وإعلاء كلمته على كلمة الكافرين

٧ __بالجهاد تمكن المسلمون من نشر دينهم والدعوة إليه فى أمان ويسر

أما فوائد ممارسة الجهاد فهى كثيرة عظيمة وتحقق مصالح كريمة منها :

١ __كشف المنافقين والخونة والجواسيس والعملاء فإن المسلمين فى حال الرضا والسعة ينضاف إليهم غيرهم ممن يطمعون في تحقيق مكاسب مادية وهم لا يريدون رفع كلمة الله على كلمة الكفر ،بل فيهم جواسيس وعملاء للأعداء سواء الحكام المرتدين في الداخل أو العدو في الغرب الكافر من أهل الصليب وقد يتصفون الإخلاص فيخفى أمرهم على كثير من المسلمين وأكبر كاشف لهم هو الجهاد لأن في الجهاد بذلا لأغلى مايملك الإنسان غير عقيدته وهو روحة التي بين جنبيه والمنافق ما نافق إلا ليحفظ روحه وليوفر لنفسه ملذاتها فإذا دعا داعي الجهاد الذي قد يعرضه لفقد روحه إنكشف نفاقه للناس وقد كان أمراء الجهاد عندما يشكون في فرد أو تحوم حول شخص الشبهات والعمالة والتجسس كانوا يقدمونه في الخطوط الأمامية ويرشحونه للعمليات الإستشهادية فإن أقدم ظهرت براءته وحسن طوبته وإن أحجم كشف أمره وفضحت سريرته وعومل بما يستحق لقوله تعالى "مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ "١٧٩أل عمران

ويقول سبحانه" وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ "مُحَّد ٢٠

ويقول سبحانه مبيناً حالهم "وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ "٤٩ التوبة

ومعرفة المؤمنين للمنافقين فيها فوائد لا تحصى

فإنهم العدو الداخلي وخطرهم يفوق خطر العدو الخارجي فإذ عرفوا منعوا من الغزو مع المسلمين ولا يستمع المؤمنون بما يعرضون عليهم من أراجيف وتثبيط ومن أقاويل يلبسونها ثياب النصح والإرشاد والإصلاح فهم أولى بالقتال والجهاد كما أمر الله المؤمنين بجهادهم والإغلاظ عليهم فقال سبحانه "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ "التوبة ٧٣ .والتحريم ٩

٣-ومن فوائد الجهاد تمحيص المؤمنين من ذنوبهم .

فإن المجاهد المسلم إذا أخلص النية لله ,إذا حضر المعركة فقتل الكفار نال ثواباً عظيماً ,وإذا خالط قلبه الرهج والخوف في سبيل الله تحاتت عنه خطاياه وأما إذا قتله الكفار فذالك الفوز الذي لا يعدله فوز ،هو الفوز الذي لا خسارة بعده والنعيم المقيم بجوار رب العالمين الشهادة وما أدراك ما الشهادة نسأل الله من فضله العظيم أن يرزقنا شهادة في سبيله يرضى بها عنا اللهم أعطنا ما نتمنى ولا تحرمنا نصرة دينك والجهاد والشهادة في سبيلك

يقول صلي الله عليه وسلم كما في صحيح البخاري "ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلي الدنيا وله ما علي الأرض من شيء إلا الشهيد يتمني أن يرجع فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة "البخاري مع الفتح ٣٢-٦

والمقصود هنا أن الشهادة في سبيل الله وتكفير الذنوب هدف رفيع وفائدة عظيمة تعود علي المسلمين من جهادهم .

يقول تعالى "وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ" آل عمران ١٤٠-١٤٢

[1] **(١)انظر أهداف الجهاد وغايته للعليانى ص٥ وما بعدها**

وقد أدرك الصحابة رضوان الله عليهم هذا الهدف الرفيع وهو تمحيص الذنوب وهذه الفائدة العظيمة والمنزلة الرفيعة وهى الشهادة فشمروا وتسابقوا للفوز بذلك يقول ابن إسحاق عن أصحاب غزوة مؤته" ثم مضوا حتى نزلوا معاناً من أرض الشام فبلغ الناس أن هرقل قد نزل من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم ومائة ألف من المستعربة فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على معان ليلتين ينظرون في أمرهم وقالوا نكتب إلى رسول الله ﷺ نخبره بعدد عدونا فإما أن يمدنا بالرجال وإما أن يأمرنا بأمره فنمضى إليه ، فشجع الناس عبد الله بن رواحة وقال يا قوم والله إن التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون الشهادة وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة مانقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين إما ظهور وإما شهادة ،فقال الناس :قد والله صدق ابن رواحه فمضى الناس "البداية والنهاية ٢٤٣/٤

<u>٤-ومن فوائد الجهاد تربية المؤمنين على الصبر والثبات والطاعة وبذل النفس</u>وغير ذلك من الفوائد التربوية فإن الركون إلى الراحة والدعة وعدم ممارسة الشدائد والصعاب تورث العبد ذلاً وخمولاً وتشبثاً بمتاع الدنيا ، وخوض المعارك ومقارعة الأعداء والتعرض لنيل رضا الله في ساحات الوغى يصقل النفوس ويهذبها ويذكرها بمصيرها ويوجب لها استعدادا للرحيل ، حتى تصبح ممارسة الجهاد عادة لها تشتاق له كما يشتاق الخاملون للقعود والراحة وتتربى في النفس البشرية من الجهاد صفات كثيرة كصفة الشجاعة والنجدة والصبر والنخوة والعفو ونحو ذلك من الصفات المحمودة ويزول من النفس ما يقابلها من الصفات المذمومة كصفة الجبن والأنانية وهذا الذي فهمه الطواغيت ودرسوا أثاره السلبية على سلوكيات المسلم الأسير عند اعتقاله فهذا المجاهد الذي كان يجاهد هؤلاء الطواغيت في الداخل والخارج وخرج بنفسه وترك ماله وولده في سبيل الله وكان يتربص بهؤلاء المرتدين والكفار الصليبين وكانت فيه من الشجاعة والنجدة والإقدام والصدع بالحق ما كان يبث الرعب في قلوب الأعداء ، ففهم الطواغيت أن ما وصل هذا المسلم المجاهد إلى هذه الدرجة من الشجاعة والإقدام إلا الزهد في الدنيا والإقبال على الآخرة طمعاً فيما عند الله من الأجر والثواب وتكفير الذنوب والشهادة فعندما وقع بعض هؤلاء في الأسر أخذ الطاغوت يستميلهم ويحتويهم وعلم أنه كلما ضيق عليهم في الأسر ارتفعت معنوياتهم وزادت الألفة والمحبة بينهم وقويت رابطة الأخوة الإيمانية وظهر الإثار والتفاني في خدمة الإخوان لأنه ليس ثم دنيا يتقاتلون عليها وزادت عداوتهم للطاغوت وأظهروا هذه العداوة لأعوان الطاغوت فكانوا يداً واحدة على عدوهم ففهم الطاغوت ذلك وفتح عليهم أبواب كل شيء فتح أبواب الزنازين والعنابر المغلقة وفتح عليهم الزيارة والطعام والشراب وفتح عليهم الدنيا فتنافسوها فيما بينهم وتحول الإثار إلى بخل وشح وحقد وحسد وكراهية ونفور بعضهم من بعض بسبب هذه الدنيا التي فتحت عليهم واستغل الطاغوت كل ذلك وسمح بدخول وتداول الكتب التي تدعو إلى محاربة الجهاد وتدعو إلى أسلمة الطواغيت وتلك التي تسمى اليهود والنصارى أهل ذمة وأهل عهد وصلح وأمان وبالتالي فلا يجوز قتال هؤلاء المحتلين الغاصبين بلاد المسلمين بموجب هذه الاتفاقيات ومع مرور الوقت وطول زمن الأسر روض الطاغوت البعض واحتوى البعض الآخر واستمالهم معه ضد إخوانهم كل ذلك بالبعد عن الجهاد وأرض الجهاد وحب الاستشهاد فساحات الجهاد حقاً هي أرض العزة والشهادة والمروءة ، هي أرض الآخرة لأنها تذكر بالآخرة والموت الذي ننتظره في كل لحظة فاللهم فك أسرنا وأسر المأسورين في سبيلك في كل مكان وافتح لنا يا ربنا أبواب رحمتك إلى أرض الجهاد وارزقنا الشهادة في سبيلك نصرة لدينك وعبادك الموحدين المجاهدين .

<u>٥-ومن فوائد الجهاد أيضاً الحصول على الغنائم والسبي وإن لها لموقعاً في النفس البشرية ولذلك</u> كان النبي ﷺ يعطي القاتل سلب المقتول وينفل جزءاً من الغنيمة لبعض الجيش إذا قاموا بعمل حربي بمفردهم .وقال لبعض أصحابه لما بلغه خبر عير أبى سفيان راجعة من الشام "هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها "

وقال ﷺ حين خروجهم من المدينة قصداً التعرض لعير قريش "اللهم إنهم حفاة فاحملهم اللهم إنهم عراة فاكسهم اللهم إنهم جياع فأشبعهم "

قال القرطبي في تفسيره "ودل خروج النبي ﷺ ليلقى العير على جواز النفير للغنيمة لأنها كسب حلال وهو يرد ما كره مالك من ذلك إذ قال ذلك قتال على الدنيا ، وما جاء أن من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله دون من يقاتل للغنيمة ، يراد به إذا كان قصده وحده وليس للدين فيه حظ ٣٧٦/٧

وقال أيضاً "ثم قيل الأسباب التي يطلب بها الرزق ستة أنواع أعلاها كسب نبينا مُحَمَّد ﷺ قال "جعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري "أخرجه الترمذي وصححه ، فجعل الله رزق نبيه ﷺ في كسبه لفضله وخصه بأفضل أنواع الكسب وهو أخذ الغلبة والقهر لشرفه "١٠٨/٨

وقال الشوكانى في النيل "قال بن أبى حمزة ذهب المحققون إلى أنه إذا كان الباعث الأول قصد إعلاء كلمة الدين لم يضره ما ينضاف إليه "نيل الأوطار ٢٤٤/٧

وبهذا يظهر والله أعلم أن قصد الغنيمة يكون من أهداف الجهاد التابعة لا الأصلية والذي لا يجاهد إلا للغنيمة فلا خير في جهاده لأن الهدف الأصلي للجهاد هو إعلاء كلمة الله وخفض كلمة الطاغوت ومد سلطان الله على الأرض فإذا قصد المسلم بجهاده هذا ثم اشتاقت نفسه ورغبت في الحصول على غنيمة من الكفار بعد كسر شوكتهم والاستيلاء عليهم فلا حرج في ذلك إن شاء الله تعالى [1]

مسألة :حكم إستحلال الكفار والإستيلاء على أموالهم

هذه مسألة فى غاية الخطورة إذ هى تدور بين الأصل وهو إستباحة أموال المرتد وعرضه وهدر دمه سواء كان مرتداً أو محارباً وبين ما يتفرع من هذا الأصل وهو مراعاة المصالح وتجنب المفاسد والذي لا يفهم هذه المسألة فهماً سنياً على منهاج النبوة سيقع حتماً فى المخالفة ويجنح ولابد إما إلى الإفراط وإما إلى التفريط ومن وجهة نظري أن الذي يمنع الدعاة وأهل العلم من التفصيل في هذه المسألة هو الخشية من أن يفهمها الشباب علي غير حقيقتها أو خوف الداعية من أن يتهم بالغلو في التكفير واستحلال أموال المسلمين أو الخوف من بعض الشباب المتهور حديثي الإلتزام الذي لم يثبت الإيمان في قلبه ويذوق طعم الحلال وينشرح صدره بنور العلم من أن يقوم بتطبيق هذا الفهم على الواقع تحقيقاً لأهوائه ومصالحه الشخصية منطلقاً من الهوي والجهل وحب الذات والحرص علي الدنيا ومتاعها وهذا ما يتنافي مع المجاهد الموحد الذي يزهد في الدنيا ومتاعها ويتركها لأهلها ابتغاء ما عند الله تعالي وما أعده لأهل التوحيد والجهاد فالمجاهد الحقيقي غير حريص علي الدنيا متخفف من متاعها بقدر حاجته فالأصل هو الإستيلاء علي أموال الكفار المحاربين وإستحلالها وهدر دم المرتد ولاسيما إذا كان هذا الكافر سيستغل هذه الأموال في محاربة الدعوة والصد عن سبيل الله ومحاربة الإسلام والمسلمين فيجب الإستيلاء علي الأموال وهدر دم المتربصين بالدعوة واغتيالهم كما فعله النبي صلي الله عليه وسلم في بدر وغيرها وكما فعله صحابته رضي الله عنهم من الإغارة علي الكفار واعتراض قوافل تجارتهم والإستيلاء عليها وكذلك بعث من يقوم باغتيال المحاربين للدعوة الذين يمثلون حجر عثرة في سبيل تقدم الإسلام ونشر الدعوة الإسلامية كما فعله النبي صلي الله عليه وسلم مع المتربصين بالدعوة المحاربين لها أمثال كعب بن الأشرف وأبو رافع اليهودي وغيرهما وما خرج النبي صلي الله عليه وسلم إلا للإستيلاء علي عير قريش وأموالهم في بدر حتى قال بعض الصحابة عندما فلتت العير ما خرجنا للقتال وإنما خرجنا للعير وقد قص الله تعالي خبرهم في سورة آل عمران والأحزاب

وكذلك بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة يعترض عير قريش وهي سرية القردة من أرض نجدوسيأتي تفصيل ذلك وهذا مما يدلك على أن الأصل هو جواز الإستلاء على أموال الكافر المحارب والمرتد واستحلال أموال الحكومات المرتدة شرط ألا يقع ظلم على مسلم أو ذمي أو معاهد لأن الظلم لايجوز مطلقاً مع المسلم وغيره سواء وهذا مما لا خلاف فيه بين أهل التوحيد والجهاد من أهل السنة ، ولكن الإختلاف في تقدير المصالح والمفاسد والموازنة بينهما وتطبيق هذا الفهم علي الواقع وتحرير المناط الذي يتنزل عليه هذا الأصل وتحقيق المصلحة للجماعة المسلمة عامة بمعني .

أنه يجوز الإستيلاء علي أموال الكافر المحارب الذي ثبتت محاربته للإسلام والمسلمين بيقين لا شك فيه وبعلم لا شبهة فيه وكذلك المرتد بيقين لا بهوى ولا شبهة ولا بظن ولا بتأويل فإذا ثبت كفره وردته ومحاربته وجب أخذ ماله وإستحلال دمه لكن النظر فيما إذا كان قتل هذا الكافر وإستحلال ماله سيعود علي الجماعة المسلمة بالمصالح الكثيرة ولا يكشف أمر قاتله وإن كشف فإنه لا ينسب إلي الجماعة المسلمة أهل الإلتزام والدين والأموال ستعود علي الجميع من أرامل وأيتام وتجهيز وإعداد خلاف ما فيه ضعف للكافر واستنزاف موارده التي يتقوى بها علي محاربة الشريعة مع الإعداد الجيد لمثل هذه العمليات ودراستها دراسة وافيه من جميع الجوانب مع لزوم تقوي الله والبعد عن المصالح الذاتية والأهواء الشخصية والأغراض الدنية فهذا يقدم عليه ولا حرج إن شاء الله لأن المصلحة متحققة عامة والمفسدة إن وقعت فهي قاصرة علي من قام بها ولا تنسب إلي أهل الدين وهذا في زمن الإستضعاف وغياب الشريعة أما لو قام شخص وحده بإستحلال أموال الكافر ودمه لحساب مصالحه الشخصية الذاتية فإذا عرف نسب إلي الجماعة المسلمة وأهل الدين والإلتزام فهذا لا يجوز له الإقدام عليه لما في ذلك من المفاسد العظيمة التي تعود علي الجماعة المسلمة وأهل الدين وتعوق مسيرتهم وتشوب جهادهم شوائب قاتله من التفرق والتمزق ولاسيما أنه لا يعود عليها من هذا المال شيء ولا يستفيد منه الأرامل والأيتام وأسر الشهداء والمعتقلين ولا فك أسرهم فهنا المفسدة متحققة راجحة فلا يجوز الإقدام علي مثل ذلك أما لو قام بها الشخص ولم يعرف ولم يكشف أمره ولا ينسب إلي الكل فهو جائز وإن كان هناك إحتمال لمعرفته فالأولى ترك ذلك والسلامة لا يعدلها شيء بهذا التفصيل تتضح المسألة وتبنى على الأصل وما يتفرع منه على ما سبق إقداماً وإحجاماًوهذا نوع من أنواع الجهاد قام به النبي ﷺ وصحابته الكرام-كما تقدم –فلا شبهة فى حله ولكن ينظر فيما يترتب على هذا الفعل من المصالح والمفاسد التي تعودعلى الفرد

[1] **(١)أهداف الجهاد وغايته للعلياني ص ٧٧بتصرف**

والجماعة المسلمة وبهذا يتضح قول العلماء ومقصودهم لقول النبي ﷺ "جعل رزقي تحت ظل رمحي "فجعل الله رزق نبيه ﷺ في كسبه لفضله وخصه بأفضل أنواع الكسب وهو أخذ الغلبة والقهر لشرفه كما قال ذلك القرطبى وغيره من العلماء .ولاسيما أن هذه الأموال لو تركت في يد الكافر والمرتد مع القدرة على الإستيلاء عليها بالغلبة والقهر والإستحلال ستذهب هذه الأموال لمحاربة الإسلام والمسلمين وشراء الأسلحة وأدوات التعذيب وتقوية حصونهم للصد عن سبيل الله فترك هذه الأموال فى أيدى الكفار المحاربين لدين الله مع القدرة على أخذها –بالتفصيل السابق -لهو مشاركة فعليه لهؤلاء الكفرة في محاربة الإسلام –وكأنك بفعلك هذا تساعدهم وتمكن لهم من إمتلاك الأسلحة والوسائل الأخرى التى تمكنهم من محاربة أهل الإسلام وأهل التوحيد والجهاد وهذا شئت أم أبيت تدخل في النصرة ويلحقك الإثم ، و هذا التفصيل عند كثير من أهل العلم يعرفونه لا يجهلونه ولكن للأسباب السالفة لا يتكلمون فيه خشية أن يتهمهم الجهلة بالغلو فى التكفير واستحلال دماء وأموال المسلمين مع أن المجاهد المسلم أبعد عن أكل الحرام والشبهات الموصلة إليه من غيره إذ هو ينظر إلى رضوان الله ولن يكون ذلك إلا لطاعته اللهم ارزقنا حلالاً طيباً وبارك لنا فيه واغننا من فضلك العظيم .

وهذه الأدلة السابقة على استحلال أموال الكفار والإستيلاء عليها فيها رد على بعض الدعاة الذين يقولون إن أموال الكفار لاتحل إلا فى الحرب غنيمة أو فيئ !!!!

وفعل النبى ﷺ هو الضابط فى ذلك ،وكذلك فعل أبو بصير وابى جندل ومن معهما من الصحابة رضى الله عنهم جميعاً الذين لحقوا بهما وقطعهم الطريق على قوافل قريش والإستيلاء عليها بإقرار النبى ﷺ ،ويبقى تحرير المناط والموازنة بين المصالح والمفاسد بما يحقق مقاصد الشريعة ومن أجل ذلك قلنا بالتفصيل والضوابط والشروط السابقة والله أعلى وأعلم .

الغاية من الجهاد

إن الغاية التي يتوقف عندها الجهاد هي إسلام أهل الأرض كلهم واعتناقهم عقيدة الإسلام من غير أهل الكتاب والمجوس الذين يسن بهم سنة أهل الكتاب فإذا دفعوا الجزية ملتزمين لأحكام الإسلام القضائية حال كونهم في ذل وصغار فإن المسلمين يوقفون جهادهم ويكفون عنهم ويحمونهم من عدوهم ، ما داموا ملتزمين بعقد الذمة ولم ينقضوه بأي ناقض .

ولن يتوقف الجهاد الإسلامي مدى الحياة لأن الشيطان مستمر في إغواء بعض البشر والصراع بين الحق والباطل سنة إلهية لا تنتهى حتى ينتهى وجود البشر في هذه الأرض .

فعن جبير بن نفير أن سلمة بن نفيل أخبرهم أنه أتى النبي ﷺ فقال إني سئمت الخيل وألقيت السلاح ووضعت الحرب أوزارها قلت لا قتال فقال النبي ﷺ الآن جاء القتال لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الناس يرفع الله قلوب أقوام فيقاتلونهم ويرزقهم الله منه حتى يأتي أمر الله عز وجل وهم على ذلك إلا أن عقر دار المؤمنين الشام والخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة "المسند صحيح .

وقال النبي ﷺ كما في المسند والصحيحين "من يرد الله به خيراً يفقه في الدين ولا تزال عصابة من المسلمين يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم إلى يوم القيامة .

وقال البخاري رحمه الله –باب الجهاد ماض مع البر والفاجر لقول النبي ﷺ الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة"

"وفسر الإمام أحمد الخير بالأجر والمغنم "والمغنم المقترن بالأجر إنما يكون من الخيل والجهاد وبهذا يظهر أن الجهاد مستمر إلى قيام الساعة وأنه لا ينتهي جهاد الكفار إلا إذا أسلموا أو خضعوا لحكم الإسلام ودفعوا الجزية حال كونهم متلبسين بالذل والصغار "أهداف الجهاد للعلياني ص ٨٠

فصل

الأجر في الجهاد لا يحصل إلا بالنية الصالحة[١]

١ **(١)انظر المشارع صفحة ٥٩٣حتي صفحة ٦٤٦**

الطريق لرفع رايه التوحيد

فأولى خطوات كيفية الجهاد والنزول إلى الميدان النية الصالحة ، فيجب على المجاهد ان يخلص نيته في جهاده لله رب العالمين لأن العمل وقبوله مداره على النية والإخلاص وهنا ترد مسألة مهمة وهي :

هل لو إختلطت النية تبطل العمل ؟

بمعنى أن البعض يقاتل بغضاً في المرتدين أو الأمريكان فقط وليس لكفرهم ،

والبعض يقاتل من أجل إخوة العروبة وبلاد العرب

أو بعضهم يقاتل شفقة ورحمة ونصرة للمظلوم ،

وبعضهم يقاتل من أجل تحرير الأرض العربية من اليهود والأمريكان وأهل الصليب

وبعضهم يقاتل للحصول على عرض من أعراض الدنيا كشهرة ورياسة وزوجة ومال وشرف ، وبعضهم يقاتل من أجل حزبه وجماعته وعشيرته بغض النظر عن الدين والإلتزام به فهل كل ذلك يحبط العمل ؟

ولتفصيل ذلك وبيان أنواع النيات يقول ربنا عز وجل في سورة الزمر " أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ "

"وقال سبحانه فى سورة البينة "وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ "

وقال رسول الله ﷺ "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه "رواه البخاري ومسلم وأصحاب السنن الأربعة من حديث عمر رضي الله عنه فهذا الحديث الجليل أصل من أصول الإسلام وعليه مدار الدين إذا لا يصح عمل بغير نية ولا تغني النية عن العمل إذ لابد من العمل ولابد من النية الصالحة لقبول هذا العمل مع الإخلاص لله تعالي ومتابعة رسوله صلي الله عليه وسلم لكن لا تغني النية عن العمل الصالح في حالة العذر والعجز المطلق ودليل ذلك ما رواه الإمام مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال كنا مع النبي صلي الله عليه وسلم في غزاه فقال " :وإن بالمدينة لرجالاً ما سرتم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم حبسهم المرض "وفي رواية إلا شاركوكم في الأجر"

وكذلك ما رواه الإمام البخاري رضي الله عنه من حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلي الله عليه وسلم رجع من غزوة تبوك فدنا من المدينة فقال "إن بالمدينة أقواماً ما سرتم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم "قالوا يا رسول الله وهم بالمدينة قال "وهم بالمدينة حبسهم العذر "

فهذا الحديث وغيره يقتضي أن صاحب العذر يعطى أجر الغازي فقيل "يحتمل أن يكون أجره مساوياً وفي فضل الله متسع وثوابه فضل لا استحقاق فيثبت علي النية الصادقة ما لا يثبت علي العمل لأن الأعمال تتفاضل بالنيات ألا تري الرجلان في الصف في الصلاة وما بينهما من الدرجات والفضل والخشوع كما بين السماء والأرض من الخشوع وحضور القلب والصدق والإخلاص والمحبة لله .

وهذا يبين لنا عظم النية والإخلاص لله رب العالمين وأنها تغني عن العمل في حالة العجز والعذر وتنفع صاحبها فقد قال رسول الله صلي الله عليه وسلم "ثلاثة أقسم عليهن وأحدثكم حديثاً فاحفظوه قال ما نقص مال عبد من صدقة ,ولا ظلم عبد مظلمة فصبر عليها إلا زاده الله عزاً ,ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر ,وأحدثكم حديثاً فاحفظوه قال "إنما الدنيا لأربعة نفر :عبد رزقه الله مالاً وعلماً فهو يتقي فيه ربه ويصل فيه رحمه ,ويعلم لله فيه حقاً ,فهذا بأفضل المنازل ,وعبد رزقه الله علماً ولم يرزقه مالاً فهو صادق النية يقول لو أن لي مالاً لعملت بعمل فلان فهو نيته فأجرهما سواء ,وعبد رزقه الله مالاً ولم يرزقه علماً فهو يخبط في ماله بغير علم لا يتقي فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ولا يعلم لله فيه حقاً ,فهذا بأخبث المنازل ,وعبد لم يرزقه الله مالاً ولا علماً فهو يقول لو أن لي مالاً لعملت بعمل فلان فهو نيته فوزرهما سواء "حديث صحيح [1]

ويؤيد ذلك ما رواه البخاري ومسلم عن أبي موسى رضي الله عنه أن أعرابياً أتي النبي صلي الله عليه وسلم فقال :يا رسول الله الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل ليذكر ويقاتل ليري مكانه فمن في سبيل الله ؟ فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم :من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله . "

---

[1] (١)أخرجهالإمام الترمذى فيالزهد والإمام أحمد في المسند انظر المشار ص٥٩٦ هامش٢

وفي لفظ آخر سئل رسول الله صلي الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياءً ويقاتل غضباً ويقاتل ليحمد فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم من قاتل حتى تكون كلمة الله هي أعلى فهو في سبيل الله "

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أنه قال يا رسول الله أخبرني عن الجهاد والغزو فقال "يا عبد الله بن عمرو إن قاتلت صابراً محتسباً بعثك الله صابراً محتسباً وإن قاتلت مرائياً مكاثراً بعثك الله مرائياً مكاثراً يا عبد الله بن عمرو علي أي حال قاتلت أو قتلت بعثك الله علي تيك الحال "حديث صحيح رواه أبو داود

من هذه الأحاديث الصحيحة وغيرها يظهر لنا إختلاف النيات ولا سيما عند التقاء الصفوف والالتحام في أرض المعركة فهي موطن فتنة فيجب إخلاص النية والإلحاح على الله في تحرى الصدق والثبات

وهذا يستلزم عدة أمور منها :

١-الاستعداد للقاء العدو بكل ما ينبغي من قوة مادية ومعنوية

قال تعالي " وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ "الأنفال ٦٠

٢-الوحدة وعدم التنازع والإختلاف والشقاق فهذا سبيل الفشل والهزيمة

قال سبحانه "وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (٤٦) الأنفال ٤٦

والذي يؤدي إلي الوحدة والإتحاد والصبر والثبات العقيدة الصحيحة فلا يمكن الإجتماع علي غير عقيدة صحيحة مهما كانت الأسباب والظروف

٣-الثبات في المعركة حتى النهاية واستحضار الفوز بالنصر أو الفرح بالشهادة فاستحضار هذه الخاتمة **الحسنة** يساعد علي الصبر والثبات وكذلك إستحضار أن الفرار وتولي الأدبار خسارة وعار لا يمحوه إلا الشهادة قال تعالي" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ (١٥) وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ "الأنفال ١٥ ،١٦

٤-عند لقاء العدو يجب الإكثار من ذكر الله والانشغال بالاستغفار والدعاء فإن الدعاء والذكر من أقوي الأسباب التي تقوي القلب علي الثبات وتطمئنه قال عز وجل "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٤٥) الأنفال

وقال سبحانه مبينا أن ذكر الله يقوي القلب ويثبته ويزيده اطمئنانا "الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (٢٨) الرعد

فإذا اشتد بالمسلمين الأمر في المعركة فعليهم بذكر الله فإنه يقويهم ويثبتهم

٥-وأخيراً فليحذر المسلم المجاهد من أن يمتد بصره ويلتفت قلبه إلي الأمنيات الفانية وتتعلق نفسه بمتاع الدنيا القليل الفاني بل أن يكون هدفه وأمنياته الباقية في الدنيا والآخرة نصرة دين الله وإعلاء كلمة الله والفوز بإحدى الحسنين النصر أو الشهادة راجياً ما عند الله تعالي -:

قال سبحانه" وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ (٧) لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ (٨) " الأنفال٧ -٨

والناس مع النيات أقسام عديدة ولن يقبل عند الله إلا من كان خالصاً صواباً ابتغاء وجهه سبحانه وتعالي فلا عمل صالح مقبول إلا بنية خالصة

أقسام الناس في الجهاد واختلاف نياتهم

لما كان سبب النجاة العظمى وإحراز الربح الأسمى ومجاورة الرب الكريم فى دار السرور والنعيم ،إنما يحصل بالإخلاص فى العبادة وإرادة وجه الله فيما شرعه لعبادة ووجدنا الأعمال كلها وإن تنوعت والقُرب وإن تشعبت وتفرعت وصنوف الطاعات وإن أختلفت أسبابها وأنواع العبادات وإن أختلفت مقاصد أربابها إذا صدر منها شيء مشوباً بالرياء والنفاق أمكن أن يصدر منها فى وقت أخر على وجه الإخلاص والوفاق وأمكن أن يأتي العامل بما يكفر تلك الزلة أو يتوب الله عليه مادام فى الأجل مهلة بخلاف من ذهبت نفسه فى القتال إذ ليس له إلا رضي ذي الجلال أو النكال الشديد والوبال ومن خسر نفسه لم يبق له نفس أخرى يربحها ومن أفسد خاتمته فليس له خاتمة أخرى يصلحها وإذا ذهب رأس المال ذهب الربح والخسران ومن قتل فإنما إلى العز والنعيم وإما إلى الشقاء والهوان والجحيم وإذا كان الأمر كذلك وجب تشمير ساعد المساعدة فى تحقيق النية فى الجهاد مع أن أنواع النية فى الجهاد لا تنحصر لتنوع المقاصد فيه ولكن نذكر منها ما هو الغالب وجوداً ويقاس عليه ماقد يقع والتوفيق بيد الله سبحانه هو الملهم للصواب لا إله غيره ولا رب سواه

١ - **<u>فمنهم من يقصد بجهاده وجه الله سبحانه وحده لا شريك له</u> لإستحقاقه هذه العبادة وأمره بها وافتراضها على** عباده من غير التفات عنده إلى جزاء عليها فى الآخرة فهو يريد رضا الله سبحانه والتلذذ بالنظر إلى وجه الكريم هذا هدفه وهذه أمنياته لم يطمع فى النعيم لأنه أراد النعيم المقيم وهو مجاورة رب العالمين فى جنات عدن وذلك هو الفوز العظيم وهذا النوع عزيز الوجود نادراً الإمكان وإن كان موجوداً ولا يستحيل ومنه مارواه أبو المظفر ابن الجوزى

فى "جوهرة الزمان "بإسناده إلى عباس بن يوسف قال :قال ميسرة الخادم :غزونا فى بعض الغزوات فإذا بين الصفوف شاب فحمل على الميمنة فطحنها ثم مال على الميسرة فطحنها وهو مقنع بالحديد ، ثم مال على القلب حتى ثناه ، ثم قال

أحسن بملاك سعيداً ظنا   هذا الذي كنت له تمنى

تنح ياحور الجنان عنا   لا فيك قاتلنا ولا قتلنا

لكن إلى سيدنا اشتقنا   قد علم السر وما أعلنا

فهذا الذي قاتل وجاهد شوقاً إلى الله وفرحاً بلقاء الله لا شيئ سواه

2 - ومنهم من يحمله على الجهاد غيرة الإسلام والحرص على إعلاء كلمة الله تعالى وإعزازها وإذلال كلمة الكفر وأهلها وهاتان النيتان لا شك فى صحتهما ولا ريب فى الفوز عند الله بهما ومما يدل على إخلاصه فيهما الاجتهاد على أخفاء عمله فى الحال وعدم التبجح والافتخار بما صدر منه فى المأل وحب أن لا يذكر شيء من ذلك ، واحتساب نفسه عند الله إن قتل هنالك وكراهية الظهور اكتفاء بالطلاع الله وإدخار ماأصابه ذخيرة له عند الله كما فعل الإمام العالم العابد المجاهد عبد الله بن المبارك رحمه الله-وسيأتي إن شاء الله فالغيرة على الإسلام ممدوحة والحرص على إعلاء كلمة الله هو المقصود من الجهاد كما سبق

3 - ومنهم من يقصد بجهاده الجنة وثوابها وكواعبها وأترابها والنجاة من النار وعقابها وأليم عذابها من غير تصور لغير ذلك هذا هو الأغلب وجوداً وهذا الذي فهمه السلف عن الله تعالى ومن كلام رسوله ﷺ ومما يدل على ذلك ترغيب الله فى الجنة لمن جاهد فى سبيله لقوله تعالى "إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ"التوبة ١١١

وقوله تعالى "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) "الصف ١٠-١١-١٢ إلى غير ذلك من الآيات

وكذلك رسوله ﷺ حض على الجهاد ووعد عليه بالجنة كقوله "من قاتل فى سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة "رواة أصحاب السنن وهو صحيح

وقوله "ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة ، اغزوا فى سبيل الله "رواه الترمذي بإسناد صحيح

وقال الإمام تقي الدين بن دقيق العيد فى شرح العمدة :المجاهد لطلب ثواب الله تعالى والنعيم.٠ المقيم مجاهد فى سبيل الله ويشهد له فعل الصحابي وقد سمع رسول الله ﷺ يقول "قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض ، فألقى التمرات التي فى يده وقاتل حتى قتل وظاهر هذا أنه قاتل لثواب الجنة ، والشريعة كلها طافحة بأن الأعمال لأجل الجنة أعمال صحيحة غير معلولة لأن الله تعالى ذكر صفة الجنة وما أعد فيها للعاملين ترغيباً للناس فى العمل ومحال أن يرغبهم فى العمل للثواب ويكون ذلك معلوماً مدخولاً إلا أن يدعى أن غير هذا المقام أعلى منه فهذا قد يسامح فيه وإما أن يكون علة فى العمل فلا "انتهى من أحكام الأحكام شرح عمد الأحكام وأنظر المشارع ص٦١٢إلى ص٦٤٦

وروى عبد الرازق بإسناد رجاله محتج بهم فى الصحيح والنسائي وغيره عن شداد بن الهاد رضي الله عنه أن رجلاً من الأعراب جاء إلى النبي ﷺ فأمن به واتبعه ثم قال أهاجر معك فأوصى به النبي ﷺ بعض أصحابه فلما كانت غزاة خيبر غنم النبي ﷺ فقسم وقسم له ، فأعطى أصحابه ماقسم له وكان يرعى ظهرهم فلما جاء دفعوا إليه فقال :ماهذا ؟ قالوا قسم قسمه النبي ﷺ فأخذه فجاء به إلى النبي ﷺ فقال ماهذا ؟ قال قسم قسمته لك فقال ماعلى هذا بايعتك ولكن بايعتك على أن أرمى إلى هاهنا –وأشار إلى حلقه –بسهم فأموت فأدخل الجنة فقال إن تصدق الله يصدقك "فلبثوا قليلاً ثم نهضوا فى قتال العدو فأتى به النبي ﷺ يحمل قد أصابه سهم حيث أشار فقال النبي ﷺ أهوهو قالوا نعم قال صدق الله فصدقه ثم كفنه النبي ﷺ فى جبة النبي ﷺ ثم قدمه فصلى عليه وكان مما أظهر فى صلاته " أى دعائه "اللهم هذا عبدك خرج مهاجراً فى سبيلك فقتل شهيداً أنا شهيد على ذلك " فأنظر –رحمك الله –كيف شهد النبي ﷺ له بالشهادة مع أنه ماأراد غير الجنة ولو كانت هذه النية غير صحيحة لأرشده النبي ﷺ إلى غيرها حين ذكرها له [1] "ويوضح ذلك قول النبي ﷺ فى الحديث الصحيح الذي رواه ابن المبارك وأحمد والطبراني وابن حبان والبيهقى فى السنن والهيثمى فى المجمع عن عتبه بن عبد السلمي –رضي الله عنه –أن رسول الله ﷺ قال " :القتلى ثلاثة :رجل مؤمن جاهد بنفسه وماله فى سبيل الله حتى إذا لقي العدو قاتلهم حتى قتل فذلك الشهيد الممتحن فى جنة الله تحت عرشه لا يفضله النبيون إلا بفضل درجة النبوة ورجل فرق "خاف "على نفسه من الذنوب والخطايا جاهد بنفسه وماله فى سبيل الله حتى إذا لقي العدو قاتل حتى

---

[1] **(١)ذكر ذلك الإمام ابن النحاس رحمه الله فى المشارع وقد اختصرنا قوله ونقلناه بتصرف انظره بتمامه في المشارع ص ٥٩٦إلى ٦٤٦وما بعدها**

قتل فتلك ممصمصة "مطهرة "محت ذنوبه وخطاياه –إن السيف محاء للخطايا –وأدخل من أي أبواب الجنة شاء فإن لها ثمانية أبواب ولجهنم سبعة أبواب وبعضها أفضل من بعض ورجل منافق جاهد بنفسه وماله حتى إذا لقي العدو قاتل فى سبيل الله حتى يقتل فذلك فى النار –إن السيف لا يمحو النفاق "وقصة عمير بن الحمام يوم بدر وقد تقدم ذكرها وفيها أن عميراً ألقى التمرات وقاتل رجاء دخول الجنة وقد شهد النبي ﷺ أنه من أهلها

وفى هذا الحديث فوائد كثيرة منها

١ -أن القتلى كثير وأفضلهم أصحاب هذه النيات الحسنه وهو يدل على البعض بالكل

٢ - أن أفضل الشهداء من خرج بنفسه وماله ولم يرجع بشيء وهذا لا يفضله أحد إلا النبيين بدرجة النبوة

٣ - أن الجنة درجات بعضها فوق بعض وبعضها أفضل من بعض وأفضلها تحت العرش

٤ - ومنها فضل الأنبياء على الشهداء وبيان درجة النبوة والأنبياء خير البشر

٥ - ومنها أن الخوف الحقيقي من الله يؤدى إلى القتل فى سبيل الله رجاء العفو والمغفرة

٦ - ومنها أن القتل فى سبيل الله ممصمصة أي مطهرة من دنس الخطايا من مصمص الإناء إذا جعل فيه الماء وحركة ليتنظف والقتل كذلك

٧ - وأن القتل فى سبيل الله أقرب الطرق إلى الجنة والشهيد يدخل من أيها شاء

٨ - وأن الجنة ثمانية أبواب والنار لها سبعة أبواب

٩ - أن الأحكام تجرى على الظاهر فى الدنيا من إسلام وكفر فمن أظهر لنا الإسلام حكمنا بإسلامه وقلنا أنه مسلم ومن أظهر الكفر حكمنا بكفره وقلنا أنه كافر وليس لنا ماوراء ذلك وأحكام الآخرة ليست لنا بل لله الذي يعلم مافى القلوب [١]

١٠ - قوله فى المنافق قاتل فى سبيل الله فيه دلاله على اعتبار الظاهر وحكمه فيما يظهر للناس مع أن النفاق محبط للعمل والمنافق شر من الكافر وهو تحته فى جهنم فى الدرك الأسفل

١١ - وفيه أن السيف لا يمحو النفاق للمنافق عكس المسلم المذنب فإن القتل مطهرة له واعلم أن هذه النيات الثلاث [٢] كافيات فى نيل المقصود ، كفيلات بدار الخلود غير أن هذه النية الأخيرة كالقشر بالنسبة إلى الأولى والثانية وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء ويرفع سبحانه درجات من يشاء ويوفق من يشاء إلى طاعته والشهادة فى سبيله والفوز بجنته اللهم يا رحمن يارحيم إجعلنا من السعداء فى الدنيا والآخرة ووفقنا بكرمك ومنِّك إلى الشهادة فى سبيلك نصرة لدينك وسنة نبيك وعبادك الموحدين المجاهدين وارزقنا الفردوس الأعلى ياكريم واجمعنا بحبيبك مُحَمَّد ﷺ والصحب الكرام أجمعين

<u>٤ - ومن أقسام الناس فى النية من إذا دهمه القتال يقاتل مقبل غير مدبر ليس له نية البتة غير الدفع عن نفسه</u> ، وهذا قريب من أصحاب النية الثالثة وليس مثلهم بالتأكيد وهو شهيد بلا ريب لأن من دفع عن نفسه قطاع الطريق فقتلوه كان من الشهداء فكيف لا يكون شهيداً من قتل بسيوف الأعداء ، بل هو شهيد فى الفضل والحكم وهذا يدلنا على فضل النية واستحضارها وتجديدها والتحري فى تحقيقها عند الشدائد فهذا خرج مقاتلاً فى سبيل الله نصرة لدين الله ماخرج إلا لذلك لكن عند المعمعة والملحمة وشدة النزال ومشاهدة الأحوال دافع عن نفسه وكان كل همه نجاتها فهنا نزلت النية درجة وتغيرت من الدفاع عن دين الله إلى الدفاع عن النفس وحمايتها ودفع الضرر عنها –وهذه أشياء لطيفة دقيقه لا يتفطن إليها إلا أهل الإخلاص والصدق من أصحاب النية الأولى والثانية والمقاتل من هؤلاء مع علمه أنه يسلم إذا استسلم أفضل من المقاتل الذي يعلم أنه إذا أستسلم قتلوه لأن الأول ماخرج إلا للقتال رجاء نيل الشهادة فلا تراجع ولااستسلام كما حدث من الصحابة فى مؤتة والمجاهد لا يسلم نفسه ولا يستأثر بل يقاتل حتى النصر أو الشهادة أما الذي يعلم أنه إذا أستسلم قتلوه فهو أقل من الأول فى الدرجات لأنه ربما يقوى على القتال والدفاع عن نفسه لنجاتها لعلمه أنهم يقتلوه إذا أستسلم وفى كلا هما خير وربما يكون الثاني لدفاعه عن نفسه القتل وخوفه الأسر يثخن فى العدو ويقوى عزمه وترفع همته ويطحنهم طحناً ويهدهم هداً لكن كلامنا فى الدرجات بتفاضل النيات واستحضارها وإخلاصها وأما من فر حيث يحرم الفرار أي ليس متحيزاً لفئة أو خديعة أو خطة رشدٍ فقتل مدبراً فإنه ليس بشهيد وإن جرت عليه أحكام الشهداء فى هذه الدار لما رواه مسلم عن أبى قتادة الأنصاري الحارث بن ربعى المدني –رضي الله عنه –عن رسول الله ﷺ أنه قام فيهم فذكر :أن الجهاد فى سبيل الله والإيمان بالله أفضل الأعمال فقام رجل فقال يا رسول الله أرأيت إن قتلت فى سبيل الله أتكفر عن خطاياي فقال رسول الله صلى الله عيه وسلم نعم إن قتلت فى سبيل الله وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر فدل هذا الحديث على أن من قتل مدبراً حيث لا يجوز له الفرار أنه ليس بشهيد بل قد باء بغضب الله وسخطه لقوله تعالى "وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٦) "الأنفال

---

١ **(١)وقد فصلنا الكلام على هذه القاعدة في كتابنا " الوجاء من شبهات الخوارج والإرجاء " وكتابنا " التنبيهات المختصرة "**

٢ **(١)من قاتل شوقاً إلى الله ومن قاتل غيرة على الإسلام وبغضاً في الكفر ومن قاتل طمعاً في جنة الله وما أعده الله للشهداء**

فأين هذا من الفوز برتبة الشهادة ولهذا كان النبي ﷺ يقول فى دعائه " وأعوذ بك أن أقتل فى سبيلك مدبراً"صحيح النسائي وأبو داود

وقد ذكر النووي –رحمه الله –فى شرح مسلم أن الشهيد ثلاثة أقسام :شهيد فى الدنيا والآخرة وشهيد فى الآخرة دون أحكام الدنيا وهم المطعون والمبطون والغريق وصاحب الهدم وأشباههم وشهيد فى الدنيا دون الآخرة وهم من غل من الغنيمة أو قتل مدبراً وهذا يدلنا على ضرورة فهم خماسية الجهاد فهماً جيداً حتى ننجوا من الفرار ولا بد من استحضار النية وتحرى الإخلاص والصدق فى ذلك كما سيأتي

٥- **ومنهم من يخرج إلى الجهاد مكثراً سواد المجاهدين ليس له نية أن يقتل ولا يُقتل وهذا إذا قتل شهيد لأن من** كثر سواد قوم فهو منهم ومن أحب قوم حشر معهم وهذا يدلنا على أهمية معرفة الراية التي يقاتل تحتها المجاهد ولا بد أن تكون راية متميزة جلية ليست راية عمية جاهلية حزبية عصبية قبلية قومية بل لا بد أن تكون راية سنية على منهاج النبوة لا غلو فيها لا إفراط ولا تفريط هذا من الأهمية بمكان للمجاهد السني حتى لا يقاتل تحت راية شركية أو شيعية أو قومية عربية بعثية أو عصبية حزبية أو جماعة علمانية أو رايات على الرياسة والملك وتتمسح فى الدين وتحرير المقدسات وهى تسعى لمصالح شخصية لحزبها وجماعتها عبر اتفاقيات ومفاوضات مع اليهود والحكام المرتدين فلا بد من وضوح الراية

٦-ومنهم من يجاهد ونيتة وجه الله تعالى ونيل الغنيمة جميعاً

ولو انفرد قصد الجهاد عنده لكان كفيلاً بإنهاض القدرة إلى الجهاد بحيث لو دعي إلى غزو طائفة فقراء ليس لهم ما يُغنم لما أقعده عدم وجود ما يغنم عن الجهاد في سبيل الله بل كان يجاهد ولو دعي إلى غزو طائفتين إحداهما فقيرة والأخرى غنية لرغب في جهاد الأغنياء رجاء الغنيمة ، نعم هو نيته وجه الله تعالى لكنه جمع إلى هذه النية الحصول على الغنيمة والأموال فهذه النية مما اختلف فيها وفي أشباهها أئمة السلف فذهب الإمام مالك ومن وافقه إلى أن النية فاسدة وأن صاحبها يعاقب عليها لإدخاله قصد الدنيا في عمل الآخرة والأصل إخلاص النية لله وحده وتجريدها عن كل عرض زائل من أعراض الدنيا الفانية وينبغي أن يكون هدفه وقصده الله وحده

وذهب آخرون إلى أن هذه النية صحيحة إن كان الباعث الأصلي والمحرك القوي هو إعلاء كلمة الله تعالي وإعزاز دينه وإذلال الكفر وأهله هو الأصل ، وإنما الرغبة في الغنيمة تابعة لهذا الأصل بحيث لو لم تكن هناك غنيمة لما ترك الغزو فإن هذا لا يحبط به الثواب ، ولكن إذا كان الحصول على المغنم هو المحرك له على الجهاد بحيث لو كان ثم مغنم أقدم وإن لا فلا ،فهذا لا شك أن هذا محبط للعمل ، أما الذي يجمع بين النيتين فإنه لا يساوي ثوابه ثواب من لا يلتفت قلبه إلى الغنيمة أصلاً فهو مجاهد في سبيل الله ابتغاء نصرة دين الله فإن حصل على الغنيمة فهو رزق من الله وإن لم يحصل على الغنيمة لم يفته الثواب والأجر من الله .لكن إذا التفت إلى الغنيمة فإن هذا الالتفات نقصان لا محالة وبهذا يتضح أن هذه النية صحيحة ومن قتل بها فهو شهيد ولكنه أنزل رتبة من أصحاب النيات الثلاث الأول .

وقد صرح القرطبي بصحتها فإنه قال فى التفسير[1] دل خروج النبي ﷺ لتلقى العير –يعني عير أبي سفيان –لما قدم من الشام على جواز النفير للغنيمة لأنها كسب حلال ، وهو يرد ما كره مالك من ذلك إذ قال :ذلك قتال على الدنيا وما جاء أن من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله دون من يقاتل للغنيمة يراد به إذا كان قصده وحده وليس للدين فيه حظ ولا نصيب .

قال الإمام ابن النحاس -رحمه الله –وهذا الدليل الذي استدل به القرطبي -رحمه الله –دليل جيد فإن أبا سفيان بن حرب لما قدم من الشام في عير قريش وفيها أموالهم وتجارتهم فكان فيها ثلاثون رجلاً وقيل أكثر من ذلك وكانت عيرهم ألف بعير فسمع النبي ﷺ بها فندب المسلمون إليها وقال :هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها .

وكذلك بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة يعترض عير قريش وكان فيها –على ما ذكر بن سعد –صفوان بن أمية وحاطب بن عبد العزى وعبد الله بن أبي ربيعة ، ومعه مال كثير وآنية فضة وزن ثلاثين ألف درهم ، وكان دليلهم فرات بن حيان ، فاعترض لها في مائة راكب بالقردة من أرض نجد فأصابوا العير وأفلت أعيان القوم ، وقدموا بالعير على رسول الله ﷺ فخمسها فبلغ الخمس قيمة عشرين ألف درهم وقسم ما بقي على السرية وأسلم فرات بن حيان –رضي الله عنه ومما يدل أيضاً على ما ذكرناه من صحة هذه النية ونيل الشهادة بها ، ترغيب الله عباده المؤمنين في الغنيمة في غير آية من القرآن كقوله تعالى " وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا "الفتح ٢٠ ، ونظائرها فى القرآن كثير حتى سمى سورة بإسمها(الأنفال) ويبعد أن يرغب الله عباده في الغنيمة ويعدهم بها

---

[1] **(١)قد تقدم كلام القرطبي في إستحلال أموال الكفارالمحاربين والإستيلاء عليها مع مراعاة المصلحة في ذلك**

ويمتن عليهم بنيلها ثم يحظر عليهم نيتها وقصدها ومن أعظم الأدلة أيضاً على ذلك أن رسول الله ﷺ كان يرسل السرايا ليغيروا على نعم المشركين وأموالهم وزراريهم وكانوا إذا لحقهم المشركون قاتلوهم دفعاً عما معهم من الغنائم وقصدً لإعلاء كلمة الله وفي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : بعثنا رسول الله ﷺ في ثلاثمائة راكب –وأميرنا أبو عبيدة بن الجراح نرصد عيراً لقريش فأقمنا بالساحل نصف شهر فأصابنا جوع شديد حتى أكلنا الخبط " فهذا جائز بلا ريب والغنيمة كسب حلال طيب كما سبق –

لكن لأجل ما في نيل المغنم من شائبة نقص الأجر ، يتمنعون عن المغنم منهم الصحابي الجليل الذي قسم له رسول الله قسمة فقال ما على هذا بايعتك –وقد سبق ذكره –ومنهم الزاهد الصدوق إبراهيم بن أدهم بن منصور التميمي ، أبو إسحاق البلخي –رحمه الله –كان إذا غزا لم ينل من المغنم فيقال له أتشك أنه حلال فيقول :إنما الزهد في الحلال ، وأنشد بعضهم قول عنترة بن شداد العبسي في معلقته

هلا سألت الخيل يا ابنة مالك إن كنت جاهلة بما لم تعلمي

يخبرك من شهد الوقيعة أنني أغشى الوغى وأعف عند المغنم

وهذا الفعل من ابن أدهم إن لم يسبقه فعل الصحابي ما أخذناه وما قلنا به لأن الحجة في كتاب الله وسنة رسوله وفعل الصحابة –رضي الله عنهم .- فإن لم يكن للتابعي سلف في عمله من الصحابة ولم يدل عليه الكتاب والسنة فلا نقبله بحال والأولى أخذ الغنيمة فإن احتاجها لعياله وخاصة نفسه وإلا أنفقها في مصالح المسلمين على الأرامل والأيتام وأسر الشهداء والمعتقلين أو جهز به غازياً فى سبيل الله وهو بذلك قد جمع بين الحسنيين وبين الخير كله تأسياً بفعل الرسول ﷺ وجيل الصحابة رضي الله عنهم .

واعلم أن المعرض عن نصيبه من المغنم لا يخلوا إما أن يتركه زهداً وإما أن يتركه قطعاً لمادة استشراف النفس وتطلعها للغنيمة فإن تركه زهداً في الدنيا ورغبة في نيل أجره من الله تعالى كاملاً من غير نقص فهذا لا نظر في أفضليته ، وقد يكون أخذه والإيثار به في بعض المواطن ولبعض الناس أفضل وأسلم من تركه زهداً فيه ، ولصحة القصد في الترك والأخذ أقوال كثيرة تختلف باختلاف الأشخاص والأحوال غير أن من كان قصده مشوباً بإرادة الغنيمة والميل إليها لا يساوي من ليس له إليها التفات البتة كما تقدم إذ نيل الغنيمة في الجملة منقص لأجر أكثر الغزاة وإن لم ينووها لما ثبت في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال :قال رسول الله ﷺ :ما من غزية أو سرية تخفق وتخوف وتصاب إلا تم أجرهم "وفي رواية ما من غازية أو سرية تغزوا في سبيل الله فيصيبون الغنيمة إلا تعجلوا ثلثي أجرهم من الآخرة ويبقى لهم الثلث "وإن لم يصيبوا غنيمة تم لهم أجرهم "فعدم الأخذ فيه تحري الإخلاص وصدق النية والحذر من دسائس النفس وفيه قطعاً لمادة استشراف النفس إلى نيل الغنيمة وهذا حسن لأنها إذا استشرفت إلى نيل الغنيمة وتوقعت وجودها كان ذلك نقصاً في إخلاصها وإن حكمنا بصحة القصد –وإن لم تستشرف ولكن تحققت أنه إذا حصلت غنيمة لا تمتنع منها ربما خفيت دسيسة استشرافها وبطنت بحيث لا يدركها صاحبها فإذا آيست من نيل الغنيمة قطعاً كان وجود الغنيمة وعدمها سواء وآمنت دسيستها في ذلك فسلم الإخلاص لأن علامة الإخلاص استواء المدح والذم العطاء والمنع فهو لا يلتفت إلا لله وحده ولكن قد تخفى دسيسة الرياء مع الترك أيضاً كأن يترك ليقال ترك لله وزهداً في الدنيا ، أو ليتميز فيشتهر فهذه مداخل في الأخذ والترك فلا بد من التفطن لها وتجريد الإخلاص وصدق النية ومراقبة النفس والاحتراز من الدسائس فإن ذلك مما يتعين الاهتمام به والتفتيش عنه لاسيما في هذا الموطن .

<u>٧ - ومنهم من يجاهد ونيته تحصيل عرض الدنيا من غير التفاف الي قصد</u>

أي نوع من العبادة بحيث لو عرض عليه غزو طائفة من الكفار ليس لهم ما يغنم أو علم أنه يمنع من الغنيمة لم يغز ، كأن يسمع بالجهاد في العراق مثلاً أو أفغانستان أو الشيشان فيسأل هل هناك أموال وغنيمة وسبي من بنات الأمريكان والروس أو البريطان ؟ فإن مكن من الأموال والسبي غزا وجاهد وإن منع لم يجاهد فهذا إن قتل ليس بشهيد وإن كان حكمه في الظاهر حكم الشهداء وليس له أجر البتة .لقول النبي ﷺ الذي رواه النسائي وأبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا قال يا رسول الله رجل يريد الجهاد في سبيل الله وهو يبتغي عرضاً من عرض الدنيا فقال :لا أجر له فأعادها ثلاثا رجل غزا يلتمس الأجر والذكر ماله ؟ فقال ﷺ لا أجر له إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً وابتغى به وجهه "أو كما قال .وقال الصحابي الجليل يعلى بن مُنية –رضي الله عنه –أذن رسول الله ﷺ بالغزو وأنا شيخ كبير ليس لي خادم فالتمست أجيراً يكفيني وأجري له سهمه فوجدت رجلا فلما دنا الرحيل أتاني فقال ما أدري ما السهمان وما يبلغ سهمي فسم لي شيئاً كان السهم أو لم يكن ، فسميت له ثلاثة دنانير فلما حضرت غنيمته أردت أن أجري له سهمه فذكرت الدنانير فجئت النبي ﷺ فذكرت له أمره فقال :ما أجد له في غزوته هذه في الدنيا والآخرة إلا دنانيره التي سمى "رواه أبو داود والبيهقى والحاكم وهو صحيح ووافقه الذهبي

فهذا خلاف الأول الذي يبتغي الأجر ويلمح الغنيمة أما هذا فلم ينوي بغزوه سوى الدنيا فله ما نوى ، وهل يعاقب على ذلك في الآخرة ؟على قولين الأول :يعاقب لأنه عمل الآخرة للدنيا والثاني لا يثاب ولا يعاقب في الآخرة ، والله أعلم .وهناك أنواع كثيرة من النيات

فمنهم من يغزو ويجاهد ليقتل فيستريح مما هو فيه من ضعف مؤلم ومرض ملزم أودين ، أو فقراً أوشر يتوقعه أو هرباً من مصيبة تنزل به ولم يخطر بباله التقرب إلى الله ولا إعلاء كلمته كالجواسيس والعملاء وجند الطاغوت الذين يندسون بين المجاهدين

ومنهم من يهرب من الخدمة وشر أسياده وذلهم له فيهرب من كل ذلك

ومنهم من يظهر شجاعته ويذكر جهاده لمن لم يعلم به ليعرفه أنه قد غزا ويدله على شجاعته وصبره وحسن ممارسته للحروب والرمي والقتال مع أنه أتم الغزو على الإخلاص ثم ظهرت له بعد ذلك رغبة في ذكر عمله للناس من جهاد وغيره مما يدخل فيه الرياء والسمعة وحظ النفس

ومنهم من يقاتل بجعل يجعل له على عمله كأجرة الأجير وهذا وإن جوزه بعض العلماء فيجب فيه إخلاص النية لله في القتال وتحري الصدق في طلب ما عند الله ولا ينظر إلى الجعل ولا يجعله مناط قتاله فإذا قتل مخلصاً فهو شهيد بدليل قوله ﷺ في الحديث الذي رواه أبو داود من حديث ابن عمر " للغازي أجره وللجاعل أجره وأجر الغازي "وبوب عليه باب الرخصة في أخذ الجعائل .بشرط هذه النية وهذا الإخلاص لله .وله أجر ما أخلص فيه وإن طرأ الرياء على فعله بعد الإخلاص ثم أخلص بعد ذلك وطهر نيته من الرياء والسمعة وحب الدنيا والمدح والذكر فإن له أجر ما أخلص فيه ونيته على ما مات عليه وآخر ما عقد قلبه قبل موته

هدى السلف في إخفاء العمل خوفاً من الرياء

قد كان أكثر السلف رضي الله عنهم يجتهدون في إخفاء أعمالهم مطلقاً وإن ظنوا أنهم يقتدي بهم فيها لعدم ثقة المرء بنفسه في أكثر الأحوال فإن الرياء كما جاء في الحديث أخفى من دبيب النمل وهو محبط للعمل كما جاء في صحيح مسلم عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل "أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل لي عملاً أشرك فيه غيري فأنا منه برئ وهو للذي أشرك "وقوله ﷺ "من سمع يسمع الله به " "ومن سمع الناس بعمله سمع الله به مع خلقه وصغره وحقره "وأصله في الصحيحين كتاب الرقاق باب الرياء والسمعة

أي من أظهر عمله وسمع الناس به إعلاماً لهم ورياء أظهر الله نيته الفاسدة وفضحه على رؤوس الأشهاد وهذا ما يسلم منه أحد إلا القليل وقليل من القليل إلامن رحم ربك ، فلا بد من كتمان الطاعة مهما كانت الدوافع والهواجس ، إن لم يترتب عليها مفسدة الكتمان وهذا باب دقيق جداً من أبواب مداخل الشيطان على العبد بينه ابن القيم في الإغاثة وابن الجوزى في التلبيس وقلما ينجوا من ذلك أحد .

فينبغي أن يحترز الإنسان من إظهار عمله من جهاد وغيره إلا أن تخلص له نية يثق بها في التحدث به لمن يعلم أنه يقتدي به أو يزيد في قلبه قوة وجرأة وسماحة ، مثل أن يذكر عن نفسه أنه ثبت لكذا وكذا فارس وأنفق في سبيل الله كذا وكذا و خاطر بنفسه في كذا وكذا ونحو ذلك إذا آمن على نفسه الفتنة ويطمع في الإقتداء فيقوي قلب السامع ويجود بماله ونفسه وتزول عن قلبه ظلمة الجبن والبخل لأن النفوس مجبولة على التحدي والتشبه بالأقران وبني الزمان وهذا كان قصد السلف في ذكر ما يحكونه من أفعالهم العظيمة رضي الله عنهم .

وإن كان ذلك بصيغة الغائب خوفاً على النفس من الرياء فهو أحسن فإن كان يحصل الإقتداء بعزو ذلك الفعل إلا من لا يسميه أو بصيغة الغائب فليس له عذر ولا رخصة في إظهاره ونسبته إلى نفسه البتة وذلك مثل أن يقول إتفق لبعض الغزاة كذا أو لبعض من أدركناه كذا أو رأيت شخصاً وقع له كذا أو أعرف شخصاً جرى له كذا وكذا ونحو هذه العبارات مما لا يفهم المخاطب أنه هو المقصود وهو الفاعل ويحصل به الإقتداء وقد كان أكثر السلف رضي الله عنهم يجتهدون على إخفاء أعمالهم مطلقاً وإن ظنوا أنهم يقتدي بهم فيها لعدم ثقة المرء بنفسه في أكثر الأحوال فإن الرياء كما جاء في الحديث أخفى من دبيب النملة وهو محبط للعمل كما تقدم

فلما علم الموفقون أن التحدث بالطاعة وإظهارها خطر عظيم وأن دسائس النفس لا يحاط بأنواعها أخفوا طاعاتهم ظناً بها وربوا النفس على ذلك خوفاً من إحباط الأعمال واكتفاء باطلاع الله وعلمه ، إذ هو المجازي عليها لا غيره وأهم العبادات وأولا ها بالستر والإخفاء ما هو بمفرده سبب للسعادة الأبدية أو الشقاوة السرمدية وهو الجهاد .

وإليك بعضاً من خصالهم وكريم فعالهم وقصصاً من حياتهم لعلك تتأسى بهم وتفعل فعلهم

ابن المبارك العالم العامل العابد المجاهد

قال عبد الله بن سنان كنت مع ابن المبارك والمعتمر بن سليمان بطرطوس فصاح الناس النفير النفير قال :فخرج ابن المبارك والمعتمر وخرج الناس فلما اصطف المسلمون والعدو خرج رجل من الروم يطلب البراز فخرج إليه مسلم فشد العلج على المسلم فقتل المسلم ، حتى قتل ستة من المسلمين مبارزة

فجعل يتبختر بين الصفين يطلب المبارزة لا يخرج إليه أحد فالتفت إلى ابن المبارك فقال يا عبد الله إن حدث بي حادث الموت فافعل كذا ، وقال وحرك دابته وخرج إلى العلج فعالج معه ساعة فقتل العلج ثم طلب المبارزة فخرج إليه علج آخر فقتله حتى قتل ستة من العلوج مبارزة ثم طلب البراز فكأنهم كاعوا عنه أي جبنوا وخافوا منه فضرب دابته ونظر بين الصفين فغاب ولم أشعر بشيء إذ أنا بابن المبارك في الموضع الذي كان ، فقال لي ، يا عبد الله لئن حدثت بهذا أحد وأنا حي –فذكر كلمته –قال فما حدثت به أحداً وهو حي وقد حكا هذه الحكاية غير واحد وأخرجها ابن عساكر بإسناده في كتاب الجهاد وابن النحاس في المشارع ص٦٤٤

وهكذا العلماء العاملون فهم قدوة للأنام في العلم والجهاد والدين والعمل ،خلافاً للثرثارون البطالون دعاة التخاذل والانبطاح الذين يقولون ما لا يفعلون فمن لم ينفعك لحظه لم ينفعك وعظه فاقتدي يا عبد الله بمن يدلك عليه فعاله وعظيم خصاله .

صاحب النقب

وخرج ابن عساكر أيضاً بإسناده عن الأصمعي ، قال :

حاصر مسلمة بن عبد الملك حصناً فأصابهم فيه جهد عظيم ، فندب الناس إلى نقب "ثقب "فيه فما دخله أحد ، فجاء رجل من الجند فدخله ففتح الله عليهم فنادي منادي مسلمة أين صاحب النقب فما جاء أحد حتى نادي مرتين وثلاثاً وأربعاً فجاء في الرابعة رجل ملثم فقال :أنا يا أمير المؤمنين صاحب النقب آ خذ عهوداً ومواثيق ثلاثة لا تسودوا إسمي في صحيفة ولا تأمروا لي بشيء ولا تشغلوني عن أمري ، فقال له مسلمة قد فعلنا ذلك بك ، قال فغاب بعد ذلك فلم ير قال فكان مسلمة بعد ذلك يقول في دبر صلاته اللهم اجعلني مع صاحب النقب وحكايات السلف في إخفاء طاعاتهم كثيرة جدا وقد أطلنا في مبحث النية في الجهاد وأقسامها إذ هي الأصل الذي يبني عليه غيره فإذا كان الأصل متيناً قوياً كان البناء متيناً صحيحاً وهي أساس كل عمل وبهذا التفصيل يراجع كل مجاهد نفسه ويفعل ما يرضي ربه وينجيه من الخلود في النار ويفوز بالجنان نسأل الله الكريم من فضله العظيم .

تحت راية من نقاتل

صفات القائد والأمير

إذا تكلمنا عن كيفية القتال فلا بد أولاً أن نختار القائد والأمير صاحب الراية التي سنجاهد تحتها بعد الإعداد الإيماني والروحي من المحافظة علي الصلاة في جماعة والورد اليومي من القرآن وركعتان من الليل يقوم بهما مع الدعاء وكثرة الإستغفار والبعد عن الحرام والشبهات وتحرى الحلال في كل شيء والبعد عن كل ما يغضب الله مع المحافظة علي الأخلاق الحميدة والبر والصلة وحسن المعاملة مع المسلمين والمداومة علي الرياضة وممارسة التمارين كما سبق ، كل ذلك بعد ضبط مسائل الإيمان والكفر والتوحيد والشرك علي منهاج النبوة بفهم الصحابة -رضي الله عنهم –والوقوف علي خماسية الجهاد والعلم بها علماً لا شك فيه مع أن العلم كثير وصور الوقائع لا تنحصر ونوادر الأحكام لا ضابط لها وكل فن له موضع يليق به ولكن البدايات لا يعذر أحد في جهلها وأصول المسائل لابد من معرفتها ثم للفروع والنوادر إذا وقعت أماكن تنظر فيها ومواطن يعول عليها ورجال أقامهم الله لها ,والمقصود العلم الذي تتوقف صحة كل عمل علي معرفته عند الشروع في ذلك العمل ولا عذر لأحد من الغزاة في جهله وإن كان لا يتعين علي غيره فلا بد من العلم والتفقه في مسألة الجهاد حتى تصح النية ويقبل العمل إن شاء الله .

أسباب النصر وأداب الحرب

قال بعض الحكماء :قد جمع الله لنا أداب الحرب في قوله تعالي "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٤٥) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (٤٦) "الأنفال ،

قال ابن النحاس –رحمه الله –ولقد صدق هذا القائل فإن الله تعالى أمر المقاتلين فيها بخمسة أمور ما اجتمعت في فئة قط إلا نصرت وإن قلت و كثر عدوها

وهى

١- الثبات

٢- وكثرة ذكر الله

٣- وطاعة الله ورسوله

٤-وعدم التنازع الموجب للفشل والوهن

فإنهم إذا اجتمعوا كانوا كالحزمة من السهام لا يستطاع كسرها جملة فإذا تفرقت سهل كسرها سهماً سهماً

٥- والخامسة الصبر وهو ملاك النصر وسببه

ومتى فقد شيئ من هذه الخمسة نقص من النصر بحسبه والله أعلم "المشارع ص ١٠٦٩

كيفية اختيار القائد

اعلم أيها المسلم المجاهد أن العشوائية مدمرة وهي سبب الهزائم والمصائب التي حلت بالمسلمين فعشوائية في الإدارة والإعداد والتنظيم والتدريب وعشوائية في اختيار القادة والنواب والشورى من أهل العلم والجهاد فترى العصبيات والقبليات والأهواء تدخل في كل ذلك فيتصدر من لم يتأهل ويقود من ليس له خبرة ، وعلم بالقيادة ولا حاز أسبابهاولا توافرت فيه صفاتها من: العلم والحلم والعقل والحكمة وحُسن التدبير والبصيرة فى عواقب الأمور ومألات الأعمال فلذلك يجب أن نختار القائد بعناية ولا بد أن تتوفر فيه الصفات المطلوبة إذا أردنا القتال تحت راية سنية على منهاج النبوة فيجب أن نعلم أن الأصل في تدبير الحروب انتخاب القواد وأصحاب الأولوية فإنه يجب أن يكون قائد الجيش والأمير وحامل اللواء ونحوهم

من أولي الشجاعة والنجدة والجرأة والدين ثابت الجنان صارم القلب ، شديد البأس ، قد جرب الحروب ، ومارس الرجال وقارع الأبطال ، وشهد الوقائع وخاض المعامع ، بطل مجرب وقائد مدرب ، فإنه إذا كان كذلك أثر في جيشه قوة قلب وشدة بأس وثبات جأش وثقة بالظفر ، فإن منزلته منهم منزلة القلب من الجسد متى فسد فسدوا ومتى ثبت ثبتوا ، عادل دين لا يتميز عن جنوده ولا يؤثر نفسه بشيء دونهم فهو قدوة عملية لهم يطابق قوله فعاله صابراً محتسباً أجره على الله

وقد قال حكماء العجم :أسد يقود ألف ثعلب خير من ثعلب يقود ألف أسد

وقال السرماري البطل المشهور :

ينبغي أن يكون في قائد الغزاة عشر خصال

١-أن يكون في قوة قلب الأسد ، لا يجبن

٢-وفي كبر النمر لا يتواضع

٣-وفي شجاعة الدب يقتل بجوارحه كلها

٤-وفي حملة الخنزير لا يولي دبره

٥-وفي أغارة الذئب مراوغ إذا آيس من وجه أغار من وجه آخر

٦-وفي حمل السلاح كالنملة تحمل أكثر من وزنها

٧-وفي الثبات كالصخر

٨-وفي الصبر كالحمار

٩-وفي الوقاحة كالكلب لودخل صيده النار لدخل خلفه

١٠-وفي التماس الفرصة كالديك

وقد جاءت السنة بمدح القوة والشجاعة وذم الجبن والعجز وقد ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال "المؤمن القوي خير وأحب إلي الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز "

وفي الصحيحين أيضاً قول النبي ﷺ "اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والجبن والبخل وضلع الدين وغلبة الرجال "

والشجاعة هي ثبات القلب على عزمه والجبن ضد الشجاعة وقوة القلب من قوة الإيمان لأن قوة المؤمن قي قلبه وقوة المنافق في بدنه

وقال عمر رضي الله عنه كرم المرء تقواه ، ودينه حسبه ، ومروءته خلقه والجرأة والجبن غرائز يصنعها الله حيث شاء فالجبان يفر عن أمه وأبيه والجرئ يقاتل عمن لا يبالى أن لا يؤوب إلى رحله ، والقتل حتف من الحتوف والشهيد من أحتسب نفسه فالإقدام لا يقدم أجلاً وأن الجبن لا يبلغ أملاً والشجاعة وقاية والجبن مقتلة وهو شر خصال الرجل فشر مافى الرجل شح هالع وجبن خالع لقلبه بشده تمكنه منه واستيلائه عليه ، والجبن يرجع فى

الحقيقة إلى شك فى القدر وسوء ظن بالله كما قال بعض الحكماء عليك بأهل السخاء والشجاعة فإنهم أهل حسن الظن بالله ، وهذا لا شك فيه لأن من علم يقيناً أن الأجل لا يزيد ولا ينقص كما قال تعالى "فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (٦١) "النحل

لم يجبن ولم يفر إذ ليس من الموت جنة تقى إلا تأخير الأجل فلا نامت أعين الجبناء

لا جهاد إلا تحت راية أمير

اعلم رحمك الله أرشدك إلي طاعته –أن هذه المسألة عند بحثها يراعى المناط الذي يتنزل عليه الحكم من غياب الشريعة وغيبة الإمام أو في ظل الشريعة ووجود الإمام المتمكن والكلام على ذلك المناط أنه يكره الغزو بغير إذن الإمام أو الأمير المنصوب من جهته ولا يحرم لأنه ليس فيه أكثر من التغرير بالنفس وهو جائز في الجهاد فإذا كان جائز مع الكراهة التنزيهية في جهاد الطلب فما بالك بقتال الدفع الذي نحن فيه الآن ؟

قال شيخ الإسلام أبو حفص البلقيني –رحمه الله –في تصحيح المنهاج ت ٨٢٤هـ

يستثنى من هذا مواضع :أحدها إذا كان من يريد الغزو من واحد أو جماعة ، لو ذهب إلى الاستئذان فاته المقصود ، فإنه لا كراهة في غزوه –على فرض وجود الإمام كما فعل سلمة بن الأكوع رضى الله عنه كما سبق .

الثاني :إذا عطل الإمام الغزو وأقبل هو وجنوده على أمور الدنيا وغير ذلك مما يشاهد في هذه

الأعصار والأمصار ,فإنه لا تتوجه الكراهة لمن يريد الغزو من واحد أو جماعة لأنهم حينئذ قائمون بالفرض المعطل - قال ذلك البلقينى في بداية القرن التاسع الهجري –فما القول في زماننا هذا الذي تغلب فيه أهل الردة من الطواغيت والحكام الذين خرجوا من الإسلام من أكثر من باب وعطلوا الشريعة وبدلوها بقوانين وضعية وألزموا الناس بالتحاكم إليها وعاقبوا كل من لم يتحاكم إلى قوانينهم واحترامها وعدم مخالفتها والخروج عليها وحاربوا كل من يطالب بتحكيم شرع الله واتهموهم بالرجعية والإرهاب والتخلف ماذا يقول بن المبارك والبلقينى وبن النحاس أو من جاء بعدهم إذا رأوا ما نحن فيه إنا لله وإنا إليه راجعون وحسبنا الله ونعم الوكيل .

الثالث :إذا كان من يريد الغزو لا يقدر على الاستئذان ويغلب على ظنه أنه لو استأذن لم يؤذن له فإنه لا كراهة تتوجه إليه في الحالة المذكورة وفي حالة غياب الأمير وخلو الزمان منه كحالنا الآن ، يقول موفق الدين بن قدامه الحنبلي في كتابه المغنى .وإن عدم الإمام لم يؤخر الجهاد لأن مصلحته تفوت بتأخيره .وهذا فيه رد على من يقول لا جهاد إلا بإمام ويعطل الجهاد بل ويسميه بغير اسمه كما يسمونه الطواغيت أعداء الدين بالعنف فمن ينبذ العنف ويتبرأ منه فهو معتدل ويقصدون نبذ الجهاد والتبرأ منه .وكيف يتبرأ المسلم من أمر فرضه الله عليه وشرفه به ووفقه إلي ؟

واجبات الأمير والقائد تجاه الجنود

فإذا وقع الاختيار على الأمير أو القائد الذي نقاتل تحت رايته وتوفرت فيه الصفات السابقة التي يجب توافرها في الأمير ويتحلى بها القائد المسلم وقام بواجباته نحو جنوده مثل

مبايعته الجيش أو السرية على أن لا يفروا وعليهم السمع والطاعة كما فعل رسول الله ﷺ عام الحديبية فقد بايعهم على الموت

ومن واجبات الأمير

أن يبعث الطلائع ويتجسس أخبار العدو

وأن يخرجوا يوم الخميس أو النهار أو على حسب مايراه الأمير وتقتضيه المصلحة

,وأن يعقد الأمير الرايات ,ويجعل كل فريق تحت راية ,حتى يتميز الناس ويثبتوا حتى الموت

وأن يجعل لكل فريق شعاراً يتميز ويعرف به حتى لا يقتل بعضهم بعض

وأن يدخل دار الحرب بتعبئة الحرب لأن فيه احتياطا وإرهاباً للعدو

وأن يستنصر بالضعفاء والعلماء والعباد والزهاد

,وأن يدعوا عند التقاء الصفين

،وأن يحرض الناس على القتال والصبر والثبات

وأن يؤخر القتال حتى تزول الشمس وتهب الرياح وينزل النصر

وأن يكبر بلا إسراف فى رفع الصوت وإن كان رفع الصوت من الجميع عند الحملة فهو حسن فالتكبير كان يزلزل جنود العدو ويرعبهم كما رأينا وسمعنا أثر التكبير على المرتدين والروس والأمريكان وحلفائهم في أفغانستان والشيشان والعراق .

ويستحب له أن يدعوا من لم تبلغهم الدعوة ولا لهم علم بالإسلام إلى الإسلام أو أداء الجزية إن كانوا من أهلها قبل القتال وهذا مذهب مالك والشافعي وأحمد وأبى حنيفة وأما من بلغته الدعوة فلايستحب أن يدعوهم قبل القتال ولا يجب بل يباح قتالهم عند أكثر أهل العلم وهو مذهب الأئمة الأربعة .كما سيأتي فى مشروعية البيات كما فعله النبي ﷺ وصحابته الكرام .فيجوز تبيت العدو وكبسهم والإغارة عليهم فجأة ليلاً وإن كان فيهم نساء وأطفال ومسلمون وبهذا قال أحمد بن حنبل وقال لا نعلم أحداً كره بيات العدو وهل غزو الروم إلا البيات وإذا أستنفر الإمام فى الجهاد والذي هو فرض كفاية ،رجل أو جماعة صار الجهاد فى حقهم فرض عين وذلك لوجوب طاعة الإمام وقوله تعالى" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ "التوبة ٣٨

فصار فرض الكفاية فى حقهم فرض عين عند مايستنفرهم الإمام جور الإمام لا يبيح ترك الجهاد ، فالجهاد ماضٍ مع كل بر وفاجر وهو المشهور من مذهب مالك وقال أحمد لا يعجبني أن يخرج مع الإمام أو القائد إذا عرف بالهزيمة وتضييع المسلمين ، فإن كان القائد يعرف بشرب الخمر والغلول يغزى معه ، إنما ذلك فى نفسه ففي الصحيحين "إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر "وكذلك من واجبات القائد والأمير منع المخزل والمثبط من الحضور فى الجيش فإن خرج رده فإن قاتل لم يستحق شيئاً ولو قتل كافراً لا يستحق سلبه لأن المخزل يخوف الناس ويثبطهم بأن يقول عدونا كثير وخيولنا ضعيفه وأسلحتنا قديمه ولا طاقة لنا بالعدو وكذلك المرجف وهو الذي يكثر الأراجيف وينشر الشائعات التي تفت فى عضد الجيش وتأثر على نفسياته كأن يقول أقبلت سرية كذا أو لحقهم مدد العدو من جهة كذا أو لهم كمين في موضع كذا أو عندهم أسلحة ذكيه تفعل كذا وكذا فهذا لا يجوز أن يخرج مع المجاهدين وعلى القائد منعه لأن المسلمين لا يجاهدون العدو بكثرة العدد والعدة ولكن يقاتلون بالإيمان وقوة العقيدة ونور التوحيد

كيفية القتال

أعلم –رحمني الله وإياك –أن فنون القتال كثيرة متنوعة فمنها المبارزة والمواجهة فى ساحات القتال عند التقاء الصفوف وهذه الحرب تسمى الحرف النظامية من الغارة والرمي وغير ذلك ومنها تبييت العدو والغارة عليه فجأة وكبسهم ليلاً وهذا هو الهجوم المباغت الذي يربك العدو ويفقده التركيز ومنها العمليات الفردية التي يقوم بها الشجعان فى أرض العدو من الاستطلاع واغتيال رؤوس الكفر وأهل الغلظة على المسلمين ومنها الانغماس فى العدو والعمليات الإستشهادية ومنها المكايد والحيل الحربية من الخدع وبث الجواسيس وإشاعة الأخبار المزورة التي تفت فى عضد الكفار وتهزم نفسياتهم وكذلك التحلي بأخلاق الإسلام الحربية التي هي دعوة فى نفسها كتحريم قتل المرأة والصبي إن لم يقاتلا وهذا شرط وإذا انتفى الشرط انتفى المشروط فإن قاتلا قتلا كذلك الشيخ الفاني والضعيف والأعمى والمقعد كل ذلك ألا يكونوا من أهل القتال والحرب ولا من أهل الإعانة بأنواعها سواء الرأي والمشورة والسلاح وغير ذلك ويجوز الرمي بالمنجنيق "القنابل والصواريخ والمتفجرات ورميهم بالنار وإرسال الماء عليهم وإن كان فيهم نساء وصبيان منهم وكذلك إتلاف الزرع والشجر وما تدعو الحاجة إلى إتلافه كالذي يقرب من حصونهم ويمنع من قتالهم أو يحتاج إلى قطعة لتوسعة الطريق أو تمكن من قتال أو ستارة منجنيق أو يكونوا يفعلون ذلك بنا وبأطفالنا ونساءنا فنفعله بهم لينتهوا فهذا جائز بغير خلاف وكل ذلك فعله النبي ﷺ فقتل النساء والصبيان ورمى بالمنجنيق على التفصيل السابق من القتال وعدمه ، وكذلك تترس الكفار فى قلعتهم بأسرى المسلمين وأطفالهم فإن لم تدع ضرورة إلى رميهم ، تركناهم صيانة للمسلمين وإلا فإن دعت ضرورة بأن تترسوا بهم فى حال اقتحام الحرب والتحامهم وكانوا بحيث لو كففنا عنهم ظفروا بنا أو كثرة نكايتهم أو تعذر أخذ قلعتهم وهزيمتهم جاز رميهم ويتوقى المسلم بحيث الإمكان واستفراغ الوسع فى سلامة المسلم قدر الإمكان فإذا أراد الأمير أو القائد لقاء العدو وحربهم فعليه أن يعرف كيف يجاهد وكيفية القتال واستعمال الطرق المناسبة فى ذلك وسنفصلها فى فصول منها

المكايد والحيل الحربية

"الحرب خدعة "

ثبت فى الصحيحين عن جابر وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا قال رسول الله ﷺ "الحرب خدعه "بضم الخاء وفتحها وهذا مما أجمع عليه العقلاء فى الجاهلية والإسلام ومعنى قوله ﷺ الحرب خدعة أي ينفض أمرها بخدعة واحدة وفى مثل هذا يقال "رب حيلة أنفع من قبيلة "ومن كلام الحكماء إذا طلبت عدوك بالقوة فلا تقدمن عليه حتى تعلم ضعفه منك ، وإذا طلبته بالمكيدة فلا يعظمن أمره عندك وإن كان عظيماً ويروى أن عمر بن عبدود لما بارز علياً رضي الله عنه وأقبل عليه قال له على مابرزت لأقاتل أثنين فالتفت عمرو فوثب عليه على فضربه فقال عمر خدعتني فقال الحرب خدعة ولاينافى ذلك شجاعة على وقوته وإقدامه ،وفعل مثل ذلك الهادي أمير المؤمنين لما حمل عليه الخارجي وليس عنده أحد ولا معه سلاح فلم يتحرك من مكانه إلى أن قرب منه فصاح أضرب عنقه كأنه يأمر أحداً من وراء الخارجي فلتفت الخارجي إلى خلفه لينظر المأمور فوثب عليه الهادي وثبة صار على صدره وأخذ منه السيف وذبحه به وسيأتي تفصيل ذلك عند الكلام على شجعان الأمة وأبطالها إن شاء الله .

كيفيه إدارة المعركة

إذا أراد القائد الجهاد فعليه بالسرية والكتمان وتنشيط المثلث الذهبي من الملاحظة ثم الربط ثم الاستنتاج وهذا يتطلب قوة اليقظة والحذر ومباغتة العدو من حيث يأمن فمن السنة إذا أراد غزو طائفة أنه يورى بغيرها تورية لا يشك فيها القريب والبعيد ولا يطلع على مقصده أحداً من خواصه ولا غيرهم إلا إن دعت ضرورة لذلك كما فعل النبي ﷺ فى غزوة تبوك وفى الصحيحين أن رسول الله ﷺ لم يكن يريد غزوة يغزوها إلا وري بغيرها

إختيار الرسل

واعلم أن المفاوضات لا تأتي بخير إلا إذا كانت من مصدر عزة وقوة وجهاد أما المفاوضات مع الذلة والصغار وإبطال الجهاد بالصلح الدائم مع الكفار فقد ضيع بلاد الإسلام فى الأندلس وغيرها وما ضاعت القدس ولا أسر المسجد الأقصى ولا احتلت فلسطين وبلاد المسلمين إلا بالمفاوضات المخذية من الحكام المرتدين ولقد قامت دولة اليهود فى فلسطين بالدماء والحرب والقتال ولن تزول دولتهم ويحرر الأقصى الأسير إلا بالجهاد الصادق على منهاج النبوة لا الجهاد على الأقصى باسم الأحزاب والجماعات والمتأمل فى الذين يحضرون هذه المفاوضات وننظر فهي حقيقة القوم ومظاهرهم وطريقة كلامهم يجد فرق بينهم وبين عدوهم فإن الرسول يكشف حال مرسله لأنه أنموذج شجاعته وإقدامه وترجمان عقله وفهمه فرب رسول أزال هيبة مرسله من قلب عدوه بما شهد من خوره وعجزه وجبنه ودمامة منظره ولُكنه لسانه فكان ذلك سبب زوال دولته وسلطانه ورب رسول ألقى الرعب فى قلب عدوه بحسن منظره وشدة إقدامه وثبات جأشه وقوة قلبه وفصاحة لسانه فكان ذلك سبب كسر العدو والظفر به ، فانظر إلى رسل رسول الله ﷺ دحيه الكلبي وجعفر الطيار والمغيرة بن شعبة وربعي بن عامر وعمرو بن العاص وعبد الله بن حذافة والنعمان بن بشير –وغيرهم رضي الله عن صحابة رسول الله ﷺ وينبغي إلا يرسل رسولاً إلى عدو مراراً متوالية فربما حصل للرسول من المرسل إليه موانسة وإحسان وكثرة المساس تفقد الإحساس والقلوب مجبولة على حب المحسن ،فيحصل من ذلك مداهنتة فى الجواب حيث لا تليق المداهنة ، وربما يتولد من ذلك صداقة تؤدى إلى أن يصير بطانة للعدو عند من أرسله فيضره من حيث لا يشعر وكم من دولة كان سبب زوالها ونكستها خيانة رسولها واستمالة قلبه والواقع فى فلسطين خير شاهد على ذلك واللقاءات السرية معلومة للجميع فإذا اختلفت الرسل كان ذلك أوثق لنيل مايرومه وآمن له مما يخشاه اللهم إلا أن يكون الرسول ممن يثق به ثقة مطلقة لا يداخلها شك ولا ارتياب فإن تكرير إرساله أحسن لجراءته على المرسل إليه بتكرار دخوله عليه وكلامه معه ولمشاهدة المجالس السابقة معه فيبنى عليها الكلام ويكون مقصوده نصرة الإسلام وإظهار عزة المسلمين وقوتهم وأنهم قوم يحبون الموت فى سبيل الله كما يحب عدوهم الحياة فى سبيل شهواتهم ودنياهم فيهزمه ويقهر نفسه

الوعظ والتحريض والدعاء وصدق اللقاء

وينبغي لأمير الجيش أن يكثر فى مجلسه من قراءة القرآن والأحاديث الواردة فى فضائل الجهاد وأنواعه وقراءة كتب الغزوات ووقائع العرب وأيامها وفتوحات المسلمين وحيل المقاتلين ومصاف الفرسان ومنازلات الأبطال ومعارك الشجعان ومانقل عنهم من الصبر الشديد والانغماس فى العدو الكثير-كما سيأتي –فإن ذلك يقوى قلوب ذوى الإيمان ويذهب بالضعف من قلب الجبان ويزيد من جرأة ذوى الشجاعة والإقدام فإن الطباع مجبولة على التحدي والتشبه بذوي الأفعال المحمودة عند أبناء الجنس فإذا إنضاف إلى ذلك مدح الشرعة لها وترغيبه فيها ، والوعد بالجزاء على فعلها وقيام الدليل القطعي على استحسانها ومحبة الأمير أو الإمام لمن فعل شيئاً منها وتقريبه وتميزه على أقرانه –قوى قلبه وشد عزمه وهذا أمر مشاهد لايحتاج إلى دليل .

فلا بد من الوعظ والتحريض بما يحمس الجنود على الاقتحام وبذل النفس لله فلا بد لشعراء الحماسة وخطباء الجهاد من داوم التحريض عليه

بث الجواسيس والعيون

الطريق لرفع رايه التوحيد

وأهم ما ينبغي لصاحب الجيش قبل القتال أن يبث الجواسيس الثقات عنده في عسكر عدوه ليتعرف أخبارهم وما عندهم من العُدد والألات ويعرف أعدادهم ويطلع على خططهم وما دبروه من مكايد وحيل ويبحث عن أسماء رؤسائهم وشجعانهم ويسأل عن أحوالهم عند قادتهم ومنزلتهم منه ويستميلهم ويحتويهم ويخدعهم بما تميل إليه نفوسهم وطباعهم إن أمكنه ذلك ليغدروا بصاحبهم أو يعتزلوه وقت القتال ويخذلوه وينشئ على ألسنة كبرائهم وبطارقتهم وأصحاب المناصب عندهم كتباً مزورة إليه ويظهرها في عسكره لتقوى بها القلوب وتنطق بمضمونها الألسنة وليتسع فيها الكلام

<u>الحرب النفسية والشائعات</u> :فلابد وأن يبلغ العدو ذلك فيوغر قلبه علي أصحابه وجنده ويخاف أن يكون ذلك حقاً وإن كان يعلم أن ذلك كذب فلابد وأن يؤثر في قلبه أثراً ولا سيما مع ضعف عقيدتهم وقلة إيمانهم فلابد للمجاهد الموحد أن يخترق الجبهة الداخلية للعدو وهذا ليس مستحيلاً بل من اليسير جداً تحقيقه ولا سيما أن الموحد يعمل لله بيقين وصدق وإخلاص فهو سينتصر علي هذا العدو الكافر فيجب تدريب الجنود علي إختراق صفوف العدو

<u>السهام المسمومة</u>

يروى أن أصحاب المهلب صاحوا عليه وقالوا لا طاقة لنا بسهام مسمومة يرمينا بها الخوارج يصنعها رجل منهم يقال له :أبزى فقال كفيتم العبد إن شاء الله ثم كتب إليه من المهلب إلي أبزى أما بعد :فقد وصلت هديتك وحسن موقعها وقد أنفذت لك مع كتابي ألف درهم فاقبضها ولا تقطع مواصلتي ومهاداتي أعظم رفدك وتجدني حيث شئت وقال للرسول تعرض لجماعة من الخوارج حتى يأخذوا الكتاب منك ويدفعوه إلي رئيسهم قطري ففعل ما أمره به فأوصل الكتاب إلي قطري فعجل علي أبزى بالقتل قبل أن يعرف صحة الخبر وقال ما أصنع ممن يهادي المهلب ؟ فافترقوا لذلك وكان هذا سبب اختلافهم فقال المهلب لأصحابه لا تشغلوهم عن المنازعة بالقتال فإنهم إذ افترقوا الآن لم يجتمعوا أبداً فكان كما قال

<u>وسائل الإعلام أسلحة قاتلة (الحرب الإعلامية)</u> *ويكتب علي السهام أو في وسائل الإعلام أخبار مزورة تطابق ما وصل إليه من الجواسيس ويرمي بها في جيش العدو ويبثها في قنواته ولا يبخل بما يصرفه في ذلك فإنه إن كانت النصرة له لا يضره ما أنفقه فإنفاق الأموال في الحيل والمكايد والحرب الإعلامية أولى من إنفاق الأرواح في الحروب والشدائد ,ومن أنواع التأييد أن يلهم الله المكيدة من يقدر عليها .*

حرب العصابات

ومن أهم ما يعتني به في الحروب من المكايد الكمناء ,فإن الكمين وإن كان عدداً يسيراً فإنه إذا ظهر أثر في القلوب رعباً وفي الأعضاء ضعفاً وفي العقل جموداً وفي الأقدام وقفة ولا يدوم إقبال مقاتل علي خصمه إلا إذا كان أمناً من ورائه ومتى أحس أنه يؤتى من خلفه تشتتت همته بين الدفع والقتال وضعف جأشه عن مقاومة الرجال والتفت قلبه حذراً مما قد يقع فكيف إذا سمع جلبة أو صوتاً من ورائه ولو من رجل واحد ولا تحصى كثرة العساكر الذين قتلوا بالكمناء وحرب العصابات في الشوارع وهذا مشاهد في جروزني وفلسطين والعراق فإن هذه الأكمنة تشعر العدو بالرعب وتشتت جهده وتجعله في قلق دائم متوقع الموت في كل لحظة وهو لا يدري من أين تأتيه المنية ومع تقدم الوسائل الحديثة في الحرب والتفجير عن بعد واستخدام السيارات وغيرها من الوسائل فإن حرب الشوارع من أنجح الوسائل في هزيمة العدو لو نفذت بطريقة جيدة مدروسة وإلا كانت تهوراً وحماسة جوفاء لا تأتي إلا بالهزيمة

نصائح

فعليه أن يقدر الأمور قدرها وألا يغتر بعدوه فمن استضعف عدوه اغتر ومن اغترظفربه عدوه فأشعروا قلوبكم في الحرب الجرائة فإنها سبب الظفر واذكروا الضغائن فإنها تبعث علي الإقدام والزموا الطاعة فإنها حصن المحاربة رب مكيدة أبلغ من نجدة ورب كلمة هزمت جيشاً الصبر سبب النصر ، النصر مع التدبير لا ظفر مع بغي لا تجبنوا عند اللقاء ولا تميلوا عند القدرة ولا تسرفوا عند الظهور ولا تغلوا عند الغنائم ونزهوا الجهاد عن عرض الدنيا الحقير وما عند الله خيروأبقى وماذا بعد بذل النفس والشهادة ؟ لا تلوثوا دعوة التوحيد والجهاد بالإنحرافات السلوكية فتصدوا الناس عن دعوة الحق بفعالكم كونوا علي قدر المسؤلية واعلموا أن الإسلام دين شامل كامل ليس عقيدة وتوحيد فقط ولا شرائع وشعائر تعبدية فقط ولا معاملات فقط بل هو عقيدة وشريعة ومنهاج حياة شامل وكامل وصالح لكل زمان ومكان لأنه من عند الله فكونوا اتباع الرسل حقاً وموحدين صدقاً ومجاهدين مخلصين لإعلاء كلمة الدين .

اللهم اجعلنا من أنصار دينك وسنة نبيك وعبادك الموحدين المجاهدين ومعلوم أن لكل ميدان طريقته من الحرب النظامية والكمين وحرب الشوارع والعمليات الفردية .

الرد على من قال بجواز الفرار والتولى من ثلاثه وأكثر

وسيأتى أن هذا لا يجوز وفعل الصحابة والسلف يرده ويبطله وقد سبق أن الصحابة ماقتلوا عدوهم إلا وهم أقل عدداً وعدة وعدوهم يفوقهم بأضعاف كبيرة كما سبق فإن الجهاد إذا كان فرض كفاية على الإنسان ثم حضر الصف صار عليه فرض عين وحرم عليه الفرار فإن فر متحرفاً لقتال كمن ينصرف ليكمن فى موضع ويهجم أو يكون فى مضيق فينصرف ليتبعه العدو إلى متسع يسهل القتال فيه أو متحيزاً إلى فئة يستنجد بها جاز له ذلك

والأدله على تحريم الفرار وتغليظ اسم من فر كثيرة جداً وأن الثبات والصبر أفضل

قال الله تعالى " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ (١٥) وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٦) "الأنفال ١٥-١٦ فالفرار من الزحف حيث لا يجوز من أعظم كبائر الذنوب عند الله تعالى

بإجماع العلماء وفاعله مستحق لغضب الله ومقته وأليم عذابه ففى الصحيحين عن أبي هريرة –رضي الله عنه – أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال " اجتنبوا السبع الموبقات قيل يارسول الله وما هن ؟ قال : الشرك بالله والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل مال اليتيم وأكل الربا ، والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات " فالثبات والقتال نكاية في العدو أفضل وأحسن من الفرار وإن كان العدو يفوقهم في العدد والعدة – كما سبق وسيأتي إن شاء الله المزيد من الأدلة علي ذلك ولكن شرط النكاية في العدو وربما يقال إن فرض الجهاد والثبات إنما هو في الجماعة والمصافة بين الفريقين أما الواحد والإثنين إن قابلوا أكثر من ضعفهما فيجوز لهما الإنهزام فيجوز أن يفر الرجل من ثلاثة ويرد علي ذلك وغيره من كلام الفقهاء وتعريفاتهم فعل الصحابة في مؤته وغيرها

قال القرطبي وقد وقف جيش مؤته وهم ثلاثة ألاف في مقابلة مائتي ألف من الروم ومائة ألف من المستعربة من لخم وجذام قال

وقد وقع في تاريخ فتح الأندلس أن طارق مولى موسى بن نصير سار في ألف رجل وسبع مائة رجل إلي الأندلس وذلك في رجب سنة ثلاث وتسعين من الهجرة فالتقى وملك الأندلس لُذريق وكان في سبعين ألف عنان فزحف إليه طارق وصبر له فهزم الله الطاغية وكان الفتح

وقال ابن المنذر في الأوسط : قال مالك في الرجل يلقى العدو العشرة أو نحو ذلك يقاتلهم وحده أو ينصرف إلي عسكره – قال مالك ذلك له واسع فلا خلاف أن المسلم الواحد له أن يهجم علي صف الكفار ويقاتل ويصبر ولا ينهزم ولا يستأسر وإن علم أنه يقتل ولكن لو علم أنه لا نكاية لهجومه علي الكفار كالأعمي يطرح نفسه علي الصف دون نكاية فهذا مكروه ويدخل تحت عموم آية التهلكة ، وإنما جاز له الإقدام إذا علم أنه لا يقتل حتى يقتل أو علم أنه يكسر قلوب الكفار بمشاهدتهم جرأته وإعتقادهم فى سائر المسلمين قلة المبالاة وحبهم للشهادة فى سبيل الله فتكسر بذلك شوكتهم ويدب الرعب فى قلوبهم ويكون ذلك سبب هزيمتهم.

وقال الرافعى والنووى وغيرهما التغرير بالنفس فى الجهاد جائز ونقل فى شرح مسلم الإتفاق عليه وقال بجواز الإنغماس فى الكفار والتعرض للشهادة وهو جائز لا كراهة فيه عند جماهير العلماء فلا بأس أن يحمل الرجل وحده على الجيش العظيم إذا كان فيه قوة وقام لله بنية خالصة فليحمل لأن مقصوده واحد منهم ولو غلب على ظنه أن يقتل ولكن سينكى نكاية أو يأثر أثراً ينتفع به المسلمون فجائز أيضاً فشرط النكاية وكسر قلوب الكفار لأن المجاهد المدرب ثروة عظيمة فمن الطيش والحماس الغير منضبط أن يلقى هذا المجاهد بنفسه ويهلك دون نكاية فى العدو ولا مصلحة عائدة على المسلمين والمجاهدين فلا بد من دراسة الأمر جيداً وعدم العجله والتسرع والبعد عن العشوائية ولاسيما مع قلة المجاهدين فى هذا الزمان فدمائهم غالية فيجب صونها والمحافظة عليها .

وقال مُحَمّد بن الحسن :لو حمل رجل واحد على ألف رجل من المشركين وهو وحده لم يكن بذلك بأس إذا كان يطمع فى نجاة أو نكاية فى العدو فإلم يكن ذلك فهو مكروه لأنه عرض نفسه لتتلف من غير منفعة للمسلمين فإن كان قصده تجرأة المسلمين عليهم حتى يصنعو مثل صنيعه فلا يبعد جوازه لأن فيه نفعاً للمسلمين على بعض الوجوه فإن كان قصده إرهاب العدو ليعلم العدو صلابة المسلمين في الدين فلا يبعد جوازه إذاكان فيه نفع للمسلمين فتلفت نفسه لإعزاز دين الله وتوهين الكفر فهو المقام الشريف الذى مدح الله به المؤمنين فى قوله تعالى "إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ" وهذا فى جميع الأحوال كما ترى يدور مع الكراهة والأستحباب شرط النكاية لكن لو بلغ المسلمون إثنى عشر ألف فلا

لن يغلب أثنى عشر ألف من قلة

إذا كان العلماء جوزو الفرار من أكثر من الضعف مع الكراهة لذلك واستحباب القتال والنكاية حتى الموت وهذا إن لم يبلغ المسلمين إثنى عشر ألف فإن بلغوا إثنى عشر ألفاً لم يحل لهم الفرار وإن زاد عدد المشركين أضعافا وإن أكثر أهل العلم خصصوا هذا العدد للحديث الذى رواه أبو داوود والترمذى والبيهقى والدارمى والحاكم بإسناد صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وسكت عنه الذهبى أن رسول الله ﷺ قال "ولن يغلب إثنى عشر ألف من قلة "

وروى عن مالك مايدل على ذلك من مذهبه وهو قوله للعمرى العابد إذ سأله :هل لى سعة فى ترك مجاهدة من غير الأحكام وبدلها ؟ فقال إن كان معك إثنى عشر ألف فلا سعة لك فى ذلك إذا كان الأمر كذلك فلماذا هذا الذل والصغار والمهانة التى فيها المسلمون الأن لماذا هذا القهر من الكفار والغلبة وعدد المسلمون اليوم يزيد على المليار ونصف ؟لماذا تغلب الكفار على المسلمين واحتلو أراضيهم وساموهم سوء العذاب أليس فيهم أثنى عشر ألف موحد مجاهد إن الأمة فيها خير كثير ولن تعدم مجاهداً يقودها إلى النصر والتمكين ولكن هؤلاء قلة وأيما وجدو حاربهم أهل الكفر قاطبة ورموهم عن قوس واحدة واجتمعت عليهم ملل الكفر من الحكام المرتدين واليهود والنصارى والشيوعين والعلمانين والصوفية والشيعة والواقع خير شاهد على ذلك فى الشيشان وافغانستان والبوسنة والصومال والعراق وكشمير والجزائر وفلسطين ولكن ثم أمر أخر يجب التفطن إليه وهو مانع بلاشك من موانع النصر والتمكين وتآخر ذلك إنها الذنوب والمعاصى.

أثر الذنوب والمعاصى فى تأخر النصر

أعلم أيها الموحد أن الله مع المتقين والمعية هنا معية نصرة وتأييد وهى معية خاصة بالمؤمنين المجاهدين الصابرين فالمعية معيتان

معية عامة :وهى معية الإحاطةوالعلم وهذه يشترك فيها جميع الخلق إذ أن الله معهم بعلمه لا يغيب عنه سبحانه من أمره شيء كقوله تعالى " وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤) "الحديد

وقوله " مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ " المجادلة ٧

ومعيةخاصة :وهى معية المعونة والنصر والتأييد والكفاية وهذه خاصة بالمؤمنين المجاهدين المتقين كقوله تعالى " إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا "التوبه ٤٠

وقوله " وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ " مُحَمَّد ٣٥

وقوله " إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ " الأنفال ١١

وهذه المعية منوطة بالعبودية الخالصة من شوائب المخالفات فمن كان عبدا لله حقا فلا غالب له إذ أن الله معه وهو ناصره ومؤيده " ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ (١١)

" ومما يؤيد ذلك قوله سبحانه " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً " التوبه ١٢٣ ،ثم عقب ذلك بقوله تعالى" وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ "ليفهم أولى الألباب من هذا النظم والسياق أن معية النصر والتأييد خاصة بالمتقين وكذلك قوله تعالى" إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ (١٢٨) " أخر النحل ، عقيب قوله " وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ "

وقال ﷺ لابن عباس "إحفظ الله يحفظك إحفظ الله تجده أمامك " الحديث وقال ﷺ "إن لم تغل أمتى لم يقم لهم عدواً أبدا" وقال أبوذر لحبيب بن مسلمة رضى الله عنهما وكان يسمى حبيب الروم لكثرة دخوله عليهم مجاهداً ،هل يثبت لكم العدو حلب شاه ؟قال نعم وثلاث شياه غُزُر قال أبو ذر غللتم ورب الكعبة

فانظر إلى فهم هذا الصحابى الجليل لأثر الذنوب والمعاصى والمخالفات من تأخر النصر ولو كانوا كثرة

فمتى أخل المجاهد بشيء من صفات العبودية أو تجرد عن شيء من ملابس الإيمان ، أو تلبس بفعل من أفعال المخالفين ، صار بينه وبين العدو مناسبة ما لتلبسه بشيء من صفاتهم فامتدت إلى باطنه من بواطنهم رقيقة ظلمانية ، لوجود تلك المناسبة ، فأثرت عنده صفة من صفاتهم الرذيلة من الرعب والجبن والخذلان والذلة ، والرغبة في الفرار سكونا إلى الدنيا ، وحرصا على الحياة ونحو ذلك ، وبقدر عظم المخالفة وصغرها يكون التأثير.

أَلا تتأمل قصة حنين ؟! إذ قال من قال من المسلمين : لن نغلب اليوم من قلة ، وكانوا اثني عشر ألفا ، فهزمهم الله لإعجابهم بكثرتهم وعدم شهودهم النصر من عنده ، إذ هاتان الصفتان ، من صفات العدو ، فلما تلبسوا بها أثر ذلك في قلوبهم رعبا أوجب الفرار ، فقال تعالى : {ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئًا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين} ، وقال تعالى: {إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا}

ولما كان سيدنا مُحَمَّد ﷺ معصوما من ذلك ، عصمة واجبة تليق بمقامه الشريف ، وكذلك بعض المؤمنين حفظوا من ذلك ، أنزل الله سكينته على رسوله و على المؤمنين المحفوظين ، فلم يجد العدو إليهم سبيلا ، فنصرهم الله وهزم العدو ، كما سيأتي في غزوة حنين إن شاء الله .

ومما يؤيد ما ذكرناه قوله سبحانه : {يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة} ، ثم عقب ذلك بقوله تعالى : {واعلموا أن الله مع المتقين} ليفهم أولو الألباب من هذا النظم والسياق أن معية النصر والتأييد خاصة بالمتقين ، وكذلك قوله تعالى : {إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون} . عقيب قوله : {ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون} .

{ فاجعل بين نفسك وبين صفات العدو وأفعاله حجابا منيعا من التقوى : }.

وذكر ابن كثير الدمشقي الحافظ في تاريخه : إن بعض المسلمين غزا في زمن السلطان ظاهر بيبرس على فرس له ، وكان من عادة فرسه النهضة والإقدام ، فلما كان في بعض الأيام طلب منه ذلك فتأخر ، فبقي كلما يضربه ليتقدم إلى العدو يتأخر ، فعجب من ذلك ، فلما كان تلك الليلة رأى الفرس في منامه وكأنه يلومه على فعله وعدم إقدامه ، فقال له الفرس : كيف أقدم على العدو وقد اشتريت عُلَّيْقَى بدرهم زيف فلما أصبح مضى إلى العلاف فقال له العلاف إن الدرهم الذي أعطيتني البارحة ليس بجيد ورده عليه .

ويحكى أن بعض عساكر المسلمين حاصروا حصنا من حصون الكفار فتوقف عليهم فتحه ، فقال أميرهم : انظروا ماذا ارتكبتموه من البدع أو تركتموه من السنن حتى عسر علينا فتح هذا الحصن ؟ فنظروا فإذا هم قد أهملوا السواك فاستعملوا السواك ففتح الله عليهم الحصن ، فانظر هذا التأثير العظيم في ترك سنة من السنن وقس عليه تأثير ارتكاب المحرمات وانتهاك الحرمات وتناول الحرام في المطعم والملبس ونحو ذلك ، تعلم من أين أن من خذلهم الشيطان وأوقعهم في الفرار والعصيان .

واحترز أيها المجاهد من تأثير المخالفة في قلبك وتضعيفها لهمتك وغلبتها على عزمك ونيتك ، وطهر باطنك من لوث المخالفات ، وأوقد في ظلمات وساوسه سراج اليقين والتوكل ، وأقدم إقدام من يعلم أن الموت لا بد من نزوله على كل حال ، وأنه لا يمنع منه الفرار في قلل الجبال ، ولا يدفع عنه الاعتزاز بحيل الرجال : {أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة} {فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين}{ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز} . ومن سبق القدر بموته قتيلا استحال أن يجد إلى غير ذلك سبيلا {قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم }

الفرار - ثكلتك أمك - سفرة من أسفار الموت ، وحرص على ما لا يخشى فيه الفوت ، ورب حياة كان سببها التعرض للوفاة ، وموت سببه طول الحياة ، وليس للمحارب حصن من الهلاك يلجأ إليه غير تأخير أجله ، ومن اجتهد في سبيل الله على الموت وهبت له الحياة مع حسن عمله ، الفار مسلم لنفسه والمقاتل مدافع عنها ، وإذا انقضت مدة الأجل فالمنية لا بد منها ، أما تخشى أيها الفار أن تدركك المنية فتكون من أصحاب النار ، أما تخاف أن يأتيك سهم وأنت مولي الأدبار ، فيسكنك دار البوار .

٩٧٨ - وقد كان من دعاء النبي ﷺ : "وأعوذ بك أن أموت في سبيلك مدبرا" . رواه النسائي في حديث ، عن أبي موسى .

الفرار لا يزيد عمرا ولا يأخر أجلاً فلا نامت أعين الجبناء

واعلم أيها الفار حرصا على زيادة عمر لا يزيد بالفرار ، ولا ينقص بالثبات ، وخوفا من هجوم أجل لا يتقدم نفسا ولا يتأخر لتحتم وقت الممات ، أنك قد عصيت بفرارك وبؤت بسخط الجبار ، ولبست ثوب المذلة والعار ، بين المسلمين والكفار ، أما تخشى أن تؤسر فتفتن عن دينك فتخسر الأخرى ، أو ينوع عذابك وتقتل بالهوان صبرا ، ولا شك عند كل ذي لب أن استقبال الموت إذا حان وقته خير من استدباره ، وما أحسن قول المتنبي :

وإذا لم يكن من الموت بد   فمن العجز أن تموت جبانا

وليزيد بن الحكم بن أبي العاص :

وعش ملكا أو مت كريما فإن تمت   وسيفك مشهور بكفك تعذر

ولبعضهم :

محرمة أكفال خيلي على القنا   ودامية لبّاتُها ونحورها

حرام على أرماحنا طعن مدبر   وتندق منها في الصدور صدورها

ولله در القائل :

وما القتل بالبيض الرقاق نقيصة إذا كان لا يخلو من العز والفخر
ونحن أناس لا نرى الموت سبة إذا كان بين البيض والأسل السمر

ولبعض الشجعان وهوقطرى بن الفجاءة أحد شجعان وفرسان الخوارج:

أقول لها وقد طارت شعاعا من الأبطال ويحك لن تراعي
فإنك لو سألت بقاء يوم على الأجل الذي لك لن تطاعي
فصبرا في مجال الموت صبرا فما نيل الخلود بمستطاع
ولا ثوب البقاء بثوب عز فيطوى عن أخي الخنع اليراع
سبيل الموت منهج كل حي وداعيه لأهل الأرض داع
ومن لم يعتبط يهرم ويسأم وتسلمه المنون إلى انقطاع
لموت المرء خير من حياة إذا ما عد من سقط المتاع

وكان البهلول بن بشر أحد الأبطال كثيرا ما ينشد:

من كان يكره أن يلقى منيته فالموت أشهى إلى نفسي من العسل
فلا التقدم في الهيجاء يعجلني ولا الحذار ينجيني من الأجل .

ووجد على نصاب سكين مكتوب :

في الجبن عار في الإقدام مكرمة فمن يفر فلا ينجو من القدر

ووجد على درقة مكتوب :

والحرب إن لاقيتها فلا يكن منك الفشل اصبر على أهوالها لا موت إلا بالأجل

ولبعضهم :

لئن كانت الأرزاق قسما مقدرا فقلة حرص المرء في الرزق أجمل
وإن كانت الأموال للترك جمعها فما بال متروك به المرء يبخل
وإن كانت الدنيا تعد نفيسة فقدر ثواب الله أعلى وأنبل
وإن كانت الأبدان للموت أنشئت فقتل امرئ في الله بالسيف أجمل

الفرار –ثكلتك أمك –سفرة من أسفار الموت وحرص على من يخشى فيه الفوت ورب حياة كان سببها التعرض للوفاة فاحرص على الموت توهب لك الحياة أما تخشى أيها الفار أن تدركك المنية فتكون من أصحاب النار أما تخاف أن يأتيك سهم وأنت مولى الأدبار فيسكنك دار البوارى وتبوء بالذل والخزى والعارى وقد كان من دعاء النبى ﷺ وأعوذ بك أن أموت فى سبيلك مدبراً " حديث صحيح رواه النسائى

فالثبات الثبات والنجاة النجاة والعزيمة العزيمة فلا تنال الجنه إلا بالعزائم لقد عذب بلال وأصحابه عذاباً شديداً ولم يرجعوا عن دينهم وكذلك صلب خبيب ولم يرجع عن دينه رضى الله عنهم أجمعين ياهذا إلم تقتل وتأسر وسلمت ورجعت فلا بد من الموت إنما هى آجال محدودة وأنفاس معدودة قال الله تعالى " قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٨) " الجمعة

لولم يكن فى القتل الذى تفر منه إلا الراحة من سكرات الموت لكان فى ذلك مايوجب لك الثبات وإلم تنظر إلى مابعده وهو الفوز العظيم وكان على رضى الله عنه يحض على القتال ويقول إلم تقتلوا تموتو والذى نفسى بيده لألف ضربة بالسيف أهون من موت على الفراش فالموت أشد من حزب بالسيوف والنشر بالمناشير وقرض بالمقاريض وغلى فى القدور فالموت فى سبيل الله والثبات والجهاد ينجيك من ذلك كله ياهذا أنظر ماتختاره لنفسك وتفر إليه أهو خير أم القتل فى سبيل الله الذى لا يجد الإنسان من ألمه إلا كمس قرصة ؟ كما سبق فى فضل الجهاد والمجاهدين وما بعد الموت أفظع وأبشع وأهم وأشنع كضمة القبر ووحشته وفتنة الملكين وسؤالهما والصيحةوالبعث والحشر وكربات يوم القيامة وأهوالها من تطاير الصحف وجواز الصراط ومناقشة الحساب على الجليل والحقير والفتيل والقطمير ووزن الخير والشر بموازين الذر وأخذ القصاص وغير ذلك من أهوال يطول ذكرها" يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ (٢) " الحج

فإن تنج منها تنج من ذى عظيمة وإلا فإنى لا أخالك ناجياً ،كم بين هذا وبين من هم " أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) " ال عمران ١٦٩ قد أمنوا من عظيم الأهوال والكربات وسكنوا فى أعلى الغرفات وكرعوا من النعيم أكوباً ومتعوا بجنان الفردس مستقراً ومآبا وتمتعوا بحور عين كواعب أترابا أرواحهم فى جوف طير خضر تجول فى الجنان تأكل وتشرب وتأوى إلى قناديل معلقة فى عرش الرحمن يتمنون الرجوع إلى هذه الدار ليقتلوا فى سبيل الله عشر مرات لما بهرهم من ثواب الله الجزيل للجريح فى سبيله والقتيل . فما اقبح العجز عن إنتهاز هذه الفرص وماأنجح الإحتراز بالجهاد من مقاساة تلك القصص وليت شعرى بأى يوجه يقدم على الله غداً من فر اليوم من أعدائه وماطَله من تسليم نفسه بعد عقد شرائه ودعاه إلى جنته ففر وزهد فى لقائه وبأى عذر يعتذر بين يديه من هو عن سبيله ناكب وعما رغبه فيه من الفوز العظيم راغب

اللهم إليك يامن بيده أزمة القلوب نرغب فى ثباتها وعليك ياعلام الغيوب نعتمد فى تصحيح قصدها وإخلاص نياتها وإلى غناك نمد أيدى الفاقة أن ترزقنا شهادة ترضاها وأن تنيل نفوسنا فى ثبات الأقدام فى سبيلك مناها فالحراك والسكون إليك والمعول فى كل خير عليك وأنت على كل شيى قدير[1] وبالإجابة قدير أن تفك أسرنا وتخرجنا من سجون الطواغيت أعزةً ثابتين على الحق وإلى نصرة دينك قاصدين

ولكن قبل أن نورد الجواب ونسوق الأدلة علي صحة ذلك نود أن نشير إشارة لطيفة مختصرة عن

فضل الإنفاق في سبيل الله وإعانة المجاهدين وإعدادهم بالعدة والمال وطعامهم وخدمتهم وتشييعهم ووداعهم [2]

قال الله تعالي :" مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً " البقرة ٢٤٥ وقال سبحانه " مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ " البقرة ٢٦١

وروى مسلم في صحيحة عن أبي مسعود الأنصاري –رضي الله عنه – قال جاء رجل بناقة مخطومة فقال هذه في سبيل الله فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم لك بها يوم القيامة سبع مائة ناقة كلها مخطومة " ويحتمل هنا أجر السبع مائة ناقة ويحتمل أن يكون علي ظاهره ويكون له بها في الجنة سبع مائة ناقة كل واحدة منهن مخطومة يركبهن حيث شاء للتنزه كما جاء في خيل الجنة

وروى الإمام أحمد والبخاري ومسلم وغيرهم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال " من أنفق زوجين في سبيل الله نودى في الجنة يا عبد الله هذا خير فتعال فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان قال أبو بكر بأبي أنت وأمي فما علي من يدعى من تلك الأبواب كلها من ضرورة فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها ؟ قال رسول الله صلي الله عليه وسلم نعم وأرجوا أن تكون منهم . وفي رواية صحيحة قال أبو بكر هذا رجل لا توى عليه

---

(١) من المشارع لابن النحاس بتصرف وانظر تمام كلامه النفيس من ص ٥٦٦ إلى ص٥٩١ حول الفرار وأثر المعاصى

(٢)راجع المشارع لابن النحاس من ص ٢٧٠ ، ٢٩٦ حتى ص ٣٢٣

أي لا ضياع ولا خسارة ولا هلاك فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم " ما نفعني مال قط إلا مال أبو بكر " قال فبكي أبو بكر رضي الله عنه وقال وهل نفعني الله إلا بك وهل نفعني الله إلا بك والزوجان فرسان من خيله بعيران من بعيره وإن كان بقراً بقرتيين وإن كان رجالاً فرجلين أو درهمين أو خفين أو ثوبين كما جاء في حديث أبي ذر وهو صحيح ....

وروى مسلم في صحيحه عن ثوبان رضي الله عنه –مولى رسول الله صلي الله عليه وسلم أنه قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم " أفضل دينار ينفقه الرجل دينار ينفقه علي عياله ودينار ينفقه علي دابته في سبيل الله دينار ينفقه علي أصحابه في سبيل الله "

وقد جهز عثمان بن عفان رضي الله عنه جيش العسرة في غزوة تبوك بألف دينار فصبها في حجر النبي صلي الله عليه وسلم فجعل النبي صلي الله عليه وسلم يقلبها بيده ويقول ما ضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم يرددها مرارا اللهم ارض عن عثمان فإنى راض عنه "

عثمان وما أدراك ما عثمان ذو النورين أمير المؤمنين شهيد البررة قتيل الفجرة جهز جيش العسرة بألف بعير وسبعين فرسا رضي الله عنه وقد ذكر جماعة عن نافع الفهري أنه كانت تأتيه المرأة بالكبة من الخيوط والغزل فتقول خذها في سبيل الله فيأخذها ويؤتى بثلث الدينار في سبيل الله فيأخذه فيقال له : لقد أغناك الله عن هذا فيقول أجل ولكني أخذه منه ليأجره الله ونعطيه نحن فيأجرنا الله وقد قال رسول الله صلي الله عليه وسلم لا تحقرن من المعروف شيئاً

فينبغي للإنسان ألا يستقل ما عنده فإنه وإن كان يسيراً فإن الله يجعله بالقصد الصالح كثيراً وقد روى من كعب أنه قال : دخل الجنة رجل في إبرة أعارها في سبيل الله ودخلت إمرأة الجنة في مسلة أعانت بها في سبيل الله وقال ابن عباس أنفق في سبيل الله ولو مشقص وهو مفل السهم فهذا فضل الإنفاق في سبيل الله وما أعده الله لهم وعلي العكس فقد جاء

الترهيب من البخل بالإنفاق في سبيل الله تعالي وما جاء من الوعيد الشديد

قال الله تعالي " وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ " البقرة ١٩٥

روى البخاري وابن أبي حاتم في تفسيره وغيرهما عن حذيفة رضي الله عنه في قوله تعالي " ولا تلقوا بأيديكم إلي التهلكة " قال يعني بترك النفقة في سبيل الله

وقال القرطبي في تفسيره قال حذيفة ابن اليمان وابن عباس وعطاء وعكرمة ومجاهد وجمهور الناس : المعني ولا تلقوا بأيديكم إلي التهلكة بأن تتركوا النفقة في سبيل الله وتخافون العيلة يعني الفقر فيقول الرجل ليس عندي ما أنفقه وإلي هذا ذهب البخاري رحمه الله وقال تعالي " وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ (٣٥) " التوبة ٣٤ – ٣٥ وقال تعالي " هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ (٣٨) " مُحَمَّد ٣٨

وقال تعالي " وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٠ " الحديد

قال القرطبي أي شيئ يمنعكم من الإنفاق في سبيل الله وأنتم تموتون وتخالفون أموالكم وهي صائرة إلي الله فمعني الكلام التوبيخ علي عدم الإنفاق " ولله ميراث السماوات والأرض " أي أنهما راجعان إلي الله بإنقراض من فيهما كرجوع الميراث إلي المستحق " وروى أبو داود وابن ماجة بإسناد حسن عن أبي أسامة صدي بن عجلان الباهلي عن النبي صلي الله عليه وسلم قال " من لم يغزو أو يجهز غزياً أو يخلف غازياً في أهله بخير أصابه الله بقارعة قبل يوم القيامة " والقارعة هي الشديدة والداهية من شدائد الدهر

إجتهاد الشيطان في منع النفقة في سبيل الله

والإنفاق في سبيل الله علي نفسه ودابته وعلي غيره من الغزاة في ثمن سلاح وعدة ومركوب أو ما يحتاجون إليه من قوتهم ونفقة عيالهم في مدة غزوهم ونحو ذلك هو من أعلي الطاعات وأعظم القربات وأجل الصدقات ولا يجتهد الشيطان في منع شيئ من الإنفاق كاجتهاده في منع النفقة في سبيل الله لما يعلم

فيها من عظم الأجر وجزيل الثواب ونيل الدرجات العلا في إخراجها والفوز العظيم في عدم البخل بها ، ويساعده علي ذلك شح النفس وعدم الإعتياد علي البذل والعطاء والجهل بالأجر فلا سبيل إلي إخراج شيئ من النفقة في سبيل الله إلا بتأييد من الله القوي العزيز علي العدو اللعين فإنه يعد الفقر ويأمر بالفحشاء وأصدق القائلين يقول " هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ (٣٨) " سبأ ٣٩ .

وقد يقوي الإنسان علي الشيطان في خروجه إلي الجهاد في سبيل الله ولا يقوي عليه في سعة الإنفاق مع القدرة علي وسوسته إليه من أنك إذا رجعت من جهادك لا تجد لك مالاً وقد يحصل لك جراح أو مرض فترجع فقيراً ليس معك شيئ وهذه الوساوس يقبلها من كان يريد الرجوع إلي الدنيا سالماً من الجهاد ولذلك كان السلف يكسرون جفون سيوفهم عند اللقاء لغلبة ظنهم أنهم لا يرجعون لما استولي علي قلوبهم من حب الشهادة والشوق إلي لقاء الله ورجاء الفوز العظيم بالقتل في سبيل الله وقد يوسوس لك أنك تقتل ويبقى ولدك بعدك فقيراً وعيالك محتاجين فاترك مالك لهم ولا تنفقه ويكفي بفقدهم لك مصيبة وهذه الوسوسة إنما يقبلها من لم يكن عنده ثقة بالله واشتمل باطنه علي دسيسة من الشك في الإيمان بكفالة الله رزق العباد وتدبير مصالحهم وقد روى أن أفضل السابقين وأشرف هذه الأمة أجمعين سيدنا أبا بكر الصديق رضي الله عنه – جاء إلي النبي صلي الله عليه وسلم بجميع ماله فقال له النبي صلي الله عليه وسلم " ما تركت لأهلك ؟ قال الله ورسوله : وكذلك كانت ابنته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تفعل فإنها جاءها من معاوية رضي الله عنه – مائة ألف ففرقتها ولم تبق منها درهماً فقالت لها الخادم لو تركت لنا درهماً نشتري به لحم فقالت لو ذكرتني لفعلت ،ذرية بعضها من بعض رضي الله عنها وعن أبيها وعن صحابة رسول الله صلي الله عليه وسلم وقد فعل ذلك عمر بن عبد العزيز أمير المؤمنين رضي الله عنه فإنه لما حضرته الوفاة أحضر بنيه وهم أحد عشر ذكراً وأمر أن يُجهز مما يخلف ثم تعطي زوجته ما يخصها وما بقي يفرق علي بنيه فناب كل ابن دينار فقال له مسلمة بن عبد الملك يا أمير المؤمنين لو وكلت أمرهم إلي ؟ فقال إن بني أحد رجلين إن يكونوا صالحين فالله يتولي الصالحين أو غير ذلك فلا أعينهم علي معصية الله تعالي ولقد بارك الله له في ولده وجهز بعد موته أحد بنيه مائة فارس علي مائة فرس في سبيل الله . وروى البخاري ومسلم وأحمد عن أبي ذر رضي الله عنه قال : انتهيت إلي النبي صلي الله عليه وسلم وهو جالس في ظل الكعبة فلما رأني قال هم الأخسرون ورب الكعبة قال فجئت حتى جلست فلم أتقات أي لم يمكنني القرار والثبات – أن قمت فقلت يا رسول الله فداك أبي وأمي من هم قال هم الأكثرون أموالاً إلا من قال هكذا وهكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ماهم .

والمقصود أن من وثق بوعد الله وتحقق بالتوكل علي الله وأيقن بالخلف من الله فيما ينفقه لله فلا يضره انفاق جميع ماله في سبيل الله كما فعل سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه وبخ بخ ما أعظمها عند الله من فعله وما أجل ثوابها وأجزل أجرها ولكن ما يلقاها إلا ذو حظ عظيم وأما من كان ضعيف التوكل واهي اليقين فليترك لعياله بعض ماله كما قال النبي صلي الله عليه وسلم لكعب بن مالك رضي الله عنه حين قال له إن من توبتي أن اخلع من مالي صدقة إلي الله وإلي رسوله فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم كما في الصحيحين " أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك " وكذلك قال لسعد " إنك إن تدعوا ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم فقراء يتكففون الناس " وهو في الصحيحين أيضاً فإن قلت فهل يدل هذا علي أن النبي صلي الله عليه وسلم استشعر منهما ضعف التوكل كما قدمت قلنا : الواجب ألا يتوهم مثل هذا في الصحابة رضي الله عنهم وحاشاهم من ذلك والظاهر أن النبي صلي الله عليه وسلم إنما أمرهما بذلك ليتأسى بفعلهم ضعفاء التوكل خشية بأن يقتدوا بافعال الأقوياء مع ضعفهم فيقعوا في الندم بعد الإنفاق فتنقص أجورهم أو تحبط وقد كان النبي صلي الله عليه وسلم يقتدي بالضعفاء وكان صلي الله عليه وسلم ينهي عن الفعل نهي تنزية ويفعله مثل النهي عن الشرب واقفاً والبول واقفاً فالفعل للجواز والنهي للكراهة تخفيفاً وتيسيراً علي الأمة ورفع المشقة عنها صلوات ربي وسلامه عليه وفداه نفسي وأبي وأمي فمن كان عنده ضعف في التوكل واليقين فلينفق البعض ويترك البعض اقتداء بمن ذكر ومن قوى توكله فلينفق كيف شاء كما فعل الصديق الأكبر وغيره من الصحابة فهم كالنجوم بأيهم إقتديتم أهتديتم رضي الله عنهم وأما ترك الإنفاق بالجملة مع القدرة فهو إلقاء باليد إلي التهلكة كما تقدم ولو خلصت فيه النية " والله يقول الحق وهو يهدي السبيل " .

فضل تجهيز الغزاة في سبيل الله وخلفهم في أهلهم

روى مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلي الله عليه وسلم بعث إلي بني لحيان ليخرج من كل رجلين رجل ثم قال للقاعد أيكم خلف الخارج في أهله وماله بخير فله مثل نصف أجر الخارج " وفي هذا الحديث دليل علي أن فرض الجهاد الكفائي الطلبي ساقط عن الناس إذا قام به منهم من فيه الكفاية .

وروى البخاري ومسلم عن زيد ابن خالد الجهني رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزى ومن خلف غازياً في أهله بخير فقد غزى .

وروى الطبراني في الأوسط والهيثمي في المجمع بسنده عن زيد بن ثابت رضي الله عنه عن النبي صلي الله عليه وسلم قال: من جهز غازياً في سبيل الله فله مثل أجره ، ومن خلف غازيا في أهله بخير وأنفق علي أهله فله مثل أجره " ورجاله رجال الصحيح.

وخرج السلطان المجاهد نور الدين محمود المعروف بالشهيد في كتاب فضل الجهاد عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه ، عن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال : من تكلف بأهل بيت غازٍ في سبيل الله حتى يغنيهم ويكفيهم عن الناس ويتعاهدهم قال الله تعالي " يوم القيامة مرحباً بمن أطعمني وسقاني وحباني وأعطاني وأشهدوا يا ملائكتي أني قد أوجبت له كرامتي كلها فما يدخل الجنةأحد إلا غبطه بمنزلته من الله تعالي ".

وهذا الأجر العظيم قد زهد فيه كثير من أصحاب الأموال . إلا ما رحم ربك فينبغي للذي منّ الله عليه بالمال ووسع عليه فيه أن يدخل من هذا الباب ولا يبخل ولا يخشي الطواغيت الظالمين الذين يحاربون المجاهدين وكل من ساعدهم فعليه أن يتوكل علي الله ويخلص نيته لله في كفاية المجاهدين وخلفهم في أهلهم وأولادهم بخير ولا يجعلهم يتكففون الناس ويعيشون في ضنك العيش وهذا مما يفرح أعداء الله فياصاحب المال إن عجزت أن تدخل الجنة من باب الجهاد والقتل في سبيل الله فلن تعجز أن تدخل الجنة من باب كفالة المجاهدين ورعاية أولادهم والموفق من وفقه الله والمحروم من حرم الخير نسأل الله من فضله .

خدمة المجاهدين

وإذا كان هذا أجر من خلف المجاهدين بخير فى أهلهم وأولادهم فمن خانهم وأهملهم وتركهم عالة يتكففون الناس ولم يكفهم فالويل له من الله يوم القيامة جزاء خيانته وعدم رعايته ، فقد روى مسلم في صحيحه عن بريدة بن حصيب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم " حرمة نساء المجاهدين علي القاعدين كحرمة أمهاتهم وما من رجل من القاعدين يخلف رجلاً من المجاهدين في أهله فيخونه فيهم إلا وقف له يوم القيامة فيأخذ من عمله ما شاء فما ظنكم ؟ " وقد روى هذا الحديث عن جماعة من الصحابة من وجوه لا تحصى وهذا –والله أعلم – لعظم حق المجاهد علي القاعد فإنه نائب عنه وأسقط بجهاده فرض الخروج عنه ووقاه مع ذلك بنفسه وجعل لنفسه حصناً له وجُنة دونه فكانت خيانته له في أهله أعظم من خيانة الجار في أهله كما تكون خيانة الجار أعظم من خيانته لبعيد والله أعلم ،.

وأعلم أيها المجاهد أن أعظم المجاهدين أجراً خادمهم وكان صحابة رسول الله صلي الله عليه وسلم إذا سافروا اشترط أفضلهم الخدمة فإن أخطاته اشترط الأذان وقد كان السلف رضي الله عنهم إذا خرجوا غزاه يجتهد كل منهم أن يكون خادم رفقائه وأن يدخل عليهم من السرور ما قدر عليه وأن ينفق عليهم ما وجد السبيل إليه وأن يؤثرهم علي نفسه إذا لم يجد سعة بما يقدر عليه احتساباً لذلك عند الله عز وجل وابتغاء مرضاته ورغبة في ثوابه .

كان عامر بن عبد قيس رضي الله عنه بأرض الروم علي بغلة يركبها عقبة ويحمل المهاجرين عقبة وكان إذا فصل غازياً وقف يتوسم الرفاق فإذا رأى رفقة توافقه قال : يا هؤلاء إني أريد أن أصحبكم علي أن تعطوني من أنفسكم ثلاث خلال فيقولون ما هي ؟ قال : أكون خادمكم لا ينازعنى أحد منكم الخدمة ، وأكون مؤذناً لا ينازعني أحد منكم الآذان وأنفق عليكم بقدر طاقتي ، فإذا قالوا نعم إنضم إليهم فإن نازعه أحد في شيئاً من ذلك رحل عنهم إلي غيرهم

ومن أعجب ما جاء فى إيثارهم وحبهم بعضهم بعضاً ما رواه الصحابي الجليل عامر بن حذيفة بن غانم القرشي قال انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عمي ومعي شنة ماء فقلت إن كان به رمق سقيته من الماء ومسحت به وجهه فإذا أنا به ينشغ أي يشهق حتى يغشي عليه فقلت أسقيك ؟ فأشار أي نعم فإذا رجل يقول أه فأشار ابن عمي أن أنطلق إليه فإذا هو هشام بن العاص أخو عمرو بن العاص رضي الله عنهما فأتيته فقلت أسقيك ؟ فسمع أخر يقول أه فأشار هشام أن انطلق إليه فجئته فإذا هو قد مات ثم رجعت إلي هشام فإذا هو قد مات ثم أتيت إلي ابن عمي فإذا هو قد مات رحمة الله عليهم. وكان الثلاثة الحارث بن هشام وابن اخيه عكرمة بنت أبي جهل وعياش بن أبي ربيعة وكلهم من بني مخزوم رضي الله عنهم

فانظر رحمك الله إلي إيثارهم في هذا الحال وجودهم بما قدا شتدت حاجتهم إليه وسماحة أنفسهم بما هو عديل حياتها فلا غزوا فقد استحقوا رضوان الله وحسن المئاب ، اللهم وفقناً للإقتداء بهم واجمع بيننا وبينهم في محل رضوانك ومنزل غفرانك يا أكرم الأكرمين يا رب العالمين .

وما زال السلف الصالح رضي الله عنهم يبذلون جهدهم في الإنفاق في سبيل الله والتقرب إلي الله تعالي بمساعدة الغزاة وإدخال السرور عليهم بما تصل إليه أستطاعتهم قليلاً كان أو كثيراً وقد تواترت الأخبار عن شيخ المجاهدين أبو عبد الله – حفظه الله – أن علماء خراسان اجتمعوا وقالوا من منا لم

يدخل بيتة طعام هذا الرجل فما قام منهم أحد وكانوا يزيدون عن الألف قالوا فما بال عامة الناس وفقرائهم فوقفوا معه وناصروه ، وهو حفظه الله قد أوقف حياته وماله ونفسه وأهله في سبيل الله وخدمة المجاهدين لنصرة دين الله –تقبل الله منه –وحفظه من الكافرين والمرتدين ودمر حاسديه وفضح مبغضيه .

أبو قدامة الشامي وصاحبة الشكال أم الغلام[1]

وحكى الحافظ شمس الدين بن الذهبي في تاريخ الإسلام عن أبي المظفر سبط ابن الجوزي ، أنه جلس بجامع دمشق يحرض الناس على الجهاد ، في سنة سبع وستمائة ، قال أبو المظفر: وكان الناس من مشهد زين العابدين إلى باب الناطفيين وحزروا بثلاثين ألفا ، وكان يوما لم ير بدمشق ولا بغيرها مثله ، وكان قد اجتمع عندي شعور كثيرة من شعور التائبين ، وكنت قد وقفت على حكاية أبي قدامة مع تلك المرأة التي قطعت شعرها وقالت : اجعله قيداً لفرسك في سبيل الله ، فعملت من الشعور التي اجتمعت عندي شكل لخيل المجاهدين وكرفسارات ، فأمرت بإحضارها على الأعناق ، فكانت ثلاثمائة شكال ، فلما رآها الناس ، ضجوا ضجة عظيمة ، وقطعوا مثلها ، وقامت القيامة ، وسرنا إلى الكسوة ومعنا خلق مثل التراب وكان من قرية زملكا فقط نحو ثلاثمائة رجل بالعدد والسلاح ، ومن غيرها خلق كثير خرجوا احتسابا ، وجئنا إلى عقبة فيق والوقت مخوف من الفرنج فأتينا نابلس ، وخرج الملك المعظم ، فالتقانا وفرح بنا ، وجلست بجامع نابلس ، وأحضرت الشعور ، فأخذها المعظم وجعلها على وجهه وبكى وخرجنا نحو بلاد الفرنج ، فأخربنا وهدمنا ، وأسرنا جماعة ، وقتلنا جماعة وعدنا سالمين .

هذا بفضل الله الناصر سبحانه فالنصر من عند الله ثم بفضل الدعاة المخلصين والمحرضيين والصادقين والناس فيهم خير عظيم ولكن يريدون من يأخذ بأيديهم ويرفق بهم كما فعل أبو قدامة الشامي وكان قد حبب الله إليه الجهاد في سبيل الله تعالي والغزو إلي بلاد الروم فجلس يوماً في مسجد رسول الله صلي الله عليه وسلم يتحدث مع أصحابه فقالوا له :

يا أبا قدامة حدثنا بأعجب ما رأيته في الجهاد قال : نعم ، إني دخلت في بعض السنين الرقة أطلب جملا أشتريه ليحمل سلاحي ، فبينا أنا يوما جالس ، إذ دخلت علي امرأة فقالت : يا أبا قدامة سمعتك وأنت تحدث عن الجهاد وتحث عليه وقد رزقت من الشعر ما لم يرزقه غيري من النساء ، وقد قصصته وأصلحت منه شكالا للفرس وعفرته بالتراب لئلا ينظر إليه أحد{وهذا من الفقه والإخلاص والورع والبصيرة لئلا يُفتن به الرجال فهي موفقة رحمها الله تريد ألا تُحرم الآجر من الله} ، وقد أحببت أن تأخذه معك فإذا صرت في بلاد الكفار وجالت الأبطال ورميت النبال وجردت السيوف وشرعت الأسنة ، فإن احتجت إليه وإلا فادفعه إلى من يحتاج إليه ليحضر شعري ويصيبه الغبار في سبيل الله فأنا امرأة أرملة كان لي زوج وعصبة كلهم قتلوا في سبيل الله ولو كان علي جهاد لجاهدت قال : وناولتني الشكال .

وقالت : اعلم يا أبا قدامة أن زوجي لما قتل خلف لي غلاما من أحسن الشباب وقد تعلم القرآن والفروسية والرمي عن القوس ، وهو قوام بالليل صوّام بالنهار ، وله من العمر خمس عشرة سنة ، وهو غائب في ضيعة خلفها له أبوه فلعله يقدم قبل مسيرك فأوجهه معك هدية إلى الله عز وجل ، وأنا أسألك بحرمة الإسلام لا تحرمني ما طلبت من الثواب ، قال : فأخذت الشكال منها فإذا هو مضفور من شعر رأسها ، فقالت : القه في بعض رحلك وأنا أنظر إليه ليطمئن قلبي ، قال : فطرحته في رحلي وخرجت من الرقة ومعي أصحابي ، فلما صرنا عند حصن مسلمة بن عبد الملك إذا بفارس يهتف من ورائي : يا أبا قدامة قف علي قليلا يرحمك الله فوقفت وقلت لأصحابي : تقدموا أنتم حتى أنظر من هذا ، وإذا بالفارس قد دنا مني وعانقني ، وقال : الحمد لله الذي لم يحرمني صحبتك ولم يردني خائبا ، قلت : حبيبي أسفر لي عن وجهك ، فإن كان يلزم مثلك غزو أمرتك بالمسير ، وإن لم يلزمك غزو رددتك ، فأسفر عن وجهه فإذا غلام كأنه القمر ليلة البدر وعليه آثار النعمة قلت : حبيبي لك والد ؟ قال لا ، بل أنا خارج معك أطلب ثأر والدي ، لأنه استشهد فلعل الله يرزقني الشهادة كلما رزق أبي ، قلت : حبيبي لك والدة ؟ قال : نعم ، قلت : اذهب إليها واستأذنها فإن أذنت وإلا فأقم عندها ، فإن طاعتك لها أفضل من الجهاد لأن الجنة تحت ظلال السيوف ، وتحت أقدام الأمهات .

قال : يا أبا قدامة أما تعرفني ؟ قلت : لا ، قال : أنا ابن صاحبة الوديعة ، ما أسرع ما نسيت وصية أمي صاحبة الشكال ، وأنا إن شاء الله الشهيد ابن الشهيد ، سألتك بالله لا تحرمني الغزو معك في سبيل الله ، فإني حافظ لكتاب الله ، عارف بسنة رسول الله ﷺ، عارف بالفروسية والرمي ، وما خلفت ورائي أفرس مني ، فلا تحقرني لصغر سني ، وإن أمي قد أقسمت عليّ أن لا أرجع ،:

---

(١)انظر المشارع ص ٢١٤ و٢٨٤ حتى ص٢٩٠

وصية الأم الصالحة لولدها

وقالت يا بني إذا لقيت الكفار فلا تولهم الدبر ، وهب نفسك لله واطلب مجاورة الله ومجاورة أبيك مع أخوالك الصالحين في الجنة ، فإذا رزقك الله الشهادة فاشفع في ، فإنه قد بلغني أن الشهيد يشفع في سبعين من أهله ، وسبعين من جيرانه ، ثم ضمتني إلى صدرها ، ورفعت رأسها إلى السماء ، وقالت : إلهي وسيدي ومولاي ، هذا ولدي ، وريحانة قلبي ، وثمرة فؤادي سلمته إليك فقربه من أبيه .

{وصية نافعة من أم صالحة لإبن مجاهد الله أكبر ذرية بعضها من بعض فقد أحسن الزوج الإختيار من زوجةصالحة مجاهدة قدمت أهلها شهداء فى سبيل الله ثم زوجها فماذاسيكون الإبن ؟من شب على شيئ شاب عليه تقبلهم الله وألحقنا بهم على درب الدعوة والتوحيد والجهاد ثابتين

اللهم أصلح نياتنا وزوجاتنا وأصلح أولادنا وأولاد المسلمين وأجعلهم من أهل الدعوة والجهاد } قال أبو قدامة : فلما سمعت كلام الغلام ، بكيت بكاء شديدا أسفا على حسنه ، وجمال شبابه ، ورحمة لقلب والدته ، وتعجبا من صبرها عنه ، فقال : يا عم مم بكاؤك ؟ إن كنت تبكي لصغر سني ، فإن الله يعذب من هو أصغر مني إذا عصاه ، قلت : لم أبك لصغر سنك ، ولكن أبكي لقلب والدتك ، كيف تكون بعدك ، قال : فسرنا ونزلنا تلك الليلة ، فلما كان الغداة رحلنا ، والغلام لا يفتر من ذكر الله تعالى ، فتأملته ، فإذا هو أفرس منا إذا ركب ، وخادمنا إذا نزلنا منزلا ، وصار كلما سرنا يقوى عزمه ، ويزداد نشاطه ، ويصفو قلبه ، وتظهر علامات الفرح عليه .

قال : فلم نزل سائرين حتى أشرفنا على ديار المشركين عند غروب الشمس ، فنزلنا فجلس الغلام يطبخ لنا طعاما لإفطارنا ، وكنا صياما فغلبه النعاس فنام نومة طويلة فبينا هو نائم إذ تبسم في نومه ، فقلت لأصحابي : ألا ترون إلى ضحك هذا الغلام في نومه ؟ فلما استيقظ ، قلت : حبيبي رأيتك الساعة تبتسم في منامك ضاحكا قال : رأيت رؤيا فأعجبتني وأضحكتني ، قلت : ما هي ؟ قال : رأيت كأني في روضة خضراء أنيقة ، فبينما أنا أجول فيها ، إذ رأيت قصرا من فضة شرفه من الدر والجوهر ، وأبوابه من الذهب ، وستوره مرخية ، وإذا جواري يرفعن الستور ، وجوههن كالأقمار ، فلما رأينني ، قلن لي : مرحبا بك ، فأردت أن أمد يدي إلى إحداهن ، فقالت : لا تعجل ما آن لك ، ثم سمعت بعضهن يقول لبعض : هذا زوج المرضية ، فقلن لي : تقدم يرحمك الله ، فتقدمت أمامي ، فإذا في أعلى القصر غرفة من الذهب الأحمر عليها سرير من الزبرجد الأخضر ، قوائمه من الفضة البيضاء ، عليه جارية وجهها كأنه الشمس ، لولا أن الله ثبت علي بصري لذهب ، وذهب عقلي ، من حسن الغرفة وبهاء الجارية ، قال : فلما رأتني الجارية ، قالت مرحبا وأهلا وسهلا يا ولي الله وحبيبه ، أنت لي وأنا لك ، فأردت أن أضمها إلى صدري ، فقالت : مهلا لا تعجل ، فإنك بعيد من الخنا ، وإن الميعاد بيني وبينك غدا عند صلاة الظهر ، فأبشر ، قال أبو قدامة : فقلت له حبيبي رأيت خيرا وخيرا يكون . {هذه الرؤى وإلا فلاوإنا لله وإنا إليه راجعون على مايراه أحدنا فى نومه ،نسأل الله الستر والعافية هذه قلوب طهرت واغتسلت بماء التوبة النصوح وعزمت ألا ترضى إلا جواراً بعرش الرحمن فى الجنة}

قال أبو قدامة :ثم بتنا متعجبين من منام الغلام ، فلما أصبحنا تبادرنا فركبنا خيولنا ، فإذا المنادي ينادي يا خيل الله اركبي ، وبالجنة أبشري : انفروا خفافا وثقالا ، فما كان إلا ساعة وإذا جيش الكفر -خذله الله - قد أقبل كالجراد المنتشر فكان أول من حمل منا فيهم الغلام ، فبدد شملهم وفرق جمعهم وغاص في وسطهم ، فقتل منهم رجالا وجندل أبطالا ، فلما رأيته كذلك ، لحقته فأخذت بعنان فرسه ، وقلت : يا حبيبي ارجع فأنت صبي ولا تعرف خدع الحرب ، فقال يا عم : ألم تسمع قول الله تعالى : يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار ، أتريد أن أدخل النار.

فبينا هو يكلمني إذ حمل علينا المشركون حملة رجل واحد ، فحالوا بيني وبين الغلام ومنعوني منه ، واشتغل كل واحد بنفسه ، وقتل خلق كثير من المسلمين ، فلما افترق الجمعان ، إذا القتلى لا يحصون عددا ، فجعلت أجول بفرسي بين القتلى ، ودماؤهم تسيل على الأرض ، ووجوههم لا تعرف من كثرة الغبار والدماء .

فبينا أنا أجول بين القتلى ، إذ أنا بالغلام بين سنابك الخيل ، قد علاه التراب وهو يتقلب في دمه ويقول : يا معشر المسلمين ، بالله ابعثوا لي عمي أبا قدامة ، فأقبلت إليه عندما سمعت صياحه ، فلم أعرف وجهه لكثرة الدماء والغبار ودوس الدواب ، فقلت : ها أنا أبو قدامة ، قال : يا عم صدقت الرؤيا ورب الكعبة ، أنا ابن صاحبة الشكال ، فعندها رميت بنفسي عليه فقبلت بين عينيه ، ومسحت التراب والدم عن محاسنه ، وقلت : يا حبيبي لا تنس عمك أبا قدامة اجعله في شفاعتك يوم القيامة ، فقال : مثلك لا ينسى ، تمسح وجهي بثوبك ؟ ثوبي أحق به من ثوبك ، دعه يا عم حتى ألقى الله تعالى به ، يا عم هذه الحور التي وصفتها لك قائمة على رأسي ، تنتظر خروج روحي ، وتقول لي : عجل فأنا مشتاقة إليك .

بالله يا عم إن ردك الله سالما ، فتحمل ثيابي هذه المضمخة بالدم لوالدتي المسكينة الثكلى الحزينة ، وتسلمها إليها ، لتعلم أني لم أضيع وصيتها ، ولم أجبن عند لقاء المشركين ، واقرأ مني السلام عليها ، وقل لها: إن الله قد قبل الهدية التي أهديتها ، ولي يا عم أخت صغيرة ، لها من العمر عشر سنين ، كنت كلما دخلت استقبلتني تسلم علي ، وإذا خرجت تكون آخر من يودعني ، وإنها ودعتني عند مخرجي هذا ، وقالت لي : بالله يا أخي لا تبطىء عنا ، فإذا لقيتها فاقرأ

عليها مني السلام ، وقل لها: يقول لك أخوك : الله خليفتي عليك إلى يوم القيامة ، ثم تبسم وقال : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، صدق وعده ، وأشهد أن مُحَمَّدا عبده ورسوله ، هذا ما وعدنا الله ورسوله ، وصدق الله ورسوله ، ثم خرجت روحه ، فكفناه في ثيابه ، وواريناه رضي الله عنه وعنا به .

قال أبو قدامة: فلما رجعنا من غزوتنا تلك ودخلنا الرقة ، لم تكن لي همة إلا دار أم الغلام ، فإذا جارية تشبه الغلام في حسنه وجماله ، وهي قائمة بالباب ، وكل من مر بها تقول : يا عم من أين جئت ؟ فيقول : من الغزاة ، فتقول : أما رجع معكم أخي ؟ فيقولون : لا نعرفه ، فلما سمعتها تقدمت إليها ، فقالت لي : يا عم من أين جئت ؟ قلت : من الغزو ، قالت : أما رجع معكم أخي ، ثم بكت وقالت : ما بالي أرى الناس يرجعون ، وأخي لم يرجع ، فغلبتني العبرة ، ثم تجلدت خشية على الجارية .

ثم قلت لها: يا جارية قولي لصاحبة المنزل : كلمي أبا قدامة فإنه على الباب ، فسمعت المرأة كلامي ، فخرجت إلي وقد تغير لونها ، فسلمت عليها ، فردت السلام وقالت : أمبشرا أنت يا أبا قدامة أم معزيا ؟ ، قلت : بيني لي البشارة من التعزية رحمك الله ، قالت : إن كان ولدي رجع سالما فأنت معز ، وإن كان قتل في سبيل الله فأنت مبشر ، فقلت : أبشري فقد قبل الله هديتك ، فبكت وقالت : قبلها ؟ قلت : نعم ، فقالت : الحمد لله الذي جعله ذخيرة لي يوم ا لقيامة .

قلت : فما فعلت الجارية أخت الغلام ؟ قالت هي التي كانت تكلمك الساعة ، فتقدمت إلي ، فقلت لها: إن أخاك يسلم عليك ويقول لك : الله خليفتي عليك إلى يوم القيامة ، فصرخت وخرت على وجهها مغشيا عليها ، فحركتها بعد ساعة ، فإذا هي ميتة ، فتعجبت من ذلك ثم سلمت ثياب الغلام التي كا نت معي لأمه ، وودعتها ، وانصرفت حزينا على الغلام والجارية ، ومتعجبا من صبر أمهما.

اللهم إنا نسألك من فضلك العظيم ،هذا والله هو الإنفاق الحقيقى فى سبيل الله

فياحسرة على الأنفس التى بخلوا بها وحرموها الجهاد والإستشهاد

ياحسرةعلى الأباء الذين حُرموا الجهاد وعاثوا فى الأرض الفساد وعاشوا لبطونهم وفروجهم

ياحسرة على النساء اللآتى فشلن فى تخريج الأبناء ودفعهن إلى أرض الجهاد

اللهم وفقنا ونساءنا إلى طاعتك وارزق أولادنا ياربنا شهادة فى سبيلك ترضى بها عنا ولاتحرمنا نصرة دينك وسنة نبيك وعبادك المجاهدين .

مهلاً يا دعاة الانبطاح[1]

لا عز إلا بالجهاد

إن المتأمل في الحروب والمعارك التي وقعت ودارت بين المسلمين وأعدائهم يجد أن المسلمين مع حالات ضعفهم وقلة عددهم ونقص عدتهم كانوا يحافظون على الجهاد في كل الحالات سواء كان دفاعاً أو طلبا ولم تمنعهم هزيمتهم أكثر من مرة في أكثر من موقعة من القول بإبطال الجهاد ,بل كان يقاتل السلطان والأمير بنفسه في المعارك ويخوض المعامع ويثبت حين يفر الناس بل كان يعرض حريمه وبناته لبث الغيرة على حرمات المسلمين ومنهم من كان يسير الجيوش من أجل مسلمة واحدة أو من أجل أسير مسلم سواء في حالة الضعف أو القوة لذلك كانت لهم المهابة في قلوب أعدائهم فالجهاد في حد ذاته عز وقوة وشرف وكانوا يحرصون عليه لأنهم يُعلم الرجولة والشهامة والمروءة والبعد عن التخاذل وحب الدنيا لذلك فتحوا العالم في سنوات قليلة بالسيف والسنان والحجة والبيان وما من معركة خاضها المسلمون إلا وكانوا هم أقل عدداً وعدة من أعدائهم وكتب الله لهم النصر لأنهم يقاتلون بالإيمان الذي وقر في قلوبهم فالدعوة والجهاد مثلاً زمان لا ينفك أحدهما عن الآخر ,فيجب على المسلمين في هذا الزمان أن يجاهدوا في سبيل الله كل من كفر بالله ابتغاء ما عند الله ونيل مرضات الله فوالله سيملكون البلاد وقلوب العباد وتخضع لهم أمريكا وروسيا وكل بلاد الكفر وسيُكسر الصليب بالجهاد وحده لا بالمفاوضات والمساومات ولكم في أسلافكم قدوة صالحة فإنهم لم تصبهم الهزيمة النفسية من قلة عددهم وكثرة عدوهم لقوة إيمانهم بالله ويقينهم بما عنده فنهدي هذه المواقف البطولية والصفحات المشرقة من جهاد السلف لدعاة الانبطاح ولعلهم يتعلمون الغرة .

---

[1] (١)راجع رسالتنا دفاعاً عن أهل الثغور،(ماضر القائد خطاب أن يتجاهله المرتزقة)الرد على الحسود الحقود مُحَمَّد يعقوب،في كتابنا التنبيهات المختصرة على المسائل الخلافيةالمنتشرة المسألة الثانية الحكم والتحاكم وأحوال المتحاكمين والرد هنا كان أنسب وافضل لولا خشية الإطالة

مواقف بطولية وصفحات مشرقة من جهاد السلف

غزوة بدر الكبرى ١٧رمضان سنة 2هجرية

وهى البطشة التي أعز الله بها الإسلام وأهلك بها رؤوس الكفر صبيحة سبع عشر ة من رمضان من السنة الثانية من الهجرة وكان جميع من حضرها من المسلمين عدد أصحاب طالوت الذين أجازوا معه النهر بضعة عشر وثلاثمائة كما رواه البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنه وصرح بعددهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن المسلمين كانوا ثلاثمائة وسبعة عشر والمشركين ألف والمسلمون في هذه الغزوة كل ثلاثة على بعير يعتقبونه كما رواه مسلم في صحيحه باب الجهاد والسير وكانت إبل رسول الله ﷺ يومئذ سبعين بعيراً وكان رسول الله ﷺ وعلى بن أبي طالب ومرثد أي مرثد الغنوي يتعقبون بعيراً كما قال بن إسحاق و ابن هشام –رحمهما الله –وهنا تتجلى المواقف البطولية وصفحة من الصفحات المشرقة لأنصار الإسلام –رضي الله عنهم –عندما استشار النبي ﷺ الناس عندما علم بمقدم قريش ومسيرتهم ليمنعوا عيرهم فقال له سعد بن معاذ أو سعد بن عبادة –رضي الله عنهما وعن صحابة رسول الله ﷺ _ لكأنك تريدنا يا رسول الله فقال "أجل "قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك والذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن نلقى عدونا غداً إنا لصبر في الحرب ,صدق في اللقاء لعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله تعالى

تسوية الصفوف وتواضع القائد

وموقف أخر من مواقف الأنصار الخالدة التي سطرتها كتب التاريخ والسير بأحرف من نور تضئ الطريق لكل مجاهد صادق فعندما كان رسول الله ﷺ يعدل صفوف أصحابه يوم بدر وفى يده قدح يعدل به القوم فمر على سواد بن غزيه الأنصاري من بني عدى ابن النجار وهو مستل من الصف فطعنه فى بطنه بالقدح وقال "إستوى ياسواد فقال يارسول الله أوجعتني وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقدنى ، فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه وقال إستقد فاعتنقه فقبل بطنه فقال ماحملك على هذا ياسواد ؟ قال يارسول الله حضر ماترى فأردت أن يكون العهد بك أن يمسى جلدي جلدك فدعي له رسول الله ﷺ بخير ،-رضي الله عن الأنصار وجعلنا الله منهم

غزوة مؤته وحقيقة الإنتصار [1]

وكانت في جمادى الأول من سنة ثمان بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة في ثلاثة آلاف من المسلمين إلى أرض البلقاء من أطراف الشام ،نسوقها لأهل التخذيل والأراجيف أصحاب الهزيمة النفسية الذين عظم في نفوسهم الكفار حتى صاروا عندهم قوة لا تقهر وجيش لا ينهزم ، الذين سُحروا بالآلة الحربية والتقدم المادى ونسوا أن الله ذو القوة المتين وذو البطش الشديد ، وتناسوا في غفلة الإعجاب بما وصلت إليه أمريكا والغرب الصليبى من تقدم مادي نسوا أن الله قد أهلك عاد وثمود وفرعون ذي الأوتاد ، ونسوا أن الإيمان بالله والجهاد فى سبيل الله نصرة لدين الله يقلب كل الموازين البشرية وتبقى قوة الله ومعية الله للمؤمنين التى هى معية نصرة وتأييد " إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين ءامنوا "" إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم " " وما يعلم جنود ربك إلا هو " فالرياح والأعاصير جند من جند الله ، والزلازل والبراكين جند من جند الله والبحار والمحيطات مسخرة بأمر الله ، والطير والشجر والدواب كل ذلك لا يتحرك إلا بأمر الله ويسلطه الله على من يشاء نقول للذين نسوا الله وقدرة الله وفتنوا بما عليه الغرب إن الذي أرسل الملائكة يوم بدر تقاتل مع المسلمين قادر على أن يرسلها نصرة لعباده الموحدين المجاهدين إن الله قادر على أن يؤيد ويسدد أعمال المجاهدين ويؤيدهم بنصر من عنده ، نصر يقلب الموازين ويحير عقول المرجفين كما أيد التسعة عشر الذين هزموا أمريكا في عقر دارها أمام العالم أجمع ومرغوا أنوف الكفرة في الطين والتراب وهزموهم بإذن الله كما هزموا الروس من قبل في أفغانستان والشيشان ،يا قوم إن الله على كل شيئ قدير وهو سبحانه محيط بالكافرين فلابد من تصحيح العقيدة وإصلاح النية وتحري الصدق والإخلاص فى نصرة دين الله وإعلاء كلمة الله وبيع هذه الدنيا بما فيها ابتغاء ما عند الله ثم الدعاء والإلحاح على الله فيه ولكم في رسول الله أسوة حسنة فقد كان يوم بدر يناشد ربه ما وعده من النصر ويقول فيما يقول " اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد " وأبو بكر بجواره يشفق عليه ثم خفق رسول الله ﷺ خفقه مثل النائم إذا أنعس في العريش ثم انتبه فقال " أبشر يا أبا بكر أتاك نصر الله هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده ، على ثناياه النقع يريد الغبار فجاءت ريح لم يروا مثلها شدة ، ثم ذهبت فجاءت ريح أخرى ، ثم ذهبت فجاءت ريح أخرى وكانت الأولى جبريل فى ألف من الملائكة مع رسول

---

[1] (١)رسالة قيمه مفيدة للشيخ ناصر العمر

الله ﷺ ، وكانت الثانية ميكائيل فى ألف من الملائكة عن ميمنة رسول الله ﷺ والثالثة إسرافيل فى ألف من الملائكة عن ميسرة رسول الله ﷺ كما حكى الله ذلك في القرآن في آل عمران والأنفال والأحزاب وغير ذلك وكماجاء في الصحيحين وطبقات بن سعد ورواه أهل السير والمغازى وقد كان الناس يوم بدر يعرفون قتلى الملائكة ممن قتلوهم بضرب فوق الأعناق وعلى البنان مثل سمة النار قد أحرق به .

إشكال وجوابه :

فإن قيل ملك واحد يهزم الناس كلهم ويقتلهم فما فائدة كثرة الملائكة ؟

أُجيب بأن الفائدة في كثرة الملائكة تسكين قلوب المؤمنين وتطمينها وبيان كرامة النبى ﷺ على ربه – بأبى هو وأمى

قال بعض العلماء : ولأن الله تعالى جعل أولئك الملائكة مجاهدين إلى يوم القيامة فكل عسكر صبر واحتسب تأتيه الملائكة ويقاتلون معهم .

وقال الحسن : الخمسة آلاف التى أمدهم بها يوم بدر ردء للمؤمنين إلى يوم القيامة ، والردء هو المعين وإن لم يباشر القتال بنفسه فهو معين وعون له وفى صحيح البخارى ، عن رفاعة بن رافع رضى الله عنه قال : جاء جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ قال : ما تعدون أهل بدرٍ فيكم ؟ قال من أفضل المسلمين أو كلمة نحوها ، قال وكذلك من شهد بدر من الملائكة فما المانع أن يمدنا الله بمددٍ من عنده وهو الكريم سبحانه إذا قمنا بما أوجبه الله علينا وجاهدنا في سبيله لإعلاء كلمته صابرين محتسبين ؟ ما المانع أن يهزم الله أمريكا على أيد الموحدين ويزيلها من الوجود ؟ ما المانع أن يسلط الله عليها المحيط فيغرقها والجبال فيدكها دكاً والأعاصير فتدمرها تدميراً ؟ ما المانع أن يرسل الله على الكافرين العذاب ويصبه عليهم صباً ؟ المانع هو في المسلمين لأن الله له سنن كونية لا تتبدل ولا تحابى أحداً مهما كان فعلينا بالإيمان والعمل الصالح والأخذ بالأسباب الشرعية للنصر –كما سبق- فهل علم أصحاب الهزيمة النفسية دعاة الإنبطاح أننا لا نقاتل الكفار بعدة ولا عدد ولكن نقاتلهم بالإيمان الثابت والعقيدة الصحيحة مع بذل الجهد واستفراغ الوسع فى الإعداد وبذل كل ما نستطيعه في ذلك ثلاثة آلاف تواجه أقوى قوةٍ في الأرض حينئذ عدة وعدداً قال بن إسحاق وهو يصف لنا حال القوم عند هذه المفاجأة " ثم مضوا حتى نزلوا معان من أرض الشام فبلغ الناس أن هرقل قد نزل مآب من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم وانضم إليه من لخم وجذام وبهراء وبلى مائة ألف وصار عددهم مائتى ألف فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على معان ليلتين ينظرون في أمرهم قالوا نكتب إلى رسول الله ﷺ نخبره بعدد عدونا فإما أن يمدنا بالرجال وإما أن يأمرنا بأمره فنمضي له قال : فشجع الناس عبد الله بن رواحة وقال :

يا قوم والله إن التى تكرهون للتى خرجتم لها تطلبون وهى الشهادة وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين إما ظهور وإما شهادة ، فقال الناس : قد والله صدق بن رواحة فمضى الناس قال أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر –رضى الله عنه – شهدت مؤتة فلما دنا منا المشركون رأينا مالا قبل لأحدٍ به من العدة والسلاح والكراع والديباج والحرير والذهب فبرق بصري فقال لى ثابت بن أقرم يا أبا هريرة كأنك ترى جموعاً كثيرة قلت نعم قال إنك لم تشهد معنا بدراً ، إنا لم ننتصر بالكثرة .

ثم دنا العدو وانحاز المسلمون إلى قرية مؤته ثم إلتقى الفريقان فاقتتلوا قتالاً شديداً فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله ﷺ حتى شاط في الرماح ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى إذا ألجمه القتال اقتحم على فرس له شقراء فعقرها ثم قاتل القوم حتى قتل فكان جعفر أول رجل عقر فى الإسلام وهذا فيه جواز قتل الحيوان خشية أن ينتفع به العدو إذا لم تجد في السير ويخشى من لحوق العدو لها وانتفاعهم بها وأنها تذبح وتحرق فيحال بينهم وبين الإنتفاع بها ولم ينكر على جعفر أحد لا قبل المعركة ولا بعدها فدل على جوازه إذا خيف من أخذ العدو له . ولا يدخل ذلك في النهي عند قتل الحيوان عبثاً –كما سيأتى في كيفية القتال – إن شاء الله تعالى .فانظر أيها الموحد المجاهد إلى هذا الواقع لم يقل أحد أنهم غرروا بأنفسهم وألقوا بها إلى التهلكة ، إنهم قتلوا أنفسهم إنهم إنتحروا وهذا ليس جهاد بل إنتحار إذ كيف يقاتل هؤلاء والنسبة بينهم واحد إلى ستمائة (١-٦٦٩) لا يوجد مقارنة في العدد ولا في العدة كما في كلام أبى هريرة رضى الله عنه هذا أمر يحير العقول ولكن القلوب المؤمنة الموحدة المجاهدة لا تعرف الهزيمة النفسية ولا تعرف التخاذل ولا ترضى بالذل والهوان وإن كان فيه حتفها ولكن كما قال عبد الله بن رواحة والمشكلة عندنا نحن المسلمين ضعف اليقين والتوكل وحب الدنيا .....

الفتح وحقيقة الإنتصار

وربما يقول قائل لقد انهزم المسلمون في مؤتة وقتل الأمراء الثلاثة وهذا يؤيد رأينا أنه لابد من التكافؤ في العدة والعدد ولو كان الكفار أكثر من المسلمين مرتين أوثلاثة فلا يجوز الإقدام لأن فيه الهلكة والإنتحار كما قال الفقهاء!!!

نقول كلام الفقهاء وتعريفاتهم الفاسدة –كما يقول بن تيمية –رحمه الله- ليست دليلاً معتبراً ، بل الدليل المعتبر هو قول الله وقول رسوله ﷺ وفعل الصحابة وفهمهم للدليل والعمل به على وفق هذا الفهم فلا يجوز لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقدم فهمه على فهم الصحابة أما القول بأن المسلمين انهزموا فهذا غلط وقول باطل يرده الأحاديث والآثار الصحيحة ، بل هو فتح من الله ولقد انتصر المسلمون بل وغنموا أموالهم وسبوا

نسائهم كما في صحيح مسلم والفتح لابن حجر أن الهزيمة كانت على المشركين والنصرة كانت للمسلمين كما جاء في الحديث الصحيح " ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم " فهزم الله العدو وأظهر المسلمين وأخذ اللواء خالد بن الوليد رضى الله عنه ولم يكن من الأمراء ، ثم رفع رسول الله ﷺ إصبعه ثم قال :" اللهم إنه سيف من سيوفك فانصره " فمن يومئذ سمى خالد سيف الله فحمل خالد على الروم فهزمهم وقتل نسائهم وسبى نسائهم روى مسلم وأبو داوود وغيرهما عن عوف بن مالك الأشجعي –رضى الله عنه قال خرجت مع زيد بن حارثة في غزوة مؤتة ورافقنى مدري من أهل اليمن ليس معه غير سيفه فنحر رجل من المسلمين جزوراً ، فسأله المدري طائفة من جلده فأعطاه إياه فاتخذه كهيئة الدرقة ومضينا فلقينا جموع الروم وفيهم رجل على فرس له أشقر عليه سرج مذهب وسلاح مذهب فجعل الرومي يفرى بالمسلمين فرياً (أى يشق صفوفهم شقاً) فقعد له المددي خلف صخرة فمر به الرومى فعرقب فرسة فخر وعلاه فقتله ثم حاز فرسه وسلاحه فلما فتح الله عزوجل للمسلمين بعث إليه خالد بن الوليد فأخذ من السبى " وحمل قطبة بن قتادة العدوي على مالك بن زافلة وهو أمير أعراب النصاري فقتله[1] ،

اليرموك يوم من أيام الله

في سنة خمس عشرة كانت وقعة اليرموك وهى وقعة عظيمة مشهورة كانت الروم في أكثر من مائة ألف وقال ابن الكلبي كانوا ثلاثمائة ألف وكان المسلمون ثلاثين ألفاً وأميرهم أبو عبيدة . وكانت الروم قد سلسلوا أنفسهم الخمسة والستة في السلسلة لئلا يفروا فلما هزمهم الله جعل الواحد يقع في وادي اليرموك فيجذب معه في السلسلة حتى ردموا الوادي واستوا فيما قيل بحافتيه فداستهم الخيل وهلك خلق لا يحصون واستشهد جماعة من أمراء المسلمين قال جبير بن الحويرث - رضى الله عنه – حضرت اليرموك فلا أسمع إلا نقف الحديد ، إلا إنى سمعت صائحاً يقول يا معشر المسلمين يوم من أيام الله أبلوا فيه بلاءً حسناً ، يا نصر الله اقترب ، يا نصر الله إقترب فرفعت رأسي فإذا هو أبو سفيان بن حرب تحت راية ابنه يزيد ،رحم الله أبا سفيان وإبنيه معاوية ويزيد ورضى الله عن الصحابة

-القادسية والوعد الحق –

وفي سنة خمس عشرة أيضاً كانت وقعة القادسية بالعراق وكان على الناس سعد بن أبى وقاص – رضي الله عنه- وعلى المشركين رستم وكان المسلمين ما بين السبعة إلى ثمانية آلاف ورستم في ستين ألفاً ومعهم سبعون فيلاً فهزم الله المشركين وقُتل رستم وغنم المسلمون غنائم عظيمة من الذهب والفضة فكان نصيب الفارس من الغنيمة اثنى عشر ألفاً وكان في الغنيمةبساط واحد ستون ذراعاً في ستون ذراعاً فيه طرق كالصور وفصوص كالأنهار وفي حافته كالأرض المزروعة ، والأرض كالمبقلة بالنبات في الربيع من الحرير على قصبات الذهب ونواره بالذهب والفضة وسأل سعد المسلمين أن تطيب أنفسهم على أربعة أخماسه ويرسله لعمر فقالوا نعم فبعثه إلى عمر رضى الله عنه فقطعه عمر وقسمه بين الناس فأصاب علياً قطعة منها قدرها شبر في شبر فباعها بعشرين ألفاً وأصاب المسلمون أموالاً عظيمة وسبايا ، واستولى المسلمون في ثلاثة أعوام على كرسى مملكة كسرى ومملكة قيصر وغنم المسلمون غنائم لم يسمع بمثلها قط من الذهب والجوهر والحرير والرقيق والمدن والقصور فسبحان الله العظيم الفتاح العليم بخلقه ثلاث سنوات فتحوا فيها العالم على قلتهم وفقرهم وقلة عددهم لم يخطر ببالهم أنهم يحاربون أعظم وأقوى قوتين في العالم الفرس والروم وأنهم لا قبل لهم بهما ، لم يقولوا أين نحن من هذه الأسلحة الحديثة والتطورات العالية والقوة البشرية الفخمة عدداً وعدة ولكنهم كانوا يحاربون الكفر والشرك والإلحاد وهدفهم نصرة دين الله وإعلاء كلمته ونصر دينه فى الأرض وكان معهم الإيمان بالله واليقين بما عند الله من النصر والظفر والثبات والشهادة والجنة ، إنها العقيدة فلا جهاد بغير عقيدة صحيحة ،فإن صاحب العقيدة الصحيحة هو الذى يجاهد ويثبت والمتأمل في سقوط الدول الإسلامية سواء كانت فى المشرق أو الأندلس يجد من أقوى أسباب السقوط الترف وحب الدنيا والركون إلى النصارى والمشركين وضعف الإيمان وحب الرياسة والملك والحرص عليهما ، العقيدة أولاً والتوحيد أولاً وتحقيق مسائل الإيمان والكفر والتوحيد والشرك قبل كل شيئ ،فالعلم العلم والفقه الفقه ،ف{إنما يخشى الله من عباده العلماء}وإنما العلم للعمل .

---

[1] (١)لمزيد من التفصيل يرجع إلى المشارع لابن النحاس ص٨٩٦ وفيه جزم بن كثير بنصر المسلمين وهزيمة المشركين

إن الصفحات المشرقة في تاريخ الصحابة وفتوحاتهم لكثيرة ومتنوعة فهى كالحديقة الغناء كل ما فيها طيب ولولا خشية الإطالة لنقلت[1] لكم ما يحير العقول ويشفي الصدور المؤمنة ويلهبها ويقودها إلي الجهاد وحب الإستشهاد مثل النعمان ابن مقرن يوم نهاوند –رضي الله عنه –ومآأدراك ما نهاوند وما أدراك ما النعمان وأشقاؤه السبعة إنهم ذرية مؤمنة مجاهدة ونفوس موحدة ليس لها إلا الجنة .

يوم أم حكيم

ولم يقتصر الأمر علي جهاد الصحابة والرجال فقط بل النساء كان لهن نصيب من ذلك وكانت المراة تخرج للجهاد في سبيل الله وقد سبق أن المرأة ليس عليها جهاد الذي هو فرض كفاية وإن خرجت تداوي الجرحى وتسقي العطش وتساعد وتحض فلا مانع أما الجهاد الذي هو فرض عين فهو واجب عليها مثل الرجل ونساء الصحابة ضربن المثل الأعلي في الشجاعة والجهاد والثبات وقوة القلب وهل ننسى صفية أم الزبير عندما قتلت اليهودي في الحصن بل وقطعت رأسه وهل ننسى أم عمارة نسيبة بنت كعب يوم أحد وشجاعتها ودفاعها عن رسول الله صلي الله عليه وسلم والخنساء وهل ننسى معركة مرج الصفر التي قتل فيها من المشركين مقتلة عظيمة على نهر عند الطاحونة حتى جرى بدمائهم النهر وانهزمت الروم وكان اليوم يوم أم حكيم [2] بنت الحارث بنت هشام رضي الله عنهما –وكانت تحت عكرمة بنت أبي جهل رضي الله عنه فقتل عنها بأجنادين فاعتدت أربعة أشهر وعشرة ، وكان يزيد بن أبي سفيان يخطبها وكان خالد بن سعيد يرسل إليها في عدتها يتعرض للخطبة فخطبت إلي خالد بن سعيد فتزوجها على أربعة مائة دينار فلما نزل المسلمون مرج الصفر أراد خالد أن يعرس بأم حكيم فجعلت تقول لو أخرت الدخول حتى يفض الله هذه الجموع فقال خالد إن نفسي تحدثني أني أصاب في جموعهم قالت فدونك فأعرس بها عند القنطرة التي بالصفر وسميت قنطرة أم حكيم أولم عليها في صبح مدخله بها فدعا أصحابه على طعام فما فرغوا من الطعام حتى صفت الروم صفوفها صفوفاً خلف صفوف وبرز رجل منهم معلم يدعى إلي البراز فبرز له أبو جندل بن سهيل بن عمر العامري رفيق أبي بصير ، فنهاه أبو عبيدة فبرز حبيب بن سلمة فقتله حبيب ورجع إلى موضعه وبرز خالد بن سعيد فقاتل حتى قتل وشدت أم حكيم عليها ثيابها ، فاقتتلوا أشد القتال على النهر وصبر الفريقان جميعاً وأخذت السيوف بعضها بعضاً فلا يرمى بسهم ولايطعن برمح ولا يرمى بحجر ولا يسمع إلا وقع السيوف على الحديد وهام الرجال وأبدانهم ، وقتلت أم حكيم سبعة بعمود الفسطاط الذي بات فيه خالد بن سعيد معرساً بها ، قتلت سبعة بعمود الخيمة ، رحم الله أم حكيم ونساء الصحابة أجمعين ورزق نسائنا ونساء المسلمين الإقتداء بهن في القول والعمل فلم تتوقف الحياة من أجل الجهاد ولم ترفض الزواج من أجل زوجها عكرمة ولم تقل أنه متزوج ولا أرضى أن أكون الزوجة الثانية أو الثالثة ولم تقل لاتدخل بى حتى نرجع إلى المدينة ، لأن الحياة لا تتوقف بالحوادث بل تطمع أن يرزقها الله الشهادة مثل زوجها وإن لم فتطمع أن يرزقها الله ذرية صالحة تعبد الله وتوحده وتجاهد في سبيله ، أين نساؤنا من كل ذلك ، بل بعض النساء دخل عليهن حيل الكافرين والعلمانيين وخدعن بتصريحاتهم حول حقوق المرأة وعدم تعدد الزوجات وتحديد النسل فنرى بعض النساء يرفضن التعدد ويرفضن الإنجاب أكثر من طفلين إستجابة منهن لهذه النداءات المتكررة والحرب المستمرة من قبل النصارى واليهود بنشر الفاحشة بين المسلمين وتقليل نسلهم بحجة الرزق والحياة السعيدة والإنفجار السكاني في حين نرى النصارى واليهود يفعلون كل شيئ من أجل زيادة عددهم حتى يتفوقوا على المسلمين والمسلمون في غفلة من أمرهم وما يرضى ربهم وما يحبه نبيهم ﷺ اللهم ارزق نساءنا العفاف والغنا والحجاب والستر وارزقهن التشبه بأمهاتهن أمهات المؤمنين ونساء الصحابة حتى تعود للمرأة كرامتها المهدرة وحقوقها الضائعة ولن يكون ذلك إلا في ظل الإسلام وتحكيم الشريعة .....

شجعان الأمة

أشجع الناس وأقواهم قلبا

كان أشجع الناس على الإطلاق وأقواهم قلباً وأثبتهم جنانا سيدنا ونبينا مُحَمَّد ﷺ ،وقد حضر المواقف الصعبة المشهورة وفر الأبطال عنه غير مرة وهو ثابت لا يبرح ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح وما شجاع إلا وقد أحصيت له فره أوفتره سواه فإنه لم يفر قط ولم ينهزم رسول الله ﷺ قط وحاشاه من ذلك ثم حاشاه ولا يجوز للمسلم أن يقول انهزم رسول الله أو فر رسول الله فهو أشجع الشجعان فداه نفسي وأهلي ومالي صلوات ربى وسلامه عليه فهو على خلق عظيم كما وصفه ربنا عز وجل وهو أعلم به سبحانه وفى الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال "كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وكان أجود الناس وكان أشجع الناس

---

(١)ذكرها ابن النحاس فى المشارع في باب نفيس ماتع من ص٨٤٠إلى ص٩٥٠ فقد أفاد وأجاد – رحمه الله – ورضى عنه

(٢)أم حكيم بنت الصحابى الجليل الحارث بن هشام بن المغيرة أبو عبد الرحمن المكى أخو أبو جهل استشهد بالشام في خلافة عمر وهي كانت زوجة لابن عمها عكرمة بن أبي جهل رضى الله عنه واستشهد بالشام أيضاً ورضى الله عنهم فهي بنت الشهيد وزوجة الشهيد

ولقد فزع أهل المدينة ذات يوم فنطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعاً وقد سبقهم إلى الصوت وهو على فرس لأبى طلحة عرى وفى عنقه السيف وهو يقول لم تراعوا لم تراعوا " قال على بن أبى طالب رضي الله عنه وهو من هو فى الشجاعة والقوة وثبات القلب قال كنا إذا أشتد البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله ﷺ فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه ولقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي ﷺ وهو أقربنا للعدو وكان من أشد الناس يومئذ بأساً " وقال ذلك ابن عمر وعمران بن الحصين والبراء وحسبك من شجاعته ثبات قلبه وسكون جأشه وطلقة لسانه ليلة الإسراء فى ذلك الموقف الجليل بين يدي الله الرب العظيم وكذلك الشجعان من أمته والأبطال لا يحصون عدة ولا يحاط بهم كثرة سيما أصحابه المؤيدون الممدوحون فى التنزيل بقوله سبحانه " مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ "الفتح 29وسنذكر مواقف بطولية للصحابة والسلف رضي الله عنهم حتى نذكر الأمة بالأبطال الشجعان الذين فتحو البلاد وقلوب العباد وانظر إلى تفوق المشركين في العدو والعدة والسلاح ولكن هذا الدين عندما يتمكن من القلوب ويرسخ فيها رسوخ الجبال فيأتى أصحابه بالعجائب التى تحير العقول

أشجع الناس بعد رسول الله ﷺ

١-خليفة رسول الله ﷺ وأفضل الخلق بعده سيدنا أبو بكر الصديق عبد الله بن قحافة –رضي الله عنه وعن إبنته حبيبة رسول الله ﷺ –أمنا الطاهرة المطهرة الحصان الرزان المبرأة من فوق السماء عائشة رضي الله عنها وقد شهد له على بن أبى طالب رضي الله عنه أنه أشجع الناس ، فذكر الشيخ محب الدين الطبرى ، رحمه الله فى كتابه الرياض النضرة فى مناقب العشرة أن على بن أبى طالب قال يوماً وهو فى جماعة من الناس من أشجع الناس ؟ قالوا أنت يا أمير المؤمنين قال أما أنا ما برزت أحداً إلا انتصفت منه ولكن أشجع الناس أبو بكر لما كان يوم بدر جعلنا لرسول الله ﷺ عريشاً وقلنا من يكون مع النبي ﷺ لأن لا يصل إليه أحد من المشركين مادنا منه أحد إلا أبو بكر شاهراً سيفه على رأس رسول الله ﷺ قال واجتمع المشركون عليه بمكة . هذا يجره وهذا يتلقله يعني يزعزعه ويحركه ويقلقله وهم يقولون ءأنت جعلت الآلهة إلاهاً واحداً فوالله ما دنا إليه أحد منا إلا أبو بكر يضرب هذا ويدفع هذا ويتلتل هذا ويقول "ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله " ثم قال نشدتكم بالله أمؤمن آل فرعون خير أم أبو بكر ؟ فسكت القوم فقال ألا تجيبون ؟ والله لساعة من أبي بكر خير من ملئ الأرض من مؤمن ءال فرعون ، مؤمن ءال فرعون رجل كتم إيمانه وأبو بكر أعلن إيمانه . {قاله بن النحاس رحمه الله فى المشارع -٩٦٦- }

ولقد صدق على رضى الله عنه أن أبا بكر أشجع الناس بعد رسول الله ﷺ فإنه كان أثبتهم قلباً وأقواهم جناناً ،

.وحسبك من ذلك ثبات قلبه يوم بدر وهو يقول للنبى ﷺ كفاك بعض مناشدتك ربك فإنه منجز لك ما وعدك ،

.وثبات قلبه يوم أحد وقدصرخ الشيطان بأن مُحَمَّداً قد قتل ، ولم يبق أحد مع أحد وهو فى ذلك ثابت القلب ساكن الجأش

.وثبات قلبه يوم الخندق وقد زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر ،

.وثبات قلبه يوم صلح الحديبية فى هذا الموطن الرهيب الشديد على الصحابة بما فيهم الفاروق عمر رضى الله عنه

.وثبات قلبه يوم حنين حين فر الناس ما هو مذكور في الصحاح

.ولو لم يكن من شجاعته إلا ثبات قلبه وتثبيت المسلمين عند الخطب الأعظم والأمر الأفخم بموت سيدنا مُحَمَّد ﷺ إذ زاغت قلوب كثير من الناس وزلزلوا بموته زلزالاً شديداً لكفانا ذلك دليلاً على عظيم شجاعته وقوة قلبه أذ كان قلبه في تلك النازلة العظمى التى اهتزت لها الدنيا بأجمعها لو وزن بقلوب الأمة لرجحها .

.وكان عزمه في قتال من ارتد حينئذ لو فرق على قلوب الجبناء من أهل الأرض لشجعهم إلا أن قام بمهمة قناة الإسلام بعد اعوجاجها وجرت المله الشهباء على سننها ومنهاجها وأذن مؤذن الإيمان " ألا إن حزب الله هم الغالبون " وتولى حزب الشيطان وهم خاسرون فتلك- لعمر الله الشجاعة التى تضائلت لها فرسان الأمم ، والهمة التى تنازلت لها أعالى الهمم فرضوان الله عليهم أبدا ما شهر بارق وقهر مارق وعلى بقية الصحابة أجمعين "

ومن شجعان الأمة وأبطالها الذين لهم مواقف بطولية وصفحات جهادية مشرقة في تاريخ المسلمين بعد رسول الله ﷺ وخليفته أبو بكر الصديق رضى الله عنه

٢- أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ناصر الدين رضى الله عنه فاروق هذه الأمة ، وحسبك من شجاعته وقوته في الدين ما وصف به في الكتب السالفة أنه قرن من حديد أي جبل من حديد وقوله ﷺ يا بن الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك " رواه البخاري ومسلم

وقوله ﷺ اللهم أعز الدين بعمر بن الخطاب

وروى البخارى عن بن مسعود قوله ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر ما كنا نقدر أن نصلى عند الكعبة حتى أسلم عمر فلما أسلم قاتل قريش حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه ،

وهذا في زمن الإستضعاف كما سبق وفيه دليل على الأخذ بالعزيمة والصدع بالحق ومجالدة الكفار والقيام بعمليات فردية ضدهم ولا يمنع الإستضعاف من ذلك كما سبق من مواجهات الصحابة في مكة

٣- ومنهم الشجاع الجواد ذوالنورين عثمان أمير المؤمنين رضى الله عنه ويكفي من شجاعته أنه ذهب وحده إلى مكة يوم الحديبية يوم بيعة الرضوان حتى أشيع أنه قتل فبايع رسول الله ﷺ الصحابة على الموت ويكفي من شجاعته بذله وإنفاقه في سبيل الله وحرصه على دماء المسلمين وتجهيزه الجيوش وإن لم يكن من شجاعته أنه واجه الفتنة وحده وأقسم على الصحابة ألا يهراق دم مسلم بسببه لكفى ذلك دليلاًعلى صبره وشجاعته وقوة نفسه ، عثمان وماأدراك ما عثمان شهيد البررة ،قتيل الفجرة أفضل الأمة بعد أبى بكر وعمررضى الله عنهم وتقبل منهم ما قدموه للإسلام

٤- وأشهر الصحابة بالشجاعة -وكلهم شجعاناً – هو الليث الحصار والغيث المدرار ومفرق كتائب المشركين أميرالمؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه دفع إليه النبى ﷺ الراية يوم بدر وهو بن عشرين سنة روى البخاري ومسلم وأصحاب السنن أن النبى ﷺ قال يوم خيبر لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ليس بفرار. ويفتح الله على يديه وحمل الباب يوم خيبر حتى صعد المسلمون عليه فافتتحوها وأنه جرب بعد ذلك فلم يحمله أربعون رجلاً ثم إجتمع عليه سبعون رجلاً فكان جهدهم أن أعادوا الباب ومن صفته أنه كان إذا أمسك بذراع رجل لم يستطع أن يتنفس – رضى الله عنه وأرضاه .

٥- ومن شجعان هذه الأمة وأبطالها وأعيان فرسانها ورجالها طلحة بن عبيد الله طلحة الخير طلحة الفياض أحد العشرة المبشرين بالجنة كان أبو بكر الصديق إذا ذكر يوم أحد قال يوم كان كله لطلحة كان يقاتل عن رسول الله ﷺ وكان أبو طلحة رجلاً رامياً شديد النزع كسر يومئذ قوسين أو ثلاثة وكان النبى ﷺ يشرف لينظر يقول طلحة يا نبي الله – بأبى أنت وأمى – لا تشرف يصيبك سهم من سهام القوم نحري دون نحرك فأصاب طلحة بضع وسبعون طعنة ورمية وضربة وقطعت يده وشلت فقال له رسول الله ﷺ وجبت طلحة

٦- ومنهم الليث الهمام والبطل المقدام أبو عبد الله الزبير بن العوام أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وهو أول من سل سيفاً في الإسلام وذكر الشيخ محب الدين الطبري في كتابه الرياض النضرة في مناقب العشرة أن الزبير قال لرسول الله ﷺ سمعت أنك قد قتلت قال فما كنت صانعاً قال أردت والله أن استعرض أهل مكة واجري دماءهم كالنهر لا أترك أحداً منهم إلا قتلته حتى أقتلهم عن أخرهم فضحك النبي صلي الله عليه وسلم وخلع ردائه وألبسه فنزل جبريل عليه السلام وقال إن الله يقرئك السلام ويقول لك اقرئ مني على الزبير السلام وبشره أن الله أعطاه ثواب كل من سل سيفاً في سبيل الله منذ بعثت إلى أن تقوم الساعة من غير أن ينقص من أجورهم شيئًا لأنه أول من سل سيفاً في سبيل الله عز وجل بمكة وكان ابن اثنتي عشرة سنة الله أكبر في هذا السن ويفعل هذا الفعل لا غرو ولا عجب فإنه حواري رسول الله ﷺ وابن صفية عمة رسول الله ﷺ وكان في صدره مثل العيون من الطعن والضرب وكان جسده مجدعاً بالسيوف وما فيها جراحة إلا مع رسول الله ﷺ

٧-ومنهم سعد ابن أبي وقاص أحد العشرة وفارس الإسلام وأول من رمى بسهم في سبيل الله ودعا له النبى ﷺ فقال "الله سدد رميته وأجب دعوته " فكان ذلك قال على رضى الله عنه ماسمعت رسول الله ﷺ جمع ابوية لأحد إلا لسعد فإني سمعته يقول له يوم أحد ارم فداك أبي وأمي " فكان أحد الفرسان الشجعان الذين كانوا يحرسون رسول الله صلي الله عليه وسلم في مغازيه وهو الذي كوف الكوفة

وتولى قتال فارس وقال ابن عباس سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول سعد ابن أبي وقاص يعد بألف فارس

٨- ومنهم أمين هذه الأمة أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح أحد العشرة

٩- ومنهم أسد الله حمزة بن عبد المطلب أبو عمارة عم النبي ﷺ ذو الشجاعة المذكورة والبسالة المشهورة المعروفة قتل يوم أحد أحداً وثلاثين نفساً ثم عثر عثرة وقع منها على ظهره فانكشف الدرع عن بطنه فطعنه وحشي وكان يقاتل يوم بدر بين يدى رسول الله صلي الله عليه وسلم بسيفين وكان من الذين اشهروا إسلامهم بمكة علانية وقام بمواجهات دامية وعمليات فردية قتالية مع الكفار لفرط شجاعته وقوة نفسه وإقدامه وأظهر إسلامه وأعلن به هو والفاروق في زمن الإستضعاف – رحمهم الله ورضي عنهم

١٠- ومنهم البطل الفرد الشجاع الجلد ذو الجناحين جعفر بن أبي طالب بن عم الرسول صلى الله علية وسلم وكان أكبر من أخيه على بعشر سنين وهو ممن استشهد يوم مؤتة أخذ الراية يومئذ فقطعت يداه ثم أخذها بيده اليسرى فقطعت فاحتضن الراية حتى قتل وهو مقبل غير مدبر ووجدوا فيما أقبل من جسده بضعاً وتسعين بين ضربة ورمية وطعنة رحمه الله ورضى عنه

١١- ومنهم البراء بن مالك بن النضر الأنصاري أخو أنس رضى الله عنهما أحد الأبطال الأفراد الذين يضرب بهم المثل في الفروسية وفي الشدة وهو الذي دخل فى سرب إلى مدينة تستر مع مجزأة بن ثور وفتح الله عليهم وقاتلهم البراء في جوف المدينة وهو الذي تعلق بالكلاليب المحمية لإنقاذ أخيه أنس عندما خطفته الكلاليب في أحد المعارك حتى تفحمت يدة –رضى الله عنه –وهو الذي قال يوم اليمامة للصحابة إرفعونى برماحكم فألقونى إليهم فألقوه وراء الحائط فادركوه وقد قتل منهم عشرة وجرح يومئذ بضعاً وثمانين جراحاً ما بين رمية وضربه فاقام عليه خالد ابن الوليد شهراً حتى برأ من جراحته رضي الله عنه وكان مستجاب الدعوة شجاعا مقداماً قتل على تستر مائة رجل مبارزة سوى من شارك في قتله رحمه الله ورضي عنه

١٢- ومنهم أبو دجانة سماك بن خرشة الشجاع المشهور رضى الله عنه وهو الذي أعطاه النبي السيف يوم أحد لما قال " من يأخذ هذا السيف بحقه فقام إليه رجال فأمسكه عنهم حتى قام أبو دجانة فقال وما حقه يا رسول الله ؟ قال أن يضرب به في وجه العدو حتى ينحنى" فقال أنا آخذه بحقه فأعطاه إياه وكان رجلاً شجاعاً يختال عند الحرب وهذه مشية يبغضها الله ورسوله إلا في هذا الموطن عند إلتقاء الصفوف قال الزبير بن العوام رضى الله عنه وجدت في نفسي حين سألت النبي ﷺ السيف فمنعه وأعطاه أبو دجانة فقلت والله لأنظرن ما يصنع ؟ فاتبعته فأخذ عصابة له حمراء فعصب بها رأسه قالت الأنصار أخرج أبو دجانة عصابة الموت وهكذا كان يقول إذا عصب بها فخرج وهو يقول :

أنا الذي عاهدنى خليلى ونحن بالسفح لدى النخيل
أن لا أقوم الدهر في الكيول أضرب بسيف الله والرسول

قال فجعل لا يلقى أحداًإلا قتله ، وهكذا يفعل الأبطال يحطمون الرؤوس والجماجم التى ما فهمت لا لا إله إلا الله

وذكر بن الأثير وابن الذهبى وغيرهما أن أبا دجانة رمى بنفسه يوم اليمامة إلى داخل الحديقة فانكسرت رجله فقاتل وهو مكسور الرجل وشارك في قتل مسيلمة الكذاب وهذا فيه دليل آخر على جواز العمليات الإستشهادية والإنغماس فرحمهم الله ورضى عنهم وجزاهم الله كل خير على ما قدموه للإسلام المسلمين

١٣- ومنهم أبو طلحة زيد بن سهل الأنصاري – رضى الله عنه كان يجثو بين يدي رسول الله ﷺ وينشر كنانته ويقول وجهى لوجهك الوقاء ونفسي لنفسك الفداء وأنه قَتل يوم حنين عشرين مشركاً وأخذ أسلابهم وقال رسول الله ﷺ لصوت أبي طلحة في الجيش خير من ألف رجل "

١٤- ومنهم سيف الله خالد بن الوليد أبو سليمان رأس الشجعان والأبطال في الجاهلية والإسلام رضى الله عنه باشر حروباً كثيرة وشهد وقائع مشهورة قال لقد شهدت مائة زحف أو زهائها وها أنا أموت على فراشي كما يموت البعير فلا نامت أعين الجبناء ولم يكن في جسده موضع شبر خالياً . رضى الله عنه

١٥- ومنهم الليث الصنديد والبطل الشديد عمرو بن معد يكرب رضى الله عنه كان فارساً ضخماً عظيماً أجش الصوت حمل يوم القادسية على رستم عظيم الفرس وكان رستم على فيل عظيم فجذب عمرو عرقوم الفيل فوقع رستم وسقط الفيل عليه مع خرجٍ كان معه فيه أربعون ألف دينار فقتل رستم وانهزمت الفرس وتفرقوا

وكان عمرو مقداماً شجاعاً سأله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال يا عمرو أخبرنى عن أحيل من لقيت وأجبن من لقيت وأشجع من لقيت ؟

فقال يا أمير المؤمنين كنت أشن الغارة فرأيت فارساً لابس لأمة حربه وهو راكب على فرسه فقلت له يا فتى خذ حذرك فإنى قاتلك لا محالة فقال لى ومن تكون ؟ فقلت عمرو بن معد يكرب فسكت ودنوت منه فأجده قد مات ، فهذا أجبن من لقيت .

وأما أحيل من لقيت فكنت أشن الغارة وإذا بفارس في وهدة من الأرض لقضاء الحاجة وفرسه مشدودة على ألسنه فقلت له يا فتى خذ حذرك فإنى قاتلك لا محالة فقال لى ياعمرو ما أنصفتنى فإنى في وهدة من الأرض وأنت على فرسك لابس لأمة حربك فقلت وما تريد ؟ فقال تعطى عهداً الايصل إلى منك سوء حتى أكون كما أنت. فقلت ولك ذلك فقضى حاجته واحتبى بكسائه فجلس فقلت له لم لا تركب فقال لى لست براكب ولا محارب لك فإن شئت أن تنقض عهدك فافعل قال فتركته ومضيت وهذا أحيل من لقيت .

وأما أشجع من لقيت فكنت أشن الغارة فإذا بفارس على فرسٍ وحده فقلت له يا فتى خذ حذرك فإنى قاتلك لا محالة فلم يلتفت إلى ولا اكترث بكلامى فنادينه الثانية فلم يلتفت إلى بل قال الويل لك ومن تكون ؟ فقلت عمرو بن معد يكرب فقال الذليل الحقير والله ياعمرو إن يمنعنى من قتلك إلا احتقارك لدى فوجمت والله يا أمير المؤمنين مما قابلنى به وكان الموت أهون عندي منه فقلت يا فتى ما ينصرف إلا أحدنا فقال بل الويل لك نحن من قوم ما نكلنا عن فارس قط . إختر لنفسك إما أن تثبت لى وأضربك ثلاثاً فإن بقيت فيك بقية ضربتنى أنت أو أثبت لك وتضربنى ثلاثاً فإن بقيت في بقية ضربتك قال فاغتنمتها وقلت بل تثبت لى قال فثبت وحملت عليه بالرمح حتى انثنى وقلت إنى شققته به فانفتل عنه وضربنى بعقب رمحه

على رأسي وقال واحدة يا عمرو ولولا احتقارك لقتلتك فحصل عندى من الألم ما كان الموت أهون منه ثم قلت اثبت فثبت وحملت عليه وقمت فى السرج وضربته بالسيف بيدي الإثنتين حتى قلت إنى قد قصمته وقصمت فرسه فانفتل وضربنى بعقب رمحه وقال يا عمرو هذه ثانية ولولا احتقارك لقتلتك وبقيت الثالثة فحملت عليه وضربته ففعل مثل فعل ما فعل في الأوليين ثم أنشد

وكدت أغلاظاً من الأيمان إن عدت يا عمرو إلى الطعان

لأوجزن لهب السنان أو لا فلست من بنى شيبان

قال يا أمير المؤمنين فكرهت نفسي الموت وقلت له يا فتى عليك عزيمة فقال مثلك ما يعزم على مثلى فقلت له الكريم ما يأبى ضيافة اللئيم فقال لى أنا على طريق فقلت أكون معك فقال لى يا عمرو وتعرف ما أريد ؟ قلت اللهم لا . قال إنى أريد الموت فقلت له يا حبذا الموت معك فقال إذاً فسر قال فسرنا حتى إذا هور الليل وإذا وادٍ يلوح بقاطنه وإذا مضارب وقباب وإذا خيمة حمراء عالية فقال لى يا عمرو قلت لبيك قال هذا الوادي فيه الموت وهذه القبة الحمراء فيها الموت الأحمر فإما أن تمسك فرسى وأروح فآتى بحاجتى أو أمسك عليك فرسك فقلت صاحب الحاجة أعرف بها وأنا أمسك عليك فرسك ورضيت نفسي له سائساً قال فمسكت عليه فرسه ودخل في تلك القباب وغاب عنى ساعة وأتى ومعه جارية كالشمس الضاحية على بعير فقال لى يا عمرو فقلت لبيك فقال إما أن تقود الدواب وأنا أحمى ظهرك أو أقود أنا الدواب وأنت تحمى ظهري ؟ فقلت أنا أقود الدواب قال فأخذت زمام المطية وسرنا حتى إذا رقرق الصبح قال يا عمرو قلت لبيك قال انظر إلى ورائك هل ترى أحداً ؟ فنظرت فإذا غبار قد ملأ الجو فقلت غبار قد ملأ الجو فقال هو القوم فإذا كانوا كثيراً فليسوا بشيئ وإن كانوا قليلاً فالجلد والقوة فنظرت فإذا القوم ما بين أربعة أو خمسة فقلت القوم ما بين أربعة أو خمسة فقال الجلد والقوة وهو الموت لا محالة ثم قال جنب الوادي عن يمين الطريق ووقف هو في الطريق وإذا بشيخ قد أقبل وخلفه ثلاثة أنفس شباب هم أولاده وإذا هو أبو الصبية وهم إخوتها فتقدم الشيخ وقال له خل عن الظعينة يابن أخى فقال لست بمخليها ولا أخذتها لأخليها فقال لأحد أولاده ابرز إليه فلا خير فى الحياة مع العار فبرز إليه فتجاولا طويلاً وإذا بالشيبانى قدطعنه أخرج الرمح من ظهره فخر صريحاً وأنشد عليه أبياتاً من الشعر فقال الشيخ لولده الآخر اخرج إليه فلا خير في الحياة بعد هذا فخرج إليه وتجاولا ساعة وإذا بالشيبانى ضربه ضربة بالسيف من كتفه الواحد أطلعه من كتفه الآخر فخر صريعاً وأنشد عليه أبياتاً فقال لولده الإخر ابرز إليه ، فبرز إليه فقتل الآخر فتقدم إليه الشيخ فقال يابن أخي خل عن الظعينة فقد قتلت بنى عمك فقال لست مخليها ولا أخذتها لأتركها فقال له أتعرفني قال نعم فقال له لست كمن رأيت ولا كمن لاقيت فخل عن الظعينة وارشد سالماً فقال له ما أخليها فقال له اختر لنفسلك إما أن تثبت لى وأضربك أو أثبت لك وتضربنى فقال الشيبانى بل تثبت لى فثبت الشيخ وحمل عليه الشيبانى وضربه ضربة في مفرقه قده بالسيف إلى مشعره وحين أحس الشيخ بالسيف ضرب الشيبانى بسكين من شعره شقه إلى نصفة فوقعا ميتين قال عمرو فأخذت أربعة أفراس وعدد أصحابها وأخذت بزمام المطية ومشيت طالباً أهلى فقالت لى الجارية لست بصاحبتك ولو كنت صاحبى لسلكت سبيل القوم فقلت لها دعينى من هذا فقالت والله لا سبيل إلى ذلك إلا أن تبرز لى فى الحرب فإن غلبتنى فأنا لك وإن غلبتك فامرأة لا تكون لإمرأة فقلت لها لست بمحاربك وقد علمت جرأة قومك قال فوثبت من على المطية كالأسد وأخذت رمحاً قال عمرو فعجلتها بضربة فقتلتها ، فقال له أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ولم فعلت فقال يا أمير المؤمنين لولم أقتلها لقتلتنى .

ولا عجب في ذلك فإن بنى شيبان أهل فروسية وبطولة وكفى أن من بينهم المثنى بن حارثة الشيبانى البطل الهمام وهم أول من قاتل الأعاجم وهزموهم شر هزيمة دفاعاً عن عهدهم ومن استجار بهم

١٦- ومنهم طليحة بن خويلد الأسدي البطل العظيم والشجاع المشهور شهد القادسية وأبلى بلاءً عظيماً واستشهد بنهاوند وكان يعد بألف فارس لشجاعته وشدته ومن ذلك أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كتب إلى سعد بن أبى وقاص قد وجهت إليك وأمددتك بألفا رجل عمرو بن معد يكرب وطليحة بن خويلد فشاورهما فى الحرب ولا تولهما لما يعلم فيهما من شدة الإقدام بالعسكر وعدم التأنى عند الحرب وهو الذي دخل معسكر رستم أيام القادسية وبات فيه فلما أدبر الليل طاف بالمعسكر وتوسم أفضل فرس له قيمة وأخذه وخرج يعدو فلحقه فارس فعدل إليه طليحة فقصم ظهره بالرمح وأخذ فرسه وفعل بالثانى كذلك ثم استسلم الثالث فجاء به إلى سعد رضى الله عنه وأخبره الخبر فقيل للأسير تكلم فقال قد باشرت الحروب وغشيتها وسمعت الأبطال ولقيتها ما رأيت ولا سمعت بمثل هذا رجلاً قطع عسكرين لا يجترئ عليهما الأبطال إلى عسكر فيه عشرون ومائة ألف وأن الأتباع مثلهم خدام لهم فلم يرض أن يخرج حتى سلب فارس الجند وقتل فارس يعدل بألف ثم أدركه الثانى مثله ثم قتله فأتبعه فرأيت الموت فاستأسرت ، ثم أسلم الرجل المأسور وأبلى بلاءً حسناً مع المسلمين ، وهذا فيه دليل أيضاً على جواز العمليات والتغرير بالنفس والإنغماس فى قلب العدو وإن غلب على ظنه أنه سيقتل .

١٧- ومنهم القعقاع بن عمرو التيمي أحد الأبطال مذكور في الصحابة قال بن الذهبى قيل إنه شهد وفاة رسول الله ﷺ وله أثر عظيم في قتال الفرس في القادسيةوفتوح الشام وغيرهما ويقال إن أبا بكر قال لصوت القعقاع في الجيش خير من ألف رجل وقد حمل يوم أغواث من أيام القادسية

ثلاثين حملة قتل في كل حملة واحداً وهو الذي تسلل السور مع خالد بن الوليد في فتح دمشق رضي الله عنهم جميعاً والشيعة الروافض اخزاهم الله يكرهونه لذلك ويشيعون بين المسلمين أنه شخصية وهمية لاوجود لها.

١٨- ومنهم موسى بن نصير الإمام الكبير فاتح الأندلس

كان أعرجاً مهيباً ذا رأي وحزم وشجاعة ، قال له سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين يوماً : ما كنت تفزع إليه عند الحرب ؟ قال الدعاء والصبر

- نعم الدعاء واللجوء إلى الله الناصر المعين القوى القاهر فالنصر من عنده سبحانه والصبر على الجهاد والثبات لأن الثمن الجنة وهم قد عرفوا الجنة فطاروا إليها ونحن جهلناها فقعدنا عنها –اللهم ارزقنا الصبر والثبات حتي الممات – قال فأي الخيل رأيت أصبر ؟ قال الشقر ، قال فأي الأمم أشد قتالاً قال هم أكثر من أن أصف ، قال فأخبرني عن الروم قال أسد في حصونهم عقبان على خيولهم نساء في مراكبهم إن رأوا فرصة انتهزوها وإن رأوا غلبة فأوعال تذهب في الجبال لا يرون الهزيمة عاراً قال فالبربر ؟ قال هم أشبه الأمم بالعرب لقاءً ونجدةً وصبراً وفروسية غير أنهم أغدر الناس – قال وأهل الأندلس ؟ قال ملوك مترفون وفرسان لا يجبنون قال فالفرنج ؟ قال هنالك العدو والجلد والشدة والبأس قال فكيف كانت الحرب بينك وبينهم ؟ قال : أما هذا فوالله ما هزمت لي راية قط ولا بدد لي جمع ولا نكب المسلمون معي منذ اقتحمت الأربعين إلى أن بلغت الثمانين . واجتمع الروم لحربه فكانت بينهم وقعة مهولة وطال القتال وجال المسلمون وهموا بالهزيمة فأمر موسى بن نصير بسرادقه فكشف عن بناته وحرمه حتى يرون وبرز بين الصفوف حتى يراه الناس ثم رفع يديه بالدعاء والتضرع والبكاء فأطال فكسرت بين يديه أغماد السيوف وصدقوا اللقاء ففتح الله عليهم بلاد الأندلس وجاء رجل فقال ابعث معي أدلك على كنز فبعث معه فقال لهم انزعوا ما هاهنا فنزعوا فسال عليهم من الياقوت والزبرجد ما أبهتهم وكانت الفرش لتوجد منسوجة بقضبان الذهب تنظم السلسلة الذهب باللؤلؤ والياقوت فكان البربريان ربما وجداها فلا يستطيعان حملها حتى يأتيا بالفأس فيقتسمانها ولما افتتح الأندلس رجع إلى إفريقية وله نيف وستون سنة وهو يجر الدنيا بين يديه جراً أمر بالعجل تجر أوقار الذهب والجواهر والتيجان والثياب الفاخرة وسألوه عند ذلك كم تعد من مواليك وأهل بيتك قال كثير قالوا يكونون ألفاً؟ قال ألف ألف ، قالوا وأنت على هذا وتلقى بيدك إلى التهلكة أفلا أقمت في قرار عزك وسلطانك فإن أعطيت الرضا وإلا أنت في عزك ؟ قال لو أردت ذلك لصار ولكنى آثرت الله ولم أر الخروج وقال يوماً لسليمان والله لقد بعثت لأخيك الوليد بثور من زبرجد أخضر كان يجعل فيه اللبن حتى تري فيه الشعرة البيضاء ثم جعل يعدد ما أصاب من الجوهر والزبرجد حتى بهت سليمان وتعجب ، رحم الله موسى بن نصير ورحم الله أبطال الإسلام كانوا لا يريدون دنيا ولا سلطاناً ولا مالاً بل تركوا كل ذلك وابتغوا ما عند الله نصرة لدين الله رضي الله عنهم

١٩ – ومنهم أحمد بن إسحاق السرماري الزاهد المجاهد الفارس المشهور ، شيخ البخاري أحد شجعان العالم المضروب بشجاعته المثل قال أبو عبد الله البخاري :ما بلغنا أنه كان في الإسلام ولا في الجاهلية مثله وروى ابن الذهبي الحافظ في تهذيب التهذيب بإسناده عن إبراهيم بن شماس قال : كنت أكاتب أحمد بن إسحاق السرماري فكتب إلى : إذا أردت الخروج إلى بلاد الغزية في شراء الأسرى فاكتب إلى ؛ فكتبت إليه فقدم إلى سمرقند فخرجنا ،فلما علم جيغويه استقبلنا في عدة من جيوشه فأقمنا عنده إلى أن فرغنا من شراء الأسرى فركب يوما إلى وعرض جيشه فجاء رجل فعظمه وبجله وخلع عليه فسألني السرماري عن الرجل فقلت هذا رجل مبارز يعد بألف فارس لا يولى من ألف فقال أنا أبارزه فلم ألتفت إلى قوله فسمع جيغويه ذلك فقال لي ما يقول هذا ؟ قلت يقول كذا وكذا فقال لعل الرجل سكران لا يشعر ولكن غداً نركب فلما كان الغد ركبوا وركب هذا المبارز وركب أحمد السرماري ومعه عمود في كمه فقام بإزائه فدنا منه المبارز فهزم أحمد نفسه منه حتى باعده عن الجيش تم ضربه بالعمود فقتله ، وتبع إبراهيم بن شماس لأنه كان سبقه بالخروج إلى بلاد المسلمين فلحقه وعلم جيغويه فبعث في طلبه خمسين فارساً من خيار جيشه فلحقوا أحمد فوقف تحت تل مختفياً حتى مروا كلهم ثم خرج فجعل يضرب بالعمود واحداً بعد واحد ولا يشعر من كان بالمقدمة حتى قتل تسعة وأربعين نفساً وأخذ واحداً منهم فقطع أنفه وأذنيه وأطلقه فذهب إلى جيغويه وأخبره وكان عمود السرماري ست وثلاثون رطلاً فلما شاخ جعله أربع وعشرون رطلاً ، وكان يقاتل بالعمود وأخرج سيفه وقال أعلم يقيناً أنى قتلت به ألف تركي وإن عشت قتلت به ألفاً أخرى ولولا أنى أخاف أن يكون بدعة لأمرت أن يدفن معي .

وكان السرماري في بعض الحروب وقد حاصروا مكاناً ورئيس العدو قاعد على صفة فأخرج السرماري سهماً فغرزه في الصفة فأومأ الرئيس لينزعه فرماه بسهم آخر خاط يده فتطاول الكافر لينزع ما في يده فرماه بسهم في نحره قتله وانهزم العدو وكان الفتح ، توفي سنة إحدى وأربعين ومائتين على فراشه بقرية سرمارى فلا نامت أعين الجبناء .

وشجعان هذه الأمة وأبطالها لا يحاط بهم كثرة وفرسانها ورجالها لا يحصون عدة وفيما ذكرناه كفاية ومقنع إذ ليس في استيفائهم مطمع ومن أراد الوقوف على جملة منهم فليتتبع الغزوات المؤلفة والتواريخ المصنفة يرى من أفعالهم ما يبهر العقول ومن شجعانهم ما يضيق به نطاق المعقول " ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ " الجمعة ٤

فلا نامت أعين الجبناء
واعلم أن الإقدام لا يقدم أجلاً وأن الجبن لا يبلغ أملاً بل هو سبب لفوات ما يرام وإعانة للعداء والأخصام ومذلة للإقدام في مداحض الحمام ولهذا قالت العرب الشجاعة وقاية والجبن مقتلة وهو شر خصال الرجل .
وبعد أن عرفت أيها المسلم في هذه الجولة السريعة خماسية الجهاد وبان لك طريق الإرشاد إلى الجهاد وعلمت أحكامه وحدوده فما هو الواجب عليك بعد ذلك ما هو دورك في نصرة دين الله ؟ ما هو مشروعك في النهوض بنفسك من هذا الذل والهوان والقهر والخسران إلى العز والظفر والفوز الذي لا خسارة بعده ويكفي في كل ذلك أن الجهاد في سبيل الله أقصر الطرق إلى الجنة وقد اجتهدت وسعى في بيان الطريق وكشفت لك عن الشبهات وأزلت عنه العقبات حتى صار واضحاً آمناً لمن وفقه الله إليه وثبت قدمه عليه حتى وصل إلى ما وصل القوم إليه من النصر والشهادة في أرض العزة أرض الجنة ، فلماذا ترغب عن هذا النعيم المقيم ؟ اللهم استرنا بسترك الجميل وارزقنا حسن الخاتمة يا كريم .....

أحكام المجاهد الفقهية
أولا: الجهاد بالنفس معناه قتال الكفار بالسلاح ، ومقصوده إعلاء دين الله ونشره وإزالة المعوقات التي تحول بين دخول الناس فيه أفواجا ، وجعل الحاكمية لشرع الله في الأرض ورفع الظلم عن العباد ، حتى يكون الناس إما مؤمنا بالله متبعا لشرعه عن رضى وقناعة أو ممتنعا باق على دينه الذي يعتقده ، وهو في حماية المسلمين ، دافعا للجزية ، خاضعا لشريعة الإسلام ، متنعما بعدالتها.
وقد غاب هذا المفهوم عن كثير من المسلمين اليوم مما جعلهم يقاتلون من أجل وطنية ، أو قومية أو حزبية ونحو ذلك ، بل غاب عنهم اسم الجهاد الذي يخافه العدو ، لأنه يعني بذل النفس من أجل إعلاء دين الله فتهون الأنفس لهذا الهدف وتشتاق للقتال للفوز بإحدى الحسنيين. وقد غاب اسم الجهاد اليوم إلى ما يسمى بالكفاح ، أو النضال ، أو الانتفاضة ونحو ذلك من الأسماء التي تبعد المسلمين عن معنى الجهاد الحقيقي الذي عرفه سلف هذه الأمة.
ثانيا: الجهاد بالنفس في سبيل الله جاء في ثلاث مراحل: مرحلة الإذن بالجهاد دون أن يفرض ، ثم مرحلة الفرض لمن اعتدى وترك من لم يعتد ، ثم مرحلة فرض قتال الكفار وابتدائهم بالقتال حتى يسلموا أو يعطوا الجزية ، وتكون الحاكمية في الأرض لشرع الله.
وليس هذا تدخلا في شئون الآخرين ولا إكراها على اعتناق الإسلام ، وإنما هو إنقاذ للأمم الكافرة مما هم فيه من الكفر وتحريرهم من استعباد الطواغيت ، ثم ترك الحرية لهم لاختيار ما يقتنعون به بعد بيان الحق لهم.
وإذا كانت الدول الكافرة في هذا العصر تتدخل بقوة السلاح في بعض الدول بحجة بسط النظام الوضعي والديمقراطية المزعومة فيها ، فإن المسلمين أحق وأجدر بأن يتدخلوا في دول الكفر لبسط شرع الله ، ونشر أحكامه في الأرض التي هي قمة العدل والإنصاف والرحمة.
ثالثا: للمجاهد في سبيل الله الترخص بالرخص الشرعية ، بل هو أولى من غيره ومن ذلك ما يلي:
١- إذا أصابته الجراح فله أن يمسح عليها بالماء عند الطهارة ، فإن خاف ضررا من الماء تيمم عن الجراح وغسل الباقي وله أن يمسح على الجبائر إذا خاف من نزعها ضررا.
٢- له أن يتيمم إذا خاف من العدو إذا طلب الماء ، وكذلك إذا منعه العدو من الطهارة بالماء ، وله أن يتيمم بالغبار أو بما هو من جنس الأرض كالحصي ونحو ذلك إذا لم يجد التراب.
٣- له أن يمسح على الخفين وما يقوم مقامهما كالأحذية التي يلبسها العسكر ونحو ذلك وله أن يمسح مدة طويلة للضرورة دون أن يخلع الخفاف أو الأحذية.
٤- له أن يمسح على العمامة وما يقوم مقامها مما يوضع على الرأس كالخوذة ونحوها إذا كان في نزعها مشقة عليه.
٥- له أن يصلي صلاة الخوف فردا وفي جماعة على الكيفية التي يرى أنها أحوط للصلاة ، وأبلغ في الحراسة واتقاء شر العدو ، على الكيفيات التي صلاها النبي - ﷺ - ، وله أن يصلي صلاة الخوف ويومي بالركوع والسجود وإن لم يستقبل القبلة فإن لم يدر ما يقول في صلاته لشدة الخوف فله أن يؤخر الصلاة حتى يزول الخوف.
٦- للمجاهد أن يقصر الصلاة الرباعية في السفر للجهاد ولو طالت المدة ، وله الجمع بين الصلاتين ولو لم يكن مسافرا ، كذلك الأسير ما دام في أسر العدو.
٧- له أن يفطر في رمضان إذا سافر للجهاد وكذلك إذا كان مقيما وخاف الضعف بالصيام عند ملاقاة العدو ، وللقائد إجبار الجند على الفطر إذا خاف عليهم من الصيام ضعفا عند ملاقاة العدو.
رابعًا: المقصود بالشهيد هو من قتل في المعركة مع الكفار ونيته من الجهاد إعلاء دين الله وجعل الحاكمية لشرعه.
وللشهيد في قتال العدو ثلاث حالات:

الحالة الأولى: أن يقتل في ميدان المعركة وهو يجاهد أعداء الله من أجل إعلاء دين الله وجعل الحاكمية في الأرض لشرعه.
فهذا شهيد في الأحكام الدنيوية فلا يغسل ولايصلى عليه ويدفن بثيابه التي قتل فيها بعد أن ينزع عنه الحديد والسلاح ، وشهيد في الآخرة له أجره عند ربه جنات عدن تجري من تحتها الأنهار ، ومغفرة من الله ورضوان.
الحالة الثانية: أن يقتل في ميدان المعركة ، وكان هدفه من القتال غنيمة أو سمعة أو رياء أو عصبية أو حزبية ونحو ذلك ، فهذا شهيد في الأحكام الدنيوية لا يغسل ولا يصلي عليه ، ويدفن بثيابه التي قتل فيها ، لكنه غير شهيد في الآخرة لسوء نيته فلا ينال منزلة الشهداء وما أعده الله لهم من الفضل العظيم.
الحالة الثالثة: أن يقتل في غير ميدان المعركة كمن جرح في المعركة ، ثم بقي زمنا وأكل وشرب ثم مات ، وكان هدفه من الجهاد إعلاء دين الله وجعل الحاكمية في الأرض لشرعه ، فهذا لا يأخذ أحكام الشهيد الدنيوية فيغسل ويصلي عليه ويكفن ولكنه شهيد في الآخرة لحسن نيته ونبل مقصده من قتاله أعداء الله.
خامسًا: في حالة كثرة القتلى في المعارك مع العدو فإنه يجوز جمع أكثر من قتيل في قبر واحد ، كما فعل النبي - ﷺ - بشهداء أحد.
سادسًا: للمجاهد في سبيل الله الأخذ من الزكاة ليستعين به على الجهاد في سبيل الله إذا لم يكن له راتب من ديوان الجند ، وله أخذ الهبة على الجهاد في سبيل الله ، وأخذ الجعل من بيت المال أو من غيره إذا لم يكن له راتب في ديوان الجند.
ولا يجوز له أخذ الأجرة على الجهاد لأنه إذا حضر صف القتال صار فرض عين في حقه ولا يجوز أخذ الأجرة على فرض العين.
ويجوز للمجاهد أخذ نصيبه من الغنائم ولا يحل له أخذ شيء من الغنائم بدون إذن الإمام ولا قبل قسمة الغنائم بين الجند ، لأن ذلك غلول محرم ، إلا ما احتاج إليه من مطعم ومشرب ونحو ذلك بقدر الحاجة.
وللمجاهد أخذ النفل الذي يعطيه الإمام على عمل قام به لأن في ذلك تحريضا على القتال.
سابعا: لا يجوز للمجاهد الخروج للجهاد بدون إذن الإمام إذا كان ذلك الخروج في جهاد الطلب للعدو وكذلك لا يجوز له الخروج بدون إذن الوالدين وإذن الغريم الذي حل دينه ولم يترك له وفاء.
ويجوز له الخروج مع القائد الفاجر إذا كان فجوره على نفسه ، لأن في ترك الخروج مع القائد الفاجر دعوة إلى ترك الجهاد في سبيل الله.
ولا يجوز الخروج بالقرآن الكريم إلى أرض العدو إذا خيف عليه منهم أن تناله أيديهم بالتحريف والإهانة.
ثامنا: لا يجوز قتال الكفار وغزوهم في ديارهم إلا بعد دعوتهم إلى الإسلام وبيان الحق لهم ، فإن أبو دعوا إلى دفع الجزية والدخول في حماية المسلمين ولهم دينهم ، فإن أبو فالقتال آخر الحلول حتى يسلموا أو يعطوا الجزية.
تاسعا: الاستعداد لقتال الكفار والأخذ بكل وسائل القوة أمر مطلوب وذلك في جانبين:
الأول: الإعداد المعنوي ويتمثل ذلك في الإيمان بالله عز وجل ، والتوكل عليه ، والثقة بنصره لجنده ، وعدم الخوف من كثرة العدو وعدتهم وتطور سلاحهم مهما بلغ عددهم وقوتهم ، وهذه قوة معنوية عظيمة لا توجد عند غير المجاهد في سبيل الله.
الثاني: الإعداد الحسي ويتمثل ذلك في جميع أنواع وصنوف القوة في العدد والعدة والتدريب واستخدام أحدث الطرق والوسائل في القتال مع العدو سواء في كيفية القتال ، أو في التجسس ومحاربة العدو نفسيا بالطرق المختلفة ، أو بامتلاك الأسلحة وإظهار القوة ووضع وسائل الردع الممكنة لحماية المسلمين من العدو واتباع الخطط المرسومة من القادة والثبات عند لقاء العدو حتى يتحقق النصر بإذن الله.
عاشرا: أخلاقيات المجاهد عند القتال:
عند قتال العدو يجب على المجاهد في سبيل الله التخلق بأخلاقيات الإسلام في القتال مع العدو ، فلا يجوز قتل النساء والأطفال والعجزة والمرضى وأصحاب الصوامع والفلاحين والرعاة ما لم يشاركوا في القتال ، أو يعينوا بالرأي والمشورة والتحريض ، هؤلاء يسمون الآن (المدنيون) وهذا مصطلح حادث من إختراع الغرب الكافر ووافقه ورده أهل العلمنة والنفاق والردة دون وعى ولافهم لما يراد به ،ولا يجوز الاعتداء على أعراض العدو ، ولا المثلة بجثثهم ، ولا الإجهاز على الجرحى منهم ، ولا يجوز هدم المنازل ولا إحراق المزارع والمدن إلا في حالة الحاجة إلى ذلك لمصلحة سير المعارك بقدر الحاجة وبإذن الإمام.
ولا يجوز قتل العدو بأسلحة مدمرة تؤثر على من لا يجوز قتله من العدو مع إمكانية استخدام أسلحة أقل تأثيرا وحصول المقصود بها من تحقيق النصر على العدو.
ولا يجوز إهانة الأسرى من العدو ولا تعذيبهم حتى يختار الإمام ما يراه مناسبا في حقهم ، ويجب الالتزام بالمعاهدات والاتفاقات التي حصلت بين المجاهدين والعدو واحترامها وعدم الغدر والخيانة.
هذه أخلاقيات الإسلام في الجهاد في سبيل الله ، لا يقاتل من العدو إلا من هو أهل للقتال حتى يسلم أو يدفع الجزية ويكون في حماية المسلمين ويبقى على دينه الذي يريد.

يعيش في ظل عدالة الإسلام لا يعتدى على عرضه ولا على نفسه ولا على ماله ، له ما للمسلمين وعليه ما عليهم.

فلينظر العالم الحائر في هذا الزمن إلى هذه الأخلاقيات العظيمة السماوية ، وإلى ما يرتكبه أهل الكفر مع المسلمين اليوم في الحروب البشعة التي يشنها العدو في كثير من دول العالم على أقليات من المسلمين لا حول لهم ولا طول ، وكيف أنهم يقتلون النساء والأطفال والعجزة ويمثلون بهم وينتهكون الأعراض ويهلكون الحرث والنسل ويسعون في الأرض الفساد.

الحادي عشر: المجاهد في المعاملات:

١- يجوز للمجاهد شراء السلاح من العدو وكذا ما يحتاجه من طعام وشراب ونحو ذلك.

٢- لا يجوز للمجاهد التعامل بالربا مع الحربي في دار الكفر ولا في غيرها.

٣- لا يجوز للمجاهد بيع السلاح للعدو ، ولا رهن سلاحه عند الحربي ، ويجوز عند أهل الذمة عند الحاجة إلى ذلك.

٤- يجوز للمجاهد استعارة السلاح واستئجاره ويضمنه إذا تلف بتعد منه.

٥- للمجاهد أخذ لقطة دار الحرب ، فإن كانت من مال الكفار فهي غنيمة توضع في الغنائم وإن كانت لمسلم فتأخذ أحكام اللقطة ، وإن لم يعرف لمن تكون فيعرفها سنة فإن كانت لمسلم أعطاه إياها وإن كانت لكافر وضعها في الغنائم.

٦- يجوز للمجاهد وقف ماله وسلاحه في سبيل الله.

٧- إذا خرج المجاهد للجهاد في سبيل الله وجب عليه أن يوصي بالحقوق الموجودة عنده والتي لا بينة عليها ، ويسن له أن يوصي بشيء من ماله في سبيل الخير.

٨- المفقود في المعركة لا يقسم ماله ، ولا تنكح زوجته حتى ينقطع خبره وتمضي مدة طويلة قدرها بعض أهل العلم بأربع سنوات على الأرجح.

الثاني عشر : المجاهد فى النكاح -لا ينكح المجاهد في الأسر ولا يطأ زوجته إذا كانت معه في الأسر إلا إذا خاف على نفسه من الوقوع في الزنا بشرط أن يعزل عنها حتى لا يختلط نسبه أو يولد له ولدا فيكون رقيقا.

٢- إذا آلى المجاهد من زوجته وبقي في الجهاد حتى انتهت مدة الإيلاء طلب منه أن يفيء بالقول إذا عجز أن يفيء بالجماع لانشغاله بالقتال ، فإن أبى طلق عليه القاضي.

٣- للمجاهد إرجاع زوجته من طلاق رجعي وهو في المعركة ولو لم تعلم إلا أنه يلزمه إعلامها ، أو إعلام وليها ، والإشهاد على الرجعة فإن كتمها لعجز فاعتدت وتزوجت وهو غائب في الجهاد فإنها زوجته ، ونكاح الثاني باطل على الراجح من أقوال أهل العلم.

٤- عدة زوجة المجاهد إذا قتل في المعركة لا تختلف عن عدة المتوفي عنها زوجها أربعة أشهر وعشرا ، وإن كانت حامل بوضع الحمل ، وتحسب العدة من يوم الوفاة على الراجح من أقوال أهل العلم.

٥- خروج المجاهد للجهاد في سبيل الله لا يسقط عنه وجوب نفقة الزوجة والأولاد بل تجب عليه النفقة ، فإن قتل في المعركة انفق على زوجته وأولاده من عطائه في ديوان الجند حتى تتزوج الزوجة ويبلغ الأبناء ويتزوج البنات.

الثالث عشر: المجاهد في القصاص

١- إذا فعل المجاهد فعلا يوجب قصاصا في النفس أو فيما دون النفس أو حدا من الحدود أخذ به ، لكنه لا يقام عليه في أرض الحرب وإنما يقام عليه بعد الرجوع من القتال للحاجة إليه في الجهاد.

٢- إذا قتل المجاهد مسلما خطأ في المعركة لزمته الدية على العاقلة وعليه الكفارة عتق رقبة فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين.

الرابع عشر: المجاهد في القضاء:

١- خروج المجاهد للجهاد في سبيل الله لا يسقط عن الحقوق والواجبات الواجبة للغير عليه ، فللمدين مطالبته بالدين الحال ويلزمه الوفاء ، إذا كان قادرا على السداد ،أو توكيل من يقوم بذلك عنه ، وللزوجة مطالبته بالنفقة والطلاق إذا خافت على نفسها الوقوع في الزنا لطول غيابه عنها مع إمكانية رجوعه إليها إلى غير ذلك من الحقوق.

٢- تقبل شهادة المجاهد على غيره إذا تحققت الشروط وانتفت الموانع وتقبل شهادة بعض المجاهدين لبعض إلا إذا وجدت شبهة التهمة كالشهادة بشيء من الغنائم قبل قسمتها.

هذه أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث، وأوصي في الختام بما يلي:

أ - أن على العسكري المسلم استشعار الجهاد في سبيل الله في نفسه وهو يلتحق بالسلك العسكري ، ولا ينظر إلى ميزات مادية أو اجتماعيةولايجوز الدخول فى الجيش إلا بهذه النية.

ب- على الجهات المسئولة عن الجند فى الحكومات المسلمة إحياء الجهاد في سبيل الله في نفوس العسكر معنى وسلوكا وإشعارهم أن كل ما يتلقونه من علوم عسكرية وتدريبات ومهارات في استخدام الأسلحة إنما ذلك إعداد لهم للجهاد في سبيل الله.

ج- ينبغي على المسلمين اليوم أن يحيوا في نفوس الناشئة المسلمة الجهاد في سبيل الله بسماته التي جاءت بها الشريعة المطهرة.

د- الحذر من التهاون في شأن الجهاد وترك الاستعداد بالعدد والعدة ، فإن التهاون في الجهاد طريق موصلة إلى الذلة والهوان وتسلط الأعداء.

"ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض"

اعلم أيها الراغب عما افترض عليه من الجهاد ، الناكب عن سنن التوفيق والسداد ، إنك قد تعرضت للطرد والإبعاد وحرمت —والله- الإسعاد بنيل المراد بتثاقلك وقعودك عن الجهاد ، ليت شعري هل سبب إحجامك عن القتال واقتحامك معارك الأبطال وبخلك في سبيل الله بالنفس والمال إلا طول أمل أو خوف هجوم أجل أو فراق محبوب من أكل ومال ، أو ولد وخدم وعيال ، أو أخ لك شقيق أو قريب عليك شفيق أو ولى كريم ، أو صديق حميم ، أو ازدياد من صالح الأعمال أو حب زوجة ذات حسن وجمال أو جاه منيع ، أو منصب رفيع ، ليس كل هذا يقعدك عن الجهاد ولا سواه يبعدك عن رب العباد وتالله ما هذا منك أيها الأخ بجميل ألا تسمع قوله تعالى " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ " التوبة ٣٨

أيها القاعد عن الجهاد المتخلف عن طريق العز والرشاد اصغ لما أملى عليك من الحجج القاطعة واستمع مايتلي عليك من البراهين الساطعة ، لتعلم أنه ما يقعدك عن الجهاد سوى الحرمان وليس لتأخرك سبب إلا النفس والشيطان أما سكونك إلى طول الأمل وخوف هجوم الأجل ، ولا احتراز من الموت الذي لابد من نزوله والإشفاق من الطريق الذي لابد من سلوك سبيله فوالله إن الإقدام لا ينقص عمر المتقدمين كما لا يزيد الإحجام عمر المستأخرين " وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ " الأعراف ٣٤ " وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ " المنافقون ١١ "كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ" العنكبوت ٥٧

وأن للموت سكرات أيها المفتون وإن هول المطلع شديد وإن للقبر عذاباً لا ينجو منه إلا الصالحون وسؤال الملكين وفتنة القبر وضمته وهوله وظلمته والصراط وشدته والشهيد أمن من جميع ذلك لا يخشى شيئاً من هذه المهالك فما يقعدك أيها الأخ عن انتهاز هذه الفرصة ثم تفوز عند الله بحسن المئاب فأيهما تحب القتل الكريم أم الموت الأليم ؟

وإن قلت يعوقني عن الجهاد أهلي ومالي وأطفالي وعيالي

فقد قال الله تعالى قولاً بيناً لا يخفى "وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى" سبأ ٣٧ وقال تعالى "زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ " آل عمران ١٤ وقال تعالى " اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ " الحديد ٢٠

فكيف تؤثر هذا الفاني الحقير على ما عند الله وقد قال ﷺ كما رواه البخاري في صحيحه عن أنس " ما موضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها وغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها وخمار جارية من أهل الجنة خير من الدنيا وما فيها " فكيف يصدك عن هذا الملك العظيم ، أهل عن قليل يكونون في الأموات وتمزقهم أيدي الشتات ، وتمزقهم نوازل الآفات مع ما يصدر منهم من النكد والصواطات والأخلاق السيئة وهجرانهم إياك عند قلة المال وتحولهم عن ودك عند تغير الأحوال بل ويفرون منك يوم القيامة يوم الحسرة والندامة والكل يقول نفسي نفسي من هول الموقف الذي تشيب فيه الولدان وتضع كل ذات حمل حملها ويفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وزوجته وبنيه

أيعوقك عن الجهاد ولدك وأطفالك

وتذكرت ولدك الكريم وحنوت عليه حنو الأب الشفيق الرحيم فقد قال الله تعالى " إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ "التغابن ١٥"

وتالله لله أرحم بالولد من أبيه وأمه وأخيه وعمه وكيف لا وهو قد رباه برحمته في ظلمات الأحشاء وأرحام الأمهات وأصلاب الآباء .

وإن قلت يشق علي فراق الأخ والقريب والصديق والحبيب

فكأنك بالقيامة وقد قامت على الخلق أجمعين " الآخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين " فإن كانت الصداقة لله فستجمع بينكما الجنان في نعيم أنتم فيه خالدون وإن كانت الصحبة لغير الله فالفراق الفراق قبل أن يحشر الرفاق مع الرفاق فالمرء يحشر مع من أحب ولا يقعدك يا هذا عن الجهاد حبيب أو قريب فربما افترقتما قبل المغيب ففاتك الثواب العظيم وبان عنك الصديق الحميم وحرمت ما ترومه من الدرجات وندمت فلم يغنك الندم على ما فات

الطريق لرفع راية التوحيد

وإن قلت يقعدني منصبي وجاهي الرفيع وعزي وحجابي المنيع

فليت شعري كم فارق منصبك محبا له إلى أن وصل إليك وإن قلت يشق علي فراق قصري وظله ونباته المشيد وعلو سحله وحشمي فيه وخدمي وسروري ونعمي فليت شعري هل هو إلا بيت طين وحجر وتراب وحديد وخشب وجريد إن لم يكنس كثرت فيه القمامة وإن لم يسرج فما أشد ظلامه وإن لم يتعاهد بالإصلاح والبناء فما أسرع إنهدامه ومآله إلى خراب وتراب أستبدل أيها المغرور قصرك مع سرعة فنائه بدار باقية قصورها عالية أنوارها زاهية وأنهارها جارية ،الجنة وما أدراك ما الجنة فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا ختر على قلب بشر من النعيم المقيم الخالد الذي لا يبيد وإن قلت أرغب في التأخير لإ صلاح العمل فهذا أيضاً ناتج من الغرور وطول الأمل وليس هذا والله إلا من مصايد إبليس اللعين لا من مقاصد الأولياء والصالحين ، أليس الصحابة وأخيار التابعين أولى منك بهذا القصد وإن كنت من الصادقين لو ركنوا إلى تأخير الرحال لما إرتكبوا في الله عظيم الأهوال ولما جاهدوا المشركين والكفار واقتحموا البلاد والأمصار ألا تصغي بأذنك يا هذا المفتون إلى قوله تعالي " انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون " ألا تلقي بالك ؟ إن كنت فطيناً فهيماً وتفكر في قوله تعالى" وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً " وفي الحديث الصحيح " إن قيام الرجل في الصف في سبيل الله أفضل من عبادته في أهله سبعين عاماً " أيها المغرور إن نوم المجاهد أفضل من قيام الليل وصيام الدهور فسارع إلى الجهاد ولا تسوف وسابق بالخيرات قبل الممات

وإن قلت لا تطيب نفسي بفراق زوجتي وجمالها وانسي بقربها وسروري بوصالها .

فهب أن زوجتك أحسن النسوان وأجمل أهل الزمان ،اليس أولها نطفة مذرة وأخرها جيفة قذرة وهي فيما بين ذلك تحمل العذرة حيضها يمنعك شطر عمرها وعقوقها لك أكثر من برها وإن لم تكتحل تقمشت عينها ، وإن لم تتزين ظهر شيبها وإن لم تمشط شعثت شعورها وإن لم تدهن طفى نورها وإن لم تتطهر نتنت كثيرة العلل سريعة الملل تحسن إليها جهدك فتنكر ذلك عند السخط كما قال النبي ﷺ كما في البخاري ومسلم " لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأت منك شيئاً قالت ما رأيت منك خيراً قط " ولا يمكنك أن تستمتع بها إلا على عوج ولا تدوم صحبتك إياها إلا مع الضيق والحرج ياالله العجب كيف يقعدك حب هذه عن وصال من خلقت من النور ونشأت في ظلال القصور مع الولدان والحور في دار النعيم والسرور والله لا يجف دم الشهيد حتي تلقاه وتستمتع لشهود نورها عينا حوراء عيناء ، جميله حسناء ، بكر عذراء قد قصرت طرفها عليك ، كلما نظرت إليها إزدادت في عينك حسناً أيجمل بعاقل أن يسمع بهذه ويقعد عن وصالها كيف وله في الجنة من الحور العين أمثال أمثالها .

وأعلم أن فراقك زوجتك تلك التي اقعدتك عن الجهاد لابد منه وكأنه قد وقع والجنة إن شاء الله تجمع بينكما ونعم المجتمع فتجدها في الأخرة أجمل من الحور العين بما لا يعلمه إلا رب العالمين قد ذهب كل ما تكره منها فتيتفط لنفسك يا هذا قبل الهلاك وأطلق نفسك من أسرها قبل أن يعسر الفكاك وانهض على قدم التوفيق والسعادة عسى الله أن يرزقنا وإياك الشهادة ولا يقعدك عن هذا الثواب سبب من الأسباب فذوا الحزم السديد من جرد العزم الشديد وذو الرأي المصيب من كان له في الجهاد نصيب ومن أخلد إلى الكسل وغره الأمل زلت منه القدم وندم حيث لا يغني الندم وقرع السن على من فرط وفات إذا شاهد الشهداء في أعلى الغرفات " والله يقول الحق وهو يهدي السبيل " وحسبنا الله ونعم الوكيل .

دورنا فى نصرة الإسلام

إن المتأمل في حياة الصحابة رضي الله عنهم ويرى مواقفهم المشهودة في حياتهم وجهادهم يرى بوضوح أثر التربية النبوية واضحا في سلوك هؤلاء الصحب الكرام ويعلم يقينا أنه لولا الإتباع ونصرة هذا الدين بحب وتضحية في سبيل نصرته ورفعته بكل شئ لما وصل إلينا ولا إلى غيرنا في مشارق الأرض ومغاربها والسبب في ذلك- بعد التربية النبوية - هو تطبيق التوحيد في واقعهم وتحقيقه عمليا في كل شؤون حياتهم فحققوا التوحيد اعتقاداً قولا وعملا ففتحوا البلاد وقلوب العباد حتى وصل إلينا فجزهم اللهم عنا وعن الإسلام خير الجزاء وألحقنا بهم واحشرنا معهم بمنك وكرمك يا أرحم الراحمين يارب العالمين

أخي الحبيب تأمل معي حياة الصحابة ومواقفهم البطولية المشهودة وما قدموه من بذل وعطاء في نصرة دين الله وأذكرك بموقف واحد من مواقفهم التى لا تحصى لواحد من هؤلاء الصحب الكرام رضي الله عنهم جميعا لتعرف من خلاله أين نحن من نصرة دين الله وكيف نتجرأ على الله وندعوه أن يحشرنا معهم ونحن لم نسلك سبيلهم ولم نعمل عملهم وحبنا للدين حب مزيف حب غير حقيقي مجرد كلام لم يتجاوز اللسان ولو كان حقيقيا من القلب لاقتضى العمل لان المحب لمن يحب مطيع فالإتباع والانقياد بالعمل دليلان على صحة التوحيد وصدق المحبة وإني أعتقد أنك موحد من أهل السنة والجماعة تعتقد أن الإيمان قول وعمل يزيد بالطاعة وينقص بالمعاصي ينقص حتى لا يبقى منه شئ وأن الأعمال من الإيمان وداخلة فيه وأن تارك أعمال الجوارح بالكلية مع القدرة والتمكن وعدم العجز كافر وليس بمسلم.

أذكرك بموقف الصديق رضى الله عنه يوم إسلامه حمل هم هذا الدين وشعر بالمسؤولية الملقاة على عاتقه فحمل هم هذا الدين وذهب يدعوا الناس إليه من اللحظة الأولى فأسلم على يديه خمسة من المبشرين بالجنة منهم ذو النورين عثمان وحواري رسول الله الزبير بن العوام وطلحة بن

الطريق لرفع راية التوحيد

عبيد الله انظر إلى التوحيد عندما يدخل القلب انظر إلى الدين عندما يختلط بالدم واللحم والعظم فيجرى في عروقك فتحيا به في الدنيا والآخرة التوحيد العملي يقين توكل انقياد انظر إلى هذا التوحيد اليقيني عند أبي بكر رضي الله عنه عندما أحس أن الدعوة في خطر وفى حاجة إلى دعم مادي قدم كل ما يملك من مال نصرة لدين الله وعندما سأله النبي ﷺ ماذا تركت لأولادك كان جوابه جواب الموحد الموقن بما عند الله ،تركت لهم الله ورسوله ،وإن تعجب من هذا فالعجب من موقفه يوم الهجرة يوم أن ترك كل ما يملك من الدنيا ولا تحسب آخى أنه ترك المال بل ترك كل ما يملك من الدنيا ترك زوجته وأولاده وأبويه ترك الدنيا وما فيها وخرج مهاجرا إلى الله وهو يعلم أنه ربما لا يعود وربما يقع في الأسر ويتعرض للاعتقال وربما يقتل وربما يهلك في الطريق ، خرج وهو يعلم حقيقة الطريق إلى الله وعلم معالمه جيدا والعقبات والأخطار المحدقة به ولكنه التوحيد الحقيقي واليقين بما عند الله وحسن التوكل على الله ،ماذا تفعل لو كنت مكانه ؟كن صادقا مع نفسك فقد طُلب منك أقل من ذلك فأعرضت وسوفت وتعللت واعتذرت عن العمل مع الله ونصرة دين الله بالدنيا التى باعها أبو بكر كلها لله ، توحيد حقيقي ، فأين أنت من نصرة دين الله ؟

فربما تقول هذا أبو بكر ، الصديق الأكبر ، أفضل الأمة على الإطلاق بعد نبيها ﷺ ، أقول لك أين أنت من صهيب أبو يحيى خرج فارا بدينه يريد نصرة دين الله والعمل مع الله في أرض الإسلام بعيدا عن الطواغيت والجواسيس أعوان الطاغوت فلحقوا به وطاردوه فثبت ثبات الشجعان وقاتل قتال الأبطال ، فعرض عليهم الدنيا ليتركوا له الآخرة وليسلم له دينه وهو بذكاء عقله وزكاة نفسه يعلم أنهم أصحاب دنيا لا عقيدة عندهم فهم أجراء عملاء مرتزقة فعرض عليهم أن يأخذوا داره وكل ماله ويتركوه يفر بدينه فوافقوا وتركوه وهم يظنون أنهم عقدوا صفقة خاسرة بالنسبة له ولأنهم لا يعلمون حقيقة لا اله إلا الله وما فهمت هذه الأدمغة مقتضيات لا اله إلا اله فرحوا بما أخذوه منه وعندما دخل على رسول الله ﷺ بشره وقال له ربح البيع أبا يحيى ربح البيع أبا يحيى ، هذا صهيب فأين أنت منه ؟بل أين أنت من بلال وخباب ؟ بلال الذي هانت عليه نفسه في جنب الله وطغت حلاوة الإيمان على مرارة العذاب فتحمل ما تحمل في سبيل الله ونصرة دينه فهو رضي الله عنه مثال للصبر والتحدي والصمود وهو مدرسة تتعلم منها الأجيال كيفية إغاظة الطواغيت وأعوانهم وأنصارهم وكيفية إدخال الهم والغم والحزن عليهم ، وخباب الذي تعلم الدرس من رسول الله ووعاه جيدا فاعتقله الطواغيت وعذبوه عذابا شديدا ووضعوه على الجمر المحمى عاريا فكان لا يطفئ الجمر إلا الشحم الذي يسيل من ظهره رضي الله عنه ولم يصده ذلك عن العمل للدين ونصرته ولم يقل ، عذبت واعتقلت وضاع المال والأهل والعيال!لم يقل لماذا أنا في الأسر خلف الجدران بعيدا عن أهلي وأولادي وغيري حر طليق في أهله وماله ؟ لم يقل ذلك لأنه يعلم حقيقة الصراع بين الحق والباطل ، بين الجاهلية والإسلام ، بين أولياء الطاغوت وأولياء الرحمن ولم يقل مثل ما نقول نحن لأن حبيبه وقائده ومعلمه أوضح له حقيقة الإسلام وبين له معالم الطريق {كان الرجل فيمن كان قبلكم يحفر له الحفرة ويوضع المنشار في رأسه وينشر نصفين ما يصده ذلك عن دينه شئ}لم نصل إلى هذه الدرجة وان تنوعت أساليب الطواغيت في محاربة العصبة المؤمنة ،من حرب نفسية ومعنوية وحسية ، ولكن الله غالب على أمرة ولو كره الكافرون .

لا نخادع أنفسنا أخي فلابد من مصارحتها والوقوف معها لنعرف أين نحن من دين الله أين نحن من نصرة دين الله ،هؤلاء هم الصحابة وتلك هى مواقفهم وفيها من الدروس والعبر الكثير لو فهمناه وطبقناه واقعا في حياتنا لملكنا الدنيا ولفتحنا العالم ونشرنا الإسلام في كل مكان كما نشروه ، فهم رضي الله عنهم حملوا هم الدين في قلوبهم ونشروه بدمائهم وعلى أشلائهم فلابد من التضحيات ولابد من نصرة هذا الدين بالقول والعمل بالحجة والبيان والسيف والسنان هذا ما فهمه الصحابة وهذه هى حياتهم ومواقفهم وما قدموه لنصرة دين الله ،فماذا قدمنا نحن ؟لم يعب بعضهم على بعض ! ولم يخذلوا إخوانهم ولم يتركوهم وحدهم في صراعهم مع الباطل كما نفعل نحن مع إخواننا المجاهدين من التنقص واللمز والتشهير والتنفير.

فيا دعاة التوحيد ابحثوا عن دينكم واقتفوا أثر نبيكم واعلموا أنه إذا رضي الباطل عن الحق فليفتش الحق في نفسه ،وإن عجزتم عن قول الحق فلا تقولوا الباطل أشرف لكم وأفضل عند ربكم وأدعى إلى احترام الناس لكم ، قدوتكم في كل ذلك نبيكم ﷺ والذين آمنوا معه ومن تبعهم من السلف الصالح الذي تزعمون أنهم قدوتكم فإن قلتم ،ماذا فعلت أنت بتوحيدك وجهادك وصدعك بالحق ومجاهرتك بتكفير الطواغيت والبراءة منهم وإظهار العداوة والبغضاء لهم ،ألم تُعذب وتعتقل وتحرم من أهلك وأولادك ،ألم يضيق عليك في الدعوة ؟ألم تُحارب في رزقك ؟ ألم يحذروا منك ويشيعوا عنك الشائعات التى تنفر الناس منك ومن دعوتك ؟ألم نقل لك مرارًا أننا في زمن استضعاف وعدم قدرة وقلة منعة فلا تورط نفسك وإخوانك مع هؤلاء الظالمين ولا تزعرهم علينا ؟

أقول لكم إن هذا الكلام يردده العوام الذين لا يحسنون الإسلام ولا يصدر من أهل الدعوة السلفية أتباع خير البرية الذين يُعلمون السيرة النبوية ،وتأمل المواقف التى سقتها لك من حياة أبي بكر صهيب وبلال وخباب تعرف أين أنت من دين الله ، وأين أنت من نصرة إخوانك ؟

فلم تقل العصبة المؤمنة المستضعفة في مكة يا رسول الله لا تجهر بإظهار الدين ولا تسفه أحلام المشركين ،ولا تعيب آلهتهم ،ولا تظهر عداوتهم وكفرهم وغض الطرف عنهم وعن باطلهم فنحن في حالة استضعاف فلا تهيجهم وتستعدهم علينا !ماذا ستستفيد الدعوة الوليدة من كل ذلك يا رسول الله ؟

لم يقل الصحابة لبلال يابلال لم تعذب نفسك كف عن إغاظة المشركين ولا تقل أحدٌ أحد وارحم نفسك من العذاب ولا فائدة مرجوة مما تفعله غير مزيد من العذاب لك ولإخوانك ماذا تستفيد من ذلك ما هى المكاسب يابلال التى تعود علينا وعلى الدعوة من فعلك هذا ؟

لم يقل الرسول ﷺ ولا الصحابة رضي الله عنهم لعمر لا تهيج الكفار علينا بقتالك لهم فقد آذيت نفسك وضربوك وأهانوك ونحن لم نؤمر بقتال بعد ، أنت تضر الدعوة!الم يتهموه بالتسرع والطيش والحماس وعدم فقه الواقع وهم في مكة لم يعب الصحابة على عبد الله بن مسعود حين صدع بالقرآن وسط الكفار في مكة وعرض نفسه للقتل!وكل ذلك في زمن الاستضعاف في مكة ولم يشرع فرضية القتال

لم يقل الصحابة يا أبا ذر لا تعرض نفسك وإخوانك للهلاك ولا تصدع بالحق على الملأ ارحم نفسك وأهلك وأولادك ،حافظ على رزقك وأكل عيشك!

لم يقل الصحابة :يا رسول الله لا تُغير على قوافل قريش فتستعدى قريشاً!يا رسول الله لا تقاتل الكفار فيجتمعوا على حربك!يا رسول الله لا تحشد الجيوش لقتال قيصر لاتزعره علينا وإن حشد لنا الجيوش لاستئصال الإسلام ،فإنه لاقبل لنا بهرقل وجنوده ،وعليك بالحوار والنقاش والسماحة والهدوء ،يا رسول الله لاترسل جيش أسامة ،يا خليفة رسول الله لاتبعث جيش أسامة لا تستعدى علينا الروم لاقِبل لنا بالروم أين نحن وأين الروم من العدد والعتاد فلا تكافؤ أبدا ،أين ثلاثة آلاف من مأتى ألف ،لم يقل رسول الله ﷺ كلامكم هذا ؟ولا الصحابة ولا السلف من بعدهم ،فمن أين لكم هذا الفهم المخالف لفهم الصحابة والسلف الصالح الذين ساروا على طريق الأنبياء ودعوا إلى مثل ما دعا إليه الأنبياء فأصابهم مثل ما أصاب الأنبياء فصبروا على تحمل عقبات الطريق فنصرهم الله وحفظ عليهم دينهم وبارك لهم في أولادهم وأرزاقهم فالجزاء من جنس العمل والله كريم ، أما أنتم فما هو حالكم مع ربكم أين أنتم من الصلاة والقرآن والقيام ؟ هل تحافظون على ورد القرآن ؟ هل تحرصون على الصلاة في جماعة المسجد؟ هل تحرصون على ركعتين قبل الفجر في السحر ؟أين أنتم من تربية الزوجة وتربية أولادكم على فهم التوحيد وحقيقة الكفر والإيمان ؟هل علمتموهم السنة والقرآن ؟أم امتلأت بهم الشوارع والنوادي وهجروا القرآن والمساجد ؟نعلم أن فيكم خير كثير ومنكم من يصدع بالحق أحيانا وأنتم رأيتم تجاوب الناس مع كلمة الحق واحترامهم لمن يقول الحق فالناس يحبون الإسلام بالفطرة ويحبون الجهاد ويحلمون بالشهادة في سبيل الله ويميزون بين الصادق والكاذب فهم ولله الحمد يفرقون بين الثكلى وبين المستأجرة وبين من يتاجر بالدين إرضاءً للظالمين وطمعاً في حطام الدنيا الفاني وبين من يبتغى وجه الله وحده وإن ابتلى في سبيله ومنع وعُذب واعتُقل في سبيل الله فهو لا يتكلم إلا بما يعتقد فهؤلاء يعرفهم الناس وكلماتهم تدخل إلى قلوبهم بدون استئذان فإن من خرج من القلب يصل إلى القلب حتما ولابد ،أما الذين يتاجرون بدينهم فعمرهم قصير وسرعان ما يسقطون من الذاكرة ويذهبون بلا رجعة غير مأسوف عليهم فالصدق منجاة والإخلاص عزيز ،نسأل الله من فضله

ثم إننا لا نطلب منكم أن تجاهدوا ولا أن تحرضوا على الجهاد ولكن لا تلمزوا المجاهدين ولا تشهروا بهم إرضاء للطواغيت وأنتم تعلمون فضل المجاهد ومنزلته عند الله ،فهم من خير الناس دينا وخلقاً وتمسكاً بالسنة ،وقاموا بما لم تقوموا به دفاعاً عن الأمة وعن دينها وسنة نبيها ﷺ ،فإن لم تكونوا عوناً للمجاهدين فلا تكونوا عوناً للطواغيت والمرتدين وترددون ما يقولون من أنهم فئة ضالة منحرفة مفسدة خوارج هذا الزمان.......إلى أخر هذا الزور والبهتان

ونقول لهم ،إن المجاهدين لا ينازعون فى وجوب طاعة ولى الأمر المسلم ،وإنما ينازعون في تحقيق المناط والوصف الذي يتنزل عليه الحكم ،وفى إسلام هذا الحاكم المرتد الذي ظهر منه الكفر البواح المغلظ والذى خرج من الإسلام من أكثر من باب وأكثركم يعلم ذلك.(وقد فصلت ذلك في التنبيهات المختصرة ،مسألة الحكم والتحاكم)

إن المجاهدين لا يرون إباحة دم المعاهد لوجود الأدلة القطعية ،لكن ينازعون في صحته وانتقاضه ،وقد فصلت ذلك في خماسية الجهاد(الإرشاد إلى طريق الجهاد).

إن المجاهدين لا يكفرون بالكبائركالزنا والربا وشرب الخمر ولا بالمعاصي من غير استحلال ، وإنما يكفرون بالشرك والكفر الظاهر الجلي الذي عندهم فيه من الله برهان ،فهم لا يكفرون إلا ما كفره الله ورسوله ،فليس كل كافر يقتل وليس كل كافر محارب

الطريق لرفع راية التوحيد

ثم إننا لا نطلب منكم التعيين ،بل حذروا الناس من الشرك بالعموم حذروهم من شرك القبور والقباب والأضرحة ،حذروهم من شرك النسك والحاكمية والولاء وادعوهم إلى توحيد رب الأرض والسماء كما فعل نبيكم ﷺ ظل في مكة يدعوا إلى كلمة التوحيد ثلاثة عشر سنة فقط إلى التوحيد وإخلاص العبادة لله وحده لاشريك له .

علموا الناس أن الشرك محبط للعمل ولا تنفع لا إله إلا الله مع ارتكاب الشرك ولا تقبل الصلاة ولا الصيام ولا الزكاة ولا يجزئ الحج وقيام الليل مع ارتكاب النواقض سواء كانت نوا قض اعتقا دية أو قولية أو عملية ، فكما أن الايما ن اعتقاد وقول وعمل يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية والأعمال من الإيمان وداخلة فيه ، فكذلك الكفر يكون بالقول والعمل والاعتقاد والشك والترك هذا عند أهل السنة والجماعة خلافا للخوارج والمرجئة وأهل البدع ، فمن مات على الشرك الأكبر من غير توبة فهو مخلد في النار والجنة عليه حرام كما قال الله سبحانه {إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء}وقوله تعالى {إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار}وغير ذلك من الآيات الكثيرة في كتاب الله .

ثم أيها الموحد هل تريد جنة بلا ثمن ؟هل تريد إسلاما بلا فتنة وبلا اختبار ؟هل تريد طريقا آمنا بلا عقبات وبلا أشواك وبلا منغصات وبلا تضحيات ؟

عجيب أمرك يا آخى ، أين أنت من كلام ربنا عز وجل في أول سورة العنكبوت{أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا أمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين }أين أنت من قول الله تعالى{أفحسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلو من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين أمنوا معه متى نصر الله}

أين أنت من كلام رسول الله ﷺ عند مسلم من حديث عمرو بن عبسة {ما جاء أحد بمثل ما جئت به إلا عودي } وقد قال له ذلك ورقة بن نوفل في بداية الدعوة بكل وضوح!

فهل فهمنا حقيقة أمرنا وما نحن فيه من غفلة ؟هل علمنا أين نحن من دين الله ؟

يجب أخي أن لا نكابر لانخدع أنفسنا بأننا نحب الدين ونحب نصرته ونضحي من أجله بالنفس والمال وحالنا لا يخفى ونشتكى إلى الله من قسوة في قلوبنا وجمود الدمع في عيوننا ،فهل تتذكر معي أخر مرة بكينا فيها من خشية الله ؟هل تتذكر معي أخر مرة ختمنا فيها كتاب الله ؟هل تتذكر معي أخر مرة تصدقنا فيها على المجاهدين وأولادهم والمعتقلين وأسرهم ؟هل تتذكر معي أخر كتاب قرأته في التوحيد والشرك والإيمان والكفر وأعطيته لغيرك ليستفيد منه ، أو قمت بطباعته وتوزيعه في سبيل نشر دعوة التوحيد بين الناس ؟ كم وكم ياأُخى ليس لنا فيها نصيب نشكو إلى الله حالنا ونسأله اللطف بنا فوالله لولا الستر لانفضحنا نسأل الله السلامة والعافية وحسن الخاتمة ، مصيبة وأي مصيبة لو متنا على هذه الحالة من الغفلة واللهث وراء الدنيا ؟ والمصيبة الكبرى أننا نظن بأنفسنا أننا شئ وأننا أحسن من غيرنا وأننا من أهل الجنة !اللهم سلم

فهيا أخي نتدارك أمرنا وننصر دين ربنا وسنة نبينا ﷺ قبل فوات الأوان ،قبل أن تصيبنا الهزيمة النفسية ويتسلل إلينا الضعف والخور والخوف من ضياع ما في أيدينا من دنيا ونخشى من الطاغوت ونضخمه حتى يصير إلهاً نخشاه من دون الله وننسى أن الأمور بيد الله وكل شئ مقدر فلن يصيبنا إلآماكتب الله لنا هذه عقيدة ، وتأمل معي نداء الرحمن لعباده المؤمنين وتدبره جيدا يفتح الله عليك مغاليق قلبك {يأيها الذين أمنوا خذوا حذركم فانفروا}فلم يقل خذوا حذركم فاقعدوا وتحججوا وتعللوا بالخوف من الطواغيت والاعتقال والأسر والتعذيب حتى تقسوا القلوب وتركنوا إلى الدنيا وتصبحوا (كتنابلة السلطان)أحياء أموات لاخير فيهم ولا حياة لمن تنادى ونضخم الباطل أكبر من حجمه بالإرجاف والهلع والشائعات وننسى قدرة الله العظيم ونشك في كل من هم حولنا بسوء الظن حتى في أهل بيتنا عياذا بالله من الخذلان فان عجزنا عن كل شئ فهل نعجز عن جلسة مع الزوجة والأولاد ننصر بها دين ربنا ؟

فياأُخى من يحمل هم الدين إن لم تحمله أنت ؟من ينصر دين الله إن لم تنصره أنت ؟

من يدافع عن التوحيد إن لم تدافع عنه أنت ؟من يدافع عن رسول الله وسنته إن لم تدافع أنت من يدافع عن الجهاد وأعراض المجاهدين غيرك ؟من يخلفهم في أهلهم بخير سواك ؟

أنظر لنفسك ماذا قدمت لدين الله ؟وحتى تعرف أين أنت من هذه النصرة أذكر لك بعض ما يقوم به أهل الباطل والعقائد الفاسدة من أعمال خيالية وجهد جبار ليل نهار في سبيل نشر عقيدتهم والدفاع عنها ويقدمون الوقت والجهد والمال وكل ما يستطيعون في سبيل نشر عقيدتهم وأفكارهم

-هل تعلم أن شركة بيبسى قامت على فكرة –ادفع سنتاً من أجل إسرائيل دعماً لليهودية !

الطريق لرفع راية التوحيد

-هل تعلم أن إحدى نساء النصارى اشترطت على من يتزوجها أن يقضى معها ستة أشهر كل سنة في دول أفريقيا لنشر النصرانية والتبشير(التنصير)من أجل المسيح ؟فما هو حال نسائنا ؟

-هل تعلم أن بعض الأسر الكافرة يقمن بجولات تنصيرية في أدغال أفريقيا والبلاد الفقيرة لنشر الكفر والرزيلة والفساد تحت مسمى هيئات الإغاثة وحقوق الإنسان ويدفعن رواتبهن كاملة لذلك

ويتحملن الصعاب والمتاعب من أجل عقيدة باطلة ؟فماذا فعلت أنت أيها المسلم من أجل دينك ؟

-هل تعلم أن هناك من يقوم بجمع الأموال لبناء مشروعات عملاقة ويجعلها وقفا على نشر الكتب والمواد الإعلامية لإفساد عقائد المسلمين ؟فماذا فعلت أنت أيها المسلم لنشر التوحيد والإسلام ؟

-هل تعلم أن بعض أصحاب القنوات الفضائية العلمانية يطلبون من الناس صراحةً التبرع بألف جنيه إسترليني كحد أدنى سنوياً لدعم القناة حتى تستمر ولا تتوقف مسيرة العطاء والفكر المستنير!ويقوم هؤلاء بجولات وزيارات لرجال الأعمال للتبرع وجمع الأموال لنشر العلمانية والديمقراطية دون حياء ؟وأنت أيها الموحد تستحي أن تقوم بذلك لنشر التوحيد والإسلام الصحيح بل تتكاسل عن توجيه أموال المسلمين- وما أكثرها –للطريق الصحيح في نشر الدين!

هؤلاء أهل الباطل يقدمون لباطلهم ويدافعون عنه بكل وسيلة حتى يبقى أطول فترة ممكنه ،وأنت أيها الموحد ماذا فعلت ؟ يا صاحب الأموال الطائلة ماذا قدمت لدين الله الذي أعطاك هذه الأموال ومنٍّ عليك بها وهو قادر أن يأخذها منك في لحظة ، ستسأل عنها يوم القيامة ماذا فعلت بها ؟

هل قمت بطبع رسالة أو كتاب تنشر من خلاله التوحيد الخالص أو تصحح المفاهيم ا لخاطئة ؟ هل قمت بإنشاء مشروعات تكفل طالب العلم كفالة تامة لكي يتفرغ لنشر التوحيد وتربية الأجيال ؟

يا صاحب المال هل أحسنت التصرف فيه وقسمت زكاته بين المجاهدين والمعتقلين وكفلت أولادهم تماما مثلما تكفل أهلك وأولادك ؟هل خصصت جزءً من مال الزكاة لطبع ونشر التوحيد ؟

هل فعلت ذلك أم تخلصت من المال بطريقة تقليدية عشوائية لا ترضى رب البرية من تقوية الجاهلية ومراعاة العصبية والحزبية والإتاوات الشهرية وغير ذلك من الأمور الردية ؟

فسارع أخى ا لمسلم ، فنحن نفتح لك أبواب الخير وندلك عليها ، فلا تحرم نفسك من الخير ،فالمحروم من حرم الطاعة ، ومن يدرى رب عمل قليل يدخلك الجنة ،والمال إن لم يدخلك الجنة وتستثمره فى الأعمال التى تقربك من الله ،وتوفق فى زيادة رصيدك عند الله ،إن لم توظف المال وتجعله سببا يقودك إلى الجنة ،فأنت تاجر خاسر ،بعت الباقي بالفاني ،بعت رضا الله والجنة ،بمتاع زائل ،ودنيا فانية ،فاحرص وفقك الله ،وأرشدك الله ،ونصرك الله على نفسك والهوى والشيطان ،أن تجعل الدنيا فى يدك ولا تجعلها فى قلبك ، واجتهد أن تبنى لك بيتا فى الجنة ،وقدم يدك فى كل عمل يقربك من الجنة مادمت قادرا مستطيعا ،فاغتنم غناك قبل فقرك ،فالعمر قصير ،والذنب كبير ،والموت قادم لامحالة ،فقدم لنفسك اليوم مايبيض وجهك غدا ،نسال الله لنا ولكم الستر والعافية وحسن الخاتمة .

وإني لا أتهمك بل أعلم أنك تحب الله ورسوله وأقسم على ذلك ،بل ويدمى قلبك وتدمع عينك عندما ترى وتسمع بجراحات المسلمين هنا وهناك وتتمنى نصرتهم بكل ما تستطيع لاشك في ذلك ولكن لعلك تخشى المضايقات والاتهامات ،لعلك تنظر إلى من قام بهذا العمل قبلك وسمعت كلام الناس عنه بأنه مجاهد يدعم المجاهدين و يخلفهم في أهليهم وأولادهم بخيرتفيذا لوصية رسول الله لعلك تخشى أن يقال بأنك تتاجر بالدين لتحصل على الأموال والسيارات والشقق والعمارات ؟أم لعلك تخشى المضايقات والمطاردات ويزج بك خلف أسوار المعتقلات وتضيع الأموال وتخشى الفقر والحرمان من جراء عملك في نصرة دين الرحمن ؟

أقول لك شرف وأي شرف أن يوفقك الله للطاعة وتكون خادما للجهاد والمجاهدين ،بل هذا من علامات توفيق الله وحبه لك أن أقامك هذا المقام الجليل العظيم الشريف وليس عليك حرج إن تصرفت بحذر وحكمة وعلم وفهم للواقع الذي تعيش فيه و أخذت بالأسباب الشرعية التى تقربك من الله وأن تعتمد عليه وحده سبحانه لا على الأسباب فهو سبحانه مسبب الأسباب ،وعليك بثلاثة أمور هى من الثوابت والأصول لمن أراد الوصول

ورؤية الله ومجاورة الرسول ﷺ في الجنة ،وهى القرآن ، قراءة ورد يومي منه ،والصلاة المحافظة عليها في جماعة المسجد مع الأذكار والأدعية بعدها صباحا ومساء وعند النوم ،والثالثة القيام بركعتين في السحر في جوف الليل تداوم عليهما خير لك من الدنيا وما فيها ،فإن وفقت لذلك فاعلم أنك بخير وعلى خير ،والمحروم من حرم لذة الطاعة ،نعم لذة الطاعة لأننا نعمل الطاعات لكن لا نشعر بلذتها ،نسأل الله السلامة والعافية وحسن الخاتمة.

فإن فعلت ذلك ووقع الابتلاء فاعلم أنه خير ساقه الله إليك ،فالله لا يريد بك إلا خيرا ،يريد ليختبرك ويبتليك ليربيك ويختارك ويصطفيك ويعلمك كي يؤهلك لحمل الأمر العظيم ويستعملك لنشر التوحيد والسنة ويخلصك من نتن الجاهلية ويبصرك بها على حقيقتها وليوقفك على صورتها القبيحة ولتعرف إلى أي حد الإخوة غارقون في هذه الجاهلية ويساهمون في تقويتها وهم يحسبون أنهم تخلصوا منها بمعرفتهم المجردة للتوحيد ،ترى ذلك في الو لاءات أيام الانتخابات ،وترى ذلك واضحاً عند توزيع أموال الزكوات ،وترى ذلك بوضوح أكثر عند المنازعات ووقوع المشكلات وهم يسارعون إلى الطاغوت في المحاكما ت والخصومات

وترى الجاهلية في نفوس كثير منهم عند تعاملهم معها دون مفاصلة ولا اعتزال ،مع أنهم هم الغرباء ، ومنهج الغرباء في مواجهة الجاهلية وضحه الله لنا في كتابه وأوضحه لنا رسوله ﷺ في سنته وطبقه الصحابة رضي الله عنهم في حياتهم ولكن هى الغفلة القاتلة..

فان ابتليت فاصبر فهذا هو الطريق وماذا نفعل ،نترك الدين لمجرد أننا اعتقلنا ووقعنا في الأسر ؟ نترك الدعوة إلى التوحيد خوفا من الاعتقال ؟ وماذا نفعل في الدنيا وماذا نعمل بها إن لم نحقق الهدف الذي خلقنا الله من أجله ونسعى إلى تحقيقه والوصول إليه ؟إنها الجنة ياأُخى ،جنة عرضها السماوات والأرض أعدها الله لنا نعم لنا ،أنتركها ونفر منها لمجرد مضايقات وابتلاءات وآلام ومنغصات سرعان ما تزول ويبقى الأجر ؟لا والله لن يكون ذلك أبدا مادام فينا عرق ينبض وعين تطرف ،والله لن نستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير ،والله لن يهدأ لنا بال حتى تقر أعيننا بنصرة الإسلام وعزة أهله ،والله لن نترك هذا الدين حتى تراق دماؤنا في سبيل نصرته وهذا هو الفوز الذي لا خسارة بعده ، نعم والله إن أكرمنا الله بذلك فقد فزنا ورب الكعبة ،ياأخى دينك دينك دمك ولحمك فانصر هذا الدين بكل ما تستطيع ، فإن الدعوة تبدأ بعد هذا الامتحان قوية أقوى مما كانت عليه لأنك عرفت حقيقة الطاغوت ووقفت على أساليب المرتدين في نشر الجاهلية ومحاربة الإسلام ، وعرفت نقاط ضعفك ،وتعلمت من الأخطاء ،وعرفت حقيقة من معك ومن عليك وميزت الرجال من أشباه الرجال وعرفت الدعي الكاذب من المؤمن الصادق ،فهذه الدروس وغيرها تجعلك تنطلق بكل قوة للعمل ونصرة دين الله ولا تلتفت لكلام الذين لا يعلمون ،فإنك لن تستطيع الإمساك بألسنتهم ولا أن تسكتهم فهم سيتكلمون في جميع الأحوال فامض ولا تنظر إليهم فإن الله ناصرك ومؤيدك وعليك بتفقد قلبك وتحرى الصدق والخلاص.

وقل لمن يتكلم ولا يملك إلا الكلام ويعيب عليك وعلى من يعمل للإسلام ونشر التوحيد بين الأنام

قل له إن القلب هو الأصل ،فأين تجد قلبك من العمل لنصرة دين الله ؟قل له لا أشك في حبك لنصرة أهل التوحيد والجهاد ولكن أين العمل ؟أين انقيادك بالعمل لهذا الدين ؟أين جهدك وجهادك ؟

في الحقيقة إنك لا تخشى اتهام الناس لك بأنك مجاهد تدافع عن المجاهدين وتنصر التوحيد وتنشره بين الناس ،فهذه ليست تهمة في الحقيقة ،وإن كانت في واقعنا المعاصر تهمة يخشى الإخوة من الاقتراب منك حتى لا يفقدوا ما بأيديهم من دنيا ،وكذلك لا تخشى من أن يقال عنك يتاجر بالدين كأصحاب كثير من الفضائيات وبعض الدعاة الجدد أصحاب الفكر المستنيروالاسلام العصري ،فحالك يغنى عن سؤالك ولست ممن يحرص على الدنيا ،حتى وإن قيل عنك ذلك ،فهي تهمة قديمة فقد قيل أكثر من ذلك لمن هو أفضل منك قديما وحديثا ،وهكذا الناس يتكلمون دائماً ،ولكن هذه مبررات وأعذار واهية تحاول أن تقنع بها نفسك لتغض الطرف عن تقصيرك في حق الله ،لأن السبب الحقيقهو أنك تحرص على دنياك وعلى ما فى يدك مهما كان وليس عندك استعداد لفقده ،ليس عندك استعداد لفقد السيارة المكيفة من أجل الدين ؟

ليس عندك استعداد أصلا بأن تضحى من أجل دينك لأن الدنيا دخلت قلبك فحرصت عليها ونسيت مهمتك الأساسية التى خلقت من أجلها وأصبح حالك لا يبعد كثيرا عن حال كثير من أهل الدنيا

فهذه الحقيقة ياأُخى ،الذي يمنعك من العمل للدين هو أنك دخلت في دوامة الدنيا واللهث وراءها فدخلت قلبك وتمكنت منه وتربعت فيه سخرتك حتى صرت عبدا لها لا تستطيع أن تفارقها

هذه هى الحقيقة التى تشعر بها وتبكى أحيانا على نفسك حينما تخلوا بها ،تبكى على تفريطك في جنب الله وعلى تقصيرك في حق رسول الله ،تبكى على نفسك وتخشى أن تموت على هذه الحال وإلا ماالذى يمنعك من العمل لدين الله ؟

الطريق لرفع راية التوحيد

هل عندك استعداد حقيقي لنصرة دين الله والعمل لنشر سنة رسول الله ﷺ ؟

اسأل نفسك بصدق وقف معها بإخلاص ،هل عندك استعداد لدفع قليل من مالك لطبع رسالة في العقيدة والتوحيد ؟هل عندك استعداد للتبرع للجهاد والمجاهدين ؟هل عندك استعداد لبناء مشروع يكفل طالب العلم الشرعي على منهاج النبوة حتى يصير داعية للدين كما كان الصحابة ؟

بل هل عندك استعداد لإنفاق قليل من وقتك لتعلم أولادك وتجلس معهم ساعة كل يوم تعلمهم التوحيد وتفقههم في دينهم ؟هل عندك استعداد لتجلس مع زوجتك لتعلمها منهج أهل السنة والجماعة وتفقهها في دينها وتجعل منها داعية موفقة تنشر التوحيد بين نساء الأمة ؟

هل عند استعداد حقيقي لوضع منهج علمي لأولادك تتفقدهم من خلاله كما تتفقد أموالك ؟

هل عندك استعداد حقيقي لتصحيح مسار حياتك وجعله في الاتجاه الصحيح قربة إلى الله وشوقا للقائه وحياءً منه سبحانه أن يراك على ما يكره ؟

أخي الحبيب هل أنت راض عن حال زوجتك وما وصلت إليه من جهل بالعقيدة وأمر الدين ؟

هل أنت راض عن مستوى أولادك الديني وما وصلوا إليه من بعد وانحراف عن السنة ؟

هم أمانة عندك والله سائلك عن هذه الأمانة فماذا أنت قائل لله يوم القيامة عن تفريطك في حقهم

بل هل أنت راض عن نفسك وحالك مع الله ومع القران والسنة والذكر والدعاء ؟

أخي الحبيب المحب لعلك تفطنت أنى أخاطبك أنت ،أنت أيها الموحد يامن كنت شعلة ضوء تتعلم التوحيد والسنة وتقيم الدروس للأشبال في بيتك تعلمهم المنهج النبوى والسلوك السوي ،أخاطبك أنت يامن كنت أول من يحضر في المسجد لصلاة الفجر ،أخاطبك أنت يامن كنت أسمع قيامك وبكاؤك وأنت تتهجد بالقرآن في جوف الليل ،أخاطبك أنت ،نعم أنت ،هل تذكرت أحوالك مع ربك أيام الطاعة وكيف صار حالك الآن ؟

أعلم أن الضغط عليك شديد ،ووطأة الجاهلية قاسية ،والأبواب شبه مغلقة ولا تجد على الخير أعواناً والغربة شديدة تشعر بها وأنت بين أهلك وإخوانك ،أعلم كل ذلك ياأخى ولكن {ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم }

أبواب الدعوة كثيرة وطرقها عديدة وما يغلقون باباً إلا ويفتح الله مكانه أبواب وهذا واقع ومشاهد

فتعالى أخي ضع يدك في يدي لنعيد بعث وإحياء الأمة من جديد ،تعالى نتعاون سويا لنشر الإسلام والتوحيد ،ربما تقول ،ما العمل والوضع كما ترى !أقول لك العمل كثير المهم الهمة العالية والعزيمة القوية والإحساس بالمسؤولية وهيا نبدأ من الآن ، ابدأ بنفسك وقف معها بصدق

-ابدأ بنفسك أولا وحافظ على وردك اليومي من القرآن بتدبر واستعن بتفسير الظلال أو السعدي أو أضواء البيان ،أو ابن كثير ،أو الطبرى

-جاهد نفسك على أن تحافظ على الصلوات الخمس في جماعة المسجد والأذكار بعدها وعند النوم

ولا تنسى أذكار الصباح والمساء وأكثر من الاستغفار والدعاء واستعن بالله واعتصم به يعصمك

ثانياً:ابدأ بأهلك وأولادك وبمن هم تحت ولايتك وخصص لهم درسا يوميا لمدة ساعة تعلمهم فيه التوحيد وتشرح لهم الأصول الثلاثة وكشف الشبهات والواجبات المتحتمات وتعرفهم أركان الإسلام وتحذرهم من نواقض الإيمان الاعتقادية والقولية والعملية ،تعلمهم التوحيد الخالص وتحذرهم من الشرك والكفر ،ولا يمنع من تبصيرهم بالواقع حتى يعرفوا حقيقة الجاهلية ،ثم قم بشرح كتاب مبسط في الفقه مثل الملخص الفقهي أو الفقه الميسر أو عمدة الفقه أو نيل المآرب

ولا تنسى الآداب والسلوك فعليك بكتاب صيد الخاطر ،أو مختصر منهاج القاصدين ،وأفضل ما يعينك على ذلك سلسلة {أين نحن من هؤلاء}لعبد الملك القاسم فهي مفيدة ونافعة بإذن الله تعالى

واعلم أن المسلم كلما كان شديد اللصوق بجيل الصحابة رضي الله عنهم كان أقرب لربه وأسلم لدينه فعليك بقراءة سير الصحابة من كتب السيرة والتراجم كسير أعلام النبلاء والبداية والنهاية وزاد المعاد وغير ذلك من كتب السلف فهذا مما يقوى إيمان العبد ويساعد على الثبات .

أهم شئ الاستمرار والمداومة على الجلوس مع الأهل والأولاد مهما كانت الظروف ولو حلقة تجويد أو قراءة قرآن ، خصص ساعة كل يوم تجلس فيها معهم فهي مفيدة لك ولهم على السواء وإني أعرف أنك تملك قدرات هائلة ممتازة لخدمة الإسلام والمسلمين وأدعوك فقط لتكتشف هذه القدرات بنفسك ،فحاول واستعن بالله ولا تعجز ولا تحقرن من المعروف شيئاً ،حاول وستصل إن شاء الله تعالى ،فإن وصلت إلى مرحلة ترضاها ستشعر بعظم المسؤولية تجاه هذا الدين وستسأل مثل كثير من المسلمين ،ماهو دورنا وماذا نفعل لنصرة الإسلام والمسلمين ؟

(وكنت أعتقد أن مثل تلك الأسئلة أصبح الجواب عنها لدى المسلمين بديهياً لكثرة تكرارها ، إلا أن هذا السؤال تردد كثيراً ، ولا أعرف ما هو سبب جهل الناس بدورهم في معركة الإسلام

رغم أن كل قارئ لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ يتضح له دوره في هذه المعركة بمجرد قراءته لآيات الجهاد ونصوص السنة ، ولن أستعرض النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة التي توضح دور كل مسلم ، ولكني سأقف فقط مع نص واحد من نصوص المصطفى ﷺ وضّح فيه الرسول ﷺ دور كل مسلم بصيغة الأمر الواجبة التي لا تسقط بحال عن ذمة المكلف{وقد فصلت ذلك في خماسية الجهاد}

روى الإمام أبو داود في سننه والحاكم في مستدركه والدارمي وغيرهم عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم) ، وفي رواية النسائي (وأيديكم) بدل (أنفسكم) ، قال الحاكم: (هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه).

قال الإمام الشوكاني في نيل الأوطار ٢٩/٨: (قوله {جاهدوا المشركين.. إلخ} فيه دليل على وجوب المجاهدة للكفار بالأموال والأيدي والألسن ، وقد ثبت الأمر القرآني بالجهاد بالأنفس والأموال في مواضع ، وظاهر الأمر الوجوب).

ولست بصدد تفصيل حكم الجهاد ومتى يتعين ومتى لا يتعين ، ولكنني أريد أن أبين هنا مهمة كل مسلم ووظيفته في مجاهدة الأعداء ، إذ أن الرسول ﷺ ذكر في الحديث المتقدم:

أصول سبل الجهاد ضد العدو الكافر ، فذكر ثلاثة أصول من أربعة:

الأصل الأول: الجهاد بالنفس أو اليد وهذا أعلى مراتب الجهاد وأكملها.

وقال ابن حجر رحمه الله: (إن نصوص الكتاب والسنة إذا جاءت بذكر الجهاد مطلقاً ولم تقيده ولم تضفه إلى المال أو اللسان فإنها تنصرف إلى الجهاد بالسيف باتفاق السلف).

والجهاد بالنفس هو أعلى مراتب الجهاد لذا فقد رتب الله عليه أكمل الأجر وعقد الصفقة ببيع الجنة للمؤمن مقابل نفسه أولاً كما جاء في سورة التوبة} إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة{ ، فهي الآية الوحيدة من آيات الجهاد التي يقدم الله فيها النفس على المال وذلك لما كانت السلعة غالية اقتضى أن يكون الثمن غالياً مثلها أيضاً.

ويتفرع عن الجهاد بالنفس ، الواجب على المؤمنين الرباط وتدريب المجاهدين وإعدادهم والاستطلاع لهم في ميادين المعركة وغير ذلك من المجهودات البدنية التي تجب على المسلم القادر في هذه الأيام وجوباً عينياً كما أجمع العلماء على ذلك ، بأن أرض المسلمين إذا دهمها العدو فقد تعين الجهاد على كل مسلم قادر.

الأصل الثاني: من أصول السبل التي ذكرها الرسول ﷺ في الحديث المتقدم أيضاً: قوله (وأموالكم) فالجهاد بالمال كثيراً ما يقرن في آيات الجهاد في القرآن ، ويأتي مقدماً على النفس لكنه ليس أعلى مرتبة من الجهاد بالنفس كلا ، ولكن لأن الجهاد بالمال هو النوع الذي تخاطب بها الأمة أجمع ، إذ أن الكفاية بالرجال تحصل عند نفور عدد من رجال الأمة ، ولكن المال لا تحصل كفاية المجاهدين به إلا إذا تكاتفت الأمة جميعها وضخت المال للمجاهدين الذي يعد عصب الجهاد ، فالشريحة المخاطبة بوجوب الجهاد بالمال هي أكبر من الشريحة المخاطبة بوجوب الجهاد بالنفس ، لذا قُدم الجهاد بالمال في آيات الجهاد لاعتبار سعة شريحة المخاطبين من رجال ونساء شباباً وشيوخاً صغاراً وكباراً والله أعلم.

والجهاد بالمال ليس بالضرورة أن يكون قدراً كبيراً من المال يدفعه المؤمن ، بل يدفع ما يبرئ به ذمته أمام الله تعالى ، لأن المقصد من الجهاد بالمال إذا تعين أن تسقط الواجب الذي في عنقك وتدفع القدر الذي تعتقد أن ذمتك ستبرأ عند الله تعالى بدفعه ولو كان يسيراً.

وكما قال الرسول ﷺ عند أحمد والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (سبق درهم مائة ألف) قالوا يا رسول الله وكيف ؟ قال: (رجل له درهمان فأخذ أحدهما فتصدق به ورجل له مال كثير فأخذ من عرض ماله مائة ألف فتصدق بها).

فالله لا يقبل الصدقة بناءً على كميتها ولكن يقبلها على حسب كيفيتها ، كما روى أحمد وأبو داود عندما سئل الرسول ﷺ ؛ أي الصدقة أفضل ؟ قال: (جهد المقل). أي صدقة الرجل المحتاج لماله الذي لا يملك إلا القليل ، فاتق الله وقدم ما تجود به نفسك ، ليس لمرة واحدة فقط بل اجعل للجهاد من دخلك نصيبا بما أن الحرب قائمة والمجاهدون بحاجة للمال.

ويتفرع عن الجهاد بالمال لمن لم يكن له دخل ولا مال ينفقه ، أن يجمع التبرعات من أهل اليسار ومن النساء والأطفال والخاصة والعامة ، ومن لم يستطع أن يجمع المال بإمكانه أن يحرض على الجهاد بالمال ويطلب من المسلمين ألا يشحوا بأموالهم إذا ما طلبت منهم.

ويتفرع عن الجهاد بالمال أيضاً أن يسعى كل قادر على إدارة الأموال بجمع رأس مال ويبني به مشروعاً يعود ريعه على المجاهدين بشكل دوري ،أو يطبع كتاباً ينشر التوحيد ويحذر من الشرك الواقع في الأمة ،أو يكفل طالب علم يعلم الناس الخير ،أو يخلف مجاهدا في أهله بخير ،أو يتولى أهل معتقل أو أسير حتى يرجع ويفك الله أسره ، أو يقوم على رعاية وتربية نفسه وأولاده تربية إسلامية على منهاج النبوة كل ذلك في استطاعته ومقدوره وله به أجر إن شاء الله

وهناك سبل أخرى كثيرة تتفرع عن الجهاد بالمال وقد اتضح المقصود من تلك الأمثلة.

الأصل الثالث: من أصول السبل الرئيسية التي نص عليها الرسول ﷺ في حديثه المتقدم: الجهاد باللسان والجهاد باللسان شأنه عظيم وفي بعض الأحيان يكون أعظم من الجهاد بالأبدان أقول في بعض الأحيان وليس دائماً.

كما قال الرسول ﷺ في الصحيحين: (أهجوا قريشاً فإنه أشد عليهم من رشق بالنبل) ، فالجهاد باللسان أمره عظيم وهو المرحلة الأولى التي تتقدم مرحلة جهاد الأبدان والأموال ، فلا يحرّض الناس للجهاد بأبدانهم إلا باللسان ، ولا يحرّض الناس للجهاد بأموالهم إلا باللسان ، فاللسان أمره عظيم وهو النوع الوحيد المتيسر لجميع المكلفين فكل مكلف بإمكانه أن يجاهد بلسانه وبأي طريقة كانت.

ويتفرع عن الجهاد باللسان تجلية حقيقة هذه الحرب الصليبية والهجمة التي تشن على الإسلام من قبل الطواغيت والمرتدين وفضحها ، والذب عن المجاهدين والدفع عن أعراضهم ، وذلك يكون بين خاصة الرجل وأهله ، وبين عامة الناس في منتدياتهم وفي مساجدهم وأعمالهم ومدارسهم ، فكل مسلم واجب عليه أن يجاهد بلسانه على قدر طاقته ، والجهاد باللسان لا يشترط له شرط بل كل كلمة علمها المكلف ويرى أن فيها فضحا لأعداء الدين من الكفار الصليبيين والطواغيت المرتدين أو ذباً عن المجاهدين وجب عليه القول بها وبيانها للناس والله أعلم.

ويتفرع عن الجهاد باللسان ، التأليف والنشر للمواد المحرضة على الجهاد بأنواعه ، من كتاب وشريط ونشرة وغيرها ، ومن عجز عن التأليف فعليه توزيعها باليد أو بالفاكس أو بالبريد ، ومن الجهاد باللسان أيضاً كتابة المقالات في الصحف والنشرات والدوريات ، والكتابة عبر شبكة الإنترنت والمراسلة عبر البريد الإلكتروني لآلاف الناس ، للمنافحة عن الإسلام في كل ميدان ، وطرق الجهاد باللسان كثيرة وقد مثلت لها بما يوضحها ، والله أعلم.

الأصل الرابع: من أصول جهاد العدو جهاد العدو بالقلب ، وهذا الأصل هو أول الأصول ترتيباً وأهمها ، ولكني أتيت به رابعاً لأن النبي ﷺ لم يذكره في النص الذي تناولنا الحديث عنه ، إلا أن هذا الأصل هو ركن من أركان الإسلام ولا يقبل الله الإسلام من دونه ، والنصوص كثيرة جداً التي توضح معنى جهاد القلب للأعداء ، فأول معاني جهاد القلب بغض الكفار وما هم عليه ومن والاهم وعدم محبتهم والكفر بهم والكفر بمعبوداتهم ، فمتى انتفى عن العبد جهاد القلب تجاه عدوه فإنه كافر بالله العظيم قال الله تعالى: {لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم{

وقال كما هي ملة إبراهيم: {قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده} ، وقال: {فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم} ، والآيات الدالة على أن جهاد القلب للأعداء ركن من أركان الدين كثيرة لا يسع المقام لحصرها.وقد فصلت ذلك في شرح نواقض الإسلام ،وقرة عيون المجاهدين.

هذا توضيح بسيط للمهام المناطة في عنق كل مسلم مكلف في هذه الأيام ، نسأل الله أن يرد كيد المعتدين وينصر دينه وأولياءه ويعلي كلمته.

وأختم بتنبيه بسيط: وهو ألا ينظر العبد إلى الحديث السابق وإلى ترتيب رسول الله ﷺ للجهاد بالمال والنفس واللسان ، فيظن أن هذا الترتيب يدل على الأولوية ، فإن الواو التي جاءت بين هذه الأنواع لا تدل على الترتيب أو التعقيب إنما تدل على مجرد العطف ، فالتقديم والتأخير هنا لا يدل على الأولوية ، فترتيبها أن جهاد القلب هو الأعظم من ثم يليه جهاد النفس وبعدهما جهاد المال ثم اللسان ، وقد يأتي في حالات خاصة ولأشخاص محددين جهاد اللسان مقدماً على النفس أو المال على النفس وهكذا ، ولكن كحكم عام فإن الترتيب الذي ذكرته هو مقتضى نصوص الكتاب والسنة ، والله أعلم

فليتق الله كل عبد وليعلم أن الله سبحانه وتعالى سائله عن جهاده ، فإن قصّر وعمل بالأدنى وهو اللسان وترك الأعلى وهو الجهاد بالبدن ، فإن هذا لا يبرئ ذمته ، واعلم أن الأدنى لا يسقط الأعلى بحال.وقد وسع الله عليك وفتح لك أبوابا كثيرة لنصرة دين الله فالمجال أمامك واسع جداً

فاختر لنفسك ما يناسبها واحرص على ما يبيض وجهك يوم القيامة فالعمر قصير والذنب كبير والموت قادم لا محالة فقدم لنفسك اليوم ما ينجيك غدا وابدأ من الآن ونحن معك بكل ما نستطيع اتصل بنا وابحث عنا تجدنا بجوارك نقدم لك كل ما تحتاجه من كتب مجانا تصلك أينما كنت كتب في التوحيد والعقيدة والإيمان والكفر ،كتب في الفقه ،كتب في الآداب والسلوك والرقاق.

أخي أعرف أنك تحب الله ورسوله فحدد من الآن هدفك ،واعرف ماذا تستطيع أن تقدمه لنصرة دين الله وداوم عليه ،فإن لم تستطع فاقرأ هذه الرسالة جيدا وقم بنشرها بين المسلمين وابتغ الأجر من الله لعلها تكون سببا في دخولك الجنة ،من يدرى ،والدال على الخير كفاعله فأرى الله من نفسك خيرا وقدم لنفسك اليوم ما يبيض وجهك غدا وتيقن أن صنائع المعروف تقي مصارع السوء

أسأل الله أن ينفع بك ويجعلك مباركا أينما كنت ،ويجعلنا وإياكم من أنصار دينه وسنة نبيه وعباده المؤمنين الموحدين المجاهدين

كيفية المشاركة فى الجهاد ونصرة المجاهدين

وسائل خدمة الجهاد والمشاركة فيه كثيرة ذكربعضهاالشيخ مُحَّد السالم في رسالته النافعةمنها:-

١) تحديث النفس بالجهاد :

تحديث النفس بالغزو التحديث الحقيقي الذي يعني العزم على تلبية نداء الجهاد متى ما نادى المنادي : " يا خيل الله إركبي " وأن يوطن الإنسان نفسه ويعاهدها أن يهب للغزو والنفير إذا استنفره واستنصره إخوانه إتباعاً لقول النبي ﷺ كما في البخاري : " وإذا استنفرتم فانفروا "

وإذا ما حدث الإنسان نفسه بالغزو ثم فاته الغزو أو لم يقدر عليه فإنه يتحسر لذلك كما قال الله عن الأشعريين - الصحابة الذين لم يستطيعوا تجهيز أنفسهم - : " ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون "

فهكذا من تمام التحديث بالغزو تحسر الإنسان وندمه على مافاته من غزو في سبيل الله ويكون حاله كما قيل :

ذكرى المعارك والشهادة هيجت شوقي إلى دار الخلود الباقية

أما من يقول حين يغلق الطريق أو لا يستطيع الغزو : " الحمد لله الذي كفانا المؤونة " فهذا كاره للغزو غير عازم عليه فيه شبه بالمنافقين الذين يكرهون الغزو ولا يخرجون إ لا وهم كارهون وإذا خرجوا أوهنوا الجيش وفروا عند اللقاء .. وشتان والله بين من يبكي حسرة على فوات الغزو والجهاد وبين من يخفي في نفسه السرور والفرح أن وجد لنفسه عذراً أو سبباً لترك الغزو ..والله عالم بالسرائر وما تخفي الصدور .

وتحديث النفس بالغزو ينفي عن الإنسان صفة النفاق ..

كما جاء في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : " من مات ولم يغز ، ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق "

قال النووي في المنهاج: " المراد أن من فعل هذا فقد أشبه المنافقين المتخلفين عن الجهاد في هذا الوصف فإن ترك الجهاد أحد شعب النفاق "

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى :

"وَأَمَّا النِّفَاقُ الْأَصْغَرُ : فَهُوَ النِّفَاقُ فِي الْأَعْمَالِ وَنَحْوِهَا : مِثْلَ أَنْ يَكْذِبَ إذَا حَدَّثَ وَيُخْلِفَ إذَا وَعَدَ وَيَخُونَ إذَا أُؤْتُمِنَ أَوْ يَفْجُرَ إذَا خَاصَمَ ... وَمِنْ هَذَا الْبَابِ : الْإِعْرَاضُ عَنْ الْجِهَادِ . فَإِنَّهُ مِنْ خِصَالِ الْمُنَافِقِينَ . قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : { مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بِالْغَزْوِ مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ } رَوَاهُ مُسْلِمٌ . وَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ " سُورَةَ بَرَاءَةَ " الَّتِي تُسَمَّى الْفَاضِحَةَ ؛ لِأَنَّهَا فَضَحَتْ الْمُنَافِقِينَ . أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : هِيَ الْفَاضِحَةُ مَا زَالَتْ تَنْزِلُ (وَمِنْهُمْ (وَمِنْهُمْ حَتَّى ظَنُّوا أَنْ لَا يَبْقَى أَحَدٌ إلَّا ذُكِرَ فِيهَا . وَعَنْ الْمِقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ قَالَ : هِيَ " سُورَةُ الْبُحُوثِ " لِأَنَّهَا بَحَثَتْ عَنْ سَرَائِرِ الْمُنَافِقِينَ . وَعَنْ قتادة قَالَ : هِيَ الْمُثِيرَةُ ؛ لِأَنَّهَا أَثَارَتْ مَخَازِي الْمُنَافِقِينَ . وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : هِيَ الْمُبَعْثِرَةُ . وَالْبَعْثَرَةُ وَالْإِثَارَةُ مُتَقَارِبَانِ . وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ : أَنَّهَا المقشقشة . لِأَنَّهَا تُبْرِئُ مِنْ مَرَضِ النِّفَاقِ . يُقَالُ : تَقَشْقَشَ الْمَرِيضُ إذَا بَرَأَ : قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : وَكَانَ يُقَالُ لِسُورَتَيْ الْإِخْلَاصِ : المقشقشتان ؛ لِأَنَّهُمَا يُبَرِّئَانِ مِنْ النِّفَاقِ . وَهَذِهِ السُّورَةُ نَزَلَتْ فِي آخِرِ مَغَازِي النَّبِيِّ ﷺ : غَزْوَةِ تَبُوكَ عَامَ تِسْعٍ مِنْ الْهِجْرَةِ وَقَدْ عَزَّ الْإِسْلَامُ وَظَهَرَ . فَكَشَفَ اللَّهُ فِيهَا أَحْوَالَ الْمُنَافِقِينَ وَوَصَفَهُمْ فِيهَا بِالْجُبْنِ وَتَرْكِ الْجِهَادِ . وَوَصَفَهُمْ بِالْبُخْلِ عَنْ النَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالشُّحِّ عَلَى الْمَالِ . وَهَذَانِ دَاءَانِ عَظِيمَانِ : الْجُبْنُ وَالْبُخْلُ . قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : { شَرُّ مَا فِي الْمَرْءِ شُحٌّ هَالِعٌ وَجُبْنٌ خَالِعٌ } حَدِيثٌ صَحِيحٌ ؛ ...وَقَالَ تَعَالَى . { إنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ } فَحَصَرَ الْمُؤْمِنِينَ فِيمَنْ آمَنَ وَجَاهَدَ . وَقَالَ تَعَالَى : { لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ } { إنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ } . فَهَذَا إخْبَارٌ مِنْ اللَّهِ بِأَنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يَسْتَأْذِنُ الرَّسُولَ فِي تَرْكِ الْجِهَادِ ؛ وَإِنَّمَا يَسْتَأْذِنُهُ الَّذِي لَا يُؤْمِنُ فَكَيْفَ بِالتَّارِكِ مِنْ غَيْرِ اسْتِئْذَانٍ"

فحذار حذار أخي المسلم من أن تتشبه بالمنافقين أو تموت وفيك شعبة من نفاق ، وأما من يلوم المجاهدين أو من يخرج للجهاد بشتى أنواع اللوم بالتعجل تارة وبعدم الاستشارة تارة أخرى فنقول له

يا من عذلتم بالجهاد شبابنا كفّوا عن التشهير والإنكار
أيلام من عشق الجنان ورَوحها وعلى خطى الأصحاب دوماً ساري
أيلام من هجر الحياة ولهوها وبعزم حر هبّ لاستنفار
أيلام من لله أرخص نفسه يبغي بها الفردوس خير قرار
فدعوا الجهاد وأهله من لومكم وحذارِ من وصف النفاق حذار
من لم يحدّث نفسه بالغزو أو يغزو فمات فميتة الأشرار
إن الجهاد هو الطريق لعزّنا وبتركه ذلٌ وعيش صغار

وقد جاء في الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : " من لقي الله تعالى بغير أثر من جهاد لقي الله وفي إيمانه ثلمة " والحديث فيه كلام .

ويتبع لهذه الوسيلة ويتعلق بها الوسيلة التي بعدها وهي :

<u>٢) سؤال الله الشهادة بصدق:</u>

سؤال الله الشهادة بصدق وإخلاص وإلحاح ، فمن سأل الله الشهادة بصدق بلَّغَهُ اللهُ منازل الشهداء ولو مات على فراشه كما جاء في صحيح مسلم عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : (من طلب الشهادة صادقا أعطيها ولم لم تصبه) ، وفي رواية (بلّغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه) .

وفي مسلم أيضاً وقول النبي ﷺ (من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه) .

قال الشيخ عبدالله عزام رحمه الله: " ومعنى الحديثين : أنه إذا سأل الشهادة بصدق أعطي من ثواب الشهداء وإن كان على فراشه ، وفيه استحباب سؤال الشهادة واستحباب نية الخير" أ.هـ

وفي الحديث : (من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه) .

قال الشيخ عبدالله عزام رحمه الله : "ولكن الصدق في طلب الشهادة هو إعداد العدة :

ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة .

أما أن تمر عشر سنوات على الجهاد في أفغانستان ، والطريق آمنة ، والحدود مفتوحة ، ولا يصل بيشاور ، فهذا نرجوا الله أن يغفر له ، إن كان يظن أنه صادق في طلب الشهادة ، ألم تر إلى ذلك الأعرابي الذي قال لرسول الله ﷺ : اتبعتك على أن أضرب هاهنا - حلقه - فأدخل الجنة فأصيب الأعرابي حيث أشار فقال ﷺ : (صدق الله فصدقه) . " أ.هـ

وسؤال الشهادة الحقيقي هو الذي يجعل صاحبه كلما سمع هيعة أو فزعة طار إليها ، لا من يتأخر ويتباطأ عن نصرة الدين والنفير إذا دعى الداعي ...بل لسان حاله

رباه بعناك النفوس بجنة فاسكب إلهي في الجهاد دمائيه
فلقد أحاطتني الذنوب وما لها إلا الشهادة كي تكفر ما بي
رباه رباه الشهادة أبتغي فأجب بفضلك ياكريم دعائيه

فالله الله في الصدق مع الله والإلحاح عليه بأن يرزقك الشهادة في سبيلة مقبلاً غير مدبر ، واعقد العزم على الجهاد ، ولتعلم أن من سأل الله الشهادة بصدق فإنه يطلب مظانها ويبحث عنها ،ويسعى لها سعياً حثيثاً ولا ينم حتى تأتيه هي :

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجري على اليبس

<u>٣) الذهاب للجهاد بالنفس :</u>

الذهاب للجهاد في سبيل الله بالنفس ..

وعدم التقاعس عن ذلك بأي حجة ...فالرضى بالقعود هو رضى بالحياة الدنيا من الآخرة .

والجهاد في سبيل الله بالنفس أعظم الوسائل وأفضل القرب إلى الله تعالى ، ولا يخفى فضلها على أحد ..

وقد جاءت الفضيلة في الكتاب والسنة بفضيلة المجاهد بالنفس وفضيلة الشهيد والشهادة مما يطول بذكرها المقام وفي القرآن أكثر من سبعين آية في الجهاد وفي السنة أفرد أهل الحديث في مصنفاتهم أبواباً للجهاد وأحكامه وفضائله و كلمة الجهاد إذا أطلقت يراد بها القتال ..كما يقول ابن رشد :(وكلمة الجهاد إذا أطلقت إنما تعني قتال الكفار بالسيف حتى يسلموا أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) .

فلا يحق لأحد أن يعممها على جهاد النفس أو الكلمة والقلم أو الدعوة إلى الله صحيح أنها أعمال بر وطاعة إلا أنها ليست المرادة بالجهاد في النصوص الشرعية إلا ما خص بذلك .

بل الجهاد أفضل الأعمال الصالحة بعد الصلاة المفروضة والجهاد من أفضل الأعمال الصالحة

٤) **الجهاد بالمال:**

من الجهاد بالمال الإنفاق في سبيل الله على الجهاد والمجاهدين في كل مجال يحتاجونه يقول الشيخ يوسف العييري رحمه الله تعالى : " فالجهاد بالمال كثيراً ما يقرن في آيات الجهاد في القرآن ، ويأتي مقدماً على النفس لكنه ليس أعلى مرتبة من الجهاد بالنفس كلا ، ولكن لأن الجهاد بالمال هو النوع الذي تخاطب بها الأمة أجمع ، إذ أن الكفاية بالرجال تحصل عند نفور عدد من رجال الأمة ، ولكن المال لا تحصل كفاية المجاهدين به إلا إذا تكاتفت الأمة جميعها وضخت المال للمجاهدين الذي يعد عصب الجهاد ، فالشريحة المخاطبة بوجوب الجهاد بالمال هي أكبر من الشريحة المخاطبة بوجوب الجهاد بالنفس ، لذا قُدم الجهاد بالمال في آيات الجهاد لاعتبار سعة شريحة المخاطبين من رجال ونساء شباباً وشيوخاً صغاراً وكباراً والله أعلم .

والجهاد بالمال ليس بالضرورة أن يكون قدراً كبيراً من المال يدفعه المؤمن ، بل يدفع ما يبرئ به ذمته أمام الله تعالى ، لأن المقصد من الجهاد بالمال إذا تعين أن تسقط الواجب الذي في عنقك وتدفع القدر الذي تعتقد أن ذمتك ستبرأ عند الله تعالى بدفعه ولو كان يسيراً ، وكما قال الرسول صلى الله عليه و سلم عند أحمد النسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :قال رسول الله صلى الله عليه و سلم (سبق درهم مائة ألف) قالوا يا رسول الله وكيف ؟ قال (رجل له درهمان فأخذ أحدهما فتصدق به ورجل له مال كثير فأخذ من عرض ماله مائة ألف فتصدق بها) فالله لا يقبل الصدقة بناءً على كميتها ولكن يقبلها على حسب كيفيتها ، كما روى أحمد وأبو داود عندما سئل الرسول صلى الله عليه و سلم أي الصدقة أفضل ؟ قال (جهد المقل) أي صدقة الرجل المحتاج لماله الذي لا يملك إلا القليل ، فاتق الله وقدم ما تجود به نفسك ، ليس لمرة واحدة فقط بل اجعل للجهاد من دخلك نصيبا بما أن الحرب قائمة والمجاهدون بحاجة للمال ."

٥) **تجهيز الغازي:**

ومن وسائل الجهاد في سبيل الله وخدمة المجاهدين تجهيز الغزاة للجهاد وقد جاء في فضل ذلك عدة أحاديث صحيحة عن النبي ﷺ منها قوله:(من جهز غازيا في سبيل الله فقد غزا ، ومن خلف غازيا في سبيل الله في أهله بخير فقد غزا) .

وقوله ﷺ : (من جهز غازيا في سبيل الله كان له مثل أجره من غير أن ينتقص من أجر الغازي شيئًا) .

وتجهيز الغزاة فيه فرصة كبيرة للرجل : بأن يجهز غيره ..سواء كان هو معذور في عدم الخروج كالأعمى والعاجز ونحوهما فبإمكانه تجهيز غازٍ في سبيل الله ليأخذ أجر غزوه ولاشك أن هذا باب عظيم من أبواب الخير والبر وأفضل ما بذلت فيه الصدقات والزكاة ومثل هذا المجال (أي تجهيز الغزاة) يعد مصرفاً من مصارف الزكاة وداخلاً في قول الله تعالى : (وفي سبيل الله) .

وتجهيز الغزاة فرصة للمرأة : التي لا تستطيع الخروج في سبيل الله فبإمكانها تجهيز الغزاة من مالها ومن حليها وما تملكه لتحصل على هذا الأجر العظيم وقد قامت النساء بدور كبير في صدر الإسلام وفي متفرق العصور كمن قصت ضفائرها ومن أهدت حليها ، ولنتذكر هنا ما فعلته أخت القائد البطل الفذ الشهيد أبوجعفر اليمني رحمه الله الذي قتل في الشيشان فقد جاء في ترجمته بموقع صوت القوقاز :[باعت أخته ذهبها وجهزته بمالها فأين النساء ؟ بل أين الرجال ؟

وكذلك العاجز عن دفعه المال : فإنه يستطيع أن يجهز غازياً بطريق جمع المال لتجهيز الغزاة في سبيل الله وكما قال النبي ﷺ : الدال على الخير كفاعله ....

٦) **خلافة الغازي في أهله بخير :**

وهي مثل سابقتها إلا أنها تتعلق بمسألة خلافة الغازي في أهله بخير ، والقيام بكفالتهم وشؤونهم فتتمة الحديث ما قاله ﷺ : " ومن خلفه في أهله بخير فقد غزى "

ومما ورد في فضل هذا العمل النبيل الجليل قوله ﷺ (أيكم خلف الخارج في أهله وماله بخير كان له مثل نصف أجر الخارج)

الخارج : الغازي أو المجاهد في سبيل الله.

وخلافة الغازي في أهله والحرص عليهم ورعايتهم وتفقد حاجاتهم هو من حقوق الغازي على القاعدين في ديار أهله كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال : (حرمة نساء المجاهدين على القاعدين كحرمة أمهاتهم وما من رجل من القاعدين يخلف رجلا من المجاهدين في أهله فيخونه فيهم إلا وقف له يوم القيامة فقيل له : قد خلفك في أهلك فخذ من حسناته ما شئت ، فيأخذ من عمله ما شاء فما ظنكم) .

فما ظنكم : أي هل تظنونه يبقى لصاحبه شيئًا من الحسنات في ذلك الموقف .. كما قال النووي .

وقد جاء الوعيد على من لم يعز أو يجهز غازياً أو يخلفه في أهله بخير فإذا لم يقم المسلم بأحد هذه الأمور الثلاثة زمن الغزو فإنه يكون مستحق لعقاب الله كما جاء عند أبي داود بإسناد صحيح عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : " من لم يغز أو يجهز غازياً أو يخلف غازياً في أهله بخير أصابه الله بقارعة قبل يوم القيامة "

وروى عبد الرزاق عن سعيد بن عبد العزيز قال : سمعت مكحولا يقول : قال رسول الله ﷺ : "ما من أهل بيت لا يخرج منهم غاز أو يجهزوا غازيا أو يخلفونه في أهله إلا أصابهم الله بقارعة قبل الموت ". وهذا مرسل

قال الشيخ أبوبصير حفظه الله : " فالمؤمن لا يجوز له إلا أن يكون واحداً من ثلاث: إما أن يكون غازياً في سبيل الله ، وإما أن يخلف غازياً في أهله بالخير ، وإما أن يجهز غازياً في سبيل الله .. فإن لم يكن واحداً من هؤلاء فلينتظر قارعة تنزل بساحته . لا يعلم ماهيتها وحجمها إلا الله . قبل يوم القيامة ..! " أ.هـ

قال ابن الأثير : " أصابه الله بقارعة أي بداهية تهلكه ، يقال : قرعه أمر إذا أتاه فجأة ، وجمعها : قوارع " أ.هـ

ومن الوسائل أيضاً :

٧) **كفالة أسر الشهداء:**

كفالة أشر الشهداء والقيام على أراملهم ورعاية أولادهم وأهليهم فيامن تريد خدمة الجهاد والمجاهدين دونك أسر الشهداء فاكفلهم واسع جهدك في كفالتهم

فالنبي ﷺ ذهب إلى بيت جعفر بن أبي طالب (جعفر الطيار) لما بلغه استشهاده في غزوة مؤته وقال لأهله : اصنعوا لآل جعفر طعاماً فإنه قد أتاهم أمر يشغلهم

وقد ذكر ابن كثير قصة النبي ﷺ مع أبناء جعفر حيث ذكر الحديث الذي رواه الإمام أحمد عن أسماء بنت عميس قالت : لما أصيب جعفر وأصحابه دخل علي رسول الله ﷺ وقد دبغت أربعين مناء وعجنت عجينتي وغسلت بني ودهنتهم ونظفتهم فقال رسول الله ﷺ :" إئتيني ببني جعفر " فأتيته بهم فشمهم وذرفت عيناه فقلت : يارسول الله بأبي أنت وأمي ما يبكيك ؟ أبلغك عن جعفر وأصحابه شيء ؟ قال : نعم أصيبوا هذا اليوم قالت فقمت أصيح واجتمع إليّ النساء وخرج رسول الله ﷺ فقال لأهله : " لاتغفلوا عن آل جعفر أن تصنعوا لهم طعاماً فإنهم قد شغلوا بأمر صاحبهم " فليكن لنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة ...

لنقم على أسر الشهداء وأراملهم بالكفالة والرعاية ..

أبناؤه يرعون ويحافظ عليهم من كل سوء وشر ، وزوجته تزوج من الكفء إن شاءت الزواج فإن زوجة جعفر اسماء بنت عميس سالفة الذكر قد تزوجها بعد انتهاء عدتها أبوبكر الصديق رضي الله عنه .

فهذا كله من حق الشهيد علينا ... وهو عمل يسير وأجره عند الله كبير ..

فهذا الشهيد قد ضحى بالنفس والنفيس من أجل خدمة الدين وإعلاء كلمة الله فلا أقل من أن نقوم برعاية أهله وزوجه وبنيه من بعده علّ الله أن يغفر الزلل ويلحقنا بركب الشهداء وقافلتهم ..

٨) **كفالة أسر الجرحى والأسرى:**

ومن الوسائل التي نساهم بها في خدمة الجهاد والمجاهدين كفالة أسر الأسرى والجرحى لأنهم في حكم الغائب وأهاليهم قد يحتاجون للمساعدة فلا ينبغي أن يتركوا بل لابد من كفالتهم والقيام بشأنهم حالهم حال أسرة الغازي والشهيد ..

وبخاصة أسر الأسرى وأهاليهم فلوعتهم بابنهم وعائلهم الأسير أكبر وأكثر ، وحزنهم متجدد بذكره والشوق لمعرفة مصيرة فلا بد من تذكيرهم الصبر والمصابرة وإشعارهم بأننا معهم في مصابهم ، ومن الملاحظ أن بعض زوجات الأسرى قد يعانين من ضغوط المجتمع وقد يغري بها بعض السفهاء ويستهزأ بزوجها ويسخر من حالها ولا شك أن هذا فعل من لا خلاق له ولا أخلاق ، ولكن لا بد من الوقوف مع زوجات الأسرى كفالة ورعاية ومتابعة وعضداً وتصبيراً ومناصرة والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه .

٩) **جمع التبرعات للمجاهدين :**

لاشك أن المال عصب الجهاد ، ومن أعظم النفع للمجاهدين والجهاد أن تنتدب فئة من الأمة أو الأمة كلها لجمع التبرعات وإرسالها لأهل الثغور وفي ذلك من الأثر البالغ مالا يخفى على أحد ، وهذا الأمر هو الذي جعل الكفر العالمي في حيرة من أمره ، حيث جمدوا أرصدة المجاهدين وضيقوا على من يتعاون معهم ولكن المجاهدين مازالوا في طريقهم سائرين : " لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم "

والحركة المجاهدة حين تدعو إلى الإنفاق وتحرض عليه لا يعني ذلك أنها " جمعية خيرية " تقدم صناديق مختومة وتطوف بها على الناس لجمع التبرعات لأنها حركة تعتمد على ذاتها وتنطلق من خلال جهادها ، وهي عندما تقبل صدقات المحسنين إنما هي تقبل منهم قبل ذلك أحاسيسهم وضمائرهم التي تحمل همّ الدعوة وتلبي نداء الجهاد فلا تخضع بذلك لمساومات أو إغراءات تمس عقيدتها وتخدش جهادها ، كما انها تقتدي في ذلك برسول الله صلوات الله وسلامه عليه في تحريضه أصحابه وامته على الإنفاق وتجهيز الغزاة بتلك النفقات المباركات .

ويتجسد لنا هذا النموذج الرائع من التكافل الاجتماعي والتعاون الإيماني في تسابق المؤمنين إلى التجهيز للغزو في الغزوات النبوية لاسيما غزوة تبوك التي بذل فيها المسلمون الأموال والصدقات وشارك في هذا الدعم أشراف الرجال وكرائم النساء .

وما أجمل أن يربي المجاهدون أبناء الإسلام على إحياء روح الوحدة الإسلامية في الشعور بقضايا المسلمين والتعايش مع واقعهم بالبذل والدعم والعطاء كما يربونهم على بذل النفس والتسابق بها في ميادين القتال لإعلاء كلمة الله .

إنها حقاً تربية على أخلاق الخير وخصال البر ، ولن يبخل بعدها مسلم نال من تلك التربية الجهادية الشاملة نصيباً وافراً ، ولن يتردد في إجابة أخيه المجاهد وهو يدعوه عند الحاجة إليه وإلى تأييده ودعمه :

أخا الإسلام إن البر شئ   يسرك في القيامة أن تراهُ

فجُد بالخير واستبق العطايا   فيوم الدين يجزيك الإلهُ

قال الشيخ يوسف العييري رحمه الله : " ويتفرع عن الجهاد بالمال لمن لم يكن له دخل ولا مال ينفقه ، أن يجمع التبرعات من أهل اليسار ومن النساء والأطفال والخاصة والعامة ، ومن لم يستطع أن يجمع المال بإمكانه أن يحرض على الجهاد بالمال ويطلب من المسلمين ألا يشحوا بأموالهم إذا ما طلبت منهم .

وهناك سبل أخرى كثيرة تتفرع عن الجهاد بالمال وقد اتضح المقصود من تلك الأمثلة " .

وبإمكانك أن تجمع المال للمجاهدين من خلال عدة وسائل منها على سبيل المثال لا الحصر :

١. الجمع في المساجد وفي تجمعات الناس العامة .
٢. الجمع عبر " صندوق المناسبات " وهذا يكون الجمع فيه أثناء المناسبات العائلية الخاصة .
٣. الجمع عبر عدة مشاريع تطرحها على من تعرف من الناس عامة وخاصة كالمشاريع الموسمية للمجاهدين مثل : (إفطار الصائم ، تجهيز الغازي ، كسوة الشتاء ، صدقة الصيف ، الأضاحي ..)
٤. الاستقطاع الشهري من مالك أو مال من تعرف بحيث تحاول جمع أكبر عدد تستطيع الاستقطاع منهم شهرياً وتبعث بها للمجاهدين .
٥. حصالة المنزل وهذه توضع في المنزل وتفرغ بين الفترة والأخرى وتعطى للمجاهدين .
٦. حث الأثرياء من الأقارب والمعارف بدفع الزكاة والنفقة العامة للمجاهدين وإن أمكن أن تكون وسيطاً بينه وبين المجاهدين.

المهم أن يكون لديك الحرص التام على جمع التبرعات وإذا كانت هي همك وهاجسك فلسوف تبتكر من الطرق ما حد له ولا نهاية ، ولسوف تجتاز كل العوائق والعقبات التي يضعها أنصار الصليب وأعداء المجاهدين من بني جلدتنا أو من الصليبيين أنفسهم .

لا أبالي ولو أقيمت بدربي   وطريقي حواجز وسدود

ثم لنعلم العلم اليقين أن هذا الأمر واجب وحق لإخوانك عليك ولا فضل لك بذلك بل الفضل والمنة من الله تعالى الذي هداك وسخرك لخدمة أهل الثغور فكم حرم منها أناس كثير وخص بها أناس قليل فاللهم اجعلنا من الأقلين ..

ولنتذكر قول الله تعالى : " هاأنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه والله الغني وأنتم الفقراء إلى الله وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم "

ولنجعل نصب أعيننا قول الحبيب مُحَمَّد ﷺ : " الدال على الخير كفاعله "

وحديث : " اللهم أعط منفقاً خلفاً ، اللهم أعط ممسكاً تلفاً "

<u>١٠) دفع الزكاة لهم :</u>

الزكاة حق من حقوق الله في المال ومن أحوج الناس لها اليوم هم المجاهدون لأنهم أولى الناس بها حيث يصدق فيهم أنهم : في سبيل الله ، وفقراء ، وابن سبيل ونحو ذلك

قال الشيخ عبدالله عزام رحمه الله تعالى :" ولذا يحرم على الناس الإدخار في حالة الحاجة للمال ، بل لقد سئل ابن تيمية سؤالا: (ولو ضاق المال عن إطعام جياع والجهاد الذي تضرر بتركه فقال: قدمنا الجهاد وإن مات الجياع ، كما في مسألة التترس وأولى ، فإن هناك (التترس) نقتلهم بفعلنا وهنا يموتون بفعل الله)

قال القرطبي: (إتفق العلماء على أنه إذا نزلت بالمسلمين حاجة بعد أداء الزكاة فإنه يجب صرف المال إليها) وقال مالك: (يجب على الناس فداء أسراهم وإن استغرق ذلك أموالهم. وهذا إجماع أيضا).

الطريق لرفع راية التوحيد

قال الشيخ عبدالله عزام رحمه الله : " والحفاظ على الدين مقدم على الحفاظ على النفوس ، والحفاظ على النفوس أولى من الحفاظ على المال ، فأموال الأغنياء ليست أغلى ولا أثمن من دماء المجاهدين. فلينتبه الأغنياء إلى حكم الله في أموالهم ، حيث الجهاد في أشد الحاجة ، ودين المسلمين وديارهم معرضة للزوال ، والأغنياء غارقون في شهواتهم ولو صام الأغنياء يوما واحدا عن شهواتهم ، وأمسكوا أيديهم عن إتلاف الأموال في كمالياتهم وحولوها إلى المجاهدين -الذين يموتون بردا وتتقطع أقدامهم من الثلج ولا يجدون قوت يومهم ولا ذخيرة يدفعون بها عن أنفسهم ويحقنون بها دماءهم ،. أقول: لو دفع الأغنياء مصروف يوم واحد للمجاهدين الأفغان لأحدثت أموالهم بإذن الله تغييرا كبيرا في الجهاد نحو النصر."

فيجب دفع الزكاة للمجاهدين فهي حق الله تعالى في المال ، وقد أفتى الشيخ مُحَمَّد بن عثيمين رحمه الله والشيخ عبدالله الجبرين حفظه الله : "بجواز تعجيل الزكاة لحول أو حولين إذا كان في ذلك منفعة وحاجة لدى المجاهدين أو المنكوبين من المسلمين في أراضي الجهاد "

ولا أشك في أن الزكاة لو دفع ربعها على الجهاد والمجاهدين لرأينا الأثر العظيم البالغ ولسوف تكفي المجاهدين في كل أصقاع الأرض ، والبعض من الناس إذا تحدثت معه عن الرافضة وعن جهودهم وبذلهم أموالهم لمذهبهم رد عليك بردين :

الأول : أن ورائهم دولة تدعمهم . الثاني : أن لديهم الخمس الذي يصرف لأئمتهم .

وأنا أقول لك حنانيك فإننا لا ننتظر دولة لأهل السنة تتبنى جهادها ، ولا خمساً يجتزأ من مال الناس بل إننا لا نطالب إلا بربع الزكاة فقط ، ولسوف يحصل بها من النكاية والخير مالا يخطر على بال .

وسل نفسك : كم من الأموال صرفت من الزكوات لأجل بناء مراكز إسلامية في بلاد متعددة من العالم في حين كانت دولة الإسلام الفتية (طالبان) بحاجةٍ للمسلمين ولكن لا مجيب ، حتى أن أمير المؤمنين الملا عمر لما حصل الإنحياز للأخوة المجاهدين في قروزني سأل أمير المؤمنين خازن بيت المال كم لديه ؟ فقال ثلاثمائة ألف دولار فقال له أعط ثلثها للمجاهدين في الشيشان !!

انظر دولة كاملة مسلمة ميزانيتها ٣٠٠ ألف دولار فقط وزكوات المسلمين مبعثرة ومهدرة في غير وجهها .

بل لما بدأت الحرب الصليبية الأخيرة على أفغانستان كان في خزانة الدولة الإسلامية ٧٠ ألف دولار فقط !!

فيالله العجب من أهل السنة حتى زكواتهم التي سيخرجونها من أموالهم فإنهم لايضعونها الموضع الصحيح والله المستعان وعليه التكلان .

<u>١١) المساهمة في علاج الجرحى:</u>

وذلك يكون بالمساهمة في شراء الأدوية والعلاجات لهم أو دفع تكاليف علاجهم أو القيام بأجرة الطبيب ولا شك أن الجرحى يشكلون عبئاً كبيراً على المجاهدين فمتى ما كفوا مؤونة علاجهم فإن هذا خدمة لهم أي خدمة وهذا متأكد على أصناف من الناس منهم :

- الأطباء والصيدليين الذين لهم خبرة ودراية بعلاج الجرحى .
- الذين يسكنون في مناطق مجاورة للبلاد التي فيها الغزو فهؤلاء يستطيعون مالا يستطيع غيرهم حيث بإمكانهم علاجه لديهم وفي ديارهم .
- الذين يأتي إليهم الجريح كأن يرحل إلى بلاده فلابد من أهل بلدته القيام بأمره ودفع تكاليف علاجه .

وكذلك هو عام لمن يستطيع النفقة على المجاهدين حيث يصرف منها على الجرحى والمصابين .

<u>١٢) الثناء على المجاهدين وذكر مآثرهم ودعوة الناس لتقفي آثارهم :</u>

ومن الوسائل أيضاً الثناء على المجاهدين ورفع الرأس بهم والفخر بأعمالهم وذكر مآثرهم وما حصل لهم من كرامات وانتصارات على أعداء الملة والدين فبذلك تحيا القلوب وتتوق للعزة والمجد الماضي ، فما سطره المجاهدون اليوم وقبل اليوم بدمائهم الزكية وبأشلائهم الطاهرة ونفوسهم الطيبة النقية يكل القلم عن كتابته :

في كل يوم للجنان قوافل ١

٢ماذا أقول بوصف ما قاموا به

شهداء راضٍ عنهم العلام١

٢عجز البيان وجفت الأقلام

وفي ذكر مآثرهم دعوة للناس بأن يقتفوا آثارهم التي ساروا فيها على نهج النبي مُحَمَّد ﷺ وما أجمل أن تجعل الأمة قدواتها من المجاهدين الذين بذلوا النفوس لأجل رفعة راية الدين بدلاً ممن في غيه سادر أو في لذات الدنيا غافل وسائر ..

ولتعلم الأمة أن تأريخ الجهاد والمجاهدين والشهداء ليس مبتوراً بل هو سلسة من تأريخ هذه الأمة العريق سار عليه مُحَمَّد ﷺ وصحابته الكرام ومن تبعهم بإحسان إلى يومنا هذا ...

والذي يركب في قافلة المجاهدين ليس غريباً عن الإسلام الحق الذي أتى به مُحَمَّد ﷺ بل هو سائر على نهجه ومن يقول اليوم لماذا العلماء في هذا الزمان لم يخرجوا للجهاد ولم يغزو في سبيل الله فإننا نقول أن القدوة هو مُحَمَّد ﷺ لا من رغب بالحياة الدنيا وانشغل بها بأي اسم ودعوى ..

قالوا : فهل لك قدوة تمشي على آثارها من عالم أو قـاري

قلت : النبي مُحَمَّد وصحابـه بجهادهم سادوا على الأمصـار
أنا قدوتي ابن الوليد ومصعـب وابن الزبير وسائر الأنصـار
قالوا : فدربك بالمكاره موحشٌ فعلام تبغي العيش في الأخطار
قلت : المكاره وصف درب جناننا أما النعيم فوصف درب النـار

فلا بد من دعوة الناس وتربية الأمة على أن تتخذ من المجاهدين قدوات في الحياة ، حتى تعاد للأمة الأمجاد فلن يصلح آخر هذه الأمة إلا بماصلح به أولها ..

١٣) تشجيع المجاهدين وحثهم على الإستمرار:

لاشك أن كثرة المخذلين والمبطلين يؤثرون على معنويات المجاهدين إلا أنهم بإذن الله لا يتوقفون عن المسير حيث هم كما وصف النبي ﷺ : " لايضرهم من خالفهم ولا من خذلهم " إلا أنه ينبغي تشجيع المجاهدين وشد أزرهم والوقوف معهم ومساندهم وأن نظهر لهم أننا معهم وضد عدوهم أياً كان ..

وكذلك حثهم على مواصلة الجهاد وتصبيرهم عليه وتسليتهم فيما يصيبهم من عناء وكدر ، فهذا من أعظم الدعم المعنوي الذي نقدمه للمجاهدين ونبذله لهم علّ الله أن يرحمنا بذلك .

وفي هذه الأيام تشتد حاجة المجاهدين إلى من يشد أزرهم ويقوي عزائمهم حيث كثر المرجفون والملبسون الحق بالباطل ولاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم وصدق رسول الله ﷺ حينما قال : " سيأتي من بعدكم أيام صبر للعامل فيهن أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ لِأَنَّكُمْ تَجِدُونَ عَلَى الْخَيْرِ أَعْوَانًا وَلَا يَجِدُونَ عَلَى الْخَيْرِ أَعْوَانًا "

فلنكن عوناً للمجاهدين ومؤازين لهم :

لا خيل عندك تهديها ولا مال فليسعف النطق إن لم يسعف الحال

١٤) الذب عن المجاهدين والدفاع عنهم :

رواه الترمذي عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ:" من ذبّ عن عرض أخيه ردًّ الله النار عن وجهه يوم القيامة " وهذا من حقوق المجاهدين على سائر الأمة :

أقلوا عليهم لا أباً لأبيكم من اللوم أو سدوا المكان الذي سدوا

ولنحذر أشد الحذر من الطعن في أعراض المجاهدين .. وتناول ونشر ما يسوؤهم .. والبحث والتفتيش عن أخطائهم وعثراتهم .. وتتبع عوراتهم .. والتهكم والسخرية عليهم .. بل إن الواجب في هذه المرحلة وهذا الوقت .. الوقوف معهم .. والذب عن أعراضهم .. وإقالة عثراتهم .. ومعاداة من يريد بهم سوء أو ينشر عنهم ما يسوؤهم .. وهنا أهيب بإخواني أن يقاطعوا جريدة الشرق الأوسط وكل توابعها .. ومن كان على شاكلتها .. فهي تجتهد وفق مخطط التحالف الصليبي اليهودي .. في بث الفرقة بين الأمة والمجاهدين .. والإرجاف في صفوفهم .. ونشر الأكاذيب عنهم .. والترويج لعثرات المجاهدين .. وتعمل على إحباط وقتل الروح المعنوية للأمة .. فهي جريدة خبيثة المولد والمنهج .. وأعتقد أنه لا يجوز العمل فيها .. أو بأي دار نشر تحارب الله ورسوله وعباده المؤمنين .. ولنعلم أن دورنا مع إخواننا المجاهدين هو قول الله تعالى [وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ {١٠}] الحشر ..

قال الشيخ يوسف العييري رحمه الله ك " ويتفرع عن الجهاد باللسان تجلية حقيقة هذه الحرب الصليبية والهجمة التي تشن على الإسلام وفضحها ، والذب عن المجاهدين والدفع عن أعراضهم ، وذلك يكون بين خاصة الرجل وأهله ، وبين عامة الناس في منتدياتهم وفي مساجدهم و أعمالهم و مدارسهم ، فكل مسلم واجب عليه أن يجاهد بلسانه على قدر طاقته ، والجهاد باللسان لا يشترط له شرط بل كل كلمة علمها المكلف ويرى أن فيها فضحاً للصليبيين أو ذباً عن المجاهدين وجب عليه القول بها وبيانها للناس والله أعلم " .

وقال رحمه الله : "وأما من رضي بالسكوت فقط فإن الله تعالى يقول له ولأمثاله:}وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم{وقد توعد الله سبحانه وتعالى الساكت في مثل هذه الأيام بما جاء عند أبي داود وأحمد واللفظ له عن جابر بن عبد الله وأبي طلحة بن سهل الأنصاريين رضي الله عنهما قالا قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: (ما من امرئ يخذل امرءاً مسلما عند موطن تنتهك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه إلا خذله الله عز وجل في موطن يحب فيه نصرته ، وما من امرئ ينصر امرءاً مسلما في موطن ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته) "

ونحن اليوم في زمن كثر فيه من ينال من المجاهدين وينتقصهم ويعيبهم إما من المنافقين أو من المرتدين أو ممن ينسبون للعلم الشرعي والعلم منهم براء يقول الشيخ على الخضير فك الله أسره :

"نادت مجموعة أو فئة من نشاز الناس .. بمفهوم غريب ومصطلح مريب اسمه "تقزيم الجهاد".. و تهميشه وتهوينه .. أو تأخيره وتأجيله .. وأخيرا تعطيله !! مخفين ذلك من وراء .. لافتات براقة وعناوين أخّاذة ..

كعند الأمة ما يكفيها من الجراح .. أو الأمة غير مهيئة للجهاد .. أو القوة غير متكافئة .. أو الأمة لم تتربى بعد .. أو من ذهب إلى الجهاد ترك أيتام وأرامل ..ناهيك عن الإرجاف والتثبيط .. بل السخرية والاستهزاء ..

فأهل الجهاد عندهم .. أصحاب غلو وتطرف وقلة علم .. أو أهل انتقائية ومزاجية.. سائرين في ذلك على طريقة .. ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا ولا أكذب ألسنة ولا أجبن عند اللقاء ..ولا عجب في ذلك ولا غرو فهم ورثة } فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ { .. وخليفة {الَّذِينَ قَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا } .. وأصحاب } فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا{ ..

وهذه الفئة توسم وتوصم ببعد النظر وسعة الأفق وفهم الواقع ومرونة الرأي ، والعمليات الاستشهادية عندهم انتحارية ومحرمة في شريعة الإسلام السمحة .. أو تسبب تصفية البؤر الجهادية في العالم .. وقد تمتد التصفية إلى كثير من الأعمال الإسلامية والدعوية والإغاثية .. وأقل أحوالها عندهم أنها مجازفة وتهور !!

تعرفهم بلحن القول ، وبإيحاء بعضهم إلى بعض بزخرف قولهم غرورا ..أماكنهم ومنتدياتهم .. أحادياتهم وأثنينياتهم .. أو الفضائيات والإذاعات .. والصحف والمجلات .. أماكن الكفر والإلحاد .. والإباحية والتهتك

أما جهادهم فمفهومه : جهاد الكلمة ... والمجلة .. والشبكة العالمية ... وحوار الطغاة ! واحتواء أهل البدع ..

وتمييع الفقه من أجل كسب الناس !ومن أصولهم تمييع الولاء والبراء .. وفتح باب الاجتهاد على مصراعيه .. والترخص في الفتاوى .. مقدمين في ذلك كله المتشابه على المحكم .. والشك على اليقين .. والعام على الخاص .. والمطلق على المقيد .. والموهوم على المعلوم .. والمصلحة على الدليل .. باختصار هم أولئك الذين سمى الله فاحذروهم .." أ.هـ

ومما ينبغي أن يعلم هنا أن الجهاد والمجاهدين اليوم حرمتهم أعظم من حرمة بعض العلماء الذين لا يألون جهداً في صرف الناس عن الجهاد بل وربما النيل من المجاهدين وينبغي أن يعلم هنا أمرين :

الأول : أن الجهاد والدفاع عنه وعن المجاهدين مصلحة عظمى تقدم على مصلحة العالم الذي نال من المجاهدين بأي شكل وبأي دعوى كانت وأن الرد عليه ولو كان ينقص من قدره واجب ولازم فهو الذي بلسانه استوجب الذم .

الثاني : أنه وردت الأحاديث أنه سيأتي زمان يعيب العلماء والقراء الجهاد كما جاء ذلك عند النسائي في سننه عن سلمة بن نفيل الكندي قال كنت جالسا عند رسول الله فقال رجل يا رسول الله أذال الناس الخيل ووضعوا السلاح وقالوا لا جهاد قد وضعت الحرب أوزارها فأقبل رسول الله بوجهه وقال (كذبوا الآن الآن جاء القتال ولا يزال من أمتي أمة يقاتلون على الحق ويزيغ الله لهم قلوب أقوام ويرزقهم منهم حتى تقوم الساعة وحتى يأتي وعد الله والخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة وهو يوحى إلي أني مقبوض غير ملبث وأنتم تتبعوني أفنادا يضرب بعضكم رقاب بعض وعقر دار المؤمنين الشام) وروى ابن عساكر أيضاً عن زيد بن أسلم عن أبيه أن الرسول قال (لا يزال الجهاد حلواً خضراً ما قطر القطر من السماء وسيأتي على الناس زمان يقول فيه قراء منهم : ليس هذا بزمان جهاد فمن أدرك ذلك الزمان فنعم زمان الجهاد ، قالوا يارسول الله أو أحد يقول ذلك ؟ قال : نعم من لعنه الله والملائكة والناس أجمعون)

١٥) فضح المنافقين والمخذلين:

وهذا الواجب قد يلحق مع الذب عن المجاهدين فيمن ينال فيهم وفي منهجهم لكن يقال هنا أن القرآن الكريم عني بفضح المنافقين الذين يخذلون عن الجهاد ويحاولون وضع العوائق والعراقيل في طريق المجاهدين ألا إنهم هم العدو الأكبر ، وفي زماننا اليوم من أحفاد عبدالله بن أبي ابن أبي سلول الكثير ، ومقولاتهم شبيهة بأقوال إمام النفاق ابن سلول فلا بد من فضحهم وبيان عوارهم أسوة بالقرآن الكريم .

ومن أقبح ما وقع فيه اليوم هؤلاء المنافقين وأشباههم أن جعلوا المجاهدين في سبيل الله (خوارج) وأنه يصدق فيهم الأحاديث التي جاءت عن النبي ﷺ وما علموا أنهم إلى الخوارج أقرب حيث أئمة النفاق هؤلاء وأشباههم من المخذلة "يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم " ، وفيهم من الولاء للمرتدين وعباد الصليب والأوثان ما ليس للمجاهدين وأهل الإسلام ...

فسبحانك ربي هذا بهتان عظيم ..

وما أحوجنا اليوم إلى قرآءة سورة التوبة لتفضح لنا المنافقين في عصرنا بلا مجاملة ولا تردد..

ولم يزل لهذا الدين - بحمد الله — علماء صادقون يقولون الحق ولو كان لقوله مرارة وحرجاً يذبون عن الدين ويدافعون عن سنة سيد المرسلين ومن أبرزهم في هذا الزمان الشيخ علي الخضير والشيخ ناصر الفهد فك الله أسرهما وكذلك الشيخ يوسف العييري رحمه الله تعالى ، وكان هؤلاء وغيرهم بحق ؛ صخرة قوية تتكسر أمامها معاول المخذلين وتتهاوى أقاويل المرجفين ، ومازالت هناك بقيّة من أهل العلم والفضل يبينون للناس ماالتبس عليهم من أمر دينهم وما يكيد به أعداء الملة والدين ، أو ممن يخدمهم من المخذلين بسوء نية أو بحسنها .

قال الرسول: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين»

فمن وسائل خدمة الجهاد والمجاهدين فضح هؤلاء المنافقين وبيان عوراهم في المجالس الخاصة والعامة وعدم التردد في ذلك لأنهم طليعة الإستعمار ومبرروا التغريب ، ينهون الأمة عن حمل السلاح ويعيبونها إذا توجهت للكفاح ويدعون عموم الناس إلى التعايش والإنبطاح ، رضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها وزين لهم الشيطان أعمالهم ولاحول ولا قوة إلا بالله .

ومن أهم الوسائل في ذلك الحرص على نشر كتب من أشرنا إليه آنفاً لأن فيها البيان الشافي والكافي

١٦) دعوة الناس للجهاد وتحريضهم عليه :

وهذا من الوسائل المهمة فالعاجز عن الجهاد ، عليه أن يُحَرِّض غيره لقوله تعالى: فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين ولقوله تعالى: يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال ( )، وهذا واجب على القادر والعاجز وعلى كل مسلم أن يحرض إخوانه على قتال المشركين ، ونحن في زماننا هذا أحوج ما نكون للعمل بهذه الآيات وفي هذا أجر عظيم ، فقد قال رسول الله : «من دَلَّ على خير فله مثل أجر فاعله»( ).

١٧) النصح للمسلمين وللمجاهدين:

وله صور لا تعد ولا تحصى ، فمنها نقل أخبار المشركين ومخططاتهم إلى المسلمين ليحذروها ، ومن ذلك قوله تعالى: وجاء رجل من أقصا المدينة يسعى قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين( ) ، ففي هذه الآية تحذير المؤمنين مما يدبره لهم الكافرون من المكر والكيد ، ومن النصح للمجاهد أن تعينه على التخفي من عدوه ، وتساعده في ذلك ما استطعت إذا احتاج إلى ذلك ، ومنها تزويد المسلمين بكل ما يعينهم على قتال عدوهم من معلومات وخبرات ، مع كتمان أسرار المسلمين.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في سياق كلامه عن جهاد المرتدين: "ويجب على كل مسلم أن يقوم في ذلك بحسب ما يقدر عليه من الواجب فلا يحل لأحد أن يكتم ما يعرفه من أخبارهم ، بل يفشيها ويظهرها ليعرف المسلمون حقيقة حالهم ، ولا يحل لأحد أن يعاونهم على بقائهم في الجند والمستخدمين ، ولا يحل لأحد السكوت عن القيام عليهم بما أمر الله به رسوله. ولا يحل لأحد أن ينهى عن القيام بما أمر الله به رسوله ، فإن هذا من أعظم أبواب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله تعالى ، وقد قال الله لنبيه:يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وهؤلاء لا يخرجون عن الكفار والمنافقين."( ).

١٨) التكتم على المجاهدين وإخفاء أسرارهم التي يستفيد منها العدو:

فيجب ستر عورات المجاهدين ، والتكتم على أسرارهم ، حتى لا يستفيد من معرفتها العدو من كفار ومنافقين ، وينبغي أن يكون هم المجاهدين والحفاظ عليهم ، والسعي لحمايتهم وعدم الإضرار بهم ينبغي أن يكون همّاً ملازماً لنا تحقيقاً لمعنى الإخوة ، وبرهنةً لدعوى محبة الجهاد والمجاهدين .

قال أهل العلم : "يحرم تحريماً قاطعاً خذلان هؤلاء المجاهدين ؟ أو الوقوف ضدهم ؟ أو تشويه سمعتهم ؟ أو الإعانة عليهم ، أو التبليغ عنهم ؟ أو نشر صورهم ؟ أو تتبعهم ؟ وأن فعل ذلك هو في حقيقته إعانة للأمريكان ؟ الذين يبذلون وسعهم للقبض عليهم ؟ وتحقيق لأهدافهم التي عجزوا عنها ؟ فاحذر أخي المسلم أن تكون عوناً للصليبيين ضد المجاهدين ؟ وكل من فعل شيئاً من ذلك فقد بغى وظلم ؟ وأعان على الإثم والعدوان ؟ وقد قال تعالى {وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ } (المائدة: من الآية٢) ؟ وقال ﷺ " أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً " متفق عليه من حديث جابر .

وقد ثبت في الصحيح أن همام بن الحارث رحمه الله قال : كان رجل ينقل الحديث إلى الأمير ، فكنا جلوسا في المسجد ، فقال القوم : هذا ممن ينقل الحديث إلى الأمير ، قال فجاء حتى جلس إلينا ، فقال حذيفة رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول : "لا يدخل الجنة قتات" . والقتات : النمام ."

١٩) الدعاء لهم.

ومن وسائل النصرة والمشاركة في خدمة المجاهدين الدعاء لهم بظهر الغيب بأن ينصرهم الله على عدوهم وأن يثبت أقدامهم وأن يخذل عدوهم ، والدعاء لأسراهم بالفكاك .. ، والدعاء لجرحاهم بالشفاء والعافية ، والدعاء لشهدائهم بالقبول والمغفرة ، والدعاء لقادتهم بالحفظ والصيانة ، والدعاء لأبنائهم وذراريهم بالرعاية والسلامة ، والدعاء بجمع الكلمة على الحق ...

وليتحر الإنسان أوقات الإجابة وهنا ننبه إلى مسائل مهمة في قضية الدعاء للمجاهدين :

- أن تدعو لهم بقلب مخبت ولا تكتفي بالدعاء لهم من طرف اللسان فإن الله لا يستجيب الدعاء من قلب عبد ٍساهٍ لاهٍ ..
- تحري أوقات الإجابة وتذكير الناس بها ومن وسائل التذكير رسائل الجوال ، وتذكير أهل البيت .
- أن يدعو الإنسان لكل ما يجد ويحث من الحوادث حتى لا يتعود على نمط واحد من الأدعية وحتى لا ييأس من عدم الإجابة ، وهنا ننبه أن يلزم الإنسان أن يدعو وهو موقن بالإجابة ولا يستعجل في الإجابة ويقول دعوت فلم يستجب لي .

٢٠) قنوت النوازل:

ولأهمية هذا الأمر وكونه سنة من سنن المصطفى ﷺ ، ووجود من يريد طمس هذه السنة أفرد موضوع القنوت لوحده وإلا فإنه تابع لما سبق وداخل في الدعاء للمجاهدين .

وفي هذه الأيام يحاول البعض التهميش من هذه السنة بأحد أسلوبين :

الأول : أن يقول أن هذا الأمر يحتاج فيه إلى إذن ولي الأمر (الإمام) وبذلك يصبح القنوت شبه مستحيلاً إلا اللهم إذا كان هناك مصالح سياسية فيقنت على العدو الروسي مثلاً ، ولا يدعى على الأمريكي ..!!

ومن هو الإمام اليوم الذي يرتجى وينتظر منه الإذن أهو الذي مدّ الصليبيين بالعون والمساعدة ؟ أم الذي هنأ الرئيس الروسي بفوزه بالإنتخابات في وقت يقوم فيه بمجزرة شنيعة للمسلمين في قروزني وضواحيها .

يقول الشيخ حمود العقلاء رحمه الله : " نحن اليوم نعرف اختلاف أهواء الحكام وماهي توجهاتهم فربط القنوت للنوازل بهم يجعل قضايا المسلمين خاضعة للسياسة و مصالح الحكام ، وأنت ترى في الواقع اليوم تخاذل كثير من الحكام وعدم نصرتهم للمسلمين في نوازلهم بل انهم يخجلون من دعم قضايا الجهاد والمجاهدين ، فكيف ينتظر منهم أن يأذنوا بالقنوت لهم إلا أن يوافق مصالحهم وأهواءهم ."

ثم إن هذا الشرط (أي إذن الإمام)غير معتبر ولا دليل عيه كما في فتوى الشيخ حمود العقلاء رحمه الله تعالى .

الثاني : أنه إذا قلنا بالقنوت لكل نازلة لم ننفك عن القنوت إلا وتأتي نازلة أخرى تحتاج إلى قنوت فربما استمر بنا القنوت بدون توقف ، وهؤلاء يرد عليهم بأنه مشروع لنا القنوت عند النازلة سواء توالت النوازل أم توقفت فهذه هي السنة عن نبينا مُحَّد ﷺ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " فَالْقُنُوتُ مِنْ السُّنَنِ الْعَوَارِضِ لَا الرَّوَاتِبِ ؛ لِأَنَّهُ ثَبَتَ أَنَّهُ تَرَكَهُ لَمَّا زَالَ الْعَارِضُ ثُمَّ عَادَ إلَيْهِ مَرَّةً أُخْرَى ثُمَّ تَرَكَهُ لَمَّا زَالَ الْعَارِضُ .."

وفيما يلي مقطع من رسالة الشيخ حمود العقلاء في قنوت النوازل :

" وقد نقل ابن القيم في كتاب الصلاة في فصل في صفة القنوت : قال إسحاق الحربي : سمعت أبا ثور يقول لأبي عبد الله احمد بن حنبل : ما تقول في القنوت في الفجر ، فقال أبو عبد الله : إنما القنوت في النوازل ، فقال له أبو ثور : أي نوازل اكثر من هذه النوازل التي نحن فيها ؟ قال : فإذا كان كذلك فالقنوت .

ونحن نقول اليوم : ما أكثر نوازل المسلمين فكيف يضّيق أمر القنوت لهم ويحجّم أو يُسيَّس والله تعالى يقول : (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) وقال تعالى (والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض) .

علما بأن القنوت له مقاصد عظيمة كثيرة يختلف عن مجرد الدعاء لهم في السجود أو الخطب أو غيرها ، حيث إن من أهدافه ومقاصده المشاركة المعنوية وحفز الهمم والاهتمام بالمسلمين وإظهار التعاطف والتعاون ، ويتقوى بذلك المجاهدون وهذا مشاهد وملموس وسمعناه كثيرا من المجاهدين أنهم يفرحون بدعاء إخوانهم المسلمين إذا كان علنا في القنوت بل إنهم دائما يطالبون بذلك ، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في فتح الباري في فصل القنوت : (وظهر لي أن الحكمة في جعل قنوت النازلة في الاعتدال دون السجود مع أن السجود مظنة الإجابة أن المطلوب من قنوت النازلة أن يشارك المأمومُ الإمام في الدعاء ولو بالتأمين ومن ثم اتفقوا على أن يجهرَ به) والقنوت نوع استنصار ونصرة وقد صح عن علي بن أبي طالب لما قنت في حروبه قال : إنما استنصرنا على عدونا . رواه ابن أبي شيبه ١٠٣/٢ رقم ٦٩٨١ .

بل إن هناك من أهل العلم من قال بوجوب قنوت النوازل وقال إنه فعل الأئمة ، فقد ذكر ابن عبد البر في الاستذكار ٢٠٢/٦ بسنده عن يحي بن سعيد انه كان يقول : يجب الدعاء إذا توغلت الجيوش في بلاد العدو (يعني القنوت) قال : وكذلك كانت الأئمة تفعل ."أ.هـ

٢١) متابعة أخبار الجهاد ونشرها:

ولا شك أن المتابعة لأخبار المجاهدين إذا كانت من محب للجهاد وحريص عليه أن الإنسان مأجور عليها فإنه يفرح حينئذٍ لفرحهم ويحزن لحزنهم ، أما من يكتفي بالمتابعة لوحدها فإن كان خيراً قال إنا معكم وإن كان غير ذلك قال قد أنعم الله عليّ إذ لم أكن معهم شهيداً فهذا كما قال الشيخ أبوعمر مُحَّد السيف حفظه الله : (وأن ترك النصرة والإعراض عن المشاركة في الجهاد والاكتفاء بمتابعة أخبار المجاهدين عن بعد عبر وسائل الإعلام المختلفة المسموعة والمرئية والمقروءة إنما هو من صفات المنافقين الذين قال الله تعالى عنهم (وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون في الأعراب يسألون عن أنباءكم) أي بدلاً من مواجهة أحزاب الكفار الذين قصدوا المسلمين في المدينة فإن المنافقين يودوا لو أنهم ابتعدوا عن مكان المواجهة وأقاموا في البادية مع الأعراب يسألون عن أنباء المجاهدين وعن أخبار المعركة عن بعد فلا سبيل للأمة لكي تتصدى لهذه الحملة الصليبية إلا بالعودة الصادقة إلى دينها والوفاء بالبيعة التي عقدها الله مع عباده المؤمنين حيث قال تبارك وتعالى (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم) أ.هـ

ولذلك ينبغي نشر أخبار المجاهدين وإشاعتها بين المسلمين لما في ذلك من فوائد عديدة منها :

- لتشعر الأمة بمعنى الجسد الواحد الذي إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر

- ليكسر طوق الحصار الإعلامي على الأمة حيث سيطر الأعداء على أغلب وسائل الإعلام فلا ينشرون إلا ما يريدون ، والسعي في نشر أخبار المجاهدين يكون قاعدة إعلامية شعبية للمجاهدين .
- ليعمَّ الفأل الأمة وتعلم الأمة أن طريق العزة والكرامة هو الجهاد والإستشهاد .

ومن وسائل نشرها مايلي :

- عبر المنتديات وساحات الحوار في الأنترنت .
- تكوين مجموعات بريدية تضم عدداً كبيراً من العناوين البريدية ويتم الإرسال لهم ما يجد من أخبار المجاهدين .
- طباعتها من مواقع الأنترنت وتصويرها ومن ثم توزيعها على الأقارب والمعارف .
- استغلال مجامع الناس بتوزيع أو قراءة أخبار المجاهدين .
- وضعها في المساجد والأماكن العامة كالمدارس والصرافات الإلكترونية .
- رسائل الجوال المختصرة وإحتساب الأجر فيها من الله ، ويمكن الإستفادة من المواقع التي تعطي رسائل جوال مجانية .
- طباعتها وتوزيعها على العلماء وطلبة العلم والخطباء وأئمة المساجد ليكون لها تأثيراً إيجابياً عليهم .

ولا تكن التشديدات الأمنية والتحذيرات من قبل بعض أعداء الجهاد عائقاً وحاجزاً عن نشر أخبار المجاهدين بل إستعن بالله ولا تعجز ولا تراقب إلا الله ، واحذر من حيلة إبليسية وهي أن تقول توزيع الأخبار أمر جزئي وليس من المصلحة المخاطرة من أجله فالأمر أولاً يسير فليس ثمة مخاطرة ، ثم أنت تقوم بواجب الإعلام للجهاد والمجاهدين فانظر نظراً ثاقباً ولا تسطح المسألة فانشر الأخبار ولو لحقك شيء من أذى فاحتسب الأجر من الله تعالى وقم بحق إخوانك عليك .

٢٢) المشاركة في نشر ما يصدر عنهم من كتب ومطويات :

وهذه تابعة لما سبقها من نشر الأخبار وتوزيعها بين المسلمين ، فينبغي عليك أن تفكر في نشر كل ما يتعلق بالجهاد ويحرض عليه ويدعو لنصرة أهله وأن تبتكر الطرق والوسائل لذلك ، فمثلاً جمع المواقف البطولية ومواقف التضحية وجعلها في ملف وتصويره وتوزيعه بين الناس وإنزاله في الأنترنت ، وكجمع رسائل أسرى غونتنامو وانتقاء أفضلها ونشرها بين الناس ليزيد التعاطف معهم وهكذا يحاول كل واحد منا أن يجهز أي شيء إعلامي عن المجاهدين وما يتعلق بهم وأذكر هنا موقف إحدى الأخوات الفاضلات حيث قامت بجمع آخر أخبار الشيشان وجمعت آخر مقابلة مع شامل باسييف وخطاب وجمعت بعض القصائد وبعض القصص والمقالات ثم وضعتها في ملف يوزع بين الناس ولكن شرط الإطلاع عليه أو قراءته أن يدفع المتصفح ٣ريالات وفعلاً نجح مشروعها وجمع به خيرٌ كثيرٌ وعمل غيرها بمثل ما عملت فلها من الأجر مثلهم ...

وإذا عجزت عن إخراج شيء فعليك بنشر أي شيء يتعلق بالمجاهدين من منشور أو مطبوع أو نحوه خدمة للجهاد ومشاركة للمجاهدين .

٢٣) إصدار الفتاوى لمناصرتهم :

وهذا واجب في حق العلماء حيث يجب عليهم إرشاد الأمة إلى الوقوف مع المجاهدين ونصرتهم بالنفس والمال والدعاء ونحوه ، وواجب على طلاب العلم والوعاظ إرشاد العامة إلى هذا الواجب العظيم ، كما يجب على المقربين من أهل العلم من طلاب وأقارب أن يحثوا الشيخ ويقووا عزيمته بأن يصدر ما يقف به مع إخوانه المجاهدين من دعوة الناس لنصرتهم والوقوف معهم ومتى ما فعل العالم ذلك رأيت أثره بالغاً وعجيباً فهذا شيخ المجاهدين في زمانه الشيخ حمود العقلا رحمه الله ما تحل نازلة بالمسلمين أو حاجة بالمجاهدين إلا وترى له فيها موقف سديد ورأي رشيد بلا تردد و لا خوف من أحد من العبيد ، بل إنه من اللطائف في ذلك أنه قال مرّة لدي مدفع قديم في المزرعة فإذا كان المجاهدون سيستفيدون منه فسأرسله لهم ...

رحمه الله رحمة واسعه ولا غرو في ذلك فقد كان الشيخ يصدر الفتاوى بنفس محترقة على الإسلام والمسلمين وكما قيل : " ليست النائحة الثكلى كالمستأجرة " وورد في ترجمة الشيخ رحمه الله :

"كان الشيخ رحمه الله يعيش أمس المسلمين و حاضرهم ومستقبلهم ، فكان يتتبع الأخبار ويجلس الأوقات الطويلة لذلك ، ومن حرصه أنه كان يستخدم الراديو بنفسه فيعرف أماكن القنوات وأرقامها فكان يأخذ الراديو من يد الجالس إذا عجز عن إخراج مكان الخبر فيدله عليه ، بل كان رحمه الله يتعرف على أهمية الخبر من خلال معرفته بالمذيع .

فكان رحمه الله لاهتمامه بذلك تجد كل أحوال المسلمين عنده وكل جديد الأحداث وصله ، فما على الحاضر إلا أن يسأل الشيخ عن جديد الأحداث فيخبره بذلك مع تحليلها وسبر أبعادها ومضامينها .

وكان الشيخ رحمه الله مع ذلك خبيرا بتواريخ الوقائع والحروب والسياسات وكبار الساسة - الحي منهم والهالك - تواريخهم ومواقفهم ، فكان يربط الحدث بتاريخ صاحبه وسوابقه ، ولهذا فمع العلم الراسخ وفهم الواقع وأحداثه وجد المسلمون بغيتهم عند الشيخ رحمه الله .

وكان اهتمامه بمصالح المسلمين وأحوالهم حتى قبل وفاته رحمه الله بدقائق ، فقد كان يتحدث رحمه الله حينها عن أحداث أفغانستان وحكومة طالبان وأخبار المجاهدين وجديد أخبارهم ، وقد ختم له إن شاء الله تعالى بخير .

ولما كان بعض المشايخ وطلبة العلم في السجن كان لا يفتر رحمه الله عن السؤال عنهم وعن جديد أخبارهم ، فكان كثيرا ما يدعوا لهم بالثبات على الحق والصبر جزاه الله عنا وعنهم كل خير .

وكانت أخبار الإنترنت تعرض عليه يوميا فكان يجلس الساعة والساعتين بل أكثر من ذلك ، يستمع لقارئها فلا يمل ولا يكل ، حتى صار أخبر بتلك الشبكة من المتابعين لها ، بل كان رحمه الله يعرف بعض من يكتب في منتديات الإنترنت وأفكارهم ومناهجهم من خلال الاستماع لمقالاتهم " .

<u>٢٤) التواصل مع العلماء والخطباء وإخبارهم عن أحوال المجاهدين :</u>

وذلك أن الأعداء حرصوا على إماتة المسلمين وإخماد مشاعرهم عبر إخماد رؤوسهم وإشغال عامتهم فالعلماء إذا تيقظوا أيقظوا الناس ، وإذا خمدوا خمد الناس والعامة مع العلماء في الأعم الأغلب أو على الأقل في مسائل الدين التي على رأسها الجهاد ونصرة المجاهدين ، ولذلك غالباً ما يكتفي الأعداء بأن يلبسوا على العلماء أومن هم في مصاف الموجهين حتى يبرروا لهم الغزو أو على الأقل حتى يثنوهم عن الحل المسلح -والمتمثل في الجهاد — فتراهم يركزون دائماً عليهم وللأسف ترى طليعة الغزاة بعض من يشار إليهم بالبنان ، وما صمدت الأمة في وقت مضى لما هاجمها الصليبيون والتتار إلا لما هب علماؤها ورجالها للجهاد وانضووا تحت راية الجهاد فهذا شيخ الإسلام ابن تيمية يحرض الناس على القتال ويقف إلى جانب الجند أمام التتار ويثبت الأمة حتى قال مقولته المشهورة : " والله لننتصرن " فقالوا له : قل إن شاء الله فقال : " إن شاء الله تحقيقاً لا تعليقاً " ، وكذلك اصطف ابن قدامة بجانب صلاح الدين الأيوبي في مغازيه وهكذا ...

فلأجل هذا يجب متابعة العلماء وبموافاتهم بحال المجاهدين وأخبارهم حتى يقفوا مع الجهاد ويحرضوا عليه ، فكما أن الباطل يجلب عليهم بشبهه ضد الجهاد وتحذيره من أهل الجهاد فلا بد علينا أن نلتف حولهم ونذكرهم بالواجب تجاه المجاهدين وحقوقهم عسى الله أن يقيظ لنا أمثال الشيخ عبدالله عزام والشيخ حمود العقلاء رحمهما الله .

ولم يزل العلماء الصادقون يقفون مع المجاهدين وقفة صدق ويحملون تبعات وقوفهم ونطقهم بالحق بالسجن تارة وبالقتل تارة أخرى وما مقتل الشيخ يوسف العييري عنّا ببعيد .

فلنواصل المتابعة مع العلماء ولو أغلضوا لنا في القول معذرةً إلى ربهم ولعلهم يتقون ..

أخلق بذي الصبر أن يحظى بحاجته ومدمن الطرق للأبواب أن يلجا

<u>٢٥) أخذ اللياقة البدنية :</u>

لابد لمن ينوي الجهاد أو يعزم عليه من أن يأخذ اللياقة البدنية التي تساعده إذا خرج للجهاد في سبيل الله حيث أنها ضرورية للمجاهد فلا بد أن يتعود على المشي الطويل والجري والهرولة لتكون لياقته مناسبة فينفر عند النداء ...لا أن يكون عالة على إخوانه بتعطيلهم أو تأخيرهم أو إضطرارهم إلى أن يحملوه .. وقد حصل في البوسنة وغيرها أن بعض الأخوة كاد أن يقع في الأسر أو أنه وقع لعدم وجود اللياقة الكاملة لدية ...

فأخذ اللياقة من الإعداد المطلوب شرعاً يقول الشيخ يوسف العييري رحمه الله :

" فإن لياقة المجاهد وتمكنه من الجري لمسافات طويلة وتحمله لبذل مجهود بدني لفترات طويلة ،

هي العامل الرئيس في حسن أدائه في الميدان ، فقد يكون المجاهد متقناً للسلاح ، ولكن بسبب انعدام اللياقة فإنه لن يتمكن من اختيار المكان المناسب للرماية ولن يتمكن من قفز الأسوار أو تسلق المباني لتمشيطها كل ذلك بسبب انعدام اللياقة البدنية ، والمجاهد الذي يتمتع بلياقة عالية يمكنه إتمام كل أعماله على أحسن وجه حتى ولو لم يكن استخدامه للسلاح يصل إلى درجة الإتقان ، لأنه قادر على المناورة واتخاذ أحسن المواقع للرماية وقادر على تأدية مهامه بكل سرعة وخفة ، ولن يشوش الإرهاق البدني على تفكيره وسرعة المبادرة ، فنعرف من هذا أن اللياقة البدنية ركيزة مهمة للمجاهد وخاصة في ميدان المدن " أ.هـ

وفي هذا الزمان الذي نعيشه اليوم يكاد يكون جميع الجهاد في العالم على طريقة حرب العصابات وحرب مدن وهذا يحتاج إلى لياقة عالية فلا تكن أخي عبئًا على غيرك وإبدأ من الآن بأخذ اللياقة البدنية اللازمة .

ولا تحتقر اللياقة البدنية أخي واعلم أن أجرها عظيم إذا أخلصت النية ونويت بها الإعداد للجهاد في

سبيل الله ، والمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، ومن القوة القوة البدنية والجسمية ، يقول الشيخ المجاهد يوسف العييري رحمه الله:" إن المستوى البدني الذي يجب أن يتمتع به المجاهد هو أن يكون قادراً على الهرولة لمسافة ١٠كم دون توقف خلال مدة لا تزيد عن ٧٠ دقيقة على أسوأ الأحوال ، ويكون قادراً على تنفيذ تمرين اختراق الضاحية والجري بمسافة ٣ كلم بمدة لا تزيد عن ١٣.٥دقيقة ، ويكون قادراً على العدو لمسافة ١٠٠م بمدة تتراوح ما بين ١٢-١٥ ثانية ، ويكون قادراً على المسير دون توقف طويل لمدة لا تقل عن ١٠ ساعات ، وقادراً على المسير بحمولة تصل إلى ٢٠كجم لمدة لا تقل عن ٤ ساعات ، ويكون قادراً على عمل تمرين الضغط وهو ما يسمى (بوش أب) لأكثر من سبعين مرة دفعة واحدة ودون توقف ، وقادراً على عمل تمرين البطن مائة عده دفعة واحدة دون توقف ، وقادراً على تطبيق زحفة التمساح لمسافة خمسين متر خلال سبعين ثانية على الأكثر ، ولاختبار قوة التحمل عليه بتنفيذ تمرين مشابه لطريقة (فارتليك) مع اختلاف بسيط ، هذا التمرين يجمع بين

المشي والمشي السريع والهرولة والجري والعدو ، يبدأ المجاهد بالمشي العادي لمدة دقيقتين ثم ينتقل إلى المشي السريع لمدة دقيقتين ثم يبدأ بالهرولة لمدة دقيقتين ثم ينتقل للجري لمدة دقيقتين ثم يبدأ بالعدو السريع لمسافة ١٠٠متر ، ثم يعود للمشي وهكذا يواصل تكرار هذا التمرين دون توقف حتى يصل إلى عشر مرات .

توضيح لجدول المشي

مشي عادي- دقيقتين مشي سريع - دقيقتين هرولة — دقيقتين جري - دقيقتين عدو سريع ١٠٠متر

يكرر عشر مرات

طريقة التمرين

ضغط = عشر مرات زيادة ٣ كل يوم

بطن = عشر مرات زيادة ٣ كل يوم

يختلف المشي العادي عن المشي السريع عن الهرولة عن الجري عن العدو ، فالمشي العادي معروف لدى الجميع ، والمشي السريع هو أن تسير بسرعة مع المحافظة على عدم رفع إحدى القدمين عن الأرض لمدة طويلة تقارب مدة المشي العادي ، أما الهرولة فهي قطع الكيلو متر الواحد بمدة لا تقل عن ٥.٥دقيقة ، أما الجري فهي قطع الكيلو متر الواحد بمدة لا تزيد عن ٤.٥ دقيقة ، أما العدو السريع فيحسب بالمائة متر بحيث يتراوح قطع المائة متر من ١٢ حتى ١٥ ثانية وهو العدو بما يقرب من ٨٠% من المجهود البدني .

هذا المستوى يمكن للمجاهد أن يصله خلال شهر واحد لمن جد واجتهد ، بشرط أن يراعي التدرج ولا ينهك العضلات خشية حدوث تمزقات ، وعلى سبيل المثال فإن المجاهد لو بدأ أول الشهر بالهرولة لمدة ١٥ دقيقة وزاد يومياً دقيقتين فمعنى هذا أنه خلال شهر سيصل إلى الهرولة لمدة ساعة دون توقف (الشهر يحتوي على عشرين يوماً رياضياً ، إذا كان البرنامج ٥ أيام في الأسبوع) ، وكذلك لو أنه بدأ بالضغط في أول الشهر بعشر عدات وزاد كل يوم ثلاث عدات فمعنى هذا أنه سيصل إلى سبعين عدة خلال شهر واحد ، فالتدرج والاستمرار له أثر كبير في اكتساب اللياقة ، ولابد أثناء البرنامج الرياضي أن يكون هناك تمارين سويدية تساعد على استطالة العضلات واسترخائها وإحمائها وتقويتها ، ويحاول المجاهد أن يركز على كافة أنواع التمارين السويدية ويبتعد عن المعدات والأجهزة ليتمكن من مواصلة برنامجه الرياضي في أي مكان ، ولأن المعدات والأجهزة لها أثر سلبي على الجسم على المدى البعيد ، وأفضل التمارين التمارين السويدية سهلة التطبيق وتعتمد على الجسم وقوته ومضاعفاتها أقل بكثير من غيرها.

<u>٢٦) التدرب على الأسلحة وتعلم الرمي:</u>

تعلم الرماية والتدرب على الأسلحة تدريباً نظرياً وعملياً لأن المرء قد يتيسر له العملي بالرماية الحية أو بالتدرب على السلاح من دونما رماية به أو التعلم عليه نظرياً بالصورة وكل بلاد بحسبها وما هو ممكن فيها ...

والله عزوجل يقول" وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم "وقد جاء عن النبي ﷺ أنه صعد المنبر وتلا هذه الآية ثم قال : " ألا إن القوة الرمي ، ألا إن القوة الرمي ، ألا إن القوة الرمي "

فلا تتهاونوا بهذا الواجب العيني العظيم على كل مسلم قادر بالغ عاقل ...

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (يجب الاستعداد للجهاد بإعداد القوة ورباط الخيل في وقت سقوطه للعجز ، فإن مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب) أ.هـ.

فتعلموا الرماية وأكثروا من مجالسة السلاح ... فإنها العزة كل العزة والفلاح ...

والعجب كل العجب أن ترى من شابت لحيته ولما تكتحل عيناه برؤية السلاح رأي العين!!

يا أمة نسيت لطول العهد ما شكل السلاح لا تندبي عمراً ولا تدعي صلاح

وياللعجب من إمريء يبغي مقارعة العدو وجهاده في ساحات الوغى وهو لم يعرف بعد كيف يمسك بالسلاح ..!! ولاشك أن كل قادر على أن يتعلم الرمي فلم يتعلمه أنه آثم لعدم قيامه بما أوجب الله ، ولا يكاد العجب ينفك من قوم يذلون أوقاتهم في تعلم أمور الدنيا وما يزيد من معاشهم فيها ويزهدون في تعلم الرماية والسلاح مع أن العدو على الأبواب أو أنه قد دهم البلاد والله المستعان.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله لما سئل عن الرمي ومن تركه بعدما تعلمه :

"أَجَابَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ أَحْمَد بْنُ تيمية رضي الله عنه : الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . الرَّمْيُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالطَّعْنُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ . وَالضَّرْبُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ : كُلُّ ذَلِكَ مِمَّا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى : بِهِ وَرَسُولُهُ وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى الثَّلَاثَةَ فَقَالَ تَعَالَى : { فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا } وَقَالَ تَعَالَى : { فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ } وَقَالَ تَعَالَى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ } وَقَالَ تَعَالَى : { وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ } وَقَدْ ثَبَتَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ وَغَيْرِهِ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ : أَنَّهُ قَرَأَ عَلَى الْمِنْبَرِ هَذِهِ الْآيَةَ فَقَالَ : " { أَلَا إنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ أَلَا إنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ أَلَا إنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ } . وَثَبَتَ عَنْهُ ﷺ فِي الصَّحِيحِ أَنَّهُ قَالَ : " { ارْمُوا وَارْكَبُوا وَأَنْ تَرْمُوا أَحَبُّ إلَيَّ مِنْ أَنْ تَرْكَبُوا وَمَنْ تَعَلَّمَ الرَّمْيَ ثُمَّ نَسِيَهُ فَلَيْسَ مِنَّا

} . وَفِي رِوَايَةٍ : " { وَمَنْ تَعَلَّمَ الرَّمْيَ ثُمَّ نَسِيَهُ فَهِيَ نِعْمَةٌ جَحَدَهَا } . وَفِي السُّنَنِ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : " { كُلُّ لَهْوٍ يَلْهُو بِهِ الرَّجُلُ فَهُوَ بَاطِلٌ ؛ إلَّا رَمْيَهُ بِقَوْسِهِ وَتَأْدِيبَهُ فَرَسَهُ وَمُلَاعَبَتَهُ امْرَأَتَهُ . فَإِنَّهُنَّ مِنْ الْحَقِّ } . وَقَالَ : " { سَتُفْتَحُ عَلَيْكُمْ أَرَضُونَ وَيَكْفِيكُمْ اللَّهُ فَلَا يَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَلْهُوَ بِأَسْهُمِهِ } . وَقَالَ مَكْحُولٌ : كَتَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إلَى الشَّامِ : أَنْ عَلِّمُوا أَوْلَادَكُمْ الرَّمْيَ وَالْفُرُوسِيَّةَ . وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : " { ارْمُوا بَنِي إسْمَاعِيلَ ؛ فَإِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ رَامِيًا } . { وَمَرَّ عَلَى نَفَرٍ مِنْ أَسْلَمَ يَنْتَضِلُونَ فَقَالَ ﷺ ارْمُوا بَنِي إسْمَاعِيلَ ؛ فَإِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ رَامِيًا ارْمُوا وَأَنَا مَعَ بَنِي فُلَانٍ فَأَمْسَكَ أَحَدُ الْفَرِيقَيْنِ بِأَيْدِيهِمْ فَقَالَ : مَا لَكُمْ لَا تَرْمُونَ ؟ قَالُوا : كَيْفَ نَرْمِي وَأَنْتَ مَعَهُمْ ؟ فَقَالَ : ارْمُوا وَأَنَا مَعَكُمْ كُلِّكُمْ } . وَقَالَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه : { نَثَلَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - يَعْنِي نَفَضَ كِنَانَتَهُ يَوْمَ أُحُدٍ - وَقَالَ : ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي } وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ : { مَا رَأَيْت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَمَعَ أَبَوَيْهِ لِأَحَدِ إلَّا لِسَعْدِ : قَالَ لَهُ : ارْمِ سَعْدُ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي } . وَقَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " { لَصَوْتُ أَبِي طَلْحَةَ فِي الْجَيْشِ خَيْرٌ مِنْ مِائَةٍ } وَكَانَ إذَا كَانَ فِي الْجَيْشِ جَثَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَنَثَرَ كِنَانَتَهُ فَقَالَ : نَفْسِي لِنَفْسِك الْفِدَاءُ وَوَجْهِي لِوَجْهِك الْوِقَاءُ . وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ لَهُ السَّيْفُ وَالْقَوْسُ وَالرُّمْحُ . وَفِي السُّنَنِ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : " { مَنْ رَمَى بِسَهْمِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ - بَلَغَ الْعَدُوَّ أَوْ لَمْ يَبْلُغْهُ - كَانَتْ لَهُ عَدْلُ رَقَبَةٍ } . وَفِي السُّنَنِ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : " { إنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ بِالسَّهْمِ الْوَاحِدِ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ الْجَنَّةَ : صَانِعَهُ يَحْتَسِبُ فِي صَنْعَتِهِ الْخَيْرَ ؛ وَالرَّامِيَ بِهِ وَالْمُمِدَّ بِهِ } ؛ وَهَذَا لِأَنَّ هَذِهِ الْأَعْمَالَ هِيَ أَعْمَالُ الْجِهَادِ وَالْجِهَادُ أَفْضَلُ مَا تَطَوَّعَ بِهِ الْإِنْسَانُ وَتَطَوُّعُهُ أَفْضَلُ مِنْ تَطَوُّعِ الْحَجِّ وَغَيْرِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى : { أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } { الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ } { يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ } { خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ } . وَفِي الصَّحِيحِ { أَنَّ رَجُلًا قَالَ : لَا أُبَالِي أَنْ لَا أَعْمَلَ عَمَلًا بَعْدَ الْإِسْلَامِ إلَّا أَنْ أَعْمُرَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ : الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا كُلِّهِ . فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ عِنْدَ مِنْبَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؛ وَلَكِنْ إذَا قُضِيَتْ الصَّلَاةُ سَأَلْته عَنْ ذَلِكَ . فَسَأَلَهُ ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ } ؛ فَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّ الْإِيمَانَ وَالْجِهَادَ أَفْضَلُ مِنْ عِمَارَةِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ وَالطَّوَافِ وَمِنْ الْإِحْسَانِ إلَى الْحُجَّاجِ بِالسِّقَايَةِ ؛ وَلِهَذَا قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - : لَأَنْ أُرَابِطَ لَيْلَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَحَبُّ إلَيَّ مِنْ أَنْ أَقُومَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ عِنْد الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ . وَلِهَذَا كَانَ الرِّبَاطُ فِي الثُّغُورِ أَفْضَلَ مِنْ الْمُجَاوَرَةِ بِمَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ وَالْعَمَلُ بِالرُّمْحِ وَالْقَوْسِ فِي الثُّغُورِ أَفْضَلَ مِنْ صَلَاةِ التَّطَوُّعِ . وَأَمَّا فِي الْأَمْصَارِ الْبَعِيدَةِ مِنْ الْعَدُوِّ فَهُوَ نَظِيرُ صَلَاةِ التَّطَوُّعِ . وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : " { إنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ مَا بَيْنَ الدَّرَجَةِ إلَى الدَّرَجَةِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ } . وَهَذِهِ الْأَعْمَالُ كُلٌّ مِنْهَا لَهُ مَحَلٌّ يَلِيقُ بِهِ هُوَ أَفْضَلُ فِيهِ مِنْ غَيْرِهِ فَالسَّيْفُ عِنْدَ مُوَاصَلَةِ الْعَدُوِّ وَالطَّعْنُ عِنْدَ مُقَارَبَتِهِ وَالرَّمْيُ عِنْدَ بُعْدِهِ أَوْ عِنْدَ الْحَائِلِ كَالنَّهْرِ وَالْحِصْنِ وَنَحْوِ ذَلِكَ . فَكُلَّمَا كَانَ أَنْكَى فِي الْعَدُوِّ وَأَنْفَعَ لِلْمُسْلِمِينَ فَهُوَ أَفْضَلُ . وَهَذَا يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ أَحْوَالِ الْعَدُوِّ وَبِاخْتِلَافِ حَالِ الْمُجَاهِدِينَ فِي الْعَدُوِّ . وَمِنْهُ مَا يَكُونُ الرَّمْيُ فِيهِ أَنْفَعَ وَمِنْهُ مَا يَكُونُ الطَّعْنُ فِيهِ أَنْفَعَ . وَهَذَا مِمَّا يَعْلَمُهُ الْمُقَاتِلُونَ ."

٢٧) السباحة و ركوب الخيل :

قَالَ مَكْحُولٌ : كَتَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إلَى الشَّامِ : أَنْ عَلِّمُوا أَوْلَادَكُمْ الرَّمْيَ وَالْفُرُوسِيَّةَ

فتعلم السباحة وركوب الخيل يفيد المجاهد في المستقبل لأن السباحة من أهم وسائل اللياقة وتقوية الجسم ولأن الفروسية لا تنفك الحاجة إليها في زمن من الأزمان وبخاصة في أراضي الجهاد والغزو مصداق حديث النبي ﷺ الذي في البخاري : { الْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ : الْأَجْرُ وَالْمَغْنَمُ } فما زالت و لا تزال الخيل إلى يومنا هذا مستخدمة في الجهاد سواء في أفغانستان أو الشيشان أو العراق ..

فمن رغب في الجهاد ولما يتمكن منه فعليه بتعلم السباحة وركوب الخيل لأنها من جملة ما يفيده في جهاده .

٢٨) تعلم الإسعافات الأولية :

ومن سبل المشاركة في خدمة الجهاد والمجاهدين تعلم أمور الإسعافات الأولية التي يحتاجها المجاهدون كتجبير الكسور ، وعلاج الجروح والسموم ، وضرب الحقن في الوريد والعضل وهكذا مما يحتاجه المجاهدون فهذا علم نفيس والحاجة إليه ملحة في أراضي الجهاد وتعلمه ميسور ومأمون

٢٩) تعلم فقه الجهاد:

ومن وسائل خدمة الجهاد والمجاهدين تعلم فقه الجهاد والمسائل الفقهية المتعلقة به وذلك يفيد المجاهدين في الثغور فوجود من يعلمهم أمر دينهم مطلب ملح لأهل الثغور ، وكذلك هو مفيد في الذب عن الجهاد والمجاهدين من نيل المنافقين والعملاء ومن يرد بعلم ليس كمن يرد بلا علم ، وهاهو الشيخ يوسف العييري الذي نفع بعلمه في الجهاد ونافح عن المجاهدين فكان بحق صخرة تتكسر عندها قرون الطاعنين في الجهاد سواء كانوا بحسن قصد أو بسوء قصد .

ويلحق بتعلم فقه الجهاد قراءة كل شيء يلحق بتأصيل علم الجهاد ومنهج الجهاد مما يكون فيه كشف اللبس وإزالة الشبه التي على الجهاد .

وتعلم ما مضى يتم بقراءة الكتب التي كتبها أهل العلم في هذا المجال وهي مجموعة بفضل الله كاملة مرتبة في حقيبة المجاهد الطبعة الثالثة الأخيرة فعلى كل مسلم يريد الجهاد في سبيل الله بصدق وإخلاص عليه الإطلاع على حقيبة المجاهد فسيجد فيها كل مايحتاجه في طريقه ولله الحمد

٣٠) إيواء المجاهدين وإكرامهم :

قال الله تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ }

وقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : { وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ }

فالمجاهدون يتعرضون لبلاء وتضييق ، بل وربما مطاردة ومتابعة من قبل الأعداء أو عملائهم وأذنابهم ، فيجب إعانتهم وإيوائهم وتوفير الأمن والراحة لهم ، وينبغي إكرامهم والقيام بحق الضيافة لهم من غير إكتراث وإنزعاج ، كما فعل الشيشانيون بالمجاهدين الأنصار من العرب وغيرهم ، حيث جعلوا بيوتهم لهم مأوى مع أن العدو الروسي لو علم بهم لربما تسبب ذلك في هدم البيت وقتل جملة من رجاله وربما نساءه ، وكما فعل جملةٌ من الأفغان بعد سقوط كابل حيث ضربوا أروع الأمثلة في إيواء المجاهدين وتهريبهم خارج أفغانستان ،رغم سيطرة الأمريكان وبطشهم ، وقسوة قوات التحالف وحنقهم ، ومع ذلك فقد قام جملةٌ منهم بحق الإيواء والإخفاء للمجاهدين مع دفعهم للثمن غالياً إلا أن هذه هي المبادىء التي ينبغي أن نغرسها في أنفسنا وندفع ثمنها غالياً لأن جزاءها الأجر العظيم من الله الكريم ، ولكن الأمر كما قيل :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم

<u>٣١) عداوة الكفار وبغضهم:</u>

هذا الأمر علاوة على كونه عقيدة راسخة في قلوب المؤمنين إلا أن تعاهدها بالمتابعة وزيادة البغض للكافرين هو بحد ذاته وقوف مع المجاهدين ودعم لهم إذ العدو اللدود للكافرين هم أولياء الله المجاهدين الذين يذيقونهم الويلات والنكبات ولما خفت عقيدة البراءة من الكافرين وظهرت الدعوة للتسامح معهم والتعايش صار الداعين لهذا التميع من المعادين للمجاهدين وممن يسعى في التقليل من قبول الناس للمجاهدين وشيوخهم وقادتهم ..وبيان التعايش والجبهة الداخلية خير دليل إذ يبرز فيه : " الرحمة للكافرين والقسوة على المجاهدين "

<u>٣٢) السعي لفداء الأسرى :</u>

وهذا من الواجبات والحقوق الشرعية تجاه الأسرى من المسلمين .

وقد " أمر الإسلام بفك الأسرى من أيدي أعدائهم ، فإذا وقع أسير في يد العدو فيجب على المسلمين أن يبذلوا كل مجهود لتخليص أسيرهم إما بالقتال ، فإن عجز المسلمون عن القتال ، وجب عليهم الفداء بالمال ، فقد قال رسول الله ﷺ فكوا العاني —يعني الأسير —وأطعموا الجائع ، وعودوا المريض) أخرجه البخاري (٣٠٤٦) من طريق منصور ، عن أبي وائل ، عن أبي موسى رضي الله عنه ٠

وجاء في صحيح البخاري (٣٠٤٧) عن مطرف أن عامراً حدثهم ، عن أبي جحيفة رضي الله عنه قال : قلت لعلي رضي الله عنه هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله ؟ قال : والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ، ما أعلمه إلا فهماً يعطيه الله رجلاً في القرآن ، وما في هذه الصحيفة قلت وما في الصحيفة ؟ قال : العقل وفكاك الأسير وأن لا يقتل مسلم بكافر ٠

وعن ابن عباس قال : قال عمر رضي الله عنه (كل أسير كان في أيدي المشركين من المسلمين ففكاكه من بيت مال المسلمين) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٤٩٧/٦) وفيه علي بن زيد بن جدعان ، وهو ضعيف الحديث ، وروى ابن أبي شيبة في مصنفه أيضاً (٤٩٦/٦) قال حدثنا وكيع ، قال : ثنا أسامة بن زيد ، عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمن قال : قال عمر (لأن استنفذ رجلاً من المسلمين من أيدي الكفار أحب إلي من جزيرة العرب) وهذا فيه انقطاع ٠

وقد عملت أيدي جماعة من حكام المسلمين ، أعظم البطولات في تخليص الأسرى وكف الأيادي المعتدية عليهم ، فهذا الحكم بن هشام أمير الأندلس لما سمع أن امرأة مسلمة أخذت سبية ، فنادت : واغوثاه يا حكم فعظم الأمر عليه ، وجمع عسكره ، واستعد وحشد وسار إلى بلد الفرنج سنة ست وتسعين ومائة ، وأثخن في بلادهم ، وافتتح عدة حصون ، وخرب البلاد ونهبها وقتل الرجال وسبى النساء ، وغنم الأموال ، وقصد الناحية التي كانت بها تلك المرأة ، حتى خلصها من الأسر ، ثم عاد إلى قرطبة مظفراً ٠

ولما رجع المنصور بن أبي عامر من إحدى غزواته في شمال الأندلس قابلته امرأة مسلمة على أبواب قرطبة ، وقالت له : إن ابني أسير عند النصارى ، ويجب عليك أن تفديه أو تأتي به ، فما دخل المنصور قرطبة ، بل عاد بجيشه حتى فك هذا الأسير ٠

وتاريخ المسلمين الصادقين ، مليء بهذه المفاخر العظيمة ، إنه الصدق والوفاء ، والبر والإخاء عزائم مخلصة ، وحكامٌ أفذاذ يعملون لشعوبهم ولو على حساب زوال ملكهم ويعيشون نكبات أمتهم ، ويريبهم ما يريب أمتهم وشعوبهم ، ولمثل هذا فليعمل العاملون ، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ٠

ووجوب فك الأسرى من الأمور الظاهرة في الشريعة الإسلامية ، وقد تواترت بذلك الأدلة ، واتفق على ذلك الأئمة ، وأجمع على ذلك المسلمون ٠"

<u>٣٣) نشر أخبار الأسرى والاهتمام بقضيتهم:</u>

فالمجاهدون الذين في الثغور يوجد من يلتفت لهم في الغالب ، وهم ظاهرين بين الناس ، بفعالهم وأقوالهم ، بل ونكاياتهم بالعدو إلا أن الأسرى الذين يقعون في أيدي الكفار ، قد يخمد ذكرهم ، وقد ينعدم المتبني لهم والمتابع لفكاكهم ، وقد لا يوجد من يثير قضاياهم مما يجعل العدو

الذين هم في قبضته لا يعبأ بهم ، ولا يسعى لفكاكهم ، وكم من المجاهدين في سجون الكفرة والطواغيت من عرب وعجم إلا أنه لا بواكي لهم ، ولا متبنٍ لقضاياهم ، فمن أبرز الوسائل لخدمة الجهاد والمجاهدين السعي لنشر أخبار الأسرى وإثارة قضاياهم في كل محفلٍ ومجلس حتى يفك أسرهم وهذا أقل القليل تجاه أسرى المسلمين .

٣٤) الجهاد الألكتروني:

وهذا الإصطلاح شاع بين الناس على من يناصرون الجهاد على شبكة الأنترنت وهذا مجال مبارك وفيه نفع عظيم من تتبع الأخبار ونشرها بين الناس وكذلك الذب عن المجاهدين ونشر فكرهم ومايريدون إيصاله للناس ومن المشاريع المناسبة في الأنترنت مشروعين أحدهما يتعلق بالمنتديات والآخر يتعلق بالهاكرز فأقول مستعيناً بالله :

المشروع الأول : "المنتديات "

- تكون هذه الفكرة بأن يجتمع ثلاثة أو أربعة أشخاص يؤمرون أحدهم بحيث يكون المشرف والمتابع للمشروع .
- يضعون لهم اشتراك في المنتديات المعروفة والتي يرتادها الكثير من الناس بحيث يكون لكل واحد منهم "أسم ".
- أهم المنتديات : - الساحات العربية - الإصلاح - الحسبة - أنا المسلم - الفوائد - بلسم الإيمان .
- وغيرها من المنتديات التي يكثر روادها وإن كانت غير إسلامية .
- يختار المواضيع المناسبة للنشر والتي تتكلم عن الجهاد وتصب في خدمته وتنشر في كل المنتديات وتكون هذه المقالات و المواضيع إما جاهزة ولكنها تحتاج إلى إعادة نشر ، أو غير جاهزة فتحتاج إلى إعداد .
- تقسم المواضيع إلى الأقسام التالية :
  - الحث على الجهاد وبيان فضله وخصوصاً في هذه المرحلة .
  - الدفاع عن المجاهدين والذب عن أعراضهم من كل من تكلم فيهم
  - التوعية الفكرية للجهاد.
  - التأصيل العلمي والبحوث الشرعية فيما يخص الجهاد.
  - تتبع المخالفين للجهاد من العقلانيين ومن المرتدين لفضحهم وبيان عوارهم .
- ويمكن وضع بريد للمشرف على المجموعة حتى يرسل عليه المواضيع المناسبة للنشر
- توزع المواضيع على الأشخاص في كل يوم بحيث يعطى الموضوع لواحد منهم ينشره باسمه ومن ثم يقوم الآخرين بالتعليق عليه ورفعه في المنتديات التي أنزل فيها وهكذا كل موضوع له ناشر ومعلقين .

الناشر: هو الذي نزل باسمه

المعلقين : هم الذين يفعّلون الموضوع ويرفعونه .

- هناك إشكالية في المنتديات التي يغلق فيها باب التسجيل مثل الساحات والإصلاح ، بالإمكان مراسلة من لهم اشتراك فيها وفي المنتديات الأخرى ، مثل" هدهد سليمان ، الفجر المنتظر ، مراسل الأنصار .."بحيث ينزلون المقالات باسمهم أو ينظر في تحصيل اشتراك جديد فيها بطرق خاصة مثل المراسلة أو المعرفة ..أوغيرها
- هناك جانب آخر من المشروع وهو الرد على أصحاب التوجه المخالف للجهاد والمجاهدين الذين يكتبون في المنتديات بأسماء مستعاره وهم إما منحرفين أو يرددون ما يقوله بعض رموز المنبطحين فهؤلاء يرد عليهم ويستدرك على ما يكتبون عن طريق :
  - الرد السريع والمختصر .
  - الرد عليه عن طريق الردود العلمية التي كتبت لأن شبه المخالفين واحدة ، وتردد كل حين ..
  - رفض الموضوع وتذكير الكاتب بعدم النيل من المجاهدين .

اسم العضو: المشاركات من تاريخ / / ١٤٢٤هـ وحتى تأريخ / / ١٤٢٤هـ

مشاركة	تعليق مختصر	تعليق مطول	اسم المنتدى	ملاحظات

- ولضبط المشروع ومراجعة العمل فيه يكون لدى كل فرد- يكتب ويعلق - ورقة جدول يدون عليها نوع المشاركة التي وضعها في أي منتدى ليتم معرفة كم انجز خلال كل شهر على النحو التالي

المشروع الثاني : " الهاكرز " :

وهذا بحق يقال فيه جهاد إلكتروني وفيه لغة القوة ، ومعنى الإغارة والهجوم ، وترتيب السرايا والأفراد ، فمن أعطي في هذا المجال فلا يبخل على نفسه بخدمة الجهاد من خلاله وليكن ، الجهد مركزاً على تدمير المواقع الأمريكية والتي ضد الجهاد والمجاهدون ، كذلك مواقع اليهود ، ومواقع العقلانيين والعلمانيين ومواقع المخذلة والنائلين من المجاهدين ، ومنتديات السوء والمرجفين .

ولمن لا يعلم هذا الفن أن يتعلمه فهذه النية الطيبة وهي النكاية بالأعداء في هذا المجال ، فلنجاهد ولو عن طريق الأنترنت .

٣٥) تخذيل المشركين:

من خالط المشركين من المؤمنين لعذر شرعي عليه أن يخذل المشركين عن إيذاء المسلمين وقتالهم ما أمكنه ذلك ، كما فعل نُعَيْم بن مسعود رضي الله عنه مع الأحزاب ومع يهود بني قريظة يوم الخندق ، وكما فعل مؤمن آل فرعون في قوله تعالى: وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وما بعدها بسورة غافر.

وتخذيل المشركين يقتضي بالضرورة عدم إعانتهم بأي كيفية على المسلمين ، فإن فاعل هذا قد يؤول به فعلُه إلى الكفر لقوله تعالى: ومن يتولهم منكم فإنه منهم ( ).

٣٦) تربية الأبناء على حب الجهاد وأهله:

الأهل والأبناء عدة المستقبل ووقود المرحلة القادمة :

وينشأ ناشيء الفتيان فينا   على ماكان عوده أبوه

فلابد من تنشئة الأهل والأبناء على حب الجهاد والمجاهدين ، ومعاني الشهادة والتضحية لدين الله تعالى ، حتى إذا ما أراد الخروج في سبيل الله فإنهم يكونون عوناً له في الطاعة .

ومن الفوائد أيضاً أن الأهل يكونوا مهيئين لخدمة المجاهدين وإيواء المطاردين منهم .

ومن الفوائد أيضاً أن يكمل أبناءه الجهاد بعد أن يفارق الحياة .

وعبدالله بن الزبير رضي الله عنهما كان والده الزبير بن العوام يأخذه معه في الغزو لما كان صغيراً ، وكان معه مدية يجهز بها على الجرحى من المشركين ، فلما شبّ أصبح هو من هو في الشجاعة والمراس ، وهكذا من شب ونشأ على شيء شاب عليه .

ومن وسائل تربية الأطفال والأهل على الجهاد :

- تدريسهم لسيرة النبي ﷺ ومغازيه .
- تعليمهم بطولات الصحابة والتابعين التي أثبتت في كتب المغازي والسير .
- الإتيان بأشرطة الجهاد والمجاهدين (صوتية ومرئية) لتذكي لديهم حب الجهاد والتعلق بالمجاهدين .
- قص القصص عليهم من أخبار وسير المجاهدين السابقين واللاحقين .
- سماع الأشرطة الوعظية التي تتكلم عن شيء متعلق بالجهاد كالشهادة ، وفضل الشهيد .
- تسمية الأولاد بأسماء أعلام الجهاد السابقين أو المعاصرين ممن له بلاء حسن في الجهاد .

٣٧) ترك الترف :

ومن الوسائل المعينة على الجهاد وخدمة أهله ترك الترف والبذخ ، والتنعم بالدنيا فالنعيم لا يدرك بالنعيم وكما قال الشيخ عبد الله عزام رحمه الله :" الترف عدو الجهاد "

وللترف آثار ضارة على العبد في عاجله وآجله ، منها قسوة القلب والِكبْر والركون إلى الدنيا وحبها وكراهية الموت ، وما يتبع ذلك من القعود عن الجهاد بل والإعراض عن الحق بل والصد عنه.

والترف هو التوسع في النعمة "المفردات للراغب الأصفهاني" ، ولم يَرِد الترف في القرآن إلا في معرض الذم.

قال تعالى: ما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أُرسلتم به كافرون ( ) ، وقال تعالى: وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون ( ) ، قال تعالى: واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين ( ) ، وقال تعالى عن أصحاب الشمال: إنهم كانوا قبل ذلك مترفين ( ) ، وانظر الآيات: [الإسراء:١٦] و[الأنبياء:١٣] و[المؤمنون:٦٤ ،٣٣]. فهذه ثمان آيات ورد فيها ذكر الترف ، ولم يرد إلا في مَعْرِض الذم.

ولا يظن أحد أننا نُهَوِّن من قدر المال ، فالمال قِوَام الحياة وعصب الحرب ، وسبق تفصيل هذا عند الكلام عن النفقة في سبيل الله في الباب الثاني.

ولكنا نحذر من الإسراف في التنعم خاصة للعاملين في حقل الجهاد ، لِمَا لهذا من آثار سيئة رأيناها بأعيننا ، آلت بالبعض إلى التخلي عن قضية الجهاد والركون إلى الدنيا ، وأقبح من هذا تبرير هذا الركون. واعتبر بحال من ابتُلِيَ بهذا ممن تعرفهم من الناس فستجده صوابا.

قال تعالى: يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون ( )، وقال تعالى: واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم ( ).

وقد عقد ابن خلدون في مقدمته فصولا نافعة في بيان مضار الترف وأثره في زوال الدول وبَيَّن كذلك أثر الخشونة في الغلبة على الأعداء.

٣٨) مقاطعة بضائع العدو والحث على ذلك :

ونكتفي هنا ببيان الشيخ حمود العقلاء رحمه الله ففيه الغنية والكفاية حيث يقول :

" الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف الأنبياء والمرسلين نبينا مُحَمَّد وعلى اله وصحبه أجمعين أما بعد ......

يقول الله تعالى (مُحَمَّد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار) وقال تعالى في وصف المؤمنين (.. أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) ويقول تعالى في مجاهدة الكفار (وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد) الآية . ويقول تعالى (ولا يطئون موطئًا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدوا نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح ..) الآية .

إن كل عصر وزمان له أسلحته الجهادية والحربية المستخدمة ضد الأعداء ، وقد استخدم المسلمون أسلحة جهادية متنوعة في ذلك ضد أعدائهم بقصد هزيمتهم وإضعافهم ، قال الشوكاني : وقد أمر الله بقتل المشركين ولم يعيّن لنا الصفة التي يكون عليها ولا أخذ علينا ألا نفعل إلا كذا دون كذا . اهـ (السيل الجرار ٥٣٤/٤) ، وهذا يوافق عموم قوله تعالى (وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد) الآية . ومن الأساليب الجهادية التي استخدمها الرسول ﷺ مع الأعداء بهدف إضعافهم أسلوب الحصار الاقتصادي وهو ما يسمى اليوم بالمقاطعة الاقتصادية ، ومن الأمثلة على أسلوب حصار النبي عليه الصلاة والسلام الاقتصادي مايلي :

١- طلائع حركة الجهاد الأولى وذلك أن أوائل السرايا التي بعثها الرسول ﷺ والغزوات الأولى التي قادها ﷺ كانت تستهدف تهديد طريق تجارة قريش إلى الشام شمالا و إلى اليمن جنوبا ، وهي ضربة خطيرة لاقتصاد مكة التجاري قُصد منه إضعافها اقتصاديا .

٢- قصة محاصرة يهود بني النضير وهي مذكورة في صحيح مسلم : انهم لما نقضوا العهد حاصرهم الرسول ﷺ وقطع نخيلهم وحرقه فأرسلوا إليه انهم سوف يخرجون فهزمهم بالحرب الاقتصادية وفيها نزل قوله تعالى (ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزى الفاسقين). فكانت المحاصرة وإتلاف مزارعهم ونخيلهم التي هي عصب قوة اقتصادهم من أعظم وسائل الضغط عليهم وهزيمتهم وإجلائهم من المدينة .

٣- قصة حصار الطائف بعد فتح مكة وأصل قصتهم ذكرها البخاري في المغازي ومسلم في الجهاد وفصّل قصتهم ابن القيم في زاد المعاد وذكرها ابن سعد في الطبقات ١٥٨/٢ ، قال :

فحاصرهم الرسول ﷺ وأمر بقطع أعناب ثقيف وتحريقها فوقع المسلمون فيها يقطعون قطعا ذريعا ، قال ابن القيم في فوائد ذلك : وفيه جواز قطع شجر الكفار إذا كان ذلك يضعفهم ويغيضهم وهو أنكى فيهم .

٤- قصة المقاطعة الاقتصادية للصحابي ثمامة بن أثال الحنفي رضي الله عنه ، وقد جاءت قصته في السير و المغازي ، ذكرها ابن إسحاق في السيرة وابن القيم في زاد المعاد والبخاري في المغازي ومسلم في الجهاد ، وقصته كانت قبل فتح مكة لما أسلم ثم قدم مكة معتمرا وبعد عمرته أعلن المقاطعة الاقتصادية لقريش قائلا : لا والله لا تأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن في ذلك رسول الله ﷺ (وكانت اليمامة ريف مكة) ثم خرج إلى اليمامة فمنع قومه أن يحملوا إلى مكة شيئًا حتى جهدت قريش ، وقد أقره الرسول ﷺ على هذه المقاطعة الاقتصادية وهي من مناقبه رضي الله عنه .

وهذه الحوادث و أمثالها تشريع من الرسول ﷺ لأصل من الأصول الجهادية في مجاهدة الكفار في كل زمان ومكان .

وهذا الأمر اليوم في مقدور الشعوب الإسلامية أن يجاهدوا به ، قال تعالى (فاتقوا الله ماستطعتم) وهو من الجهاد الشعبي النافع المثمر حينما تخلى غيرهم عن مجاهدة الكفار بأصنافهم

ولذا فإننا نحث إخواننا المسلمين إلى جهاد الأمريكان والبريطانيين واليهود واستخدام سلاح المقاطعة الاقتصادية المضعفة لاقتصادهم .

وإذا كانت الشعوب الإسلامية ليس لديها قوة في الجهاد المسلح ضدهم فليس أقل من المقاطعة الاقتصادية ضدهم وضد شركاتهم وبضائعهم ، قال عليه الصلاة والسلام (جاهدوا المشركين بأموالكم وأيديكم وألسنتكم) رواه أحمد وأبو داود من حديث أنس .

كما أحث إخواننا المسلمين على المثابرة في هذا الجهاد و المصابرة قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اصبروا و صابروا ورابطوا) وأن لا يملوا أو يتكاسلوا فإن النصر مع الصبر ، وأن يجتهدوا في مقاطعة الشركات والبضائع الأمريكية والبريطانية واليهودية مقاطعة صارمة و قوية وشاملة ، قال تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى) الآية ، وقال ﷺ : (المؤمنون تتكافأ دماؤهم وهم يد على من سواهم) . رواه احمد من حديث على بن أبى طالب .

وقد لمسنا ولله الحمد فيما سبق وفيما تناقلته وسائل الإعلام أثر المقاطعة الشعبية السابقة على الاقتصاد الأمريكي والبريطاني واليهودي .

وقد انتشر في الأيام الماضية قائمة ولائحة تحوي مئات المنتجات للشركات الأمريكيةو البريطانية واليهودية ، فنحث إخواننا على التجاوب والتضامن مع هذه القائمة ، قال تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى) وقال عليه الصلاة والسلام (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا) .

وأمريكا وبريطانيا وراء محاربة الجهاد في كل مكان وهم وراء دعم الصهاينة في فلسطين ووراء الحصار الاقتصادي على دولة طالبان الإسلامية في أفغانستان ووراء دعم الروس في الشيشان ودعم النصارى ضد إخواننا المجاهدين في الفلبين وإندونيسيا وكشمير وغيرها ، وهم وراء دعم أي توجه لإضعاف الجهاد الإسلامي و إضعاف المسلمين ، ووراء محاصرة شعب العراق المسلم وشن الغارات اليومية عليه منذ عشر سنين ظلما وعدوانا مع قطع النظر عن حكامه.

وقد صدق فيهم وفي غيرهم قوله تعالى : (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم)

اللهم عليك بالأمريكان والبريطانيين واليهود وأعوانهم وأشياعهم اللهم اشدد وطأتك عليهم واجعلها عليهم سنين كسني يوسف . وصلى الله على نبينا محمد وعلى اله وصحبه أجمعين .

أملاه فضيلة الشيخ ، أ .حمود بن عقلاء الشعيبي ٢٨ / ١١ / ١٤٢١ هـ

<u>٣٩) عدم استخدام العمالة الحربية:</u>

وهذا تستطيع أن تلحقه بالمقاطعة وهو متعلق بإستقدام العمال والأجراء من الدول المحاربة للإسلام فعلى سبيل المثال لا يؤتى بالهندوسي لأنهم يحاربون إخواننا في كشمير .

ولا يؤتى بالنصراني الفلبيني لأنهم يقاتلون إخواننا في جنوب الفلبين وبالجملة يقال :

لا حاجة في إستقدام الكفرة الفجرة ، وليقتصر المرء على المسلمين ففيهم الكفاية والخير ، حتى لايكون المال الذي يعطيه إياه سبباً في قتال المسلمين .

وهذا ظاهر وبين " ولعبدٌ مؤمنٌ خيرٌ من مشركٍ ولو أعجبكم "

مخاطر ترك الجهاد

وأختم هذه الرسالة بذكر مخاطر ترك الجهاد التي ذكرها الشيخ عبدالعزبز الجليل حفظه الله :

مخاطر ترك الجهاد في سبيل الله:

بعد أن تبين لنا في المقدمة السابقة فضل الجهاد وثمرته في الدنيا والآخرة فإنه يسهل علينا في هذه الخاتمة الحديث عن مخاطر ترك الجهاد والاستعداد له ، وما يترتب على ذلك من المفاسد والشرور والعواقب السيئة في الدنيا والآخرة•

عد أهل العلم ترك الجهاد العيني من كبائر الذنوب•

يقول ابن حجر الهيتمي في كتابه الزواجر: "الكبيرة التسعون والحادية والثانية والتسعون بعد الثلاثمائة: ترك الجهاد عند تعينه ؛ بأن دخل الحربيون دار الإسلام أو أخذوا مسلمًا وأمكن تخليصه منهم ، وترك الناس الجهاد من أصله ، وترك أهل الإقليم تحصين ثغورهم بحيث يخاف عليها من استيلاء الكفار بسبب ترك ذلك التحصين" .

ولذلك كان ترك الجهاد وعدم الاستعداد له علامة على النفاق قال ": (من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من نفاق).

وقد عده الله عز وجل علامة على عدم الإيمان باليوم الآخر ، أو ضعف اليقين به فقال تعالى: (لا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ) (التوبة:٤٤-

ويمكن تفصيل المخاطر والعواقب السيئة لترك الجهاد فيما يلي:

١-ترك الجهاد كما مضى كبيرة من الكبائر ؛ لأن فيه تعريض النفس لسخط الله عز وجل وعقابه في الدنيا والآخرة•

قال تعالى: (إِلاّ تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّوهُ شَيْئاً وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (التوبة:٣٩).

وقال تعالى: (قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ) (التوبة:٢٦).

ويصف الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى الذين يهملون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله بأنهم أقل الناس دينًا وأمقتهم إلى الله تعالى ؛ فيقول: ﷺ وأما الجهاد ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصيحة لله ورسوله وعباده ، ونصرة الله ورسوله ودينه وكتابه ؛ فهذه

الواجبات لا تخطر ببالهم فضلاً عن أن يريدوا فعلها ، وفضلاً عن أن يفعلوها و أقل الناس دينًا وأمقتهم إلى الله من ترك هذه الواجبات وإن زهد في الدنيا جميعها ، وقَلَّ أن ترى منهم من يَحْمَرُّ وجهه ويمعره لله ويغضب لحرماته ، ويبذل عرضه في نصرة دينه وأصحاب الكبائر أحسن حالاً عند الله من هؤلاء" .

إذًا فترك الجهاد في سبيل الله سبب للهلاك في الدنيا والآخرة ؛ وهذا ما يفهم من قوله تعالى: (وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) (البقرة:١٩٥).

قال ابن كثير: "وقال الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب عن أسلم أبي عمران قال: حمل رجل من المهاجرين بالقسطنطينية على صف العدو حتى خرقه - ومعنا أبو أيوب الأنصاري - فقال أناس: ألقى بيده إلى التهلكة • فقال أبو أيوب: نحن أعلم بهذه الآية ؛ إنما نزلت فينا ؛ صحبنا رسول الله ﷺ وشهدنا معه المشاهد ونصرناه ، فلما فشا الإسلام وظهر اجتمعنا معشر الأنصار نجيًا فقلنا: قد أكرمنا الله بصحبة نبيه ﷺ ونصره حتى فشا الإسلام وكثر أهله - وكنا قد آثرناه على الأهلين والأموال والأولاد - وقد وضعت الحرب أوزارها ، فنرجع إلى أهلينا وأولادنا فنقيم فيهم فنزل فينا: (وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ) (البقرة: من الآية١٩٥). فكانت التهلكة: الإقامة في الأهل والمال وترك الجهاد" .

كما أن في ترك الجهاد إضعافًا لعقيدة الولاء والبراء ؛ وذلك كما مر بنا سابقًا أن عقيدة الولاء والبراء تتناسب طردًا مع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله عز وجل ؛ فكلما ركن العبد عن الجهاد ضعفت عقيدة الولاء والبراء وأصابها الوهن ؛ وكفى بذلك خطرًا•

٢- بترك الجهاد يفشو الشرك والظلم ويعلو الكفر وأهله ويستعبد الناس بعضهم بعضًا ، ولا يخفى ما في ذلك من الشقاء والتعاسة والفساد الكبير على الناس قال الله تعالى: (وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ) (البقرة: من الآية٢٥١)، وقال تعالى: (وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ) (الحج: من الآية ٤٠).

"فلولا أن الله يدفع الكافرين بجهاد المؤمنين ، ويكبت الكفار ويذلهم لاعتلوا على المؤمنين ، وإذا اعتلى الكافر جعل الناس يعبدونه هو من دون الله سبحانه وتعالى ، وإذا عبد الناس من دون الله أحدًا فسدت حياتهم كلها ؛ لأن الحياة لا تستقيم إلا إذا سارت على المنهج الذي رسمه الله ؛ وهو المنهج الذي يحقق العبودية لله ، ويحقق الأخلاق الرفيعة والفضائل الحميدة للبشر ؛ فالذي رسم المنهج هو الله الذي خلق الحياة والأحياء العالم بما يصلحهم ، أما إذا اعتلى كافر على الأرض وشرع للناس من عند نفسه فإنه لا يعلم جميع الأمور ، وليس مبرأ من النقص والهوى ، ولا يعلم ما الذي يصلح النفس البشرية فيتخبط خبط عشواء ويفسد الحياة كما هو الحال اليوم ونظرة على الواقع الذي يعتلي فيه كافر كافية بتقرير هذه الحقيقة ، ولولا تخاذل المسلمين عن الجهاد الذي أمر الله به لصلحت حياة الناس الذين يحكمون بشرع الله لأجل هذا شرع رسول الله ﷺ الجهاد حتى مع الإمام الفاجر الذي لم يصل إلى درجة الكفر ؛ لأن بقاء الإسلام وأهله يحكمهم فاسق خير لهم من أن يحكمهم كافر يحكم بغير ما أنزل الله ؛ فإن الحكم بغير ما أنزل الله هو سبب فساد الأرض" .

٣- ترك الجهاد سبب للذل والهوان كما قال الرسول ﷺ: (لئن تركتم الجهاد وأخذتم بأذناب البقر وتبايعتم بالعينة ليلزمنكم الله مذلة في رقابكم لا تنفك عنكم حتى تتوبوا إلى الله وترجعوا إلى ما كنتم عليه) .

وهذا أمر مشاهد وبارز في عصرنا اليوم ؛ حيث تسلط الكفار على بلدان المسلمين ، وعاش المسلمون في مؤخرة الركب ؛ يأكل الكفار خيراتهم ، ويتدخلون في شؤونهم ، ويتسلطون عليهم بأنواع الذلة والمهانة ؛ وما ذاك إلا بتعطيل أحكام الله وترك الاحتكام إلى شرعه ، ومن ذلك تعطيل شعيرة الجهاد•

وإن الكفار لن يلتفتوا إلى حقوق المسلمين ويراجعوا حساباتهم ويكفوا شرهم بمجرد الإدانات والشجب والكلام الأجوف ، وإنما الذي يخيفهم ويجعلهم يكفون عن المسلمين وديارهم هو الجهاد في سبيل الله تعالى الذي فيه كبت للكفر وأهله ، وفيه إعزاز وكرامة للمسلمين•

وهذا أمر يشهد له التاريخ كما يشهد له الواقع ؛ فما من مكان علت فيه راية الجهاد إلا وشعر المسلمون فيه بالعزة ، وخاف أعداء الله الكفرة من تكبيرات المجاهدين وتضحياتهم .

"فإذا وجد إحساس لدى أمة ما بضرورة دفع الشر عن نفسها ، ضحت في سبيل ذلك براحتها ومتعها وثروتها ومالها ، وبشهواتها النفسية ، وبروحها وبكل عزيز لديها ؛ فإنها لا يمكن أبدًا أن تظل أمة ذليلة مستضعفة ، ولا يمكن لأية قوة مهما كانت أن تنال من عزتها أو شرفها ويجب أن تتصف الأمة الشريفة العزيزة بأن تخفض الرأس أمام الحق ، وأن تفضل الموت عن أن تخفض الرأس أمام الباطل ، وإذا لم تتوافر لها القوة لإعلاء كلمة الحق ومساعدة الحق فلا بد على أقل تقدير أن تعمل للحافظ على الحق بكل شدة وبكل صلابة ، وهذه أقل درجات الشرف" .

ويقول سيد قطب رحمه الله: "والذين يخشون العذاب والألم والاستشهاد وخسارة الأنفس والأولاد والأموال إذا هم جاهدوا في سبيل الله ، عليهم أن يتأملوا ماذا تكلفهم الدينونة لغير الله في الأنفس والأموال والأولاد ، وفوقها الأخلاق والأعراض إن تكاليف الجهاد في سبيل الله في وجه طواغيت الأرض كلها لن تكلفهم ما تكلفهم الدينونة لغير الله ؛ وفوق ذلك كله الذل والدنس والعار!" .

٤- وفي ترك الجهاد تفويت لمصالح عظيمة في الدنيا والآخرة ؛ منها الأجر العظيم الذي أعده الله تعالى للمجاهدين والشهداء في الآخرة ، ومنها الحياة العزيزة في الدنيا وإقامة شرع الله عز وجل ، والشهادة والغنائم والتربية الإيمانية التي لا تحصل إلا في أجواء الجهاد ومراغمة أعداء الله تعالى•

٥- إلقاء العداوة والفرقة بين المسلمين: وهذا أمر مشاهد ؛ فما من وقت تركت فيه الأمة الجهاد في سبيل الله عز وجل إلا انشغلت بنفسها ووجه المسلمون حرابهم إلى صدور إخوانهم وانشغل بعضهم ببعض•

ونظرة أخرى إلى واقعنا المعاصر وما جرى فيه من تعطيل لشرع الله عز وجل - ومن ذلك الجهاد في سبيل الله - ترينا كيف حلَّ بالمسلمين من الفرقة والتحزب والاختلاف بين المسلمين حيث انشغل بعضهم ببعض وما ذاك إلا من الانحراف عن المنهج الحق وتعطيل هذه الشعيرة العظيمة وما ترتب عليها من تسلط الكفار على بلاد المسلمين وتأجيجهم نار الخلاف والفرقة والتحريش بين المسلمين ، وهذه سنة الله عز وجل في كل من أعرض عن شرعه سبحانه ونسي حظًا مما ذكر به قال تعالى: (وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظّاً مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ) (المائدة:١٤)

اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا إتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا إجتنابه

وأكرمنا اللهم بالجهاد ، وألحقنا بركب الشهداء واستعملنا في طاعتك ومرضاتك

الباب الثانى

شبهات و ردود حول الجهاد

فى هذا الباب أخى الحبيب أعرض إليك شبهات أهل الزيغ و الضلال ، عبيد الحكام المرتدين ، كارهى ذروة سنام الإسلام ،دعاة الضلال و البهتان.

أولاً

حآجُّوهم بالإجماعات

كي لا تتفرع الشبهات ويتولد بعضها من بعضٍ ويضيع المرء في متاهات المناقشات الطويلة فينبغي الاستمساك أولاً بالمسائل المجمع عليها والتي نص عليها العلماء بعبارات واضحة فصيحة صريحة بحيث تبقى هي قطب الرحى التي عليها المدار ، فمهما طرح بعد ذلك من الإشكالات والاعتراضات فإنما هي مكمِّلات لا تنقض الأصل ولا تُبطِله ، وذلك لأن بعض من يتولى كبر اختلاق الشبهات وإثارتها يعمَد إلى بعض أخطاء المجاهدين الحقيقية أو الموهومة فيضخمها ويدندن حولها ويحاول جهده أن يعطِف كل أعمالهم عليها ويغمرها فيها ، ويظهرهم للناس في صورة سوداء قاتمة لا خير فيها بل هي الشرُّ كلّه والفساد كله ، ومرامه من ذلك الاعتراض بكل وسيلة لإبطال القيام بعبادة الجهاد تحتى دعوى عدم الجدوى ، أو أن إثمها أكبر من نفعها ، ثم أصبح الاتجاه العام للشبهات أخيراً هو التركيز على عدم الشرعية أصلاً ، خاصة فيما يتعلق بقتال الحكومات المرتدة المتسلطة على بلدان المسلمين ، لا سيما مع موجة شعارات الانفتاح والمصالحة والمصارحة والحوار وهي إحدى ثمرات الضربات التي تلقتها تلك الأنظمة المستبدة التي لم تكن تعرف إلا سياسة واحدة {مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ}[غافر/٢٩] ، ومثلها: {لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ}[الشعراء/٢٩] ولكن يأبى القوم إلا أن يجعلوا هذه (الحسنة) هي من خالص هبات وعطيات أولئك الطغاة العتاة التي أتحفوهم بها وأكرموهم بنوالها ، ونحن نقول لهم إن مجاملاتهم لكم لن تدوم ومسايراتهم لن تستمر ، فإنما هي طفرة عابرة اقتضتها ظروف طارئة فتكيفوا معها لطلب مصلحتهم هم لا مصالحتكم ، فهؤلاء المجرمون قد رضعوا النذالة والطغيان والبغي وتوارثوها فيما بينهم ، وشبت أنظمتهم وشابت على سياسات العتو والقهر والكبت ، والشجرة الخبيثة لا يقطع خبثها إلا اجتثاثها من الأرض فلا يبقى لها قرار ومحاولة تحسينها وتطييبها ضرب من العبث : {وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ}[إبراهيم/٢٦] ، فالحقيقة الكامنة في صدورهم والتي لا يجدون عنها فكاكاً هي ما ذكرها الله لنا في حق أمثالهم حيث يقول جل وعلا :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآَيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ * هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آَمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ}[آل عمران/١١٨ ، ١١٩].

فعلى الناصح لنفسه ولأمته أن يضع هذا الأمر نصب عينيه ولا ينخدع بدعاوى زائفة ، أو مظاهر خادعة ، أو سياسات كاذبة ، ولا يغريه انسياقهم وراء ظرفٍ عابرٍ لا يتوافق أبداً مع ما طبعت عليه نفوسهم ، فيتّخذه ملاذاً ويعدّه مفازاً فيتشبث به تشبث الغريق بالقشّة التي لن يزداد بها إلا رهقاً وغرقاً : {إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ}[الممتحنة/٢].

الإجماع الأول: اتفق العلماء قاطبةً على أنَّ مَن اتخذ له مرجعاً غير كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، يحلل به الحرام المجمع عليه ، أو يحرم به الحلال المجمع عليه ، فهو كافرٌ يجب قتاله حتى يرجع إلى الحق ويستسلم وينقاد ويذعن للدين الذي لا يقبل الله من المرء سواه ، وسواء سُمي ذلك المرجعُ قانوناً ، أو دستوراً ، أو نظاماً ، أو عرفاً ، أو عادةً ، أو مرسوماً ، أو ياسقاً ، أو غيرها ، فكلُ ذلك في الحُكم سواء ، فالعبرة في شرعنا بالحقائق والمسميات لا بالرسوم والأسماء ، وسواء كان ذلك المرجعُ عالمياً أو إقليمياً أو محلياً أو قبلياً ، ففي كل هذه الحالات لا يخرج عن كونه حكماً جاهلياً بنص القرآن ووصفه كما قال أحكم الحاكمين: {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ}[المائدة/٥٠] ، فلا طريق إلى التلفيق والتوفيق فإما حكم الله الذي أوحاه لنبيه ﷺ وإما حكم الجاهلية الجهلاء مهما ازَّينت وتبخترت وتطوَّرت.

قال العلامة الإمام ابن كثيرٍ رحمه الله : [ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المُحكَم المشتمل على كل خيرٍ ، الناهي عن كل شر وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات ، التي وضعها الرجال بلا مستندٍ من شريعة الله ، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات ، مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم ، وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم جنكزخان ، الذي وضع لهم اليَساق وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها عن شرائع شتى ، من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية ، وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه ، فصارت في بنيه شرعًا متبعًا ، يقدمونها على الحكم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ. ومن فعل ذلك منهم فهو كافر يجب قتاله ، حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله ﷺ فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير](تفسير ابن كثير : ٣ / ١٣١).

وقال -رحمه الله- بعدما نقل نُتفاً مما جاء في ياسق جنكزخان من القوانين : [وفي ذلك كله مخالفة لشرائع الله المنزلة على عباده الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، فمن ترك الشرع المحكم المنزل على مُحَّد بن عبد الله خاتم الأنبياء وتحاكم إلى غيره من الشرائع المنسوخة كفر ، فكيف بمن تحاكم إلى الياسا وقدمها عليه ؟ من فعل ذلك كفر بإجماع المسلمين.](البداية والنهاية: ١٣ / ١٣٩).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله- : [والإنسان متى حلل الحرام - المجمع عليه - أو حرم الحلال - المجمع عليه - أو بدل الشرع - المجمع عليه - كان كافراً مرتداً باتفاق الفقهاء](مجموع الفتاوى:٣ / ٢٦٧).

ولا شك أن الدساتير (المحلية والعالمية) التي تساس بها الدول وتتحاكم إليها وتتخذها مرجعاً لفض منازعاتها قد وضعها الواضعون بمجرد نظرهم وأهوائهم فصارت فيما بينهم شرعاً متبعاً حتى سمَّوه هم أنفسهم (بالشرعية الدولية) ، وأصبحت تلك الشرعية معياراً على الالتزام والتمسك والانقياد لقوانينهم فتراهم يصفون بعض الدول بأنها خارجة عن الشرعية الدولية ، أو مناقضة للشرعية الدولية ، أو مخالفة للشرعية الدولية وهلم جرا من الأوصاف التي تدل على أن تلك الشرعية صارت هي الميزان والأصل الذي تُقوَّم به سياسات الدول ، ومع ذلك فتراهم بين الحين والحين يغيّرون ويبدلون ، ويؤصِّلون وينقضون ، وتسمع من داخلهم أيضاً صيحاتٍ تنادي بتغيير الدستور أو إصلاحه ، ولو كان شرعاً مُحكماً و ديناً قيماً لما تجرأ أحدٌ –مهما كان- بأن يدعو إلى تغييره أو تبديله أو همزه ولمزه ، فلهم دينهم ولنا ديننا ، ولهم دستورهم ولنا كتابنا الذي :{لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ

مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ}[فصلت/٤٢] ، ولهم شرائعهم وأهواؤهم ولنا شريعتنا التي أوحاها الله لنبيه ﷺ وقال له فيها : {ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (١٨) إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ}[الجاثية/١٨ ، ١٩].
ومِن عجائب القوم التي تكشف لك هشاشة الأفهام واستحسانها الباطل بمجرد الأوهام ، كما أنها تُظهر مدى تأثير الأسماء في ترويج الباطل وتسويقه وعدم الشعور بشناعته بل ربما تقود إلى استملاحه والدعوة إليه: أنك لو افترضت لهم دولةً من (الدول الإسلامية) القائمة اليوم قد ارتضت صراحةً بأن يكون قانونها (دستورها) هو التوراة أو الإنجيل أوالزبور لمَادت الأرض بمن فيها استنكاراً واستعظاماً واستعاذةً من شر هذا الكفر الأكبر المستبين! ، ولأطبق الناس أجمعون أكتعون أبتعون عالمهم وجاهلهم خواصُّهم وعوامهم على كفر الداعي لذلك والراضي به والمدافع عنه من غير ترددٍ ، هذا مع أن التوراة والإنجيل في أصلها كتبٌ منزلةٌ من عند الله على رسولين من أولي العزم من الرسل عليهم الصلاة والسلام وإنما حرَّفها المحرِّفون (بمجرد نظرهم وأهوائهم) ليشتروا به ثمناً قليلاً ، ولا يزال فيها شيءٌ مما أقره القرآن أو صدَّقه ، هذا في الوقت الذي تجد فيه كثيراً من الدعاة المرموقين وحركات إسلامية تنادي بتحكيم الدساتير الوضعية أو التحاكم إليها عند الخصام والتي لا يشك شاكٌّ أن قوانينها وبنودها قد وُضعت تبعاً للأهواء وتلبية للشهوات ، ومِن إناسٍ لا علم لهم لا بدينٍ ولا شريعةٍ ولا حلالٍ ولا حرامٍ فهم لم يستحقوا حتى صفة الأحبار والرهبان بل تجدهم أجهل الجهلاء وأسفه السفهاء ، وما يتشدقون به من المعارف والعلوم فإنه لا يغني من الحق شيئاً : {يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ}[الروم/٧].
فقطعاً لا تمت تلك الدساتير إلى الشرع والدين بصلةٍ ، وما مزجت به من بعض أحكام الملة الإسلامية فهو على طريقة الياسق التي سبقهم إليها عبقري الياسقات ومبتكرها جنكيزخان! ، فهم وإن كانوا في القرن الحادي والعشرين إلا أنهم لم يأتوا بجديدٍ سوى تطور المزج والخلط تبعاً لتشعّب الأهواء وسُعار الشهوات ، وقد أشار الإمام ابن كثيرٍ رحمه الله إلى هذا المعنى فيما نقلته أعلاه بقوله :(وتحاكم إلى غيره من الشرائع المنسوخة كفر ، فكيف بمن تحاكم إلى الياسا وقدمها عليه)أهـ. ونحن نقول فكيف بمن تحاكم إلى الدساتير الوضعية وقدّمها على شريعة الرحمن ؟!

والمجاهدون حينما يتكلمون عن كفر هذه الدول المحللة للحرام المجمع عليه والمحرمة للحلال المجمع عليه ليسوا هم أولَ من يطرق هذه المسألة كما أنهم لم يختصوا بالحديث عنها فما زالت كتب العلماء المعاصرين شاهدةً ناطقةً بما يسيرون عليه ، إلا أن البعض لمَّا طال عليهم الأمد ، ورأوا أن هذه الدول قد استحكم أمرها وتمكَّن شرُّها ، وألف الناس حالها ، بدأوا يبحثون عن مخارجَ (شرعية) تعيد لهذه الأنظمة شرعيتها حتى يُعفوا أنفسهم من قول كلمة الحق المُرَّة التي تواجه الباطلَ بما فيه فبدأ جيش الشبهات يزحف على هذا الأمر المقطوع به المجمع عليه ليُدْخَل دائرة التشكيك والمناقشات والأخذ والرد:

كناطح صخرة يوماً ليوهنها ...فلم يضرها وأوهى قرنه الوعِلُ.

قال العلامة أحمد شاكر –رحمه الله- معلقاً على كلام الإمام ابن كثير –رحمه الله- :[أفرأيتم هذا الوصف القوي من الحافظ ابن كثير –في القرن الثامن- لذاك القانون الوضعي الذي صنعه عدو الإسلام جنكزخان ؟ ألستم ترونه يصف حال المسلمين في هذا العصر ، وفي القرن الرابع عشر ؟ إلا في فرق واحد أشرنا إليه آنفا: أن ذلك كان في طبقة خاصة من الحكام. أتى عليها الزمن سريعا ، فاندمجت في الأمة الإسلامية وزال أثر ما صنعت.
ثم كان المسلمون الآن أسوأ حالا وأشد ظلما وظلاما منهم. لأن أكثر الأمم الإسلامية الآن تندمج في هذه القوانين المخالفة للشريعة ، والتي هي أشبه شيء بذاك "الياسق" الذي اصطنعه رجل كافر ظاهر الكفر. هذه القوانين التي يصطنعها ناس ينتسبون للإسلام ، ثم يتعلمها أبناء المسلمين ويفخرون بذلك آباء وأبناء ، ثم يجعلون مرد أمرهم إلى معتنقي هذا "الياسق العصري"! ويحقرون من يخالفهم في ذلك ، ويسمون من يدعوهم إلى الاستمساك بدينهم وشريعتهم "رجعياً" و "جامداً" إلى مثل ذلك من الألفاظ البذيئة.

بل إنهم أدخلوا أيديهم فيما بقي من الحكم من التشريع الإسلامي ، يريدون تحويله إلى "ياسقهم الجديد" ، بالهوينا واللين تارة ، وبالمكر والخديعة تارة ، وبما ملكت أيديهم من السلطات تارات ، ويصرحون –ولا يستحيون- بأنهم يعملون على فصل الدين عن الدولة!!
....إن الأمر في هذه القوانين الوضعية واضح وضوح الشمس ، هي كفر بواح ، لا خفاء فيه ولا مداورة ، ولا عذر لأحد ممن ينتسبون للإسلام –كائنا من كان- في العمل بها أو الخضوع لها أو إقرارها. فليحذر امرؤ لنفسه و "كل امرئ حسيب نفسه"](عمدة التفسير: ٦٩٧/١).

وقال العلامة مُحَمَّد الأمين الشنقيطي –رحمه الله - : [فليعلم كل إنسان أن للشيطان مذهبا وقانونا وشرعا وضعه على ألسنة أوليائه من مردة الإنس ، ولخالق السماوات والأرض نظاما وشرعا: نورا منزلا من السماء شرعه على على ألسنة أوليائه ، فالذين يعدلون عن نور الله الذي شرعه على ألسنة أوليائه إلى تشريع الشيطان الذي شرعه على ألسنة أوليائه داخلون في قوله : "قد استكثرتم من الإنس" ، وداخلون في قوله " ولقد أضل منكم جبلا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون" سواء سموا ذلك قانونا ، أو سموه نظاما ، أو تشريعا ؛ لأن خالق السماوات والأرض لا يقبل أن يعبد إلا بما شرع ؛ لأنه ملك الملوك لا يقبل غير شرعه وتشريعه كما قال: "أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله" ، "قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراماً وحلالا قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون" ، فالحلال ما أحله الله ، والحرام ما حرمه الله ، والدين ما شرعه الله ، وكل من يتبع نظاما شيطانيا وضعه الشيطان على مردة شياطين الإنس من أوليائه فإنه يوم القيامة صائر إلى النار داخل في قوله: "ولقد أضل منكم جبلا كثيرا" ، وفي قوله : "يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس"...فكل تشريع غير تشريع الله ، وكل نظام غير نظام السماء الذي يمشي عليه كأنه يقول: تشريع خالق السماوات والأرض أفضل منه تشريع غيره!! فهو ينزل درجة الخالق –جل وعلا ، سبحانه عن ذلك وتعالى علوا كبيرا- إلى أن أوضاعا ملفقة من أذهان الكفرة الفجرة الخنازير أنه أحسن من تشريع الله!! ولذا يعدلون عن نور القرآن والسنة النبوية الصحيحة إلى ما يسمونه قانونا ونظاما وضعه أبناء الكلاب القردة الخنازير من اجتهاداتهم ، تارة يحرمون ما أحل الله صريحا ، ويحللون ما حرم الله صريحا ، يزعمون أن الهدى في هذا!! هذا –والعياذ بالله- من أشنع الكفر والطغيان على الله ، والتمرد على نظام السماء ، واحتقار الخالق- جلا وعلا- حيث كان تشريعه لا ينفع ، وتشريع غيره من سفلة الخنازير أحسن من تشريعه!! وهذا

إنما وقع والعياذ بالله- بسبب طمس البصيرة ؛ لأن نور البصيرة إذا طمس من قلب الإنسان صار يرى الباطل حقا ، والحق باطلا ، والحسن قبيحاً ، والقبيح حسناً ، والذين يعدلون عن نور الله يطلبون النور في تشريع المخلوقين هم في الحقيقة –بالكلمة التي هي بمعنى الحرف الصحيح- هم خفافيش البصائر ، أعماهم ضوء القرآن فصاروا يطلبون الضياء في ظلام أفكار الكفرة الفجرة](العذب النمير : ٢/٦٣٧).

وقال العلامة أحمد شاكر –رحمه الله- بعدما ذكر صورا من مناقضة القوانين الوضعية لبعض قطعيات الإسلام مناقضة باتة: [وكل هذه الأشياء وأمثالها تحليل لما حرم الله ، واستهانة بحدود الله ، وإنفلات من الإسلام ، وكلها حرب على عقائد المسلمين ، وكله تعطيل لفروض الدين]اهـ.

وكلام العلماء في هذه المسألة المقطوع بها كثيرٌ وفيرٌ.

فهل يستطيع أحدٌ القول بأن دستور ليبيا ، أو الجزائر ، أو تونس ، أو موريتانيا ، أو المغرب ، أو مصر ، أو اليمن وغيرها هو دستورٌ قائمٌ على كتاب الله وسنة نبيه الصحيحة ، فيجب على العباد اتباعه والاستسلام له والإقرار به ؟ أم أن جميعها (ياسقات عصرية) استحسنتها عقولٌ فاسدة كاسدة ، واستوردتها من أفكار الكلاب القردة الخنازير –كما وصفهم الشنقيطي- ثم فرضوها على العباد فحللوا بها الحرام ، وحرموا بها الحلال وبدَّلوا بها الدين ونقضوا بها الشرائع ؟!!

ثم لو فرضنا جدلاً أن تلك الدساتير المكتوبة قد دوّنت جميع حروفها وسطّرت أسطرها بما يتطابق مع الشرع الإسلامي الحنيف ثم غلِّف ذلك الدستور بأفخر أردية الحرير ، وصِينَ في صناديق من ذهبٍ ، وبخِّر وطيب آناء الليل وأطراف النهار بأجود أنواع الطيب ، ولا يمسه إلا المتطهرون ، وبقيت الدولة تفتخر به وتظهر قداسته وفخامتَه ، إلا أن الواقع الذي يراه الناس ويعيشونه ويتعاملون معه في حياتهم العامة منسلخٌ انسلاخاً تاماً عن دين الإسلام ومناقضٌ مناقضةً جليةً لبنود (الدستور المقدَّس) ، وسياسة الحكومات المتعاقبة على تلك الدول المقدّسة لذلك الدستور جارية على الأهواء ومحاربة الدين وتدمير عقائد المسلمين وهدم أخلاقهم عبر وسائل الإعلام ومناهج التعليم وجنود القمع ، وتسليط الكفرة الفجرة على أهل الحق يسومونهم سوء العذاب ، وتعلن صراحة ولاءها لدول الكفر وتمارس ذلك الولاء عملياً بصورٍ شتى ، ولا تجدها عند المواقف إلا في عدوة أعداء الله تعالى ، فماذا يغني بعد هذا كله التفاخر بذلك الدستور ، وماذا سيستفيد المسلمون المقهورن المشردون من تقديس ذلك الدستور ، وهل يخرج ذلك عن كونه استهزاء بالشرع واستخفافاً بعقول الناس وإهداراً لجهود المخلصين ليقضوا أعمارهم النفيسة في المطالبة بتطبيق الدستور ، فتدهمهم وتدهم جماعاتهم الشيخوخةُ والهرم ويكونون حَرَضاً وهم لا يزالون يطالبون بتطبيق الدستور!! ، وأكبر مكسبٍ يفتخرون به ويعدونه النصر المؤزر وفتح الفتوح يومَ أن يثبتوا (عبر القنوات الرسمية) أن الحكومة في موقف من مواقفها أو سياسة من سياساتها قد خالفت ما نصَّ عليه الدستور ، ولسان حال تلك الحكومة يقول لهم: فليكن ذلك ثم كان ماذا ؟

ولا تجدهم يتجرأون ليقولوا إن الحكومة في سياساتها ومواقفها وعلاقاتها قد خالفت نصوص القرآن القطعية ، أو ناقضت أحاديث النبي ﷺ الصحيحة الصريحة ، وهذا مما يبين لك أن الدعوة صارت في كثير من أحايينها دعوة دستورية وليست دعوة ربانية تريد إخراج الناس من الظلمات إلى النور ومن الضلال إلى الهدى ، وإلا فَلِمَ سلوك هذه الطريق الطويلة العوجاء في دعوة الناس ، ولِمَ لا ندعوهم صراحة إلى تحكيم الشرع والرجوع إلى مصادره المعروفة بأسمائها عند جميع المسلمين (كتاب الله وسنة نبيه ﷺ) وقد قال تعالى : {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا}[الإسراء/٩].

ومنذ قرابة القرن كتب العلامة أحمد شاكر –رحمه الله- رسالته المعروفة (الكتاب والسنة يجب أن يكونا مصدر القوانين في مصر) وذكر تسلسل تسلل تلك القوانين اللعينة إلى بلاد المسلمين وكيف مسخت العقول وطمست الهوية وأنتكست معها الفطر ، وحذر أشد التحذير من مغبة استمرار استيرادها وفرضها ، وأن ذلك مدعاة إلى اقتلاع الإسلام من بلاد المسلمين ، ومع هذا فلم تجد دعواته وصرخاته آذانا صاغية ولا قلوبا واعية ، فما ازداد عباد تلك القوانين والمفتونون بها إلا صَلفاً حتى أغرقوا بها البلاد وصلوا بجحيمها العباد ، فكان مما قاله في رسالته :[إن هذه القوانين الأجنبية كادت تقضي على ما بقي في أمتكم من دين وخلق ، فأبيحت الأعراض ، وسفكت الدماء. لم تنه فاسقا ، ولم تزجر مجرما ، حتى اكتظت السجون ، وصارت مدارس لإخراج زعماء المجرمين .ونزعت من الناس الغيرة والرجولة ، وأمتلأ البلد بالمراقص والمواخير ، وشاع الاختلاط بين الرجال والنساء ، حتى لا مزدجر .وصرتم ترون ما ترون ، وتقرؤون ما تقرؤون في الصحف والمجلات والكتب بما يسرت من سبل الشهوات وبما حمت من الإباحية السافرة المستهترة وبما نزعت من القلوب الإيمان حتى صار المنكر معروفاً والمعروف منكرا]اهـ فكيف لو رأى ما وصلت إليه بلاد المسلمين اليوم ولا حول ولا قوة إلا بالله.

<u>**الإجماع الثاني :**</u> اتفق العلماء قاطبةً على أن الولاية لا تنعقد لكافرٍ ، وأنه لو طرأ على الإمام كفرٌ انعزل به ووجب الخروج عليه وخلعه عند الاستطاعة.

قال الإمام ابن المنذر -رحمه الله- : [أجمع كل من يحفظ عنه من أهل العلم أن الكافر لا ولاية له على مسلم بحال](أحكام أهل الذمة : ٢/ ٤١٤)

وقال الإمام النووي –رحمه الله- : [قَالَ الْقَاضِي عِيَاض : أَجْمَعَ الْعُلَمَاء عَلَى أَنَّ الْإِمَامَة لَا تَنْعَقِد لِكَافِرٍ ، وَعَلَى أَنَّهُ لَوْ طَرَأَ عَلَيْهِ الْكُفْر اِنْعَزَلَ ، قَالَ : وَكَذَا لَوْ تَرَكَ إِقَامَة الصَّلَوَات وَالدُّعَاء إِلَيْهَا ... قَالَ الْقَاضِي : فَلَوْ طَرَأَ عَلَيْهِ كُفْر وَتَغْيِير لِلشَّرْعِ أَوْ بِدْعَة خَرَجَ عَنْ حُكْم الْوِلَايَة ، وَسَقَطَتْ طَاعَته ، وَوَجَبَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ الْقِيَام عَلَيْهِ وَخَلْعه وَنَصْب إِمَام عَادِل إِنْ أَمْكَنَهُمْ ذَلِكَ ، فَإِنْ لَمْ يَقَع ذَلِكَ إِلَّا لِطَائِفَةٍ وَجَبَ عَلَيْهِمْ الْقِيَام بِخَلْعِ الْكَافِر ، وَلَا يَجِب فِي الْمُبْتَدِع إِلَّا إِذَا ظَنُّوا الْقُدْرَة عَلَيْهِ ، فَإِنْ تَحَقَّقُوا الْعَجْز لَمْ يَجِب الْقِيَام ، وَلْيُهَاجِرْ الْمُسْلِم عَنْ أَرْضه إِلَى غَيْرهَا ، وَيَفِرّ بِدِينِهِ](شرح النووي على مسلم : ٦ / ٣١٤).

وقال العلامة الملا علي القاري –رحمه الله- : [وأجمعوا على أن الإمامة لا تنعقد لكافر ولو طرأ عليه الكفر انعزل وكذا لو ترك إقامة الصلوات والدعاء إليها وكذا البدعة..](مرقاة المفاتيح : ١١ / ٣٠٣) ، ثم نقل كلام القاضي المذكور آنفاً.

وكلام هؤلاء الأئمة يتضمن أمرين : الأول : أن انعزال الحاكم عن ولايته يحصل بمجرد طروء الكفر عليه ، بمعنى أن صفة الولاية الشرعية تنتزع منه مباشرة بمجرد اتصافه بالكفر البواح وتلبسه به ، ومن آثار ذلك الانعزال أن لا يبقى في أعناق الناس شيءٌ من حقوق الولاة عليهم ، فلا ولاية ، ولا بيعة ، ولا سمع ولا طاعة ، ولا يمضي له عقد ، ولا يُلزِم الناسَ بعهدٍ ، فيكون في وادٍ والناس في واد ، فيتعامل المسلمون فيما بينهم وكأنه معدومٌ ، وعليه فوجود الشوكة والقوة والتمكين وتقادم العهد وتسيير الأمور واستقرار الأحوال وبسط اليد وإدارة البلاد من قِبل الحاكم الكافر لا يجعله بذلك والياً شرعياً ؛ والعلماء متفقون على أن الإسلام من شروط الإمامة العظمى ، فمن خلعه انخلع ؛ لأن ثوب الولاية المعتبرة قد نُزع منه بوقوعه في الكفر البين ، وهذا ما يدل عليه تعبير الأئمة السابق بقولهم (انعزل) وبقولهم (خرج عن حكم الولاية ، وسقطت طاعته) ، فالولاية الشرعية والكفر لا يجتمعان في شخص ، وكما قال إمام الحرمين –رحمه الله- : [الإسلام هو الأصل والعصام فلو فرض انسلال الإمام عن الدين لم يخفَ انخلاعه وارتفاع منصبه وانقطاعه](غياث الأمم : ١ /٧٥) ، والإسلام يأمر بمقاتلة الكفَّار والبراءة منهم ويحث على إبداء العداوة والبغضاء لهم وينهى عن طاعتهم ويحض على تحقيرهم والغلظة عليهم ، فكيف يأمر بعد هذا كله بقبولهم أولياء يأمرون وينهون ، ويوقرون ويعظمون ؟!!!

وهذا يبين لك ما يزل فيه كثيرٌ من الناس المفتونين بثقافة الغرب والمتضلعين من أفكاره والمقتفين لآثاره وبعض ما جاراهم من الإسلاميين من وصفهم لِمن خلع ربقة الإسلام من عنقه من الحكام الكفرة بأنهم الرؤساء الشرعيون ، أو أنهم وصلوا إلى الحكم بطريقة شرعية ، أو هم ولاة الأمر المعتبرون ، أو أنهم استحقوا هذا المنصب باختيار الشعب ، أو لاعتراف (المجتمع الدولي) بهم ، وغير ذلك من الأوصاف التي تدل على إثبات صفة الشرعية لهم وهي التي نزعت منهم ورفعت عنهم من حين وقوعهم في الكفر الأكبر المستبين.

ففرقٌ بين العزل والانعزال ، فالأول يقتضي تكلفاً وعملاً واجتهاداً من قبل المسلمين لإزاحة الحاكم الكافر من منصبه وإقصائه عن ولايته فلا تبقى له يدٌ في إدارتها وتسييرها وفعله متعدٍ ، وأما الانعزال فمن معانيه عدم بقاء الصفة الشرعية للولاية في حق الكافر المتغلب ، بمعنى أنه لم يعد والياً –ولو مع وجوده وقوته وتمكنه- يستحق شيئاً من حقوق الولاية ، لأن المعدوم شرعاً كالمعدوم حساً وفعله فعل مطاوعة لازم.

الثاني : وهو ما يترتب على هذا (الانعدام الشرعي) أو الانعزال الذي حصل للمتولي الكافر ، وذلك وجوب القيام عليه وخلعه وتنصيب إمامٍ للمسلمين يقوم مقامه وهو ما عبر عنه الأئمة بقولهم فيما نقلناه آنفاً : (وَوَجَبَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ الْقِيَام عَلَيْهِ ، وَخَلْعه وَنَصْب إِمَام عَادِل) ، فهذا الحكم الشرعي مبنيٌ ومعلَّلٌ بالأمر الأول وهو وقوع الحاكم في الكفر.

ومعلومٌ أن الأئمة متفقون على وجوب تنصيب إمام للمسلمين يأمن سبلهم ويحفظ بيضتهم ويقيم فيهم أحكام الملة ، كما قال الإمام القرطبي –رحمه الله- عند قول الله تعالى : {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً} [البقرة/٣٠] قال :[هذه الآية أصل في نصب إمام وخليفة يسمع له ويطاع ، لتجتمع به الكلمة ، وتنفذ به أحكام الخليفة. ولا خلاف في وجوب ذلك بين الأمة ولا بين الأئمة إلا ما روي عن الأصم حيث كان عن الشريعة أصم ، وكذلك كل من قال بقوله واتبعه على رأيه ومذهبه](تفسير القرطبي : ١ / ٢٦٤).

وهذا الحكم يتأكد إن كان منصب الإمامة قد تغلب عليه حاكمٌ كافرٌ وذلك لعظم المفسدة التي تترتب على بقائه وتحكمه ، ففرقٌ بين شغور منصب الإمامة شغوراً حقيقياً لعدم مَن يقوم عليه وبين أن يسدَّه رجلٌ كافرٌ محادٌّ لله ولرسوله ، فإن ضرر الثاني على المسلمين أشد وفساده أكبر لدعوته الناس إلى الكفر ترغيباً وترهيباً ، وحسده للمؤمنين على ما آتاهم الله من فضله كما قال تعالى : {مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} [البقرة/١٠٥] ، وقال عز وجل : {وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ}[البقرة/١٠٩] ، وقال سبحانه وتعالى : {وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً}[النساء/٨٩] ، وقال عز من قائل : {إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ}[الممتحنة/٢].

ويزداد الحكم تأكداً حينما يكون هذا الحاكم الكافر مرتداً ، وذلك لأن المرتد أعظم كفراً من الكافر الأصلي بإجماع العلماء ، ولذلك تغلظت العقوبة في حقه.

ومبنى إجماع وجوب خلع الحاكم الكافر هو حديث النبي ﷺ ، فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : [بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى أثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم]رواه البخاري ، ومسلم ، وغيرهما.

قال الإمام ابن حجر –رحمه الله- : [وملخصه أنه ينعزل بالكفر إجماعاً ، فيجب على كل مسلم القيام في ذلك ، فمن قوي على ذلك فله الثواب ، ومن داهن فعليه الإثم ، ومن عجز وجبت عليه الهجرة من تلك الأرض](فتح الباري : ١٣/١٢٣).

هذا هو إذاً حكمُ الشرع في حق الحاكم إذا كفر ، أو الكافر إذا تغلَّب وصارت مقاليد بلاد المسلمين بيده ، ولينظر المنصف في حال الحكام المتغلبين على ديار الإسلام ، والذين طالت محنة الإسلام والمسلمين بسيطرتهم ، وهم الذين جعلوا أنفسهم أرباباً يشرِّعون ويحللون ويحرمون ، هذا مع انسلاخهم عن كل أو أغلب الصفات التي اشترطها العلماء في حق إمام المسلمين.

ثم ماذا يستفيد الإسلام والمسلمون من رجلٍ تسمى باسم عبد الله أو مُحَمَّد أو معمر أو حسني أو الحسن أو الحسين وهو صَلْعَمَةُ بنُ قَلْعَمَة (أي مجهول لا يعرف) لُكَع أحمق أخرق مجرم سفاحٌ غشومٌ ظلومٌ يصبح ويمسي وهو للكفرة خاشع خاضعٌ راكعٌ ولأهل الدين ممقتٌ مقتِّل منكِّلٌ مشرد ، وللدين مبغضٌ مفسدٌ محاربٌ معطِّلٌ مُهِينٌ ؟!!

وهل كُتب على الأجيال أن تفني أعمارها وهي بين الانتظار والاحتضار والتربص والتصبر ؟ وأن تعيش تحت كبت الجاهلية ، وجحيم القوانين الإجرامية ، والاستسلام للمتجبرين الذي لم يدخروا وسيلة من وسائل الاستذلال والإخضاع إلا جربوها ؟ ومَن الذي قال إن أبناء أمة الإسلام المعتزّين بالله قد ضربت عليهم الذلة والمسكنة أينما ثقفوا ، وأن يتسلط عليهم من يسومهم سوء العذاب إلى يوم القيامة ، وأن عليهم أن يتهيوا في الأرض كلَّ أعمارهم ليبحثوا لهم عن ملجأ ومأمن يمُن به عليهم أعداؤهم في بلاد الغرب الكافر ويذروا بلادهم الإسلامية تصطلي بسعير الخوف والرعب والإجرام والتنكيل الذي يمارسه بدقة وعناية وإتقان وإصرار وحقد (ولاة الأمر!!).

ثم أعيد هنا ما ذكرته في بعض الأبحاث السابقة ، وهو أن المعركة بين المجاهدين وبين هؤلاء المرتدين ليست محصورة في مسألة الخروج على الحاكم الكافر ، فهذا –فيما أرى- تسطيح لهذه القضية المعاصرة الكبرى وحَيْدَةٌ بها إلى نقاشات جزئية تأكل الأوقات والأوراق دون أن تكون علاجاً حقيقياً للمسألة ، فإن هؤلاء الحكام قد تبدّل كثير منهم أو مات أوقتل إلا أن حال أنظمتهم وسياساتهم باقية على أساس تمرّدها على الله وشرعه ومحاربتها لدينه وعباده ، بل لا يذهب طاغية إلا ويأتي من هو شرٌّ منه ، وذلك لأن أصول تلك الدول وقواعدها وقوانينها راسخة في الكفر ضاربة في أعماقه وما على الحاكم الجديد الذي يلجها بانقلاب أو توريث أو انتخابات إلا أن يسير عليها ويلتزم بها ، وإن حصل تغيير فهو شكليٌّ يلبي طموحات الهوى الجديد ، وتجديد الهوى ، ولا علاقة للإسلام به ، وعليه فإن المعركة الحقيقية عند النظر إنما هي ضد هذا الواقع المتمرد على الله القائم على المشاقة للحقّ المبني أصلاً على أساس الكفر ، فسواء جاء حاكمٌ أو ذهب آخر فإن هذا لا يغير شيئاً ما دامت تلك الأنظمة باقية حاكمةً ، ومؤسساتها راسخةً قائمة ، فالواجب هو الخروج على هذا الحكم الكافر واقتلاعه من جذوره واجتثاثه من أصوله وليس فقط الخروج على الحاكم الكافر ، ومن هنا فلا أرى اليوم وبالنظر إلى واقع بلدان المسلمين كبير فائدة في نقاشات مسألة حكم الخروج على هؤلاء الحكام وهل هم كفروا أم لا ، فإن ذلك لا ينفع المسلمين كثيراً ؛ لأنهم ليسوا فقط محتاجين إلى حاكمٍ مسلمٍ وإنما هم بحاجة إلى حكم الإسلام والذي لا سبيل إليه إلا باستئصال شجرة الكفر الخبيثة التي تتغذى منها تلك الدول ، وهؤلاء الحكام لم يكفروا بتلبسهم بناقضٍ واحدٍ من نواقض الإسلام ولم يرتكبوا ما ارتكبوا من الكفر عن تأويلٍ قاصدين الحق فخانهم الفهم بل هم أصلاً ما حكموا إلا ليكونوا حرباً على الإسلام وما أقاموا دولهم العلمانية إلا ليحولوا بها بين الشعوب ودولتهم الإسلامية ، فهم في حقيقة أمرهم استعمارٌ متمكنٌ على رقاب العباد يمارس نفس ما كان يمارسه الاستعمار الغربي السافر حذو القذة بالقذة.

وإنه لمن الأجحاف حقاً بهذه المسألة العظيمة التي هي انقلابٌ تامٌ على الإسلام ، واتباع سبل متقنة وسياسات مرسومة للقضاء عليه وإخراج أهله منه أن نختزلها في نقاشات فرعية نصبح معها كأننا نسبح في الهواء بعيدين كل البعد عن الواقع العاتي الذي ينطق لسانه في كل جهةٍ برفضه للدين وإبائه لأحكامه واعتراضه على شرائعه وقبوله واستبشاره واستماتته في اعتناق وترسيخ وتحكيم شرائع الكفر في ثوب (دين جديد) ثم نظن أننا بذلك نحسن صنعاً ونسير على (منهج السلف) الذين نظلمهم ونسيء إليهم بنسبة هذا التضليل الوبيل إليهم وهم منه براء ، وقد أحسن العلامة الأديب المحققّ محمود شاكر –طيب الله ثراه– حينما تنبه لهذه النكتة فقال : (فلم يكن سؤالهم عما احتج به مبتدعة زماننا ، من القضاء في الأموال والأعراض والدماء بقانون مخالف لشريعة أهل الإسلام ، ولا في إصدار قانون ملزم لأهل الإسلام ، بالاحتكام إلى حكم غير الله في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ ، فهذا الفعل إعراض عن حكم الله ، ورغبة عن دينه وإيثار لأحكام أهل الكفر على حكم الله سبحانه وتعالى ، وهذا كفر لا يشك أحد من أهل القبلة على اختلافهم في تكفير القائل به والداعي إليه.

والذي نحن فيه اليوم هو هجر لأحكام الله عامة بلا استثناء ، وإيثار حكم غير حكمه في كتابه وسنة نبيه ، وتعطيل لكل ما في شريعة الله ، بل بلغ الأمر مبلغ الاحتجاج على تفضيل أحكام القانون الموضوع على أحكام الله المنزلة ، وإدعاء المحتجين بذلك بأن أحكام الشريعة إنما نزلت لزمان غير زماننا ، ولعلل وأسباب انقضت فسقطت الأحكام كلها بانقضائها.)اهـ

وتأمل قوله : (وهذا كفر لا يشك أحد من أهل القبلة على اختلافهم في تكفير القائل به والداعي إليه)اهـ

فلم يطل العهد حتى انتُقِضت العُرى وخَرَقَ هذا الإجماعَ الذي يشمل جميع أهل القبلة عصابةٌ مِمن انتحلوا العِلم وأتقنوا إرجاع المحكمات إلى المتشابهات وضرب الآيات بعضها ببعضٍ فأدخلوا هذه المسألة المقطوع بحكمها شرعاً في دائرة ما يسعُ فيه الخلاف ولم يقفوا عند هذا حتى شنوا حملة التشنيع على من خالفهم في زيغهم بل ربما تجرأ بعضهم وادّعى أن الإجماع على ما ذهب إليه من التخرصات الهابطة.

<u>**الإجماع الثالث :**</u> أجمع العلماء قاطبةً على أن أي طائفةٍ من الطوائف امتنعت عن شريعةٍ واحدةٍ من شرائع الإسلام الظاهرة المتواترة ، فإنه يجب قتالها ، ولا يمنعُ من ذلك نطقها بالشهادتين.

وهي مسألة معروفة مشهورةٌ ، وكلام العلماء فيها كثيرٌ ، فمن ذلك قول شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله- : [ويجوز بل يجب بإجماع المسلمين قتال كل طائفة ممتنعة عن شريعة من شرائع الإسلام الظاهرة المتواترة مثل الطائفة الممتنعة عن إقامة الصلوات الخمس ، أو عن أداء الزكاة ، أو عن الصيام المفروض ، ومثل من لا يمتنع عن سفك دماء المسلمين ، وأخذ أموالهم بالباطل ، ومثل ذوي الشوكة المقيمين بأرض لا يصلون بها ، ولا يتحاكمون بينهم بالشرع الذي بعث الله به رسوله ، ولا عندهم مسجد ، ولا يؤذنون ولا يزكون مع وجوبها عليهم ، أو يقتل بعضهم بعضاً وينهب بعضهم مال بعض ، ويقتلون الأطفال ويسبونهم ، ويتبعون ما يسنه الإفرنج ، وإذا دعي أحدهم إلى الشرع قال: جاءنا الشرع ، فهؤلاء يجب قتالهم كما أمر رسول الله ﷺ بقتل الخوارج مع كون الصحابة رضي الله عنهم كان أحدهم يحقر صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم ، فقاتلهم علي رضي الله عنه.

ويدعون قبل القتال إلى التزام شرائع الإسلام ، فإن التزموها استوثق منهم ولم يكتف بمجرد قولهم ، بل تنزع منهم الخيل والسلاح كما فعل أبو بكر رضي الله عنه بأهل الردة حتى يرى منهم السلم ، ويرسل إليهم من يعلمهم الإسلام ويقيم بها الصلاة ، ويستخدم بعض المطيعين منهم في جند المسلمين ، ويجعلهم في جماعة المسلمين ، ويمنعون من ركوب الخيل وأخذ السلاح حتى يستقيموا ، فإن لم يستجيبوا لله ورسوله وإلا وجب قتالهم حتى يلتزموا شرائع الإسلام الظاهرة المتواترة وهذا متفق عليه بين علماء الإسلام](مختصر الفتاوى المصرية: ٤٦٨)

وقال –رحمه الله - : [وقد اتفق علماء المسلمين على أن الطائفة الممتنعة إذا امتنعت عن بعض واجبات الإسلام الظاهرة المتواترة فإنه يجب قتالها ، إذا تكلموا بالشهادتين وامتنعوا عن الصلاة والزكاة أو صيام شهر رمضان ، أو حج البيت العتيق ، أو عن الحكم بينهم بالكتاب والسنة ، أو عن تحريم الفواحش أو الخمر ، أو نكاح ذوات المحارم ، أو عن استحلال النفوس والأموال بغير حق ، أو الربا أو الميسر ، أو عن الجهاد للكفار ، أو عن ضربهم الجزية على أهل الكتاب ونحو ذلك من شرائع الإسلام فإنهم يقاتلون عليها حتى يكون الدين كله لله]اهـ.

ومعلومٌ أن ما تمارسه وتقوم به أجهزة الدول من استخبارات وجيش وشُرَط ليس هو فقط حماية الحاكم الكافر المتغلِّب على بلدان المسلمين ، بل هي الركن الركين لحماية أنظمة وقوانين ودساتير تلك الدول ، ولا يتوقف شرُّها عند هذا الحد بل أضافت إليه إلزام الناس بقبول تلك الشرائع الكافرة وإجبارهم على التحاكم إليها ، ومطاردة وملاحقة والتنكيل بكل من يعارضها ويعترض عليها ، هذا مع مولاتها الظاهرة لكفرة الشرق والغرب واستنانها بسننهم في النقير والقطمير ، وكل منصفٍ يقطع قطعاً جازماً أن تلك الأجهزة لم تؤسس وتدرب من أجل أن تكون كلمة الله هي العليا ولا ليكون الدين كله لله ، ولا يعنيها ذلك من قريب أو بعيد ، فمَن الذي يحول بين الناس وبين أن يستظلوا بحكم الشرع وينعموا برحمته إن لم تكن هذه الطوائف الممتنعة الصادة عن سبيل الله ؟!!.

فما من داعية ولا جماعة إسلامية اليوم إلا وتدعو للتحاكم إلى شرع الله ، والرجوع إلى دينه ، وتسعى لاسترداد حكمه ، فهو إجماعٌ منهم على أن الشرع معطلٌ -وإن كان بدرجات متفاوتة- فَلِم نفر من الجواب الصريح حينما يسأل السائل بوضوح : مَن الذي يحول بين المسلمين وبين عيشهم تحت حكم الله تعالى ؟! من الذي يتولى حماية منابع الهدم التي زعزعت عقائد المسلمين ودمَّرت أخلاقهم ومسخت أفكارهم ؟ مَن الذي يقوم على حماية الشرائع الوضعية والأحكام الأرضية التي يُلزَم الناس بأن يكونوا تحتها ويرغمون على التقاضي إليها ؟ مَن الذي يملأ الطرق بأسلحته و(هراواته) وغازاته ومياهه الساخنة إذا ما تحرَّك الناس معترضين على فقرة من فقرات الدستور الوضعي أو مطالبين بإقامة شريعة رب العالمين ؟ مَن الذي ينتهض مباشرة ومن غير أدنى تردد أو اعتراض لينفِّذ أوامر الساسة المجرمين التي يذلون بها الشعوب كائنةً ما كانت تلك الأوامر سواء كانت سفكاً للدماء ، أو تهديماً للمساجد ، أو تحريقاً للمدارس ، أو انتهاكاً للأعراض ، أو تمزيقاً للحجاب والنقاب ، والحجة في ذلك أن المنفذ (عبدٌ مأمورٌ) ويحرص أشد الحرص على تنفيذ تلك الأوامر بحذافيرها ويخشى تمام الخشية أن يفرط في شيءٍ منها ؟

هل يستطيع أحدٌ –كائناً مَن كان- أن يبرِّء أجهزة الاستخبارات ، أو الجيش ، أو الشُرط ، أو الدرك من تبعة هذه الجرائم التي يختصرها شيء واحدٌ وهو (تعطيل شريعة الله ومحاربة دينه وأوليائه).؟

فإذا لم تكن هذه الأجهزة بمجموعها وهيئتها ونظمها وأهدافها طوائف ممتنعة ينطبق عليها إجماع أولئك العلماء فإن كلامهم ذاهبٌ في مهاب الريح ، وليس له إلا أن يكون حبيس بطون الكتب.

هذا ولا علاقة لإجماع العلماء بقتال الطوائف الممتنعة عن شرائع الإسلام الظاهرة المتواترة باختلافهم في مسألة تكفير هذه الطوائف من عدمها ، حتى يحاول البعض أن يجعل الشيئين شيئاً واحداً ، ويدخل بعضها في بعضٍ ، بحيث يكون محل البحث والمناقشات عنده هو: هل هذه الطوائف مرتدة أم لا؟ فإذا توصل إلى عدم القول بردتها انتقل إلى النتيجة التي يريد الخلوص إليها وهي عدم جواز قتالها ، فلا ارتباط بين الأمرين ، فمناط وجوب قتالها ليس هو ردتها وكفرها ، وإنما امتناعها عن شريعة من شرائع الإسلام الظاهرة ، فمتى حصل هذا الامتناع وكان منصباً على شريعة ظاهرة وجب القتال بإجماع العلماء سواء قيل بكفرها أم لا ، كما قال الإمام أبو بكر الجصاص الحنفي –رحمه الله- : [... فالمقيم على أكل الربا إن كان مستحلا له فهو كافر ، وإن كان ممتنعا بجماعة تعضده سار فيهم الإمام بسيرته في أهل الردة إن كانوا قبل ذلك من جملة أهل الملة ، وإن اعترفوا بتحريمه وفعلوه غير مستحلين له قاتلهم الإمام إن كانوا ممتنعين حتى يتوبوا ، وإن لم يكونوا ممتنعين ردعهم عن ذلك بالضرب والحبس حتى ينتهوا.](أحكام القرآن للجصاص : ١ / ٥٧٢).

ولهذا أزال شيخ الإسلام هذه الشبهة وذهب إلى أبعد من ذلك فقال في حق قتال التتار: [بل لو كان فيهم قوم صالحون من خيار الناس ولم يمكن قتالهم إلا بقتل هؤلاء لقتلوا أيضاً ؛ فإن الأئمة متفقون على أن الكفار لو تترسوا بمسلمين وخيف على المسلمين إذا لم يقاتلوا ؛ فإنه يجوز أن نرميهم ونقصد الكفار]اهـ.

الإجماع الرابع: اتفق العلماء قاطبةً على أن العدو إذا داهم بلدةً من بلاد المسلمين وجب على أهلها قتالهم ، فإن عجزوا أو قصَّروا وجب على مَن يليهم عونهم ، وهكذا يتسع الأمر حتى ولو عمَّ الأرض كلها.

وهي مسألة معروفة مطروقة وكلام العلماء فيها شهيرٌ.

فمن ذلك : قال إمام الحرمين –رحمه الله- : [فأما إذا وطئ الكفار ديار الإسلام فقد اتفق حملة الشريعة قاطبة على أنه يتعين على المسلمين أن يخفوا ويطيروا إلى مدافعتهم زرافات ووحدانا حتى انتهوا إلى أن العبيد ينسلون عن ربقة طاعة السادة ، ويبادرون الجهاد على الاستبداد ، وإذا كان هذا دين الأمة ومذهب الأئمة فأي مقدار الأموال في هجوم أمثال هذه الاهوال لو مست إليها الحاجة وأموال الدنيا لو قوبلت بقطرة دم لم تعد لها ولم توازها](غياث الأمم:١٩١).

قال الإمام ابن عبد البر –رحمه الله- : [الغزو غزوان: غزو فرض ، وغزو نافلة.

والفرض في الجهاد ينقسم أيضا قسمين: أحدهما: فرضٌ عام متعين على كل أحدٍ ممن يستطيع المدافعة والقتال وحمل السلاح من البالغين الأحرار ، وذلك أن يحل العدو بدار الإسلام محاربا لهم ، فإذا كان ذلك وجب على جميع أهل تلك الدار أن ينفروا ويخرجوا إليه خفافاً وثقالاً وشباباً وشيوخاً ولا يتخلف أحد يقدر على الخروج من مقاتل أو مكثر ، وإن عجز أهل تلك البلدة عن القيام بعدوهم كان على من قاربهم وجاورهم أن يخرجوا قلوا أو كثروا على حسب ما لزم أهل تلك البلدة ، حتى يعلموا أن فيهم طاقة على القيام بهم ومدافعتهم ، وكذلك كل من علم بضعفهم عن عدوهم وعلم أنه يدركهم ويمكنه غياثهم لزمه أيضا الخروج اليهم ، فالمسلمون كلهم يد على من سواهم ، حتى إذا قام بدفع العدو أهل الناحية التي نزل العدو عليها واحتل بها سقط الفرض عن الآخرين ، ولو قارب العدو دار الإسلام ولم يدخلوها لزمهم أيضا الخروج إليه.](الكافي في فقه أهل المدينة :٤٦٣).
وتأمل تعليله معونة المسلمين ونفيرهم لنصرة إخوانهم بقوله (فالمسلمون كلهم يد على من سواهم) وانظر إلى الدعوات المعاصرة التي قسمت الأحكام وفصلتها تبعاً لتقسيمات سايكس بيكو التي جعلت المسلمين دولاً وأوزاعاً ، وشيعاً وأحزاباً كل حزبٍ بما لديهم فرحون وبما هم فيه من العصبية المنتنة فخرون ، قال شيخ الإسلام –رحمه الله- : [وإذا دخل العدو بلاد الإسلام فلا ريب أنه يجب دفعه على الأقرب فالأقرب ؛ إذ بلاد الإسلام كلها بمنزلة البلدة الواحدة]اهـ.

وقال العلامة أبو بكر الجصاص الحنفي –رحمه الله- : [ومعلوم في اعتقاد جميع المسلمين أنه إذا خاف أهل الثغور من العدو ، ولم تكن فيهم مقاومة لهم فخافوا على بلادهم وأنفسهم وذراريهم أن الفرض على كافة الأمة أن ينفر إليهم من يكف عاديتهم عن المسلمين ، وهذا لا خلاف فيه بين الأمة إذ ليس من قول أحد من المسلمين إباحة القعود عنهم حتى يستبيحوا دماء المسلمين وسبي ذراريهم](أحكام القرآن : ٤ /٣١٢).
وقال شيخ الإسلام –رحمه الله-: [وأما قتال الدفع فهو أشد أنواع دفع الصائل عن الحرمة والدين ، فواجب إجماعاً ، فالعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه ، فلا يشترط له شرط ، بل يدفع بحسب الإمكان وقد نص على ذلك العلماء أصحابنا وغيرهم ، فيجب التفريق بين دفع الصائل الظالم وبين طلبه في بلاده](الفتاوى الكبرى : ٥ / ٥٣٧).
وقال أيضاً بعد أن ذكر الخلاف في مسألة وجوب الجهاد بالمال لمن عجز عن الجهاد بالنفس وكان موسراً : [وينبغي أن يكون محل الروايتين في واجب الكفاية: فأما إذا هجم العدو فلا يبقى للخلاف وجه ، فإن دفع ضررهم عن الدين والنفس والحرمة واجب إجماعاً]اهـ.

وهذا الحكم المجمع عليه والذي أوضحه العلماء غاية الإيضاح ، دخل في هذا العصر دائرة التشكيك والتفكيك والأخذ والرد والاعتراض والنقض ، فلم يسلم هو أيضاً من معاول التغيير وعوامل التحوير ولا حول ولا قوة إلا بالله ، مع أن هجوم الكفار على ديار المسلمين واحتلالهم لها واضح وضوح الشمس بعد أن أجلبوا عليها بجيوشهم الجرارة وحشودهم الضخمة وفرضوا عليها أحكامهم وحكوماتهم وساموا سكانها من المسلمين سوء العذاب ، وظهر في تلك البلدان من أنواع الفساد والإلحاد والفسوق والمروق في سنوات معدودات ما يشيب لهوله الولدان ، فليس غريبا إذاًً أن يقول شيخ الإسلام إن دفع أمثال هؤلاء ليس شيء أوجب بعد الإيمان منه ؛ لأن بقاءهم مستقرين متمكنين يعني مع طول الزمن وتقادم الإيام رفع الإيمان عن تلك الأرض أو أن يبقى مسخ من الناس لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكراً ، ولهذا أدرك العلماء الأجلاء خطورة هذه المسألة فعظموها وفخموها وهولوا شأنها وعدوها أم المصائب ونائبة النوائب حتى يستعشر المسلمون خطرها ولا يتهاونون في أمرها فانظر مثلا ما يقوله إمام الحرمين الجويني –رحمه الله- عن مثل هذه الحالات : [فمن استمسك بالحق ولم يمل به مهوى الهوى عن الصدق تبين على البدار والسبق أن خزائن العالمين وذخائر الأمم الماضين وكنوز المنقرضين لو قوبلت بوطأة من الكفار لأطراف ديار الإسلام لكانت مستحقرة متسنزرة ، فكيف لو تملكوا البلاد ، وقتلوا العباد ، وقرعوا الحصون والأسداد ، وخرقوا عن ذوات الخدور حجب الرشاد ، ومال إليهم من لا خلاق له من حثالة الناس بالارتداد ، وتخلل الحرائر العلوج ، وهتك حجابهن التبذل والبروج ، وهدمت المساجد ، ورفعت الشعائر والمشاهد ، وانقطعت الجماعات والأذان ، وشهرت النواقيس والصلبان ، وتفاقمت دواعي الاختزاء والافتضاح ، وصارت خطة الإسلام بحرا طافحا بالكفر الصراح](غياث الأمم:٢٥٤)

ومعلومٌ أنه لا فرق في هذا الحكم بين أن يكون العدو قادماً على بلاد المسلمين من خارجها ، وبين أن يكون متسلطاً عليها وهو من أهلها وسكّانها ، وهو ما اصطلح المعاصرون على تسميته (بالعدو الخارجي والعدو الداخلي) ، فإن الضرر المحدق بالإسلام والمسلمين من جراء تسلط الكفرة وتغلبهم لا يختلف في أصله بين الحالتين وإنما يتفاوت بقدر عتو الكفرة وطغيانهم ومكرهم وكيدهم وشدة ضغينتهم وعظم صيالهم ، ولهذا قال شيخ الإسلام (فالعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه) ، فعلق الأمر على صيال العدو وإفساده للدين والدنيا ، وهي صفةٌ كاشفةٌ لا مقيّدة فما من عدوٍ صائلٍ إلا وهو مفسدٌ للدين والدنيا مهلكٌ للحرث والنسل ، فلا يختص أصل وجود هذا الوصف بعدوٍ خارجي كالأمريكان ، أو اليهود ، أو غيرهم.
بل من يتأمل مجريات التاريخ الإسلامي وما احتواه من مصائب وأهوال والتي اجتاح فيها الكفار بلاد المسلمين وابتلعها كاللقمة السائغة يجد في الغالب أن اعتمادهم في مداهمة بلدان المسلمين واستباحتهم لحرماتهم إنما يتم عبر الخونة المنسلخين من الدين والقيم والرحمة ممن يقيم بين ظهراني المسلمين وينتسب إليهم ويضمر الضغينة والحقد عليهم حتى إذا سنحت له فرصةٌ بثّها قتل ونكل وشرد وتمرد وطغى وعتى ورأى المسلمون على يديه من الخيانات والإجرام والتنكيل والانسلاخ من الرحمة ما لم يخطر على بالهم ، فهم وإن كاشروا المسلمين حيناً فإن تحت ضلوعهم الداء الدوي ، وإذا كان الأمر كذلك فليس غريباً إذاً أن يصف القرآن أهل النفاق ويحذر منهم حيث يقول الله فيه : {هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ}[المنافقون/٤]

ومن تأمل حال بلدان المسلمين اليوم سواء منها ما وقع تحت حكم النصارى أو اليهود أو المرتدين يدرك بسهولة معاناة المسلمين في الحالتين واصطلائهم بنار (تغلب الكفرة) في الصورتين سواء منها ما كانت فيها الغلبة للكفار الأصليين كما هو الحال في العراق وأفغانستان وفلسطين والشيشان

وتركستان الشرقية وغيرها أو ما كانت الغلبة فيها للمرتدين كسائر بلاد المسلمين الأخرى ، فالسجون مكتظة بأسارى المسلمين هنا وهناك ، ومطاردة المجاهدين والتنكيل بهم جارية على قدم وساقٍ في الموضعين ، وتهديم الأخلاق وإفساد العقائد ونشر الفاحشة في الذين آمنوا وفتح المجالات للمنسلخين من الدين والآداب والقيم وتقديمهم وإفساح سائر سبل التسهيل لهم والتضييق على أهل الحق ودعاة الصدق كل ذلك لا يخفى على أحدٍ ، بل والله إن سجون طغاة العرب والعجم الذين تنتسب حكوماتهم للإسلام لهي أشد وأنكى وأخزى من سجون اليهود والنصارى ومع ذلك فكلهم في فلك الإجرام والشر يَسبَحون.

ومعلومٌ أن أبا بكرٍ الصديق رضي الله عنه إنما أمضى جيش أسامة رضي الله تعالى عنه لقتال الروم لأن النبي ﷺ هو الذي عقد لواءه وأوصى بإنفاذه وهو على فراش الموت ، أما بقية الصحابة رضي الله عنهم ممن لم يكن في ذلك الجيش فإنما استنفرهم أبو بكر ذلك الاستنفار العظيم لقتال (العدو الداخلي) ممن ارتدوا على أعقابهم بعد إذ هداهم الله ، والذين كانوا تحت حكم الإسلام وفي مظلة دولته ، وقام كل من ثبت على الإسلام من تلك الأقوام بمعونة جيوش المسلمين والقتال معهم لأقوامهم كما قال الإمام ابن حزمٍ -رحمه الله- بعد أن ذكر أحوال الناس وأصنافهم بعد وفاة النبي ﷺ : [إلا أن في كل قبيلة من المؤمنين من يقاوم المرتدين ، فقد كان باليمامة ثمامة بن أثال الحنفي في طوائف من المسلمين محاربين لمسيلمة ، وفي قوم الأسود أيضا كذلك ، وفي بني تميم وبني أسد الجمهور من المسلمين ، وطائفة رابعة توقفت فلم تدخل في أحد من الطوائف المذكورة وبقوا يتربصون لمن تكون الغلبة كمالك بن نويرة وغيره ، فأخرج إليهم أبو بكر البعوث فقتل مسيلمة ، وقد كان فيروز وذاذويه الفارسيان الفاضلان رضي الله عنهما قتلا الأسود العنسي فلم يمض عام واحد حتى راجع الجميع الإسلام أولهم عن آخرهم]اهـ.

وعليه فلا يجب على المسلمين إذا تهيأت لهم الأسباب وساعدتهم الأحوال والظروف أن ينتظروا في كل حينٍ أن يدخل بلادهم ويدهم أرضهم (عدو خارجي) ، فعندها فقط ينتفضون للقتال ، أما ذا لم يحصل ذلك فيوجَبُ عليهم كف الأيدي بلا دليل قائم من كتاب ولا سنة ، وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله- : [وليس من شريعة الإسلام أن المسلمين ينتظرون عدوهم حتى يقدم عليهم ، هذا لم يأمر الله به ولا رسوله ولا المسلمون ، ولكن يجب على المسلمين أن يقصدوهم للجهاد في سبيل الله ، وإن بدأوا هم بالحركة فلا يجوز تمكينهم حتى يعبروا ديار المسلمين ، بل الواجب تقدم العساكر الإسلامية إلى ثغور المسلمين ، فالله تعالى يختار للمسلمين في جميع الأمور ما فيه صلاح الدنيا والآخرة.]اهـ.

ولا أقصد هنا طرح المسألة المعروفة وهي بأيهما يكون البدء أبالعدو القريب أم بالعدو البعيد ؟ ، فأصل هذا الطرح لا يخالف في مشروعية القتالين وإنما يناقش أي البدئين أجدى نفعاً وأعظم أثراً وهذا في أغلبه قضية ميدانية تتبع الظروف والأحوال التي يعيشها المجاهدون خصوصا والمسلمون عموماً ، وليس على المجاهدين بعد النظر والمشاورة جناحٌ في اختيار العدو الذي يكون قتالهم له هو المقدَّم ، وهذا كما جرى عمل غالب المجاهدين في هذه الأيام بمقاتلة الأمريكان وتتبعهم وتقصدهم باعتبارهم أشد الأعداء كلَباً وأعظمهم معونة لسائر الكفرة من اليهود والمرتدين ، ولا تكاد تجد ساحة من ساحات الجهاد إلا ولهؤلاء المجرمين يد في إمداد الكفرة المحاربين للدين في تلك البقعة ، وهذه الدولة الملفّقة لا تخفي ذلك ولا تستره بل تتبجح به وتبالغ في إشهاره وإظهاره ، فلا ضير إذا أن يجعل المجاهدون في مقدمة أعمالهم قطع هذه اليد المعتدية الممتدة إلى بقاع المسلمين تخرب وتدمر وتفسد أو تعين المفسدين والمخربين من أوليائها ووكلائها ، وهذا تقرير لا غبار عليه وإنما الكلام اليوم قد انتقل إلى مسألة مشروعية قتال هذه الأنظمة المرتدة واشتداد النكير على من يقول بذلك فضلا عمن يمارسه ويجتهد في أدائه ، ثم إحلال الحوارات الوطنية وإصلاح البيت الداخلي وتقوية الجبهة الداخلية وتفهم وجهة نظر (الآخر) وغير ذلك من الخزعبلات محلَّ عبادة الجهاد التي يراد التفلت منها والترس عنها بأي وسيلة ، وما حال أولئك إلا كالظمآن الذي يروم الارتواء بالخمر الصرف فلا تزيده إلا عطشاً حتى ترديَه ، قال تعالى : {إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[التوبة/٣٩].

ثم إن الكثيرين ممن يتحدثون عن الاقتصار على قتال العدو الخارجي ، ولم يكتب لهم شرف ممارسة الجهاد في ساحاته ، ومعاينة ومعاناة همومه وجراحاته ، ويتعاملون معه بنظرة إجمالية عمومية عن بعدٍ دون الدخول إلى تفاصيل أعماله- يحسبون أن الانتصار على تلك القوة الخارجية المداهمة ودحرها إنما يقع بضربة لازبٍ ، ويغريهم في ذلك مجرد تعاطف الناس الكبير عند أول شرارة الاحتلال حتى إذا طال عليهم الأمد واسترسل الاحتلال وامتد ، وتمكّنت دولته ، وتضعضت مسيرة الجهاد بين الانتصار والانكسار ، والارتفاع والانخفاض وخالجتها المؤامرات والدسائس وإطلال رؤوس النفاق ، رأيت وميض الحماسة بدأ يخفت ، وهيجان التأييد يضعف فيكون المرء متعاملا مع قضايا المسلمين لا من منطلق الفهم الشرعي الراسخ والقيام بواجباته المضبوطة وإنما بالحماسة والعاطفة ومثل هذا التعامل يُستفاد منه شيء ما ولكن لا يمكن الاعتماد عليه ولا الوثوق به في إدارة عجلة الجهاد ولا في تقييم أوضاعه ومعرفة مآلاته ؛ لأن أمر العواطف لا يُضبط ولو وكل أمر الشرع إليها لما قامت له قائمة ولا بقيت معه باقية ، فالمطلوب من المرء المسلم أن يكون فعَّالاً لا منفعلاً فحسب ، ومؤثِّراً لا متأثراً فقط ، والشواهد على هذا الأمر من واقع ساحات الجهاد المعاصرة كثيرة ، كالحالة في فلسطين أو الشيشان أو المرحلة الأخيرة من العراق وهكذا ، ولهذا فقد تجد بعض مَن كانوا متحمسين للجهاد ومنفعلين مع قضية من قضاياه في مرحلة من المراحل غاية الانفعال قد يصلون في مسألة (قتال العدو الخارجي) إلى نفس ما استقر في نفوسهم وترسخ في صدورهم من عدم جدوى قتال (العدو الداخلي) لأنه يرى أن الأبواب موصدة ، وأن ملامح النصر لا يظهر لها بصيص أمل ، وأن جهود سنوات من القتال المحتدم والتضحيات الكبيرة لم تُجنَ ثمارها بعد ، وأن المرحلة الذهبية من التفاعل الشعبي والتوجه الإعلامي المركز قد أعقبها فتورٌ وخمولٌ فيرجع القهقرى ليبحث بعدها عن بدائل (سلمية) لإخراج المحتل كما تحصَّل على وسائل (سلمية) وشرعية أيضاً! في معارضة أنظمة الحكم وبهذا يوصد باب الجهاد العملي كلية أو يحجّم ويقلص إلى أقصى حدٍّ لينحصر فقط في جهاد اليهود في فلسطين مع وضع عراقيل وإحاطته بمفاهيم لا يمكن معها تطبيقها إلى يوم التناد ، وقد قال تعالى في آياتٍ بيناتٍ باقياتٍ لمن يطلب الدواء الشافي من غير تعنتٍ ولا مواربة : {قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (١٣٧) هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٨) وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣٩) إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ

الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (١٤٠) وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ (١٤١) أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ [آل عمران/١٣٧ ، ١٤٢].

ولتراجَع أقوال أئمة السلف ومن بعدهم من العلماء في هذه الآيات فإنها بلسمٌ عذبٌ لكل من أجهده طول المسير وأرهقه قلة النصير ليستيقن بقلبٍ مطمئنٍ أن العاقبة للمتقين ، وأن للكفر انتفاشة منتنة ستزول عمّا قريب ، وأن معركة بهذه الجسامة والضخامة والعتاد والعناد والأعداد والإمداد لا يمكن حسمها إلا بجهدٍ عظيم وصبر طويل ومنهجٍ راسخ وعقيدة متمكنة وثقة بالله قاطعة لا تتقلب مع الظروف يمنة ويسرة ، وهو ما يحتاج إليه كل من أراد الجهاد حتى ينال إحدى الحسنيين أما من بنى أمره على عاطفة هائجة أو تخيلات
مائجة فهو محظوظ لو بلغ منتصف الطريق ونسأل الله العافية والثبات.

رد شبهة أن جهاد الدفع يحتاج إلى شروط

اشتراط الراية وإذن الوالي معاً – دون دليل – من أجل الذهاب للجهاد في العراق ، مع ما قرر العلماء أنه إذا داهم الكفار بلاد المسلمين يكون جهاد المسلمين جهاد دفع. (وهل يشترط له شروط ؟)

إن هذه الشبهة التى ألقاها علماء السوء على قلوب الشباب و هو أن جهاد الدفع يحتاج إلى شروط ليس شرعياً بحال ؛ فهذا الإمام الهمام شيخ الإسلام يقول: " واما قتال الدفع ، فهو أشد أنواع دفع الصائل عن الحرمة والدين ، فواجب إجماعاً ، فالعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه ، فلا يشترط له شرط ، بل بحسب الإمكان. وقد نص على ذلك العلماء أصحابنا وغيرهم " فيجب التفريق بين دفع الصائل الظالم الكافر وبين طلبه في بلاده. (ما تعليقك على هذا الكلام ؟ وأين الشروط الجسام بعد هذا البيان من الإمام المجاهد الهمام المقدام ؟

بلاد المسلمين كالبلدة الواحدة

وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى وأسكنه الفردوس الأعلى:

" إذا دخل العدو بلاد المسلمين فلا ريب أنه يجب دفعه على الأقرب فالأقرب ، إذ بلاد الإسلام كلها بمنزلة البلدة الواحدة " وأنه يجب النفير إليه بلا إذن والد ولا غريم. ونصوص أحمد صريحة بهذا ، وهو خير مما في المختصرات " الفتاوى الكبرى "

<u>وجوب إعانة المجاهدين حتى تتم الكفاية</u>

وقال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى ج ٢٨ / ٣٨٥ / ٣٥٩ " فإذا أراد العدو الهجوم على المسلمين فإنه يصير دفعه واجباً على المقصودين كلهم ، وعلى غير المقصودين لإعانتهم كما قال تعالى:

(وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) [الأنفال ٧٣]

وكما أمر النبي – ﷺ –، سواء كان الرجل من المرتزقة للقتال أو لم يكن ، وهذا يجب بحسب الإمكان على كل أحد بنفسه وماله مع القلة والكثرة والمشي والركوب ". كما كان المسلمون لما قصدهم العدو عام الخندق ، ولم يأذن الله تعالى في تركه لأحد ، كما أذن في ترك الجهاد ابتداء لطلب العدو ، الذين قسمهم فيه إلى قاعد وخارج ، بل ذم الذين يستأذنون النبي ﷺ.

ويقولون: (إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا) [الأحزاب ١٣].

فهذا دفع عن الدين والحرمة والأنفس ، وهو قتال اضطرار ، وذلك قتال اختيار للزيادة في الدين وإعلائه ، وإرهاب العدو كغزوة تبوك ونحوها ، فهذا نوع من العقوبة هو للطوائف الممتنعة.

قلت: فانظر بالله عليه هذا الكلام العظيم " فإنه يصير دفعه واجباً على المقصودين كلهم وعلى غير المقصودين لإعانتهم ".

وكلامه الذي مر آنفاً: إذ بلاد المسلمين كلها بمنزلة البلدة الواحدة " انتهى

أين الشروط التي ذكرتها من كلام شيخ الإسلام ؟ وأين هي من كلام العلماء الآخرين ؟ بأي كتاب أم بأي سنة قلت الذي قلت ، وبه أفتيت ؟

فإلى الله المشتكى وهو يهدي السبيل. وكما قال الشاعر:

والليالي من الزمان حبالى صامتات يلدن كل عجيب

مذاهب الفقهاء في جهاد الدفع كحال فلسطين
والعراق وغيرهما من بلاد المسلمين اليوم

ولا بأس من ذكر بعض العلماء الجهابذة في هذا الموضوع العظيم. وهو إذا أراد العدو الهجوم على بلد من بلاد المسلمين أو دخلها فما واجب المسلمين:

مذهب الأحناف:

* قال ابن عابدين في الحاشية ٣ / ٢٣٨: " وفرض عين إن هجم العدو على ثغر من ثغور الإسلام فيصير فرض عين على كل من قرب منه ، فأما من وراءهم ببعد من العدو فهو فرض كفاية إذا لم يحتج إليهم ، فإن احتيج إليهم بأن عجز من كان بقرب العدو عن المقاومة مع العدو ، أو لم يعجزوا عنها ، ولكنهم تكاسلوا ، ولم يجاهدوا ، فإنهم يفترض على من يليهم فرض عين كالصلاة والصوم ، لا يسعهم تركه وأثموا إلى أن يفترض على جميع أهل الإسلام شرقاً وغرباً على هذا التدريج "

* وقال الكاساني في بدائع الصنائع (ج ٧ ص ٧٢): " فأما إذا عم النفير ؛ بأن هجم العدو على بلد ، فهو فرض عين يفترض على كل واحد من آحاد المسلمين ممن هو قادر عليه ، لقول الله تعالى " انفروا خفافا وثقالاً " قيل نزلت في النفير ، وقوله " ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه " ولأن الوجوب على الكل قبل عموم النفير ثابت ، لأن السقوط عن الباقين بقيام البعض به ، فإذا عم النفير لا يتحقق القيام به إلا الكل ، فبقي فرضاً على الكل عيناً بمنزلة الصوم والصلاة ، فيخرج العبد بغير إذن مولاه ، والمرأة بغير إذن زوجها ، لأن منافع العبد والمرأة في حق العبادات المفروضة عيناً مستثناة عن ملك المولى والزوج شرعاً ؛ كما في الصوم والصلاة ، وكذا يباح للولد أن يخرج بغير إذن والديه ، لأن حق الوالدين لا يظهر في فروض الأعيان كالصوم والصلاة والله تعالى أعلم ".

مذهب المالكية:

* وفي حاشية الدسوقي قال: " ويتعين الجهاد بفجء العدو. قال الدسوقي: (أي توجب الدفع بفجء (مفاجأة) على كل أحد وإن امرأة أو عبداً أو صبياً ، ويخرجون ولو منعهم الولي والزوج ورب الدَّين " حاشية الدسوقي (ج ٢ ص ١٧٤)

مذهب الشافعية:

* قال الرملي في نهاية المحتاج صفحة ٥٨ " فإن دخلوا بلدة لنا صار بيننا وبينهم دون مسافة القصر فيلزم أهلها الدفع حتى من لا جهاد عليهم من فقير وولد وعبد ومدين وامرأة ".

قلت: وإن عجزوا يلزم الذين يلونهم حتى يتم دفع الكفار.

مذهب الحنابلة:

فقد ذكرنا كلام شيخ الإسلام ابن تيمية.

وزيادة للفائدة نذكر كلام علماء آخرين:

* قال الإمام ابن النحاس: وإن داهم الكفار بلدة للمسلمين ، واحتلوها ولم يتمكن المسلمون فيها من الاجتماع والتأهب لقتال الكفار ، فيجب على المسلم أن يواجههم بنفسه. وإذا نزل العدو بقعة من بلاد المسلمين فيجب على المسلمين في المناطق الأخرى مساعدة المسلمين في تلك البقعة ، ومن كان في مكان ، ونزل العدو قريبا منه دون مسافة القصر كان قتالهم فرض عين عليهم ، كما هو فرض عين على أهل البلد التي نزل بها الكفار ، وعلل الإمام الماوردي وجوب القال عليه في هذه الحالة لأنه قتال دفاع وليس قتال غزو ، لذلك يكون هذا القتال فرضاً على كل مطيق له.

وعندما ينزل الكفار بلدة للمسلمين وجبت مساعدة أهل البلدة على كل من كان على بعد قصر عنهم وإن كفى هؤلاء وأغنوا ، وإن لم يكن بهم كفاية وجب النفير على الباقين الذين هم أبعد منهم. وإن خرج الكفار ممن تحصل بهم الكفاية سقط الحرج عن الباقين ، ولكن فاتهم الأجر العظيم والثواب الجزيل.

وعند بعض العلماء أنه تجب النجدة والمساعدة على الأقربين للبلدة التي نزل فيها الكفار ، ثم من يليهم دون ضبط ولا تحديد حتى يبلغ الخبر المسلمين بأنه قد تم تحرير تلك البلد ، وإخراج الكفار منها. وإذا احتل الكفار جبلا أو سهلاً أو مكانا في دار الإسلام بعيداً عن البلدان والأوطان ، وليس فيه سكان فإنه يأخذ حكم البلدة التي يحتلها الكفار ، ويجب على المسلمين النفير لتحرير ذلك المكان ".

انتهى نقلاً عن الإمام ابن النحاس – في كتابه " مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق " – أنزله الله الفردوس الأعلى.

* وقال الإمام القرطبي في تفسيره تحت الآية: (انْفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) [التوبة ٤١]:

" إذا تعين الجهاد بغلبة العدو على قطر من الأقطار أو بحلوله بالعُقر ، فإذا كان ذلك وجب على جميع أهل تلك الدار أن ينفروا ويخرجوا إليه خفافاً وثقالاً ، شباباً وشيوخاً ، كل على قدر طاقته ، من كان له أب بغير إذنه ومن لا أب له ، ولا يتخلف أحد يقدر على الخروج ، من مقل أو مكثر ، فإن عجز أهل تلك البلدة عن القيام بعدوهم ، كان على من قاربهم وجاورهم أن يخرجوا على حسب ما لزم أهل تلك البلدة ، حتى يعلموا أن فيهم طاقة على القيام بهم ومدافعتهم ، وكذلك كل من علم بضعفهم عن عدوهم وعلم أنه يدركهم ويمكنه غياثهم ، لزمه أيضاً الخروج إليهم ، فالمسلمون كلهم يد على من سواهم ، حتى إذا قام بدفع العدو أهل الناحية التي نزل العدو عليها واحتل بها ، سقط الفرض عن الآخرين ولو قارب العدو دار الإسلام ولم يدخلها لزمهم أيضاً الخروج إليه ، حتى يظهر دين الله تعالى وتحمى البيضة ، وتحفظ الحوزة ويخزى العدو ولا خلاف في هذا ". (ج ٧ / ٨ ، ص٩٧)

* وكذلك قال الشيخ ابن عثيمين عن جهاد الدفع في (الشرح الممتع: ج ٧ صفحة ٢٥): " فلا يجوز لأحد أن يغزو دون إذن الإمام إلا على سبيل الدفاع ، وإذا فاجأهم عدو يخافون كلبه فحينئذ لهم أن يدافعوا عن أنفسم لتعين القتال إذاً ".

فأين الشروط التي شرطت من كلام العلماء إذا هجم العدو على بلاد المسلمين ؟ أين ؟ أين ؟

كذلك استدل بعض الإخوة بكلام للإمام ابن قدامة في المغني إذ يقول:

وأمر الجهاد موكول إلى الإمام واجتهاده ويلزم الرعية طاعته فيما يراه من ذلك وينبغي أن يبتدىء بترتيب قوم في أطراف البلاد يكفون من بإزائهم من المشركين ويأمر بعمل حصونهم وحفر مصالحهم ويأمر في كل ناحية أميرا يقلده أمر الحروب وتدبير الجهاد ويكون ممن له رأي وعقل ونجدة وبصر بالحرب ومكايدة العدو ويكون فيه أمانة ورفق ونصح للمسلمين وإنما يبدأ بذلك لأنه لا يأمن عليها من المشركين ويغزو كل قوم من يليهم إلا أن يكون في بعض الجهات من لا يفي به من يليه فينقل إليهم قوماً من آخرين ويتقدم إلى من يؤمره أن لا يحمل المسلمين على مهلكة ولا يأمرهم بدخول مطمورة يخاف أن يقتلوا تحتها فإن فعل ذلك فقد أساء ويستغفر الله تعالى وليس عليه عقل ولا كفارة إذا أصيب واحد منهم بطاعته لأنه فعل ذلك باختياره ومعرفته فإن عدم الإمام لم يؤخر الجهاد لأن مصلحته تفوت بتأخيره وإن حصلت غنيمة قسمها أهلها على موجب الشرع.

وقال أيضاً: وواجب على الناس إذا جاء العدو أن ينفروا المقل منهم والمكثر ولا يخرجوا إلى العدو إلا بإذن الأمير إلا أن يفجأهم عدو غالب يخافون كلبه ، فلا يمكنهم أن يستأذنوه.

الجواب: قلنا في ما سبق بيانه أن الإمام ابن قدامة وغيره من العلماء قالوا إن الجهاد يتعين في حالات

إذا التقى الزحفان وتقابل الصفان حرم على من حضر الإنصراف وتعين عليه المقام.

إذا نزل الكفار في بلد تعين على أهله قتالهم ودفعهم.

إذا استنفر الإمام قوما لزمهم النفير معه.

زاد بعض العلماء إذا احتيج إلى شخص.

وإذا تعين الجهاد ولم تتم الكفاية بأهل البلد ونكل الإمام عن الجهاد ، فما الحكم الشرعي في طاعته ؟

بوب الإمام النووي (باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية) ج ١١ / ج ١٢ في الجزء الثاني منه. ويوجد أدلة كثيرة تحت التبويب:

عن علي أن رسول الله ﷺ بعث جيشا وأمر عليهم رجلا فأوقد نارا وقال ادخلوها فأراد ناس أن يدخلوها وقال الآخرون إنا قد فررنا منها فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال للذين أرادوا أن يدخلوها لو دخلتموها لم تزالوا فيها إلى يوم القيامة وقال للآخرين قولا حسنا وقال لا طاعة في معصية الله إنما الطاعة في المعروف. رواه مسلم.

وعن ابن جريج نزل يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم في عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي السهمي بعثه النبي ﷺ في سرية أخبرنيه يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس. رواه مسلم

قال الإمام النووي: أجمع العلماء على وجوبها (طاعة الأمراء) في غير معصية ، وعلى تحريمها في المعصية ، نقل الإجماع على هذا القاضي عياض وآخرون.

وقال العلماء: المراد بأولي الأمر من أوجب الله طاعته من الولاة والأمراء ، هذا قول جماهير السلف والخلف من المفسرين والفقهاء وغيرهم ، وقيل: هم العلماء ، وقيل: الأمراء والعلماء. وأما من قال: الصحابة خاصة فقط فقد أخطأ.

ومن الأحاديث التي رواها الإمام مسلم أيضاً في وجوب طاعة الأمراء في غير معصية.

عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك.

قال النووي: قال العلماء: معناه تجب طاعة ولاة الأمور فيما يشق وتكرهه النفوس وغيره مما ليس بمعصية ، فإن كانت لمعصية فلا سمع ولا طاعة ، كما صرح به في الأحاديث الباقية ، فتحمل هذه الأحاديث المطلقة لوجوب طاعة ولاة الأمور على موافقة تلك الأحاديث المصرحة بأنه لا سمع ولا طاعة في المعصية. و (الأثرة) ، وهي الاستئثار والاختصاص بأمور الدنيا عليكم ، أي: اسمعوا وأطيعوا وإن اختص الأمر بالدنيا ، ولم يوصلوكم

حقكم مما عندهم. وهذه الأحاديث في الحث على السمع والطاعة في جميع الأحوال ، وسببها اجتماع كلمة المسلمين ، فإن الخلاف سبب لفساد أحوالهم في دينهم ودنياهم.

قلت: إذن إذا تعين الجهاد وأراد الإمام تعطيله فلا طاعة له ، ثم تأمل رحمك الله قول الإمام ابن قدامة لما قال وأمر الجهاد موكول إلى الإمام ، هل أنهى كلامه ؟ لا والله ، وتدبر ملياً باقي الكلام وهو:

أ) ينبغي أن يبتدىء بترتيب قوم في أطراف البلاد يكفون من بإزائهم من المشركين.

ب) ويأمر بعمل حصونهم وحفر خنادقهم وجميع مصالحهم.

ج) يأمر في كل ناحية أميرا يقلده أمر الحروب وتدبير الجهاد ويكون ممن له رأي وعقل ونجدة وبصر بالحرب ومكايدة العدو ويكون فيه أمانة ورفق ونصح للمسلمين وإنما يبدأ بذلك لأنه لا يأمن عليها من المشركين

د) ويغزو كل قوم من يليهم إلا أن يكون في بعض الجهات من لا يفي به من يليه فينقل إليهم قوما من آخرين ويتقدم إلى من يؤمره أن لا يحمل المسلمين على مهلكة ولا يأمرهم بدخول مطمورة يخاف أن يقتلوا تحتها فإن فعل ذلك فقد أساء ويستغفر الله تعالى وليس عليه عقل ولا كفارة إذا أصيب واحد منهم بطاعته لأنه فعل ذلك باختياره ومعرفته.

هـ) فإن عدم الإمام لم يؤخر الجهاد لأن مصلحته تفوت بتأخيره.

أقول فأين ذلك في واقع المسلمين اليوم ؟ ثم تعال معي هداك الله إلى كلام رصين لهذا الإمام قوله:

ولا يستصحب الأمير معه مخذلا وهو الذي يثبط الناس عن الغزو ويهدهم في الخروج إليه والقتال

والجهاد مثل أن يقول الحر أو البرد شديد والمشقة شديدة ولا تؤمن هزيمة هذا الجيش وأشباه هذا ولا مرجفا وهو الذي يقول هلكت سرية المسلمين وما لهم مدد ولا طاقة لهم بالكفار والكفار لهم قوة ومدد وصبر ولا يثبت لهم أحد ونحو هذا ولا من يعين على المسلمين بالتجسس للكفار واطلاعهم على عورات المسلمين ومكاتبتهم بأخبارهم ودلالتهم على عوراتهم أو إيواء جواسيسهم ولا من يوقع العداوة بين المسلمين ويسعى بالفساد لقول الله تعالى (ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة) التوبة ولأن هؤلاء مضرة على المسلمين فيلزمه منعهم وإن خرج معه أحد هؤلاء لم يسهم له ولم يرضخ وإن أظهر عون المسلمين لأنه يحتمل أن يكون أظهره نفاقا وقد ظهر دليله فيكون مجرد ضرر فلا يستحق مما غنموا شيئًا وإن كان الأمير أحد هؤلاء لم يستحب الخروج معه لأنه إذا منع خروجه تبعا فمتبوعا أولى ولأنه لا تؤمن المضرة على من صحبه.

أقول: قف مليا عند قول الإمام (وإن كان الأمير أحد هؤلاء لم يستحب الخروج معه لأنه إذا منع خروجه تبعا فمتبوعا أولى ولأنه لا تؤمن المضرة على من صحبه)

فاعتبروا يا أولوا الأبصار ، ونبرأ إلى الله تعالى من بتر الأقوال ،

وهل يُستأذن من اجتمعوا في مؤتمر دكار على إلغاء الجهاد ؟

وهل يُستأذن من عقد معاهدات مع الكفار على محاربة المجاهدين الأبرار ؟

وهل يُستأذن من تُضرب وتقصف بلاد المسلمين من فوق أرضه ؟

وهل يُستأذن من يُقتل المسلمين من أجل حماية الكفار ، لا والله وبالله وتالله لا يجوز استئذانه.

في تأخير الجهاد تعطيل للمصالح الكلية الضرورية (كتاب سل الحسام في إبطال دعوى لا جهاد إلا بامام)، أبو الوليد الأنصاري

الخامس: إن الجهاد شرع لمصلحة عظيمة لما فيه من حفظ الكليات الخمس التي تجمع مصالح الدين والدنيا وهذا أبين من الشمس ، ففيه دحرٌ لعدو الدين وكبت له وردع له عن العدوان على بلاد الإسلام وحملٌ له على الدخول في الدين الحق ، مع ما فيه من تأمين السبل وبسط الأمن والخير والدعة في بلاد الإسلام ، وحاصل هذا كله إقامة التوحيد وإزهاق الكفر والشرك والتنديد ، وتأخير الجهاد وإن عدم الإمام فيه تفويت لهذه المصالح فلا يجوز ، نص عليه ابن قدامة في المغني ، فقال رحمه الله (١٠/٣٦٩): فإن عدم الإمام لم يؤخر الجهاد لأن مصلحته تفوت بتأخيره ، ونحوه في الشرح الكبير للشمس ابن قدامة ، وفي الكافي (٤/٣١٥): وإن عدم الإمام لم يؤخر الجهاد ، وإن حصلت غنائم قسمها أهلها بينهم على موجب الشرع لأنها مالٌ لهم مشتركٌ ، فجاز لهم قسمته كسائر الأموال ، فإن كان فيها إماءٌ أخروا قسمتهن حتى يظهر إمام لأن في قسمتهن إباحةَ الفروج فاحتيط في بابها.

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله في جواب هذه الشبهة في الدرر (٨/٢٠١): ومعلوم أن الدين لا يقوم إلا بالجهاد ، ولهذا أمر النبي ﷺ بالجهاد مع كل بر وفاجر ، تفويتا لأدنى المصلحتين لتحصيل أعلاهما ، وارتكابا لأخف الضررين لدفع أعلاهما ، فإن ما يدفع بالجهاد من فساد الدين أعظم من فجور الفاجر ، لأن بالجهاد يظهر الدين ويقوى العمل بأحكامه ، ويندفع الشرك وأهله حتى تكون الغلبة للمسلمين ، والظهور لهم على الكافرين ، وتندفع سورة أهل الباطل ، فإنهم لو ظهروا لأفسدوا في الأرض بالشرك والظلم والفساد ، وتعطيل الشرائع والبغي في الأرض.

قلت: ويؤيد هذا أن الأئمة رحمهم الله عللوا كثيراً من أحكام الجهاد إثباتاً ونفياً بكونها تفضي إلى تعطيل الجهاد ، فدل على أن مراعاة إمضاء هذه الفريضة واجب على كل حال شاء المخالف أم أبى.

يا مرسل الريح جنوبا وصبا إن غضبت قيس فزدها غضبا

وهذه إشارة إلى بعض ما عللوه بذلك:

١- مواعدة أهل الحرب وهدنتهم من غير حاجة لا تجوز لأنه يفضي إلى ترك الجهاد الواجب لغير فائدة (الكافي: ٤/ ٣٣٨). وفي فتح العلي المالك (٢٨٩/١): في الصلح والمعاهدة في المعيار في باب الجهاد: أوقع الخليفة الصلح مع النصارى ، والمسلمون لا يرون إلا الجهاد ، مهادنته منقوضة وفعله مردود ، وكل ما نقل في تعين فرض الجهاد مانع من الصلح ، لاستلزامه إبطال فرض العين الذي هو الجهاد المطلوب فيه الاستنقاذ. وقال ابن رشد: الصلح المذكور فيه ترك الجهاد المتعين ، وترك الجهاد المتعين ممتنع وكل ممتنع غير لازم.

٢- لا يجوز عقد الهدنة مطلقاً غير مقدر بمدة لأن إطلاقها يقتضي التأبيد فيفضي إلى ترك الجهاد أبدا ، كذا في الكافي ونحوه في المغني (١٠/ ٥٠٩).

٣- عقد الذمة ، قال في المغني (٥١٢/١٠): ولا يجوز عقد الهدنة ولا الذمة إلا من الإمام أو نائبه ، لأنه عقد مع جملة الكفار وليس ذلك لغيره ، ويتعلق بنظر الإمام وما يراه من المصلحة على ما قدمناه ، ولأن تجويزه من غير الإمام يتضمن تعطيل الجهاد بالكلية أو إلى تلك الناحية وفيه افتيات على الإمام.

٤- التترس ، قال في الكافي (٢٨٦/٤): وإن تترس الكفار بصبيانهم ونسائهم جاز رميهم ويقصد المقاتلة لأن المنع من رميهم يفضي إلى تعطيل الجهاد. وفي الشرح الكبير (٣٩٥/١٠): ولأن كفّ المسلمين عنهم يفضي إلى تعطيل الجهاد لأنهم متى علموا ذلك تترسوا بهم عند خوفهم ، ونحوه في المغني (٤٩٥\١٠)، وفيه (٤٩٦\١٠): وقال القاضي والشافعي: يجوز رميهم إذا كانت الحرب قائمة لأن تركه يفضي إلى تعطيل الجهاد. وفي مجموع فتاوى ابن تيمية (٥٣٧/٢٨): إباحة قتل المسلمين الذين تترس بهم الكفار حماية للمسلمين من الفتنة والشرك. وقال أيضا: بل لو فيهم قوم صالحون من خيار الناس ، ولم يمكن قتالهم إلا بقتل هؤلاء لقتلوا أيضا ، فإن الأئمة متفقون على أن الكفار لو تترسوا بأسرى المسلمين ، وخيف على المسلمين إذا لم يقاتلوا ، فإنه يجوز أن نرميهم ونقصد الكفار ، ولو لم نخف على المسلمين جاز رمي أولئك المسلمين أيضا على أحد قولي العلماء.

٥- بيات الكفار ولو قتل من نسائهم وصبيانهم ، قال في الكافي (٢٦٨\٤): يجوز بيات الكفار ورميهم بالمنجنيق والنار وقطع المياه عنهم ، وإن تضمن ذلك إتلاف النساء والصبيان...فإن كان فيهم مسلمون فأمكن الفتح بدون ذلك لم يجز ، لأنه تعريض لقتلهم من غير حاجة ، وإن لم يمكن بدونه جاز ، لأن تحريمه يفضي إلى تعطيل الجهاد.

٦- ومنها الغزو مع كل بر وفاجر ، قال في الكافي أيضا (٢٨١\٤): ويغزى مع كل بر وفاجر ، لقول رسول الله ﷺ: الجهاد واجب عليكم مع كل أمير برا كان أوفاجرا ، رواه أبو داود. ولأن تركه مع الفاجر يفضي إلى تعطيل الجهاد وظهور العدو. وفي المغني نحوه (٣٦٨/١٠)، وقال شيخ الإسلام في المجموع: ولهذا كان من أصول أهل السنة والجماعة الغزو مع كل بر وفاجر ، فإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لا خلاق لهم ، كما أخبر بذلك النبي ﷺ ، لأنه إذا لم يتفق الغزو إلا مع الأمراء الفجار أو مع عسكر كثير الفجور ، فإنه لا بد من أحد أمرين: إما ترك الغزو معهم ، فيلزم من ذلك استيلاء الآخرين الذين هم أعظم ضررا في الدين والدنيا ، وإما الغزو مع الأمير الفاجر ، فيحصل بذلك دفع الأفجرين وإقامة أكثر شرائع الإسلام ، وإن لم يمكن إقامة جميعها ، فهذا هو الواجب في هذه الصورة وكل ما أشبهها ، بل كثير من الغزو الحاصل مع الخلفاء الراشدين لم يقع إلا على هذا الوجه. انتهى.

٧- فيمن له الحق في عقد الأمان ، قال في الكافي (٣٣١\٤): وللإمام عقده لجميع الكفار لأن له الولاية على جمع المسلمين ، وللأمير عقده لمن أقيم بإزائه لأن إليه الأمر فيهم ، وأما سائر الرعية فلهم عقده للواحد والعشرة ، والحصن الصغير ، لحديث عمر في أمان العبد ، ولا يصح لأهل بلدة ورستاق ونحوهم لأن ذلك يفضي إلى تعطيل الجهاد والافتئات على الإمام. وقال في (٣٣٢\٤): ويجوز عقده للمستأمن غير مقدر بمدة لأن ذلك لا يفضي إلى ترك الجهاد. وقال في عون المعبود (١٧\٦): ولا يجوز لمسلم أن يعطي أماناً عاماً لجماعة الكفارٍ ، فإن فعل ذلك لم يجز أمانة لأن ذلك يؤدي إلى تعطيل الجهاد أصلاً وذلك غير جائز. انتهى.

٨- في صحة الاستئجار على الغزو: قال ابن قدامة في المغني: ويحتمل أن يحمل كلام أحمد والخرقي على ظاهره في صحة الاستئجار على الغزو لمن لم يتعين عليه..... ويفارق الحج حيث أنه ليس بفرض عين وأن الحاجة داعية إليه ، وفي المنع من أخذ الجعل عليه تعطيل له ومنع له مما فيه للمسلمين نفع وبهم إليه حاجة فينبغي أن يجوز بخلاف الحج. انتهى

لو نَهَى الإمام عن الجهاد فلا سمع له ولا طاعة

الثالث: اعلم أن الأئمة رحمهم الله تعالى متفقون على أن الإمام المسلم إذا نهى عن الجهاد المتعين فقد أمر بمعصية فلا سمع له ولا طاعة ، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، قال ابن رشد: طاعة الإمام لازمة إن كان غير عدل ما لم يأمر بمعصية ، ومن المعصية النهي عن الجهاد المتعين ، كذا في فتح العلي المالك (٣٩٠\١١)، وقال ابن حزم في المحلى (٣٥٢/٥): لا إثم بعد الكفر أعظم من إثم من نهى عن جهاد الكفار ، وفي تاريخ دمشق

(٢٢/٥): سئل وكيع بن الجراح عن قتال العدو مع السلطان الجائر ؟ قال: إن كان جائراً وهو يعمل بالغزو بما يحق عليه فقاتل معه ، وإن كان يرتشي منهم ويهادنهم فقاتل على حيالك. فتأمل قوله هذا: فقاتل على حيالك ، فلم يشترط للقتال إماماً. وهذا مع وجود الإمام فكيف إذا لم يكن إمام أصلاً.

وفي نهاية المحتاج للرملي (٦٠\٨): يكره الغزو بغير إذن الإمام أو نائبه ، ولا كراهة في حالات:

١- إذا فوت الاستئذان المقصود ، أو عطل الإمام الغزو ، أو غلب على ظنه عدم الإذن كما بحث ذلك البلقيني. انتهى. ثم ذكر الحالات الأخرى فانظرها هناك.

ثم إذا كان الجهاد لا يعطل مع وجود الإمام لو نهى عنه فأن لا يعطل مع عدم الإمام من باب أولى[٢١٦].

وهؤلاء أئمة المالكية رحمهم الله لما وقع بين السلطان أبي عبد الله مُحَمَّد بن عبد الله السعدي وعمِّه أبي مروان المعتصم خلاف وذلك في القرن العاشر الهجري ، خرج السلطان المذكور وقصد (سبستيان) قائد البرتغال ، وطلب منه الإعانة لاسترجاع ملكه ، فأعانه وشرط عليه أن يعطيه سائر سواحل المغرب ، فاجتمع العلماء على خلعه ومبايعة عمه ، فبعث ينكر على العلماء صنيعهم ، فأجابوه بجواب من كافة الشرفاء والعلماء والصلحاء والأجناد من أهل المغرب يدحضون به أباطيله ، وذكروا الأسباب الحاملة على ذلك ، ومن أهمها: خذلانه أهل الجهاد ، وفراره عنهم ، وترك الديار للعدو ينتهبها ، وهروبه عن المسلمين[٢١٧]. انتهى.

إذا داهم الكفار بلدة من بلاد المسلمين، هل يلزم إذن الوالدين ؟

جاء رجل إلى النبي ﷺ يستأذنه في الجهاد ، فقال: أحي والداك ؟ قال: نعم قال: ففيهما فجاهد وفي رواية: أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغي الأجر من الله تعالى قال: فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما. رواه مسلم.

قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم: هذا كله دليل لعظم فضيلة برهما ، وأنه آكد من الجهاد ، وفيه حجة لما قاله العلماء أنه لا يجوز الجهاد إلا بإذنهما إذا كانا مسلمين ، أو بإذن المسلم منهما. فلو كانا مشركين لم يشترط إذنهما عند الشافعي ومن وافقه ، وشرطه الثوري. هذا كله إذا لم يحضر الصف ويتعين القتال ، وإلا فحينئذ يجوز بغير إذن.

وقال الإمام البغوي في شرح السنة: هذا في جهاد التطوع لا يخرج إلا بإذن الأبوين إذا كان مسلمين ، فإن كان الجهاد فرضاً متعيناً ، فلا حاجة إلى إذنهما ، وإن منعاه ، عصاهما وخرج ، وإن كان الأبوان كافرين ، فيخرج دون إذنهما فرضاً كان الجهاد أو تطوعاً ، وكذلك لا يخرج إلى شيء من التطوعات كالحج والعمرة والزيارة ، ولا يصوم التطوع إذا كره الوالدان المسلمان أو أحدهما إلا بإذنهما ، وما كان فرضاً ، فلا يحتاج فيه إلى إذنهما ، وكذلك لا يخرج إلى جهاد التطوع إلا بإذن الغرماء إذا كان لهم عليه دين عاجل ، كما يخرج إلى الحج إلا بإذنهم ، فإن تعين عليه فرض الجهاد لم يعرج على الإذن ، وقال أيضاً في ص ٣٧٤ واعلم أن الجهاد فرض على الجملة ، غير أنه ينقسم إلى فرض العين ، وإلى فرض الكفاية ، ففرض العين أن يدخل العدو دار قوم من المؤمنين أو ينزل بباب بلدهم فيجب على كل مكلف من الرجال ممن لا عذر له من أهل تلك البلد الخروج إلى غزوهم حراً كان أو عبداً ، فقيراً كان أو غنياً ، دفعاً عن أنفسهم ، وعن جيرانهم ، وهو في حق من بعد عنهم من المسلمين فرض على الكفاية ، فإن لم تقع الكفاية بمن نزل بهم يجب على من بعد منهم من المسلمين عونهم ، وإن وقعت الكفاية بالنازلين بهم فلا فرض على الأبعدين إلا عن طريق الإختيار والإستحباب ، ولا

---

[٢١٦] ثم إنهم قد ذكروا أمورا في الجهاد تحل بغير إذن الإمام، فلئن كانت جائزة مع وجوده وبغير علمه فجوازها مع عدمه أولى، ومن ذلك التلصص في دار الحرب، قال ابن قدامة في الكافي (٣١٣\٤): وإذا دخل قوم لامنعة لهم دار حرب بغير إذن الإمام فغنموا، ففي غنيمتهم ثلاث روايات، إحداهن: فيها الخمس، وسائرها لهم، لعموم قوله تعالى: اعلموا أنما غنمتم من شيئ فأن لله خمسه. الثانية: هي لهم من غير خمس، لأنه اكتساب مباح من غير جهاد، أشبه الاحتطاب. والثالثة: هي فيئ لاشيء لهم فيها لأنهم عصاة بفعلهم فلم يملكوه كالسرقة من المسلمين، وإن كانت الطائفة ذات منعة فكذلك، لما ذكرنا من التعليل. وقيل: لا يكون لهم من غير خمس رواية واحدة، لأنها غنيمة، فلا يستحقونها بغير خمس للآية وكسائر الغنائم. انتهى. وفي الولوالجية من كتب الحنفية لأبي الفتح بن أبي حنيفة(٢٩٩/٢): رجل دخل دار الحرب متلصصا فسرق صبيا وأخرجه إلى دار الإسلام، فالصبي مسلم.

ومن ذلك النفير إلى العدو بغير إذن الإمام إن خفنا الضرر بتأخر حربه، قال في الكافي (٢٨١\٤): ولا يجوز الخروج إلى الغزو إلا بإذنه لأنه أعلم بمصالح الحرب والطرقات ومكامن العدو وكثرتهم وقلتهم، فيجب الرجوع إلى رأيه إلا أن يعرض ما يمنع من استئذانه من مفاجأة عدو يخاف الضرر بتأخر حربه، أو فرصة يخاف فواتها بانتظار رأيه فيجوز من غير إذنه.

[٢١٧] قارن بين حال أولئك الأعلام وما صنعوه مع سلطان زمانهم، وحال كثير من المنتسبين إلى العلم مع سلاطين زماننا، الذين لم يخذلوا أهل الجهاد فحسب، بل خذلوا الدين كلَّه، حتى جعلوه وأمةَ المسلمين كلأً مباحا لأرباب الصلبان، بل هم من أعظم العون لمن سخط الله عليهم ولعنهم من أمم اليهود والنصارى على حرب الإسلام وأهله، ومع ذلك ترى صبيان الفقهاء يحرمون على الأمة جهاد عدوها إلا أن يعلن أئمتهم هؤلاء الجهادَ وإلا فلا! وعند الله تجتمع الخصوم.

يدخل في هذا القسم العبيد والفقراء ، ومن هذا القبيل أن يكون الكفار قارين في بلادهم ، ولا يقصدون المسلمين ولا بلد من بلادهم فعلى الإمام أن لا يخلي سنة من غزوة يغزوها بنفسه أو بسراياه حتى لا يكون الجهاد معطلا ، والإختيار للمطيق للجهاد مع وقوع الكفاية بغيره أن لا يقعد عن الجهاد قال تعالى (لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً)

وروي عن ابن عباس أن قول الله تعالى (إنفروا خفافاً وثقالاً) نسخة قول الله تعالى (وما كان المؤمنون لينفروا كافة) وروي عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من نفاق)

قال عبد الله بن مبارك: نرى أن ذلك كان على عهد رسول الله ﷺ.

قال الإمام الصنعاني في سبل السلام: وفي الحديث دليل على أنه يسقط فرض الجهاد مع وجود الأبوين أو أحدهما لما أخرجه أحمد والنسائي من طريق معاوية بن جاهمة أن أبا جاهمة جاء إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله أردت الغزو فقال هل لك من أم قال نعم قال الزمها وظاهره سواء كان الجهاد فرض عين أو فرض كفاية وسواء تضرر الأبوان بخروجه أو لا وذهب الجماهير من العلماء إلى أنه يحرم الجهاد على الولد إذا منعه الأبوان أو أحدهما بشرط أن يكونا مسلمين لأن برهما فرض عين والجهاد فرض كفاية فإذا تعين الجهاد فلا فإن قيل بر الوالدين فرض عين أيضا والجهاد ثم تعينه فرض عين فهما مستويان ما وجه تقديم الجهاد قلت لأن مصلحته أعم إذ هي لحفظ الدين والدفاع عن المسلمين فمصلحته عامة مقدمة على غيرها وهو يقدم على مصلحة حفظ البدن.

وقال ابن قدامة في المغي: وإذا خوطب بالجهاد فلا إذن لهما وكذلك كل الفرائض لا طاعة لهما في تركها يعني إذا وجب عليه الجهاد لم يعتبر إذن والديه لأنه صار فرض عين وتركه معصية ولاطاعة لأحد في معصية الله وكذلك كل ما وجب مثل الحج والصلاة في الجماعة والجمع والسفر للعلم الواجب قال الأوزاعي لا طاعة للوالدين في ترك الفرائض والجمع والحج والقتال لأنها عبادة تعينت عليه فلم يعتبر إذن الأبوين فيها كالصلاة ولأن الله تعالى قال ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا آل عمران ولم يشترط إذن الوالدين.

قال ابن حزم في المحلى: ولا يجوز الجهاد إلا بإذن الأبوين إلا أن ينزل العدو بقوم من المسلمين ففرض على كل من يمكنه إعانتهم أن يقصدهم مغيثا لهم أذن الأبوان أم لم يأذنا إلا أن يضيعا أو أحدهما بعده فلا يحل له ترك من يضيع منهما.

قال الحافظ ابن حجر في الفتح ، شرح صحيح البخاري: قال جمهور العلماء: يحرم الجهاد إذا منع الأبوان أو أحدهما بشرط أن يكونا مسلمين ، لأن برهما فرض عين عليه والجهاد فرض كفاية ، فإذا تعين الجهاد فلا إذن. ويشهد له ما أخرجه ابن حبان من طريق أخرى عن عبد الله بن عمرو " جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فسأله عن أفضل الأعمال ، قال: الصلاة. قال ثم مه ؟ قال الجهاد. قال فإن لي والدين ، فقال آمرك بوالديك خيرا. فقال والذي بعثك بالحق نبيا لأجاهدن ولأتركنهما قال فأنت أعلم " وهو محمول على جهاد فرض العين توفيقا بين الحديثين.

وقال الإمام الخطابي في معالم السنن: تحت باب الرجل يغزو وابواه كارهان ، قال شارحا (الخطابي):

" إذا كان الخارج فيه متطوعا ، فإن ذلك لا يجوز إلا بإذن الوالدين ، فأما إذا تعين عليه فرض الجهاد ، فلا حاجة به إلي إذنهما. وإن منعاه من الخروج عصاهما وخرج في الجهاد ، وهذا إذا كانا مسلمين ، فإن كانا كافرين ، فلا سبيل لهما إلى منعه من الجهاد فرضا كان أو نفلا ، وطاعتهما حينئذ معصية لله تعالى ، ومعونة للكفار وإنما عليه أن يبرهما ويطيعهما فيما ليس بمعصية.

وقال: ولا يخرج إلى الغزو إلا بإذن الغرماء ، إذا كان عليه لهم دين عاجلا ، كما لا يخرج إلى الحج إلا بإذنهما ، فإن تعين عليه فرض الجهاد لم يعرج على الإذن.

ولله در ابن المبارك حين ينشد:

كيف القرار وكيف يهدأ مسلم ... والمسلمات مع العدو المعتدي

الضاربات خدودهن برنة ... الداعيات نبيهن مُحَمَّدا

القائلات إذا خشين فضيحة ... جهد المقالة ليتنا لم نولد

ما تستطيع ومالها من حيلة ... الا التستر من أخيها باليد

وأذكر نفسي وإخواني من فتاوى تقوم على ساق الهوى وأوراق الغواية ، وتعال معي إلى نصيحة من ابن المبارك لما سمع أن إسماعيل بن عليه قد ولي القضاء ، فكتب إليه:

يا جاعل العلم له بازيا — يصطاد أموال المساكين

احتلت للدنيا ولذاتها — بحيلة تذهب بالدين

فصرت مجنونا بها بعدما — كنت دواء للمجانين

أين رواياتاك في سردها — عن ابن عون وابن سرين

أين رواياتك فيما مضى — في ترك أبواب السلاطين

إن قلت أكرهت فما ذا — كذا زلّ حمار العلم في الطين

لا تبع الدين بدنيا كما — يفعل ضلال الرهابين

فلما وقف ابن علية على هذه الأبيات قام من مجلس القضاء فوطىء مجلس هارون الرشيد ، وقال يا أمير المؤمنين: الله الله ارحم شيبتي ، فإني لا أصبر للخطأ ، فقال له هارون: هل هذا المجنون أغرى عليك ؟ فقال: الله الله أنقذني أنقذك الله فأعفاه من القضاء.

وفي ختام الكلام أقول لنفرض جدلا أن تقسيمات الجهاد إلى دفع وطلب ليست موجودة ، ودخل الكفار بلدا من بلاد المسلمين ، فما هو الواجب على المسلمين ؟ لا شك أنه يجب عونهم إذا عجز أهل البلدة —التي غُزيت— عن دفع الأعداء حتى تتم الكفاية.

وأقول مرة أخرى ، مرارا وتكرارا ، مَن مِن العلماء السابقين قال لا بد من إذن الوالي والراية الشرعية وإذن الوالدين إذا نزل العدو بلداً من بلاد المسلمين ؟

وأقول كما قال شيخ الإسلام: " وبلاد المسلمين كالبلدة الواحدة " ، إي والله مثل الجسد الواحد ، فويل لمن ناصر الكفار ، وموعدنا عند الجبار في يوم تنطق فيه الجلود وتشخص فيه الأبصار.

ثم أقول فتشوا الكتب كما شئتم ، وابحثوا عن أقوال سلفنا في هذا الباب ، وبينوا للناس الحق تكونوا مشكورين ونحن معكم ، وننتظر الجواب ، والله المستعان ، وبارك الله فيكم.

وهناك كذلك بعض الشبه التى لا يستدل بها إلا الجبناء أصحاب البطون محبى الدنيا عن الأخرة منها.

الشبهة الأولى: هي دعوتهم إلى بدعة المقاومة السلمية وترك الجهاد "كتاب فضل الجهاد والمجاهدين والرد على شبهات المثبطين احمد العازمى"

يدعون إلى مقاومة تسمى سلمية ، ومع ذلك يدعون إلى ترك الجهاد والقتال في سبيل الله ، ووالله إنما هي حيلة شيطانية انطلت على كثير من المسلمين الهدف منها تسليم بلاد المسلمين وخيراتهم ورقابهم للكافرين والتنكر لفريضة الجهاد بالنفس والمال واللسان وتعطيلها ، فأي مقاومة سلمية هذه ؟ أي مقاومة سلمية تجعلنا نرى الكفار يعبثون بشرفنا ليل نهار وينتهكون أعراضنا ثم لا نحرك ساكنا ونطالب بالمقاومة السلمية ؟ إن ما يسمى بالمقاومة السلمية ليست إلا باطلاً من القول وزورا وعذراً يتخفى خلفه القاعدون وتقديماً بين يدي الله ورسوله ، قال الله تعالى: (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم) ، وأمر الله معروف ، وآيات الجهاد والقتال تملأ ما بين دفتي المصحف .

وويلٌ ثم ويلٌ لأولئك الذين يردون آيات الله القطعية الآمرة بالقتال ضد الكفار المحاربين ويستبدلونها بعصارة أفكارهم المريضة وتأويلاتهم البغيضة التي تخالف صريح أمر الله ورسوله بجهاد الغزاة المحتلين لأراضي المسلمين ، كما في العراق وأفغانستان وفلسطين والشيشان وكشمير والفلبين وغيرها من بلاد المسلمين.

الشبهة الثانية: تثبيطهم عن الجهاد بحجة ضعف المجاهدين:
والرد على هذا بسيط جداً ، أقول ؛ إن تحالف دول الكفر الكبرى في العالم على محاربة المجاهدين يكذب هذه الدعوة ، فما كان لأمريكا وحلف الناتو أن يتناسوا خلافاتهم مع روسيا ويتوحدوا معها في مواجهة المجاهدين لو كانت قوة المجاهدين ضعيفة ، ولما كانت أفعال المجاهدين هي الشاغل الأكبر للإعلام العالمي ، كما أن العمليات الكبيرة والانتصارات المتوالية للمجاهدين في أرض الشيشان والعراق وأفغانستان وغيرها يكذب هذه الدعوى.

الشبهة الثالثة للمثبطين: زعمهم بأن النبي ﷺ قاتل في كذا غزوة فقط:
ويريدون بذلك صرف المسلمين إلى الشئون الأخرى غير الجهاد ، وهذه دعوى كاذبة باطلة ، فإن النبي ﷺ منذ أمر بالجهاد وهو في حالة حرب وجهاد دائم ، فإن الجهاد ليس هو القتال وحسب بل الغالب منه الرباط ، فقد كان النبي ﷺ وأصحابه في حال مرابطة دائمة وحمل للسلاح ، فقد كانت المدينة مستهدفة من قبل الكفار ، كما في غزوات بدر وأحد والأحزاب وغيرها ، وكان النبي ﷺ في جهاد دائم ما بين الرباط وقيادة الغزوات وإرسال السرايا من أصحابه رضي الله عنهم ، فمن أراد أن يقصر جهاد النبي ﷺ وحربه مع الكفار بعدد الغزوات فقد أخطأ خطأً كبيرا ، ثم نقول لهؤلاء المثبطين لقد غزا النبي ﷺ سبع عشرة غزوة فهلا أتيتم ولو بغزوة واحدة.

الشبهة الرابعة: هي تثبيط الشباب بحجة المحافظة على أرواح الصالحين:
وهذا خطأ فاحش وخلل في الإيمان بالقدر ، وهو يناقض عقيدة المؤمن التي بينها الله تعالى في كتابه والتي رد بها على المنافقين الذين ثبطوا المسلمين عن الجهاد ودعوهم إلى القعود مع الخوالف ، فقال تعالى: (الذين قالو لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادرءوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين * ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياءً عند ربهم يرزقون) وقال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزاً لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرةً في قلوبهم والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير) وقال تعالى: (وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلا) وقال عز وجل: (أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروجٍ مشيدة) وقال عز وجل: (قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذاً لا تمتعون إلا قليلا.)

فهذه الشبهة مضادة لأمر الله تعالى بالجهاد بالنفس في سبيل الله ، كما أن هذه الشبهة الباطلة لم يقلها النبي ﷺ لأصحابه وهم خير الصالحين بعد الأنبياء ، بل حرضهم على الجهاد ورغبهم في طلب الشهادة في مضانها ، فلقد روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: (من خير معاش الناس لهم رجل ممسك عنان فرسه في سبيل الله يطير على متنه كلما سمع هيعة أو فزعة طار عليه يبتغي القتل والموت مضانه) ، بل لقد تمنى النبي ﷺ الشهادة بنفسه ، فروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (والذي نفس مُحَمَّد بيده لوددت أني أغزو في سبيل الله فأقتل ثم أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل.)

وثمة شبهة خامسة يرددها بعض المثبطين : وهي أنهم لا يحرضون على الجهاد خشية على الشباب من تغير المنهج في أرض الجهاد:
والجواب على ذلك ؛ هو أن نفير الشباب إلى أرض الجهاد إنما هو دليل على صحة المنهج ، فقد ذكر النبي ﷺ أن من صفات الطائفة الناجية المنصورة القتال ، كما ذكر ﷺ في قوله : (لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أمر الله قاهرين لعدوهم لا يضرهم من خالفهم حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك) ، ومما يرد على ذلك الواقع فبالجهاد تحيا القلوب ويقوى الإيمان وتظهر الخبرات والمهارات وتكتشف طاقات الأمة الكامنة ، فكم أخرجت ساحات الجهاد من أفذاذ وقادة وعلماء صادقين ، فالجهاد سبب من أسباب الهداية ، وإن كان من تغيير فهو إلى الأفضل ولا شك ، قال تعالى: (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع الصابرين .)

وفي الختام أقول:

يا أيها المسلمون ؛ أن نعلم بأننا نمر بمرحلة تغيير جذري ، وبأننا نعيش مرحلة حاسمة وخطيرة لابد فيها من التضحيات ، لابد فيها من الشهداء الذين بدمائهم تحيا الأمة ، ولا يجوز لنا فيها التساهل.

ولنعلم أن الأمم قد تداعت علينا ، وأن الكفر قد اجتمع لاستئصالنا ، وأنه لابد لنا من وقفة أمام هذه المؤامرة العظيمة وبوجه هذه الهجمة الصليبية الجديدة ، وإنه لا سبيل إلى ذلك إلا بالجهاد بالنفس والمال واللسان ، لا بالقعود والتخاذل والاستسلام ، إن أردنا حياة كريمة في ظل شريعة الله وإن أردنا أن تعود الخلافة الراشدة التي بشر بها النبي ﷺ في آخر الزمان فلنسعى إلى ذلك جهدنا وطاقتنا ، فإننا لسنا أمة جامدة حمقاء تنتظر مخلصها - كالرافضة والصليبيين - بل إننا أمة رسالة وجهاد وتضحيات وهمة وعزيمة وصبر ومصابرة ولا راحة لنا إلا في الجنة ، إننا أمة جعلها الله خير الأمم أمة لا ترضى بالذلة والمسكنة بل تجاهد في سبيل الله تبتغي إحدى الحسنيين ؛ النصر أو الشهادة.

ويا أيها الشباب المخلصون الصادقون المجاهدون:
لا تستمعوا لدعاوى هؤلاء المبطلين من المثبطين والمرجفين ، ولا ترعوا لشبهات المخذلين المعوقين ، وامضوا على بركة الله (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) ، لا بد لنا أن

نقاتلهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله.

ونحن نحث إخواننا المجاهدين على أن لا ينشغلوا بقتال الحكومات العميلة ، وأن يستغلوا فرصة الجهاد في العراق ، فإنها فرصة لا تقدر بثمن ، وقد لا تتكرر.

كما نحثهم على أن يجمعوا قوتهم لضرب الأمريكان ، فضرب الرأس أولى من الانشغال بالأيدي والأرجل.

كما ننصح بعض أهل العلم بالتوجه إلى العراق للجهاد في سبيل الله والسعي إلى تجميع كلمة المجاهدين تحت قيادة موحدة تقودهم بالكتاب والسنة على هدي السلف الصالح ، فإنه لم يبق عذر لمن أراد الجهاد في فلسطين ألا يجاهد في العراق.

نصيحة شيخ الإسلام ابن تيمية للمسلمين

○كَتَبَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ أَحْمَد ابْنُ تيمية - قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ - لَمَّا قَدِمَ الْعَدُوُّ مِنْ التَّتَارِ سَنَةَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَسِتِّمِائَةٍ إلَى حَلَبَ وَانْصَرَفَ عَسْكَرُ مِصْرَ وَبَقِيَ عَسْكَرُ الشَّامِ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إلَى مَنْ يَصِلُ إلَيْهِ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ - أَحْسَنَ اللَّهُ إلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَسْبَغَ عَلَيْهِمْ نِعَمَهُ بَاطِنَةً وَظَاهِرَةً وَنَصَرَهُمْ نَصْرًا عَزِيزًا وَفَتَحَ عَلَيْهِمْ فَتْحًا كَبِيرًا وَجَعَلَ لَهُمْ مِنْ لَدُنْه سُلْطَانًا نَصِيرًا وَجَعَلَهُمْ مُعْتَصِمِينَ بِحَبْلِهِ الْمَتِينِ مُهْتَدِينَ إلَى صِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيمِ - سَلَامٌ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

فَإِنَّا نَحْمَدُ إلَيْكُمْ اللَّهَ الَّذِي لَا إلَهَ إلَّا هُوَ وَهُوَ لِلْحَمْدِ أَهْلٌ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَنَسْأَلُهُ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَى صَفْوَتِهِ مِنْ خَلِيقَتِهِ وَخَيْرَتِهِ مِنْ بَرِيَّتِهِ مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا . أَمَّا بَعْدُ : فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاَللَّهِ شَهِيدًا وَجَعَلَهُ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَسَيِّدَ وَلَدِ آدَمَ مِنْ النَّاسِ أَجْمَعِينَ وَجَعَلَ كِتَابَهُ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَيْهِ مُهَيْمِنًا عَلَى مَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ الْكُتُبِ وَمُصَدِّقًا لَهَا وَجَعَلَ أُمَّتَهُ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ : يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنْكَرِ ؛ فَهُمْ يُوفُونَ سَبْعِينَ فِرْقَةً هُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ وَقَدْ أَكْمَلَ لَهُمْ دِينَهُمْ وَأَتَمَّ عَلَيْهِمْ نِعْمَتَهُ وَرَضِيَ لَهُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا . فَلَيْسَ دِينٌ أَفْضَلَ مِنْ دِينِهِمْ الَّذِي جَاءَ بِهِ رَسُولُهُمْ وَلَا كِتَابٌ أَفْضَلَ مِنْ كِتَابِهِمْ وَلَا أُمَّةٌ خَيْرًا مِنْ أُمَّتِهِمْ . بَلْ كِتَابُنَا وَنَبِيُّنَا وَدِينُنَا وَأُمَّتُنَا أَفْضَلُ مِنْ كُلِّ كِتَابٍ وَدِينٍ وَنَبِيٍّ وَأُمَّةٍ . فَاشْكُرُوا اللَّهَ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكُمْ . { وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ } وَاحْفَظُوا هَذِهِ الَّتِي بِهَا تَنَالُونَ نَعِيمَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاحْذَرُوا أَنْ تَكُونُوا مِمَّنْ بَدَّلَ نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا فَتُعْرِضُونَ عَنْ حِفْظِ هَذِهِ النِّعْمَةِ وَرِعَايَتِهَا فَيَحِيقُ بِكُمْ مَا حَاقَ بِمَنْ انْقَلَبَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَاشْتَغَلَ بِمَا لَا يَنْفَعُهُ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا عَمَّا لَا بُدَّ لَهُ مِنْهُ مِنْ مَصْلَحَةِ دِينِهِ وَدُنْيَاهُ فَخَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ . فَقَدْ سَمِعْتُمْ مَا نَعَتَ اللَّهُ بِهِ الشَّاكِرِينَ وَالْمُنْقَلِبِينَ حَيْثُ يَقُولُ : { وَمَا مُحَمَّدٌ إلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ } . أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ هَذِهِ الْآيَةَ وَمَا قَبْلَهَا وَمَا بَعْدَهَا فِي غَزْوَةِ أُحُدٍ لَمَّا انْكَسَرَ الْمُسْلِمُونَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ . وَقُتِلَ جَمَاعَةٌ مِنْ خِيَارِ الْأُمَّةِ " وَثَبَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَ طَائِفَةٍ يَسِيرَةٍ حَتَّى خَلَصَ إلَيْهِ الْعَدُوُّ فَكَسَرُوا رَبَاعِيَتَهُ وَشَجُّوا وَجْهَهُ وَهَشَّمُوا الْبَيْضَةَ عَلَى رَأْسِهِ وَقُتِلَ وَجُرِحَ دُونَهُ طَائِفَةٌ مِنْ خِيَارِ أَصْحَابِهِ لِذَبِّهِمْ عَنْهُ وَنَعَقَ الشَّيْطَانُ فِيهِمْ : أَنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ . فَزَلْزَلَ ذَلِكَ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ حَتَّى انْهَزَمَ طَائِفَةٌ وَثَبَّتَ اللَّهُ آخَرِينَ حَتَّى ثَبَتُوا . وَكَذَلِكَ لَمَّا قُبِضَ النَّبِيُّ ﷺ فَتَزَلْزَلَتْ الْقُلُوبُ وَاضْطَرَبَ حَبْلُ الدِّينِ وَغَشِيَتْ الذِّلَّةُ مَنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ النَّاسِ حَتَّى خَرَجَ عَلَيْهِمْ الصِّدِّيقُ رضي الله عنها فَقَالَ : مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ وَقَرَأَ قَوْلَهُ : { وَمَا مُحَمَّدٌ إلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ } فَكَأَنَّ النَّاسَ لَمْ يَسْمَعُوهَا حَتَّى تَلَاهَا الصِّدِّيقُ رضي الله عنه فَلَا يُوجَدُ مِنْ النَّاسِ إلَّا مَنْ يَتْلُوهَا . وَارْتَدَّ بِسَبَبِ مَوْتِ الرَّسُولِ ﷺ وَلَمَّا حَصَلَ لَهُمْ مِنْ الضَّعْفِ جَمَاعَاتٌ مِنْ النَّاسِ : قَوْمٌ ارْتَدُّوا عَنْ الدِّينِ بِالْكُلِّيَّةِ . وَقَوْمٌ ارْتَدُّوا عَنْ بَعْضِهِ فَقَالُوا : نُصَلِّي وَلَا نُزَكِّي . وَقَوْمٌ ارْتَدُّوا عَنْ إخْلَاصِ الدِّينِ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ . فَآمَنُوا مَعَ مُحَمَّدٍ بِقَوْمٍ مِنْ النَّبِيِّينَ الْكَذَّابِينَ كمسيلمة الْكَذَّابِ وطليحة الأسدي وَغَيْرِهِمَا فَقَامَ إلَى جِهَادِهِمْ الشَّاكِرُونَ الَّذِينَ ثَبَتُوا عَلَى الدِّينِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالطُّلَقَاءِ وَالْأَعْرَابِ وَمَنْ اتَّبَعَهُمْ بِإِحْسَانِ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِمْ : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ } هُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ جَاهَدُوا الْمُنْقَلِبِينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ الَّذِينَ لَمْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا . وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ مِنْ آيَةٍ إلَّا وَقَدْ عَمِلَ بِهَا قَوْمٌ وَسَيَعْمَلُ بِهَا آخَرُونَ . فَمَنْ كَانَ مِنْ الشَّاكِرِينَ الثَّابِتِينَ عَلَى الدِّينِ الَّذِينَ يُحِبُّهُمْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَرَسُولُهُ ؛ فَإِنَّهُ يُجَاهِدُ الْمُنْقَلِبِينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ الَّذِينَ يَخْرُجُونَ عَنْ الدِّينِ وَيَأْخُذُونَ بَعْضَهُ وَيَدَعُونَ بَعْضَهُ كَحَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ الْمُفْسِدِينَ الَّذِينَ خَرَجُوا عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ وَتَكَلَّمَ بَعْضُهُمْ بِالشَّهَادَتَيْنِ وَتَسَمَّى بِالْإِسْلَامِ مِنْ غَيْرِ الْتِزَامِ شَرِيعَتِهِ ؛ فَإِنَّ عَسْكَرَهُمْ مُشْتَمِلٌ عَلَى أَرْبَعِ طَوَائِفَ : كَافِرَةٌ بَاقِيَةٌ عَلَى كُفْرِهَا : مِنْ الكرج وَالْأَرْمَنِ وَالْمَغُولِ . وَطَائِفَةٍ كَانَتْ مُسْلِمَةً فَارْتَدَّتْ عَنْ الْإِسْلَامِ وَانْقَلَبَتْ عَلَى عَقِبَيْهَا : مِنْ الْعَرَبِ وَالْفُرْسِ وَالرُّومِ وَغَيْرِهِمْ . وَهَؤُلَاءِ أَعْظَمُ جُرْمًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ مِنْ الْكَافِرِ الْأَصْلِيِّ مِنْ وُجُوهٍ كَثِيرَةٍ . فَإِنَّ هَؤُلَاءِ يَجِبُ قَتْلُهُمْ حَتْمًا مَا لَمْ يَرْجِعُوا إلَى مَا خَرَجُوا عَنْهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يُعْقَدَ لَهُمْ ذِمَّةٌ وَلَا هُدْنَةٌ وَلَا أَمَانٌ وَلَا يُطْلَقُ أَسِيرُهُمْ وَلَا يُفَادَى بِمَالِ وَلَا رِجَالٍ وَلَا تُؤْكَلُ ذَبَائِحُهُمْ وَلَا تُنْكَحُ نِسَاؤُهُمْ وَلَا يسترقون ؛ مَعَ بَقَائِهِمْ عَلَى الرِّدَّةِ بِالِاتِّفَاقِ . وَيُقْتَلُ مَنْ قَاتَلَ مِنْهُمْ وَمَنْ لَمْ يُقَاتِلْ ؛ كَالشَّيْخِ الْهَرِمِ وَالْأَعْمَى وَالزَّمِنِ بِاتِّفَاقِ الْعُلَمَاءِ . وَكَذَا نِسَاؤُهُمْ عِنْدَ الْجُمْهُورِ . وَالْكَافِرُ الْأَصْلِيُّ يَجُوزُ أَنْ يُعْقَدَ لَهُ أَمَانٌ وَهُدْنَةٌ وَيَجُوزُ الْمَنُّ عَلَيْهِ وَالْمُفَادَاةُ بِهِ إذَا كَانَ أَسِيرًا عِنْدَ الْجُمْهُورِ وَيَجُوزُ إذَا كَانَ كِتَابِيًّا أَنْ يُعْقَدَ لَهُ ذِمَّةٌ وَيُؤْكَلُ طَعَامُهُمْ وَتُنْكَحُ نِسَاؤُهُمْ وَلَا تُقْتَلُ نِسَاؤُهُمْ إلَّا أَنْ يُقَاتِلْنَ بِقَوْلِ أَوْ عَمَلٍ بِاتِّفَاقِ الْعُلَمَاءِ . وَكَذَلِكَ لَا يُقْتَلُ مِنْهُمْ إلَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْقِتَالِ عِنْدَ جُمْهُورِ الْعُلَمَاءِ كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ السُّنَّةُ . فَالْكَافِرُ

الْمُرْتَدُّ أَسْوَأُ حَالًا فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا مِنْ الْكَافِرِ الْمُسْتَمِرِّ عَلَى كُفْرِهِ . وَهَؤُلَاءِ الْقَوْمُ فِيهِمْ مِنْ الْمُرْتَدَّةِ مَا لَا يُحْصِي عَدَدَهُمْ إلَّا اللَّهُ . فَهَذَانِ صِنْفَانِ . وَفِيهِمْ أَيْضًا مَنْ كَانَ كَافِرًا فَانْتَسَبَ إلَى الْإِسْلَامِ وَلَمْ يَلْتَزِمْ شَرَائِعَهُ ؛ مِنْ إقَامَةِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَحَجِّ الْبَيْتِ وَالْكَفِّ عَنْ دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَأَمْوَالِهِمْ وَالْتِزَامِ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَضَرْبِ الْجِزْيَةِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَغَيْرِ ذَلِكَ . وَهَؤُلَاءِ يَجِبُ قِتَالُهُمْ بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ كَمَا قَاتَلَ الصِّدِّيقُ مَانِعِي الزَّكَاةِ ؛ بَلْ هَؤُلَاءِ شَرٌّ مِنْهُمْ مِنْ وُجُوهٍ وَكَمَا قَاتَلَ الصَّحَابَةُ أَيْضًا مَعَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - عَلِيٍّ رضي الله عنه - الْخَوَارِجَ بِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَيْثُ قَالَ ﷺ فِي وَصْفِهِمْ : { تُحَقِّرُونَ صَلَاتَكُمْ مَعَ صَلَاتِهِمْ وَصِيَامَكُمْ مَعَ صِيَامِهِمْ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنْ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنْ الرَّمِيَّةِ أَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا عِنْدَ اللَّهِ لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ } وَقَالَ : { لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ مَاذَا لَهُمْ عَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ لَنَكَلُوا عَنْ الْعَمَلِ } وَقَالَ : { هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ شَرُّ قَتْلَى تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ خَيْرُ قَتْلَى مَنْ قَتَلُوهُ } . فَهَؤُلَاءِ مَعَ كَثْرَةِ صِيَامِهِمْ وَصَلَاتِهِمْ وَقِرَاءَتِهِمْ . أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِقِتَالِهِمْ وَقَاتَلَهُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٌّ وَسَائِرُ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ مَعَهُ وَلَمْ يَخْتَلِفْ أَحَدٌ فِي قِتَالِهِمْ كَمَا اخْتَلَفُوا فِي قِتَالِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَالشَّامِ ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يُقَاتِلُونَ الْمُسْلِمِينَ . فَإِنَّ هَؤُلَاءِ شَرٌّ مِنْ أُولَئِكَ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا مِثْلَهُمْ فِي الِاعْتِقَادِ ؛ فَإِنَّ مَعَهُمْ مَنْ يُوَافِقُ رَأْيُهُ فِي الْمُسْلِمِينَ رَأْيَ الْخَوَارِجِ . فَهَذِهِ ثَلَاثَةُ أَصْنَافٍ . وَفِيهِمْ صِنْفٌ رَابِعٌ شَرٌّ مِنْ هَؤُلَاءِ . وَهُمْ قَوْمٌ ارْتَدُّوا عَنْ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ وَبَقُوا مُسْتَمْسِكِينَ بِالِانْتِسَابِ إلَيْهِ . فَهَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ الْمُرْتَدُّونَ وَالدَّاخِلُونَ فِيهِ مِنْ غَيْرِ الْتِزَامٍ لِشَرَائِعِهِ وَالْمُرْتَدُّونَ عَنْ شَرَائِعِهِ لَا عَنْ سَمْتِهِ : كُلُّهُمْ يَجِبُ قِتَالُهُمْ بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى يَلْتَزِمُوا شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ وَحَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ وَحَتَّى تَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ - الَّتِي هِيَ كِتَابُهُ وَمَا فِيهِ مِنْ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَخَبَرِهِ - هِيَ الْعُلْيَا . هَذَا إذَا كَانُوا قَاطِنِينَ فِي أَرْضِهِمْ فَكَيْفَ إذَا اسْتَوْلَوْا عَلَى أَرَاضِي الْإِسْلَامِ : مِنْ الْعِرَاقِ وَخُرَاسَانَ وَالْجَزِيرَةِ وَالرُّومِ فَكَيْفَ إذَا قَصَدُوكُمْ وَصَالُوا عَلَيْكُمْ بَغْيًا وَعُدْوَانًا { أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } { قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ } { وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ } . وَاعْلَمُوا - أَصْلَحَكُمْ اللَّهُ - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ ثَبَتَ عَنْهُ مِنْ وُجُوهٍ كَثِيرَةٍ أَنَّهُ قَالَ : { لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ إلَى قِيَامِ السَّاعَةِ } وَثَبَتَ أَنَّهُمْ بِالشَّامِ . فَهَذِهِ الْفِتْنَةُ قَدْ تَفَرَّقَ النَّاسُ فِيهَا ثَلَاثَ فِرَقٍ : الطَّائِفَةُ الْمَنْصُورَةُ وَهُمْ الْمُجَاهِدُونَ لِهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ . وَالطَّائِفَةُ الْمُخَالِفَةُ وَهُمْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ وَمَنْ تَحَيَّزَ إلَيْهِمْ مِنْ خبالة الْمُنْتَسِبِينَ إلَى الْإِسْلَامِ . وَالطَّائِفَةُ الْمُخَذِّلَةُ وَهُمْ الْقَاعِدُونَ عَنْ جِهَادِهِمْ ؛ وَإِنْ كَانُوا صَحِيحِي الْإِسْلَامِ . فَلْيَنْظُرْ الرَّجُلُ أَيَكُونُ مِنْ الطَّائِفَةِ الْمَنْصُورَةِ أَمْ مِنْ الْخَاذِلَةِ أَمْ مِنْ الْمُخَالِفَةِ ؟ فَمَا بَقِيَ قِسْمٌ رَابِعٌ . وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجِهَادَ فِيهِ خَيْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَفِي تَرْكِهِ خَسَارَةُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ : { قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إلَّا إحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ } يَعْنِي : إمَّا النَّصْرُ وَالظَّفَرُ وَإِمَّا الشَّهَادَةُ وَالْجَنَّةُ فَمَنْ عَاشَ مِنْ الْمُجَاهِدِينَ كَانَ كَرِيمًا لَهُ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَحُسْنُ ثَوَابِ الْآخِرَةِ . وَمَنْ مَاتَ مِنْهُمْ أَوْ قُتِلَ فَإِلَى الْجَنَّةِ . قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : { يُعْطَى الشَّهِيدُ سِتُّ خِصَالٍ يُغْفَرُ لَهُ بِأَوَّلِ قَطْرَةٍ مِنْ دَمِهِ وَيُرَى مَقْعَدَهُ مِنْ الْجَنَّةِ وَيُكْسَى حُلَّةً مِنْ الْإِيمَانِ وَيُزَوَّجُ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِنْ الْحُورِ الْعِينِ وَيُوقَى فِتْنَةَ الْقَبْرِ وَيُؤْمَنُ مِنْ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ } رَوَاهُ أَهْلُ السُّنَنِ . وَقَالَ ﷺ : { إنَّ فِي الْجَنَّةِ لَمِائَةَ دَرَجَةٍ . مَا بَيْنَ الدَّرَجَةِ إلَى الدَّرَجَةِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَعَدَّهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ } فَهَذَا ارْتِفَاعُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ فِي الْجَنَّةِ لِأَهْلِ الْجِهَادِ . وَقَالَ ﷺ : { مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَثَلُ الصَّائِمِ الْقَائِمِ الْقَانِتِ الَّذِي لَا يَفْتُرُ مِنْ صَلَاةٍ وَلَا صِيَامٍ } { وَقَالَ رَجُلٌ : أَخْبِرْنِي بِعَمَلِ يَعْدِلُ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ؟ قَالَ : لَا تَسْتَطِيعُهُ . قَالَ : أَخْبِرْنِي بِهِ ؟ قَالَ : هَلْ تَسْتَطِيعُ إذَا خَرَجَ الْمُجَاهِدُ أَنْ تَصُومَ لَا تُفْطِرُ وَتَقُومَ لَا تَفْتُرُ ؟ قَالَ : لَا . قَالَ : فَذَلِكَ الَّذِي يَعْدِلُ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ } . وَهَذِهِ الْأَحَادِيثُ فِي الصَّحِيحَيْنِ وَغَيْرِهِمَا . وَكَذَلِكَ اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ - فِيمَا أَعْلَمُ - عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ فِي التَّطَوُّعَاتِ أَفْضَلُ مِنْ الْجِهَادِ . فَهُوَ أَفْضَلُ مِنْ الْحَجِّ وَأَفْضَلُ مِنْ الصَّوْمِ التَّطَوُّعِ وَأَفْضَلُ مِنْ الصَّلَاةِ التَّطَوُّعِ . وَالْمُرَابَطَةُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَفْضَلُ مِنْ الْمُجَاوَرَةِ بِمَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ وَبَيْتِ الْمَقْدِسِ حَتَّى قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه : لَأَنْ أُرَابِطُ لَيْلَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَحَبُّ إلَيَّ مِنْ أَنْ أُوَافِقَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ عِنْدَ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ . فَقَدْ اخْتَارَ الرِّبَاطَ لَيْلَةً عَلَى الْعِبَادَةِ فِي أَفْضَلِ اللَّيَالِي عِنْدَ أَفْضَلِ الْبِقَاعِ ؛ وَلِهَذَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ يُقِيمُونَ بِالْمَدِينَةِ دُونَ مَكَّةَ ؛ لِمَعَانٍ مِنْهَا أَنَّهُمْ كَانُوا مُرَابِطِينَ بِالْمَدِينَةِ . فَإِنَّ الرِّبَاطَ هُوَ الْمَقَامُ بِمَكَانٍ يُخِيفُهُ الْعَدُوُّ وَيُخِيفُ الْعَدُوَّ فَمَنْ أَقَامَ فِيهِ بِنِيَّةِ دَفْعِ الْعَدُوِّ فَهُوَ مُرَابِطٌ وَالْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : { رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ يَوْمٍ فِيمَا سِوَاهُ مِنْ الْمَنَازِلِ } رَوَاهُ أَهْلُ السُّنَنِ وَصَحَّحُوهُ . وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ " عَنْ سَلْمَانَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ { : رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ وَمَنْ مَاتَ مُرَابِطًا أُجْرِيَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ مِنْ الْجَنَّةِ وَأَمِنَ الْفَتَّانَ } يَعْنِي مُنْكَرًا وَنَكِيرًا . فَهَذَا فِي الرِّبَاطِ فَكَيْفَ الْجِهَادُ . وَقَالَ ﷺ : { لَا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ فِي وَجْهِ عَبْدٍ أَبَدًا } وَقَالَ { مَنْ اغْبَرَّتْ قَدَمَاهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَرَّمَهُمَا اللَّهُ عَلَى النَّارِ } فَهَذَا فِي الْغُبَارِ الَّذِي يُصِيبُ الْوَجْهَ وَالرِّجْلَ فَكَيْفَ بِمَا هُوَ أَشَقُّ مِنْهُ ؛ كَالثَّلْجِ وَالْبَرْدِ وَالْوَحْلِ . وَلِهَذَا عَابَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ يَتَعَلَّلُونَ بِالْعَوَائِقِ كَالْحَرِّ وَالْبَرْدِ . فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : { فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ } وَهَكَذَا الَّذِينَ يَقُولُونَ : لَا تَنْفِرُوا فِي الْبَرْدِ فَيُقَالُ : نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ بَرْدًا . كَمَا أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : { اشْتَكَتْ النَّارُ إلَى رَبِّهَا فَقَالَتْ : رَبِّي أَكَلَ بَعْضِي بَعْضًا فَأْذَنْ لَهَا بِنَفَسَيْنِ نَفَسٍ فِي الشِّتَاءِ وَنَفَسٍ فِي الصَّيْفِ فَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنْ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ فَهُوَ مِنْ زَمْهَرِيرِ جَهَنَّمَ } فَالْمُؤْمِنُ يَدْفَعُ بِصَبْرِهِ عَلَى الْحَرِّ وَالْبَرْدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَرَّ جَهَنَّمَ وَبَرْدَهَا وَالْمُنَافِقُ يَفِرُّ مِنْ حَرِّ الدُّنْيَا وَبَرْدِهَا حَتَّى يَقَعَ فِي حَرِّ جَهَنَّمَ وَزَمْهَرِيرِهَا . وَاعْلَمُوا - أَصْلَحَكُمْ اللَّهُ - أَنَّ النُّصْرَةَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ . وَهَؤُلَاءِ الْقَوْمُ مَقْهُورُونَ مَقْمُوعُونَ . وَاَللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نَاصِرُنَا عَلَيْهِمْ وَمُنْتَقِمٌ لَنَا مِنْهُمْ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إلَّا بِاَللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ . فَأَبْشِرُوا بِنَصْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَبِحُسْنِ عَاقِبَتِهِ { وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } وَهَذَا أَمْرٌ قَدْ تَيَقَّنَّاهُ وَتَحَقَّقْنَاهُ

الطريق لرفع راية التوحيد

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ } { تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } { يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } { وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ } { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ } . وَاعْلَمُوا - أَصْلَحَكُمْ اللَّهُ - أَنَّ مِنْ أَعْظَمِ النِّعَمِ عَلَى مَنْ أَرَادَ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا أَنْ أَحْيَاهُ إلَى هَذَا الْوَقْتِ الَّذِي يُجَدِّدُ اللَّهُ فِيهِ الدِّينَ وَيُحْيِي فِيهِ شِعَارَ الْمُسْلِمِينَ وَأَحْوَالَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدِينَ حَتَّى يَكُونَ شَبِيهًا بِالسَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ . فَمَنْ قَامَ فِي هَذَا الْوَقْتِ بِذَلِكَ كَانَ مِنْ التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانِ الَّذِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ . فَيَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَشْكُرُوا اللَّهَ تَعَالَى عَلَى هَذِهِ الْمِحْنَةِ الَّتِي حَقِيقَتُهَا مِنْحَةٌ كَرِيمَةٌ مِنْ اللَّهِ وَهَذِهِ الْفِتْنَةُ الَّتِي فِي بَاطِنِهَا نِعْمَةٌ جَسِيمَةٌ حَتَّى وَاَللَّهِ لَوْ كَانَ السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ - كَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ وَغَيْرِهِمْ - حَاضِرِينَ فِي هَذَا الزَّمَانِ لَكَانَ مِنْ أَفْضَلِ أَعْمَالِهِمْ جِهَادُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ . وَلَا يَفُوتُ مِثْلُ هَذِهِ الْغُزَاةِ إلَّا مَنْ خَسِرَتْ تِجَارَتُهُ وَسَفَّهَ نَفْسَهُ وَحُرِمَ حَظًّا عَظِيمًا مِنْ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ؛ إلَّا أَنْ يَكُونَ مِمَّنْ عَذَّرَ اللَّهُ تَعَالَى كَالْمَرِيضِ وَالْفَقِيرِ وَالْأَعْمَى وَغَيْرِهِمْ وَإِلَّا فَمَنْ كَانَ لَهُ مَالٌ وَهُوَ عَاجِزٌ بِبَدَنِهِ فَلْيَغْزُ بِمَالِهِ . فَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : { مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فَقَدْ غَزَا وَمَنْ خَلَفَهُ فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا } وَمَنْ كَانَ قَادِرًا بِبَدَنِهِ وَهُوَ فَقِيرٌ فَلْيَأْخُذْ مِنْ أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ مَا يَتَجَهَّزُ بِهِ سَوَاءٌ كَانَ الْمَأْخُوذُ زَكَاةً أَوْ صِلَةً أَوْ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ ؛ حَتَّى لَوْ كَانَ الرَّجُلُ قَدْ حَصَلَ بِيَدِهِ مَالٌ حَرَامٌ وَقَدْ تَعَذَّرَ رَدُّهُ إلَى أَصْحَابِهِ لِجَهْلِهِ بِهِمْ وَنَحْوِ ذَلِكَ أَوْ كَانَ بِيَدِهِ وَدَائِعُ أَوْ رُهُونٌ أَوْ عَوَارٍ قَدْ تَعَذَّرَ مَعْرِفَةُ أَصْحَابِهَا فَلْيُنْفِقْهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنَّ ذَلِكَ مَصْرِفُهَا . وَمَنْ كَانَ كَثِيرَ الذُّنُوبِ فَأَعْظَمُ دَوَائِهِ الْجِهَادُ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَغْفِرُ ذُنُوبَهُ كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : { يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ } . وَمَنْ أَرَادَ التَّخَلُّصَ مِنْ الْحَرَامِ وَالتَّوْبَةَ وَلَا يُمْكِنُ رَدُّهُ إلَى أَصْحَابِهِ فَلْيُنْفِقْهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَنْ أَصْحَابِهِ فَإِنَّ ذَلِكَ طَرِيقٌ حَسَنَةٌ إلَى خَلَاصِهِ مَعَ مَا يَحْصُلُ لَهُ مِنْ أَجْرِ الْجِهَادِ . وَكَذَلِكَ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ فِي دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ وَحَمِيَّتِهَا فَعَلَيْهِ بِالْجِهَادِ ؛ فَإِنَّ الَّذِينَ يَتَعَصَّبُونَ لِلْقَبَائِلِ وَغَيْرِ الْقَبَائِلِ - مِثْلَ قَيْسٍ وَيُمَنٍ وَهِلَالٍ وَأَسَدٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ - كُلُّ هَؤُلَاءِ إذَا قُتِلُوا فَإِنَّ الْقَاتِلَ وَالْمَقْتُولَ فِي النَّارِ كَذَلِكَ صَحَّ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : { إذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ . قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا الْقَاتِلُ فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ ؟ قَالَ : إنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ أَخِيهِ } أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ . وَقَالَ ﷺ : { مَنْ قُتِلَ تَحْتَ رَايَةٍ عمية : يَغْضَبُ لِعَصَبِيَّةِ وَيَدْعُو لِعَصَبِيَّةٍ فَهُوَ فِي النَّارِ } رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَقَالَ ﷺ : { مَنْ تَعَزَّى بِعَزَاءِ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَعِضُّوهُ بهن أَبِيهِ وَلَا تَكْنُوا فَسَمِعَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ رَجُلًا يَقُولُ : يَا لِفُلَانِ فَقَالَ : اعْضَضْ أَيْرَ أَبِيك فَقَالَ : يَا أَبَا الْمُنْذِرِ ؛ مَا كُنْت فَاحِشًا . فَقَالَ بِهَذَا أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ } . رَوَاهُ أَحْمَد فِي مُسْنَدِهِ . وَمَعْنَى قَوْلِهِ : { مَنْ تَعَزَّى بِعَزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ } يَعْنِي يَعْتَزِي بِعِزْوَاتِهِمْ وَهِيَ الِانْتِسَابُ إلَيْهِمْ فِي الدَّعْوَةِ مِثْلَ قَوْلِهِ : يَا لِقَيْسِ يَا ليمن وَيَا لِهِلَالِ وَيَا لِأَسَدِ فَمَنْ تَعَصَّبَ لِأَهْلِ بَلْدَتِهِ أَوْ مَذْهَبِهِ أَوْ طَرِيقَتِهِ أَوْ قَرَابَتِهِ أَوْ لِأَصْدِقَائِهِ دُونَ غَيْرِهِمْ كَانَتْ فِيهِ شُعْبَةٌ مِنْ الْجَاهِلِيَّةِ حَتَّى يَكُونَ الْمُؤْمِنُونَ كَمَا أَمَرَهُمْ اللَّهُ تَعَالَى مُعْتَصِمِينَ بِحَبْلِهِ وَكِتَابِهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ . فَإِنَّ كِتَابَهُمْ وَاحِدٌ وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ وَنَبِيُّهُمْ وَاحِدٌ وَرَبُّهُمْ إلَهٌ وَاحِدٌ لَا إلَهَ إلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ } { وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ } { وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } { وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } { يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ } قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما : تَبْيَضُّ وُجُوهُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَتَسْوَدُّ وُجُوهُ أَهْلِ الْفُرْقَةِ وَالْبِدْعَةِ . فَاَللَّهَ ؛ اللَّهَ . عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ والائتلاف عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ ؛ يَجْمَعْ اللَّهُ قُلُوبَكُمْ وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَحْصُلْ لَكُمْ خَيْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . أَعَانَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ عَلَى طَاعَتِهِ وَعِبَادَتِهِ وَصَرَفَ عَنَّا وَعَنْكُمْ سَبِيلَ مَعْصِيَتِهِ وَآتَانَا وَإِيَّاكُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَوَقَانَا عَذَابَ النَّارِ وَجَعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُ جَنَّاتِ النَّعِيمِ إنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا وَنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ . "

الطريق لرفع راية التوحيد

الوصية الأولى

أخلص لله نيَّتك

..آكِلُ الإخلاص

!!يروعُكَ ويهولُكَ ذلك المشهدِ المؤلِمِ عندما تتخيلُهُ حقيقةً ماثلةً أمامكَ بعد أن تَلَقَّفَتْهُ أُذنيك وأنت به موقِن

!! إنه مشهدُ أوَّلِ خَلْقِ الله تُسعَّرُ بهم النَّارُ يوم القيامةِ

ثمَّ تتساءلُ كيف هانَ عليهم ؟! بل كيف تحمَّلوا أن يكون ذلك مصيرُهم ؛ وهم الذين لن يَبلُغَ أحدٌ مبلغهم من الجُهدِ والتَّعبِ والصَّبر في !سبيلِ ما حصَّلوا ؟

(!!قارئٌ للقرآن وشهيدٌ ومنفقٌ للمال)

!كم تعِب الأوَّلُ وكم سهِرَ وكم أعادَ حتى حفظَ القرآن ؟

!كم صبر الثاني وكم صابر ورابط حتى لقي العدو ثمَّ استشهد ؟

!وكم تحمَّل الثالث السَّعي والكدَّ حتى حصَّل المال ثمَّ أنفق ؟

!ثمَّ ما الذي حدث ؟! ما الذي تغيَّر ؟! وما الخللِ الذي أوْدى بعملِ هؤلاءِ ثمَّ بحياتِهم إلى بئس المصير ؟

.. -إنّهُ الشركُ الخفي ، أخوفُ ما كان يخافهُ علينا رسول الله - صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ

.إنَّه الرياء آكِلُ الإخلاصِ وملتهِمُ الأعمال ومُفسدُ النِّيات

إنَّه السَّعيُ الحثيث والكدُّ المريرِ والجُهد البالِغ ، من أجل كلمةٍ واحدة أوإشارة واحدة: (هو قارئ..هو شجاع..هو منفق) وقد قيل!! ثمَّ ماذا ؟

..أضْخم قضيَّة

إنَّ أضخمَ قضيةٍ واجهها الوِجدانُ الإنساني ويواجِهُها ، وكانت ولازالت وستظلُّ القضيةَ المحورية التي دَفعَ الإسلامُ بها دفعاً لتقويمِ سلوك الإنسان وتصرفاتِه ، وتصحيحِ نظرته وتصوراته هي النية. وهي الأصلُ الذي لا يتفرَّعُ ، والرُّكنُ الذي لايتجزئ ، وحجرُ الزَّاوية لأي عملٍ من الأعمال. بها .. "يَكْبُرُ العمل ويصُحُّ ، وبِدونِها يَضيعُ ويَفْسُد ، وعليها يكون الجزاءُ والحساب ، والثوابُ والعِقاب!!."قلِ اللهَ أعْبُدُ مُخْلِصَاً لَهُ دِيْنِي طالما صاح بها المحاسبي رحمه الله مُنبِّهاً ومذكِّراً: (افحص عن النِّية ، واعرفِ الإرادة ؛ فإن المجازاة بالنية.

:الإخلاص

" زادك الذي به تثبُت ، وبه تُواجه ، وبه تصبر وتصابر ، وبه تتجلَّد وتُجالِد " فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا

.إنَّه زادك الذي به تصِلُ إلى الله ؛ فإليه يصعدُ الكَلِمُ الطِّيب ، والعملُ الصَّالِح ، والدُّعاء الخالص ، والدَّمعُ النَّقي

أمْتُخِذِ الإخلاصِ لله جُنَّةً ومن يَعْتصِم باللهِ فاللهُ حَسْبُهُ

..إنه زادُك ورأسُ مالِك وسبيلُك للفوز في تجارةٍ بضاعتُها روحُكَ التي تَحمِلُها على راحتيك

يَجُودُ بالنَّفْسِ إنْ ضَنَّ الجَوادُ بها والجودُ بالنَّفْسِ أَقْصَى غايةِ الجُودِ

"إنما الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ ما نَوَى فَمَنْ كانت هِجْرَتُهُ إلى دُنْيَا يُصِيبُهَا أو إلى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إلى ما هَاجَرَ إليه "

ولقد تأملتُ حالَ المجاهدِين في سبيل الله فوجدتُهم أشد النَّاسِ حاجةً إلى استحضارِ النِّية وإخلاصِها وتجريدِها مما يشوبُها ؛ وما ذلك إلاَّ لخطورةِ ما يقومون به ، وما يُتوقع أن يتعرضوا له: من كسْرٍ أو بَتْرٍ أوقتلٍ أو أَسْرٍ أوسِجنٍ وإيذاءٍ ، ولاشكَّ أنها أمورٌ شاقة جِدُّ شاقة ، وكبيرةٌ جِدُّ كبيرة ، ولرُبَّما طالَ مقامُها مع من يُصاب بها ، فبأيِّ شيءٍ يَسْلُون ؟! أم بأي شيء يتصبَّرون ؟! أم إلى أي شيءٍ يَسكُنون ويستريحون ؛ إن لم تكن نياتُهم صادقة !وعملُهم خالصاً فيجدوا لألَمِ البَّلاء وحرارتِه برْد القَبول الذي يأملونَهُ من ربهم عز وجل ؟

والأمرُ ليس بالسَّهل كما يُحاول أن يصوّرهُ البعض!! بل شاقٌ ومضنٍ يحتاج من العبدِ أن يكون خبيراً بمداخِل الشيطان ونزواتِ النَّفس وأهوائها ، فيكون حذراً منتبهاً مدركاً لقولِ سفيان الثوري رحمه الله: (ما عالجت شيئاً أشد عليَّ من نيَّتي فإنها تنقلب عليَّ)١ ومُتدبِّراً لقول يحيى بن معاذ (الإخلاصُ يَميز العمل من العيوب ، كتمييز اللَّبن من الفرث والدم)٢ ومصغياً ليوسِف بن أسباط وهو ينادي (تخليصُ النِّية من فسادها أشدُّ على ( )العاملين من طول الإجتهاد)٣

وهل العاملون إلا هم وأمثالهُم !؟ فحريٌ بهم أ ن يفتِّشوا عن نيَّاتِهم ويَسْتجْوبُوا أنفُسهُم ويُحقّقوا في مُرادهم ؛ فأي خسارةٍ يمكن أن يُمْنى بها .!الإنسان أعظمُ من ضياعِ جُهدٍ رُبَّما كلَّفه حياتَه أوحريَّته أوسلامته ؟

..حقيقة البيعة

الطريق لرفع راية التوحيد

عندما تَكثُرُ الدَّعاوى ، وترتفعُ الأصواتُ ، ويتهافتُ المُتهافِتون ، وتَشْرَئِبُ الأعناقُ لكلمةٍ أو عطيةٍ أو مِنحةٍ ، تبرزُ حقيقة البيعة!! هذا ما أدركه ابنُ القيّم حين نادى: (لا يَجتمِعُ الإخلاصُ في القلبِ ومحبةُ المدحِ والثناء والطمع فيما عند الناس ، إلا كما يجتمعُ الماءُ والنَّار والضب والحُوت ، فإذا حدَّثتك نفسك بطلبِ الإخلاص فأقبل على الطَّمع أولاً فاذبحه بسكينِ اليأس ، وأقبِل على المدحِ والثَّناء فازهد فيهما زهد عشَّاق الدنيا في الآخرة ، فإذا (استقام لك ذبحُ الطمع والزهد في الثناء والمدح سهل عليك الإخلاص

<u>..انظر ما خالط قلبك</u>

.. انظُر إلى قلبك جيداً !! انظر إلى أخلاطه.. إلى شوائبه

!!انظر إلى ما يُعكِّرُ الصفاء ويوهِم بالنقاء..إلى ما يشوِّه الحقيقة ويلمِّع الخيال.. إلى ما يجعلُك تسقط وأنت من أراد العُلو

.نُريدُه إخلاصاً يتجاوز اللِّسان ، ليوقفَ صاحِبَهُ عند منصَّة التفكُر في أثر التَّساهل في هذه القضية الضخمة

فرياءٌ أو حبُّ مدحٍ أو تطلُّعٍ لمنصبٍ يُصاب به الفرد ، لاشكَّ أنه يصيب جماعة المجاهدين فيؤخِّرُ النَّصر ، ويصعِّب الأمر ، ويسلِّط العدو ، فإمَّا .توبة تُبعِدُ عنَّا شُؤم تلك المعصية ، وإمَّا أن نُبعِد من عرفنا منه ذلك من بيننا

.المجاهدُ حرٌ.. رفض الذُّل فتحرك ، ورفضَ القَيْد فتحرَّر ، ورفضَ الخُنوع فثار

"إنك حرٌ ومن سِمات الحُرِّ الغيرة ، فلا ترضى أن يُشاركك في سعيك إلى الله شيء."قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

ثمَّ احذر فإنَّ الله (إذا أبغض عبداً أعطاه ثلاثاً ومنعه ثلاثاً ، أعطاهُ صُحبةَ الصالحين ومنعه القَبولَ منهم ، وأعطاهُ الأعمالَ الصالحة ومنعه (الإخلاص فيها ، وأعطاهُ الحكمَة ومنعه الصِدق فيها

"..من صفا صُفِي له ومن خَلَطَ خُلِط عليه"

<u>:هذا صفا</u>

رجلٌ من الأعراب (لم يذكُر الرُّواة اسمه لأنَّه غير معروف ، ولكن ما ضَّره ذلك فكفاهُ أن يعرِفه ربُّه يوم تُبلى السَّرائر) جاء إلى النبي فآمن به واتَّبعه ثم قال: أُهاجر معك فأوصى به النبيُّ بعض أصحابه فلما كانت غزوةٌ غَنِم النبيُّ فقسَم وقَسَم له ، فأعطى أصحابه ما قَسَم له وكان يرعى ظهرهم فلمَّا دفعوه إليه قال: ما هذا ؟ قالوا قَسْمٌ قَسَم لك النبي فأخذه فجاء به إلى النبي -صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- فقال: ما هذا ؟ قال: (قسمتُه لك)!! قال: ما على هذا أتبعُك ولكن اتَّبعْتُك على أن أُرْمَى إلى ها هنا وأشار إلى حَلْقِهِ بسهمٍ فأموت فأدخل الجنة. فقال:(إن تَصْدُقِ الله يَصْدُقْكَ) ، فلبثوا قليلاً ثم نهضوا في قتال العدوّ فأُتِيَ به النبيَ يُحْمَلُ قد أصابه سهمٌ حيث أشار فقال: النبي -صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ-:(أهُو هو ؟) قالوا: نعم قال: (صَدَقَ اللهَ فَصَدَقه) ثم كَفَّنه النبي في جُبَّة له ثم قدَّمه فصلى عليه فكان مما ظهر من صلاته اللَّهم هذا عبُدك خرج مهاجراً في سبيلك فقُتل شهيداً أنا شهيد على (ذلك

<u>.. وهذا خلط</u>

يُروى عن بعضهم قال: غزوتُ في البحر فَعَرضَ بعضُنا مِخلاةً فقلتُ أشتريها فأنتفعُ بها في غزوي ، فإذا دخلتُ مدينةَ كذا بِعتُها فربحت فيها ، فاشتريتُها فرأيتُ تلك الليلة في النومِ كأن شخصين قد نزلا من السماءِ فقال أحدهما: لصاحبِه: اكتب الغُزاةَ ، فأملى عليه: خرج فلانٌ مُتَنَزِّهاً ، وفلانٌ مُرائياً ، وفلانٌ تاجراً ، وفلانٌ في سبيل الله. ثم نظر إليَّ وقال: اكتُب فلانٌ خرج تاجِراً!! فقلتُ الله الله في أمري ، ما خرجت أتَّجِرُ ، وما معي تجارةً أتَّجر فيها!! ما خرجتُ إلا للغزو. فقال: يا شيخ قد أشتريتَ أمس مخلاةً تريدُ أن تربح فيها!! فبكيتُ وقلتُ: لا تكتبوني تاجراً فنظر إلى صاحبه وقال: ما ترى ؟ .فقال: اكتُب خرجَ فلانٌ غازياً إلاَّ أنَّه اشترى في طريقِه مخلاةً ليربح فيها ، حتى يحكم الله عز وجل فيه بما يرى

.وقد قيل: الإخلاص دوام المراقبة ونسيان الحظوظ كلها

ومن علاماته : استواء المدح والذم ، فلا تعبء بهما ، فهما عندك سواء

.

<u>..وصايا</u>

مُحْتَسِبًا بَعَثَكَ الله صَابِرًا قال رسولُ الله -صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- يوصي عبد الله بن عمرو -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- يا عَبْدَ اللَّهِ بن عَمْرٍو إن قَاتَلْتَ صَابِرًا "مُحْتَسِبًا وَإِنْ قَاتَلْتَ مُرَائِيًا مُكَاثِرًا بَعَثَكَ الله مُرَائِيًا مُكَاثِرًا يا عَبْدَ اللَّهِ بن عَمْرٍو على أَيِّ حَالٍ قَاتَلْتَ أو قُتِلْتَ بَعَثَكَ الله على تلك الْحَالِ

... أيها المسلم

لاتغتر بما أنت عليه من طاعة فلا تدرى بما يُختم لك فالدنيا تتقلب بأهلها والعبرة بالخواتيم فاسأل الله حسن الخاتمة وقل "يامقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك

وأوصى الفاروقُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- سعد ابن أبي وقاص بمحاسبةِ نفسه وموعظةِ جيشِه. وأمْرِهِم بالنِّية الحسنة والصبر ؛ فإن النصر يأتي من الله على قَدْرِ النِّية ، والأجر على قدر الحِسبة ، وسلوا الله العافية وأكثِروا من قولِ: لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

وكتب رضى الله تعالى عنه إلى أبى موسى الأشعرى: من خلُصت نيّتُه كفاه الله تعالى ما بينه وبين الناس

الطريق لرفع راية التوحيد

إن هذا يومٌ من أيام الله ، لا ينبغي فيه الفخر ولا البغي. أخلِصوا جهادَكم ، وأريدوا الله بعملِكم. فإن هذا يومٌ له ما بعده) هذا ما أوصى به (.سيف الله خالد جنده يوم اليرموك

(وهذا ابن القيمِ يوصيك برائعةٍ من فوائده حين يقول:(العملُ بغير إخلاصٍ ولا اقتداءٍ كالمسافر يملؤ جِرابه رملاً يُثقله ولا يَنفعُه

ومُشتَّتُ العَزماتِ يُنْفِقُ عُمره حَيران لا ظَفَرٌ ولا إخْفاقُ

هل يَضُرُّكَ أن لا يعرِفك أحد؟

إنها التربيةُ التي يجِبُ أن يتربَّى عليها كُل مجاهِدٍ في سبيل الله حين يَحرُصُ على أن لا يعرفَه أحدٌ ، ولا يَحْفَلُ به أحدٌ ، ولا يُشيرُ إليه أحدٌ ، وهي تربيةٌ عمريةٌ كان الفاروقُ رضي الله عنه حريصٌ على إبرازِها أمام جنودِه وأمام رعيَّتِه في المواقف التي لا بُدَّ من التَّأكيدِ عليها حتَّى يستقِر في .النفوسِ حقيقة الإخلاص

فبعدَ معركة نهاوند جاءهُ الرَّسولُ مُبشِّراً بالفتحِ العظيم فقال لهُ عمر: النُعمانُ بعثكَ؟ قال الرسول: احتسب النّعمان يا أمير المؤمنين ، فبكى عُمر واسترجع. ثمَّ قال: ومن ويحك! قال: فلان وفلان حتىَّ عدَّ له ناساً كثيراً ، ثم قال: وآخرين يا أمير المؤمنين لا تعرفُهم فقال عمر وهو يبكي: لا .يَضُرُّهم ألاّ يعرفَهُم عمر ولكنّ الله يعرفهم

:أيها الحُر

وإذا حَدَثَ أن احتفى بكَ النَّاس وبالغوا في مدحكَ وتزكيتك ، فاحذر أن تُصدِّق ، فأنت أعلمُ بنفسِك من غيرك ، وردِّد أمامَهم ما كان يُردِّدُه الصالحون المخلصون الخائفون: أنا أعلَمُ بِنفسي من غيري ، وربِّي أعلمُ بِنفسي مِنِّي ، اللَّهُمَّ لا تُؤاخِذهم بِما يَقولون ، واجعلني أفضل مِمَّا يَظنون ، .واغفر لي مالا يَعلمون

كن كصاحب النقب

تقياً نقياً خفياًتعمل لنصرة الإسلام أينما كنت ،حذراً من الإنتماء الضيق للأحزاب والجماعات ،فأنت مسلم موحد مجاهد لاتنتمى إلى غير الإسلام ولا ترضى باسم غيرأهل السُنة والجماعة الفرقة الناجية والطائفة المنصورة التى يميزها عن غيرها أنها طائفة مجاهدة إلى قيام الساعة لايضرها من خذلها ،فكن من أُولائك الغرباء الذين يتمسكون بالأصول الثلاثة المعصومة وماكان عليه الصحابة والسلف الصالح

إحذر الشهوة الخفية

حب الرئاسة والزعامة والتصدر باسم المصلحة ونصرة الدين فتميل بك إلى الهوى والجدال والتعصب وتنتهى إلى الفرقة والتنازع والشتات وتمزق راية المسلمين فبرهن على صدق إخلاصك ولايضرك أن تكون فى المقدمة أو الساقة فالأمر لله وفى سبيل الله فجاهد نفسك أن تطبق وتعمل بماتتعلمه فى الواقع وعند التنازع ودليل تجردك وإخلاصك مخالفة هواك واتهام نفسك

واعلم أن ديننا دين منهج ودليل لادين أشخاص وهو باق ببقاء المنهج

:أيها الحُر

إنما يتعثَّر من لم يُخلص ، وإنَّ قلبك الذي بين جنبيكَ لا يؤثِّر عليك وحدك ، وإنما يؤثر على المسيرةِ كُلها وقد نتعثَّر بسببك ، وقد تتعثر أنت !!بسبب غيرك إن لم يُخلص ما دام معك

.فلنَجْعَل شِعارنا جميعاً ، شِعار الكرخي رحمه الله يوم يقول: يا نفسُ أخلصي تتخلَّصي

.واعلم أن إيثار الله عزوجل أفضلُ من القتل في سبيل الله!! هكذا أدرك يوسف بن أسباط رحمه الله

"ولِم لا ف"رُبَّ قَتِيلٍ بين الصَّفَّيْنِ الله أَعْلَمُ بِنِيَّتِهِ

إياك وسوء الظن....

هذا الداء العضال والمرض القاتل والسرطان المدمر الذى يسرى فى الجسد المسلم فالأصل في المسلم السلامة وحسن الظن وعامل الناس بمثل ماتحب أن يعاملوك به وأحسن الظن بإخوانك والتمس لهم الأعذار واتهم نفسك وتثبت قبل أن تتهم فتندم ولكن بعد فوات الأوان حين لاينفع الندم وتحقق للعدو ماكان يسعى إليه من نشر الشائعات والأخبار الكاذبة التى تحطم النفوس وتهدم الرؤوس وتفرق الإخوان وتشق الصف والبنيان وتقدح في القادة والأمراء والدعاة والعلماء بالجهل المركب فيصيبك العطب فتتولى كبر هذا الإفك وتبوء بالإثم بسوء الظن الذى لايغنى عن الحق شيئًا(وإن بعض الظن إثم) وماثبت بيقين لايزول بالشك والظن والإحتمال فاحترس من الشيطان

الطريق لرفع راية التوحيد

أيها الحبيب المحب

.إن أردت الجنة فالجهاد والإستشهاد فى سبيل الله أقصر الطرق إليها ،ومن صدق وصل

فإن عجزت بنفسك فبمالك بتجهيز المجاهدين وكفالتهم واخلفهم فى أهليهم بخير

فإن عجزت عن ذلك فعليك بالإعداد فهو كالصلاة لايسقط بحال

فإن عجزت فلا أُراك تعجز عن الدعاء للمجاهدبن بالنصر والتمكين

.اللهم اجعلنا من أنصار دينك وسنة نبيك وعبادك المجاهدين

.وصلى اللهم وسلم وبارك على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم

ماضٍ وإن قطع الطغاة لساني	ماضٍ وهدي الله ملء كياني
ماضٍ وإن نذروا دمي	وتقولوا وتأولوا لي الذنب بالبهتان
ماضٍ ونور الحق يسطع في دمي	ماض وأعلام التقى عنواني
ماض وأسلحة العلم والتقى	بهما أهد صياصي الطغيان
ماض على شفتي كنوز محمد	وبخافقي قلائد الإيمان
ماض إلى هدفي وليس يضيرني	أن يسرع الحكام للأذعان
ماض وفي كفي الرحيق	لظامئ وتوهج الأقمار للحيران
ماض ومملكتي بلاد الله إن	ضاقت بلاد السجن والسجان
ماض فإن تبغي الحياة فكن معي	نمحق حياة القيد والأرسان
ونقم صروح النور شامخة على	هدي النبوة في أعز مكان
شجر الجهاد نما فأورق عزة	قبست سناها من سنا الرحمن
أو ما ترى الأيام تعطي حكمها	للباذلين النفس بعد حران
نزلت على حكم المجاهد بعد ما	أخذ الكرى بمعاقد الأجفان
فإليّ يا مستضعفون إليّ ما	عادت تخوف صولة الأوثان
وجنود ربك جلجلة صيحاتهم	في القدس في يافا وفي الجولان
كُشف الغطاء وخر كل مجوف	فصروحهم تعلو إلى الأذقان

اللهم تقبل منا إنك أنت السميع العليم

اللهم ببابك أوقفنا ركائب الذل والإنكسار وبجنابك أنخنا نجائب العجز والإفتقار ، ولعطائك مددنا يد الفاقة والإضطرار ، وبفنائك وقفنا وأنت عالم الأسرار ، فتقبل منا عملنا وأنفعنا والمسلمين به في الدنيا والأخرة رب فلا تجعل ما ألفته قرائحنا مردوداً إلينا بالطرد والإبعاد ولاما سطرته أناملنا شهيداً علينا يوم يقوم الأشهاد وارزقنا شهادة ننال بها أعلى رتب الزلفى لديك وبيض وجوهنا يوم تسود الوجوه وتبيض بين يديك فأنت ذو الطول العظيم والفضل العميم ولا حول ولا قوة إلا بك يا الله .

اللهم وصل أفضل صلاة وأكملها وأشرفها قدراً وأجزلها علي سيدنا مُحَمَّد الذي أذهبتَ ظلم الشرك باجتهاده وأرهبت أمم الإفك بجهاده وجلاده ، وعلى آله الأعيان والأمجاد ، وعلى صحبه الشجعان الأنجاد وسلم تسليماً كثيراً دائماً أبداً .۰{خاتمة مشارع الأشواق ومصارع العشاق }

رحم الله ابن النحاس فقد صدق الله فصدقه وتقبل منه ومات شهيداً في ثغر دمياط سنة ٨١٤هـ فمن سأل الله الشهادة بصدق بلغه منازل الشهداء ولو مات على فراشه فالصدق الصدق وهو النجاة من الهموم والغموم والفتن والأهوال عند المنون وهو الطريق إلى العز والتمكين في جنات النعيم بجوار رب العالمين وسيد المرسلين ، فاللهم ارزقنا الصدق والإخلاص وارزقنا الشهادة في سبيلك مقبلين غير مدبرين نكاية وذلا لأعدائك و نصرة لدينك وأوليائك وسنة نبيك وعبادك الموحدين المجاهدين ، وصلى الله على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين

كان الأنتهاء من كتاب "الطريق لرفع راية التوحيد"ملخصاً من كلام الشيخ عبد الله الغليفى رحمه الله تعالى وغفر له

يوم الجمعة ٢٠من رمضان ١٤٣٥

١٨-٧-٢٠١٤

وفى الختام أسأل الله البر الرحيم أن يتقبله منى وأن يكتبنى من عباده الصالحين ، الذين سعوا إلى تعلم العلم و عملوا بما تعلموا ، وأرجوا منه ﷻ بأن لا يجعلنى مع من تعلم العلم حتى يقال عنه عالم فأكون أول من تسعر بهم النار ، وأسأله من فضله العظيم أن ينفع به كل المسلمين ،وأن يجعله فى ميزان حسناتى إلى يوم الدين ، يوم لا ينفع مال و لا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، وأرجوا كل من يعرفنى أن يعفو و يصفح عنى ، وأن يدعوا لى دائماً بالصدق و الأخلاص و الثبات يوم تزل الأقدام ، و حسن الختام و شهادة فى سبيل الرحمن .

"العبد الذليل الضعيف المحتاج إلى عفوا ربه مُحَمَّد حجاج"

فهرس الموضوعات